نافذة على العالم

رسالة اليونسكو

العدد ٢٢١

١٠ ديسمبر ١٩٧٩



١٠ قروش

پابوا غينيا الجديدة

الجذور الثقافية لأمة جديدة

٥

العدد ٢٣١

١٠ ديسمبر ١٩٧٩

رسالة اليونسكو

تصدر شهريا عن :

هيئة اليونسكو

ميدان فونتينوا - باريس - ٧

تصدرها اليونسكو باللغات

الفرنسية والإنجليزية والأسبانية

وتصدرها شعب قومية

بسبع عشرة لغة أخرى

رئيس التحرير

جان جودان

وتوجه الى سيادته جميع
الرسائل فى باريس

الطبعة العربية لرسالة اليونسكو

٤ شارع طلعت حرب - القاهرة

تليفون : ٧٤٢٥٠٢

رئيس التحرير

عبد المنعم الصاوى

هيئة التحرير

د. مصطفى كمال طلبة

د. السيد محمود الشنيطى

د. محمد عبد الفتاح القصاص

عثمان نوية

صفى الدين العزاوى

الإخراج والتصميم

روبرت جاكمين

عبد السلام الشريف

صفحة



صورة الغلاف :

ان هذا القناع التاتانوى المحفور فى الخشب على اطار من الروطان يعرف مكسو بالشعر هو الصورة التى جرى العرف عليها لشخص ميت . لقد عثر عليه فى الساحل الشمالى الشرقى لايرلندة الجديدة ، احدى الجزر التى تشكل مع حوالى ٦٠٠ جزيرة ومع الجزء الشرقى من غينيا الجديدة (دولة بابوا) غينيا الجديدة التى نالت استقلالها حديثا . والامة الجديدة غنية بمأثوراتها الثقافية كما هى غنية بمواردها الطبيعية وفى عام ١٩٧٦ صارت بابوا غينيا الجديدة العضو الثانى والثلاثين فى منظمة اليونسكو



كنوز الفن العالمى

١٤٦

تركيا

هذا التمثال البرونزى الصغير الذى يبلغ ارتفاعه ٢٠،٤ سم لأم مؤلهة ترضع طفلها هو مثل من أمثلة الفن الأصيل التى قام بصنعها صانعو المعادن فى آسيا الصغرى فى النصف الثانى من الالف عام الثالثة ق . م . ولقد وجد هذا التمثال فى جبانة ملكية فى هوروزتيب فى شمال الاناضول . ولقد احتوت قبور العصر البرونزى مجموعة كبيرة من التماثيل الصغيرة للنساء وأشياء معدنية أخرى مثل - آيات برونزية ذات نقوش مخرمة مزخرفة بأشكال هندسية وتماثيل حيوانية . وطيور ، وأزهار . ويوجد هذا التمثال الصغير المشار اليه هنا فى معهد الآثار بأنقرة .

أبناء التفرقة العنصرية

بقلم : مازيزى كونين

لقد كتب على أجيال عديدة خلال الثلاثمئة أو الأربعمئة سنة الأخيرة أن تتعرض لغزو بلادها واحتلالها على نطاق واسع وأدت هذه العملية في السنوات الأخيرة الى ظهور عالم تربطه أوثق الصلات وتسود فيه علاقات ومنظمات دولية كمنظمة اليونسكو كما أدت الى ظهور روح المواطنة العالمية التى تهدف الى إقامة مجتمع دولى كبير .

وتدرك الامم يوما بعد يوم ، أن أقاليم العالم المختلفة التى نسميها دولاً ليست سوى قرى بالمقياس العالمى الشامل إذ لم تعد أى دولة قومية تستطيع أن تعزل نفسها عن مصير غيرها من الدول على وجه الأرض فضلا عن أن تضع نظاما تعليميا يشوه حقيقة غيرها من الدول .

ولهذه الحقيقة أثرها الكبير في الجيل الناشىء اليوم . فالتعليم لم يعد يقتصر على الإشادة بفضائل الدولة والتنديد برذائل غيرها من الدول كما لم يعد يستطيع أن يدعو لفكرة الدولة التى تدعى انها أسمى عرقا وأرقى سلالة من غيرها تلك الفكرة التى سادت في عصر التوسع الاستعمارى والاحتلال الاجنبى .

والتعليم في هذا المجال يعنى اكثر من التعليم النظامى في حجرة الدراسة اذ يتسع ليشمل التعليم الاجتماعى الذى يكتسبه الطفل من مخالطة الراشدين وهم الذين يتحملون المسئولية الكبرى عن تعليم الاطفال اصول الاخلاق والمهارات ويمكن القول بوجه عام ان تعليم الاطفال يجب ان يعدهم . للعلم المتغير الذى يعرفه الراشدون .

وفي هذا الإطار يجب علينا أن ندرس حياة الأطفال ونموهم في جنوب أفريقية ويجب أن نركز اهتمامنا أولا على الطفل الأسود لأنه هو الطفل المحروم والمعرض لسوء المعاملة في نظام التفرقة العنصرية .

وبيان ذلك أن الطفل الأسود في جنوب أفريقية يولد عديم الجنسية بمعنى أنه محروم من حق المواطنة الذى يكفل للطفل أسباب الصحة والنمو العقلى ويوفر له وسائل التعليم والثقافة . والواقع أن الطفل الأسود يولد في فقر مدقع فرض عليه عمدا دون أى مبرر في بلد يعد من أغنى بلاد العالم في موارده الطبيعية .

وعلى مقربة من موطن الطفل الأسود يعيش الأطفال البيض وآباؤهم وهؤلاء ينعمون بالرخاء ، ويأكلون أطيب الطعام الذى تشتهيه الأنفس ويكفى لتغذية طفلين أو ثلاثة ممن يموتون من سوء التغذية ويستطيع الآباء البيض أن يربوا ما يشاءون من القطط والكلاب ويقدموا لهذه الحيوانات أطيب الطعام بحيث يمكن القول ان كثيرا من الحيوانات تتمتع بحياة أفضل من حياة الآدميين وهذا نوع من التربية والتعليم لأنه يشعر الطفل بمرور الزمن احترام الحيوانات اكثر مما يحترم بنى جنسه (البشرى)

وإذا درسنا العالم الطبيعى الذى يعيش فيه الطفل الأسود ألفينا أنه يولد لأبوين فقيرين في غاية الضعف جسميا وصحيا ولذلك ينشأ الأطفال ضعافا من الناحية الجسمية والصحية وتبلغ نسبة مثل هؤلاء الأطفال ٢٠٠ في كل ألف طفل معرض للموت وإذا كان هؤلاء الأطفال من الريف كانت فرصة الحياة أمامهم أدنى من هذه النسبة اذ تكون نسبتهم ٤٠٠ في كل ألف طفل يموت صغيرا والسبب الوحيد في هذه الحال هو أن هؤلاء الأطفال هم ضحية سياسة ◄

مازيزى كونين ، عالم اشتهر بنظم الملاحم الحماسية عن أبطال قومه « الزولو » وهو نفسه شاعر نظم ملحمة شعرية عن إمبراطور الزولو المسمى « شاكا الأعظم » وقامت دار هانيمان لنشر الكتب التعليمية بلندن حديثا بنشر الترجمة الانجليزية لهذه الملحمة التى ألفت في الأصل بلغة الزولو وهذه الترجمة هى أحدث حلقة في سلسلة الترجمات الأدبية التى تصدرها اليونسكو عن المؤلفين الافريقيين كان رئيسا سابقا لقسم الدراسات الافريقية بالكلية الجامعية في روما (فيما يعرف الآن باسم ليسوتو) وكان مديرا للتعليم في الجبهة المتحدة بجنوب افريقية وهو يعمل الآن أستاذا مساعدا في الآداب واللغات الافريقية بجامعة كاليفورنيا بولاية لوس أنجيلوس

تذكرنا هذه الصورة في العام الدولى للطفل بأن ضحايا التفرقة العنصرية من الاطفال في جنوب افريقية يعدون بالآلاف تلو الآلاف وان حالهم من السوء كحال من يكبرونهم سنا فالظلم والاستغلال المنظم في ظل التفرقة العنصرية يسود حياتهم ويؤثر في تعليمهم وصحتهم وتغذيتهم ومساكنهم بل يودى في بعض الأحوال بحياة آبائهم . يظهر في الصورة ابن الزعيم ستيف بيكو زعيم السود في جنوب أفريقية وهو يشترك في تشييع جنازة والده . أسس بيكو حركة الوعى القومى بين السود التى تهدف الى مساعدة السود الافريقيين على استرداد كرامتهم توفى بيكو في الثلاثين من عمره في سجن بريتوريا في ١٢ سبتمبر ١٩٧٧ بعد أن اعتقل بدون محاكمة وقضى معظم وقته عارى الجسد في زنزانته وتم استجوابه بطريقة وحشية أجرى تحقيق في ظروف موته وأثار هذا التحقيق سخطا دوليا وفي ٨ ديسمبر ١٩٧٧ اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا ضمن قرارات أخرى تعبر فيه عن الشعور « بالصدمة العميقة » لقتله بجبن ودناءة في السجن ، واستنكرت القبض التعسفى والسجن والتعذيب الذى أدى الى موته .

تصوير الصندوق الدولى للدفاع والمساعدة لندن

التفرقة العنصرية المقصودة واذا كتب لهؤلاء الأطفال أن يتجاوزوا مرحلة الطفولة ظلوا فريسة للامراض والأسقام التى تفتك ببنى جنسهم.

ولنضرب لذلك مثلا فتاتين صغيرتين احداهما سوداء والاخرى بيضاء فنجد انه على الرغم من ان ابوى الفتاة السوداء يدفعان اعلى الضرائب فى البلاد (الحد الادنى للدخل الذى تدفع عنه ضرائب هو ٧٥٠ رندا بالنسبة للبيض و٣٦٠ رندا بالنسبة للسود) فان المنطقة التى تعيش فيها تعانى أفظع الاهمال فى مجال الصحة والنظافة واذا مرضت هذه الفتاة كان عليها أن تتجشم وعثاء السفر الى مستشفى مزدحم ربما يضطر فيه أبواها الى الانتظار معها حتى يحين دورها تحت أشعة الشمس الملتهبة طوال اليوم لماذا ؟ لأن قومها ليس لديهم سوى طبيب واحد لكل ٤٤٠٠٠ نسمة فى حين أن البيض لديهم طبيب لكل ٤٠٠ نسمة.

أما الفتاة البيضاء فانها تأكل طعاما جيدا وتعيش فى بيئة صحية كما تتمتع بالخدمات العلاجية العاجلة فاذا مرضت أتيحت لها كل وسائل العلاج بسهولة ثم تتمتع برعاية جميع الاجهزة الصحية فى الدولة فى أثناء فترة نموها وقد تكون مربيتها هى أم الفتاة السوداء التى تندب حظها وتغنى.

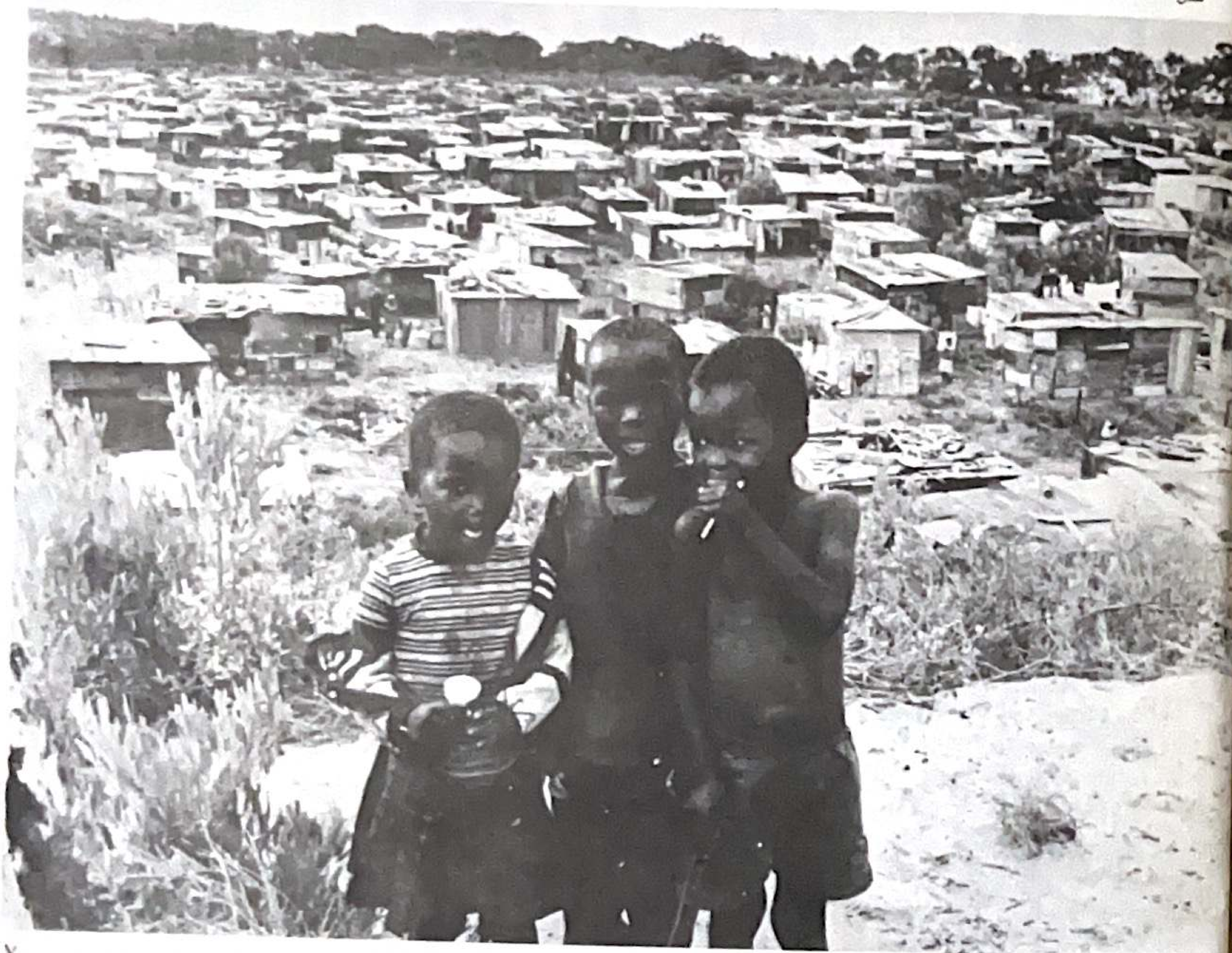
هكذا تموت ابنتى.
وأنا أربى ابنة الذى غزا بلادى.
وتزداد هذه الفتاة سمنة.
على حساب ثروة أجدادى!

ويتضح من الصورة التى قدمناها أن كلا من الطفل الأبيض والأسود لا يتربى ليعيش حقائق العالم المتطور من حوله. فالطفل الأبيض ينشأ وهو ينظر الى هذا العالم نظرة خاطئة معتقدا أنه ينتمى الى قوم يتمتعون بامتيازات أبدية أما الطفل الأسود فانه اما ان يعتقد انه ضحية هذا النظام واما ان يكن فى نفسه كراهية مرة «للعالم الوحشى من حوله». وعندما يكبر هذا الطفل فإنه قد يشاهد البوليس وهو يجر والديه بوحشية من فراش النوم فى ساعة مبكرة من الصباح تاركا إياه إذا أسعده الحظ فى رعاية أخته الكبرى ان وجدت والا تولى رعايته الجيران الذين يعلمون جيدا قسوة الحياة من حولهم اما السبب فى إلقاء القبض على الأبوين فقد يكون – بكل بساطة – أنهما لم يحصلا على ترخيص بالاقامة فى منطقة حضرية.

واذا نما هذا الطفل فى البلاد فقد لا يعرف سوى أحد أبويه لأن أباه قد يعمل فى المناجم بعقد لمدة ثلاث سنوات متوالية وبذلك ينمو الطفل دون أن ينعم بمحبة ورعاية والديه كليهما وهذا من الأمور التى تسبب ازعاجا نفسيا شديدا للطفل وجدير بالذكر أن ظاهرة «الوالدة الواحدة» هى ظاهرة عامة لأن الأب إما أنه يعمل بعقد واما أنه داخل السجن (لجريمة ما من الجرائم الصغيرة العديدة التى ينص عليها قانون التمييز العنصرى) واما انه يعمل بعيدا جدا بحيث لايستطيع الحضور الى منزله الالماما.

يحيا الأطفال السود فى جنوب افريقية كآبائهم حياة المنبوذين المحرومين فى وسط مجتمع غنى. فمساكنهم حقيرة وضيقة فى حين أن مساكن البيض واسعة ومزودة بالمرافق تهتم سياسة التفرقة العنصرية بتوفير المسكن للعمال السود المهاجرين دون أسرهم فى المناطق الحضرية وتقوم مدن الأكواخ فى الضواحى (أسفل) حيث يقيم السود فى «أماكن» لابد من عودتهم اليها مساء كل يوم طبقا لنظام منع التحول الى اليمين ترى مجموعة من الأطفال نائمين على درج دار البلدية بمدينة الرأس.

تصوير: ستيفى بلوم والصندوق الدولى للدفاع والمساعدة لندن



علينا بـ ينبض عمله وكأنه رجل عاد الى الحياة فجأة وأحكم سيطرته عليها وأصبحنا جميعا نعيش في العالم البهيج الذى خلقه لنا وتتبع ما أشار به من رقص وغناء وهو في هذه الحال لدرجة أن الراشدين أحفلوا من هول الموقف في حين أننا أخذنا نرقص ونغنى تحت ارشاده وهو في النزع الأخير.

وحقيقة الأمر أن النمو العاطفى في الأطفال يكون سريعا في ظل هذه الظروف الغريبة والعنيفة ومثل هذا النمو لا يسمح بالنمو الطبيعى نفسيا وعاطفيا صحيح أن بعض الاطفال يصبح راشدا سويا ولكن بعضهم ممن هم أشد حساسية من غيرهم يصابون بعاهات مستديمة نتيجة الصدمات النفسية التى تصيبهم في طفولتهم وهذا يعلل لنا كثرة الوالدين من المصابين على ملاجىء السود في جنوب افريقية.

ويجب علينا في هذا المقام أن نشير الى حالة الأطفال السود عند بلوغهم السن المدرسية فالنهم سود لا تفتح في وجوههم رياض الأطفال التى تمولها أو تعينها الحكومة ولذلك كان التعليم قبل المدرسى معدوما عندهم يضاف الى ذلك أن الآباء مضطرون الى العمل الغالب لكسب عيشهم فلا يتاح لهم الوقت الكافى لتعليم أبنائهم أى شىء خلافا للتقاليد الأفريقية العادية التى يتولى فيها الأمهات والجدات تعليم أطفالهن عن طريق الحكايات والقصائد الشعرية.

وفي ظل ظروف التفرقة العنصرية الحالية أصبح الأطفال السود تروسا في آلة الانتاج عند الرجل الأبيض وهذا يتم بصورة مباشرة أو غير مباشرة والصورة الأخيرة هى الأكثر شيوعا وهى عبارة عن قيام الأطفال بالاعمال المنزلية الشاقة حتى يتسنى لآبائهم كسب النزر اليسير من أسباب المعيشة.

وعندما يلتحق الأطفال بالمدرسة لأول مرة فانهم يرون كما يرى آباؤهم أنهم وسيلة هامة لتحسين دخل ◄

◄ وهكذا يعانى الأطفال السود الأمرين لا من البيئة المادية القاسية بل أيضا من انعدام التربية الطبيعية التى ينعم بها جميع الأطفال في العادة فالحياة بالنسبة لهم قاسية ماديا ونفسيا وعاطفيا اذ الواقع أنهم اذا شبوا وكبروا تولد فيهم الشعور بالانحلال والتفكك الاجتماعى ففى مثل هذه الحال اما أن تتفكك أوصال الأسرة واما أن تمارس نشاطا غير قانونى لكى تعيش وفي مثل هذا الجو يكبر الأطفال بسرعة لأنهم مع صغر سنهم تضطرهم الظروف أن يتعلموا كيف يحافظون على حياتهم في عالم قاس فتراهم يلجأون الى الكذب لحماية والديهم من البوليس المتبث في كل مكان ويضطرون أن يتعلموا في سن مبكرة أن عالم الراشدين عالم عنيف يلقى فيه الانسان أقسى المعاملة ماديا ونفسيا.

ويحكى لنا أب افريقى قصة انتهت بخاتمة سعيدة غير عادية ولكنها متضمن مشاهداته وتجاربه المروعة قال:

« بلغ منى اليأس مبلغه لم أدر ما أنا فاعل مات ولدى من الجوع هل يدرى أحد ما يشعر به الأب حين يرى ابنه يموت جوعا وعندما أمر بديار الأغنياء من البيض كنت أعجب كثيرا كيف يتسنى لهم أن يقدموا الطعام للحيوانات في حين أن أولادنا يموتون جوعا.

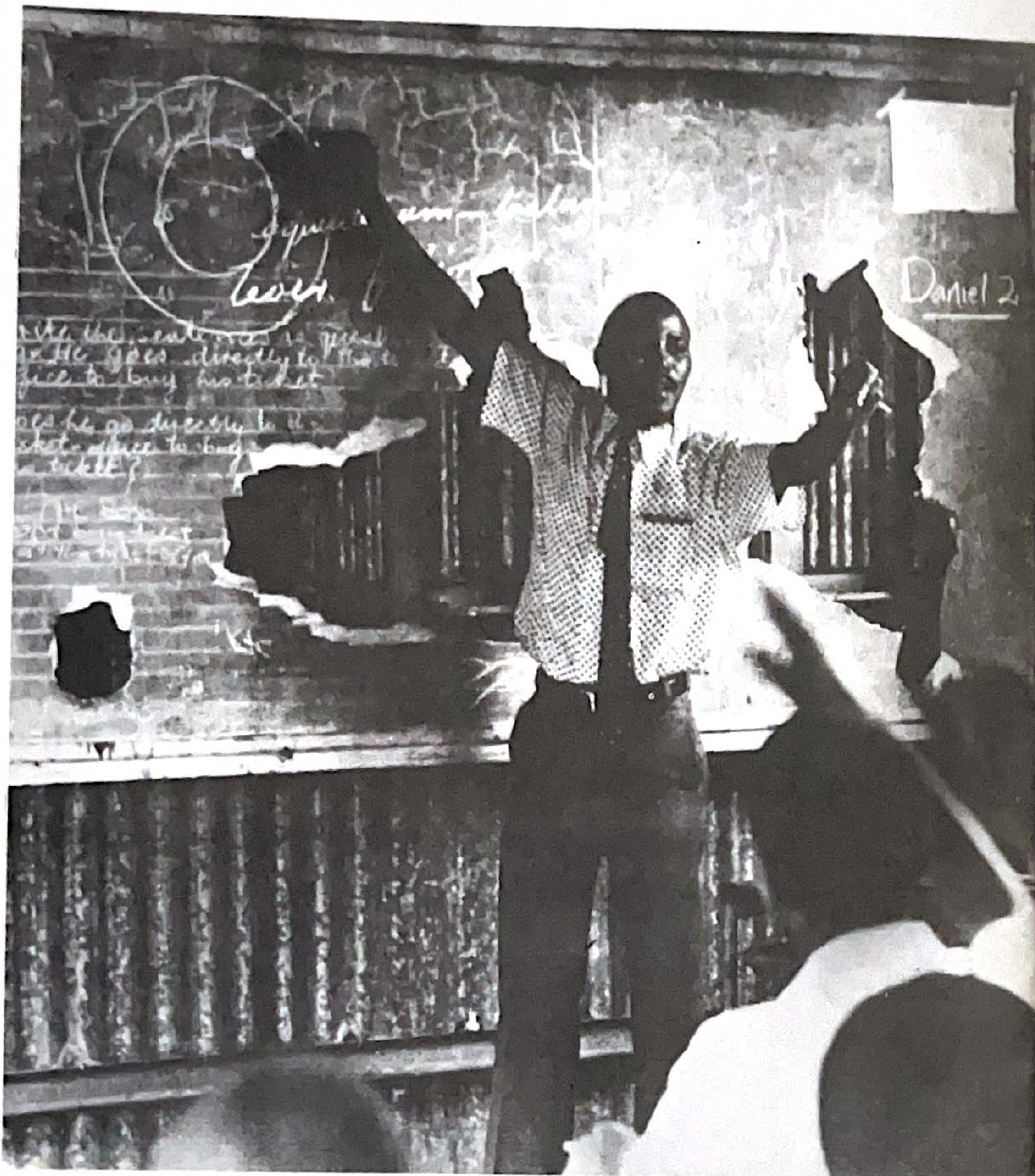
وعندما مات ابنى الثانى لم يسعنى الا أن أمشى حتى جئت الى دار أحد المزارعين وهو رجل طويل القامة من البوير يملك المزرعة فقصصت عليه سوء حالى وطلبت اليه أن يستأجرنى لأداء أى عمل وكان رجلا غريبا غير عادى فدعانى للدخول وحملق في عينى برهة ولكنى لم أستشعر الخوف منه ولم أتوسل اليه وانما اكتفيت بأن أعدت عليه ما قلته من قبل وبدون أن ينبس ببنت شفة توجه إلى التليفون وتحدث إلى أخيه في جوهانسبرج وسأله هل يمكن أن يدبر لى عملا في مزرعته وعندما رد عليه بالإيجاب وبدون أن ينطق بكلمة كتب العنوان واعطانى عشرين رندا فاستولى على الذهول وقلت في نفسى، لقد استجاب الأجداد لدعائى ومنذ ذلك اليوم ظللت أحلم بابنى.

وعندما وصلت الى جوهانسبرج استقبلنى المستر بويسينى الذى التقطنى من بين مئات من الوجوه وربما كان السبب هو أنى كنت تائها ومرتبكا. واستطيع الآن أن أحكى القصة لأن المستر روس قد حبانى وأسرتى حياة جديدة فأنا أعمل الآن مديرا لاحدى مزارعه وأقيم أنا وأسرتى في مسكن مريح ترى هل هذه هى جنوب افريقية؟

كيف يمكن أن يعيش مثل هذا الشعب هنا؟

ولقد شاهدت أنا نفسى مآسى كثيرة لبعض الأطفال فقد فقد جيراننا كثيرا من الأولاد بسبب سوء التغذية وكانت أعراض هذا المرض واحدة، عيون باكية وبطون منتفخة وحركات بطيئة يعقبها الموت حتما وحتى عندما كنا أطفالا كنا نعرف أن طفلا معينا لن يلبث أن يصبح « شيخا هرما » فجأة معتزلا غيره وكنا أيضا نعتزله ناظرين من وراء الحظيرة ما يحدث له. وبعد أيام يحدثنا الناس أن فلانا قدمات.

وان أنس لا أنس كيف حملنا ابن عمى على عربة يد لانقاذه لأنه لم تكن لدى السود عربة اسعاف ولم يلبث أن مات بعد قليل وكان غلاما صغيرا ويبدو أنه في صحوة الموت وطن نفسه على الموت واستسلم له وبلغ في حالة الاستسلام هذه درجة النضج فأخذ يشير



هذه الصورة الملتقطة في المدرسة الثانوية بمدينة سويتو مدينة السود خارج جوهانسبرج يمكن أن ترمز الى بعض العوائق الخطيرة التى يفرضها النظام المدرسى في جنوب أفريقية على أطفال السود التعليم مجانى واجبارى بالنسبة للبيض في حين يتحتم على السود أن يشتروا أدواتهم المدرسية ويساهموا في نفقات الدراسة ومعظم التلاميذ السود لا يتجاوزون مرحلة التعليم الابتدائى وتقول أرقام معهد العلاقات العنصرية في جنوب افريقية سنة ١٩٧٧ أن ٨ر٥٠ ٪ من الافريقيين في جنوب افريقية ممن تزيد سنهم على ١٥ سنة لم يتلقوا أى تعليم (كانت نسبة البيض ٠ر٩ ٪) يؤخذ من الأرقام الواردة في بحث قدمه مكتب العمل الدولى الى ندوة عن « الاطفال في ظل التفرقة العنصرية » عقدت في مقر اليونسكو بباريس في يونيه ١٩٧٩ أن ٩ر٪ فقط من جميع التلاميذ السود حصلوا على المؤهلات اللازمة لدخول الجامعة في ١٩٧٦ أنفقت الحكومة ٨٢٤ مليون رند على تعليم البيض (٧ر١٧ ٪ من السكان) في حين أنفقت ١١٧ مليون رند على تعليم السود (٧ر٦٥ ٪ من السكان)

تصوير: الصندوق الدولى للدفاع والمساعدة لندن



هذا المنظر الريفي (أسفل) ليس هادئا الا في مظهره فقط لانه يمثل بالنسبة لآلاف النساء الافريقيات مأساة أليمة اذ يتحتم عليهن البقاء في أماكن خاصة بالسود بعيدا عن أزواجهن وهن يعملن في المجتمعات الحضرية الخاصة بالبيض . ولكي يوفرن أسباب المعيشة لأطفالهن يعملن في زراعة الارض واذا حاول اللحاق بأزواجهن في المناطق الحضرية البيضاء اعتبر ذلك جريمة وحينئذ يخاف الشعور بالخوف الى ما يكابدنه من شظف العيش الى اليمين امرأة تهرب مع اطفالها خوفا من البوليس والكلاب في أثناء غارة على المستوطنات « غير القانونية » بالقرب من مدينة « الرأس » .

صورة ص ٠٠ ، تصوير : الصندوق الدولي للدفاع والمساعد لندن

صورة ص ٠٠ ، تصوير : نوس ماكحراث والصندوق الدولي للدفاع والمساعد لندن .



الأسرة وليس ذلك بغريب كما يبدو لأول وهلة لأن فترة التعليم قصيرة في الغالب ولكفى لفهم الأوامر الصادرة اليهم من رئيس العمال الأبيض .

ولذلك فان التعليم النظامي يهدف الى بث الشعور بالنقص في نفوس الافريقيين عن طريق التعليم الضعيف المستوى وهدفه الأساسي هو اعداد الطفل الأسود لمركز التابع والمرءوس للرجل الأبيض ويتخذ هذا الاعداد سورا دقيقة محكمة فالكتب ووسائل التعليم والمدارس كلها تهدف الى صياغة الأطفال السود على نحو يعدهم لقبول فكرة التابع والمرءوس في المجتمع .

وفي ظل نظام التفرقة العنصرية يصبح العالم محدودا لا بالنسبة للطفل الأسود فقط بل ايضا للطفل الأبيض وايضاح ذلك أنهم يرون من الضروري تعليم الأطفال البيض أن هذا النظام هو نظام طبيعي ويلقنونهم ايديولوجية تزعم التاييد الاسمى لهذا النظام الوحشي الخالي من المضمون ثم ان تصور هؤلاء الاطفال للحياة والعالم والتاريخ يرتبط بمتطلبات الدعاية للسلطة والمحافظة عليها ومن هنا لا يصلح كل من الطفل الابيض والاسود للعيش في عالم فسيح متغير والحق أن الطفل الاسود حين يرفض منطق التفرقة العنصرية يصبح أهلا للنمو مع عالم نام ولكن في هذا عزاء قليل بالنظر الى العديد من ألوف الأطفال الذين يموتون دون داع من المرض ويتخلفون عقليا بسبب نظام وحشي جائر .

ومن التناقض في عام الطفل أن تجد جنوب أفريقية التي تشوه الأطفال بلا رحمة التأييد الأدبي والمادي من جانب دول ترفع صوتها عاليا من أجل الطفل وتبدي أشد العطف عليه ترى هل يصبح حال هذه الدول كحال يهوذا الأسخر يوطي الذي بكى على خيانته ؟



بابوا غينيا الجديدة

الجذور الثقافية لدولة جديدة

بقلم : جون كوليا

سبعمئة لغة مختلفة ». « مجتمعات على نطاق صغير ». « ثقافات متنوعة » .. ما أكثر ما يسمع الانسان هذه العبارات المتكررة التى تنطبق على ذلك الجزء من جزر ميلانيزيا ، المحصور بين حدود بابوا غينيا الجديدة .

ولكن مثل هذه العبارات والتصنيفات اللغوية التى تعكسها هذه العبارات مبنية على معلومات عرفت فى أوربا منذ سنين عديدة . والواقع أن من أهم نتائج البحوث الحديثة تلك الأهمية الكبرى التى أولاها الباحثون لأوجه الشبه – لا الخلاف – بين المفردات اللغوية ، والديانة ، ووسائل حفظ القانون والنظام ، وفن العمارة ، والتعبير الفنى ، والعادات ، فى بابو غينيا الجديدة ، اذ كان هناك اتصال كبير فى الماضى بين الوديان بعضها وبعض ، وبين الجبال والساحل .

وليس معنى ذلك أننا ننكر وجود طائفة من الفروق بين أوجه الشبه العريضة هذه . ولذلك يمكن وصف ثقافة بابوا غينيا الجديدة بعبارة موجزة هى « التنوع فى الوحدة » .

وقد تمسك الناس فى هذه البلاد بالديانة المعروفة باسم « حيوية المادة » وهى أقدم ديانة فى العالم . وكانت هذه الديانة منظمة ولو على المستوى المحلى . والواقع أنها نظمت بطريقة متشابهة فى جميع أنحاء البلاد ، إذ كانت مبنية على مطالب الجماعة ، وتفسير متطلبات الأرواح التى كانوا يعتقدون أنها تبعث الحياة فى سلوك وتركيب النباتات والحيوانات والصخور بطريقة مقصودة وغامضة وأحيانا بطريقة مشوبة بالهوى .

ولا يزال الناس يمارسون رسوم هذه الديانة حتى اليوم ، ولكن فى أشكال متغيرة ، لأن هذه الديانة – ككل ثمرات العقل البشرى – تكيفت مع الظروف المتغيرة باستمرار . وربما قام الناس فى جزر مورتولك فقط الواقعة فى ولاية سولوسون الشمالية بمقاومة غزو الديانة المسيحية ، وإن قال كثير من القرويين بلهجة الفخر المشوب بالأسى ، « نحن الآن مسيحيون وقد تخلينا عن عاداتنا القديمة » . ولكن – لحسن الحظ – يمكن بسهولة فضح هذه الدعوى الزائفة والمحاولات الخيالية التى تبذل للغض من العادات القديمة وقد تفلسف القوم دائما وحاولوا الربط بين ماهو طبيعى وماهو خارق للطبيعة . ولا يزال أهل بابوا غينيا الجديدة حتى اليوم يعدلون الفطريات التى دخلت فى بلادهم ، كما فعلوا خلال تاريخهم الطويل ، وذلك وفقا لأغراضهم البراجمتية (النفعية) الخاصة .

وكما هو الحال فى كل المجتمعات المتكاملة سرت الفلسفة – دينية غير دينية – فى تلك النواحى التى يصعب فصل بعضها عن بعض ، كالتعبير الفنى ، والاقتصاد ، والعادات والتقاليد . وما أعجب الارتباط بين العادات الذى لابد أن لاحظه العالم الأثنوغرافى ف . ا . وليامز عند مادرس لأول مرة ثقافة شعب أروكولو فى مقاطعة الخليج . ولاشك أن بعض الطقوس ، والملابس التى تبدو فى ظاهرها غريبة . قد بدت للمشاهدين السطحيين شاذة أو مضحكة . والحق أن هذه الأمور الشائعة فى القرى تبعث على الضحك أحيانا .

ومع ذلك فكل جزء من الكل يرتبط بالأجزاء الأخرى ، كما هو الحال فى اللغات المستخدمة فى الطقوس والحياة اليومية .

والدليل على ذلك استخدام كلمات من أصل متشابه فى وصف السمكة ووصف حشرة تشبهها



صورة لأحد الأسلاف أو روح العشيرة (الى البار) مأخوذة من أحدى دور العبادة بمدينة بولوبو فى اقليم مابريك الشمالى فى بابوا غينيا الجديدة . كانوا يستخدمون هذه الصور الملونة بالأصباغ والسماح على غمد أوراق النخيل المربوطة معا بالخيط ، فى تزيين دور العبادة فى أثناء الطقوس الخاصة بتلقين المتدئين أصول الديانة القديمة . كان السقف الهرمى (الجملون) فى دار العبادة يزدان بوجوه مشابهة مرتبة على هيئة صفوف بالاضافة الى موتيفات (تصميمات فنية) أخرى القناع العجيب الذى يرى فى الصفحة المقابلة مصنوع من الريش المتعدد الألوان والمرتب بمهارة .

تصوير هـ . فير – المتحف الاثنولوجى بمدينة بال سويسرا

جون ألكسندر كوليا ، من أهل بابوا غينيا الجديدة . نائب مدير معهد دراسات بابوا غينيا الجديدة . ومتخصص فى التاريخ الشفهى لبلاده (زودنا المؤلف بالصور الخاصة بهذا المقال)

السمكة من بعض الوجوه . وقد يتجلى هذا التشابه اللغوى في كلمة وصفية أو معتقد دينى أو أغنية أو زخرف من الزخارف .

هذا والقواعد الشفهية تضفى مزيداً من التأييد على نظرية تشابه العادات الميلانيزية . والملاحظ أن تاريخ جزر غينيا الجديدة لم يكتب بعد ونظرا لأنه لا يوجد من يدعى أن عهد الحكم الإستعمارى الذى لا يتجاوز قرنا من الزمان ليس سوى فترة قصيرة جالت في أعقاب ٥٠٫٠٠٠ سنة مضت ، فاننا لا ندهش اذا وجدنا باحثين من جامعة بابوا غينيا الجديدة ومعهد دراسات بابوا غينيا الجديدة ، والمتحف القومى ، يعملون على جمع القواعد التاريخية الشفهية .

ولا يزال هناك الكثير مما يجب جمعه بالطبع ولكن المادة التى جمعت حتى الآن قد كشفت النقاب عن كثير من التحركات والمعارك والطرق التجارية ، وكما أن المعلومات اللغوية تدلنا في النهاية على أحوال الرد فان جميع القواعد التاريخية الشفهية يدلنا على الخطوط العريضة للتطورات التى طرأت على البلاد في الماضى . فقد اكتشفنا – على سبيل المثال – أن الميلانيزيين كانت لديهم القدرة لا على القتال ذياداً عن حقولهم فحسب بل أيضا على التفاوض في معاهدات الصلح والتعايش السلمى بالرغم من الحواجز اللغوية . ومن الأمثلة المشهورة لذلك ذلك التعايش الذى تم بين قوم الموتو الأسترونيزيين وقوم الكويتا غير الاسترونيزيين فيما أصبح يعرف فيما بعد باسم بورت مورسبى

هذا من شأنه أيضا أن يوضح لنا كيف يشوه التاريخ . فنحن نعرف بعض المعلومات عن القوم الذى نزلوا بالقرب من بورت مورسبى ، لأن المبشرين تعلموا لغة الموتو ودونوا ما استطاعوا فهمه من الحكايات القديمة . ولكن هذا التعايش نفسه كان يحدث في كل مكان . مثال ذلك أنه حدث بين قوم الكيوى في « طور يطور » على ساحل المقاطعة الغربية والشعب غير الكيوى في كونيشى الذى عاش في داخل البلاد . وكانت كلتا اللغتين في هذه الحالة غير أوسترانيزية ، ولكنهما كانتا تنتميان الى عائلات لغوية مختلفة .

وعلى الرغم من أن الهجرات الأوسترونيزية قد أدت الى موجات من الهجرة بين غير الاسترونيزيين (كما سبق أن فعل غير الاسترونيزيين بين السكان الأصليين على مدى فترات طويلة) فان وصف التاريخ الميلانيزى بأنه عبارة عن سلسلة من المعارك بين الأوسترونيزيين وغيرهم يعد ضربا من الاغراق في تبسيط الأمور ، ذلك أنه كان هناك عداء كما كان هناك تعايش بين القرى ، وبين الجماعات ذات اللهجات المختلفة ، وبين العائلات اللغوية ، وبين المرتفعات والسهول ، وبين سكان الجزر وسكان القارة .

وكان هناك أيضا اقتباس متبادل للأفكار والرسوم والموسيقى ، كما حدث اقتباس لغوى بالطبع بدليل ظهور اشتقاقات لغوية جديدة . وما لاحظه المشاهدون الأجانب لم يكن سوى نتيجة نهائية لسلسلة طويلة من الأحداث والمبادلات .



امرأة كيوية (نسبة لشعب كيوى) في ملابس الحداد أخذت الصورة في ١٩١٠ بقرية تريو . نهر فلاى المقاطعة الغربية من غينيا الجديدة .

تصوير . ج . لاندمان

المتحف القومى بفنلندا . هلسنكى



راقصات ينتمين الى شعب طولاى في بريطانيا الجديدة الشرقية تم تصويرهن في ١٨٩٠ بالملابس والأقنعة التقليدية .

تصوير . متحف ليندن . شتوتجارت . جمهورية ألمانيا الاتحادية

وفي وسعنا اليوم أن نرى آثار هذه العملية . ذلك أن الواردات والمواد الغربية وغيرها قد أثرت في الثقافة والحضارة القديمة تأثيرا عميقا ، وأدت في بعض الأماكن الى هدم هذه الثقافة ، في حين كانت عملية الهدم أخف وطأة في أماكن أخرى . ولكن ظهرت في بعض الحالات حركة لاحياء الثقافة كما حدث في جوجو دالا في المقاطعة الغربية .

والسؤال الآن ، هل يجب علينا من أجل ذلك أن نعمل على صيانة الثقافة والمحافظة عليها ؟ واضح أن ذلك ضرب من المستحيل ، لأن فكرة المحافظة على الثقافة القديمة تقابل بالسخرية في أغلب الأحيان . على أنه يمكن الحفاظ على أمجاد الماضى اذا كانت على هيئة منتجات فنية كما هو الحال في المتحف القومى في بابوا غينيا الجديدة . فمن الممكن تسجيل الموسيقى على أشرطة والرقصات والزخارف على أفلام . وكل ذلك يتم تحت رعاية المجلس الثقافى القومى .

على أن هناك ما يمكن عمله لخدمة الثقافة أكثر من الصيانة . فمن الممكن تشجيع القوم على الفخر بماضيهم ومستقبلهم . ففى مدرسة الفنون القومية ينصب الاهتمام على تطوير الثقافة بصفة مستمرة . وهناك الكثير من المؤثرات الحديثة التى يتجلى أثرها في الثقافة كما حدث في الماضى ، وهذه المؤثرات تأتى من كل انحاء العالم ، وليس هذا في حد ذاته شرا . ولكن ما يمكن عمله هو مساعدة الفنيين المحليين على تنمية التعبير الفنى ، ويجب أن لا ندهش اذا اختاروا أن ينتجوا أنماطا مشابهة للماضى أو ابتكروا أنماطا جديدة . ومن المشاهد أن الحفلات التى تنظمها فرقة



هوس تمباران ، أو دار العبادة ، تم تصويرها في أوائل القرن الحالى بقرية فالنج ، سيبك الشرقية ، بابوا غينيا الجديدة . كان الرجال يقومون في هوس تمباران بأداء الطقوس الخاصة بتلقين المبتدئين أصول عبادة الأرواح القديمة –

تصوير روسيك – ١٩٧٧ . المجلس الثقافى القومى . بابوا غينيا الجديدة .

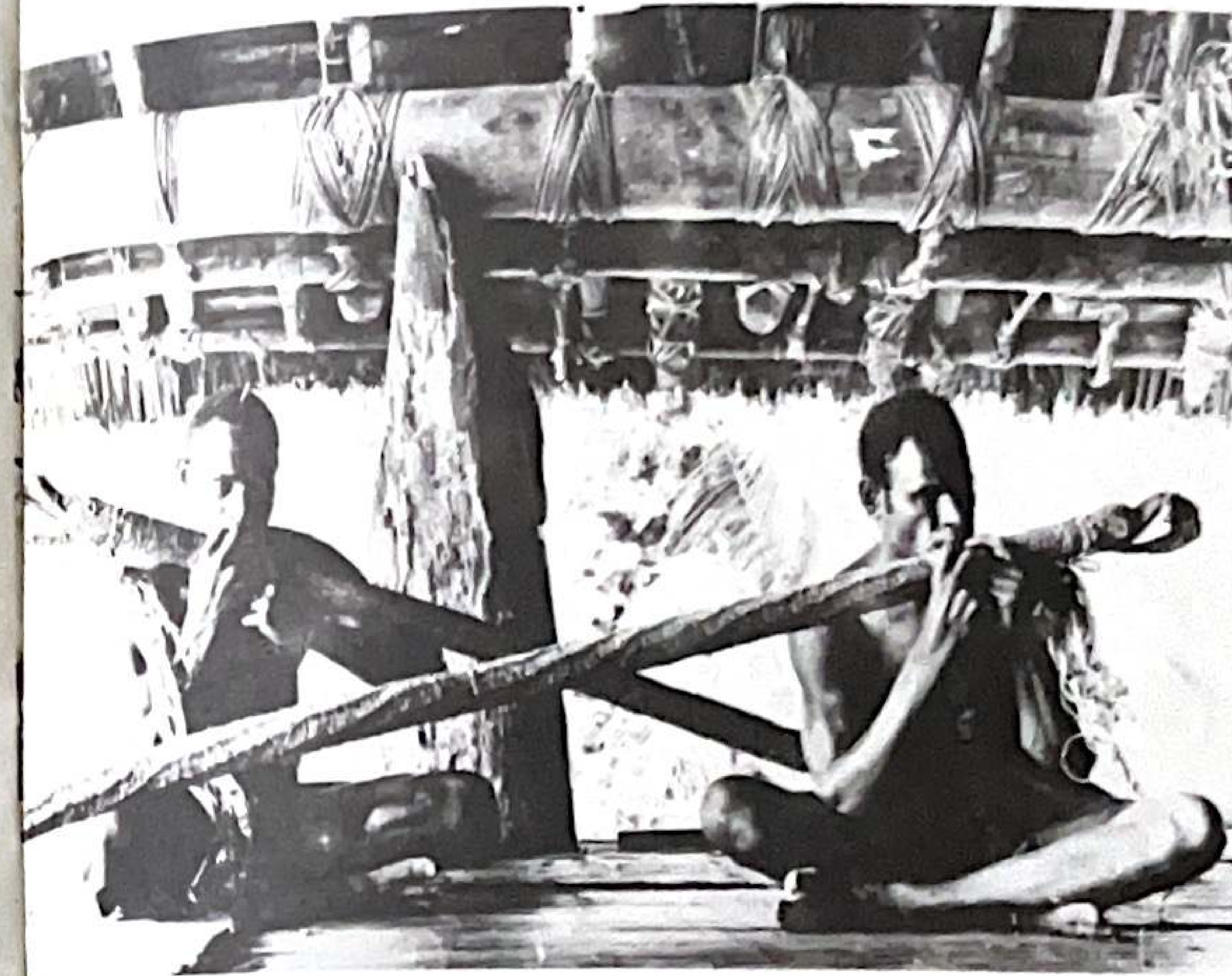


شبان يلبسون أقنعة « كوفاو » المخروطية الشكل . وقد استعدوا لسباق على ساحل أوروكولو . مقاطعة الخليج تمثل الأقنعة أرواح العشيرة وقد أعطيت للشبان عقب تلقينهم أصول الديانة . قضى الشبان على الشاطىء كل يوم من أيام الشهر التالى للتلقين . وتلقوا هدايا من الخنازير التى ذبحوها بقسيهم وسهامهم . وفي نهاية المدة المذكورة نزعوا الأقنعة وأحرقوها .

تصوير ف . ا . وليامز – مكتب الاستعلامات . كويندوبو . بابوا غينيا الجديدة .







المسرح القومى تستخدم القديم والجديد أو تمزج بينهما . وكذلك نجد بعض الأفلام تسجل التقاليد والعادات الشائعة مثل الفيلم المعروف باسم « شد الطبول » وفيلم « رامى السهام الأحمر » وقد تتغير الأحوال غدا . والأمل كبير في أن تكون أكثر متعة وجمالاً ، لا مجرد سلعة استهلاكية مشوشة .

ومن المؤكد أن المهارات التى استخدمها القوم في أداء وظائفهم في المجتمع القديم كانت عظيمة الأثر . والدليل على ذلك أن الذين يشاهدون المبانى الليفية التى أقيمت على وجه السرعة في مورسبى يعاودهم الحنين الى الماضى ويأسفون على الصنعة الرائعة والرشاقة المعمارية التى تتجلى في بعض المبانى القديمة مثل دار العبادة المعروفة باسم « هوس تماران » وقد كان الأفراد اخصائيين في بعض الأماكن . اذ كان الكثيرون يعملون في بناء الزوارق أو جر الاشجار من الغابة . وفي عهد الاستعمار استخدم بعض هؤلاء الفنانين بصفة عمال « غير مهرة » في القطاع الحديث من الاقتصاد . ولكن يمكن تشجيع من لا يزال منهم يزاول أول عمله الفنى على أداء وظيفته الحقيقة اليوم . على أنهم اذا شاءوا أن ينتجوا عملا فنيا ضعيف المستوى لأغراض السياحة وجب أن لا نمنعهم من ذلك . فمن يدرى لعل عملاً فنيا جديدا ورائعا يبرز من هذه الأعمال .

وكثيرا ما استرعى الأساس السيكولوجى لاستخدام القناع أنظار المفكرين وتبين لنا الصورة المنشورة في ص ١٦ (أعلى اليسار) نوعا مثيرا من استخدام القناع . ترى ، هل يستخدم هذا القناع لاثارة الخوف أم تراه يستخدم كوسيلة للتعبير عن الاحتجاج ضد « تعصب الذكور لبنى جنسهم وهى تهمة شائعة ضد الحياة التقليدية القديمة . قد يكون للذين عاشوا في القرية مدة طويلة انطباع آخر . ذلك

أقنعــــة شــــائكة ونايات مقدســــة

اعلى اليمين . قناع بوكومو في أثناء بنائه بقرية كوروك . غينيا الجديدة الشمالية . ... س القناع على أطار خشبى وضع على رأس لابسه . وتم تثبيته بواسطة مقابض تمتد إلى أسفل بمحاذاة ذراعية . ألصقت بالأطار عصى يعلوها ريش السر لكون شبة دائرة شائكة وضخمة . يرى في أعلى اليمين قناع التلقينى الذى تم تصويره في قرية أنجريمان باقليم سيبك الشرقية في أوائل هذا القرن . يحتمل انه يمثل الهولة التى كانوا يعتقدون انها تلتهم المرشحين للتلقين ثم تلفظهم رجالا كامل النضج في أعلى عازفان على الناى يحتمل أنهما في قرية كنجا نمام وهى أيضا من قرى أقليم سيبك الشرقية . تمثل أنغام الناى أصوات الأرواح في أثناء طقوس التلقينى . يعد الناى آلة موسيقية مقدسة في عرف التقاليد . ولذلك تحفظ أمثال هذه النايات في هوس تماران (بيت العبادة) بعيدا عن أنظار الذين لا يتلقون أصول الديانة كالنساء والأطفال .

الصورة في أعلى تصوير . المتحف القومى في بابوا غينيا الجديدة . بورت مورسبى .

الصورة في أعلى اليسار تصوير . روسيك . ١٩٧٧ المجلس الثقافى القومى . بابوا غينيا الجديدة .

الصورة في أعلى اليمين تصوير . ١٩٧٧ . المجلس الثقافى القومى . بابوا غينيا الجديدة .

أن النساء يعملن في القرية بجد . بل كل فرد في القرية يعمل بجد . وغالبا يتطلب العمل في القرية تعاون الجنسين .

ويقوم النساء في بعض الأماكن بأعمال هامة ، بل تكون لهن السيطرة عليها ، حتى لقد ينسب الطفل الى أمه دون أبيه . وفي الحياة القروية (ولكن ليس في المدينة دائما) وسائل كفيلة بحماية حقوق المرأة وكرامتها . بل ان النساء قادرات على القتال الى جانب الرجال . ولكن يبقى بعد ذلك أن الشيوخ والنساء والأطفال يعتمدون على الرجال في الذود عن حياتهم .

ولكن ما ذكرناه ليس سوى القليل من كثير من الوسائل التى نجح بها الرجل الميلانيزى في استخدام بيئته وموارده ، وتفسير العالم المحيط به والبعيد عنه . وكان هذا التفسير يتلاءم مع المجتمع الصغير الذى كان يعيش فيه آنذاك أو قبل وصول الأجانب الى شواطئه بزمن طويل . ولكن هذا المجتمع لم يكن بدائيا لأن كلمة بدائى تعنى شيئا مختلفا جدا . كما أن وصف المجتمع بأنه صغير يجافي الحقيقة . والواقع أن التعبير عن نظرته الفلسفية التى اكتشفناها نحن الأغراب يوضح أن هذه النظرة كانت واسعة لأنها تغلغلت الى صميم الأشياء التى تحيط به . والى الأرض نفسها . والى الآفاق البعيدة للعالم المرئى .



قناع ذو جانبين تشبهان الاجنحة . من امثلة الاعمال الفنية التى استلهمها الفنانون من الاحتفالات التى تقام في ايرلندة الجديدة تخليدا لذكرى الأسلاف والاحتفاء ببلوغ الشباب سن الرجال (انظر المقال) . وهذا القناع الذي يجىء من جزر تانجا المواجهة للساحل الشمالى لايرلندة الجديدة مصنوع من مادة ورقية مأخوذة من اللحاء الداخلى لبعض الأشجار . وممتدة على اطار خشبى من الروطان (أسل الهند . وهو نبات تصنع منه العصى والسلال) . استطاع معهد دراسات بابوا غينيا الجديدة - بفضل معونة مالية من اليونسكو - أن يجمع مجموعة من الوثائق الفوتوغرافية الهامة الخاصة بفن مالنجان في المتحف الاسترالى في مدينة سدنى .

تصوير . المتحف الاثنوغرافى . برلين (العربية)

فــــن مالنجــــان في أيرلنــــده الجــــديدة

بقلم : باتريس جودين

أيرلنده الجديدة هى احدى جزر ارخبيل بسمارك شمالى غينيا الجديدة . وهى موطن فن قديم مشهور في صنع التماثيل المحفورة على الخشب .

وكانت هذه التماثيل ذات أهمية جوهرية للمجتمع لأنها ترمز الى استمرار الحياة .

وكانت تماثيل مالنجان محور الأعياد أو المهرجانات التى تقام تخليدا لذكرى الأسلاف القدامى أو الذين ماتوا من قريب (أى منذ سنة أو خمس سنوات) . وتعرف هذه الأعياد أيضا باسم مالنجان (تعنى كلمة مالنجان « الرقص تكريما للموتى » في لغة رلؤانا . احدى لغات شعب طولاى اليوم) . وكانت هذه الأعياد تقام أيضا بمناسبة بلوغ الشباب سن الرجولة .

وقد ظهرت في بادىء الأمر في شمال ايرلندة الجديدة تماثيل مالنجان التى تحفر وتطلى برسوم غريبة من النقش المخرم . على الرغم من أن المهرجانات . تقام في الجزء الجنوبى من الجزيرة كما تقام في شبه جزيرة جازيل . وفي انحاء أخرى من بريطانيا الجديدة التى هى أكبر الجزر في أرخبيل بسمارك .

وكانت الرسوم الزخرفية والموتيفات (التصميمات الفنية) التى تزدان بها التماثيل الخشبية ملكا لشيوخ العشيرة الذين كانوا يصدرون التوجيهات الى ◀

باتريس جودين : من العلماء الاثنولوجيين الفرنسيين بمتحف الفنون الافريقية والأقيانوسيه باريس والمتخصص في دراسة فنون أرخبيل بسمارك (شمال شرق غينيا الجديدة) .

◀ الحاضرين على الخشب ، ويشرفون على وضع الرموز والأشكال المناسبة في مكانها الصحيح ، ويحدث أحيانا أن تنسخ احدى العشائر لعشيرة أخرى ، الحق في حفر تماثيلها ، فاذا فعلت ذلك اضطرت أن تحصل على مجموعة جديدة من التماثيل التى صنعتها احدى العشائر الأخرى ..

وهكذا ساعد فن مالنجان على اقامة خط « رأسى » من الاتصال عن طريق توارث الموتيفات والرسوم أب عن جد ، وخط « أفقى » عن طريق شراء وبيع حق انتاج هذه الموتيفات والرسوم .

وقد يقضون عدة سنوات في اعداد هذه التماثيل الخشبية المهيبة التى تتضمن عددا وافرا من الموضوعات الميثولوجية (الأسطورية) والحيوانات الطوطمية (نسبة للطُّوطم وهو حيوان أو نبات يتخذ رمزا للأسرة أو العشيرة) ، والصور التى تمثل الأحداث التاريخية الحقيقية . وكانوا يجمعون تماثيل الأفراد التى يرمز كل منها الى أحد الموتى من الأقارب في حظائر منشأة من أعواد الخيزران المغروزة في الأرض على نحو متلاصق بالقرب من مقبرة أو محرقة العشيرة (مكان لحرق جثث الموتى) وقد قام الصناع أيضا بعمل أقنعة مزدانة بالأقمشة والريش وأوراق الأشجار والألياف . وكان لهذه الأقنعة أيضا شأن كبير في الأعياد والمهرجانات .

وهكذا كانت احتفالات مالنجان تمثل حلقة بين الأحياء والأموات ، كما كانت فرصة للاحتفال ببلوغ الشباب سن الرجال . ولكن تعاقب الطقوس التى قد تتوالى عدة شهور كان يحمل معنى أوسع بالنسبة للجماعة يتجلى في ثلاثة وجوه رئيسية .

أولها ، أن احتفالات تخليد ذكر الأجداد كانت فرصة مناسبة لتوزيع تركة الميت بين الأحياء . وكان الورثة والأبناء يتولون توزيع ثروة الميت (التى تستخدم كنقود) وخنازيره وأدواته المنزلية الخ بين الأقارب والحلفاء .

وثانيها ، ان المالنجان كان فرصة لتعزيز المصاهرات الزوجية ، والأحلاف السياسية والعسكرية والمبادلات التجارية بين مختلف الجماعات والعشائر وربما اضطر بعض الضيوف الى تجشم وعثاء السفر مسافات طويلة من أجل عقد المصاهرات الزوجية واجراء المبادلات التجارية التى تدور بين جزر أرخبيل بسمارك ، وتتجاوزها الى غينيا الجديدة وبوجنفيل وجزر سليمان .

وثالثها ، أن المالنجان يساعد على انتقال حقوق الملكية من جيل الى جيل وكذلك انتقال الطقوس والامتيازات التى كانت في وصاية بعض الأفراد . وكان المشرف على الاحتفالات والطقوس يملك الأرض وحقوق الصيد ، وغياض جوز الهند والقوى السحرية (على الريح والمطر والنبات) . التى كان يملكها السلف الميت . وهكذا كان الوريث يحصل على مركز اجتماعى يخوله التأثير في القرارات ذات الأهمية المحلية .

ولذلك كانت تماثيل مالنجان أكثر من مجرد « أعمال فنية » لقد كانت جزءاً من الطقوس التى هى إحدى السمات البارزة لنظام كامل يهدف إلى الهيمنة على حياة الجماعة عن طريق المصاهرات والوليمات والمهرجانات والمبادلات التجارية .

ومتى انتهت الاحتفالات أحرقت التماثيل أو تركت في العراء معرضة لعوادى المناخ الاستوائى . وهكذا كان مصيرها أشبه بمصير جثث الموتى التى تترك لتتعفن ببطء أو تحرق على أرض العشيرة وبذلك تتم دورة الحياة ، فما لم يستطع الميت أن يورثه بموته ! فالمنجان عنه . وهكذا كانوا يستخدمون الخيال دعما لاستمرار الحياة في مواجهة موت الأفراد ..

اللوحان الجانبيان اللذان يكتنفان كثيرا من أقنعة المالنجان ليسا أذنين ولكنهما صورتان غريبتان لألواح كانت تستخدم في تثبيت رأس الجثة في وضع عمودى قبل احراقها الى اليسار ، قناع من الساحل الشرقى لجزيرة ايرلندة الجديدة .
تصوير جنفير ستيل . المتحف الاسترالى . سيدنى



يمتاز فن النحت التقليدى في جزيرة ايرلندة الجديدة بالجمع الغريب بين الاشكال والمواد والتكنيك والألوان . وقد روعى كل ذلك في صنع هذا القناع الذى وجد في الساحل الشمالى الشرقى للجزيرة . ويلاحظ أن الطائر الذى يعلو الرأس واللوحين العاليين المخرمين على كلا الجانبين هو من الرموز التى كثيرا ماتشاهد في فن المالنجان بايرلندة الجديدة .
تصوير . جنفير ستيل . المتحف الأسترالى . سيدنى

يستخدم الخشب والروطان والألياف في صنع قناع « بنت » . الى اليسار . وقد استخدمت الأصداف الرخوة كعيون كما يحدث في أغلب الأحيان . تشع من هذه العيون نظرة ثابتة من نقوش الوجه المتشابكة باحكام . لاحظ الثقب الرأسى الذى وضع فيه ذات مره أحد اللوحين الجانبيين المفقودين .
تصوير . المتحف الأثنولوجى . برلين الغربية

أنباء من اليونسكو



المدير العام يقدم جائزة محو الأمية لاتحاد القراءة الدولى لعام ١٩٧٩ للدكتور بروس هول مدير فرع المعهد الصيفى للغويات في بابوا غينيا الجديدة وقد شهد هذا السيد شمس الدين الوكيل رئيس المجلس التنفيذى لليونسكو .

أمبو يدعو لتعبئة هائلة للموارد للتنمية العلمية

في الخطاب الذى ألقاه السيد أحمد مختار أمبو أمام مؤتمر الأمم المتحدة عن العلم والتكنولوجيا من أجل التنمية الذى عقد في فينا من ٢٠ الى ٣١ أغسطس ١٩٧٩ م دعا الى تعبئة هائلة للموارد لاعطاء حافز جديد لتقديم المعونة لبلاد العالم الثالث في هذين المجالين .

ولكن مجرد نقل التكنولوجيا ليس كافيا ، كما جاء في تحذير المدير العام لليونسكو لمؤتمر فينا ، « لا يمكن لاية أمة أن تحقق نجاحا حقيقيا ، أو تؤمن مستقبلها ، دون قدرة مستقلة للابداع العلمى والتكنولوجى الذى يؤدى الى التنمية القوية وتثبيت جذورها في ثقافتها الخاصة . ان البلاد النامية في مقدورها بواسطة اجراء تكامل بين العلم الحديث والتكنولوجيا كعنصر حى في ثقافاتها الخاصة أن تخطو خطوة حاسمة الى الأمام في عملية تنميتها دون المخاطرة بالقيم الاجتماعية والانسانية التى تتأصل في كثير منها » .

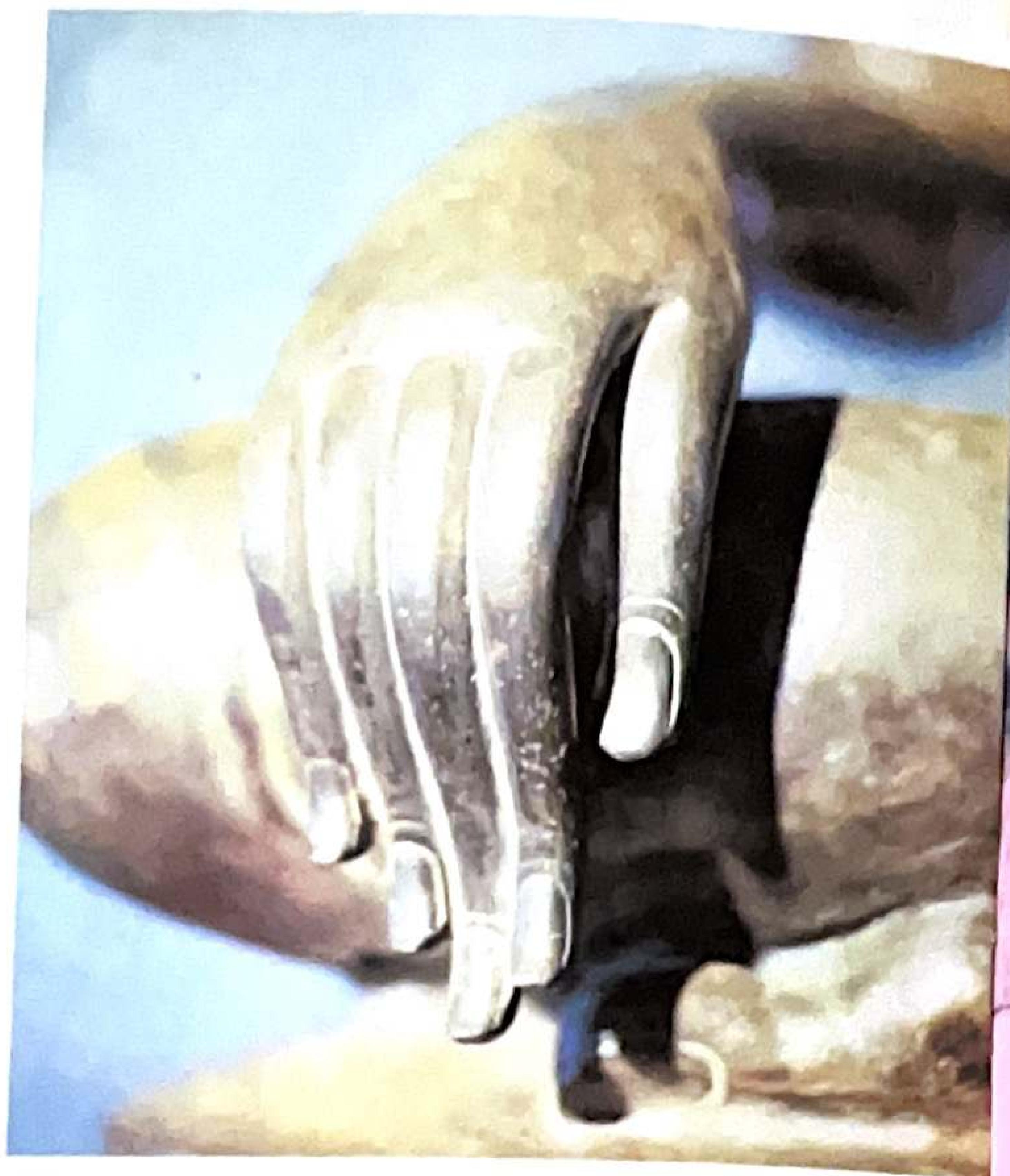
ولقد أضاف المدير العام قائلا ، « ان من شأن الزام البلاد النامية بأن تكون مجرد أدوات سلبية لتلقى المعارف المكتسبة في أماكن أخرى ادامة اعتمادها على الغير . اعتمادا من شأنه خضوعها للغير ، ودعم تقسيم العالم الى فئات مختلفة من الدول . بعضها يحتكر مستوى عاليا من المعرفة في حين يستثنى البعض الأخر من الزحف العظيم الذى يدعم يوميا سيطرة الانسان على الطبيعة .

وقد وافق المؤتمر الذى اشتركت فيه ١٤١ دولة بالاجماع على خطة عمل تدعو لنظام ذى مستوى عال ، تمثل فيه كل البلاد لوضع السياسات التى تنتهجها المنظمات الدولية فيما يختص باستخدام العلم والتكنولوجيا في اغراض التنمية وتبليغ ذلك للجمعية العامة للأمم المتحدة عن طريق المجلس الاقتصادى والاجتماعى وعلاوة على ذلك فانتظارا لوجود هيئة دائمة للتمويل سيفتح اعتمادا مؤقتا في العامين القادمين بمبلغ ٢٥٠ مليون دولار كمعونة دولية في هذا المجال .

لقد قال الأستاذ جـ . د . م لاريفيير قائلا . « ولقد كان مؤتمر الأمم المتحدة لتنمية العلم والتكنولوجيا بالنسبة لمندوبى المنظمة الدولية لأبحاث الخلية تجربة مثمرة ، وذلك لأنه أظهر أن علوم الحياة الأساسية منها والتطبيقية ، اعترف بها الآن في قمة الأولويات في استخدام

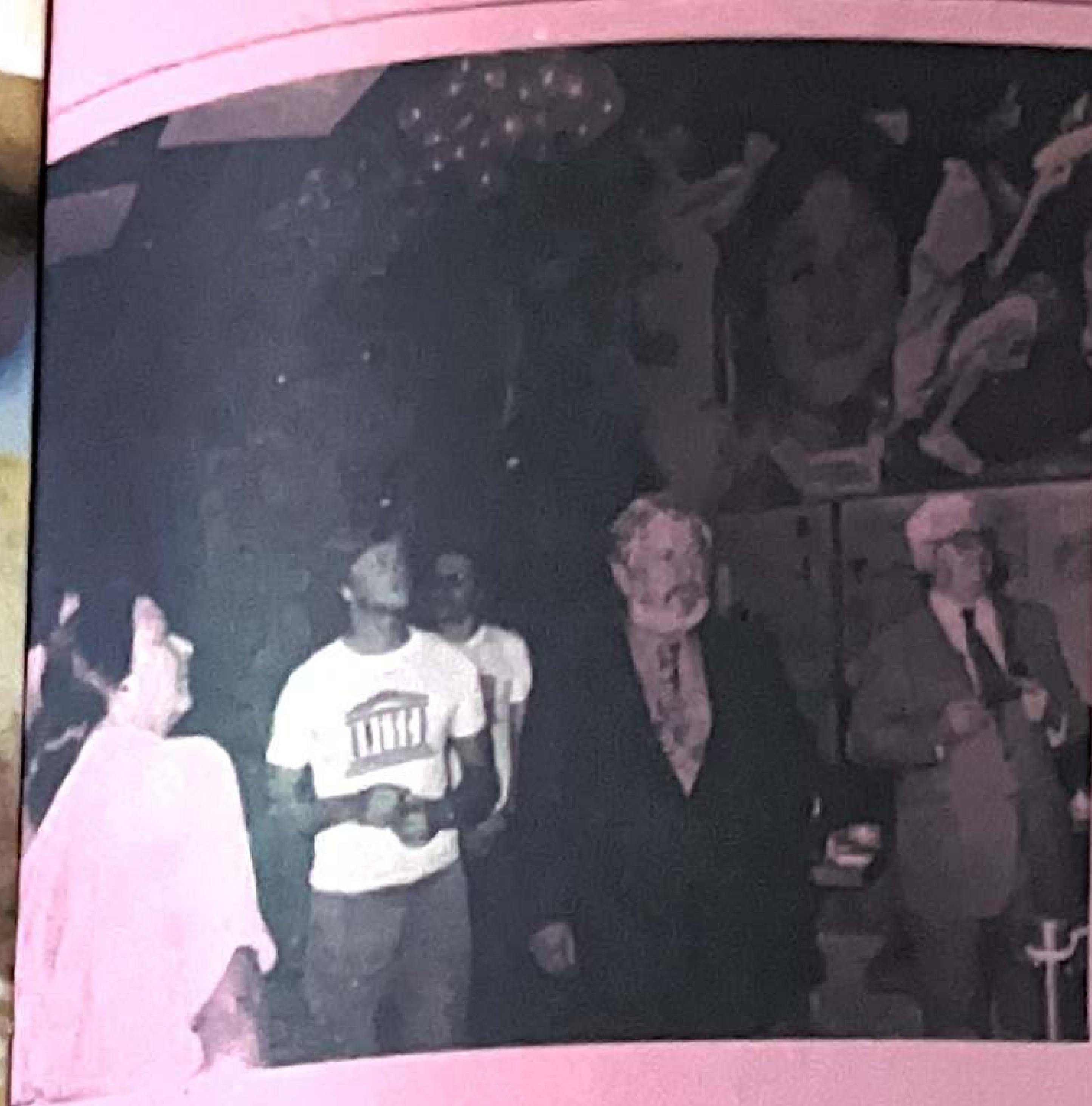






العلوم الطبيعية في أغراض التنمية ولذلك فان مؤتمر الأمم المتحدة لتنمية العلم والتكنولوجيا يهيىء فرصة طيبة لتشجيع كثير من المؤسسات والمنظمات والعلماء الذين يتضافرون في القيام بالأبحاث الخلوية الجوهرية والتطبيقية.

وهناك مستشار آخر للمدير العام هو الدكتورة مارى براير من منظمة أبحاث المخ الدولية التى لفتت نظر المؤتمر الى الحاجة الى مزيد من الأبحاث الخاصة بالوقاية من الأمراض كاسهام في عملية التنمية.



قام السيد بيتر استينوف أثناء زيارته لجناح اليونسكو في معرض « الانسان وعالمه » الذى أقيم في مونتريال بالتوقيع على نسخ من كتاب « أى نوع من العالم ستتركه لأطفالنا ؟ » القائم على مناقشة مؤتمر المائدة المستديرة المنعقد في اليونسكو في يونية ١٩٧٨ . ويرى هنا يتفقد العرض برفقة السيد م. كلود ليسيير السكرتير العام للجنة القومية الكندية.

برنشتين ، وبولانجير ، وريتشر من الفائزين بجوائز اليونسكو للموسيقى

كان القائد الموسيقى ليونارد برنشتين الأمريكى ، ومدرسة الموسيقى الفرنسية ناديا بولانجير ، وعازف البيانو السوفيتى سفياتو سلاف ريتشر ، من الفائزين بجائزة مجلس الموسيقى الدولى / باليونسكو ١٩٧٩ .

وقد قام باعلان هذه الجوائز المدير العام لليونسكو أحمد مختار أمبو ، ورئيس وزراء استراليا مالكوم فرازر وقدمت في يوم الموسيقى الدولى ، أول أكتوبر في ملبورن ، باستراليا أمام حفل عالمى من المندوبين الذين اشتركوا في الاجتماع العام الثامن عشر لمجلس الموسيقى الدولى .

ومن الفائزين الآخرين جان سيكر من تشيكو سلوفاكيا الملحق البيانى والسيمفونى ، والسير برنهارد هينز الموسيقى لاسترالى ، ومدرس الموسيقى ، والقائد الموسيقى ، ومحمد كوبانجى لانه أمام أسلوب الغناء العراق « ماماك » وزفيا ليسا عالمة الموسيقى البولندية المتخصصة في تاريخ وتحليل وتناول الموسيقى الأوربية في أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين .

والمجلس الموسيقى الدولى ، الذى أنشأه اليونسكو عام ١٩٤٩ عبارة عن اتحاد من ١٨ منظمة غير حكومية تشمل جميع الجوانب الموسيقية ، وتتضمن أنشطته التلحين ، والأداء ، وتدريب الموسيقيين ، والتعليم العام للموسيقى ، والأبحاث الموسيقية ، والنهوض بها .



يستخدم الخشب والروطان والألياف في صنع قناع « بنت » . الى اليسار . وقد استخدمت الأصداف الرخوة كعيون كما يحدث في أغلب الأحيان . تشع من هذه العيون نظرة ثابتة من نقوش الوجه المتشابكة باحكام . لاحظ الثقب الرأسى الذى وضع فيه ذات مرة أحد اللوحين الجانبيين المفقودين .

تصوير . المتحف الأثنولوجى . برلين الغربية

الظهرة وبذلك تتم دورة الحياة ، فما لم يستطع الميت أن يورثه يورث ا الانتقال هنا . وهكذا كانوا يستخدمون الخيال دعما لاستمرار الحياة في مواجهة موت الأفراد .





تدعى ايطاليا امامة العالم في الراديو والتلفاز المحليين

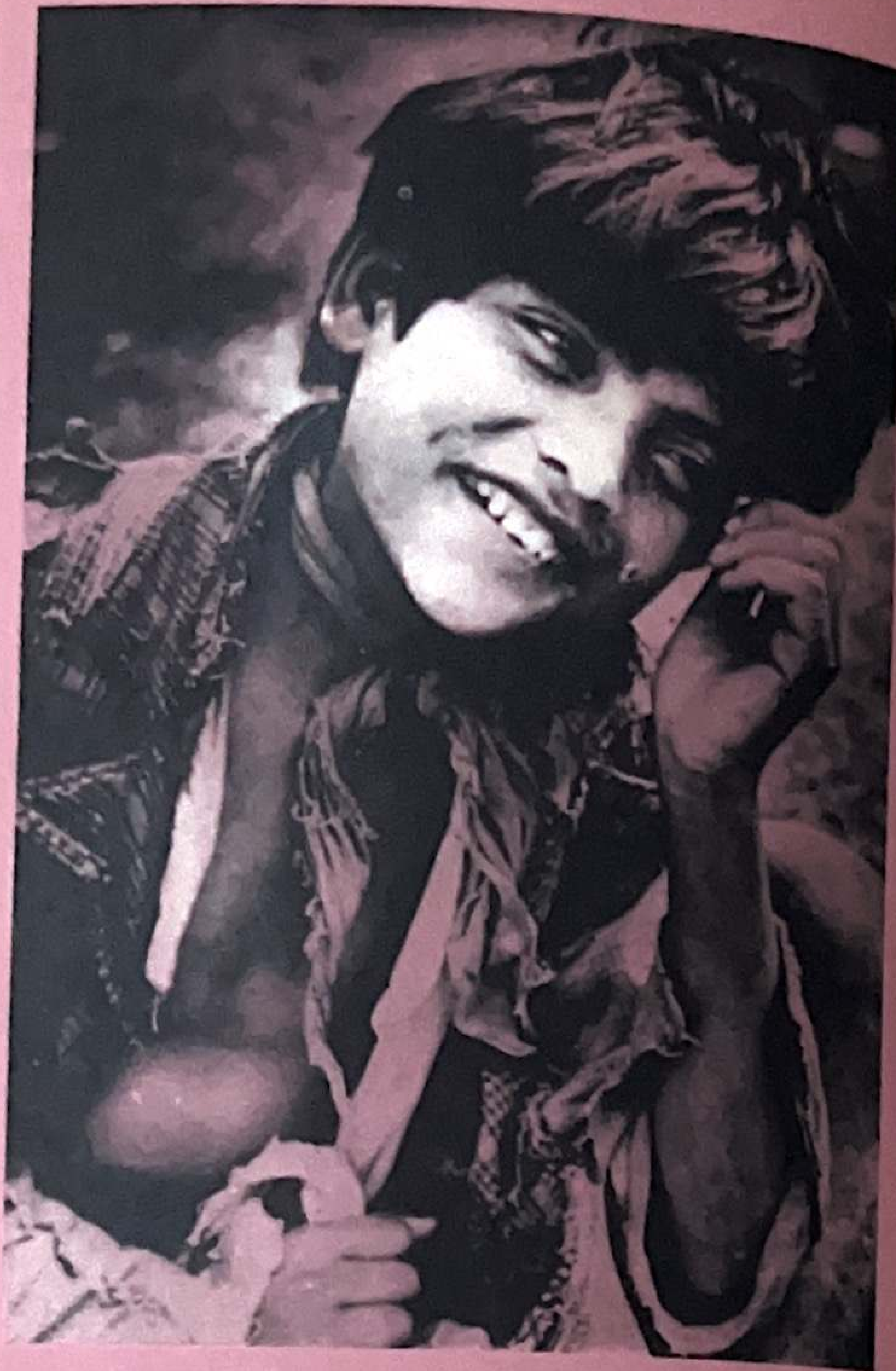
ان ايطاليا لديها محطات راديو وتلفاز أكثر من غيرها من الدول . وذلك بالنسبة لعدد سكانها ومساحتها

وطبقا للأرقام الرسمية عام ١٩٧٨ فان لدى ايطاليا مالا يقل عن ٢٢٧٥ محطة راديو ، و٥٠٣ محطات تلفاز محلية ، أي بنسبة محطة راديو لكل ٢٤٧٤٧ فردا ، ومحطة تلفاز لكل ١١١٩٣٠ فردا .

وهذه المعلومات مستقاة من وثيقة قام باعدادها جوزيب ريتشيري من جامعة بولونيا للجنة الدولية لدراسة مشكلات الاعلام . ان اللجنة التى ترعاها اليونسكو ظلت قائمة عامين تحت رئاسة السيد سيان ماكبريد وزير خارجية ايرلندة السابق والحائز على جائزتى نوبل ولينين وقد انتهت هذه اللجنة من تقريرها في اجتماعها النهائى في نوفمبر وفي باريس .

ويقول ريتشيرى أن لحوالى ١٠٪ من المحطات الايطالية موجات خاصة بها ولكنها لا تنتظم في اذاعاتها . ومن المحطات التى تنتظم في اذاعتها نجد ان ثلاثة أرباعها محطات تجارية هدفها الربح أساسا . نجد أن معظم ما بقى من المحطات تابعة لأحزاب أو منظمات سياسية . أما المحطات الحقيقة التى تخدم المجتمع فهى محطات القلة العدد تهيىء فرص الاعلام للسكان المحليين ، وتمثل بديلا حقيقيا لهيئة الاذاعة والتلفزة الايطالية الحكومية .

ومع ذلك ، كما تقول الوثيقة . فان المحطات المحلية تمثل منافسا خطيرا لهيئة الاذاعة والتلفزة الايطالية الحكومية في كل من جمهورها ودخولها .



معرض صور اليونيسيف للعام الدولى للطفل

يحتوى المعرض الذى قامت اليونسيف بتنظيمه بالاشتراك مع مجلة « ستيرن » على اكثر من ٥٠٠ صورة فوتوغرافية ملونة وبيضاء سوداء ، قام بتصويرها ٢٢٨ من المصورين البارزين من ٤٤ بلدا . واشترك في الاعداد لهذا المعرض أكثر من ٢٠٠ متحف ومؤسسة ثقافية . ذلك المعرض الذى يقام في المدن الرئيسية في أوربا وآسيا ، وأمريكا اللاتينية .

ومن الصور الـ ٥١٥ في معرض اليونسيف صورة « أطفال هذا العالم » التى عرضت في اليونسكو من ٢٠ سبتمبر حتى ٥ من أكتوبر .





قناع وجد في الساحل الشمالى الشرقى لجزيرة ايرلندة الحديدة . وهو مصنوع من الخشب والألياف والمادة الورقية المستخرجة من لب الأشجار . والأصداف (المحاريث) تجتمع فيه صورة السمكة (كل جانب من الوجه) والثعبان (حول العين) . في حين أن صور الطير تزين الانف وهى مثبتة في الوجه بخيط من القنب .

تصوير : المتحف الأثنولوجى - برلين الغربية





قناع وجد في الساحل الشمالي الشرقي لجزيرة ايرلندة الحديدة . وهو مصنوع من الخشب والألياف والمادة الورقية المستخرجة من لب الأشجار ، والاصداف (المحاريث) تجتمع فيه صورة السمكة (كل جانب من الوجه) والثعبان (حول العين) . في حين أن صور الطير تزين الانف وهي مثبتة في الوجه بخيط من القنب .
تصوير : المتحف الأثنولوجي - برلين الغربية

العراق ، وبيرو وبابوا غينيا الجديدة تفوز بجوائز محو الأمية

ان الهيئات التي فازت بجائزة محو الأمية التي منحتها اليونسكو عام ١٩٧٩ هي حملة محو الأمية الجماهيرية في العراق ، والاتحاد نساء بيرو ، ومعهد في بابوا غينيا الجديدة للغات المحلية .

وقد منحت جائزتان مقدار كل منهما ٥٠٠٠ روبل قيمة جائزة نادیجدا . ك . كروبسكايا التي أنشأتها حكومة الاتحاد السوفيتي بواسطة المحلفين الدوليين الذين قاموا باختيار الفائزين بالجائزة هذا العام . كانت هذه الجوائز من نصيب المجلس الأعلى للحملة القومية لمحو الأمية الالزامي في العراق الذي عبأ قوى البلاد لحملة جماهيرية لاستئصال الأمية . وللاتحاد الشعبي لنساء بيرو الذي نظم اسهام النساء في أنشطة التنمية عن طريق القيام ببرامج لمحو الأمية .

وقد قرر المحكمون الذين لم يمنحوا جائزة كروبسكايا عام ١٩٧٧ ، أن يستخدموا الأموال المتاحة لجائزتين هذا العام نظرا لتنوع ونوعية المرشحين البالغ عددهم ٣٧ مما يشهد بالاهتمام المطرد للدول الاعضاء في اليونسكو والمنظمات غير الحكومية بالكفاح ضد الأمية .

ولأول مرة تمنح جائزة اتحاد القراءة الدولي البالغ قدرها ٥٠٠٠ دولار . انها وقعت من نصيب فرع المعهد الصيفي للغويات ببابوا غينيا الجديدة الذي ظل يعمل سنين عديدة في تدوين اللغات المحلية . ولقد درب أفراد من المواطنين على استخدام هذه اللغات لتعليم الأطفال والكبار .

تعيين شخصين من المكسيك وغانا في منصبين رئيسيين في اليونسكو

أعلن السيد أحمد مختار امبو المدير العام تعيين رودولفو ستافنهاجن من المكسيك مديرا عاما مساعدا للعلوم الاجتماعية وتطبيقاتها وفي الوقت نفسه أعلن السيد امبو تعيين جي . ب . بتركسون من غانا نائبا للمدير العام المساعد للإدارة العامة .

وكان السيد ستافنهاجن الذي ترأس في ١٩٥٠ من أخصائي علم الاجتماع باليونسكو مديرا عاما للثقافة الشعبية في وزارة التعليم العام بالمكسيك منذ ١٩٧٧ . وكان رئيسا للكلية الأمريكية اللاتينية للعلوم الاجتماعية منذ ١٩٧٥ .

وقد كان السيد ستافنهاجن مديرا للدراسات في معهد الدراسات الاجتماعية الدولية لهيئة العمل الدولية بجنيف من ١٩٦٩ الى ١٩٧٠ . واشترك في المؤتمرات العامة لليونسكو عضوا في الوفد المكسيكي .
أما السيد بتركسون الذي التحق باليونسكو في أول أغسطس فهو دبلوماسي كبير كان سفيرا لغانا لدى فرنسا ، ومندوبا دائما لبلاده لدى اليونسكو حتى يوليه . وعمل قبل ذلك مديرا للمكتب الأوروبي والأمريكي ومكتب المنظمة الدولية والمؤتمرات في وزارة خارجية غانا . وقد عمل كذلك سفيرا لدى البرازيل واثيوبيا وكان السيد بتركسون في أوائل حياته عضوا في بعثة بلده في الأمم المتحدة مدة عامين .

الانجيل أعظم مترجمات العالم عددا

الانجيل هو أكثر مؤلف مترجم في العالم كله وأوسعها انتشارا . قامت ثلاثون دولة بترجمته في عام واحد .

ويلي الانجيل في ذلك مؤلفات شكسبير التي ترجمت في ٣٩ دولة ثم مؤلفات كارل ماركس ، ثم مؤلفات دستويفسكي التي ترجمت في ٣٦ بلدا .

ويبلغ مجموع المؤلفين الذين ترجمت مؤلفاتهم في ٣٠ بلدا ثلاثة عشر من بينهم مؤلفون لكتب أطفال مثل روبرت لويس استيفنسون ، وجول فيرن ، ومارك توين ، وهانز كريستيان اندرسون ، وجاك لندن ، وكتاب حديثون مثل سولجينتسين ، وبابلو نيرودا ، وكذلك كتاب روس كبار مثل تولستوي ، وجوركي ، وتشيكوف .

وهذه الأرقام استقيت من دليل اليونسكو للترجمات عام ١٩٧٥ وهو فهرس سنوي تقوم اليونسكو باصداره عن الكتب المترجمة في جميع انحاء العالم . ولذلك فعلى الرغم من أن هذه الأرقام ليست أرقاما جامعة تماما فانها تعطي فكرة لا بأس بها عن اتجاهات التبادلات الثقافية .

وتدل الأرقام على أن نصيب الدول الصناعية من الكتب المترجمة البالغ عددها ٤٧،٣٣٩ كتابا عام ١٩٧٥ انما هو ٢٨٢٢٥ كتابا ، والبلاد الاشتراكية ١٣٦٩٧ كتابا ، والدول النامية ٥٤١٧ كتابا فحسب .



لمحة عن بابوا غينيا الجديدة اليوم

يقع الجزء الرئيسي من بابوا غينيا الجديدة على بعد ١٦٠ كيلو مترا شمالي النصف الشرقي من أستراليا . وهو يشمل الجزء الشرقي من جزيرة غينيا الجديدة اما باقي هذه الجزيرة فهو مقاطعة ايريان الغربية التابعة لأندونيسيا . وعلى الرغم من أن ٨٥٪ من المساحة البرية لبابوا غينيا الجديدة توجد في الجزء الرئيسي من البلاد فإن البلاد تضم ايضا نحو ٦٠٠ جزيرة والبلاد في مجموعها تمتد نحو ٢ر٠٠٠ كيلو متر من الشرق الى الغرب ونحو ١ر٢٠٠ كيلو متر من الشمال الى الجنوب والمساحة البرية الاجمالية للبلاد هي ٤٦٣ر٠٠٠ كيلو متر مربع اى أقل قليلاً من مساحة تايلاند ولكن اكثر كثيراً من مساحة نيلندة الجديدة أو الفلبين .

وتتسم طبوغرافية (السمات السطحية) بابوا غينيا الجديدة بأنها وعرة فكثير من المساحة البرية لكل من الجزء الرئيسي والجزر يمتاز بالجبال الوعرة الشديدة الانحدار التي يزيد ارتفاع بعضها على ٥ر٠٠٠ متر

وبسبب هذه الحواجز الجغرافية الهائلة تنقسم بابوا غينيا الجديدة من الناحية الثقافية والاقتصادية وقد استخدمت فيها الطائرات قبل استخدام السيارات والعربات بزمن طويل وقطعت مسافات أطول مما قطعته هاتان الوسيلتان الأخيرتان ويقال ان نصيب الفرد من مهابط الطائرات في بابوا غينيا الجديدة اكثر من نصيب الفرد في أى بلد آخر في بلاد العالم وقد اقترن نمو النقل الجوى المبكر بتعدين الذهب وهو يستخدم لنقل الكثير من البضائع في بابوا غينيا الجديدة والكثير من الركاب .

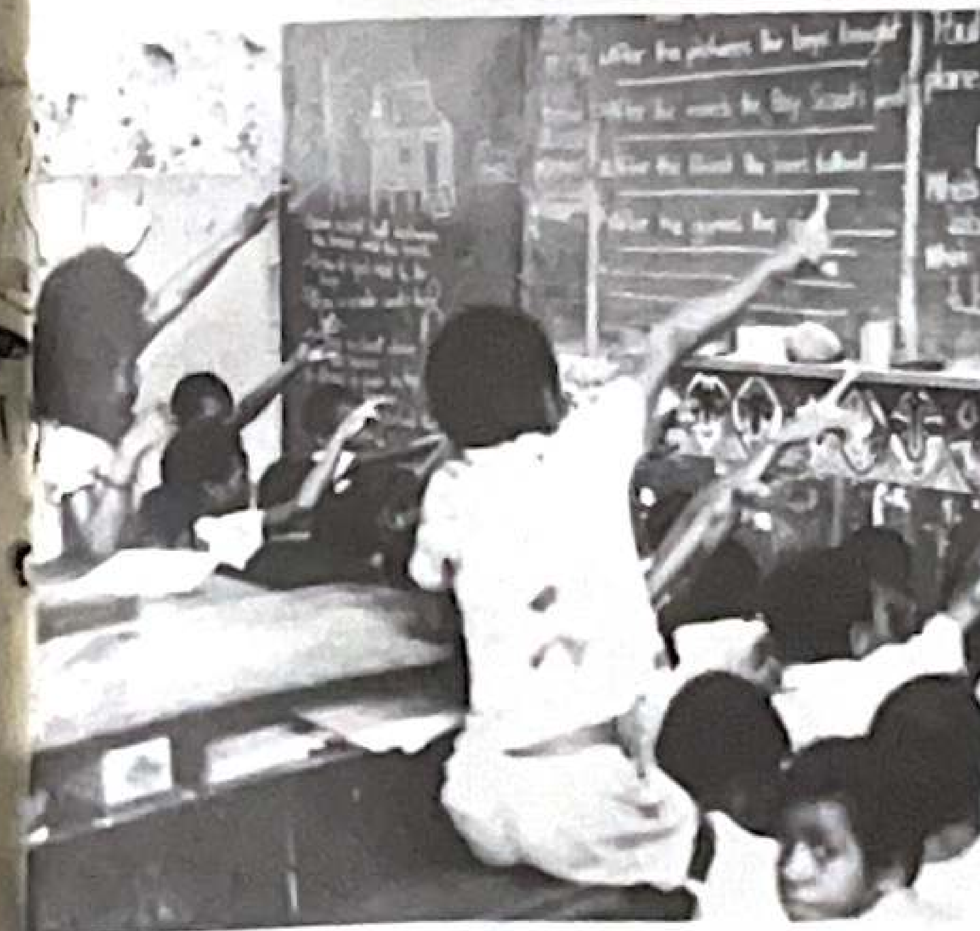
ولا تزال الطرق في المراحل الأولى من التطور . ويزيد من تكاليف انشائها وصيانتها سوء المناخ ووعورة الأرض في بابوا غينيا الجديدة

وهناك بعض السفن الساحلية التي تحمل البضائع بين الجزر ولهذه الوسيلة مستقبل عظيم . والملاحة في المحيط أهم في نقل البضائع في أعالي البحار من الملاحة الساحلية ولكن معظم نقل الركاب الى الخارج يتم بالطائرات .

ووسائل الاتصال في بابوا غينيا الجديدة حديثة جدا خلافا لوسائل النقل . فشبكة الاتصالات السلكية واللاسلكية قد تحسنت في السنوات الاخيرة كما أنشأت هيئة البريد والبرق . وهي هيئة حكومية . نظاما للمخابرات التليفونية ذات المسافة الطويلة (التيرنك) يضارع نظيره في البلاد المتقدمة والوسيلة الرئيسية للاتصال الجماهيري في بابوا غينيا الجديدة هي الاذاعة وهي أيضا مؤسسة حكومية

هذا وبابوا غينيا الجديدة غنية بمواردها الطبيعية وتتيح الاقاليم ذات التربة الجيدة والأحوال المناخية المتنوعة امكانيات ضخمة للزراعة وتحتل زراعة المحاصيل اللازمة للمعيشة ٩٠٪ من الأرض المنزرعة ويشتغل بها ما يتراوح بين ٦٠٪ و ٧٠٪ من عدد السكان . والغابات واسعة ولها قيمة تجارية كبيرة ولكن استغلال الغابات صعب وباهظ التكاليف ويتيح سقوط المطر الغزير وسلاسل الجبال الكثيرة امكانيات هائلة لاستغلال المياه

والموارد المعدنية جيدة أيضا وكان الذهب فيما مضى يحتل المكان الأول بين الصادرات ولكن عندما افتتح منجم النحاس الكبير القريب من سطح الارض بمدينة بوجنفيل في ١٩٧٢ احتل النحاس المكان الأول بين صادرات البلاد وهو يشكل تقريبا نصف صادرات البلاد الاجمالية . كما يشكل ما يتراوح بين ٢٠٪ و ٣٠٪ من اجمالي الناتج المحلي وقد أدى التنقيب عن البترول الى اكتشافات مشجعة ولكنها غير مناسبة للاستغلال التجاري حتى الآن .



تلاميذ صغار في احدى المدارس الابتدائية يشتركون باهتمام في الاجابة على الاسئلة التي توجه اليهم في احد الدروس الهادفة الى تنمية مهاراتهم اللغوية . الانجليزية هي اللغة الرئيسية للتعليم في بابوا غينيا الجديدة ولكن الجهود تبذل الآن لتدوين اللغات الوطنية والمحافظة عليها وتشجيع استخدامها وقد تم الاعتراف بالمنجزات التي تمت في هذا المجال في حفل اقيم في ٨ سبتمبر ١٩٧٩ بمقر اليونسكو بباريس عندما قامت جمعية القراءة الدولية بتقديم جائزتها السنوية الأولى في محو الامية لفرع المعهد الصيفي للغويات في بابوا غينيا الجديدة اعترافا بجهوده التعليمية في مجال اللغات المحلية .

تصوير : ج . هوسير بال سويرا .

ويبلغ عدد سكان بابوا غينيا الجديدة ٢ر٨ مليون نسمة وينتمون الى سلالات مختلفة وأغلبهم سيلا نيزيون وقد أدى انعزال البلاد بعضها عن بعض بسبب الجبال والغابات والأنهار الكبيرة والبحر الى بقاء الفروق الثقافية واللغوية بين العناصر المختلفة من السكان وقد امكن التعرف على نحو ٧٠٠ لغة محلية ويتراوح عدد المتكلمين بهذه اللغات بين ٢٠٠ و ٣٠٠ شخص ونحو ١٠٠ر٠٠٠ شخص على أن هناك ثلاث لغات واسعة الانتشار هي : اللغة البدجينية واللغة الانجليزية ولغة مولو .

والنظم الاجتماعية للسلالات المتنوعة للسكان مختلفة أيضا فمنهم من ينتسب للأم ومنهم من ينتسب للأب ومنهم من ينتسب لكلا الأبوين والواجبات الاجتماعية بين الأقارب معقدة فأعضاء العشيرة يجب عليهم مديد المساعدة والعون لغيرهم من المحتاجين ويعد هذا نوعا من الضمان الاجتماعي المحلي ينأى بأعضاء الجماعة عن التخلي عن حماية ذوى قرباهم والواقع ان هذا العون لأعضاء العشيرة قد تجاوز عملية التحضر وأصبح أساسا للاستيطان في المدن فهو يرسم الحقوق والواجبات بين الأعضاء المنتمين الى عشيرة واحدة ويقلل من مشكلات المهاجرين الى المدن وملكية الأرض من حق الجماعة أيضا ويمنح الانتفاع بالأرض للأفراد والأسر بالاتفاق بين الملاك . ويملك السكان المحليون في بابوا غينيا الجديدة نحو ٤٧٪ من الأرض بمقتضى نظم الملكية التقليدية

ويناهز عدد سكان بابوا غينيا الجديدة الحاليين عدد سكان نيوزيلندة ولكنه يبلغ نحو $\frac{1}{5}$ من عدد سكان الفلبين أو تايلاند ومن ذلك يتضح أن حجم البلاد كبير في حين أن عدد سكانها صغير ويتركز نحو ٤٠٪ من العدد الكلي للسكان في المرتفعات الواقعة في الجزء الرئيسي من البلاد الذي ظل بعيدا عن المؤثرات الحديثة لمدة اطول مما حدث في كثير من الأقاليم الأخرى في البلاد ويكثر السكان في المرتفعات الشرقية فقط ويزداد عدد سكان بابوا غينيا الجديدة المحليين بمعدل سنوى قدره ٢ر٨٪ ومن المنتظر ان يصل الى نحو ٣ر٥ مليون نسمة في أواسط العقد التاسع ويؤدى هذا النمو السريع في عدد السكان الى صغر سنهم ففي سنة ١٩٧١ بلغ سن ٤٦٪ من عدد السكان اقل من ١٥ سنة

ومنذ عهد قريب جدا انتصرت المستوطنات الحضرية على المناطق الساحلية وقل من المدن ما يزيد عدد السكان فيها على ١٠ر٠٠٠ نسمة واكبرها العاصمة واسمها بورت مورسبي وعدد سكانها ٧٦ر٠٠٠ نسمة يليها ميناء « لي » وعدد سكانها ٢٨ر٠٠٠ ويتغير هذا النمط بسرعة بسبب ارتفاع معدلات الهجرة من الريف الى الحضر .

وقد انشىء النظام المدرسي في بابوا غينيا الجديدة في زمن مبكر يرجع الى سنة ١٨٧٣ على يد المبشرين ولكن نطاق التعليم لم يأخذ في الاتساع بسرعة الا حوالي ١٩٦٠ ففي تلك السنة بلغ عدد المقيدين من الطلاب بالمدارس ٩٥ر٠٠٠ تلميذ منهم ٩٢ر٠٠٠ بالمدارس الابتدائية وكان ٨٠٪ من جميع التلاميذ الابتدائيين في مدارس الارساليات التبشيرية

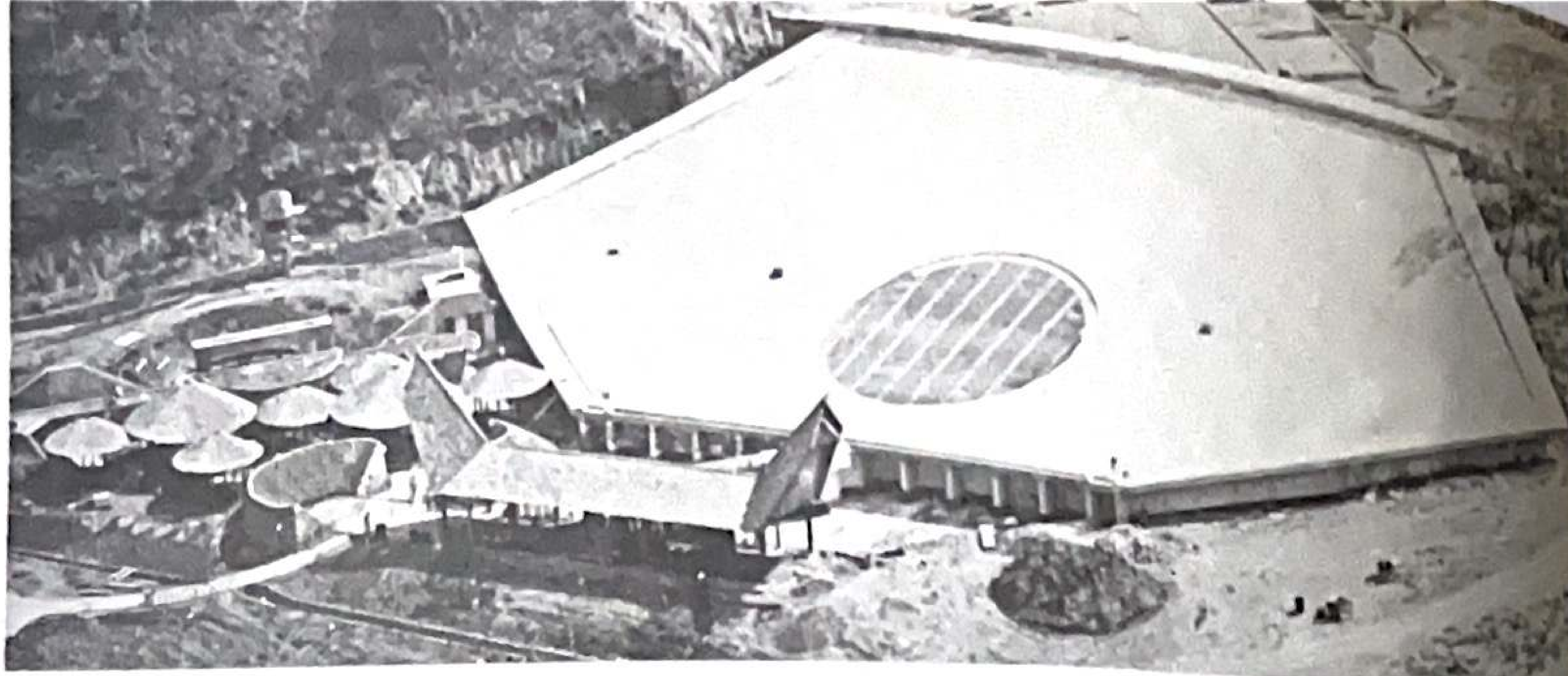
وفي ١٩٧٥ بلغ عدد المقيدين بالمدارس الابتدائية ٦٩٪ من البنين و ٤٤٪ من البنات ممن تتراوح سنهم بين ٧ سنوات و١٢ سنة والتعليم الثانوى اخذ في النمو ايضا ففي ١٩٧٥ كان عدد الطلاب الثانويين نحو ٣٠ر٠٠٠ طالب في ٨٨ مدرسة ثانوية عالية و ١٠ر٥٠٠ طالب آخر في المدارس الفنية أو المهنية او مدارس المعلمين ولكن نحو ٨٥٪ من جميع التلاميذ المقيدين كانوا في المدارس الابتدائية

وفي بابوا غينيا الجديدة الآن جامعتان وفي جامعة بابوا غينيا الجديدة في بورت مورسبي ١ر٠٠٠ طالب متفرغ و ٥٠٠ طالب غير متفرغ وبجامعة التكنولوجيا في لى نحو ١ر٠٠٠ طالب وهذه الجامعات كلها داخلية (تقدم الطعام والمسكن للطلاب) .

وقد تقدمت الرعاية الصحية في بابوا غينيا الجديدة خلال ربع القرن الماضي واقيم نظام ريفي للرعاية الصحية من خلال مراكز الاسعاف بالقرى ويوجد اليوم نحو ١ر٦٠٠ مركز منها . اى اكثر من مركز لكل ثماني قرى وتحال الحالات التي تتطلب الدخول في المستشفى الى المستشفيات الاقليمية البالغ عددها ٢١ مستشفى ووسائل التدريب متاحة محليا لموظفي مراكز الاسعاف ومتاحة . منذ ١٩٧٠ . للأطباء وذلك في كلية الطب بجامعة بابوا غينيا الجديدة .

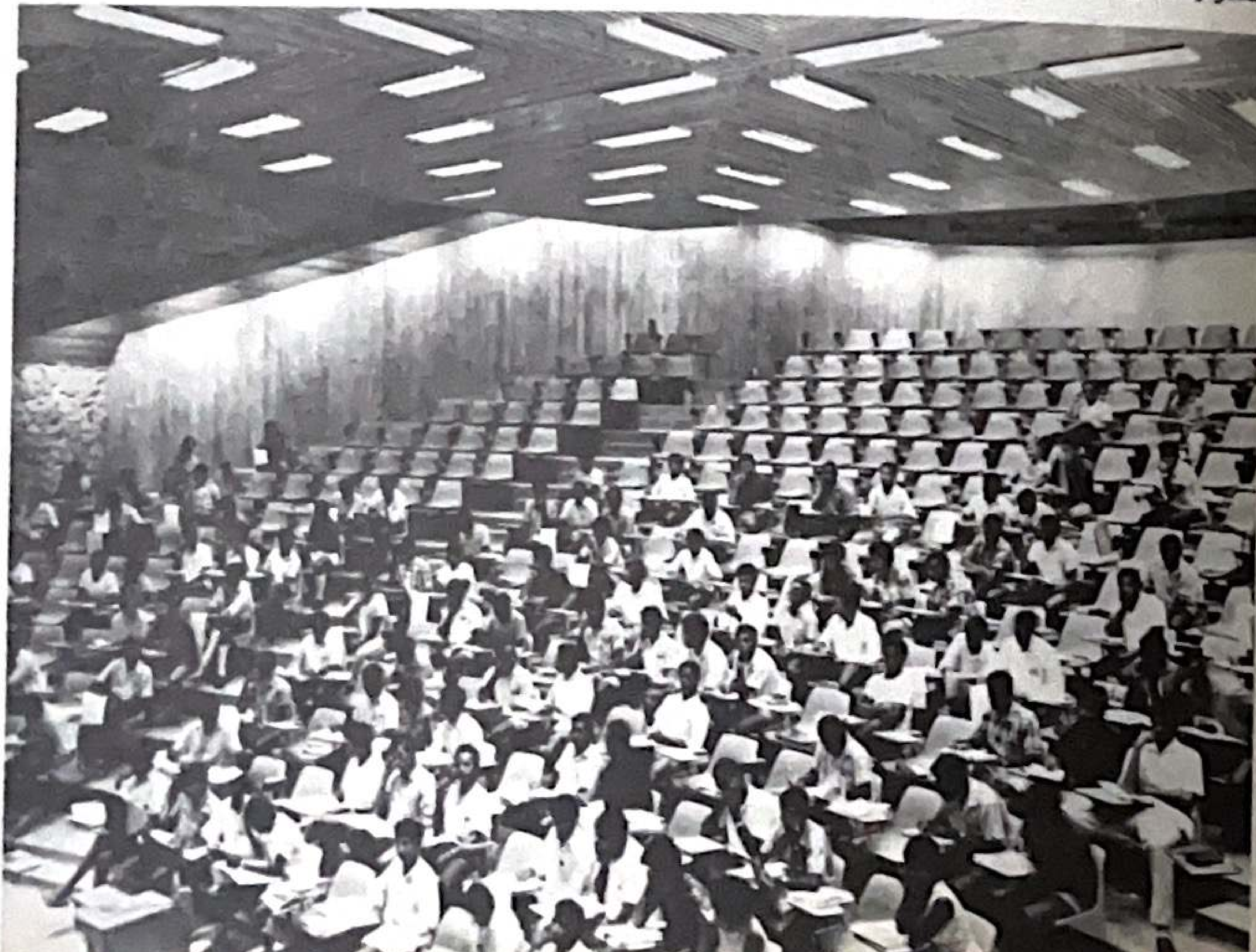
وقد سارت عملية التحديث بخطى جبارة في بابوا غينيا الجديدة خلال الجيلين او الأجيال الثلاثة الماضية وبخاصة منذ الحرب العالمية الثانية ومن المدهش أن تتم هذه العملية بسرعة بالنظر الى الظروف التاريخية والجغرافية المعقدة في بابوا غينيا الجديدة وبالنظر الى حصولها على الاستقلال منذ عهد قريب جدا (١٩٧٥) .

المعلومات الواردة في هذا المقال منقولة عن تقرير للبنك الدولي بعنوان « بابوا غينيا الجديدة الموقف الاقتصادي ومستقبل التنمية فيها » نشرة البنك الدولي في ١٩٧٨



تضم اليوم بابوا غينيا الجديدة وهي من احدث دول العالم . مجموعة تحفها القومية في واحد من احدث متاحف العالم في اعلى منظر جوى لبعض المباني الحديثة للمتحف القومي ومتحف الفن الذي فتح في ١٩٧٧ بالعاصمة بورت مورسبي تغطى بسقوف مائلة مساحة العروضات وترى مبان دائرية الى اليمين ترمز الى البيوت المطلوبة التي اكتشفت في مرتفعات غينيا الجديدة وهذه المباني جزء من المساحة التي خصصت للهو والتسلية في العلاء . على الرغم من أن المتحف به أكثر من ٢٠٠٠ تحفة فنية في مجموعاته الأنثروبولوجية فان بعض انحاء البلاد لم يتم تمثيلها في المتحف نظرا لأنه عند انشاء المتحف كانت كثير من المناظر قد جردت . من آثارها الثقافية القديمة من قبل البعثات التي تصدت لجمع الآثار يضاف الى ذلك انه تم نهب وتهريب بعض الاعمال الفنية من بابوا غينيا الجديدة في السنوات الأخيرة لسوء الحظ ولاشك أن المتحف الجديد من شأنه أن يدحض الحجج التي يعتذر بها البعض عن رد ما أخذوه من آثار بابوا غينيا الجديدة محتجين بعجز البلاد عن حماية تراثها وقد تم تنفيذ الاتفاقات الخاصة برد الاعمال الفنية من عدة متاحف استرالية ومن المتحف القومي لنيوزيلندة .

تصوير المتحف القومي ومتحف الفن بورت مورسبي .



جمع من الطلاب في احدى قاعات المحاضرات بجامعة بابوا غينيا الجديدة احدى جامعتى البلاد بها ١ر٠٠٠ طالب منتظم و ٥٠٠ طالب منتسب وتقع في العاصمة الوطنية بورت مورسبي .

تصوير . ماريجاج . باريس .

«برتينا»، ومنظمة الأغذية والزراعة



برتينا فنجاردن . أصغر صحفية بعثت مراسلة في مؤتمر عالمي للأمم المتحدة . تجري حديثا مع معصام براح . الوزير النيجيري للتنمية الزراعية في القاعة الكبرى للمؤتمرات التابعة لهيئة الأمم المتحدة للتغذية والزراعة بروما .
(الصورة ، ف . لوفين ، هيئة الأغذية والزراعة . روما)

إنها لفكرة رأى فيها الكثير من الناس شيئا من المجازفة ، ترى ماذا تكون ردود فعل فتاة في الحادية عشرة من عمرها في مواجهة المؤتمر العالمي للإصلاح الزراعي والتنمية الريفية ! ..

كتب الكاتب الهولندي ماتيس دي فريدي أن برتينا فنجاردن أثبتت لهؤلاء الناس أنهم مخطئون في تخوفهم . فعندما وصلت برتينا إلى روما في هذا الصيف لتغطي المؤتمر بصفتها مراسلة لمجلة « سسم » وهي مجلة شهرية هولندية للأطفال ، متخصصة في مشاكل التنمية ، كان سلوكها سلوك المحترفين الحقيقيين ..

وقد أوفدت برتينا إلى المؤتمر لأن هيئة تحرير « سسم » (وسسم كلمة مالية ـ أي من مالي ـ معناها « الكل معا ») أرادت أن تصدر عددا خاصا للتنمية الريفية . وأن يكون لها في روما مراسل خاص من قراء المجلة . ووقع الاختيار على برتينا من بين سائر قراء « سسم » . وتعيش برتينا في مزرعة حديثة مساحتها ٣٢ هكتارا في فرنجيومير . وهي من الأراضي الخصبة المستصلحة حديثا في هولندة . وعلى هذا دعيت برتينا مع والدتها للذهاب إلى روما . واعتمدت في مؤتمر الأمم المتحدة . وظهرت برتينا أهلا لأداء مهمتها . وحررت قصة ممتازة . وأثبتت أن طفلا في سنها يستطيع فهم مشاكل التنمية إذا ما تزود بالمعلومات الضرورية . وبلغة مفهومة ..

هذا المؤتمر يخاطبك أنت . كما يخاطب أطفال العالم كله . وليس في وسعنا أن نغير العالم من اليوم . ولكنا هنا في هذا المؤتمر . نحاول أن نجعل عالم الغد عالماً أفضل » ..

هذا ما قاله لي السيد سانتا كروز الأمين العام للمؤتمر العالمي للإصلاح الزراعي والتنمية الريفية . وقد انعقد المؤتمر هذا الصيف في روما . وطلبت مني مجلة « سسم » الهولندية التي تهتم بالبلاد الفقيرة أن أحضر هذا المؤتمر بصفة مراسلة للمجلة . وحضرت معي أمي ..

وعندما دخلنا مكتب السيد سانتا كروز ومعنا اثنان من المصورين قبلني السيد سانتا كروز على الخدين . وقال لي أنه يكبرني بثلاث وستين سنة . وقال المصوران « مرة أخرى » . بل ان أحدهما رقد على الأرض ليلتقط صورة أحسن ..

عندئذ بدأت أجري حديثا مع السيد سانتا كروز . سألته ما الذي يمثله المؤتمر بالنسبة للبلاد الفقيرة ؟ فقال ، « هناك ملايين من الفلاحين لا يملكون ما يكفي من الأرض . ويجب أن يكون لهم أراض أكثر . هذا هو أهم شيء . ويجب أن يكون عندهم أيضا الات . وكل ما يعوزهم حتى الآن ليصيروا مزارعين أكفاء » . فقلت له ، « نعم . ولكن أليس من الضروري أن يتعلموا كيف يستعملون هذه الآلات ؟ » ..

فقال لي السيد سانتا كروز أن هذا بالتأكيد أمر ضروري ؟ وينبغي بالأخص استشارة الفلاحين أنفسهم قبل اتخاذ أية قرارات بشأنهم . مثال ذلك أنه لا يجوز لسكان البلاد الغنية أن يقولوا ، « سوف نعطيكم هذا وذاك » . بل يجب أن يتاح للفلاحين أن يقولوا لنا بأنفسهم ما هم بحاجة اليه . وينبغي من الآن معاونتهم على أن يساعدوا أنفسهم بأنفسهم حتى يستطيعوا في المستقبل الاستغناء من معونتنا . وقال لي السيد سانتا كروز انه يأمل أن يفهم الأطفال الذين سيقرأون مقالي موضوع هذا المؤتمر . وانه من المهم للغاية مساعدة سكان البلاد الفقيرة على أن يحلوا من الآن مشاكلهم . والا فإن الأمور سوف تزداد سوءاً حين نكون قد كبرنا بدورنا ..

بعد ذلك ذهبنا إلى القاعة الكبرى للمؤتمر . وهناك أجريت حديثا مع وزير التنمية الريفية في النيجر . وهذا بلد في اقليم الساحل . وحادثته في خصوص الجفاف في بلده . قال لي ان المطر في بلده قليل غير كاف . فسألته لم لا يروون الأرض هناك . فشرح لي أن هناك ماء كافيا في جوف الأرض . ولكن ليس عندهم الات أو المال اللازم لاستخراج الماء وري الأرض . ولما أردت أن أعرف هل هناك أرض تكفي فلاحي بلده كلهم . أجابني بأن هذا الأمر ليس مشكلة . وأن هناك عدداً كافياً من مدارس الزراعة . المسألة اذن مسألة مال ومعدات ..»

وبعد هذا بقليل . في اليوم نفسه . تحدثت مع شخص من وزارة الخارجية الهولندية . وسألته عما ينبغي لوزير النيجر أن يفعله . فقال انه اذا كانت النيجر تريد الات ومالا فما عليها الا أن تعد برنامجاً وتعطيه لسفير هولندة أو سفير أحد البلاد الغنية . فيبعث السفير بهذه الخطة إلى حكومته . فإذا تبين لهذه الحكومة أن الخطة جيدة حقاً فإن النيجر تتلقى منها مالا والات . ويسير الأمر على هذا المنوال . وفي هذه الأثناء ذهبنا إلى قاعة الصحافة حيث أجري محادثاتي . وكنت قد استعرت مسجل صوت بشريط مغناطيسي « وكاسيت » لا يزيد تخانته على تخانة كتابين صغيرين (من « كتب الجيب ») . وهذا عملي للغاية . ففي أثناء المحادثات لم أكد أكتب شيئا . وكنت بعد ذلك أدون ملاحظاتي وأنا أستمع الى الشريط ..

وفي قاعة الصحافة أراد الكثير من الصحفيين أن يتحدثوا معي . وأخيرا لم أتحدث الا مع بعض محرري صحف الأطفال في البلاد النامية . في غانا . وكينيا . وتنزانيا . والعراق . وكان هذا حسنا للغاية . نعم أعتقد أنه من المهم أن نتحدث الى محرري صحف أخرى خاصة بالشباب . وأن يشرح هؤلاء لقرائهم فوائد المؤتمر . أما بخصوص سائر الصحفيين فلم يكن الأمر معهم يستحق كل هذا الاهتمام . اذ لم يكونوا يريدون الا أن يثرثروا معي لأني كنت أصغر مخبرة صحفية حضرت مؤتمرا للأمم المتحدة . ولأن هذه السنة كانت هي العام الدولي للطفل ..

والمؤتمر نفسه مثير للاهتمام . وكان في مقدوري أن أفهم ما يقوله كل متحدث من خلال سماعات . وكان هناك سبع لغات مختلفة . غير أن المتحدثين لم يكونوا يناقشون الا بضع كلمات أو جمل واردة في نص أعدة السيد سانتا كروز قبل انعقاد المؤتمر ولكي أحيط علما بالمشاكل الحقيقية لم يكن لي بد من أن أتحدث الى الناس في الأروقة . وفي قاعة الصحافة تلقيت دعوة لمشاهدة طائرات « هليكوبتر » زراعية في مساء الغد . وذهبت هناك مع أمي لأننا نملك مزرعة في هولندة . وهذه فرصة طيبة لرؤية الريف حول روما . وقدم لنا طعام العشاء بالمجان .

وفي أثناء هذه الجولة تحدثت الى لفيف من أهالي البلاد النامية وكان هناك سيد من غانا له ابنة في العاشرة من عمرها (في مثل سني تقريباً) . اسمها راماتا . سألني هل أود أن أراسلها . وأعطاني اسمها وعنوانها . يا لها من سهرة وعدنا الى الفندق في الساعة الثانية صباحا ..

وفي المؤتمر تحدثت أيضاً مع مندوبات من منظمات نسوية . شرحن لي أنواعا من الخطط لمساعدة الأمهات والأطفال في البلاد النامية . وهناك سيدة من هيئة الأغذية والزراعة شرحت لنا كل ما فعلته في رواندا . وهي بلد لم أسمع عنه لأني لم أدرس أفريقية في المدرسة . وعلى أية حال فإن الناس في رواندا يعيشون على الفاصوليا . ولذلك ينقصهم الفيتامينات . وكانت هذه السيدة قد ذهبت الى رواندا باسم هيئة الأغذية والزراعة . وشرحت للأهالي هناك أنه يمكنهم أن يأكلوا خضروات أخرى . كذلك فالماء في رواندا ردىء . ويجب غليه قبل شربه . ولكن لما كان هناك نقص في الخشب فان الناس يمرضون ويصابون بكل أنواع الديدان المعوية .

قمنا كذلك بجولة في روما . وشهدنا كنيسة القديس بطرس . والكوليسيوم . والفورم . واشترينا بعض الأشياء ..

وفي آخر يوم عدنا الى المؤتمر . لأنهم طلبوني للظهور في فيلم . واشتغلت أيضا في قاعة الصحافة . وذهبت الى القاعة الكبرى للمؤتمر حيث جلست والسماعات على أذني ..

بعد هذا كان علينا أن نعود مسرعين الى فندقنا حتى لا تفوتنا الطائرة الا أن الطائرة كانت متأخرة . فوصلنا الى هولندة متأخرين . وكان أبي في المطار ينتظرنا منذ أكثر من ساعة ونصف . وهناك تناولنا وجبة خفيفة وكنت أتوق للعودة الى المنزل لأني كنت متعبة ..



من شأن الحاجة الملحة الى التعجيل برفع طاقة الانتاج الغذائي لمواجهة الضغط السكاني المتزايد أن يبرز بقوة ترابط المجتمع البشري العالمي وضرورة التعاون الدولي . ولكن إذا كانت بعض البلاد تتصدى لهذه المشكلة باستخدام تكنولوجيا حديثة مناسبة فإن الأرقام تشهد بتفاوتات دائمة بين البلاد في عالم موزع بين الأغنياء والفقراء . ومن عام ١٩٦٠ الى عام ١٩٧٥ زاد استهلاك الأسمدة في البلاد النامية ثلاثة أضعاف . كما ازداد عدد الجرارات ضعفين . غير أن البلاد الصناعية تستخدم في الوقت الحاضر خمسة أضعاف ما كانت تستخدمه من الاسمدة في الهكتار الواحد من الأرض الزراعية . كما تملك عشرة أضعاف ما تملكه من الجرارات في الاف الهكتارات من الأرض القابلة للزراعة . وفضلا عن ذلك فان على البلاد النامية أن تستورد اليوم أكثر من ٥٠ ٪ من الأسمدة التي تستهلكها .
(الصورة ، المكتب الدولي للعمل ، جنيف)

المحرومون في الارض

يعيش قرابة مليارين من البشر « حوالى نصف سكان الأرض » في المناطق الريفية بالبلاد النامية . وتندرج الأغلبية العظمى من جموع الفلاحين هذه تحت عنوان « فقراء » في الاحصائيات الدولية . كما يعتبر ٨٠٠ مليون من الأفراد « بؤساء » ورغم الجهود المبذولة في التنمية يزداد عدد هؤلاء الفقراء والبائسين كل عام وتنقص معدلات النمو في مجال الانتاج وفي الدخول للفرد الواحد . وبخاصة في البلاد الاكثر فقرا . ويعاني الكثير من البلاد مشاكل خطيرة متعلقة بالبيئة . واذا كان هدف التنمية هو التقدم في جو من العدالة ـ على المستويين القومي والدولي ـ فمن المؤكد أن هذه الجهود لا تتقدم بنجاح .

يتكون هذا المقال من نبذ مأخوذة من تقرير لهيئة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة بعنوان دراسة وتحليل للإصلاح الزراعي والتنمية الريفية في البلاد النامية منذ منتصف العقد السابع وكان هذا التقرير بمثابة وثيقة تمهيدية للمؤتمر العالمي للإصلاح الزراعي والتنمية الريفية الذي انعقد في روما من ١٢ إلى ٢٠ من يوليه ١٩٧٩ ..

وقد بذلت البلاد النامية جهدا عظيما لبناء اقتصادياتها القومية والتحرر من حالة التخلف والتبعية التى ورثتها فى الكثير من الأحوال . وبالنظر الى النجاح الظاهرى للنماذج الخارجية بنوع خاص فقد فضلت هذه البلاد التصنيع وسائر الأنشطة القائمة على المفاهيم الحضرية . والملاحظ اليوم فى كل الأحوال تقريبا أن هذه الأولويات فى موضوع التنمية تهمل فى الكثير من الأحيان قطاع الزراعة .

ولم تزل الهياكل الريفية فى العالم النامى تتميز بالازدواج بين القادرين على الاستفادة من الامكانيات الجديدة المتاحة لهم بفضل التكنولوجيا وبين أولئك الأكثر عددا العاجزين عن ذلك . ومن ثم فهناك من جهة قطاع حديث صغير ونشيط ، مزود بالأرض ، والعلم ، وينتفع فى يسر بالمرافق العامة ، قطاع يتقدم بسرعة كبيرة . ومن جهة أخرى جمهور ريفى ذو أغلبية مطلقة محروم من هذه المزايا ، يعيش خاملا فى الهياكل التقليدية الفقيرة . هذا الوضع يبدو موجودا فى كل المناطق . ويزداد عدد العمال الذين لا أرض لهم بسرعة كبيرة . ويؤدى ذلك الى هجرة هوجاء صوب المدن الكبيرة ، وكذلك الى ظهور طبقة كادحة ريفية وتلعب العلاقات التجارية الدولية دورا رئيسيا فى هذه العملية . وفى العقد الثامن الحالى تدهورت بدرجة ملحوظة قيم المبادلات التجارية فى معظم البلاد النامية التى ليست من البلاد المصدرة للبترول . ومن شأن استمرار التعريفية وغير التعريفية التى تصطدم بها صادرات البلاد النامية ، وبالتالى استحالة الدخول فى الأسواق ، أن عرقل نمو الصناعات الزراعية . وبموازنة ذلك ثقلت وطأة الديون . ولم تنزل المعونة الأجنبية العامة أقل بكثير من مستوى الأهداف التى حددتها البلاد المانحة

ويعزز الاستثمار الأجنبى الخاص بوجه عام أهداف التصدير فى البلد المستفيد ، ولكنه يتركز على تقنيات الزراعة الأحادية ، وهى فى الغالب تعتمد على ميكنة متقدمة للغاية ، وتربط التنمية الريفية برأس المال ، والتكنولوجيا ، والأسواق الأجنبية ، ولاتبالى بالمرة بالتموين الغذائى ، ولا بمستويات الخدمة فى النطاق الوطنى . وفى معظم الأحوال لم يكن من شأن الاعتماد على هذا النمط من الزراعة ـ سواء كانت فى أيدى الأجانب أو مرتبطة بشبكات تجارية أجنبية ـ سوى تفاقم مشكلة العمال الذين لا يملكون أرضا ، كما انه حد من امكانيات توزيع الموارد توزيعا عادلا .

ولسوف يصل عدد سكان الريف فى المناطق النامية الى ٢٨٩٦ مليونا فى أواخر هذا القرن ، رغم الهجرة من الريف ، الأمر الذى نتوقع معه زيادة السكان الزراعيين العاملين بأكثر من مئة مليون شخص . وتتناقص نسبة الأرض للأنسان فى كل الأنحاء ، وتهبط فى العديد من المناطق الى مستوى أقل من هكتار واحد لكل مزارع مشتغل . ويترتب على ذلك زيادة جسيمة فى عدد المزارع الصغيرة غير المثمرة التى لا تكاد تكفى للإعاشة ، ونمو مذهل لعدد الأشخاص الذين لا يملكون أرضا ، أو لا مجال لهم للعمل فى الزراعة .

وتتيح تقديرات الحاجات الغذائية أيضا توقع زيادة خطيرة فى حالة التبعية ، الأمر الذى يتعارض مع أهداف البلاد النامية . وتدل الاتجاهات الحالية فى الطلب والانتاج على أن العجز فى حبوب العالم النامى سوف ترتفع من ١٦ مليون طن فى عام ١٩٧٠ الى أكثر من ٩٠ مليونا من الأطنان فى عام ١٩٨٥ .

واتلاف الموارد الطبيعية فى المناطق الريفية واستنفادها سمة أخرى هامة من سمات هذا العصر . ويبدو أن التوازن البيئى أقل استقرارا فى المناطق الاستوائية منه فى المناطق المعتدلة . وكثيرا ما أدت الحملات التى تشن من أجل زيادة الانتاج الى تفكك النظم الزراعية التقليدية المتكيفة جدا لتحل محلها سريعا فى بعض الأحيان نظم وتكنولوجيات لاتتلاءم مع الأحوال البيئية ، ولا مع الوضع الاجتماعى الاقتصادى . وفى المناطق الاستوائية أدى زوال طبقة الغابات ، وبخاصة فوق الأراضى المنحدرة فى كثير من الأحيان ، الى تآكل خطير فى التربة ، وفيضانات فى المجارى السفلى للأنهار ، وتراكم الرمال فى القنوات . وحدثت الظواهر نفسها بسبب زيادة أعداد الماشية ، فالإفراط فى استغلال المراعى نتيجة لهذه الزيادة قد جرد التربة من غطائها النباتى ، وكان تحول الأرض الى صحراء سريعا ، وظهرت عواقبه الوخيمة بكل أبعادها إبان الجفاف الذى أصاب « الساحل » فى أوائل العقد الحالى (الثامن)

ولم يكن للفلاحين الذين لا سبيل لهم الى الأرض الخصبة مورد للمعيشة سوى زراعة مناطق هامشية ، مما يسهم فى حدوث التحات ، واجتثاث الأشجار ، واستنفاد التربة .



أدى التخلف الريفى والفقر اللذان يسودان الكثير من البلاد النامية الى هجرة موضوية الى المناطق الحضرية . ويبلغ هذا الفقر أبعادا فادحة . ففى عام ١٩٧٢ قدر مكتب العمل الدولى أن ١٢٥٠ مليونا من الأفراد أى أكثر من ربع سكان العالم فقراء للغاية . وأن أكثر من نصف هؤلاء، أى ٧٠٠ مليون بؤساء . وفى السنة نفسها كان ٤٢ ٪ من سكان البلاد النامية فى آسيا . و ٣٩ ٪ فى أفريقية . و ٢٧ ٪ فى أمريكا اللاتينية . يعيشون فى فقر مدقع ويعيش الأغلبية العظمى من هؤلاء الناس فى المناطق الريفية .

(الصورة ، ب . وولف الأمم المتحدة)

ويقدر أنه من الضرورى تحسين حوالى نصف منشات الرى فى البلاد النامية . وكان من نتيجة ملوحة الأراضى وقلويتها وانسدادها ، وهى ظواهر ترتبط كلها بعدم كفاية المصرف ، نقص انتاجية ملايين الهكتارات من الأراضى التى تروى ، وكان لزاما الكف عن زراعة مساحات شاسعة من الأرض .

والشىء الذى يثير القلق أنه قد تبين فى البلاد التى تعانى من هذا البلاء أكثر من غيرها ، والواقعة أساسا فى الشرق الأقصى وأفريقية ، أن المعدل السنوى لنمو الانتاج الزراعى قد هبط من ٢ر٥٪ من ١٩٦١ الى ١٩٧٠ الى ٩ر١٪ من ١٩٧٠ الى ١٩٧٧ . وفى الفترة نفسها زاد عدد السكان بسرعة أكبر ، بحيث أصبح الإنتاج الزراعى بالنسبة للفرد منذ بداية العقد الحالى أقل مما كان فى العقد السابق .

وحديثا أيد عدد من البلاد برامج تتغيا اعادة بناء مناطقها الريفية ، وبخاصة جمهورية ملجاش ، وأثيوبيا التى كانت الملكية العقارية فيها مركزة تركيزاً قوياً ، ونظام المزارعة منتشراً للغاية . ولم تنجز أى اصلاح هام قبل عام ١٩٧٥ حين اتخذت اجراءات جديدة حددت بها عند مستوى شديد الانخفاض الحجم الأقصى للأستغلال الزراعى . وأدت الجمعيات الزراعية التى أستبعد منها الملاك العقاريون الحائزون لأكثر من هكتارين دوراً حاسماً فى اعادة توزيع الأراضى المصادرة . وألغت القنانة (رق الأرض) القديمة ، واكتسب عدد كبير من العمال الذين لا أرض لهم حقوقاً فى الأرض والماء .

وفى الكثير من البلاد الافريقية ، رغم أنه كان ابها منذ عام ١٩٦٥ حركة لصالح الزراعات الغذائية ، تطبق دائماً برامج دعم المنتجات على المحاصيل المعدة للتصدير (كالقطن فى مالى ، والفول السودانى فى السنغال وجامبيا ، والتبغ والقطن فى تنزانيا ، والشاى فى كينيا) وحظى الكثير من هذه البرامج بنجاح مرموق ، واستفاد منها العديد من صغار المستغلين ، كما أسهمت فى رفع مستوى الانتاج ان فحصاً موجزاً لبرامج التنمية فى أفريقية ليبعث على الظن بأن هذا التركيز على الموارد المحدودة والعاملين المتخصصين فى الزراعات التصديرية ، لا يؤدى دائماً الى توزيع عادل للموارد المتاحة مع توفير المؤن الغذائية الكافية للفقراء .

ومع ذلك أثبتت الدراسات المتعلقة بعدة بلاد أفريقية أن صغار المزارعين برهنوا على أنهم أداة فعالة لنشر التجديدات والتنمية الاقتصادية فى البلاد التى توجد بها بيئة ملائمة وحوافز مرغوبة .

وقد لوحظ فى آسيا بعض النجاحات المدهشة . فحيثما كانت التنظيمات الريفية قوية والحكومات صادقة العزم (مثل كيرالا بالهند) حاز الكثير من المزارعين حقوق الملكية وثمة تشريعات صدرت فى أوائل العقد الحالى (فى الفلبين مثلاً) ألغت المزارعة ، وحولت المواكرين الى مزارعين ، ثم قضت بأن يصير المزارعون كلهم ملاكاً بلا قيد أو شرط .

وتستهدف هذه الأحكام الجديدة التى خبرتها الفلبين فى مجال الانتاج تجمع المنتفعين بالأصلاح الزراعى للقيام بزراعات تعاونية ؛ وذلك بادماج ما يتراوح بين عشر مزارع وخمس عشرة مزرعة متجاورة فى وحدة انتاج واحدة تتلقى من أجهزة الحكومة مساعدة فى التخطيط والتمويل .

ولعل تجربة جمهورية كوريا تفيد بلاداً اسيوية أخرى . وكوريا بلد فيه المعامل أرض /إنسان من أقل المعاملات النظيرة لها فى العالم ، ولم يكن الحجم المتوسط للاستثمارات بعد الاصلاح العقارى سوى ٩٠ ر. من الهكتار . وقبل الاصلاح كانت الأرض مركزة فى عدد صغير من الأيدى ، وتؤجر أساساً بوحدات صغيرة . وصدر الاصلاح العقارى فى عام ١٩٥٢ ، فمنح المستأجرين السابقين ملكية الأرض ، وجعل حداً أعلى للمزرعة ثلاثة هكتارات . وعلى هذا يتكون المجتمع الريفى الآن من صغار الملاك الزراعيين ؛ وزاد محصول الأرض من ٢ ر٢ طن للهكتار الواحد فى السنوات ١٩٥٢ ـ ١٩٦٥ الى ٦ ر٤ طن فى سنة ١٩٧٠ . ولم تزد حالة الفقراء سوءاً ، ووزعت مكاسب النمو توزيعاً عادلاً .

والأرض فى جمهورية الصين الشعبية ملك جماعى للشعب . وعلى ذلك اختفت المزارعة باعتبارها مصدراً للدخل ، وانعدام المساواة والنفوذ ؛ كما زالت مشكلة العمال الذين لا يملكون أرضاً ، والمزارع التى لا تربح . تلك المشكلة التى تعانيها بلاد أخرى بعد اعادة توزيع الحقوق العقارية .

◀ ولما كانت الارض وسائر وسائل الانتاج ملكا مشتركا فان الوحدة الزراعية الاساسية هى فرقة العمل أو الانتاج ، وتضم ما بين ٢٥ أسرة و ٣٠ أسرة . وتختلف المساحة المستغلة من بلد الى أخرى ، ولكنها لا تتجاوز فى معظم الأحوال ما بين ٢٥ هكتارا و ٦٠ هكتارا ، الامر الذى يسمح بتحقيق اقتصاديات متدرجة فى النظام الصينى ، دون استبعاد الفلاح من نظام المشاركة .

وتخصص البلدة (أو القرية) ما بين ١٤٪ و ٢٤٪ من الدخل الصافى من انتاجها الزراعى لاستثمارات فى الزراعة ، والغابات ، وصيد الأسماك ، ولتحويل المحاصيل الزراعية . وثمة صندوق اشتراكى يمول الأنشطة الاجتماعية الثقافية ويكافأ العمل حسب نظام « نقاط » العمل الفردى .

ولما كان كل عضو فى الجماعة يهتم بعائد الأعمال التى تؤدى فى المزرعة وفى خارجها فان هذا الاهتمام يحفز الأعضاء على القيام بأعمال بناءة ، ويسهل تعبئة اليد العاملة الجماعية للرى واستصلاح الأراضى . وقد أسهمت مشروعات البناء التى تتغيا تحسين الأراضى الزراعية والتى نفذتها « الكوميونات » وفرق العمال خلال السنوات الماضية اسهاما كبيرا فى معالجة الجفاف ، وانسداد التربة ، والكوارث الطبيعية .

وفى كوبا ، قبل الثورة ، كان أكثر من نصف الأراضى فى أيدى كبار الملاك الكوبيين أو الأجانب . ويتكون قسم كبير من هذه الاراضى من مزارع قصب السكر ، وهى ملك للأجانب . وكانت المزارع شديدة الاختلاف فى قيمتها ، غير أنه كان من أصعب الأمور معرفة هل من الأوفق اعادة توزيع الأراضى على العمال المعدمين أو عدم توزيعها . وبعد تجربة قصيرة بالجمعية التعاونية قررت الحكومة استغلال الملكيات الكبيرة باعتبارها مزارع تابعة للدولة . وفى عام ١٩٦٥ كان ١٠٪ من الاراضى الزراعية قد أصبحت مزارع تابعة للدولة فى حين أصبح العمال اجراء . وفى القطاع الخاص تجمع صغار المستغلين وكونوا رابطة قومية ، وأنشأوا جمعيات تعاونية للخدمات . وظلوا ملاكا للارض بصفتهم الفردية ، ولكنهم أصبحوا بصفتهم الجماعية ملاكا لمنشآت الرى ، والالات الزراعية ، وحظائر التخزين والتجفيف . ويعتمد التنظيم على المال الذى يحصلون عليه بصفتهم الجماعية .

وهكذا تفرض اعادة توزيع المزارع الخاصة فى كل انحاء العالم نفسها باعتبارها اصلاحات عاجلة جدا ، ولكنها أيضا اصلاحات صعبة جدا لان تنفيذها يتطلب قرارات سياسية هامة ، ومساندة شعبية كبيرة . وفى عدد كبير من المجالات لا يتسنى اعادة توزيع الاراضى دون اجراء تعديل دستورى ، وسن تشريع يستوحى مثلا أعلى من المساواة والعدالة الاجتماعية ، وادارة فعالة ، واجراءات مالية ، وتقنية جديدة لضمان تنفيذ قوانين الاصلاح . غير أنه مازال هناك فى البلاد النامية عقبات بنيوية أساسية لا تتوافق مع أمانى السكان فى الوقت الحاضر ، ويجب ازالتها اذا أريد اجراء اصلاحات على نطاق واسع .

وحتى اذا لم تكون هناك مثل هذه العقبات فان تنفيذ الاصلاحات العقارية قد اصطدم بمشكلة خطيرة تقوم على غموض روح التشريع ونصه . ففى الكثير من الاحيان لم توضع القوانين بغرض تحقيق الانصاف والعدالة الاجتماعية . من ذلك مثلا أن القوانين التى سنت فى أمريكا اللاتينية فى العقد الماضى لتقنين الحد الأعلى للمنشآت الزراعية قد شجعت فى الكثير من الأحيان على ادخال التقنيات الجديدة فى المزارع الكبيرة ، مما نقص عدد العمال ، وأتاح للمنشآت أن تستوفى الشروط اللازمة للافلات بطريقة مشروعة من نزع ملكيتها . وأستمر ملاك الأراضى يمارسون نفوذا سياسيا جسيما ، كما تركت القوانين القائمة على مفهوم المنفعة الاجتماعية مجالا كبيرا للمناورة على المستوى القانونى . وبناء على ذلك لم يتأثر بهذه القوانين غير القليل جدا من الاراضى ، أما الأراضى التى نزعت ملكيتها فانها اراض هامشية تتطلب استثمارات عامة ضخمة .

وفى عدد من الحالات عرقلت الجهود المبذولة لتوزيع حقوق الارض والماء قلة الاعتمادات المالية لسداد أثمان الأراضى المنزوعة ملكيتها والمصروفات الادارية . واذا كان بعض الحكومات قد تغلب على هذه الصعوبات المالية بمصادرة الاراضى والموجودات الاخرى فثمة حكومات أخرى ابتكرت نظما للتعويض تقضى بتسليم سندات على الدولة أو قيام الذين يتسلمون الأراضى المنزوع ملكيتها بالوفاء بالالتزامات .

والنظم الزراعية هى محصلة مجموعة من العوامل ، من الاراضى الموجودة ، ونوعية التربة ، والموارد المالية ، ومتطلبات المناخ ، وعدد السكان وتوزيعهم ، وامكانية استخدام العمال خارج المنشآت ، ودرجة نمو القطاعات الاخرى ، والقيم السياسية والاجتماعية ، والعادات والتقاليد ... الخ . وليس فى الامكان أن يكون هناك نموذج واحد للبنيان الزراعى . ورغم هذه التنوعات فهناك عدد لا بأس به من النقاط المشتركة . ويبدو من المؤكد أن أغلبية المشاكل قابلة للتحسين او الحل باصدار قرارات او اجراءات ذات صفة اجتماعية .

وكان أكبر معدلات النمو فى قطاع المنتجات التصديرية ، لا فى الزراعات الغذائية التى يتولاها أساسا صغار المزارعين ، مثال ذلك فول الصويا (وبخاصة فى الارجنتين والبرازيل) ، وزيت النخيل فى ماليزيا ، والشاى فى كينيا . أما الحاصلات الغذائية الرئيسية كالأرز ، والذرة ، والدخن ، والذرة البيضاء ، والجذور النشوية ، وبنوع خاص القرنيات ، فان انتاجها لم يتقدم الا ببطء ، ومع ذلك فان انتاج القمح فى الهند بمقدار ٨ر٣٪ فى العام فى السنوات ١٩٧٠ ـ ١٩٧٧) ، وانتاج الأرز فى باكستان (+ ٩ر٣٪ فى السنة) هما استثناءان جديران بالتنويه .

وتركزت برامج التنمية الكبرى فى الشرق الاقصى منذ منتصف العقد السابع فى التقنيات الجديدة التى تتغيا زيادة الحاصلات الزراعية ، المعروفة باسم « الثورة الخضراء » ، وتعتمد على استعمال أنواع جديدة مرتفعة الانتاج ، ومع ذلك ، ولأسباب عديدة ، لم تأت الثورة الخضراء بغير فوائد محدودة لجمهور صغار المستغلين والمزارعين والعمال الذين لا يملكون أرضا ، فهى لا تطبق فى الوقت الحاضر على بعض الزراعات ، كزراعة الجذور النشوية والقرنيات ، وهى مصادر هامة لغذاء المجموعات الفقيرة من السكان ، وليس فى وسع صغار المستغلين بعامة تحسين وسائل الرى عندهم لاستخلاص أكبر فائدة من امكانيات التقنيات الجديدة .

وقد تزيد الثروة الخضراء من سعة الهوة التى تفصل بين الأغنياء والفقراء . وحتى فى بعض أجزاء أفريقية التى كفل النظام العقارى التقليدى فيها وقاية من مثل هذا التطور ، فان التغيرات التى جرت فى النظام الاقطاعى العرفى لمنفعة المصالح العقارية الفردية قد أدت الى تعديلات جوهرية فى الترابط التقليدى الذى يميز المجتمع ، مما يتيح لبعض الافراد ذوى الامتياز أن يجمعوا الثروات ويعززوا نفوذهم .

وهكذا لم يزل التفاوت المذهل فى توزيع الحقوق العقارية مشكلة رئيسية فى معظم البلاد النامية . وتتجلى هذه الاتجاهات بصورة أشد تركيزا فى البلاد الأكثر فقرا . ففى بنجلاديش ، بين عام ١٩٦٠ وعام ١٩٧٠ زادت نسبة المزارع التى تقل عن هكتار واحد من ٥٢٪ الى ٦٦٪ ، وفى الهند من ٤٠٪ الى ٥١٪ وفى أمريكا اللاتينية استثارت زيادة الملكيات الزراعية الصغيرة « مينى فونديا » وما يترتب عليها من استفحال الفاقة هجرة السكان من المناطق الريفية الى الأكواخ الحقيرة فى المناطق الحضرية . وفى العراق تمثل المزارع التى تقل عن ٥٤ هكتارا ٥١٪ من مجموع الملكيات الزراعية . وتقدر نسبة المزارع التى تقل عن هكتار واحد فى أفريقية ، فى غانا وليبيريا وملاوى على التوالى ، ب ٣٨٪ ، و٥٢٪ ، و٣٩٪ من المجموع .



شبكة الخطوط التى تضفى على هذا المنظر المرئى من طائرة مظهرا هندسيا هى صورة لمزارع نخيل للبلح على ضفاف الفرات ، جنوبى العراق .
(الصورة ، جورج جيرستر ـ رافو ، باريس)

وفى أمريكا اللاتينية ، حيث الأغلبية العظمى من الأراضى فى حوزة كبار الملاك ، بذلت جهود لمساعدة أهل الريف الفقراء باصدار تشريع بشأن الايجارات ، ولكنها لم تسفر الا عن نتائج طفيفة .

وتراءى للكثير من البلاد أنه من الأجدى تحديد مساحة الملكيات الكبيرة ، وذلك بمساهمة جمعيات المزارعين مساهمة مباشرة فى بعض الأحيان . ورغم انجازات الإصلاح الزراعى فى بعض البلاد ـ فى بيرو ، وشيلى ، والمكسيك ـ لم يزل ٨٥ مليونا من الأفراد ، أى ٧٠٪ من السكان الزراعيين فى أمريكا اللاتينية ، فى عام ١٩٧٨ ، يعيشون فى مستوى الكفاف . أما كبار الملاك ، ويمثلون اثنين فى المئه من مجموع السكان الزراعيين ، فقد بلغ متوسط دخل الفرد منهم حوالى ٢٥٦٠ دولارا فى هذه السنة ، وكانوا فى عام ١٩٧٣ يسيطرون فى المجموع على ٤٧٪ من الأراضى الزراعية ، فى حين لا تملك جموع المحرومين سوى ٥ر٢٪

وتتجلى فى أغلبية بلاد الشرق الأدنى سمات متميزة ، وبخاصة جدب الاراضى ، ووجود قانون عرفى يجند التجزئة والبداوة ، وكلها عوامل تؤثر فى توجيه الاصلاح والتوزيع . وقد بدأت حركة الاصلاح التى تتغيا توزيعا للأراضى أكثر عدالة ، مع برامج اصلاح النظام العقارى التى أدخلت فى مصر عام ١٩٥٢ ، وفى العراق وسوريا عام ١٩٥٨ ، وفى ايران عام ١٩٦٢ ، بقصد نزع ملكية الأملاك الكبيرة ، وتحطيم القوة الاقتصادية والسياسية التى يملكها كبار الملاك ، وتعزيز سيطرة الطبقات الفقيرة على الأرض .

وفى معظم بلاد هذه المنطقة بذلت جهود لتحسين حالة الأرياف عن طريق خطط خاصة بالرى على نطاق واسع ، أعطت نتائج متنوعة . فقد استخدمت مصر مياه السد العالى ، ففى نهاية عام ١٩٧٦ زرعت ٣٨٠٠٠٠ هكتار ، منها ١٠٠٠٠٠ وزعت على أسر لا تملك أرضا ، وذلك فى اطار مشروعات التمليك المخطط ، بتكلفة متوسطها ٧٠٠٠ دولار للأسرة الواحدة .

وأعدت أفغانستان ، وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، والأردن ، وليبيا ، ومصر ، وبلاد أخرى ، خططا لتوطين البدو الرحل وقامت جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية أخيرا بتنفيذ مشروع للتنمية التكاملية لتحسين مستوى الحياة لدى البدو ، وأهدافه الرئيسية حفر الآبار ، وتحسين حالة المراعى ، والوراثيات الحيوانية ، والخدمات البيطرية ، وانشاء قاعدة اجتماعية اقتصادية وادارية وتنمية هذه القاعدة .

وما تم فى الجزائر يستحق منا كل اهتمام ، ذلك أن الأراضى التى كانت فى الأصل فى أيدى ملاك أجانب قد أعيد تجميعها وتنظيمها فى وحدات من الادارة الذاتية ، متوسط مساحة الوحدة حوالى ١٠٠٠ هكتار . ويقدر البرنامج انقلابا جوهريا فى مظهر الزراعات ليتوصل الى الحد من تأثيرات الأسواق الخارجية (كسوق النبيذ مثلا) على الانتاج القومى . وألغيت بالفعل الملكية العقارية التغيبية (فى الزراعة ، المزارع بالتوكيل) . ووضعت حدود قصوى لمساحة الملكيات الزراعية . أما الأراضى الزائدة فكان لزاما الحاقها بالجمعيات التعاونية المتعددة الاختصاصات .

موسيقى بلاد الخليج العربية

بقلم : حبيب حسن توما

في عصر تختفي فيه الموسيقات التقليدية في الكثير من أنحاء العالم في طيات النسيان بقيت حية الأشكال الموسيقية القديمة في المناطق الساحلية بالخليج ، ذلك البحر القليل العمق الواقع بين شبه الجزيرة العربية وايران ، بل يطرأ عليها أيضا بعض التجديد . فالبحارة ، وبدو الصحراء ، والفلاحون ، وأصحاب الحرف ، والقرويون ، وسكان المدن ، وكذا الوافدون من بلاد أخرى ، كل هذه المجموعات لها موسيقى خاصة بها ، تنبع من الحياة اليومية ، والحرف ، والثقافة وفي هذه المجموعة الغنية تشغل موسيقى إفجيرى المذكورة في المقال التالي مكانة هامة . وتعرض الصور المنشورة في هذه الصفحة والصفحتين التاليتين بعض العازفين الذى يعملون في العالم الحديث على إحياء مختلف التقاليد الثقافية . ولمة تنوع يشهد به التناقض بين الحركات الرقيقة المضبوطة التي يؤديها عازف طبلة الافجيرى بادناه ، وبين حماسة العازف الذى يبدو إلى اليسار .

حبيب حسن توما ، عالم في الموسيقى ، وصاحب العديد من المؤلفات في الموسيقى العربية . ولد بالناصرة عام ١٩٣٤ . ويتولى منذ عام ١٩٦٩ تدريس تاريخ الموسيقى العربية في الشرق الأوسط بجامعة برلين الأهلية . وهو عضو في المعهد الدولي لدراسات الموسيقى المقارنة . ويتولى إدارة مهرجان الموسيقى التقليدية الذى ينظمه هذا المعهد في برلين كل عام .

مدى أربعة آلاف سنة اشتغل صائدو اللآلىء في على البحرين بحثا عن الثروات التي تغطى أغوار الخليج الذى تغمر مياهه سواحل شبه الجزيرة العربية وايران . وثمة لويحات سومرية تذكر « جزيرة دلمن » الواقعة في « البحر السفلى » ، وهو اسم كان يطلق في قديم الزمان على مياه الخليج ومن



المحتمل أن تكون « عيون سمك دلمن » التي يشير إليها نقش أشوري هى لآلىء البحرين .

وصيادو اللآلىء ، مثلهم مثل جميع بحارة العالم ، يحبون الغناء وهم يشتغلون . وقد ولّد هذا التقليدُ على مر العصور موسيقى من نمط طريف ، « الإفجيرى » وأداء هذه الموسيقى ، وهى في أساسها غنائية ، مقصور على الرجال . ولهذه الموسيقى ذخيرة « ريبرتوار » كبيرة ، وهى منتشرة على سواحل البحرين وقطر .

ولكل عملية تؤدى على سطح المركب غناء خاص يصاحبها « فالخراب » يغنى عند رفع المرساة ، و« المجداف » مع تجديف البحارة ، و« الباصح » و« الجيلامى » مع رفع الشراع وللعملية التي تؤدى تأثير مباشر على البناء الموسيقى للأغنية مثال ذلك أن « الخراب » ينشده مغن منفرد بطبقة مرتفعة ، في حين تصدر الجوقة التي تتكون من سائر البحارة صوتا كاللحن ، منخفضا أو كتافين ، يقطعونه بفواصل منتظمة ، بزفير قوى يقابل اللحظات التي يتوقف فيها الرجال وهم يرفعون المرساة .

وتصف كلمات الإفجيرى الحياة الشاقة التي يعيشها صيادو اللآلىء ، وأخطار البحر ، وأغواره ، وفرحة اللقاء بالأسرة ، وتذكر كثيرا اسم الله ، ومحمد ، وعلى .

وتتكون الأفجيرى ، من الوجهة الموسيقية ، من متوالية من المقاطع التي يترنم بها مغن منفرد وجوقة من الرجال . والبناء الإيقاعى الذى يصاحب الجزء الغنائي يضفى على كل مقطع طبيعته الخاصة واسمه . والإيقاع الذى يشكل قاعدة المقاطع الثلاثة الأولى يجب أن يطور أثناء الأداء في عدة أشكال تتميز بوضوح . أما الأجزاء التالية فإن لها بناء إيقاعيا واضحاً كل الوضوح وأشكالا موجزة .

والصائدون لا يغنون الافجيرى وحدها أثناء إقامتهم الطويلة في البحر . وعلى اليابسة يتقابلون مرة واحدة كل أسبوع في « الدار » الشعبية ، ليشربوا الشاى ، ويدخنوا ، ويتناقشوا ،ويغنوا ، ويرقصوا . وفي القرن الماضى كان هناك مئات من هذه الدور على سواحل الخليج . على أن عددها تناقص كثيرا منذ ذلك الحين . وتتميز كل دار بنمط خاص من « الموسيقى البحرية » (فنون البحر) ، ومهارة المؤدين ، ومدى ذخيرة المغنى المنفرد .

وتؤدى الإفجيرى بالآت الايقاع وحدها ، فمنها الطبول ذات الغشائين (طبل ومرواس) ، وطبول ذات إطار مبسوط وغشاء واحد (طار) وجمعها طيران) ، وصنوج معدنية صغيرة (طس) ، وأباريق ماء (جاهلة) . والطبلة القريبة الشبه من ال « بخواجى » الهندية تعلق على الصدر والكتف ، وتقرع إما باليد ، أو بمقرعة صغيرة من خشب النخل . والمرواس طبلة أصغر حجما (انظر الصورة صفحة ٢٨) ، ويستعمل أربع أو خمس منها لأداء الإفجيرى . و« الطار » الذى يبلغ قطره سبعين سنتيمترا له غشاء مزين في الكثير من الأحيان بأسماء ، وأزهار ، وهلال .

(الصور : كارلوس سالدى . بارس)

وقبل العزف توضع « الطيران » في دائرة وتدفأ ليزداد شد الجلد . أما « الجاهلة » فإنها قدر ماء ارتفاعها حوالى ٦٠ سنتيمترا . ويقرع على فتحتها براحة اليد . ويمكن تعزيز الصوت الخافت بصوت آخر يصدر بحك جانب القدر . ويتعلم صائدو اللآلىء الإفجيرى من آبائهم الذين يتسلمون بدورهم من الأجيال السابقة ومع ذلك فان صائدى لآلىء البحرين يروون أسطورة تحكى مصدرا مختلفا لهذا الشكل الفنى .

« كان هناك ذات مرة ثلاثة أصدقاء . اثنان منهم قادمان من جزيرة المحرق والثالث من المنامة (البحرين) وكان من عادتهم أن يذهبوا خارج المدينة إلى موضع يسمى « أبو صبح » حيث يغنون دون أن يزعجوا الجيران أو يزعجهم أحد وذات يوم . إذ هم ماشون إلى « أبو صبح » مارين أمام مسجد قائم هناك على الدوام . سمعوا غناء غريبا خيل إليهم أنه آت من الداخل . وثار فضولهم وأرادوا أن يروا المغنين عن كثب . وبينما كان الأصدقاء الثلاثة يدخلون المسجد استقبلهم وابل من الحجارة . وفي فناء المسجد رأوا صفا من أشخاص جالسين . نصفهم الأعلى آدميون حتى الخصر ، ونصفهم الأسفل حمير . وسألت أحد هذه المخلوقات الشبان ، « أأنتم بشر أم من الجان ؟ » فأجابوا أنهم بشر ، بل بشر طيبون للغاية . ولا يريدون بهم شرا ، بل يودون أن يمضوا السهرة في الاستماع إلى أغانيهم فقط . فطلب أحد المخلوقات إلى الأصدقاء الثلاثة أن لا يفصحوا عما « بقلوبهم » أى لا ينطقوا بالآيات الثلاث الأولى من القرآن ، والا اختفت المجموعة ، الأمر الذى دل فعلا على أنهم من الجان ، لأن الجان يختفون بمجرد سماعهم اسم الله .

وعلى ذلك جلس الشبان الثلاثة بجانبهم حتى يحفظوا عن ظهر قلب أغانيهم ـ الإفجيرى ـ بعد أن وعدوا بأن لا يحكوا ما رأوه وسمعوه في أثناء هذه السهرة لأحد ، والا هلكوا . ومن ذلك اليوم جعل الأصدقاء الثلاثة يتقابلون سرا في جبانة ليغنوا الإفجيرى . وبعد انقضاء عدة سنوات توفى اثنان منهم وعندما شعر الثالث ، وهو القادم من المحرق ، بدنو أجله دعا اليه أسرته وأصدقاءه وروى لهم ما حدث مع الجان في تلك الليلة البعيدة ،وأنشد لهم الإفجيرى ، وللحال حفظها الآخرون ، واستمر الناس من ذلك الحين يغنونها » .

وقد أدت المنافسة المتزايدة من جانب صناعة اللآلىء المزروعة الى بوار صيد اللآلىء في الخليج . ولكن موسيقى صيادى اللآلىء في الخليج مازالت حية بين تقاليد الموسيقى العربية العظيمة .

موسيقى بلاد الخليج العربية .

بفضل المساهمة المالية التى قدمها الصندوق الدولى للنهوض بالثقافة نفذ برنامج لتسجيل الموسيقى التقليدية في دول الخليج العربية تحت ادارة لجنة تنسيق الخدمات الدولية التطوعية . وقد تولى هذا التسجيل ، الذى بلغت جملته خمسا وعشرين ساعة من الموسيقى ، الموسيقار بولس مطر . أما التحقيقات الفوتوغرافية فانها من صنع كارلوس سالدى .

وسوف يقدم عرض سمعى بصرى لهذه الأعمال في نطاق المؤتمر الذى تشترك فيه الحكومات بشأن السياسات الثقافية في الدول العربية ، والذى تنظمه اليونسكو في العام القادم في تونس .

الوفاق الزوجى ، هو موضوع الاغنية التى تؤديها هذه المجموعة من العازفات (الى اليسار) ، وتتكون من نساء فقط ، وتعمل في حفلات الزفاف وسائر الحفلات العائلية الكبيرة ، حيث حيث يعزف النساء موسيقى ذات ايقاعات بارعة مع دق « الطار » وهو طبلة ذات غشاء واحد مزين في الكثير من الأحياء بأسماء وازهار وهلال .

حوافر الماعز ، وحركات ايقاعية تؤديها الأرداف ، تشترك في تكوين الـ « مانجور » (بأدناه) وهى آلة من آلات القرع الشديدة الطرافة في الخليج فحوافر الماعز المثبتة بينما يشبه التنورة القصيرة تتصادم حين يهز المؤدى وركيه على نغمات عود ذى ستة أوتار « الطنبورة » فيصدر من تصادمها طقطقة موسيقية لطيفة غير مألوفة .









منارة «جام» اليونسكو تسهم فى ترميم أثر أفغانى

بقلم : أندريا برونو

فى باطن الجبال الجرداء بوسط أفغانستان ، على ارتفاع ١٩٠٠ متر ، يرتفع عند ملتقى واديين ضيقين ومنخفضين منارة فخمة من القرن الثانى عشر . ومع أن هذه المنارة تشرف من ارتفاع حوالى سبعين مترا على السيلين اللذين يتلاليان عند قاعدتها فانها تبدو ضئيلة الى جانب الجبال المجاورة التى يبلغ ارتفاعها قرابة ٣٢٠٠ متر ، الأمر الذى يزيد أيضا من عزلتها ، ويجعل الوصول اليها أمرا عسيرا .

ولم يعرف المؤرخون وجود هذا الصرح المهيب الا منذ خمس وثلاثين سنة فقط فقد اكتشف موقعها فى عام ١٩٥٧ بالقرب من قرية جام الحالية فريق من الأخصائيين الذين اعتقدوا أنهم وجدوا فى هذا الموقع مدينة فيروزكو ، العاصمة الأسطورية للسلاطين الغوريين الذين حكموا أفغانستان من عام ١١٠٠ الى عام

أندريا برونو ، مهندس معمارى ايطالى ، واستاذ بكلية الهندسة المعمارية بجامعة تورين حيث يدرس فن ترميم الآثار . وقد أجرى العديد من أعمال البناء والترميم فى ايطاليا وأفغانستان والعراق . ونشر العديد من المؤلفات . وكان مستشارا لبرنامج اليونسكو للحفاظ على قلعة ومنائر هيرات بأفغانستان . ومنارة جام .

برج مائل ، فخم ، ومنعزل

ثمة زخارف من لبنات تزين نقوشاً قرآنية على منارة جام (الى اليمين) المبنية منذ ثمانية قرون تقريبا فى هذه القلعة الطبيعية التى التى تشكلها جبال وسط أفغانستان . ويبين منظر جوى رائع (بأسفل) المظهر العظيم للموقع وعزلة المنارة التى لا تكاد تظهر فى أسفل الركن الأيسر للصورة . وتقع المنارة فى الموضع الذى يتلاقى فيه النهر الذى يقطع الصورة أفقيا مع سيل منحدر من واد خفيض (الظل الشديد القتامة فى أسفل الصورة) . ونتيجة لجرف المياه تميل المنارة ميلا واضحا من أحد جوانبها . وتنظم اليونسكو بالتعاون مع حكومة الأفغان عملية انقاذ يخضها هاهنا المهندس المعمارى المسئول أندريا برونو . والى اليسار قطاعان ، رأسى وأفقى ، مرسومان بمقياس الرسم ، يوضحان عناصر المشروع .
(الصورة : أندريا برونو ، تورين ، ايطاليا)

١٢١٥ . ومنارة جام هى الأثر الوحيد الباقى من مجموعة تحصينات تشغل موقعا استراتيجيا يتحكم فى وادى نهر « هارى رود » أكبر النهرين اللذين يلتقيان عند قاعدتها . فهى شاهد نادر المثيل لنظام حكم أسرة الغوريين القصير العهد .

والمنارة مبنية بالآجر المثبت بالملاط . مزينا بنقوش قليلة البروز ، ترسم فيها اللبنات حسب وضعها زخارف هندسية بارعة ، وتصور بالخط الكوفى آيات قرآنية . غير أن النقش الرئيسى يشكل إفريزا أزرق باهتا ، ويشيد بذكرى السلطان الغورى الذى شيد البناء وحكم اربعين سنة متصلة . ويقول النقش « السلطان المعظم ، صاحب الجلالة ملك الملوك ، غياث الدنيا والدين الذى مجد الإسلام والمسلمين ، عبد الفتاح محمد ، ابن سام ، شريك أمير المؤمنين ، أدام الله ملكه » .

وللمنارة قاعدة دائرية قطرها عشرة أمتار ، تستدق بالتدريج كجذع المخروط حتى إرتفاع ٤٠ مترا حيث تبرز شرفة خارجية (أنظر الرسم) . ومن هناك يبدأ القسم الثانى ، ومقطعه أضيق من سابقه ، وقاعدته قطرها ثمانية أمتار ، ويستمر هذا القسم على شكل جذع المخروط . وبداخل القسم الأول سلمان يلفان بشكل حلزونى حول عمود من بناء الطابق الثانى .

وقد تزعزع بنيان المنارة بتأثير جرف المياه ، فأصبح البرج مائلا من ناحية وادى هارى رود وتلف بناء الأساسات تلفا شديدا . ويحيط بالقاعدة أنقاض متخلفة من الانهيارات تسد المدخل الأصلى .

وفى عام ١٩٦١ وضع أول تقرير عن حالة المبنى ، وقدمت بعض المقترحات لترميمه ، أو على الأقل وقايته من التآكل بفعل المياه . وبعد سنتين ، وبمعونة أهالى قرية جام ، بنى جدار داعم بناء ارتجاليا من خشب وحجارة عند قاعدة المنارة من ناحية وادى هارى رود ، ولم يزل هذا البناء الى اليوم هو الوقاية الوحيدة لهذا الصرح الأثرى .

وفى يونيه ١٩٦٤ أعدت خطة للعمل ، نصت على تحليل عينات من الآجر والملاط ، وسبر الأساسات ، ودعمها بالركائز ، وترميم الطلاء الخارجى ، وكذا اعداد تقارير أثرية .

وتبين أن تحقيق هذا البرنامج على مدى قصير أمر مستحيل ، فقد عرقل تنفيذه كثير من الصعوبات العملية ، أولها نقل المواد والمعدات الى موقع لا يمكن الوصول اليه الا سيرا على الأقدام أو على ظهور الخيل . غير أن بناء طريق صالح لسير المركبات فى السنوات الأخيرة قد أتاح اتخاذ إجراءات فعالة لترميم المنارة .

وفى عام ١٩٧٤ ، وبناء على طلب حكومة أفغانستان ، تولت اليونسكو دراسة المشروع من جديد . ففى مرحلة أولى ، فى صيف عام ١٩٧٨ ، مولت المنظمة خطة عاجلة . وبدأت العمليات فى ٢٠ من أغسطس ، فبنيت ركيزة من أقفاص معدنية مملوءة بالحجارة ، وجعلت بمثابة سد لحجز المياه . وأتاح هذا البنيان الأولى اجراء عمليات سبر فى الأساسات ، والبدء فى رفع الأنقاض التى تغطى قاعدة المنارة .

وتبين أن إنقاذ المنارة مشروع شاق . فبالاضافة الى المشاكل التى يثيرها نقل المواد والمعدات ، والاقامة

ورشة تصير في مثل هذا المكان النائي ، فانه لا يسمح المناخ ولا الموقع الجغرافي بالعمل الا بضعة شهور في السنة . ثم إن هذه المنطقة معرضة للزلازل بدرجة تتطلب الاهتمام عند دراسة موضوع وقاية الصرح .

ولتوطيد الصرح في وضعه الحالي ينص المشروع على بناء حزام من الخراسانة المسلحة حول الأساسات . ويتصل بوساطة عناصر ذات درجة كافية من المرونة بحوض من الخراسانة المسلحة أيضا يثقل بناء النهر . ويصمم بكيفية يمكن معها أن يوازن أي ميل إضافي (انظر الرسم) .

وروجع مشروع التثبيت هذا بوساطة عقل الكترونى تبعا لحالة المنارة في الوقت الحاضر ، ونشاط الزلازل في المنطقة . وأيدت النتائج صواب فكرة إقامة حوض ذى مرسى مطاط .

ويتوقف تنفيذ المشروع على مجموعة من العمليات المعقدة التى يتعين إجراؤها في ظروف عسيرة بنوع خاص . ففى عام ١٩٧٨ تطلب مجرد نقل المعدات اللازمة للأعمال العاجلة التى أعدتها اليونسكو الى المنارة فصلا كاملا .

وفي مرحلة ثانية ستجرى عمليات جس يتحدد بها أبعاد الأساسات وطبيعتها . ويفتح مدخل المنارة . ويضبط تصريف مجارى المياه ومستواها بالنسبة الى الأساسات .

وستجرى أعمال تنقيب في مساحة نصف قطرها حوالى أربعين مترا حول الصرح بقصد دراسة تكوين التربة دراسة علمية دقيقة . وإماطة اللثام عما يكون بباطنها من مخلفات أثرية قد يؤدى اكتشافها الى اجراء تعديل جزئى في أعمال الترميم . وبعد ذلك تدعم القاعدة ويرمم البناء الحجرى قبل بناء حزام الخراسانة المسلحة . وتتوقف أبعاد هذا الحزام على البيانات التى تتضح من فحص متانة الأساسات . ويمثل هذا البناء آخر خطوة في الترميم . وفي هذه المرحلة يصير في الإمكان ترميم الزخرف الخارجى للمنارة . الأمر الذى يستلزم إقامة سقالة معدنية وهى عملية لا يتسنى تنفيذها في الحالة الحاضرة .

أما الدعامة الخراسانية المسلحة التى ستبنى على المستوى القديم للارض (حوالى ٢٫٥ متر تحت المستوى الحالى) فانها ستبقى ظاهرة للعيان إذا أمكن نقل الحجارة التى تراكمت هناك وابعادها . فاذا لم يتيسر ذلك فسوف تغطى الدعامة بالتراب ، وعندئذ تتجلى مجاورات المنارة بالمظهر الذى تبدو به في الوقت الحاضر .

ومنارة جام صرح أثرى له أهمية تاريخية ومعمارية نادرة . وبفضل الاهتمام الذى تبديه حكومة أفغانستان واليونسكو بالحفاظ عليها فإنها سوف تشرف على الدوام على الوادى الذى شيدت فيه منذ ثمانية قرون من أجل الدفاع عنه .

رسائل القراء

ترحب « رسالة اليونسكو » برسائل القراء وترجو أن ترسل بعنوان « رئيس تحرير مجلة رسالة اليونسكو ، بلاس دى فونتنوى ، ٧٥٧٠٠ ، باريس ولن تنشر المجلة سوى الرسائل الموقع عليها بأسماء أصحابها .

الزمن الذي لا يذكر :

اننى معجب بمؤلفات البروفسور ايزاك أسيموف (مؤلفات البروفسور اينشتاين بلاشك) . ولكنى ـ مع احترامى له ـ أختلف معه حول نظرية الزمن التى أوردها في ص ٩ و ١٠ من رسالة اليونسكو ، عدد يوليه ١٩٧٩ .

أورد أسيموف رسما بيانيا لساعة تشير الى أن الوقت هو الساعة ٢ عند النقطة (ا) ، وأن ملاحظا (س) ينتقل الى النقطة (ب) التى تبعد عن النقطة (ا) بمسافة ٣٠٠٫٠٠٠ كيلو متر في ثانية من الزمن أى في سرعة الضوء . وعند وصول (س) الى النقطة (ب) ينظر خلفه الى الساعة الموجودة عند النقطة (ا) فيجدها تشير الى الساعة ٢ بدون تغيير . ونظرا لأن ضوء الساعة يصل الى النقطة (ب) « في نفس الوقت » فان (س) يرى أن الوقت بالنسبة له لم يتقدم . ويقول أسيموف ان الانسان حين يحافظ على سرعة الضوء فانه لايحس بمرور الزمن .

ومحل الخطأ في هذا الرأى هو أن الزمن عند النقطة (ب) لايتحدد بساعة تدور عند النقطة (ا) بل يجب أن يتحدد بساعة موجودة عند النقطة (ب) . واذا لم يتم ذلك فان عودة (س) من (ب) الى (ا) في ثانية بسرعة الضوء تجعلنا نقول ـ طبقا لنتيجة دوبلر ـ أن (س) يستغرق في رحلته ذهابا وايابا ثانيتين لا ثانية واحدة (بمعنى أن الساعة تشير الى ٢ عندما يبدأ (س) رحلته التى تستغرق ثانية بسرعة الضوء . وعند عودته يجد الساعة تشير الى ٢ + ثانيتين) .

ومن ذلك يتضح أن سرعة « ملاحظة » الزمن ـ لا الزمن نفسه ـ هى التى تكون نسبية . بمعنى أن الزمن « مطلق » وأن « ملاحظة » الزمن هى أمر نسبى في واقع الأمر .

وقد اشتهر البروفسور اينشتاين باستخدامه ما يسمى « تجربة الفكر » . والنظرية المشار اليها آنفا هى تجربة من هذا القبيل . وانى أشجع غيرى على تكرار هذه التجربة ثم ينظرون ، هل يتفقون معى أم يختلفون .

تعليق المحرر :

أرى لزاما على قبل كل شىء أن أقرر أن هيئة تحرير المجلة ـ لا البروفسور اسيموف ـ هى المسئولة عن الرسم البيانى والعناوين المنشورة في ص ١٠ من عدد مايو ١٩٧٩ . وقد قرر اينشتاين أن الشىء المطلق الوحيد والقيمة الوحيدة التى لاتتغير بالنسبة لكل انسان هى « سرعة الضوء » . وأنه ليس هناك مقياس أساسى (أى مطلق) للزمن ينطبق على الكون كله . فالمراقبون الذين يلاحظون الزمن في اطارات زمنية مختلفة يمكنهم قياس الحادثة الواحدة . ولكن نتائجهم لاتكون متفقة ولامتطابقة .

ولو كان هناك مقياس زمنى ينطبق على العالم كله لتسنى لنا أن نحكم بأن أحد الملاحظين مصيب والآخر مخطىء . ولكن اينشتاين يرى أنه لا أحد مخطىء ، لأن قياسات الزمن تتوقف على الاطار الزمنى الذى تتم فيه هذه القياسات ، والاطار في هذه الحالة هو السيارة أو نقطة على الأرض . ولذلك كان من المستحيل ـ كما حاول المستر هول أن يفعل ـ أن نفرق بين الزمن وملاحظة الزمن .

تحويل السيوف الى محاريث

أهنئكم بالعدد الخاص الذى أفردتموه لمعالجة مشكلة سباق التسلح (يونيه ١٩٧٩) وقد سرنى بصفة خاصة مقال « ثلاث أساطير » الذى يفضح زيف الاعتقاد السائد بأن الانفاق العسكرى يضاعف النمو الاقتصادى ، وان صناعة الأسلحة علاج شاف للبطالة ، وان الأبحاث العسكرية حافز كبير للتقدم التكنولوجى .

ولاتزال هذه الخرافات سائدة . وعلى الرغم من أن ربع الجنس البشرى يعانى سوء التغذية فان نصيب كل فرد من سكان الأرض يبلغ أطنان المتفجرات . واذا كان الانسان عاقلا حقا وجب عليه أن يبذل قصارى جهده لتحويل المتفجرات الى طعام ، ومدارس ، ومستشفيات . وتحويل الأسلحة النووية الى طاقة مفيدة لبنى الانسان .

اننا نرجو نحن معشر القراء من أهل بلغاريا ـ أن يتاح لنا قريبا قراءة « رسالة اليونسكو » بلغتنا القومية .

نيكولاى جورجييف ، صوفيا

• طبعت بالمطابع الجديدة لمؤسسة دار التعاون للطبع والنشر •

موسيقى الخليج

إن موسيقى الأقاليم الساحلية من الخليج، ذلك البحر الضحضاح الذي يفصل بين شبه جزيرة العرب وإيران، موسيقى بديعة خلابة (انظر مقال ٢٨). ويقوم بعزف هذه الموسيقى في الأفراح جوقات موسيقية نسائية. وتمثل الصورة السفلى احدى هؤلاء المطربات تعزف على الرق في عرس في البحرين.



نافذة على العالم
رسالة اليونسكو
العدد ٢١١
اليونسكو
٧ قروش



كوريا
أرض الصباح
الهادئ





كنوز الفن
العالمى
١٣٧
جمهورية كوريا

صورتان مصغرتان

هذان التمثالان الصغيران لرجل (طوله ٣ر٨ سم) وامرأة (٣ر٥ سم) تم نحتهما فى القرن ٥ أو ٦ م إبان حكم أسرة سيلا فى كوريا . كان الخزافون فى سيلا يظهرون قوة ملاحظة دقيقة وأحيانا روح الفكاهة اللاذعة عند صنع هذه التماثيل من الصلصال . وعمل الأوانى الخزفية . وكما كانوا يصورون الأشكال البشرية . كذلك كانوا يصورون الحيوانات كالأرانب . والكلاب . والبقر . والخنازير . والنمور . والسلاحف . والثعابين .

تصوير كيم تى - بيوك . سيول

رسالة اليونسكو

تصدر شهريا عن :
هيئة اليونسكو
ميدان فونتينوا - باريس - ٧

تصدرها اليونسكو باللغات الفرنسية والإنجليزية والأسبانية وتصدرها شعب قومية بسبع عشرة لغة أخرى

رئيس التحرير
أولجا رودل
وتوجه الى سيادتها جميع الرسائل فى باريس

الطبعة العربية لرسالة اليونسكو
١ شارع طلعت حرب - القاهرة
تليفون : ٩٢٤٠٢
٩٢١٧٥

رئيس التحرير
عبد المنعم الصاوى

هيئة التحرير
د . مصطفى كمال طلبة
د . السيد محمود الشنيطى
د . محمد عبد الفتاح القصاص
عثمان نوية
صفى الدين العزاوى

الإخراج والتصميم
روبرت جاكمين
عبد السلام الشريف

العدد ٢١١
فبراير ١٩٧٩

صفحة



صورة الغلاف :

تشتهر كوريا عند شعبها باسم « شوسون » ومعناه « أرض الصباح الهادىء » . أما الاسم الغربى « كوريا » فهو مشتق من أسرة « كوريو » التى حكمت البلاد من ٩١٨ الى ١٣٩٢ (يمكن ترجمة « كوريو » الى عبارة « رفيع وجميل ») . وعلى الرغم من أن مسار التاريخ الكورى قد تأثر كثيرا بموقع البلاد بين جارتين قويتين ، الصين واليابان . فإن الحضارة الكورية ظلت محتفظة بسماتها المتميزة . ومنجزاتها الفريدة . والعديدة فى مجال الفنون . والعلوم والتكنولوجيا . وقد خصصنا هذا العدد من رسالة اليونسكو لدراسة بعض الجوانب الهامة من الثقافة الكورية القديمة . وبذلك تسهم اليونسكو فى تسجيل وتفسير الثقافات الآسيوية . والمحافظة عليها . يبين الغلاف صورة « يى تشى » أحد علماء وموظفى أسرة « يى » والصورة من عمل فنان غير معروف فى القرن ١٨

تصوير . هان سوك - هونج . المتحف القومى الكورى . سيول

المناظر الروحية في كوريا القديمة

بقلم : تشانج بيونج - كيل

تقول الأساطير القديمة التى تؤيدها الأبحاث الأثرية . والدراسات اللغوية إن القبائل الساكنة في جبال « ألطاى » أخذت تهاجر صوب الشرق عبر سيبريا . ومنشوريا . منذ آلاف السنين . وواصل بعضهم السير حتى وصلوا إلى حدود شبه جزيرة كوريا . وأعجبوا بالبلاد التى شاهدوها . فانتقلوا ابتداء من الألف الثالث ق · م الى شبه الجزيرة . واستقروا فيها . ليصبحوا الأمة السائدة فيها ·

وكان الكورى البدائى يشتغل بالقنص والصيد . فاعترته الدهشة مما رأى حوله من الكائنات الطبيعية . وتساءل . ترى هل لهذه الكائنات أرواح كما أن له روحا ·

وحاول الكورى أن يفهم البيئة التى تحيط به . وأن يعيش في وئام معها . وتطورت هذه المحاولة الى عقيدة طبيعية فحواها أن ثمة أرواحاً قوية تسكن في القوى الطبيعية . وفي الكائنات الحية وغير الحية . ولذلك كان الصائد إذا اضطر الى قتل حيوان ليتغذى به . وأدى طقسا دينيا يلتمس به موافقة « الروح الطوطمى » للضحية التى يزمع صيدها · وكان الفلاحون اذا تمنوا محصولا وفيراً أقاموا طقوساً دينية لاسترضاء الآلهة المحلية للحقل والغابة ·

قد احتاج الفرد - لقضاء مآربه الشخصية - إلى وسيط لدى عالم الأرواح يستطيع أن يدرأ عنه سوء الحظ . أو يشفيه من المرض . ويكفل له الرحلة السعيدة من هذا العالم الى العالم الآخر عندما يحين الأجل · ويُدعى هذا الكاهن . الذى يعرف باسم « الشامان » . لأداء الطقوس الدينية اللازمة ·

ويلاحظ أن أسطورة تأسيس الأمة الكورية الموجودة في أقدم الديانات الكورية المسماه « تيشونج - جيو » تماثل الأساطير المعروفة عند الشعوب الألطاوية (نسبة لجبال ألطاى) ·

ويبلغ عمر ديانة « تيشونج - جيو » نحو ٤٠٠٠ سنة · وهى تشتمل على عقيدة التثليث الموحد (بفتح الحاء) أى ثلاثة في واحد وهى الايمان بإله واحد يجمع بين شخصيات ثلاثة . شخصية الخالق . وشخصية المعلم . وشخصية الملك الزمنى (الدنيوى) واسمه « هانول » · وهذا الإله يتجسد على هيئة بشر في شخص « تانجون » الذى هو أبو الشعب الكورى . ومعلمه . ومليكه · وقد هبط من السماء الى أعلى قمة في كوريا سنة ٢٣٣٣ . ق · م ويظن أنها قمة جبل بكتو . وكانت التقاويم والتواريخ تحسب من تلك السنة . الى عهد قريب ·

وأصبح تانجون اعظم معلم ومشرع في القبائل التى وحدها في شبه جزيرة كوريا . وصار ملكا عليهم ٩٣ عاما حتى عاد فصعد الى السماء ·

وتحولت المجتمعات القبلية الى ممالك بالتدريج · وكان في القرن الأول قبل الميلاد ثلاث منها في كوريا اسمها كوجوريو . بيكشى . وسيلا · ومن الطقوس المشتركة بين هذه الممالك الثلاث عبادة تهدف إلى استرضاء السماء ·

وكانت الطقوس القبلية التى يؤديها رؤساء القبائل باعتبارهم « رسل امبراطور السماء » قوية الدعائم بين النبلاء والعامة على السواء قبل تأسيس الممالك الثلاث · ولكن عندما دخلت الديانات الأجنبية في البلاد زالت بالتدريج الصبغة النقية لديانة « تيشونج - جيو » وما إن جاء القرن الخامس عشر الميلادى حتى أفل نجم هذه الديانة ·

وفي عهد الممالك الثلاث (٥٧ ق · م - ٦٦٨ م) أخذت ديانات متطورة تفد الى كوريا من الصين . كالديانة الطاوية . والكنفشيوسية والبوذية . واعتنقها الأهالى بسهولة . ولم يحدث صراع بينها وبين الطقوس الدينية الخاصة بالأرواح المحلية ·

ومن العسير تحديد التاريخ الدقيق الذى وفدت فيه الطاوية بوصفها ديانة وفلسفة وتدل الصور الجدارية بمدينة كوجوريو تومولى بالقرب من كانجو بولاية بيوناجن على تأثير الديانة الطاوية وتدل السجلات التاريخية على أن تعاليم لاوتزو . وشوانج تزو وفدت الى كوريا في القرن السابع ق · م . وأن جهودا قوية بذلت لدراستها . وقد بلغ من تأثير الديانة الطاوية أن تحولت المعابد البوذية الى معابد طاوية عندما دب الضعف في مملكة كوجوريو ·

وظهر في مملكة بيكشى أيضا اتجاه نحو الإيمان بكائنات روحية طاوية ولكن أقوى أثر للنفوذ الطاوى يتجلى في مبادىء أرباب الصفوة المختارة في مملكة سيلا الذين تدربوا على الصبر . والزهد . والقناعة . والتآلف - وكلها من الاخلاق الطاوية . وذلك الى جانب المبادىء الكنفشيوسية في الولاء . وبر الوالدين . والاستقامة والوفاء بالعهد . والتعاليم البوذية التى تدعو الى الشفقة .

وعلى الرغم من أن الطاوية لم تنتشر كعبادة مستقلة . فإنها ظلت سارية بين جميع طبقات الشعب الكورى .

وكان أظهر أثر للنفوذ الطاوى بين الكوريين . هو التماس النعم والبركات . وطول العمر . وهما أبرز سمات الطاوية . وفي وسع المرء أن يلاحظ أثر الطاوية الذى لا يمحى في الحرفين الصينيين حرف « سو » ومعناه طول العمر . وحرف « يوك » ومعناه النعمة أو البركة أو السعادة . ويستخدم هذان الحرفان في زخرفة كثير من الأدوات اليومية عند الكوريين كالملاعق وأكياس المخدات ولو أنك سألت شيخا كوريا كبيرا عن أسمى النعم لأجابك من فوره ، « طول العمر . والسعادة . والصحة . والثروة . وانجاب الأطفال » .

وعندما دخلت البوذية كوريا في القرن الرابع الميلادى كانت شبه الجزيرة تقترب من أواسط عهد الممالك الثلاث . وتوشك أن تصبح أمة واحدة في ظل مملكة سيلا التى تقع في أقصى الجنوب وكانت سيلا - لأسباب جغرافية - هى آخر الممالك الثلاث التى تسربت اليها الديانة الأجنبية . وقد قام راهب صينى اسمه « سوندو » بزيارة المملكة الشمالية كوجوريو في ٣٧٢ م وبعد ذلك باثنتى عشرة سنة استضافت المملكة المجاورة بيكشى - مبشرا هنديا اسمه « مرنانانتا » . جاء عن طريق الصين .

ولم تخضع مملكة سيلا للنفوذ البوذى إلا بعد ذلك بنصف قرن . ولم تقم بالدعوة الى البوذية صراحة إلا في سنة ٥٢٨ م . وذلك بعد أن استشهد بى تشار دون بطريقة عجيبة . وكان أشبه بالقديسين .

البقية ص ٩

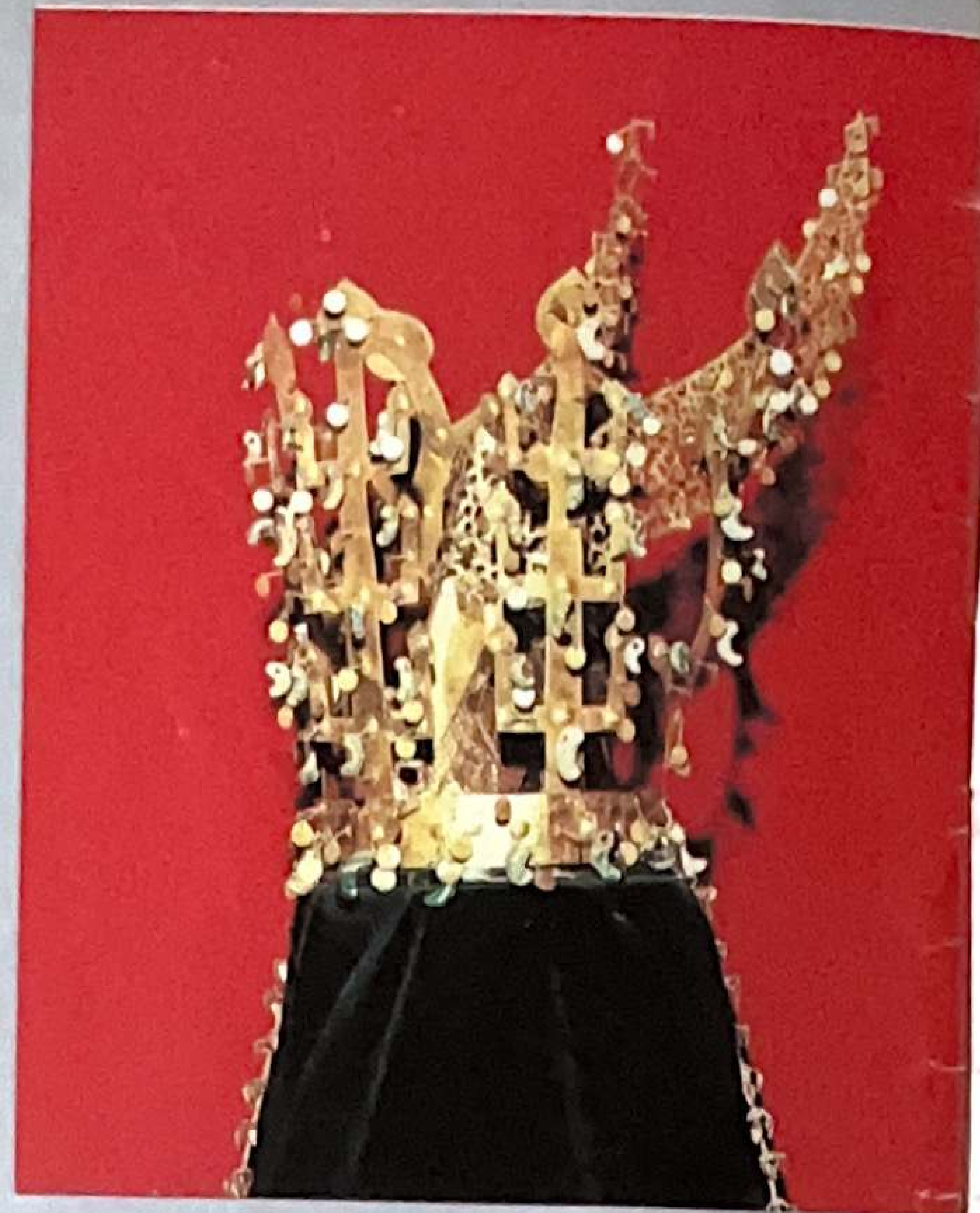
تشانج بيونج - كيل ، أستاذ الديانة بجامعة سيول القومية · من بين ما كتبه في تاريخ الديانات الكورية مقال هام في كتيب عن كوريا ، سيول ، ١٩٧٨ ·

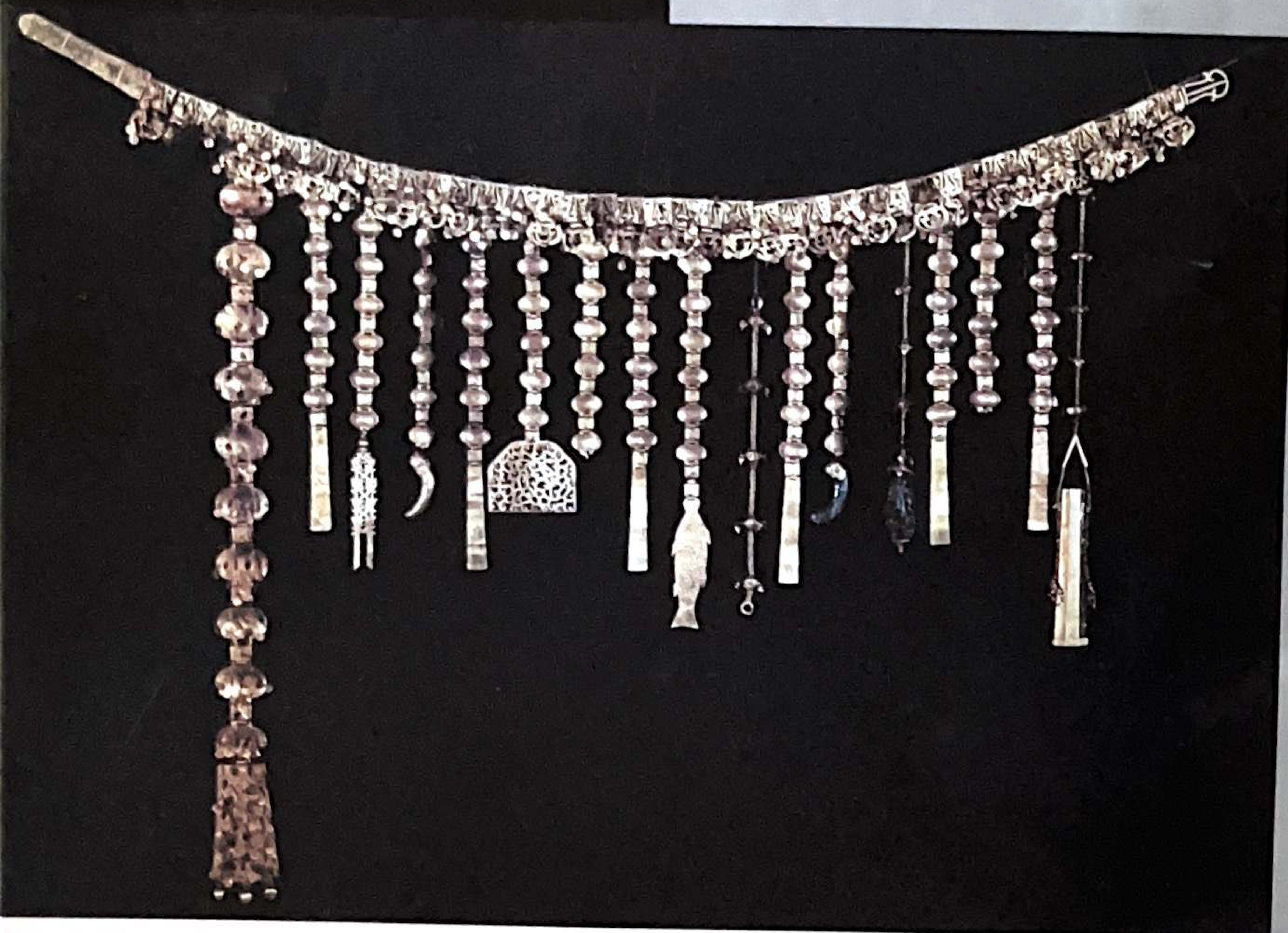


اكتشف هذان التمثالان المنحوتان من الجرانيت منذ نحو ١٠٣٠٠ سنة بالقرب من كيونجو عاصمة مملكة سيلا الكورية القديمة . ويعد كل منهما « بوذ هستافا » أى أنه مرشح لأن يكون بوذا في المستقبل · ويتجلى صفاء البوذية في وجهيهما الباسمين الرقيقين ·

تصوير ، ميكيهرو تيدا . وهانز هنز . مكتب الكتاب . فيبورج . المتحف القومى الكورى . سيول







صفحة ملونة

متريا مستغرق في تأملاته .

تقول التعاليم البوذية التي انتقلت من الهند الى التبت والصين ، وكوريا واليابان ، بأن البودهستافا هو فرد مؤهل للوصول الى مرتبة التنوير التي وصل اليها بوذا ، في هذه الحياة ، أو في حياة أخرى . وفي البوذية المهايانية يؤجل البودهستافا دخوله النهائي في النرفانا « السعادة القصوى » لكي يخفف من آلام الآخرين عن طريق تحليه هو نفسه بفضائل ستة هي : الكرم ، وحسن الخلق ، والصبر ، والقوة ، والتركيز (في التأمل) والحكمة . ومن الشخصيات الجليلة الموقرة في العالم البوذي البودهستافا متريا الذي يرى هنا تمثاله البرونزي المموه بالذهب ، ويرجع تاريخه الى ٦٠٠ م ، في عهد الممالك الثلاث في كوريا . وتدل بعض قسماته مثل الفك المربع ، والوصفات البارزة ، على أنه ربما صنع في جنوب شبه الجزيرة الكورية . وقد نجح الفنان في خلق انطباع بأن متريا مستغرق في تأملاته بطريقة طبيعية عضوية لاتكلف فيها .

تصوير ، بي ، باريس المتحف القومي الكوري ، سيول



حكيم (أعلى) مستغرق في تأملاته ، يحدق النظر في الماء الجاري ، في عمل فني للفنان كانج هوي ، أن ١٤١٩ - ١٤٦٥) الذي كان خطاطا ، وشاعرا كما كان مصورا ، زار كانج هوي ، أن الصين حيث تأثر بالفن الكنفشيوسي في عهد أسرة رمنج .

تصوير : كيم تي بيول . المتحف القومي الكوري ، سيول



كان إله التعمير ، سوسنج نوان (إلى اليسار) ، من الشخصيات الطاوية التي أكثر الفنانون الكوريون من تصويرها . رسم هذه الصورة بالحبر فنان البلاط كيم ميونج ، حول (١٦٣٣ ، ١٦٥٠) وتتجلى في ملامحها معاني القوة واليقظة بأسلوب فني يعد من خصائص التصوير في القرن السابع عشر .

تصوير : متحف كانسونج ، سيول . مجموعة خاصة

ولاشك ان البوذية قد انتشرت ـ في اثناء ذلك ـ في المملكتين الشماليتين تحت الرعاية الملكية فيما يظهر، بدليل كثرة مابنى من المعابد والأديرة. وقد دخل الناس في هذه الديانة أفواجا، ورسخت قدمها بسرعة في بيكشى وكوجوريو لدرجة أنه لم يحل القرن السادس حتى صار الكهنة والكتب الدينية والصناع المتدينون وصناعتهم تفد الى اليابان فوضعوا فيها أساس الثقافة البوذية القديمة. وترجع مكانة الديانة الجديدة في كوريا واتخاذها ديانة رسمية في الممالك الثلاث الى تقدير الكوريين للعلوم الصينية.

وعندما قامت مملكة سيلا بتوحيد شبه الجزيرة تحت حكومة واحدة في ٦٧٠ م تقرر الاعتراف بالبوذية كديانة رسمية للدولة، وإن سارت النظم الحكومية على أسس الديانة الكنفشيوسية. ولكن لم يحدث صراع بينهما.

وقد أدت الرعاية الملكية خلال العصر الذهبى الوجيز لسيلا الموحدة الى ازدهار الفنون، والمعابد، والعمارة البوذية. ولم يؤد تفكك المملكة السريع بعد أقل من ٢٠٠ سنة الى المساس بمركز الديانة البوذية. لأن اسرة كوريو التى استولت على السلطة في ٩٣٦ م كانت أشد حماسة في تأييد الديانة المستوردة.

ولعل ونْهيو كان هو صاحب الكلمة النافذة بين العديد من مشاهير الرهبان ورجال الدين في عصر سيلا. وإن كان هو الزعيم الدينى الوحيد الذى لم يدرس في الصين. وقد سعى ونهيو الى توحيد الفرق الدينية المختلفة بين البوذيين. كما سعى الى نشر الديانة وتطبيق أحكامها على الحياة اليومية للشعب. وقد ألف العديد من الكتب. وتقول الاساطير إنه وقع في غرام أميرة ملكية فأنجب منها ولدا يظن أنه هو العالم الذى اخترع نظاما لكتابة اللغة الكورية بطريقة الرموز والصور الصينية. ويعرف هذا النظام باسم «ايدو».

وفي عهد أسرة كوريو أصبح الكهنة من رجال الحاشية والساسة واشتهر بعضهم بالفساد. والاهتمام بالمصالح الشخصية الدينوية وعندما غزا المغول كوريا في القرن الثالث عشر ونهبوا البلاد كلها ماعدا جزيرة «كانج هوا» الواقعة عند مصب نهر هان حيث لجأ الملك وحاشيته. وقع بعض اللوم على البوذيين في هذه الكارثة القومية ومنذ ذلك التاريخ أخذ نجم البوذية الكورية في الأفول.

وعندما قام يى سونج ـ جى بثورة. ونادى بنفسه ملكا في ١٣٩٢ انتهج سياسة معادية للمغول والبوذية. وقضى على كل نفوذ لهذه الديانة في الحكومة. واستولى على الثروة الطائلة. والأراضى الموقوفة على المعابد. وجعل الكنفشيوسية هى الديانة الرسمية.

وكانت الكنفشيوسية في الواقع قد رسخت دعائمها في البلاد قبل ذلك بزمن طويل. اذ دخلت الكتب الكنفشيوسية شبه الجزيرة بزمن طويل قبل العصر المسيحى وتدل الوثائق المكتوبة التى خلفتها الممالك الثلاث على وجود الكنفشيوسية في زمن مبكر. ففى كوجوريو ـ مثلا ـ قامت جامعة «كنفشيوسية» مركزية في القرن الرابع الميلادى. تقاوم التقاليد العريقة الراسخة التى كانت موجودة من قبل. كما أن هذه المقاطعة قامت بنشر عدد من الأكاديميات الكنفشوسية الخاصة المعروفة باسم «كيونجدانج».

ويبدو أن المملكة المجاورة بيكشى قد أسست معاهد مماثلة في ذلك الوقت نفسه. وتأخرت مملكة سيلا الجنوبية ـ كما هى العادة ـ في استيراد النفوذ الأجنبى. ولكن عندما غزت سيلا الممالك الأخرى في القرن السابع. ازداد اهتمامها بالكنفشيوسية وغيرها من مظاهر الثقافة الصينية. فذهبت وفود العلماء الى الصين لمشاهدة أعمال المعاهد الكنفشيوسية رأى العين. وجلب المؤلفات الضخمة في هذا الموضوع. وعلى الرغم من أن البوذية كانت هى الديانة الرسمية لمملكة سيلا الموحدة فان الكنفشيوسية كانت هى عماد الفلسفة في الدولة.

وقد تمسك الشعب الكورى بالكنفشيوسية تمسكا شديدا لدرجة أن الصينيين أنفسهم كانوا يرون أن اتباع الكنفشيوسية من الكوريين أقرب الى الفضيلة منهم. وأطلقوا على كوريا اسم «البلاد ذات الذوق الشرقى» مشيرين بذلك الى حرص الكوريين على التمسك بطقوس هذه الديانة.

وكان سقوط أسرة كوريو في ١٣٩٢ إيذانا ببداية نهضة كنفشيوسية ففى القرنين ١٥ و ١٦ طرأ تقدم كبير في الاصلاح الاجتماعى. والأخذ بالأساليب العصرية. وتحقيق العدالة في ظل حكام مستنيرين أوهم أنفسهم من العلماء. وامتاز ذلك العصر بالاختراعات التى انتهت بوضع نظام صوتى دقيق لتمثيل اللغة الكورية برموز صوتية. يسمى هانجول (انظر المقال ص ١٣)

وقد أنجبت الكنفشيوسية ثلة جديدة من الفلاسفة يهتمون بالناحية العملية المفيدة. أكثر مما يهتمون بالناحية الاكاديمية. واهتمت الطبقة المثقفة ببعض أمور خاصة مثل الانتاج، والدفاع القومى، والزراعة، والتجارة، ورفاهية جماهير الشعب. وربما كان مرجع هذا الاهتمام الى تأثير الأفكار الغربية التى تسربت الى كوريا بصورة غير مباشرة عن طريق المبشرين اليسوعيين (الجزويت) الذين نشطوا إذ ذاك في الصين.

وقد قامت الكنفشيوسية في كوريا بثلاث وظائف، النظام التعليمى والشعائر الدينية. والادارة المدنية. وبزوال النظام الملكى لم يبق من هذه الوظائف سوى الوظيفة الأولى. ومع ذلك فان الأسلوب الكنفشيوسى في السلوك والعلاقات الاجتماعية لا يزال يؤثر تأثيرا كبيرا في اساليب التفكير والعمل عند الكوريين.

وقد بدأ تيار النشاط التبشيرى المسيحى يتجه صوب كوريا في بداية القرن السابع عشر عندما قامت البعثة التبشيرية السنوية التى ارسلت الى الصين لتبادل الهدايا مع امبراطور الصين بجلب نسخ من مؤلفات «ماتيو رتشى» ـ المبشر الكاثوليكى ـ من بكين الى كوريا.

وجاء المبشرون ـ وبخاصة البروتستنت ـ الى كوريا يحملون المعرفة الحديثة في كل مجال. فملأوا بذلك فراغا كانت الأمة الكورية في أشد الحاجة إلى ملئه حتى يتسنى لها الأخذ بالاساليب الحديثة التى تكفل استمرار استقلالها.

وقد اتخذ المبشرون الترتيبات الضرورية لتهيئة التعليم العالى في الخارج للعديد من شباب كوريا الذين يرجى أن يتولوا قيادة البلاد في المستقبل. وأيدوا المقاومة الوطنية التى تصدت لاعتداء اليابان على السيادة الكورية.

وكانت حركة «تونج هاك» التى نشأت في أواسط القرن التاسع عشر بسبب الكثير من العوامل الاجتماعية المعقدة، ثورة على الكاثوليكية التى اسماها الكوريون «التعليم الغربى» في حين أن «تونج ـ هاك» تعنى «التعليم الشرقى». وكان من دواعى هذه الحركة أيضا التدهور السياسى الذى ساد في ذلك العهد. وسوء حال سكان الريف الذين اشتدت عليهم وطأة الطبقة الارستقراطية في المدن. وأبناء الاعيان في الريف ومن هذه الناحية كانت حركة اصلاحية كما انطوت على معاداة الأجانب اعتقادا بأن كوريا مهددة بالسيطرة الخارجية كما هى مهددة بالانحلال الداخلى.

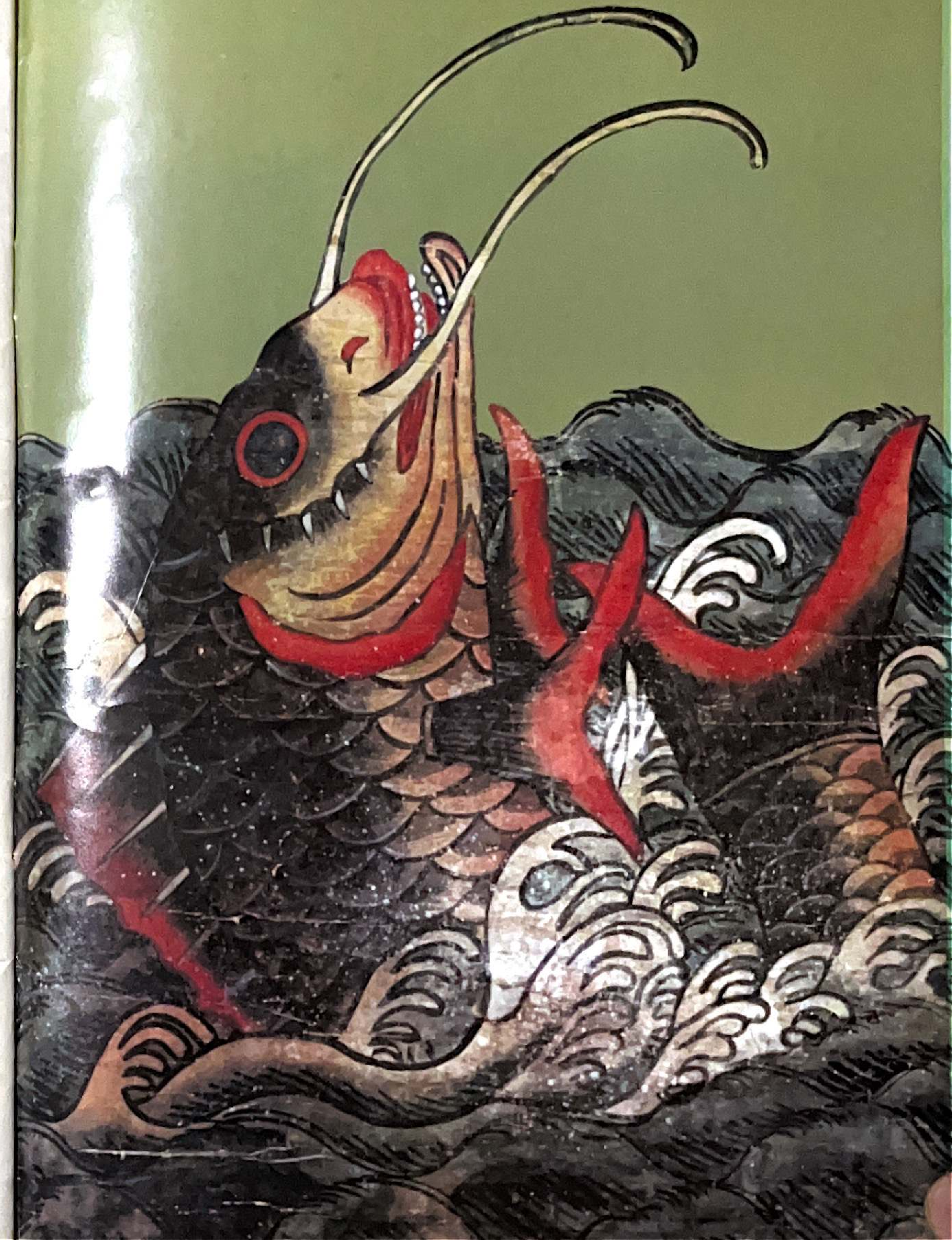
وكان «شو ـ شيو» ـ مؤسس حركة تونج ـ هاك يريد اقامة نظام دينى يهدف ـ على حد قوله ـ الى «المزج بين الأخلاق الكنفشيوسية وايقاظ الناس للطبيعة كما قالت البوذية. وغرس روح النشاط كما دعت الطاوية».

وقد ظل التوفيق بين المعتقدات الدينية المتعارضة على هذا النحو سمة بارزة من سمات كل الأديان التالية تقريبا. ومعظمها كنفشيوسى من حيث الأخلاق. وبوذى من حيث الشعائر الدينية وطاوى من حيث أسلوب الممارسة الدينية.

الموطن الألفى للسفر المقدس

يقع معبد هين ـ سا في بقعة نائية على المنحدرات المكسوة بالاشجار في جبل كايا في الجنوب الشرقى من شبه الجزيرة الكورية. ويشتهر بأنه مستودع مجموعة الرواسم الخشبية التى استعملت في القرن الثالث عشر في طبع التريبتاكا وهو سفر بوذى مقدس. وتعد رواسم «التريبيتاكا كورينا» البالغ عددها ٢٤٠ و ١٨ من أروع آثار التاريخ الثقافى الكورى. أسس هذا المعبد في ٨٠٢ راهبان هما، سونج ولونج. وبناه الملك إيجا من أسرة سيلا. يقال إن هذا الملك اعتنق البوذية وحكم شعبه من معبد هين ـ سا. الذى لايزال الرهبان يمارسون في مبناه الفخم. العبادة القديمة التى بدأت منذ اكثر من ألف سنة.

تصوير: مصلحة الاستعلامات الكورية لماوراء البحار، سيول.









قناع الشامان

يقوم الشامان في كوريا الجنوبية بطرد الشياطين، وعلاج الأمراض والاتصال بالموتى. ولقد نسبوا قوى خارقة للأقنعة التى يلبسها الشامان في أثناء الطقوس الدينية، (١) قناع مصنوع من الخشب المعالج باللك لطرد الارواح الشريرة، تم اكتشافه في مقبرة ملكية بالقرب من كيونجو. وكانت له في الأصل أسنان بارزة، وزوجان من العيون المستديرة. لاتزال رواسب المعتقدات الشامانية القديمة ماثلة في الرقصات الشعبية الكورية الجميلة كتلك الرقصة المبنية على أسطورة شيونج، ابن رتنين الشرق. نشأت هذه الاسطورة في القرن التاسع، ثم انتحلها البوذيون في القرن الثالث عشر واستخدموها في التدليل على صحة القاعدة الاخلاقية التى تقضى بدرء السيئة بالحسنة وبيان ذلك أن شيونج أراد أن يقتل عشيق زوجته، ولكنه قاوم هذه الرغبة، وعفا عنه. تبين الصورة (٢) و (٣) أقنعة تلبس خلال رقصة شيونج، (٢) قناع أحد الموظفين، موشى بالأوراق، وبه « آذان » تمثل آثار قرون الوعل. وهى تشبه الآذان الرمزية التى ازدانت بها تيجان ملوك أسرة سيلا. ولذلك تذكرنا بالقرون المتصلة بغطاء الرأس الذى يلبسه شامانات سيبريا (٣) قناع تلبسه شخصية أخرى في أثناء الرقص، تعلوه زهرة اللوتس، وهى دليل واضح على تأثير البوذية.

تصوير، كيم تى ـ بيوك، سيول

كوريا القديمة والتاريخ العالمى

السنة الميلادية ق . م	التاريخ الكورى	التاريخ العالمى
٢٣٣٣	تانجون يؤسس شوسن القديمة	
٧٥٣		تأسيس روما
٥٥٥		مولد بوذا
٥٥١		سور الصين العظيم
١٠٨	تأسيس مستعمرة لولانج الصينية	
	أوانى كيموص الخزفية	
	الممالك الثلاث (٥٧ ق . م ـ ٦٦٨ م)	
٥٧	سيلا	
٣٧	كوجوريو	
١٨	بيكشى	
بعد الميلاد		مولد المسيح
٣٧٢	دخول البوذية في كوجوريو	
٤٧٦		سقوط الامبراطورية الرومانية الغربية
٥٣٧	الموافقة على البوذية في مملكة سيلا	
٥٧١		مولد محمد (صلى الله عليه وسلم)
٥٨٩		أسرة « سوى » توحد الصين
٦١٨		أسرة تانج تخلف سوى في الصين
٦٦٠	سقوط مملكة بيكشى	
٦٦٨	سقوط كوجوريو، نهاية الممالك الثلاث	
	سيلا الموحدة (٦٧٠ ـ ٩٣٥)	
٦٧٠	مملكة سيلا توحد كوريا	
٧٥١	بناء معبد سوكورام	
٨٠٠		تتويج شرلمان امبراطوراً
٩٠٧		سقوط أسرة تانج في الصين
	أسرة كوريو (٩١٨ ـ ١٣٩٢)	
٩١٨	تأسيس مملكة كوريو	
٩٣٥	سقوط سيلا	
٩٦٠		تأسيس اسرة سونج في الصين
٩٦٢		تأسيس الامبراطورية الرومانية المقدسة
٩٨٠		مولد أبن سينا
١٠١١	بدء العمل في سفر تريبيتاكا كوريانا	
١٠٩٦		الحرب الصليبية الأولى
١١٤٥	نشر حوليات الممالك الثلاث	
١٢١٥		ماجنا كارتا (العهد الأعظم)
١٢٣١	الغزو المغولى الأول	
١٢٣٤	استخدام حروف معدنية في الطباعة لأول مرة	
١٢٧٢		نهاية الحروب الصليبية
١٢٧٤	أول حملة الى اليابان	
١٢٧٥		ماركو بولو يزور الصين
١٢٧٩		سقوط أسرة سونج في الصين
١٢٨١	الحملة الثانية الى اليابان	
١٣٦٨		تأسيس أسرة منج في الصين
	أسرة يى (١٣٩٢ ـ ١٩١٠)	
١٣٩٢	سقوط كوريو اسرة يى لتتولى الحكم	
١٣٩٦	انتقال العاصمة الى سيول	
١٤٤٣	الملك سى جونج يخترع الألفبائية الكورية (١٤١٩ ـ ١٤٥٠)	
١٤٥٥		جوتنبرج يطبع الكتاب المقدس
١٤٩٢		كولمبوس يصل الى أمريكا
١٤٩٨		فاسكو دى جاما يكتشف طريق الرأس الى الهند
١٥٩٢	الغزو اليابانى	

قبل جوتنبرج بـ ٢٠٠ سنة
أساتذة فن الطباعة في مملكة كوريو

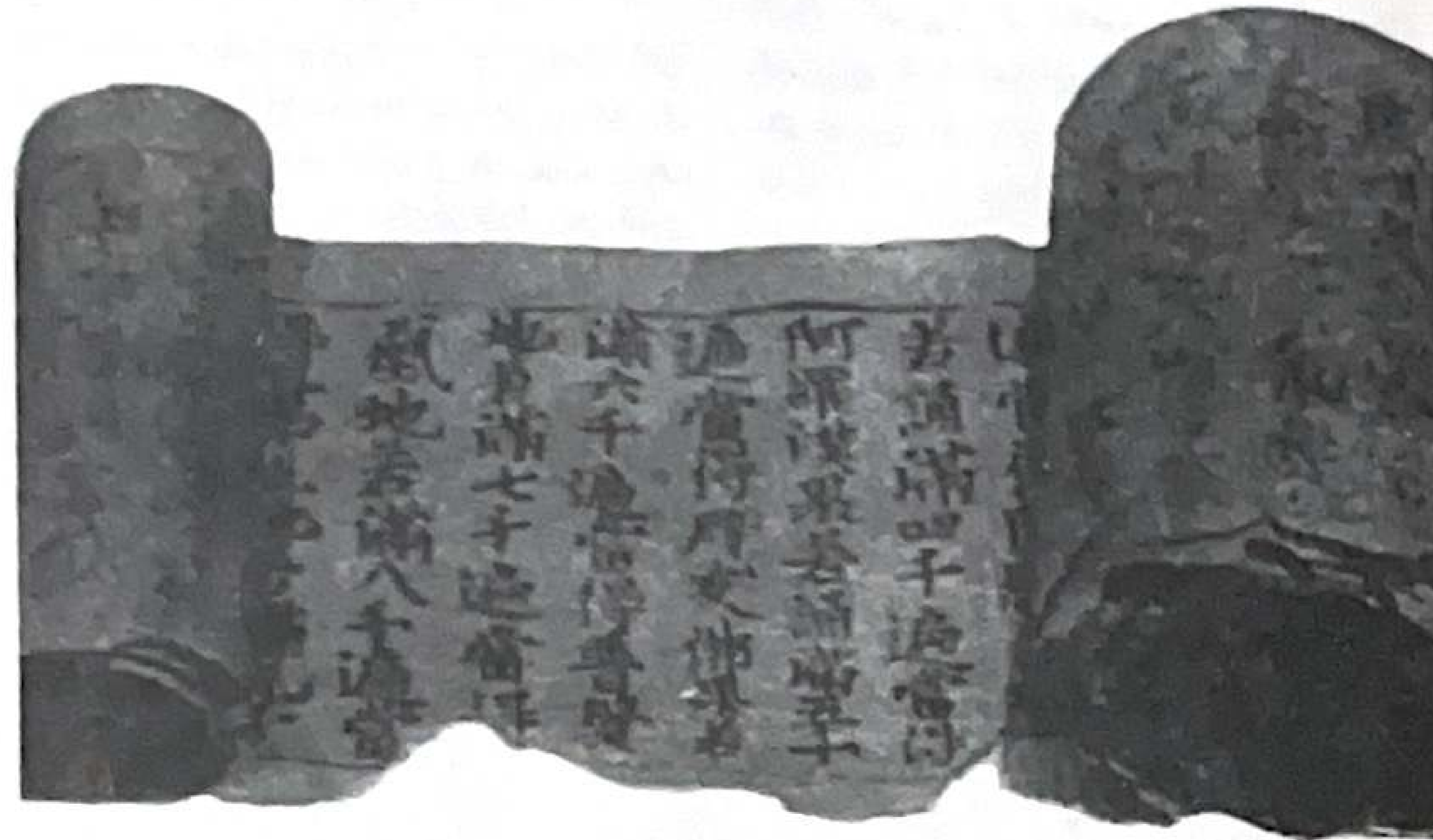
بقلم: تشون هى - يونج

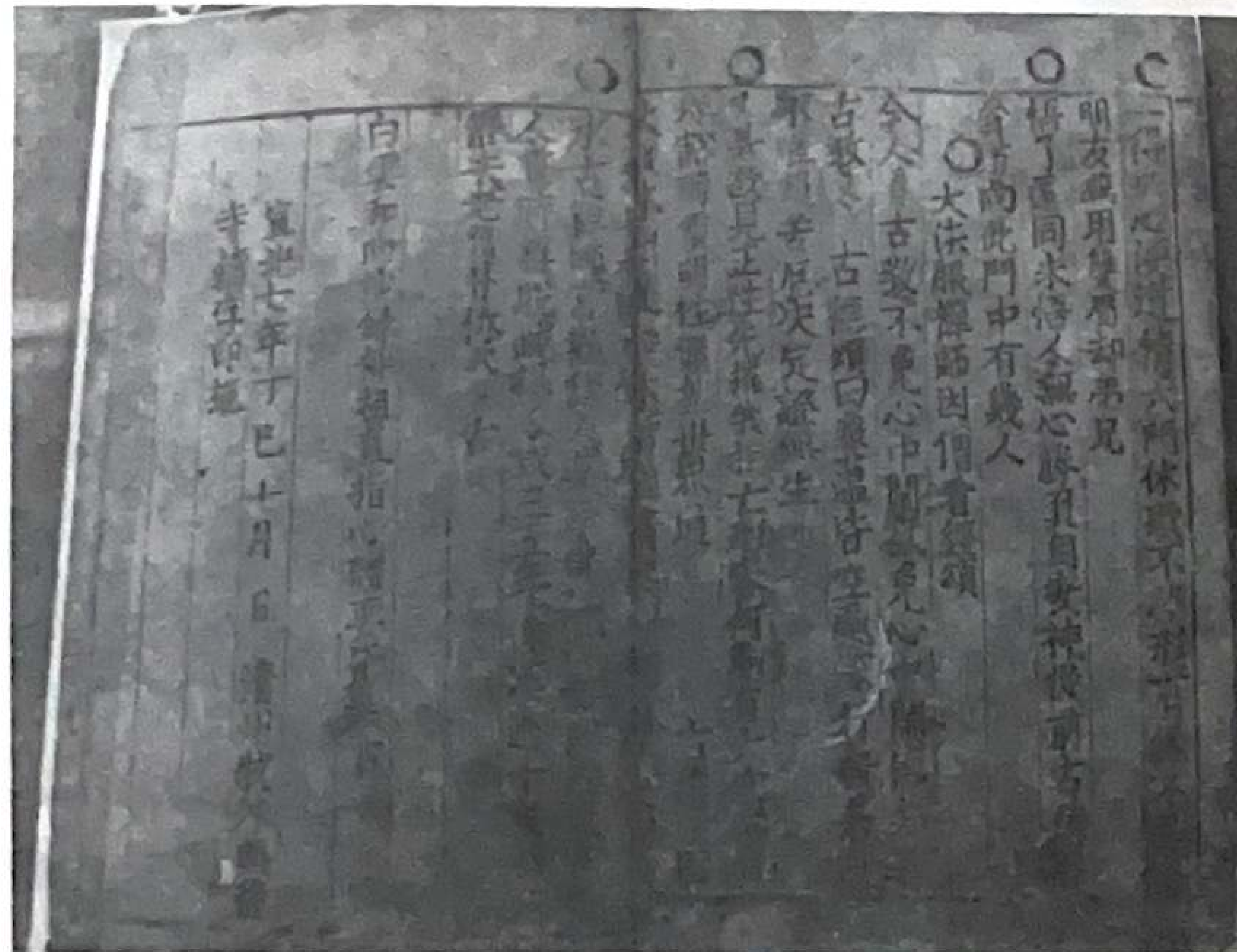
تشون هى - يونج، استاذ التاريخ والببليوغرافيا، ومدير مكتبة الجامعة بجامعة سونج كيونكوان، بمدينة سيول، الف العديد من المقالات عن فن الطباعة الكورية القديم.

الاعتقاد الشائع هو أن يوهان جوتنبرج - الصانع والمخترع الألمانى في القرن الخامس عشر - هو أول رجل صنع طقما كاملا من حروف الطباعة المعدنية المتحركة. وهذا الاعتقاد غير صحيح. لأنه ثبت أن كوريا قد سبقت جوتنبرج الى هذا الاختراع العظيم قبل قرنين من الزمان. حيث اخترع الكوريون مما لا يقل عن ستة أطقم متميزة من الحروف المعدنية قبل أن يقوم جوتنبرج بطبع الكتاب المقدس.

ويقول لى كيو - بو إنه تم حوالى ١٢٣٤ طبع أول كتاب بالحروف المعدنية. وكان لى كيو - بو أديبا شهيرا. كما تولى رياسة الوزارة في عهد الملك كوجنج من أسرة كوريو. وقد ذكر في كتاب له أن ٢٨ نسخة من كتاب كنفشيوسى عنوانه سانج - جونج - يى - مون (تفاصيل الطقوس في الماضى والحاضر) تم انتاجها وتوزيعها على دواوين الحكومة.

وقد ظهر هذا الاختراع العظيم في بلد كان لفن الطباعة فيه تاريخ طويل. وآية ذلك أن الصناع في عهد أسرة سيلا بلغوا درجة عظيمة من الكفاية في فن الطباعة بواسطة الرواسم (الكليشيهات) الخشبية. وذلك قبل جوتنبرج بأكثر من سبعمائة سنة. وقبل أختراع حروف الطباعة المعدنية المتحركة بخمسمائة سنة.





مثلان قديمان للطباعة الكورية بالرواسم الخشبية، واستخدام الحروف المعدنية. في أعلى اليمين، أقدم نص بوذى بقى حتى الآن مطبوع بالرواسم الخشبية. وهو سفر ذارانى (النور الصافى) الذى يرجع تاريخه الى أواسط القرن ٧ م. تم اكتشافه في أحد المعابد الكورية في ١٩٦٦. الى اليمين، صفحتان من كتاب بوذى طبع في ١٣٧٧ بالحروف المعدنية المتحركة.

تصوير، المتحف القومى الكورى سيول.

تصوير، مصلحة الاستعلامات الكورية لما وراء البحارة سيول

وجدير بالذكر أن الطباعة بالرواسم الخشبية وصلت الى درجة عالية من التطور في كثير من أنحاء آسيا . ولكن انجاز كوريا في هذا المضمار يؤيد الرأى القائل بأن أروع المعجزات تنمو دائما في أحضان الحضارات الصغيرة .

ويعترف المؤرخون بأن الصينيين اخترعوا فن الطباعة بالرواسم الخشبية بين سنتى ٧١٢ و ٧٥٦ إبان العصر العظيم لحضارة أسرة تانج . وكانت أسرة سيلا الحاكمة في كوريا حينذاك على صلة وثيقة بالصين . نتيجة تحالف عسكرى مع أسرة تانج . أدى الى توحيد شبه الجزيرة الكورية . ولذلك يمكن القول بأن معرفة الطباعة بالرواسم الخشبية وصلت الى كوريا بعد اختراعها بقليل .

ويبدو أن أقدم مطبوع بالرواسم الخشبية في العالم بقى حتى الآن هو سِفْر ذارانى (النور الصافي) . وهو عبارة عن لفيفة بوذية من الرق اكتشفت في ١٩٦٦ بمعبد بولجوك - ساقي كيونجو . وقد استنتج العلماء أن هذا السفر نشر تحت رعاية سيلا حوالى ٧٥١ م .

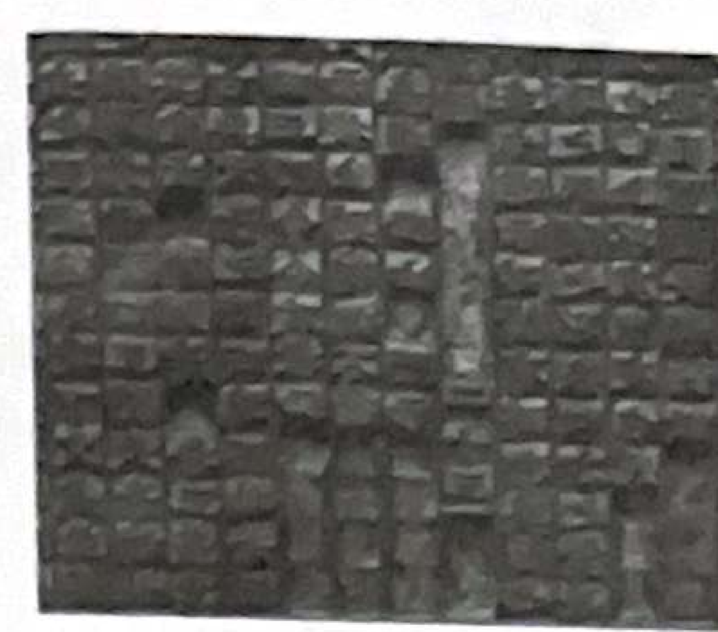
وأقدم مطبوع صينى بالرواسم الخشبية بقى حتى الآن هو السفر الماسى الذى طبعه وانج تشيه في ٨٦٨ في عهد أسرة تانج . بقصد الصلاة على أرواح والديه اللذين قضيا نحبهما . وبمقارنة هذا السفر بالسفر الكورى في معبد بولجوك سا . يتضح لنا أن السفر الكورى يمتاز بسمات عصر أعرق في القدم . وان دل على براعة متأصلة في الطباعة .

ثم تطور فن الطباعة في السنين الأولى من عهد أسرة كوريو (٩١٨ - ١٣٩٢) ولاريب أن سفر ذارانى السمى ختم الصندوق الثمين - وهو لفيفة من الرق نشرها معبد تشونجي - سا في ١٠٠٧ يدل على مهارة فائقة . وهو دون شك أروع كل هاتيك المطبوعات التى يرجع تاريخها الى السنوات الأولى من عهد أسرة كوريو .

ولكن أعظم منجزات كوريو في فن الطباعة بالرواسم الخشبية - ولعله أعظمها في كل الفنون - هو سفر تريبيتاكا كورينا المتضمن ٦٠٠٠ فصل والمبنى على نص بوذى جيء به إلى كوريا في عهد أسرة سونج بالصين في ٩٩١ م . وكان الدافع لهذا المشروع هو استدرار عطف بوذا لنصرة البلاد ضد الغزو الخارجى .

وقد صنع أول طقم من الرواسم الخشبية في ١٠١٣ م . ولكن المغول دمروه بعد ذلك بقرنين في ١٢٣٢ حين غزوا كوريا . ودمروا البلاد كلها ماعدا جزيرة « كانج هوا » الواقعة تجاه الساحل الغربى . حيث لجأ الملك وحاشيته . وفي هذه الجزيرة شرعت الحكومة بالمنفى في القيام بمهمة ضخمة . ألا وهى اعادة طبع الكتب البوذية المدمرة . وواصلت الحكومة هذا العمل ١٦ سنة . وأتمت صنع أكثر من ٨٠٠٠٠ روسم خشبى لا تزال محفوظة حتى الآن في معبد « هين - سا » ويعد سفر « تريبيتاكا » مصدرا ثمينا لدراسة البوذية . ويمكن القول بأنه أروع ما أنتجته أسرة كوريو في عالم الفنون .

ومهما يكن مبلغ الصدق في هذا القول فلا نزاع في أن اختراع حروف الطباعة المعدنية المتحركة . كان أكبر سهم ضربت به مملكة كوريو في العلم . والتكنولوجيا . وحسبك دليلا على ذلك ما أحرزته في أوائل القرن الثالث



الحروف البرونزية الكورية القديمة . تم سبكها في ١٧٧٧ . والنص عبارة عن صفحة من سفر كوك ثلثو (المرآة الثمينة لأسرة يى)

تصوير . جون سانج - وون . سيول .

عشر من مقدرة فنية في اختراع الأوراق والأحبار المناسبة وفي الالمام الكافي بصناعة الأدوات المعدنية . وقد تجلت الحاجة الى استعمال الرواسم المعدنية في استخراج نسخ عديدة في الكتاب الواحد عندما أتت النيران مرتين ، في ١١٣٦ وفي ١١٧٠ . على القصر الملكى في عهد كوريو . وعلى عشرات الآلاف من الكتب في الكتبة الملكية . . . الوقت

نفسه شغلت الصين . وهى أكبر مورد للكتب . بالحروب الطاحنة التى أدت الى تدهور انتاج الكتب . ومن العوامل الأخرى التى شجعت صنع الرواسم المعدنية ندرة الخشب المناسب لعمل الرواسم المطبعية . ووفرة البرونز . والأمل في قلة النفقات إذا ما استخدمت الحروف عدة مرات .

بيد أن مشجعى حروف الطباعة المعدنية المتحركة أصيبوا بخيبة الأمل . لأن اختراعهم لم يحظ بالقبول لدى الجمهور . وكان الكوريون يرون أن الكتاب ذو الرواسم الخشبية تمتاز بالجمال الفائق . ولذلك كتب لفن الطباعة بالحروف المعدنية أن يتراجع الى الظل باعتباره أمرا غريبا لمدة مائة وسبعين عاما بعد ذلك .

ولم تعد الحياة الى هذا الفن المهجور الا في سنة ١٤٠٣ عندما شرع الملك الثانى من أسرة « يى » في سبك الحروف البرونزية لطباعة امهات الكتب الكنفشيوسية والكتب التاريخية . بغية ارشاد موظفى الحكومة الى أفضل الأساليب لسياسة أمور المملكة بحكمة . وقام بتحسين هذه الحروف ابنه الملك سى جونج . أحب الحكام الكوريين الى الشعب . وتوالت بعد ذلك التحسينات الفنية التى أسفرت في نهاية القرن الخامس عشر عن طبع كتب تضارع في جمالها ما طبع بالخشب .



تضم مكتبة دير هين - سا مجموعة الرواسم الخشبية التى نقش عليها سفر تريبيتا كاكورينا في القرن الثالث عشر . وجدير بالذكر أن تريبيتاكا (« السلال الثلاث ») هو أتم مجموعة للكتب البوذية المقدسة القديمة . وأن رواسم تريبيتاكا بدير هين - سا (انظر أيضا ص ٨ الملونة) هى أقدم وأبقى من أى مجموعة كاملة من الكتب البوذية المقدسة في العالم .

تصوير . مصلحة الاستعلامات الكورية لما وراء البحار . سيول .

صورة مكتوبة للصوت البشرى

بقلم : لى كى مون

한 글



اخترعت الكتابة الكورية المعروفة باسم « هانجول » لجنة من العلماء عينها الملك سى - جونج الذى حكم كوريا من ١٤١٩ الى ١٤٥٠ - أعلى : تمثال الملك سى - جونج في سيول - الى اليمين ، كلمة « هانجول » نفسها تتألف من الحروف الآتية (من الشمال الى اليمين ومن أعلى الى أسفل) :

ㅎ = هـ ㅏ = ا ㄴ = ن ㄱ = ج ㅡ = و ㄹ = ل

تصوير . توماس تيشى . بازيماج . باريس .

تعد اللغة الكورية من بين اللغات العشرين الكبرى في العالم . إذ يتحدث بها نحو خمسين مليون نسمة . وعلى الرغم من أنّ معظم المتكلمين باللغة الكورية يعيشون في شبه الجزيرة الكورية وجزرها المتاخمة . فإن نحو مليون كورى ينتشرون في جميع أنحاء العالم على ظهر كل قارة من القارات .

ويكتنف الغموض أصل اللغة الكورية . كما يكتنف أصل الشعب الكورى . وكان السؤال عن أصلها هو أول ما أثاره العلماء الغربيون الذين « اكتشفوا » اللغة الكورية في القرن التاسع عشر . واقترحوا نظريات مختلفة للربط بينها وبين اللغة الأورالية - الألطاوية . واليابانية . والصينية . والتبتية والدرافيدية . والإينية . والهندو - أوربية . وغيرها من اللغات .

ولكن الذى أثار اهتمام اللغويين المعنيين بالمقارنة بين اللغات هى النظرية القائلة بوجود علاقة بين اللغة الكورية والألطاوية (التى تضم اللغة التوركية (بالواو) والمنغولية . والمانشو - طنجوية) من جهة . وبين الكورية واليابانية من جهة أخرى .

ذلك أن اللغات الألطاوية والكورية واليابانية تشترك في كثير من أوجه الشبه من حيث التركيب . كما تشترك في بعض الخصائص اللغوية كالإدغام (التحام كلمات بسيطة أو أصلية لتكوّن كلمة واحدة مركبة لا يتغير فيها مبنى أو معنى الأجزاء المكوّنة لهذه الكلمة المركبة) وكتآلف الحروف اللينة . وان كان هذا التآلف في اللغة اليابانية القديمة محل اختلاف بين الاخصائيين في هذا المجال . وفضلا عن ذلك فقد وجد أن هذه اللغات تشترك في عناصر مختلفة . سواء في قواعدها أو مفرداتها اللغوية .

ويؤخذ من المدونات التاريخية القديمة أنه كانت توجد في منشوريا وشبه الجزيرة الكورية مجموعتان من اللغات في فجر التاريخ المسيحى . المجموعة الشمالية أو مجموعة بيو . والمجموعة الجنوبية أو مجموعة هان .

وفي منتصف القرن السابع قامت مملكة سيلا بغزو مملكة بيكشى في الجنوب الغربى . ومملكة كوجوريو في الشمال . وسيطرت لغتها على شبه الجزيرة . وترتب على ذلك تحقيق الوحدة اللغوية في شبه الجزيرة على أساس اللغة السيلية .

وبعد توحيد شبه الجزيرة تأسست دولة كوريو في القرن العاشر ونقلت العاصمة الى مدينة « كيونج » في وسط شبه الجزيرة . وأصبحت لهجة كيونج هى اللغة القومية الفصحى .

ولما تأسست دولة يى في نهاية القرن الرابع عشر . نقلت العاصمة الى سيول . بيد أن ذلك النقل لم يكن له أثر في تطور اللغة . لأن سيول كانت قريبة الى كيونج من الناحية الجغرافية .

وكان الذى اخترع الكتابة الكورية في ١٤٤٣ - وهى تسمى الآن هانجول - هو سى جونج . رابع ملوك أسرة يى الذى سماها « هنمين - شنجم » (الأصوات الصحيحة لتعليم الشعب) . بيد أن هذه الكتابة لم تنشر إلا في ١٤٤٦ وذلك في كتاب سمى أيضا « هنمين - شنجم » .

وكان الباعث على اختراع الكتابة الكورية هو - كما قال سى جونج في مقدمة الكتاب المذكور - تمكين الشعب الكورى من كتابة لغته بطريقته الخاصة . وقد ظلت الطبقات العليا تستخدم الحروف الصينية الى أن تم اختراع الكتابة الكورية . ويبدو أنه كان ثمة دافع آخر وراء اختراع الكتابة الكورية . ألا وهو تصوير الأصوات « الصحيحة » للحروف الصينية .

وأكبر الظن أنه عند اختراع الكتابة الكورية . استأنس سى جونج وأعوانه من العلماء بطرق الكتابة العديدة المعروفة لديهم . كحروف الختم القديم الصينية . وكالكتابة اليوغرية . والكتابة الجاسية . بيد أن طريقة الكتابة الكورية مبنية على الدراسات الصوتية . وفوق ذلك أخذ مخترعو هذه الكتابة بنظرية التقسيم الثلاثى للمقطع اللغوى الى مقطع اول . ومقطع متوسط ومقطع نهائى . خلافا للتقسيم الثنائى المتبع في اللغة الصينية .

والأصوات الأولية (الحروف الساكنة) يمثل ١٦ حرفا منها خمسة أشكال رئيسية . ويؤخذ من تفسيرات نص « هنمين - شنجم » الاصلى أن :

ㄱ (K) يصور جذر اللسان الذى يسد الحلق

ㄴ (N) يصور سطح اللسان الذى يلامس سقف الحلق .

ㅁ (M) يصور حدود الفم .

ㅅ (S) يصور حد السن القاطعة .

ㅇ (•) يصور حد الحلق .

أما الحروف الأولية الأخرى فقد اشتقت باضافة جرة (قلم) الى الحروف الأساسية - ولم تخترع حروف للأصوات النهائية . لأن الحروف الأولية تستخدم لهذا الغرض .

ويوضح نص « هنمين - شنجم » ايضا الأصوات المتوسطة (الحروف المتحركة أو اللينة) يمثلها احد عشر حرفا منها ثلاثة أشكال رئيسية هى :

• يصور السماء

ـ يصور الأرض

ا يصور الانسان

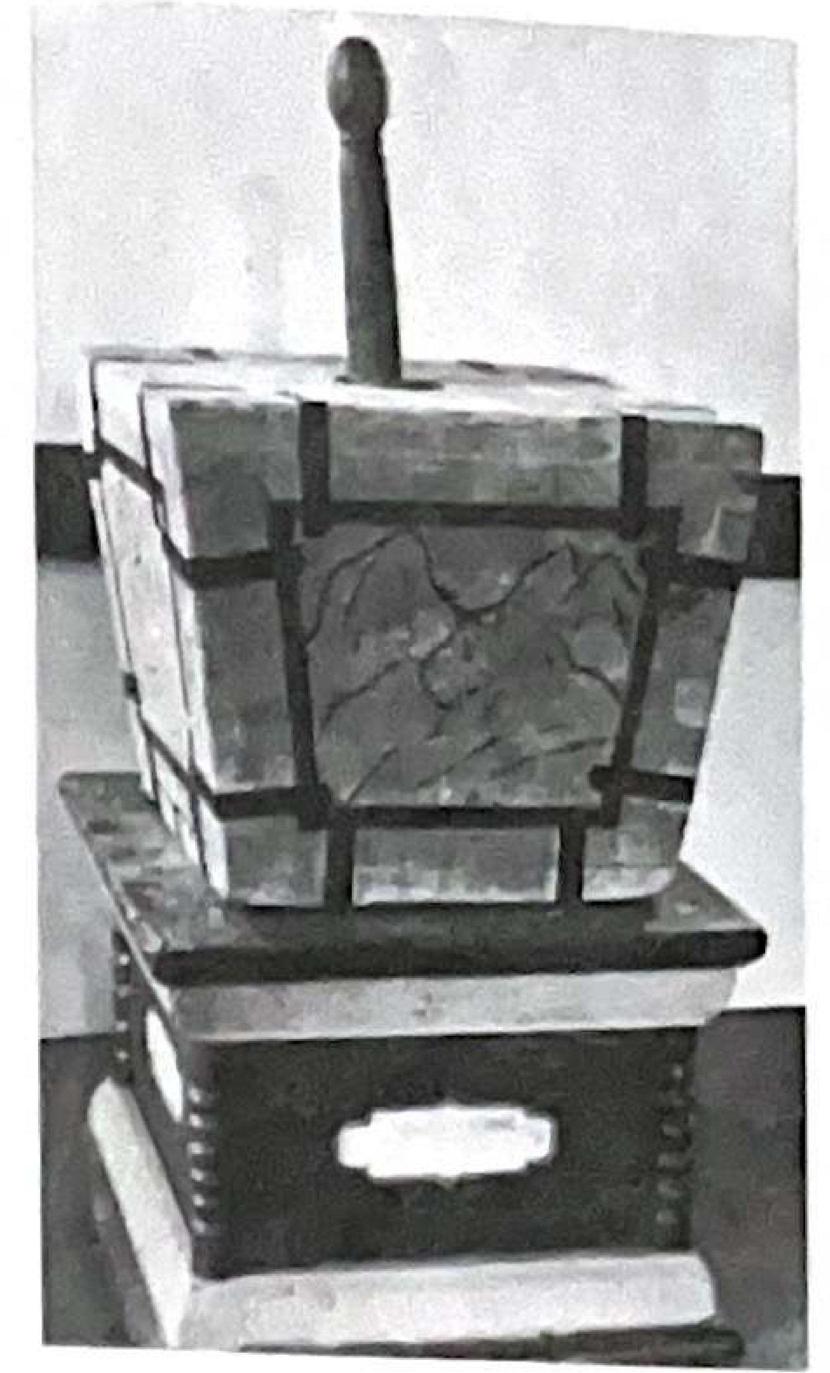
وبضم هذه العلاقات الثلاث تتكون الحروف المتوسطة الأخرى مثل حرف ㅗ (O) . وحرف ㅛ (YO) .

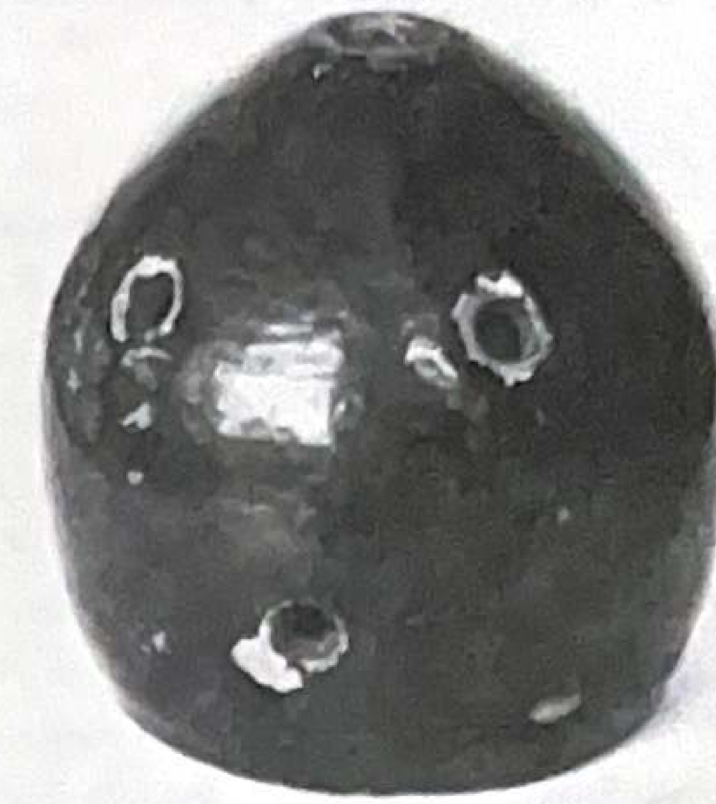
ومن خصائص الكتابة الكورية تجميع مقاطع الحروف الأولية . والمتوسطة . والنهائية . بيد أن الكتابة الكورية تختلف اختلافا جوهريا عن طرق الكتابة المقطعية . مثل كلمة kana اليابانية والواقع أنها طريقة ألفبائية تمتاز بتجميع المقاطع .

وبعد نشر الألفبائية الكورية . ازداد انتشارها بالتدريج . وبخاصة في العصور الحديثة . لدرجة أنها أصبحت الطريقة الأساسية للكتابة في كوريا . بدلا من استعمال الحروف الصينية .

لى كى - مون ، أستاذ اللغة والآداب الكورية بجامعة سيول القومية . نشرت دراسته المقارنة بين اللغتين المانشية والكورية بالانجليزية في مجلة « أورال - ألطيش فهر بوش . المجلد ٣٠ ، ١٩٥٨ » .

اللحن الثماني الشرقي









تشترك الموسيقى الكورية القديمة مع الموسيقى الصينية واليابانية في كثير من خصائصها. بيد أن الموسيقى الكورية قد انفردت بعدد من الخصائص الذاتية تكسبها مكانة خاصة في ثقافة شرق أسيا. ومن هذه الخصائص - على سبيل المثال - الايقاعات الثلاثية خلافا للايقاعات الثنائية في الموسيقى الصينية واليابانية. ومنها أيضا نظامها الخاص بالعلاقات الموسيقية.

وفي الموسيقى الكورية كما في التصوير الكورى تياران متميزان، التيار الكلاسيكى أو موسيقى البلاط وتمتاز ببطء التناغم وكبت العواطف. والموسيقى الشعبية وتمتاز بايقاعها النابض بالحياة. وتعبيرها الشجى الرخيم الذى يشبه تعبير الموسيقى الهندية المعروفة وباسم راحا. وتتضمن موسيقى البلاط عدداً من الاساليب المختلفة. يستخدم كلها منها في مناسبات أو حفلات خاصة، كموسيقى المأدب. وموسيقى الطقوس الكنفشيوسية. وموسيقى الاضرحة السلفية (التى تضم جثمان الأسلاف).

وطبقا للتقاليد المغنية من الصين يتم تصنيف الآلات الموسيقية طبقا للمواد الثمانية الرئيسية التى تصنع منها. وهى الخشب والصلصال. والمعدن. والحجارة. والجلد (القرن). والبقطين. والحرير. والخيزران. وقد بينا الآلات المصنوعة من هذه المواد في هاتين الصفحتين. وذكرنا الخشب مرتين. لأن الآلات التى جرت التقاليد باستخدمها في بداية العزف الموسيقى وفي نهايته مصنوعة من الخشب.

(١) الخشب. تصنع منه آلة «التشوك» وهى عبارة عن وعاء خشبى (على شكل حوض أو معجن) بأعلاه مطرقة تولج في العطاء وتوضع التشوك على أحد جوانب الاوركسترا. وتدق المطرقة أسفل الوعاء ثلاث مرات. اشارة الى بدء العزف الموسيقى.

(٢) الصلصال. تصنع من آلة «الهون» وهى عبارة عن ناى (فلوت) بأعلاه ثقب للنفخ الموسيقى. وخمسة ثقوب على عدد الأصابع. وتتوقف درجة النغم (طبقة الصوت) على عرض الناى. وطريقة طبخ الصلصال.

(٣) المعدن. وتصنع منه آلة اليون جونج. وهى مجموعة من ١٦ جرسا برونزيا معلقة في صفين على حامل خشبى والأجراس متماثلة حجما وشكلا. ولكنها تختلف في كثافة البرونز وتقرع بمطرقة من القرن.

(٤) الحجارة. وتتخذ منها آلة «اليون جيونج». وهى مجموعة من ١٦ جرسا من حجر اليشب. تقرع ايضا بمطرقة من القرن وتختلف درجة النغم باختلاف اليشب.

(٥) الجلد. وتتخذ منه آلة «التشانجو» وهى طبلة من الزجاج على شكل الساعة. وجلدة الطبلة اليسرى سمكية وتقرع براحة اليد. أما الجلدة اليمنى فهى رقيقة وتقرع بنقارة (عصا النقر على الطبلة).

(٦) البقطين. وتتخذ منه آلة «سنج هوانج» وهى نوع من أرغون الفم يتألف من طاس (على شكل سلطانية) صغير متخذ من اليقطين تبرز منه ١٧ أنبوبة رفيعة من الخيزران ذات أطوال مختلفة. وأحداها صامتة. وفي اسفل كل انبوبة لسان معدنى رقيق يهتز كلما نفخ العازف في البقطينة (الطاس).

(٧) الحرير. وتتخذ منه «الكومون - جو» وهى عبارة عن قانون ذى ستة أوتار من الحرير.

(٨) الخيزران. وتتخذ منه آلة «الهيانج بيرى» وهى عبارة عن مزمار من الخيزران ذى قصبتين وثمانية ثقوب للأنامل. وقد استعمل في كوريا في القرن الخامس.

(٩) الخشب. وتتخذ منه آلة «الأو» (٥) وهى على شكل نمر. على امتداد ظهره ٢٧ حزة (أو تحزيزة) وعند انتهاء العزف الموسيقى يقرع النمر ثلاث مرات على رأسه. ثم تسحب عصا مشقوقة من الخيزران على الحزات أو التحريرات الموجودة على ظهره. وتوضع هذه الآلة دائما على جانب الاروكسترا المقابل لآلة التشكوك.









الصورة الجدارية فى كوجوريو:

صور جدارية من الحياة اليومية



صورة يظن انها للملك ميشون ، في القبر رقم ٣ الموجود بمدينة أناك ، ولاية هوانج ـ هي .
تصوير ، أكاديمية العلوم الاجتماعية بجمهورية كوريا الشعبية الديمقراطية

لاريب أن مقابر الملوك والنبلاء التى اكتشفت خلال عشرات السنين الأخيرة على امتداد الجزء الأوسط من نهر يالو في سهل تونج ـ كو جنوبي منشوريا . وفي حوض نهر تيدونج بالقرب من بيونج يانج . تمثل ذروة التطور الفنى والمعمارى في مملكة كوجوريو القديمة (٣٧ ق . م ـ ٦٦٨ م) .

وقد اختار العراقون مواقع المقابر لمناظرها الملائمة . وهى تنتشر على نطاق واسع في الريف . ويزدان خمسون منها بالصور الجدارية ذات الجمال الرائع التى تتضمن معلومات قيمة عن المعتقدات الدينية . وتنظيم المجتمع والحياة اليومية في ذلك العهد . ويستدل على المهارة المعمارية التى بنيت بها هذه القبور من تصميم القباب . ووضع الأعمدة . وتمثل القبور التى ظلت مدفونة زمنا طويلا تحت الروابى الواقية لها . ماتعمده المهندسون من المزج بين مظاهر الجمال . ومقتضيات الوظائف العملية لهذه المقابر .



الموكب الملكى ، صورة جدارية في قبر الملك ميشون .

وتعالج الصور الجدارية التى لاتزال على حالها عدداً كبيراً من الموضوعات .

ففى « القبر ذى العمودين » يشاهد موكبان جنائزيان يشقان طريقهما على امتداد الجدران في دهليز المدخل . ويخترقان الحجرة الامامية ثم يلتقيان أخيراً عند الطرف الأقصى للحجرة الرئيسية التى يشاهد فيها رجل وامرأة . جالسين على منصة .

أما القبر الضخم المبنى في القرن ٤ للملك ميشون بمدينة أناك بولاية هوانج ـ هى . فهو يشتمل على أربع حجرات كاملة الزخرف . وأشهر صوره الجدارية يبلغ طولها ستة أمتار . وهى تصور موكبا ملكيا حيث يجلس الملك في عربة تجرها الثيران ويحرسها رجال وركبان . وجمع حاشد من رجال الحاشية والمهرجين . وعددهم جميعا ٢٥٠ شخصا . ومن الغريب أنه على الرغم من أن كل هؤلاء الأشخاص يمثلون الطوائف التقليدية من نبلاء . وموظفين ورهبان . وخدم . ومشعوذين . فإن كل شخص منهم يختلف عن الآخر . كما يختلف شخصية كل منهم عن الآخر . وتعلو وجوههم نظرات دقيقة حتى لقد يخيل للرائى أن الفنان يعرف كل واحد منهم . رجلا كان أو امرأة . ويمكن أن تلاحظ مثل هذه الدقة في التفاصيل . في تصوير الاسلحة والدروع والعربات والمناظر الفنية .

وتعد صور مقابر كوجوريو بمثابة مؤلف رمزى عن الحيوانات . فهى تشمل الحيوانات المتأنسة والمتوحشة . والدواب الحقيقية والخرافية . وفي مملكة كوجوريو أيضا وضع الفلكيون أول خرائط كورية للنجوم . كتلك الخريطة المرسومة على سقف الحجرة الرئيسية في « قبر الراقصات » .

وتزدان قبور كوجوريو بعدد لايحصى من الرسوم الزخرفية . كزهرة اللوتس . ومحلاق من صريمة الجدى يلتف حول الأعمدة . ويضفى روح الحياة على السقف . مما يشهد بالبراعة الفنية . والابتكار الفائق الذى امتاز به الفنانون المجهولة اسماؤهم الذين ابدعوا هذه الروائع الفنية الموغلة في القدم !



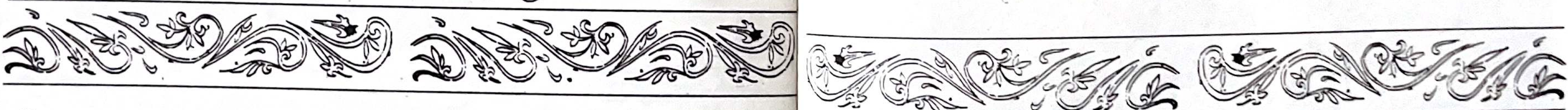


صورة فارس ، وأحد الرماة على صهوة جواد ، في القبر ذى العمودين بمدينة جنجى دونج بولاية بيونجاح



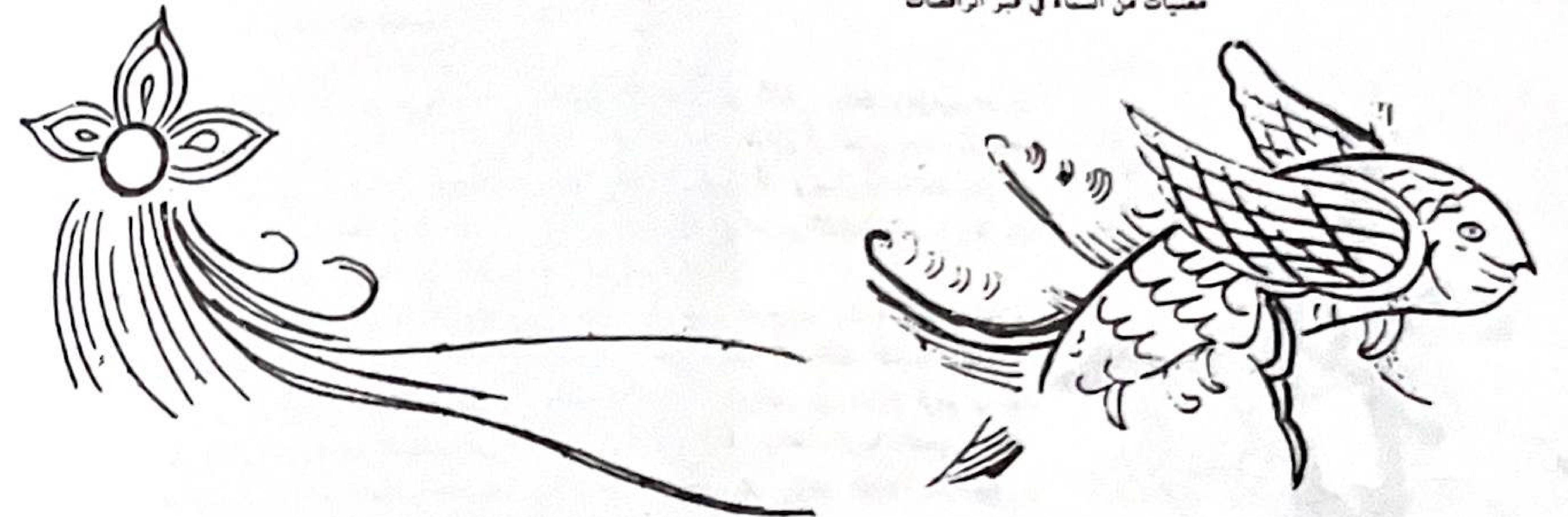
ان الصور الجدارية في قبور أناك ، وفي قبر الحجرات الثلاث غنية بالمعلومات عن أنواع مختلفة من الملابس .

صورة صريمة الجدى (شجيرة ازهارها غنية بالرحيق) على جزء من سقف قبر الملك ميشون .



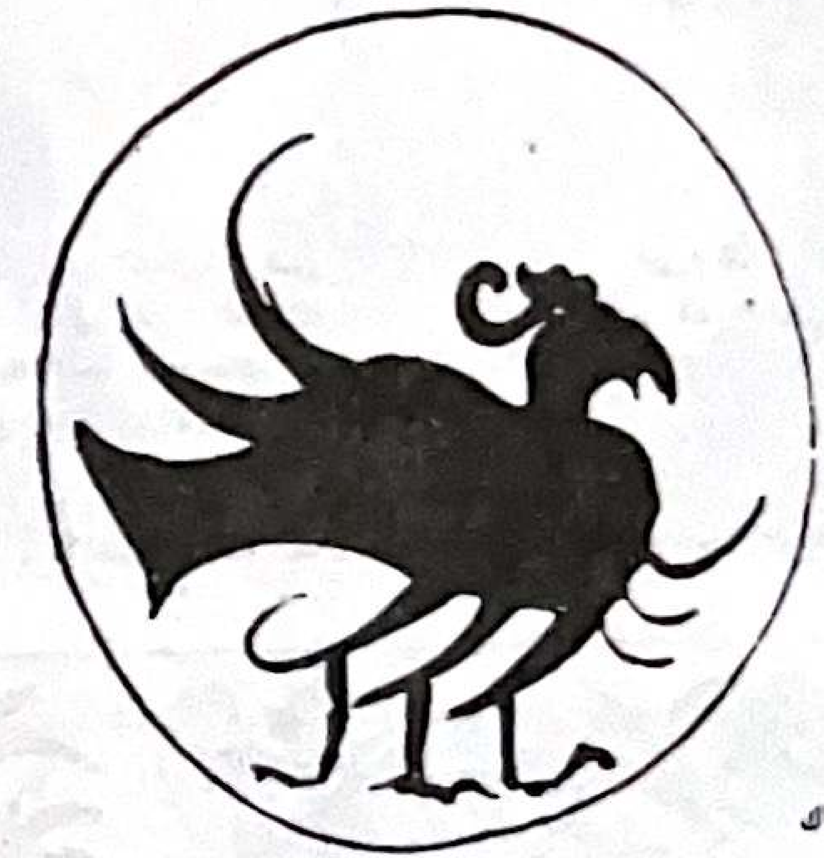


مغنيات من السماء في قبر الراقصات





صور زخرفية في أحد مقابر كانجو .



كائنات خرافية في قبور أناك والقبر ذى العمودين .

رسوم منقولة عن كتاب « ثقافة كوجوريو . أكاديمية العلوم الأجتماعية بجمهورية كوريا الشعبية الديمقراطية .

فن التصوير الكورى
إسهام أصيل في الفن الشرقي

بقلم : شوصن - يو

تأثر فن التصوير في كوريا - على مر العصور - تأثرا قويا بالتصوير في الصين . ويرجع ذلك الى قرب موقع البلدين ، والعلاقات الثقافية العريقة بينهما . بيد أن المصورين الكوريين لم يقفوا عند حد التقليد ، بل ابتدعوا فنا كوريا فريدا في بابة بالتوفيق بين المؤثرات الصينية ، وعبقريتهم الوطنية .

ويرجع تاريخ الفن الكورى الى الصور المرسومة على جدران المقابر ، التى كانت سمة بارزة من سمات الثقافة في مملكة كوجوريو (٣٧ ق . م الى ٦٦٨ م) . وكانت هذه المملكة في أيامها الأولى عرضة لتأثير الحضارة في شمال آسيا عن طريق اتصالها بعدد من القبائل المحيطة بها مثل قبائل الهون ولكن التأثير الغالب جاء من الثقافة السائدة في شمال الصين في عهد أسرة هان (٢٠٦ ق . م - ٢٢٠ م) والأسر الست (٢٨٠ ق . م - ٥٨٩ م) . ذلك أن الصور الجدارية المرسومة على مقابر كوجوريو القديمة استمدت إلهامها من التصوير الصينى لذلك العهد سواء من حيث المفهوم أو من حيث الأسلوب .

وكان لهذا التقليد نظيره في مملكة بيكشى (١٨ ق . م الى ٦٦٠ م) . وآية ذلك أن الصور الجدارية المرسومة على المقابر الحجرية في مدينة تنجان - في بولاية بيو ، التى تصور بأسلوب فنى يجمع بين الدقة والجمال أزهار اللوتس وأشكال السحب . وصور الآلهة الأربعة . تعد مثالا رائعا للفن البيكشى (نسبة لمملكة بيكشى) . ومن الأمثلة الرائعة الأخرى قبر الملك مريونج الذى اكتشف في كونجو في ١٩٧١ . ويحتوى هذا القبر على صور لزهرة اللوتس . وصور ملونة للعنقاء الحمراء ، والآلهة الحيوانية . وهناك صورة جميلة لمنظر طبيعى رسمت على جدار من القرميد في احد معابد بيكشى المدمرة الذى يرجع تاريخه الى النصف الأول من القرن السابع وتثبت هذه الصورة التطور الملحوظ الذى طرأ على تصوير المناظر الطبيعية في عهد مملكة بيكشى

وكانت مملكة سيلا (٥٧ ق . م الى ٦٦٨ م) أشد الممالك الثلاث القديمة جمودا ومقاومة للتجديد في فن التصوير . وآية ذلك أنه لم يعثر حتى سنة ١٩٥٠ على أى أثر للصور السيلية بيد أن أعمال الحفر والتنقيب التى تمت في السنوات الأخيرة أسفرت عن كشوف مثيرة . أهمها الصور المرسومة على لحاء شجر البتولا في القبر ١٥٥ في كيونجو سنة ١٩٧٣ . وهى نوع من الصور الزينية . ويبدو أن الخطوط الكفافية (المحيطية) رسمت في البداية بحرية على سطح المواد المصنوعة من لحاء البتولا ثم أضيفت الألوان بعد ذلك .

وتقص علينا سجلات سامجوك ساجى (سجلات التاريخية للممالك الثلاث) نادرة طريفة عن مصور اسمه صولجو مارس نشاطه الفنى من منتصف القرن ٦ الى بداية القرن ٧ خلاصتها « أن صولجو رسم صورة لشجرة صنوبر قديمة . بدت مطابقة للحقيقة لدرجة أن الطيور انخدعت بها فطارت في الحجرة لتحط على أغصانها . وبمرور الوقت أخذت الوان الصورة تبهت . ثم جاء كاهن عجوز فنمقها وزوقها . ومنذ ذلك الوقت لم تعد الطيور



منظر طبيعى (بالحبر والألوان على الحرير) ينسب الى الفنان العالم يى كيونج - بن من رجال القرن ١٦ أدخل يى كيونج - ين في كوريا أسلوب « المدرسة الشمالية » في التصوير . وهو الأسلوب المستمد من الفن الصينى . يرمز الكركى الموجود بالقرب من التمثال البشرى الى الخلود .

تصوير . هان سوك - هونج . سيول .

شوصن - يو ، مدير المتحف القومى الكورى ، سيول . احد مؤلفى كتاب « كوريا ، أرضها ، وشعبها وثقافتها في كل العصور » سيول ، ١٩٦٢ .

تنخدع بها ، ومن هنا يتضح أنه على الرغم من عدم وجود أى صور سيلية حقيقية . ماعدا صور القبور . فى وسع الانسان أن يحكم . بالمعايير المعاصرة على الأقل . أنه تم انتاج اعمال فنية بارزة .

وكانت هناك مدرستان من المصورين على عهد أسرة كوريو (٩١٨ ق . م الى ١٣٩٢ م) . احدهما تضم المصورين المحترفين . والأخرى تضم الارستقراطيين والعلماء والأدباء الذين اتخذوا التصوير هواية .

وكان بى نيونج من المصورين المحترفين للمناظر الطبيعية في عهد كوريو . وقد صور منظرين طبيعيين احدهما نهر بسونج . والآخر جاح شون صون . وقد اثنى عليهما امبراطور الصين هويت سونج وكان هو نفسه فنانا مجيدا .

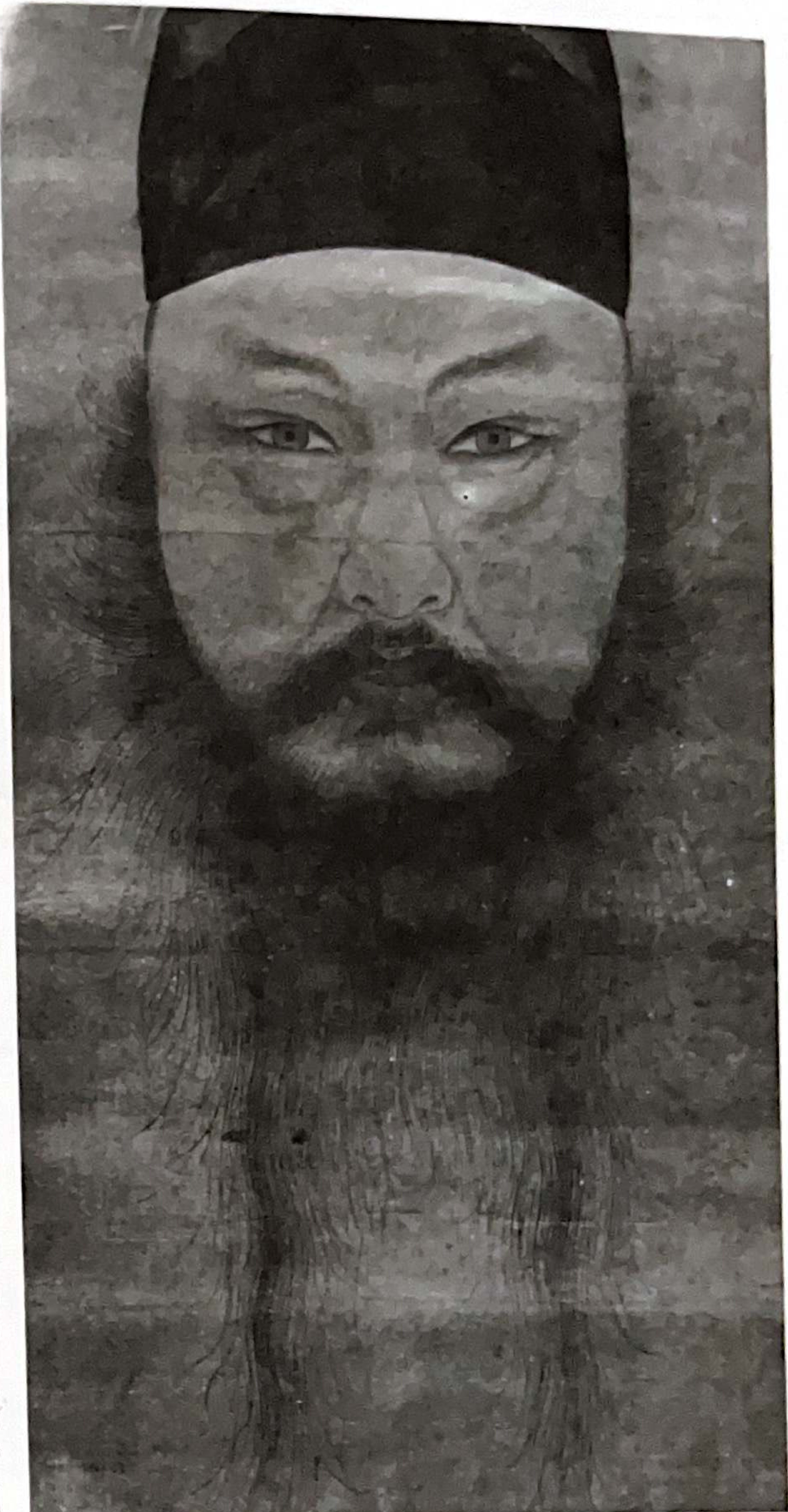
ومن أبرز المصورين من المثقفين في ذلك العصر شونج تشى - سانج الذى اشتهر بمناظره الطبيعية وتصويره للازهار . ومنهم هيى . وهاى هو . وهما راهبان بوذيان اشتهر بصورها البوذية . وصورها على الخيزران بالحبر الهندى . والملك كنجمين (١٣٥١ - ١٣٧٤) الذى برع في تصوير المناظر الطبيعية . وتصوير الزهور والطيور والأشخاص .

وقد برز تقسيم عالم التصوير الى مدرستين بصورة قوية - وهو التقسيم الذى اشرنا اليه انفا - في عهد أسرة يى (١٣٩٢ - ١٩١٠) . ذلك أن المصورين المحترفين ركزوا نشاطهم حول تهوا - سو (ديوان التصوير) وهو ديوان حكومى انشىء في عهد أسرة كوريو ثم أعيد تنظيمه في عهد اسرة يى .

وكان ابرز المصورين المحترفين للمناظر الطبيعية في أوائل عهد اسرة يى هما آن كيون . وبى سانج - جوا . وكان ابرز مصورى المناظر الطبيعية من الطبقة المثقفة هو كانج هوى آن . وقد انتهج ثلاثتهم في التصوير أسلوب أكاديمية سونج القديمة . فاظهروا الذوق الفنى المحافظ السائديين رجال الحاشية والنبلاء . وكان من عوامل هذا الاتجاه نحو المحافظة على القديم . هو تلك المجموعة الضخمة من صور سونج . ويوان . التى كانت في حوزة الأمير أنب - يونج الابن الرابع للملك سى جونج . وكان هذا الأمير شابا ذا ذوق رفيع وميول فنية .

وفي أواسط القرن السادس عشر أدخلت مجموعة من المصورين وبخاصة كيم تشى . وبى بول - هى . وبى كيونج - ين . أسلوب المدرسة الشمالية في التصوير في عالم الفن الكورى . وظلت هذه المدرسة الشمالية تمارس نفوذها حتى نهاية القرن السابع عشر . ومن بين أتباعها الفنان بى تشونج (١٥٧٨ - ١٦٠٧) والفنان ين - تو - سو (١٦٦٨ - ؟)

وفي القرن الثامن عشر ظهر عدد من مشاهير المصورين . منهم تشونج صن من مصورى المناظر الطبيعية وقد أدخل المدرسة الجنوبية في كوريا وبذلك تحدى أسلوب المدرسة الشمالية التقليدية . وكان تشونج صن أول فنان نجح في اقتباس أسلوب المدرسة الجنوبية في تصوير المناظر الكورية ويمكن أن تعزى هذه البدعة الجديدة الى يقظة الوعى القومى الجديد الذى أدى في النهاية الى ظهور مدرسة سرهاك في التعليم العملى . والى تأليف كتاب شعبى بكتابة هانجول . وتصوير موضوعات مقتبسة من حياة الناس اليومية ؟



صورة ذاتية (بالحبر والألوان على الورق) تمثل ين تو - سو العالم والمصور في المدرسة الشمالية في القرن ١٧ . وهى من الصور الذاتية القليلة التى بقيت من عهد اسرة يى الكورية . تم تصوير الوجه تصويرا واقعيا بحيث بدت كل شعرة من اللحية بطريقة دقيقة .

تصوير هان سوك - هونج . مجموعة خاصة هيئام .







واجهت « المدرسة الشمالية » تحديا من جانب « المدرسة الجنوبية » التى أضافت إلى الفن الكورى حشدا من الصور الحية للمناظر المقتبسة من الحياة اليومية . كان كيم هونج - دو (ولد حوالى ١٧٤٥) مصورا مشهورا اهتم بتصوير المهن التى يمارسها الشعب وأساليب الترويح والاستجمام التى يجدد بها نشاطه الجسمى والعقلى . وهى الأمور التى اهملها المصورون التقليديون . صور كيم هونج - دو ثلاثة مناظر . النظرة الغرامية (أعلى) والمدرسة القروية والمغنون والراقصة . وفي هذه الصورة الأخيرة تظهر الآلات الموسيقية النموذجية في كوريا (أعلى) .

تصوير : هان سوك - هونج

ذاكرة القبور

اكتشافات أثرية حديثة

بقلم: كيم ون - يونج



حيوان صغير وحشى. من حجر. وجد في مقبرة الملك مريونج (٥٠١ ـ ٥٢٣) في كونجيو عاصمة اسرة بيكش (١٨ ق. م ـ ٦٦٠ م)
(الصورة: هان سوك ـ هونج. سيول. جمهورية كوريا ـ متحف كونجيو الأهلى)

منذ مستهل التاريخ الميلادى الذى يتوافق مع ذروة عصر الحديد في كوريا بدأ السكان يكونون ولايات وتجمعات ريفية في مختلف أنحاء البلد.

جاء في كتاب «سامجك ساجى» وهو تاريخ رسمى للممالك الثلاث. حرر في القرن الثانى عشر. أن مملكة كوجريو نشأت على الضفة الشمالية من نهر أمنوك (يالو) في عام ٣٧ ق. م. وبعد قليل. في عام ١٨ ميلادى. وصل جماعة من المنفيين من هذه الدولة الى ما يعرف اليوم بمنطقة سيول. على المجرى السفلى لنهر هان. وانشأوا بها دولة بيكش.

واشتهرت كوجريو بفرسانها رماة السهام الذين كانوا لا ينفكون عن الإغارة على الحدود الشمالية الشرقية للصين. على الجانب الآخر من نهر لياو - هو. في شبه جزيرة لياوتنج. ولكن في أواخر القرن الرابع قامت مملكة «وى» القوية في شمال الصين. فاضطرت كوجريو أن تغير خططها، وانتقلت العاصمة صوب الجنوب واستقرت في بيونجيانج ابتداء من عام ٤٢٧. ولا شك أن هذا النزوح صوب الجنوب قد ولد احتكاكات مع المملكتين الجنوبيتين.

واستمرت مملكة بيكش في منطقة سيول حتى قرابة عام ٤٧٥. ولما هزمتها كوجريو نقلت عاصمتها قليلا الى الجنوب. عند كونجيو. ثم الى بيو. في الجنوب أيضا في عام ٥٣٨. حتى انهارت المملكة في عام ٦٦٠.

وفي الجنوب الشرقى. قامت دولة سارو. او سيللا في عام ٥٧ قبل الميلاد في حوض نهر كيونجيو. وعلى مدى تاريخ سيللا الطويل الذى يناهز الف سنة. لم تغير العاصمة مكانها بالمرة. ولكن المملكة امتدت بانتظام صوب الشمال وصوب الغرب. على حساب كوجريو. وكذا بيكش. ونجحت سيللا في أواسط القرن السادس في غزو منطقة سيول. وحصلت بذلك على قاعدة لها على الساحل الغربى. وقد أدى بها هذا التوسع بطبيعة الحال الى التنازع مع جارتيها، ومن ثم اضطرت الى التحالف مع الصين في عهد اسرة تانج بهدف توحيد شبه الجزيرة كلها.

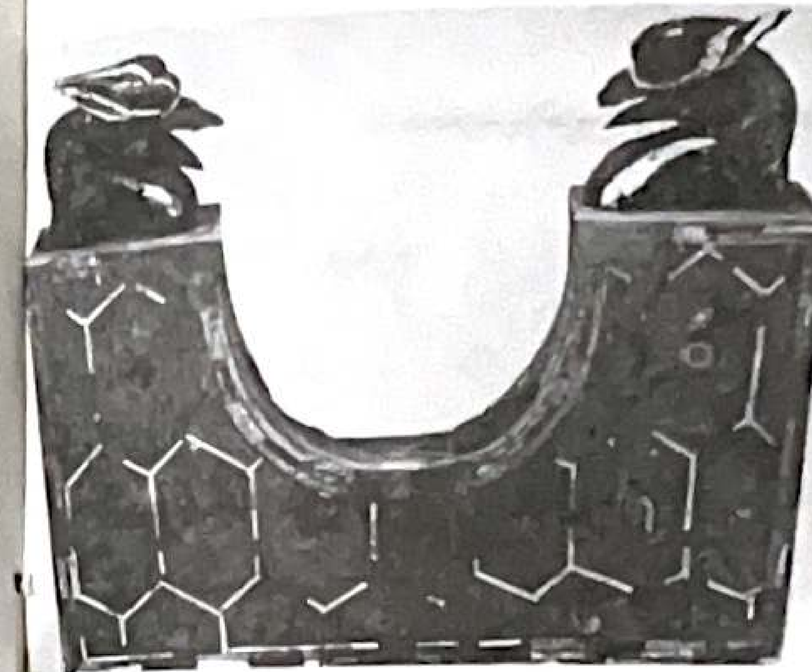
ونجحت سياستها هذه، وبازاء هذه القوى المتحالفة. سقطت بيكش في عام ٦٦٠، وكوجريو في عام ٦٦٨. وكانت سيللا تسمى قبل التوحيد «سيللا القديمة». ثم سميت «سيللا الموحدة» او سيللا الكبرى (٦٦٨ ـ ٩٣٥)

وقد اكتشفت مقابر ملكية أو خاصة بالاشراف في أعداد كبيرة في مواقع العواصم القديمة. وتتجمع هذه المقابر في كوريا الجنوبية حول سيول. وكونجيو. وبيو. لأسرة بيكش. وفي منطقة كيونجيو لمملكة سيللا.

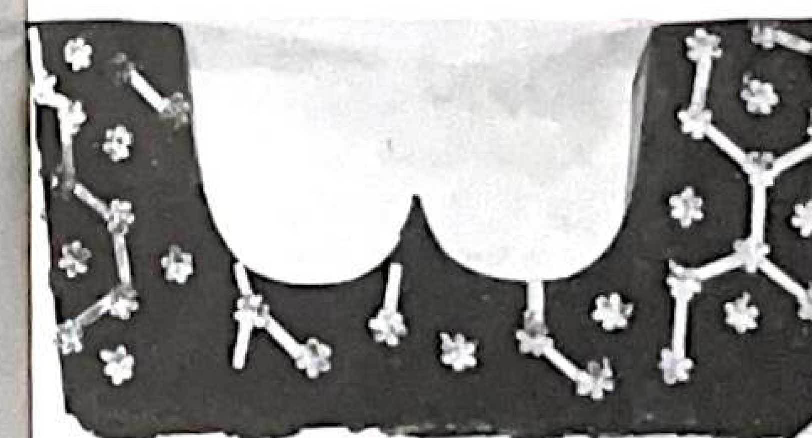
أما غرف مقابر بيكش فإنها مبنية بالحجارة (ونادرا بالطوب) ويعلوها رواب (شواهد)، ومن السهل الوصول اليها ودخولها، وقد نهب معظمها منذ سقوط الاسرة المالكة في عامة ٦٦٠. ولم يعثر على أية مقبرة هامة من مقابر بيكش في حالتها الأصلية.

لذلك كان الاكتشاف الذى تم في عام ١٩٧١ على جانب كبير من الأهمية. ففى هذه السنة عثر صدفة على مقبرة سليمة لم تمس. مقبرة الملك مريونج (٥٠١ ـ ٥٢٣).

وكان وجود مقبرة مبنية بالطوب معروفا على الحد الشمالى لكونجيو، وهى مقبرة مزينة بتصاوير حائطية وتنتمى غالبا الى أوائل القرن السادس. اكتشفت في عام ١٩٣٣ وقد نهبت بأكملها. ومع ذلك فهى أول مقبرة بالطوب. على الطريقة الصينية. اكتشفت في اقليم بيكش. وثانى مقبرة (بعد مقبرة في بيو) تضم تصاوير حائطية، ومن ثم اعتبرت من الآثار التاريخية. وفي اوائل شهر مايو ١٩٧١ كشف عامل كان يشتغل خلف المقبرة في إصلاح مصرف المياه عن طوبات أخرى. وكانت هذه في الواقع هى أحد الأركان العليا لمقبرة الملك مريونج. وكانت هذه المقبرة مغطاة بالتأكيد بربوة



مسند للرأس ومسند للقدمين من خشب مغطى باللك، وجدا في مقبرة الملك مريونج. هذان الشيئان المخصصان للمكلة مزينان بزخارف دقيقة. ويحمل مسند القدمين أزهارا من عرق اللؤلؤ مطعمة به. أما جانبا مسند الرأس فانهما مزينان بعنقاءين تواجه إحداهما الاخرى.
(الصور ـ كيم تى ـ بيوك. سيول. جمهورية كوريا. متحف كونجيو الأهلى)



كيم ون ـ يونج ـ استاذ علم الآثار بجامعة سيول الأهلية. مؤلف «تاريخ الفن الكورى». سيول ١٩٦٨.

منظر عام لروابى مقابر كيونجيو. عاصمة مملكة سيللا (٥٧ ق. م ـ ٦٦٨ م). وتوجد المقبرة رقم ٩٨ الى اليمين. تحت الرابية المزدوجة.

في أثناء التنقيب. ازيلت الرابية. فكشفت عن فرشة الحصا التى تغطى الغرفة الجنازية

ازالة الحصا تحت هيكل واق لحماية الآثار.
(الصور ـ مكتب الشئون الثقافية. سيول. جمهورية كوريا)

تاج. وأساور. وحزام. وجواهر. وجدت في المقبرة رقم ٩٨ المسماة هوانجنام ديشونج (مقبرة هوانجنام الكبيرة). وترجع الى النصف الثانى من القرن الخامس. وقد التقطت في أثناء عمليات التنقيب. وتحدد الخطوط والمربعات موقع هذه الأشياء بالضبط. وفي المقبرة أودعت جرات وأوانى فخارية.

صغيرة . ولكن رجال الآثار ظنوا وقتئذ أن هذه الربوة هي مرتفع من الأرض الغرض منه وقاية القسم من المقبرة الأولى الذى يضم التصاوير .

وقد بنيت المقبرة الملكية على المنحدر الجنوبى للتل ، وكان المدخل من ناحية الجنوب . وتحتوى المقبرة على غرفة رئيسية . ودهليز يفتح ناحية الجنوب . وثمة حائط من طوب يرتفع عموديا على شكل واجهة . عند فتحة الدهليز . وطوبات تسد العقد القائم على مدخل الدهليز . ويمتد مجرى للصرف طوله ثمانية عشر مترا من نهاية الغرفة الكبرى حتى طرف التل . والغرفة والدهليز مزنيان بطوب رمادى اللون عليها نقوش بارزة على شكل زهرة اللوتس . والإثنان يعلوهما قباب هذا البناء يستنسخ تماما بناء المقابر الصينية التى كانت تبنى في ذلك العصر في منطقة نهر يانجتسى .

وفي الحوائط خمس كوات غير نافذة . كان يوضع فيها مصابيح خزفية . وعند اكتشاف المقبرة وجد في الكوات ذبالات محترقة .

وفي وسط الدهليز . اقيم تمثال حجرى . يصور حيوانا . حارس المقبرة . له قرن حديدى وجناحان محفوران . وأمام هذا الحيوان . لوحتان من الحديد عليهما كتابات . موضوعتان جنبا إلى جنب . ونثرت عليها قطع من نقود اسرة ليانج الملكية (٥٠٢ ـ ٥٥٧) .

وعلى إحدى اللوحتين اسم الملك مريونج وتاريخ وفاته وتاريخ ايداع التابوت نهائيا في المقبرة . أما اللوحة الأخرى فهى مهداة إلى الملكة . ودون على اللوحة عقد شراء الموقع ـ المبرم بين الملك مريونج وإلهة الأرض في مقابل ١٠٠٠ قطعة من النقود . ويتبين من الكتابات أن الملك مات عام ٥٢٣ ودفن في المقبرة عام ٥٢٥ بعد وفاته بثمانية وعشرين سنة بالضبط . أما الملكة زوجته فإنها توفيت عام ٥٢٦ . ودفنت عام ٥٢٩ . وكان الملك في الثانية والخمسين من عمره حين مات ولكن عمر الملكة لم يذكره ومع ذلك أمكن تحليل ما تبقى من جثتها في التابوت . وهو ضرس . وقدر أنها كانت في الثلاثين من عمرها حين ماتت . ولم يبد أنها كانت تشكى من أمراض خطيرة في شبابها . ولا يمكن الجزم بأنها ماتت ميتة طبيعية .

أما سيول . أول عاصمة لبيكش فقد استولى عليها جيش كوجريو ونهبها في عام ٤٧٥ . وانهزم الملك كيرو . ومات في المعركة . وفر أعضاء أسرته إلى كونجو . ومن بينهم الأمير ساما . وعمره أربع عشرة سنة . وقد أصبح فيما بعد الملك مريونج . وفي كونجيو ارتقى الملك مريونج العرش في عام ٥٠١ . وبعث إلى الصين وفدا رسميا ليؤمن نفسه ضد أى غزو يشنه كوجريو . وفي عهدته خبرت بيكش السلام والنمو . وقد أطلق عليه بالتالى اسم مريونج الذى يعنى ، « عسكرى » و « سلام » وكان مريونج . على ما ذكر سامجك ساجى . رجلا طويل القامة . وسيما . محبوبا للغاية من شعبه . ولعل قبره قد جعل نسخة مطابقة لقبور أسرة ليانج تخليدا لذكرى تحالفه الوثيق مع الصين . وعلى أية حال فقد ظل قبره القبر الوحيد من بيكش الذى تميز بأنه قبر ملك معروف . وله تاريخ محدد . ويحتوى على مجموعة نفيسة من التحف الخبازية السليمة .

وترك اكتشاف هذه المقبرة أثرا عميقا . ليس فقط في كونجو . وانما أيضا في كوريا كلها حتى في اليابان . ذلك لأن اليابانيين يعتبرون من الناحية التقليدية أن بيكش وملوكها هم الذين أتوهم ببدائع المدنية .

وكان تابوت مريونج موضوعا في القسم الشرقى من الغرض . ورأسه ناحية الجنوب . أما تابوت الملكة فكان في القسم الغربى . وقد انهار التابوتان إذ نخر خشب اللوحات وكان رأسا وأقدام الملك والملكة مستقرة على وسائد خشبية . وفي الحوليات الصينية لأسرة ليانج أن ملوك بيكش كانوا يغطون رؤوسهم بكساء من حرير أسود مزين من أمام ومن خلف بزهرة ذهبية . والواقع أنه وجد شيئان من ذهب على شكل زهرة بالقرب من مسند رأس الملك وكان ثوب الملك . كثوب الملكة مخيطا بلآلى صغيرة وزخارف ذهبية زهرية . ويرتدى أيضا قرطين وحزاما مزينان بدلاية طويلة فضية . وجد أيضا في التابوت مرآتان من برونز . واحدة عند الرأس . والثانية بجانب القدمين . تتميز بنوع خاص بالحيوانات المنحوتة عليها نحتا بارزا على قاعدة من زخرفة صينية تقليدية .

ويبدو مسند رأس الملكة أدق صناعة من مسند رأس زوجها . فقد رسم عليه . فوق قاعدة حمراء اللون منمنمات لحيوانات متنوعة . وبخاصة طيور . وتحت عند الطرفين صورة عنقاء . وترتدى الملكة أيضا عقدا ذهبيا . وأساور من ذهب وفضة . وكذلك بالطبع قرطين ذهبيين . وتدلى من حزامها تمثالان صغيران من زجاج في صورة صبيين حليقى الرأس . لابد أنهما كانا بمثابة تمائم .

وللاكتشافات التى تمت بهذه المقبرة أهمية كبيرة بالنسبة الى تسلسل التواريخ الأثرية . وكذا بالنسبة إلى تاريخ الفن . سواء في فترة الممالك الثلاث أو في حضارة المقابر الكبرى (كوفن) في اليابان . وهى معاهدة لها .

وتم اكتشاف أثرى هام آخر في أبريل ١٩٧٣ . فقد أجرت فرقة من الباحثين الرسميين حفائر في كيونجيو . عاصمة مملكة سيلا في مركز الجبانة .

ويشاهد اليوم في حوض الكيونجيو ومحاوراته المئات من قبور سيلا . وتغطى هذه القبور حقبة زمنية تمد بالقرون . فمنذ حوالى القرن الرابع حتى الثامن . وقد فقد الكثير من هذه المقابر الروابى التى تقيها . ولكن احتفظ بعضها براية عالية يزيد ارتفاعها على عشرين مترا وقطرها يزيد على خمسين مترا . وتعرض مقبرة سيلا النموذجية راية صغيرة من حصى تغطيها راية أكبر من تراب . ويحيط هذا الفرش من الحصى غرفة جنازية خشبية . أشبة بصندوق كبير يضم التابوت وتحفا جنازية . وبعد مرور بضع سنوات على دفن الجثة نخر سقف الغرفة وانهار . وسقط (يتبع صفحة ٢٩) الحصى . وحطم معظم الأشياء .

وعرضت المقبرة رقم ١٥٥ في كيونجيو راية ارتفاعها ١٢٫٧ مترا وقطرها ٤٧ مترا . وتسمى « مقبرة الحصان السماوى » . ومن الأشياء التى اكتشفت فيها جانب من سرج من لحاء السندر يحمل صورة حصان مجنح . وأمكن بدراسة المقبرة وما فيها من تحف تحديد تاريخ المجموعة بأوائل القرن السادس .

واذا كانت المواد العضوية كلها قد تحللت . فإن الأشياء الثمنية (من ذهب وزجاج) بقيت سليمة . وكان في المقبرة رجل يلبس تاجا ونطاقا جميلين . والأثنان من ◀

تقديس الموتى

تزدان الغرف الجنازية بمقابر كوجوريو في الكثير من الأحيان بتصاوير حالطية نفسية تمثل حيوانات مألوفة او خرافية . ومشاهد من الحياة العائلية . وقد رسم المصور على الحائط مباشرة الثعبان والسلحفاة . وهما حيوانات مقدسان . في جديلة زخرفية جميلة . لاتثير الخوف والتصوير القديم للسلحفاة . وهو من وحى صينى . يصحبه عادة صورة التنين والنسر والعنقاء ، ومع هؤلاء تشرف السلحفاة على الجهات الأربع الأصلية . وهذه الصورة موجودة في مقبرة أوهيون الكبرى . في بيونجان نامدو بالقرب من بيونجيانج .





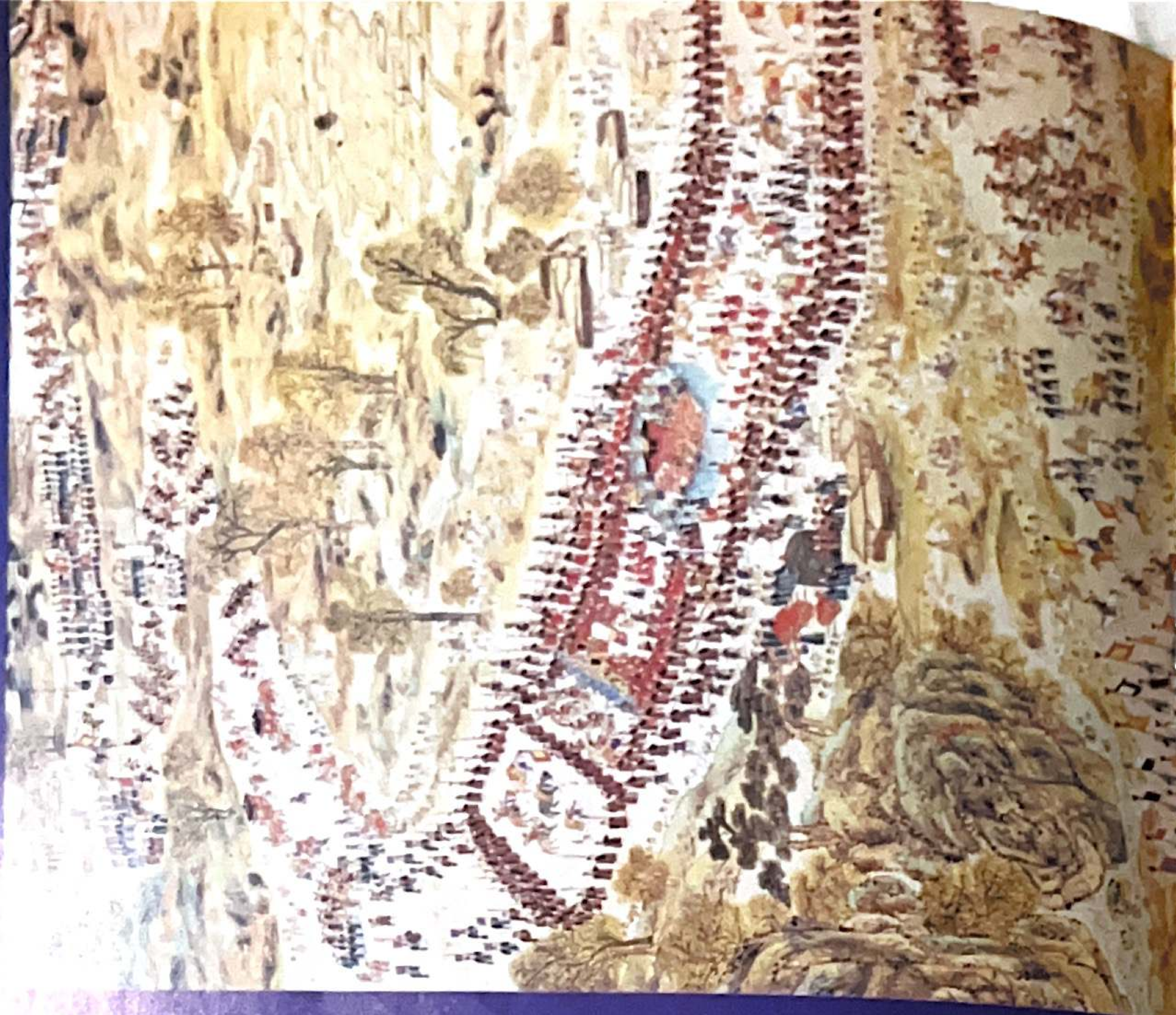
الحصان الطائر يجر الموتى الى السماء . وقد اكتشف هذا الفرس ذو الثمانى أقدام في مقبرة شونما ـ شونج في كيونجيو ، وقد صور على لحاء السندر في عصر مملكة سيللا (القرن الخامس الى السادس بعد الميلاد) . ويبدو في الصورة قطعة من سرج حصان . والسندر في سيبريا ومنشوريا شجرة مقدسة ، تصنع عصا الشامات من أغصانها . ونجد السندر في اسم مؤسس كوريا ، تان ـ جن ، فكلمة تان تعنى نوعا من السندر .

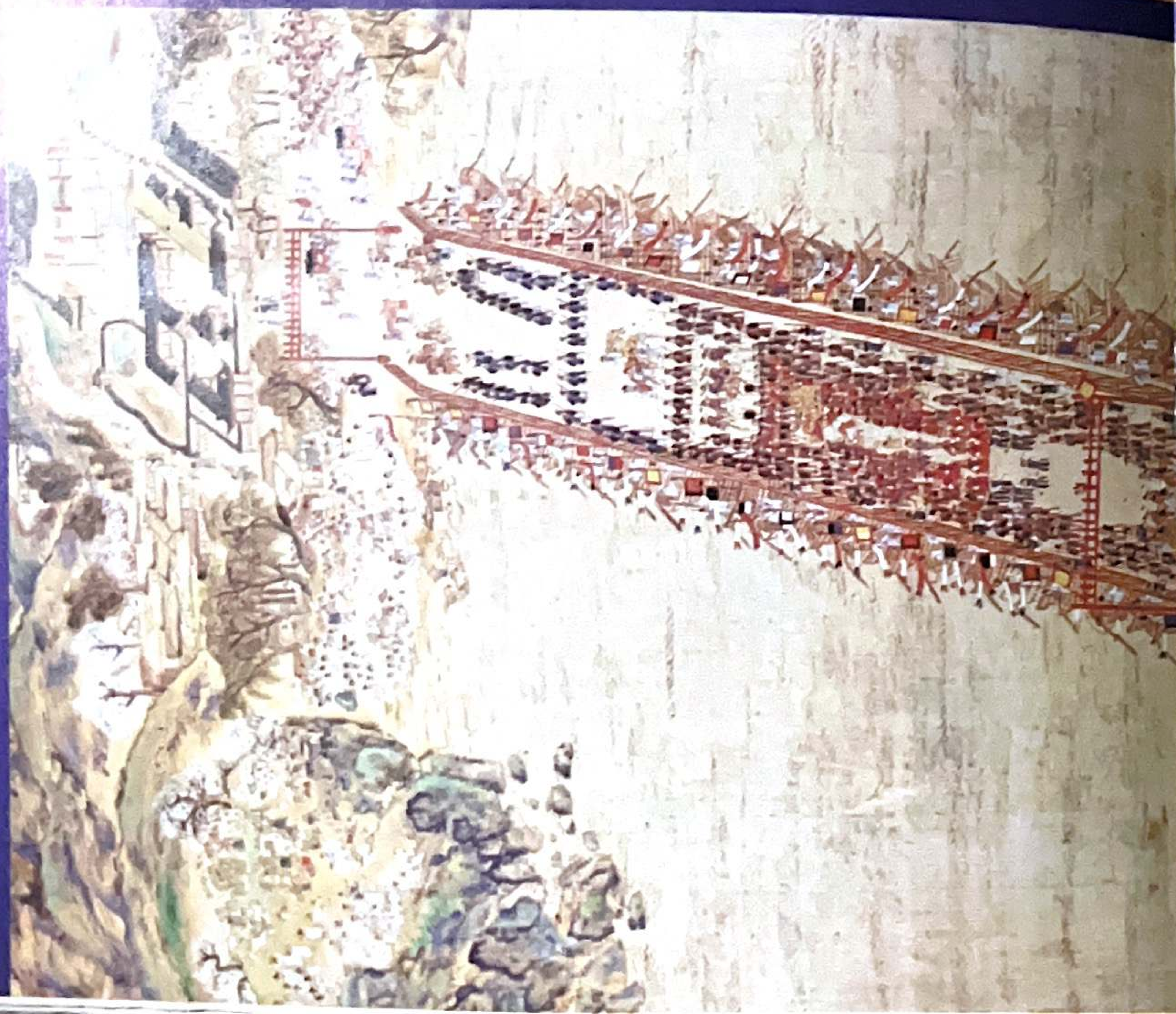


عندما أصبحت كونجيو عاصمة مملكة بيكش (في عهد اونجيين ٤٧٥ ـ ٥٣٨) ، تغيرت طريقة دفن الموتى . فقد استبدل باناء رماد الموتى . والراية البسيطة « المقبرة على شكل النفق » والمقبرة المنفق الخاصة بالملك مريونج (التى تبدو في الصورة) مزينة بطوب مرشوم .

هذه الحجرة التى اكتشفت في عام ١٩٧١ طولها ٤٫٢٠ مترا وارتفاعها ٢٫٩٣ مترا . وتضم أثاثا نفيسا . وتيجانا . وجواهر . وأوانى فخارية ، وهى موجودة في شنجشونج نامدو . وترجع الى النصف الثانى من القرن السادس .

(الصور ـ كيم تى ـ بيوك . سيول)






ذهب . وكان التاج الذهبى خامس تاج عثر عليه في مقابر سيلا بكيونجيو . ولابد أن صاحبه كان ملكا من ملوك بداية سيلا القديمة . ويتكون التاج من عصابة (رأس) دقيقة من ذهب خالص تحمل على مقدمتها ثلاثة سيقان تمثل أغصانا مطورة الأسلوب . وعلى الجوانب زخارف على شكل قرون بلالى . ومن رأى علماء الآثار أن شكل الأشجار وقرون الأيل رمزى وأنها تعبر عن معتقدات الشامانيين المنتشرة على نطاق واسع في سهوب سيبيريا وثبتت على الزخارف الكبيرة فوق جبهة التاج بجدائل من اسلاك ذهبية دلايات مصفوفة من يشب ويزداد بريق التاج بعدد كبير من « الترتر » الذهبى المثبت على الزخارف العمودية . ووضع كأس مدبب القاع مصنوع من ورقة ذهبية بزخارف محزمة خارج التابوت . وكان هناك أيضا حليتان للرأس على شكل أجنحة من ذهب خالص .

وكان في الطرف الشرقى للغرفة صندوق خشبى . يحتوى على مجموعة من القرابين الجنائزية . منها أشياء تستعمل في الفروسية (جوانب السرج من لحاء السندر) . وأوعية ذهبية . وفضية . وبرونزية وحديدية . وأوانى من اللك . وخزفيات . وجوانب السرج مصنوعة من لحاء خشبى مختلف الثخانة مخيطة بعضها ببعض بحليات من الجلد . وفي وسطها صورة حصان أبيض يعدو بأقصى سرعته . وعرفه وذيله متطايران في الهواء . وحوله زخرف من أزهار . حمر وسود . وبيض . وخضر . ومن كل قدم تبرز أجنحة لولبية . هذا النمط من تصاوير فريد في نوعه . لا يعرف له مثيل في شرق آسيا . ولذلك فإن لهذه الأشياء قيمة كبيرة .

وفي شرق مقبرة « الحصان السماوى » مقبرة أخرى . وهى أوسع مقبرة في كيونجيو وموجودة في قطاع هوانجنان ومن ثم أطلق عليها بعداكتشافها «مقبرة هوانجنام الكبيرة » وتتكون هذه المقبرة من رابية مزدوجة ، إحداها في الشمال والأخرى في الجنوب . والقاعدة مشتركة . ويبلغ ارتفاعها ٢٣ مترا . وطولها الكلى ١٢٠ مترا . وكانت الرابية الشمالية مدفنا لامرأة هى غالبا زوجة الرجل المدفون في الرابية الجنوبية . ويدل تكوين الرابية المزدوجة على أن هذه المرأة عاشت بعد وفاة زوجها ودفنت بعده . وكانت تلبس تاجا ذهبيا فاخرا . وحزاما ذهبيا وخمسة أزواج من أساور ذهبية . وقلادتين من لآلىء زجاجية .. وهناك ثلاثة أمور تؤكد أنها امرأة ، عدم وجود سيف في التابوت . ودولاب مغزل من طين نضج مزخرف . وكذا ونوع خاص كتابة تقول « حزام لسيدة » . هذه الكتابة منقوشة بدبوس على الطرف الفضى لحزام آخر وجد في الصندوق . وجد هناك أيضا قدح من زجاج عليه الشرطة مصنوع دون شك في بلد من بلاد البحر المتوسط . أما زوج هذه السيدة الملكية فإنه يلبس تاجا بسيطا من برونز مذهب . أما حزامه فيحتوى على عدد من الدلايات أقل مما يحتويه حزام زوجته .

ولابد أن هذه المقبرة ترجع إلى النصف الثانى من القرن الخامس ولما لم يكن في سيلا ملكة تولت الحكم قبل القرن السابع . فقد ثار التساؤل عن السبب في أن هذا الرجل الذى لابد أن يكون ملكا كان يلبس تاجا بسيطا من برونز في حين تلبس زوجته تاجا من ذهب

الصفحتان الوسطيان

قنطرة من ثمانى وثلاثين مركبا

بين غزوة يابانية (في ١٥٩٢) وغزوة أخرى منشورية (١٦٣٦) لتحى جماعة من العلماء الكوريين الذين تلقوا العلم في مدرسة « الاختبار النقدى » الصينية عن الكونفوشيين الذين انقسموا الى شيعتين متنافستين استبدلتا بالايديولوجية في الكثير من الأحيان مناورات سياسية . ولقتحت أذهان هؤلاء العلماء الكوريون عن طريق الصينيين على مبادىء العلوم الغربية والروح الموسوعية . فانشئوا طائفة سميت سل هاك . أى « علم الواقع » . وتذكر الحوليات التاريخية لهذا العصر أن شونج ياج - يونج ، وهو عالم ومهندس معمارى وضع في عام ١٧٨٩ تصميمات هذه القنطرة المكونة من مراكب بعرض نهر هان بسيول ، ولهذا الغرض تم لاستيلاءعلى ثمانى وثلاثين مركبا ربطت بعضها ببعض ومدت بعرض النهر ، ووضع فوقها الف رافدة . وربطت اثنتا عشرة سفينة على الجانبين لدعم القنطرة . وتحكى صورة رسمت في هذا العصر (الصورة المنشورة) هذا الحدث . وكانت المواكب تستعمل هذه القنطرة وهى ذاهبة للاحتفال بالأسلاف .

يتوجه الملك شونجيو في موكب مهيب لزيارة مقبرة أبيه ، الأمير سادو . ومن المعتاد أن يقوم الملك عدة مرات في السنة بإحياء ذكرى آبائه ، حاملا اليهم في موكب كبيرا آيات الولاء ، وكذا الطعام والمرطبات . وفي عهد شونجيو . وقبله مباشرة في عهد جده يونجيو ، تدعمت في كوريا في القرن الثامن عشر حركة سيلهاللك . ولما كان شونجيو مولعا بالأدب فإنه أسس الأكاديمية الملكية ، كما أنه كان مهتما بالاصلاحات الاجتماعية .وقد صور الفنان المشهد على حجاب (بارافان) عال .

(الصور - مصلحة الاستعلامات الخارجية الكورية . سيول)



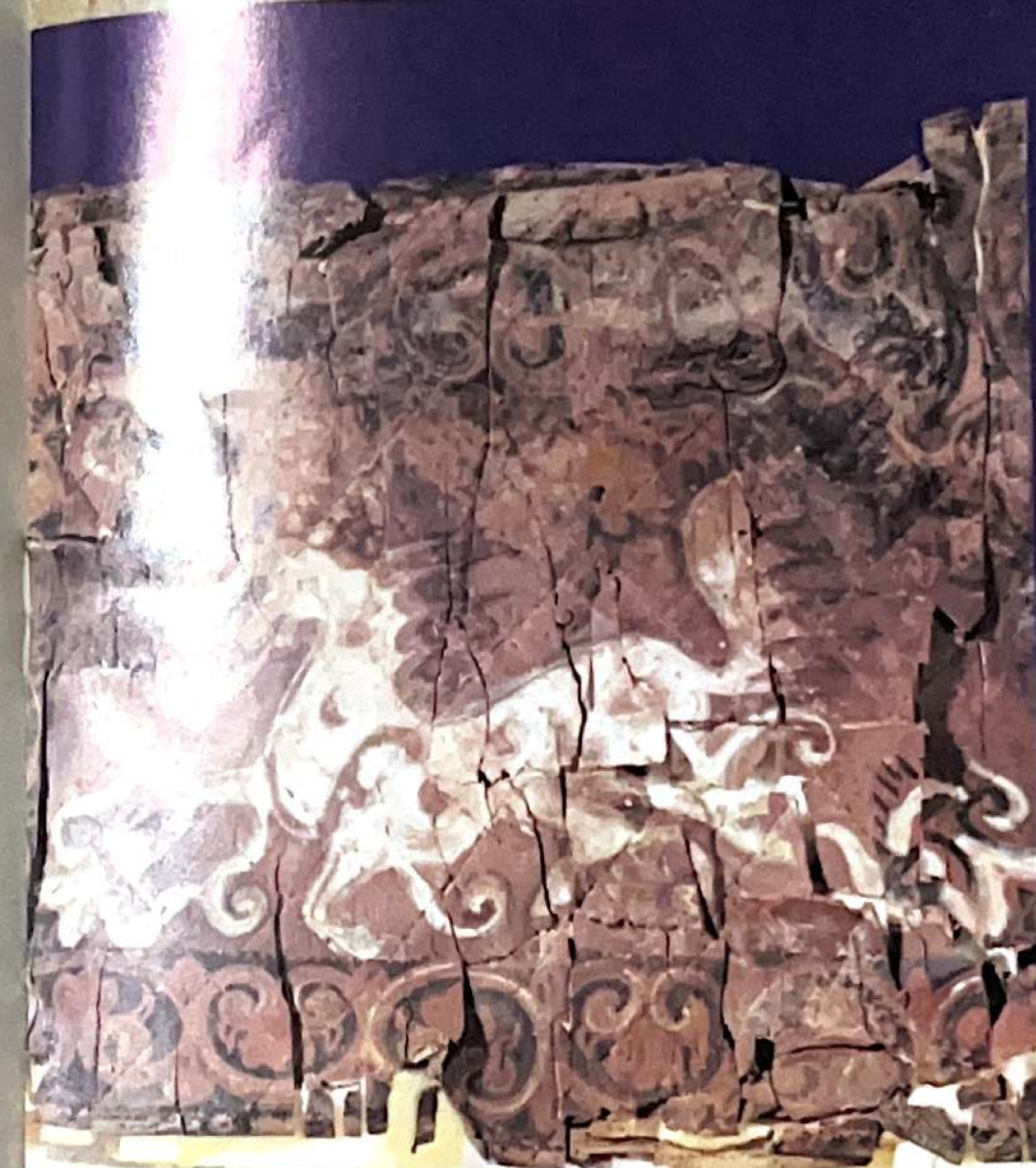
الصفحة المقابلة

لم يصور الفنان سن يون - بوك . من القرن الثامن عشر (في عهد اسرة يى) سوى النساء وقد تصور هذه المرأة ورسمها بشعور مضفرة ، والجواهر في يديها على لفافة من حرير (١١٤ سم × ٢ر٤٥ سم) . وتحكى أعماله أيضا . بالحبر وبالألوان الحياة الحقيقية للنساء الكوريات ، في المدينة وفي الريف .

ينتمى يى - أم المولود في سنة ١٤٩٩ وسليل الملك سيجونج الى اسرة يى الملكية . وقد اشتهر برسم الأزهار والطيور والكلاب ، مثل هذه الكلبة التى ترضع صغارها تحت شجرة ، والمرسومة على ورق وتحمل اللفافة خاتم « وانسان شونج جنج » الذى يبدو للأذن كأنه اسم يابانى . وبسببه اعتبر يى - أم خطأ راهبا مصورا بوذيا يابانيا . وهذه الصورة على الورق من أعمال يى - أم النادرة التى ثبت نسبتها إليه . ويوجد أحد هذه الأعمال في اليابان .

يحتوى الابريق بعروة ، المسمى « كونديكا » الوارد الى الهند عن طريق الصين ، على الماء الذى يقدم الى بوذا في أثناء الحفلات الشعائرية . وكان المعتقد أن النبلاء الكوريين يضعون في هذا الابريق أحيانا خمرا . ويعرض زخرف هذا الابريق (كوريو ، في القرن ١٢ - ١٣) من خيوط فضية مرصعة في برونز ذى زنجار جميل منظر من مناظر الخريف يضم صيادين حيوانات برية وأسماك بين أشجار الصفصاف . ونجد في بعض الأحيان هذا المنظر الزخرفى ، الذى يذكر قليلا بالفلسفة البوذية على أباريق الكونديكا المصنوعة من السيراميك (الخزف الصينى) في نفس هذا العصر .

(الصور - هان سوك - هونج . سيول)





ومع ذلك كان بالقرب منه كمية كبيرة من الاسلحة الحديدية . وفي صندوقه أيضا إبريق زجاجي بعروة من طراز روماني متأخر . وكأس

وكشفت مقبرة هذا الرجل أيضا ، في خارج الغرفة الخشبية عن هيكل عظمي مفكك ، لفتاة في حوالى الخامسة عشرة من العمر . لاشك في أنها ضحية لقربان ادمي . ولابد أنها قتلت والقيت جثتها في الحفرة . ويتضح مما قاله السامجوك ساجى الذى أشرنا اليه من قبل إن شيونج ، ملك سيلا قد حظر رسميا في عام ٥٠٢ التضحيات الآدمية .

وتدل الاكتشافات التى تمت في هذه المقابر الملكية الثلاث دلالة واضحة على أقدمية الحضارة الكورية وكما لها . كما تدل على براعة فائقة في الأشغال المعدنية ويكتسب اكتشاف مثل هذه المقابر الرائعة السليمة في كوريا قيمته الحقيقية الكاملة إذا أجريت المقابلة بينها وبين نظائرها في الصين واليابان . ويدل الثراء الفنى في هذا العصر كما يتجلى بالكنوز التى اكتشفت في هذه المقابر كلها . على مدى التنوع الثقافى الرائع الذى يشهد به شرق آسيا في ذلك الأوان . فقد بلغت الثقافة هناك درجة عالية من الرقى بفضل العديد من المجموعات السلالية والأنماط المتنوعة .



قدح سيلادون بزخرف مرصع من أزهار الأقحوان التى تطوقها حافة من حلزونات كوريو ، منتصف القرن الثانى عشر .

(الصورة ـ هان سوك هونج ، سيول ، متحف كوريا الأهلى)



هذا الإناء من السيلادون ، المخصص لتلقى فرع واحد من شجر الخوخ ، رمز الشباب والطهارة ، يسمى ماى بيونج . ويتكون الزخرف من طيور الكركى وهى طائرة ، وسحاب ؛ والزخرف مصنوع من خزف ملصق تحت طلاء شفاف من المينا .

(الصورة ـ متحف سيرنوشى . باريس ، ومتحف كانسونج . سيول . جمهورية كوريا)



غطاء رأس ملكى وجد في مقبرة الملك شونما بكيونجيو من القرنين الخامس والسادس ، من اسرة سيلا القديمة . وغطاء الرأس هذا ، الذى يلبس دون شك تحت تاج ، مصنوع من أربع ورقيات ذهبية مخرمة ، على كل واحدة منها رسم مختلف .

(الصورة ـ هان سوك هونج . سيول . متحف كوريا الأهلى)

رحلات السيلادون

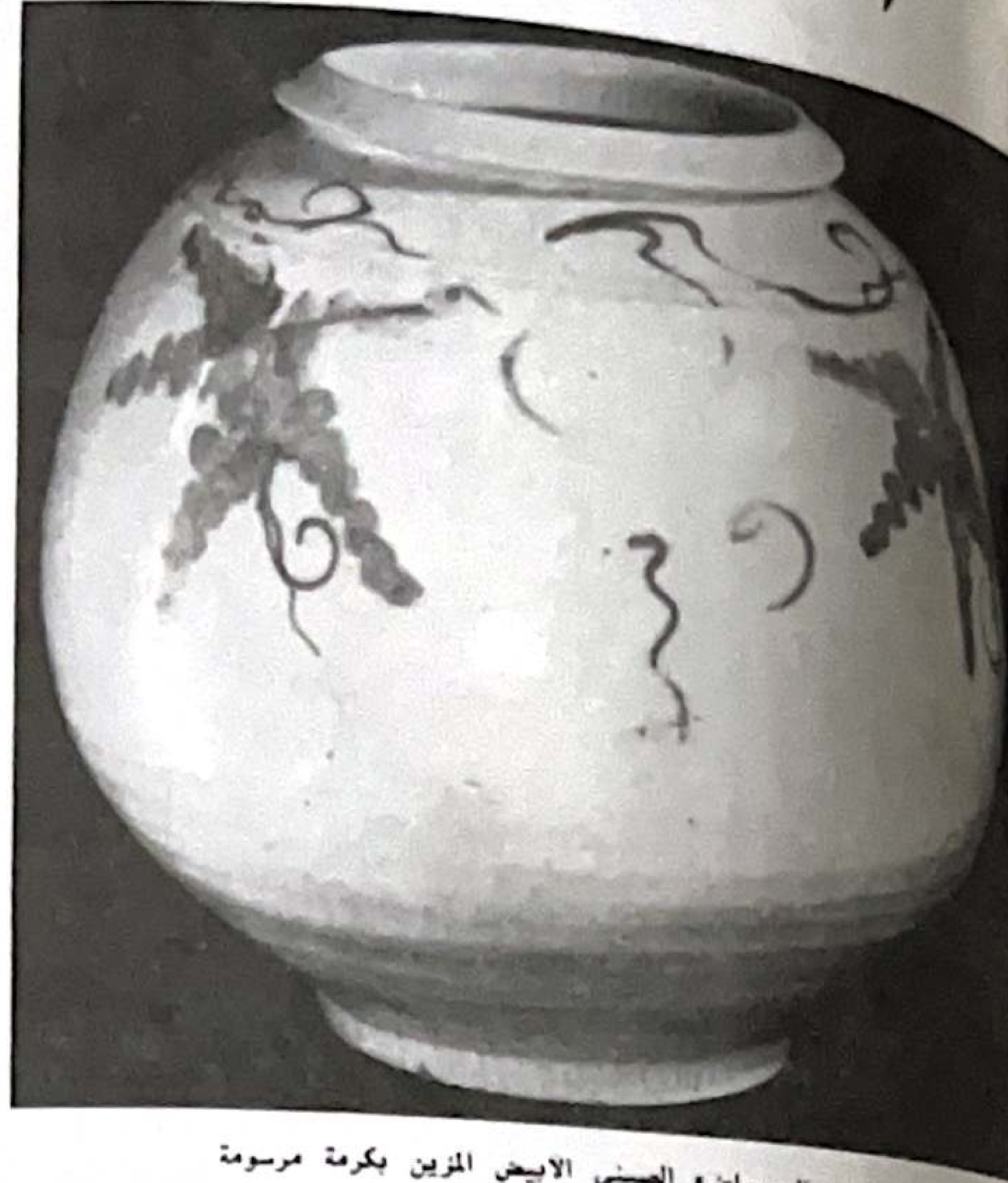
بقلم : شونج يانج ـ مو

برجع تاريخ السيراميك (الخزف) الكورى إلى العصر النيوليثي حيث ظهرت خزفيات تحرق في درجة حرارة قليلة الأرتفاع . ثم ظهرت خزفيات « كمهاى » التى تحرق في درجة حرارة أعلى . وفي الوقت نفسه تختفى الزخرفة بالإبرة والمشط بالتدريج . وفي عصر البرونز ومستهل عصر الحديد . نشهد ظهور خزفيات سوداء ، وحمراء ، ورمادية .

وتحققت في عصر الممالك الثلاث درجات كبيرة من التقدم . وأصبحت هذه الخزفيات ذات اللون الرمادى الغامق الثابت صلبة للغاية رغم أنها زادت رقة وخفت وزناً لأن درجة حرارة احتراقها أرتفعت إلى ١٢٠٠° مئوية . وأعمال كوجريو (٣٧ ق م ـ ٦٦٨ م) ، وبيكش (١٨ ق م ـ ٦٦٠ م) نادرة المثال . ولكن سيللا (٥٧ ق م ـ ٦٦٨ م) قدمت العديد من القطع التى ستصبح فيما بعد أساساً « لسيلادونات » « كوريو » .

وتم أكبر قسم من الاكتشافات في مقابر تضم أحياناً المئات من هذه التحف . فقد عثر على عدد كبير من الكؤوس . والأوانى ذات القاعدة والقاع المكور . والتماثيل الصغيرة . والعربات الصغيرة . والحيوانات . وثمة قطع عليها رسوم هندسية .

وقد استوردت تقنيات السيلادون (١) والخزف الصينى الأبيض من الصين في عصر الممالك الثلاث . وفي القرن التاسع ومستهل القرن العاشر ظهرت تقنيات تانج في الجنوب الغربى من شبه الجزيرة . وحتى القرن الحادى عشر نجد سيلادونات ، وخزفيات صينية بيضاء . وتشهد هذه الأعمال كلها بتقدم تقنى كبير . وكانت المصانع والأفران تتبع البلاط . وأمكن الاستفادة بطريقة منهاجية من الخبرة الصينية التى أتاحت مدارسها المختلفة لكوريا أن تنتج أعمالا شديدة التنوع .



جرة من « البورسلين » الصينى الابيض المزين بكرمة مرسومة باوكسيد النحاس تحت طبقة شفافة من المينا . بى . القرنين ١٧ ، ١٨ .

الصورة . متحف سيول الأهلى . جمهورية كوريا .

وابتداء من القرن الحادى عشر بلغت خزفيات (سيراميك) كوريو درجة الكمال . وتتحدث الأسانيد الصينية بنوع خاص عن دهان الخزف الذى كان الأفضل في نوعه في ذاك العصر . وبالتدريج أخذ الشكل والزخرف يتحرران من التأثير الصينى ويتميزان بطابع خاص . وبلغ سيراميك كوريو ذروة الأتقان في أواسط القرن الثانى عشر . بطلاء صاف شفاف ، واشكال وزخارف ذات جمال رائع . وظهرت تقنيات جديدة في صنع القوالب ، والترصيع بأسلاك فضية وذهبية ومعادن أخرى . وزخارف منوعة على عجائن تزداد رقة ونعومة واستمرت هذه الفترة المتألقة الى أن أفلت مع الفتوحات المغولية في القرن الثالث عشر . والتى أتت مع ذلك بتقنيات جديدة . وأخيراً جاء الانحطاط

وفي عهد أسرة يى . خبر فن الخزف نهضة جديدة مع الخزف الصينى الأبيض والأزرق . وكانت هذه الخزفيات تحرق بمواد مختلفة ، من صلصال رمادى . وكاولين أبيض . وكانت الإدارة تشرف على انتاج الأفران . وكانت أفران كوانجو بالقرب من سيول تمون البلاط الملكى . وطبقة الاشراف العليا . في حين تمون الأفران الاقليمية موظفى الادارة . والسالة المحلية . وكانت الأفران الواقعة بالقرب من نهر هان تمتد على مسافة ٨٠ كم وتغذيها بالوقود الغابات المجاورة . مما ترتب عليه خراب المنطقة كلها .

وبعد الغزو اليابانى في أواخر القرن السادس عشر . خبر السيراميك فترة عسيرة . وأخذ العديد من الخزافين الى اليابان حيث كانوا مؤسسى السيراميك اليابانى وكان الصينى الأبيض هو وحده الذى أستمر . ولكن تغير النوع والأشكال وظهرت الأزهار والنباتات في الزخرف وتتميز القطع في هذه الفترة بالجمال الرائع والبساطة الشديدة . واستمر « البورسلين » (الصينى) الأبيض الذى لا نظير له في أصالته . والذى يقدره المثقفون حق قدره . استمر مصاحبا لعهد الأسرة المالكة وأفوله التدريجى حتى نهايته .



تفرض البوذية حرق جثث الموتى . ومن ثم ظهرت الجرات المخصصة لتلقى الرماد . وعلى هذه الجرة . وهى من الحجر الرملى رسوم مدفوغة غطيت بدهان خزفى أخضر (القرن ٨ إلى ٩ . مملكة سيللا الموحدة)

(الصورة ـ لى ك م ـ سيول ـ جمهورية كوريا)

شونج يانج ـ مو ـ كبير يانج المتحف الأهلى لكوريا في سيول . اخصائى في فن الخزف الصينى . جعل من هذا الفن موضوعا لكتاباته .

(١) اقتبس هذا الاسم من شخصية « الأسترية » القصة الفرنسية المعروفة في القرن السابع عشر .

معبد بوذا ذى النور الأبدى

بقلم : هوانج سو - يونج

« كانت المعابد كثيرة ، كالنجوم في السماء ، والباجورات ، كسرب من الوز البرى » . بهذه العبارة وصفت صحيفة اخبارية قديمة تدفق المبانى في أعقاب امتداد البوذية الى كوريا ، من الهند عبر الصين إبان النصف الثانى من القرن الرابع ، حتى أصبحت فيما بعد دين الدولة .

وبموازاة ازدياد عدد المعابد ، إزدهر الفن البوذى القديم ، وتعرف الفترة التى التى تمتد من منتصف القرن السابع حتى نهاية القرن الثامن بالعصر الذهبى للفن البوذى في كوريا ، وكان البلد وقتئذ على علاقة وثيقة بالهند والصين حيث يسافر الكثير من الطلبة والرهبان لمواصلة دراساتهم بهما .

وكانت كيونجيو في ذلك العصر عاصمة كوريا ، وشيد بها بطبيعة الحال الكثير من المعابد . ولعل أشهر المعابد التى بقيت سليمة الى يومنا هذا معبد بول جوك ـ سا . والمعبد الكهف « سكورام » وقد شيد هذان المعبدان في القرن الثامن الميلادى على جبل توهام في الشمال الغربى من كيونجيو ، شيدهما كيم تى ـ سونج الذى كان وزيرا وقتئذ .

وتحكى المأثورات أن كيم تى ـ سونج تقمص ثانية في عهد أسرة سيللا أبنا لرئيس وزراء ، بفضل المزايا المتجمعة في غضون حياة سابقة . ولما بلغ أشده أولع بالقنص على جبل توهام ، وفي أثناء عملية صيد أمسك دبا ، وعندما أقبل المساء ، أضطر الى قضاء الليلة في كوخ في الغابة عند سفح الجبل ، ولما أغفى ، رأى فيما يراه النائم أن الدب ظهر له في صورة شبح وشرع يهاجمه ، ففزع فزعا شديدا ، وتوسل الى الدب أن يصفح عنه ، ووعده أن يبنى معبدا في نفس المكان الذى قبض عليه فيه .

وتنبئنا المأثورات أن تى سونج اعتنق البوذية على أثر هذا الحادث ، وأنه شيد بالتالى معبدى بولجوك ـ سا ، وسكورام ، احدهما تخليدا لذكرى أسلافه في حياته السابقة ، والثانى إكراما لأبويه .

ولد كيم تى سونج في عام ٧٠٠ أسرة كيم الملكية وتولى الوزارة لخمس سنوات من ٧٤٥ إلى ٧٥٠ ، وزيرا للملك كيونجدوك ، وبعد عام ٧٥٠ تفرغ ، إمتثالا لأوامر الملك لبناء المعبدين ، وأشرف بنفسه على الأعمال حتى وافته المنية في عام ٧٧٤ ، وتشير وثائق ذلك العصر الى أن الدولة هى التى انجزت هذه الأعمال .

أما جبل توهام الذى حفر فيه معبد سكورام بحيث يشرف من على البحر ، فانه كان بمثابة سد طبيعى يحمى مملكة سيللا وعاصمتها كيونجيو من الغزاة الأجانب ، وأصبح من التقاليد المتبعة تقديم القرابين على قمة الجبل وقاية لرخاء الأمة ، وقد نقل الى هناك رماد رابع ملوك أسرة سيللا ، الملك « تهالهى » (٥٧ ـ ٧٩ م)



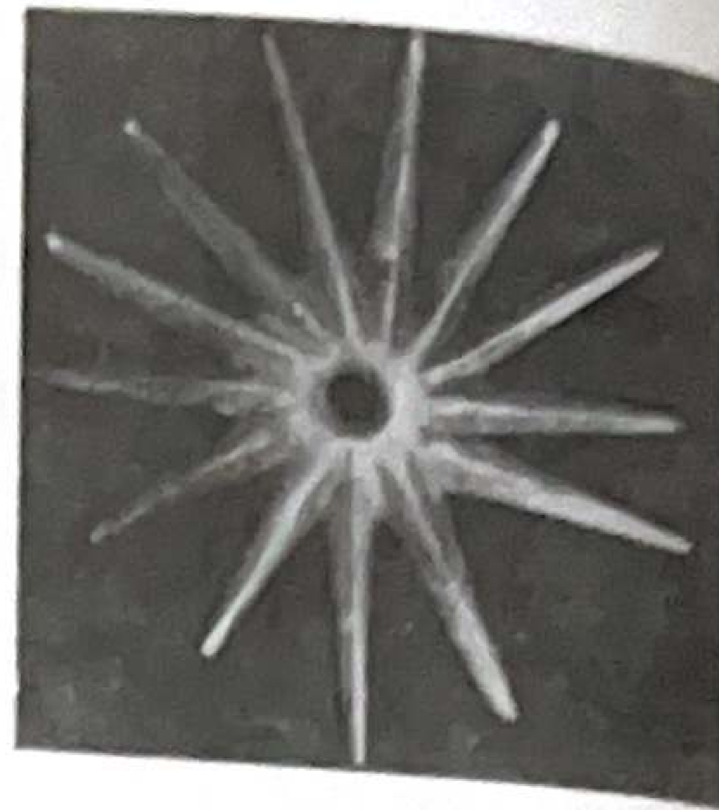
صورة أحد تلاميذ بوذا العشرة منحوتة على الحائط المستدير بالقاعة الرئيسية لمعبد سكورام ، ويبلغ ارتفاع صورة الشخصية ٢٫١٨ مترا .
(الصورة لماذا كاتسو ياماموتو ، كوداتشا انترناشيونال ، طوكيو ، اليابان)

هوانج سو ـ يونج ـ يدرس الفن البوذى ، وهو عميد كلية بجامعة تونجكوك بسيول ، مدير المتحف الأهلى سابقا ، وأحد مؤلفى كتاب « كوريا ، أرضها ، وشعبها ، وثقافاتها في كل العصور » ، اسيول ، ١٩٦٢ .

بوذا في حالة تأمل ، الصورة الرئيسية في معبد سكورام ، وهى تمثال من جرانيت ، ارتفاعه ٣٫٢٦ مترا ، ويضفى صفاء الملامح واكتمالها على الصورة عظمة لا نظير لها ، مما يجعلها بمثابة التعبير الكامل لفن النحت الكورى في القرن الثامن .
(صورة ماذا كاتسو ياماموتو ، كوداتشا انترنا شيونال ، طوكيو ، اليابان)

منذ عصر البرونز أصبح التقنيون مخترعين

بقلم: جون سانج - وون



كان أناس عصر البرونز في شبه جزيرة كوريا في القرن العاشر قبل الميلاد يشتغلون بالمعادن ببراعة، ويعرفون صنع مختلف الأشابات، ولم يكونوا يجهلون أى شىء في الصناعة الدقيقة، صناعة البرونز الذى كانوا يحصلون عليه من أشابة من النحاس والزنك. ومن أجل ذلك يستخدمون تقنية طريفة، واعتمادا على خبرتهم القديمة، لم يستخدموا التقنيات المعدنية الصينية، وانما طوروها.

ولقد ابتكروا الحروف المعدنية المتحركة الأولى قبل جوتنبرج بقرنين من الزمان. وفي عام ٦٤٧ شيدوا «شوسو نجداى»، أقدم مرصد معروف في شرق آسيا. وفي مجال الأرصاد الجوية اخترعوا في عام ١٤٤١ أول مقياس لهطول الأمطار. وفي مجال الكيمياء القديمة والطب ألفوا في عام ١٤٣٣ مجموعة من الوصفات الطبية الأهلية، تسمى «هوانجياك شبونجبانج».

وفي نهاية القرن الثانى قبل الميلاد (١٠٨ ق. م) أنشأت أسرة هان الملكية الصينية في الشمال الغربى من كوريا مستعمرة لو - لانج. ومع الصناع الصينيين ظهرت التقنيات المعدنية الصينية التى راح الصناع الكوريون يقتبسون منها طرائق جديدة، الى أن بلغ شغل المعادن من القرن الخامس إلى السادس درجة ممتازة من الجودة. من ذلك أنه عثر في مقابر سيللا على مجوهرات ذهبية، وتيجان وأقراط. وكان الأمراء والأشراف يشملون أشد الصناع بحمايتهم. وفي القرنين السادس والسابع، ومع ازدهار الثقافة البوذية، ظهرت صور عديدة لبوذا بالبرونز المذهب، وأجراس رائعة، مصنوعة من برونز مسبوك من أشابة خالصة من أى تلوث. ولقد قيل وقتئذ إنه إذا كان برونز فارس يصنع منه أحسن المرايا، فإن برونز سيللا كان الأفضل لسبك النواقيس.

كانت الحياة الكورية كلها تعتمد على الزراعة، فكان تقدير الانتاج الزراعى وتنظيمه على جانب كبير من الأهمية. على أنه تبعا للمعلومات التنجمية الصينية، تبت السماوات في شئون الأرض. ومن ثم يجب الكشف عن نواياها. هذا الاهتمام المزدوج الذى يمس مسار النجوم



مرصد شوسونجداى، أقدم المراصد الموجودة في الشرق، بنى في كيونجيو عام ٦٤٧ م. ولقد قدم الكثير من الافتراضات بشأن عمل هذا المرصد، فالبعض يظن أن أجهزة لرصد القمر والنجوم كانت موضوعة على قمة البرج، أو أن البرج كله المفتوح على السماء كان يستخدم كمجال لرصد تنقل النجوم والكواكب. وثمة فرض ثالث يجعل من المرصد مزولة شمسية. ومن المعتقد أن البرج كان يستخدم لتعيين موضع الشمس من أجل تحديد أقسام السنة الأربعة والعشرين، فيتحدد بذلك مواسم الزراعة الأربعة والعشرون. وبأعلا يسارا بلطة شعاعية ترجع إلى عصر البرونز الكورى.

(صورة بول بريان. باريماج. باريس)

جون سانج - وون - استاذ العلوم الطبيعية بمدرسة المعلمات «سنجشن» بسيول، ومؤلف العديد من الكتابات في تاريخ العلم والتكنولوجيا في كوريا القديمة. نشر كتابه «العلم والتكنولوجيا في كوريا، أجهزة تقليدية وتقنية» باللغة الانجليزية عام ١٩٧٤.

التى تنحت الفتاة التمية باعتباره المحارب الباسل الذى لا يوجد له عدو تحت السماوات. وأصبح من ذلك الحين مسجلا باعتباره اله العمل.

وهناك حيث تتجمع المياه التى تنحدر من جبل توهام قبل أن تصب في البحر، يوجد عدد من الآثار التاريخية الهامة. منها معبد كامون - سا، الذى بنى في أواخر القرن السابع لضمان حماية الأمة. ومقبرة الملك مونمو، وصخرة تذكارية يستعملها الكوريون في إقامة الشعائر تبجيلا للملك المتوفى.

وأهم هذه الآثار هو مقبرة الملك مونمو. ويرجع الى هذا الملك الذى حكم في أواسط القرن السابع الفضل في إقامة مملكة سيللا الموحدة. وعلى فراش الموت، تمنى الملك أن يصبح بعد حرق جثته «التنين حارس البحر الشرقى» و«حامى الأمة». كما تمنى أن يكون قبوة الشعب تحثه على أن يكرس للعقيدة البوذية لسمى آيات التبجيل. كذلك نثر رماد الملك هيونج (٣٦١ - ٢٩١ م) في هذه النقطة التى يعتقد انها كانت موضعا حماثرما مشتركا لأسرة كيم الملكية.

ومما يثير الاهتمام أيضا أن كلا من معبد سكورام وتمثال بوذا الذى يضمه متجه ناحية الجنوب الشرقى. ولم يكن هذا الأمر على مايبدو واضحا نتيجة لعامل الصدفة، ذلك أن معبد سكورام يتميز عن سائر المعابد الصخرية من حيث أنه من صنع الإنسان، بمعنى أن المهندسين كان بمقدورهم أن يحددوا له الوضع الذى يختارونه.

ويشمل معبد سكورام قاعة تعلوها قبة، وردهة صغيرة مربعة، وممرا ضيقا يربط الاثنين. والقاعة الرئيسية من جرانيت، أما الردهة فانها مبنية من خشب ومغطاة بسقف من الآجر. ويتبع طريقة بناء هذا النمط من المبانى تقليدا كوريا مستقرا منذ عهد بعيد. والجدير بالملاحظة أن بعض المعابد في الهند لها نفس التصميم الأساسى.

وتزين جدران الردهة ثمانى صور آدمية منقوشة نقشا بارزا في الجرانيت، ويحرس الممر تمثالان للاله ديفا بوجه جاد. وعند مدخل القاعة الرئيسية عمودان مشغولا الاضلاع بزخارف على شكل اللوتس. وفي وسط القاعة تحت القبة تمثال بوذا. وتزين قاعدة التمثال الكبيرة الدائرية زخارف على شكل اللوتس. وعلى حوائط القاعة نحت خمسة عشر تمثالا آخرين منها تماثيل تلاميذه العشرة.

وان طابع الهدوء والسكينة والانسجام الذى ينبع من التمثال الرئيسى الذى يبلغ ارتفاعه ٣٫٢٦ مترا ليجعله واحدا من أعظم الكنوز العالية في الفن البوذى. وقد جعل في حوائط القبة عشر كوات لتوضع فيها عشرة تماثيل جالسة لبوديساتا (الانسان الكامل حسب العقيدة البوذية). والجدير بالملاحظة أن كل الصور الآدمية باستثناء هذه التماثيل الأخيرة والتمثال الرئيسى محصورة في بلاطات من الجرانيت.

ويحكى الأثوريات أن التمثال الرئيسى يصور بوذا ساكيا موني (أى «حكيم أسرة ساكيا») غير أن ثمة اكتشافات حديثة اثبتت أنه في الواقع تمثال «أميتابا» بوذا ذى النور الأبدى.

وقد أتاح الفن البوذى الذى أتى من الهند القاصية ابداع تحفة فنية رائعة في كوريا في أواسط القرن الثامن، فكان معبد سكورام على مدى اثنى عشر قرنا. وراء حجمه الصغير ستجدها أبدا الكنوز فنية لا تقدر بمال. ويرجع الى البوذيين الكوريين الذين أظهروا على مدى العصور وفاء وإيمانا خالصين، الفضل الكبير في الحفاظ

على هذه الكنوز.

ولم يكن الحفاظ على هذه الكنوز أمرا يسيرا، فهو قبل كل شئ مجهود كبيرة على نطاق واسع لاصلاح التلفيات، وكان المراسيم لاحظ بعض الباحثين مجموعة من المشاكل التي تعوق صيانة هذه الكنوز. وقد ساهمت اليونسكو مشكورة في البحث عن حلول لهذه المشاكل. وهذا الترميم في عام ١٩٦١ ووزعت على مدى سنوات ثلاث وسوف يتطلب الأمر في السنوات القادمة ممارسة لمزيد. واجراء تحليل دقيق لكل المشاكل التي تثيرها حفظ هذه الكنوز الفنية الفريدة في موضعها.



أفالوكيتسفارا ذو الأحد عشر رأسا. شخصية مثالية بفضائلها، تتجسد فيها الشفقة والرحمة ويجد الكوريون لديه العون والحماية. هذه الصورة المنحوتة على الحوائط الجرانيتية للقاعة الرئيسية تتمثل في ملامح أنثوية، ويبلغ ارتفاعها ٢٫١٨ مترا.

(صورة ماساكاتسو ياماموتو. كوداشا انترناشيونال. طوكيو. اليابان)

في العلا . وثمار الأرض بأسفل . دفع الكوريين الى ما يسمى « شومون » . أى « دراسة السماوات » ولكن على الرغم من بعض الأرصاد الطريفة للظواهر السماوية . بقى علم الفلك الكورى . متأثرا بالفلك الصينى .

وكانت الجداول الفلكية رمز السلطة الملكية في عهود الأسرات القديمة ، وسجلت الأرصاد الفلكية على خرائط كوكبية . ويبدو أن كوجريو كانت أول دولة كورية ترسم خريطة للنجوم . وقد اكتشف هذا النوع من الخرائط في مقابر كوجريو . وتمثل الكوكبات والشمس والقمر موضوعة على دوائر ، الشمس في الشرق . والقمر في الغرب ، وتبين « منازل السماء » الأربعة مركزة على الجهات الأصلية . التنين الأزرق . والسلحفاة السوداء والثعبان . والنمر الأبيض . والعنقاء الحمراء .

وفي التاريخ القديم . والعصر الوسيط كان الجهاز الفلكى الرئيسى هو المحلقة (أو ذات الحلق) وقد صنع هذا الجهاز في الصين في حوالى القرن الثانى قبل الميلاد . والغالب أنه وصل الى كوريا بين عصر الممالك الثلاث وعصر مملكة سيللا الموحدة . ويبدو أن أجهزة صنعت على نفس المبدأ بقيت مستعملة بعد ذلك في عصر أسرة كوريو .

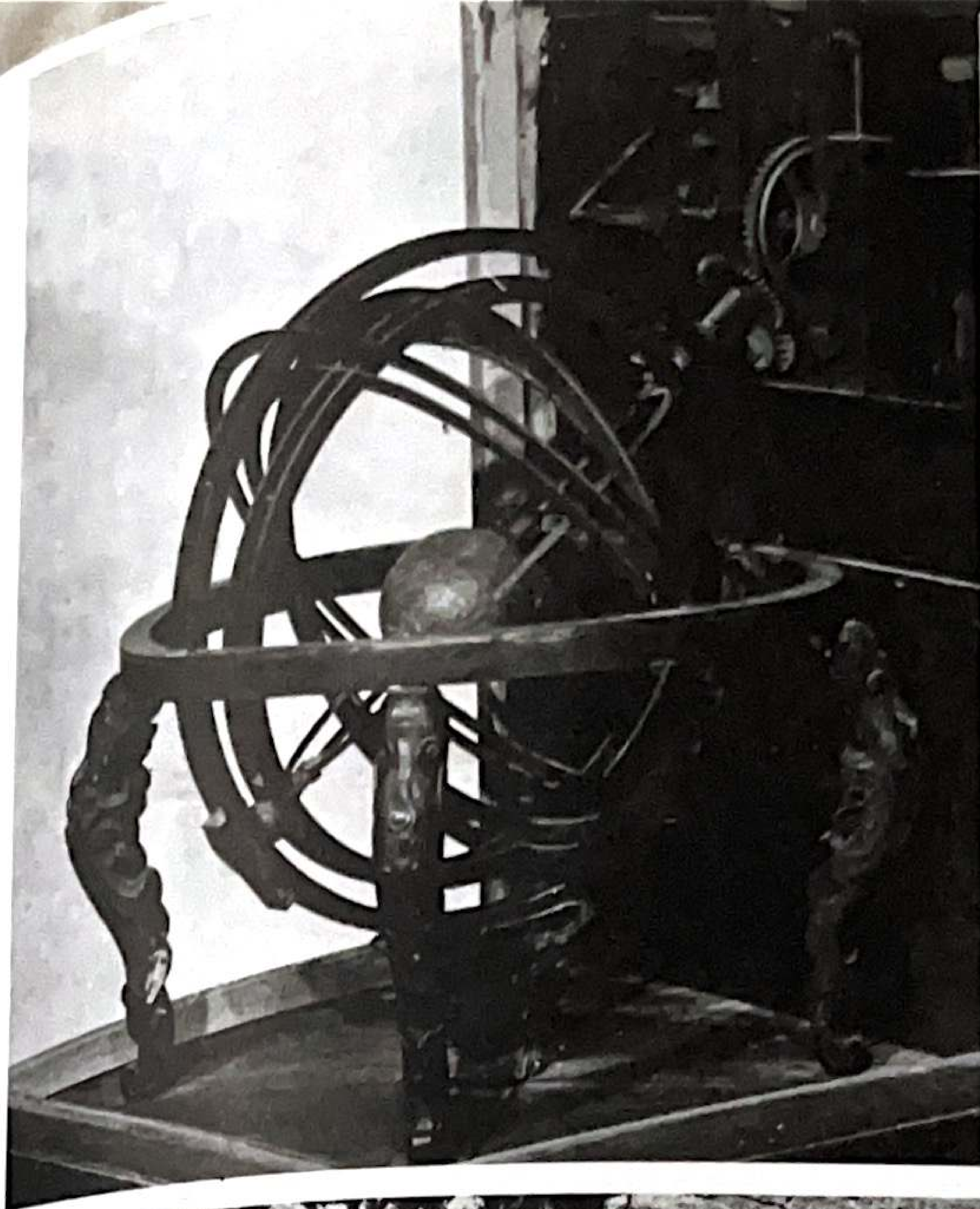
وأبدت الأسر الحاكمة المتعاقبة كلها أعظم اهتمام بالظواهر الجوية والفلكية وبخاصة كسوف الشمس وخسوف القمر . وكان التنبؤ بالكسوف والخسوف جزءا من الطقوس الملكية ، ويعتبر عامة الشعب هذا التنبؤ مما يرفع من هيبة الملك . أما إذا أخطأ علماء الفلك في تنبئهم بالكسوف أو الخسوف فإنهم يلاقون المتاعب ، وقد فقد الكثير منهم منصبه بسبب هذا الخطأ . وفقد آخرون حياتهم .

ومرصد كيونجو . « شومسونجداى » دليل واضح على نهضة علم الفلك ، بنى هذا المرصد في عام ٦٤٧ وهو العام السادس عشر لحكم الملكة سوندوك ، ويبلغ ارتفاعه أكثر بقليل من تسعة أمتار . هذا البرج الحجرى المتين والرشيق في الوقت نفسه له شكل الزجاجة . ربما لأن هناك نظرية صينية قديمة تقول إن السماء مستديرة والأرض مربعة .

هذا المرصد . الكورى في خطوطه الجمالية . يثير الاهتمام من نواح متنوعة . فهو أولا يتيح قياس ظل الشمس . على غرار المزولة لتحديد الفصول . وفضلا عن ذلك فهناك نافذة تفتح ناحية الجنوب . بحيث تغمر أشعة الشمس قاعدة البرج الداخلية كلها في منتصف النهار عند اعتدالى الربيع والخريف . في حين أن ضوء الشمس لا يدخل ثمة في الانقلابين الصيفى والشتوى كان شومسونجداى بلا ريب المركز الفلكى لمملكة سيلا ، وكان يقوم بمهمة خط الزوال الأرصاد الفلكية التى تجرى في مختلف أنحاء المملكة . ويستخدم مرجعا لتحديد الجهات الأصلية .

ومن قرميدة الذروة . المربعة . تعين الخطوط القطرية الجهات الأصلية . كما تفتح النافذة على الجنوب تماما . ويغلب على الظن أن ثمة رصيفا يحيط بالمرصد كان يمنع إقامة أى بناء . وبذلك لم يكن ثمة شيء يعيق اجراء الأرصاد .

وليس هناك شك في أنه قد بدىء في قياس الوقت في كوريا في مستهل التاريخ المسيحى . ويشاهد في متحف





كويونجو أجزاء من مزولة شمسية . وكانت المزولة الشمسية التى صنعت في السنوات الأولى من حكم أسرة بى هى أبسط المزاول التى اخترعت . غير أن المزولة الشمسية لا تفيد بشيء إذا كانت السماء مغطاة بالغيوم . ومن ثم فضل عليها عصر الممالك الثلاث الساعة المائية . وقد صنعت الساعات المائية الأولى عام ٧١٨ .

وعندما نقلت أسرة بى عاصمتها الى هانسونج (سيول حاليا) تجلت الحاجة الى ساعة جديدة تستخدم كمرجع ومن ثم أقيمت ساعة مائية ليلية في وسط سيول عام ١٣٩٨ (سابع سنة من حكم الملك تايجو) ، واقيم في الوقت نفسه برج تدق عليه الساعات لتسمع في العاصمة كلها .

وكان يعلن عن الوقت بدق الجرس ٢٨ مرة في بداية الحراسة الليلية (بعدد الكوكبات الثمانى والعشرين) . و٣٣ مرة في نهاية فترة الحراسة (تبعا « للسماء الثالثة والثلاثين » . سماء اندرا) . فعند الاشارة الأولى تغلق أبواب القصر الملكى . وعند الاشارة الثانية يعاد فتح الأبواب . وثمة وسيلة أخرى لقياس الوقت ، تلك هى عود البخور الذى كان مستعملا بكثرة في المعابد البوذية والطاوية . ومنذ زمن مبكر ، بذلت الجهود في هذه المعابد لقياس الوقت حتى يمكن إجراء الطقوس والاحتفالات بمنتهى الدقة .

حقا . كان القدامى يرصدون النجوم ليلا . ويستخدمون المزاول الشمسية والساعات المائية . ولكن لا يمكن استعمال هذه الأجهزة حين يكون الجو ملبدا بالغيوم . أو حين لا توجد مياه . وقد لاحظ الرهبان البوذيون وهم يؤدون طقوسهم أن عيدان البخور كانت تحترق بسرعة ثابتة .

ويحكى الرهبان البوذيون المسنون أن الفطر (عيش الغراب) الذى ينمو على أشجار البلوط كان المادة الأولية لمسحوق البخور المستعمل في كوريا وكانوا يغلونه في الماء ثم يجففونه في الظل . ثم يسحقونه . ويجمع المسحوق في بوتقات صغيرة بأحجام متماثلة . وتوحى هذه الروايات بتشابهات مع ساعات البخور المعروفة فيما مضى في الصين واليابان .

وفي عهد اسرة بى كان هطول المطر يقاس باستعمال طريقة تبدو أنها كانت مطبقة في منطقة كوريو ، فكانوا يقيسون ارتفاع ماء المطر في أوعية مخصصة لهذا الغرض ، ثم يجمع حكام الأقاليم الأرقام المتحصلة بهذه الطريقة ويرسلونها الى مكتب الضرائب . وكانت هذه العملية في الأصل لا تجرى إلا في فصل الزراعة أو في وقت الجفاف . وظهر أول إشارة بهذا الشأن في الحوليات بتاريخ ٣ مايو ١٤٢٣ ، « أمطرت السماء هذه الليلة . ونفذ الماء في التربة الى عمق حوالى ١ « شون » (٢،١٣ سم) .

ويقول مكتب الضرائب . إنه في حوالى ١٤٤١ أدت السيول المنهمرة ثم فترات الجفاف الى جعل هذه الطريقة غير مجدية . وعلى ذلك اخترع أول مقياس للمطر في العالم ، وهو عبارة عن اسطوانة حديدية عمقها ٤٢،٥ سم وقطرها ١٧ سم .

وكان رجال الأرصاد الجوية في عهد اسرة بى يعرفون تمام المعرفة تأثير الريح على المحاصيل . فكانوا يرقبون بكثير من العناية اتجاه الرياح . ويمكن ملاحظة الرياح من ٢٤ اتجاه مختلف ، ويعتقد أنه يمكن تقسيم سرعتها أيضا (على غرار حجم الامطار) الى ثمانى درجات . فالريح التى تبلغ قوتها حدا تستطيع معه اقتلاع شجرة كانت تسمى « ريح كبيرة » . وتسمى « ريح عنيفة » إذا استطاعت أن تنتزع القرميد من سطح مبنى . وقد ورد ذكر هذين النوعين من الرياح بوضوح في النصوص .



كانت المحلقة تستعمل في شرق آسيا كلها حتى العصور الوسطى في إجراء أرصاد فلكية . وكانت هذه الانواع من الأجهزة ذات الحلقات تستورد من الصين ثم تقرن بنظام من الساعات . وهكذا اصبحت المزولة الحلقية إنجازا علميا رائعا في عصر الملك سيجونج (١) صورة تفصيلية لمزولة حلقية مصنوعة في عام ١٦٦٩ ومحفوظة في متحف جامعة كوريو بسيول . وتجمع مبدأ الآلبات التقليدية للساعات الصينية والعربية . ومبدأ الساعة الغربية ذات الجرس . كذلك اخترع في عام ١٤٤٢ في عهد الملك سيجونج أقدم مقياس للمطر في العالم . وفي تلك السنة أنشئت مصلحة للدراسات الاحصائية بشأن الأمطار . (٢) مقياس مطر كورى صنع في عام ١٧٧٠ حسب الموصفات الموضوعة عام ١٤٤٢ . ومن الانجازات العلمية الأخرى في عهد الملك سيجونج دراسة الرياح دراسة قياسية منهاجية فثمة راية صغيرة مربوطة بصار مثبت على عمود حجرى تبين اتجاه الريح وقوته . (٣) قاعدة مكشاف الريح (جهاز يعين اتجاه الريح) في القرن السابع عشر .

جيون سانج ـ دون ، سيول ، جمهورية كوريا)
(متحف العلوم ، لندن)

وإذا كانت أصول الكيمياء القديمة (تحويل المعادن الى ذهب) تضيع في ظلام العصور الخالية . فإنها لا ترجع في كوريا إلا الى القرن الخامس . فقد بذلت الجهود وقتئذ بتأثير الطاوية لصنع اكسير الخلود . غير أن الكوريين لم يكونوا حينئذ يجهلون أصول الكيمياء وعلم تركيب العقاقير ، وتقول بعض الوثائق الصينية إنهم كانوا يصنعون الأدوية والسموم قبل التاريخ الميلادى .

ويتسع نفوذ الطاوية ابتداء من القرن السادس . ويبدو الملك شهونج من اسرة سيللا شديد الاهتمام بفكرة الخلود . ولابد أن التصاوير المسماه « الجبال الثلاثة » التى تمثل بعض الطاويين الخالدين قد نفذت في مقابر كوجوريو في أواخر القرن السادس أو بداية السابع . كذلك فإن الرسوم التى تمثل نساء خالدات يقطفن « عيش الغراب » السحرى بأيديهن اليمنى . ويحملن بأيديهن اليسرى أقداحا بها دواء . هذه الرسوم تعبر هى أيضا عن أفكار طاوية . مرتبطة بفكرة الخلود . ولا شك أن هذه الفكرة قد تقبلها الكوريون في الوقت الذى انتشرت فيه الدعوات للموتى بحياة خالدة .

ومنذ حوالى القرن الثامن . نسقت المعلومات الشعبية عن العقاقير ، وأصبحت بتأثير الصين علما حقيقيا . وقد أدرج أحد عشر دواء من أصل كورى في الفارماكوبيا (الأقربانين ، دستور الأدوية) الصينية . ومنذ القرن التاسع عرف اثنان وعشرون دواء آخر من هذه الأدوية (الكورية) في الصين واليابان . وفي حوالى هذا العصر كانت الجنسة (عشبة صينية) . والحصاة المرارية في الابقار . الواردة من كوريا تلقى تقديرا كبيرا في الصين واليابان .

لم يكن الناس كلهم بالطبع يعتبرون العمليات الكيمائية القديمة ضرورة لا غنى عنها . فهناك بعض الطاويين الصينيين كانوا يفضلون استعمال بعض المواد الطبيعية النادرة . وكان الكوريون يؤمنون مثلهم بفعالية الجنسة كاكسير للحياة . والجنسة من الانتاج الكورى . وحتى اليوم يعتقد الكثير من الكوريين أن الجنسة وقرون الأيل هى أحسن العقاقير المقوية ويمكن أن تكسب من يحسن استخدامها شبابا دائما .

ويروى الكثير من الحكايات الشعبية قصص الأبطال الدين يمضون حياتهم كلهم يبحثون في الجبال والوديان النائية عن الجنسة التى تبلغ من العمر عدة قرون . وليس من شك في أن هذه الحكايات لها مصادرها الفلسفية في الكيمياء الصينية القديمة .

ولابد أن المعلومات الطبية قد انتشرت بين أفراد الشعب في عهد سيللا عندما وصل الى كوريا . عن طريق الصين . علوم طبية تألفت في جنوب شرقى آسيا . والهند وفارس . وبلاد العرب . وفي العالم الرومانى .

وفي القرن العاشر . كان من أثر اتساع العقيدة البوذية أن أخضع مرة أخرى الطب الكورى للنفوذ الهندى . واستطاعت الثقافة الكورية آنئذ أن تنشىء صيدلة خاصة بها وأنشأت كوريو مدارس طبية على مستويين . واضافت تخصصا في الطب الى الامتحانات التى تعد (يتبع صفحة ٥٠)



سلحفاة من حجر . كانت قاعدة لعمود تذكارى زال . مقبرة الملك كيم إن مون في كيونجيو (القرن السابع)

(الصورة - مصلحة الاستعلامات الخارجية الكورية . سيول . جمهورية كوريا)

فضائل السلحفاة

بقلم : زو زا - يونج

حدث منذ بضع سنوات . حين كانت سفينة تشق طريقها ليلا في عرض المحيط الهادى . أن سقط من جانبها بحار كورى يدعى كنج شونج - نام . وراح يكافح ساعات طويلة حتى لا يغرق . وكاد يفقد كل أمل . وإذا به يصطدم بسلحفاة ضخمة . فتشبث بها . وصعد فوق درقتها . وظل هناك ثلاث عشرة ساعة . ولحسن حظه مرت سفينة سويدية بالقرب من زورقه العجيب . وأنقذته .

ومنذ وقت قريب . في صيف قائظ طويل . خرجت سلحفاة ضخمة من البحر على شاطىء هاين - داى . بالقرب من مدينة بوسان . وتوجهت الى منزل قريب . ولدهشة جمع كبير من الناس . راحت السلحفاة تحك الرمل . ثم وضعت به بيضها . ورأت زوجة صاحب المنزل في هذا الأمر فألا حسنا . فنزعت عقدها . وأسرعت الى السلحفاة . ولفت العقد حول عنقها حين كانت عائدة الى الماء . وجعلت تشكرها حتى أوصلتها الى الأمواج .

وتحدثت الصحافة الكورية طويلا عن هذه الأحداث . وذلك لأن السلحفاة توحى الى الكوريين بالاحترام والمودة . فهذا الحيوان الزاحف يؤدى دواما دورا عظيما في المأثورات الكورية . وألهمت معانيه الرمزية العديدة . لقرون طويلة فنى النحت والتصوير الكوريين . وكذا الفنون الشعبية . والخلق الفنى .

وفي الميثولوجيا الكورية . تتمتع السلحفاة بست خصائص . فهى أول كل شىء رسول روح المياه . كما أن النمر رسول روح الجبل . هذان الروحان . بمتغيراتهما السماوية . النجوم السبعة . نجم القطب الجنوبى . والنجوم الأربعة الأصلية . رموز البروج الاثنا عشر . الشمس والقمر . الريح والسحب . المطر والرعد . هما جوهر المأثورات الكورية الشامانية . ويعتقد الكوريون أن كلا من هذين الروحين يتجسد في حيوان مقدس .

أما روح المياه (أو روح التنين) فإن له لحية بيضاء . ويركب على تنين هائل . ويعيش في داخل البحر . في قصر التنين . ويحكم كل ما هو ماء . وبحر وأنهار ومستنقعات . ومطر وعواصف . وفيضانات . والسلحفاة الحكيمة هى الرسول الوحيد الذى يربط قصر التنين بالعالم الأرضى .

والسلحفاة ثانيا حيوان مقدس . وهى فأل طيب . مثل التنين . ووحيد القرن الشرقى . والعنقاء . هناك ثالث مهمة للسلحفاة . إنها رمز من رموز طول العمر العشرة . أما باقى هذه الرموز فهى :

الكركى . والأيل . والصنوبر . والخيزران . وعيش الغراب الخاص بالخلود . والصخر . والماء . والغمام . والشمس . والسلحفاة من بين الحيوانات الثلاثة التى تشملها هذه المجموعة هى وحدها التى يمكن أن تعيش عشرة آلاف سنة . كما تقول المعتقدات . والسلحفاة أيضا حارسة الشمال . ومن ثم فهى تدل على ريح من رياح الروح الأربع . والرياح الأخرى هى . التنين الأزرق . والنمر الأبيض . والعصفور الأحمر .

وتقوم السلحفاة بدور أخر أيضا . فهى حاملة « التريجرامات » الثمانية لأنها من أقدم الحيوانات المقدسة في الميثولوجيا الشرقية . و « التريجرامات » علامات سحرية يقال إن سلحفاة جاءت بها في أسحق عهود التاريخ . وسلمتها للإنسان الأول بوك هى (فو - شى لدى الصينيين) على ضفة نهر لو - سن .

سلاحف منقوشة على حائط صخرى في بانجو - داى . باولسان . مقاطعة كيونجسانج الجنوبية . فن ما قبل التاريخ .

(الصورة - مصلحة الاستعلامات الخارجية الكورية . سيول - جمهورية كوريا)



زو زا - يونج - مدير متحف إميل . بسيول . مؤلف كتاب « روح النمر الكورى » ، ١٩٧٢ ، و « حياة بوذا » ، ١٩٧٥ ، و « التصوير الشعبى الكورى » ، ١٩٧٨ .



قنينة نبيذ على شكل سلحفاة . من سيلادون نفيس عليه زخرف بارز من أعشاب الفاونيا البيضاء على أرضية خضراء غامقة (القرنان ١٥ - ١٦) .

(الصورة - مصلحة الاستعلامات الخارجية الكورية . سيول - جمهورية كوريا)

وأخيرا فإن للسلحفاة صلة بالعرافة بمقتضى الشكل السداسى لحراشيفها . الذى كان يعتبر في الماضى مبهما . ومن ثم كان موضوعا لتفسيرات فلسفية معقدة . وعمليات تنجيمية بتسخين الحراشيف وحل رموز التشققات الموجودة عليها .

ويزخر تاريخ كوريا بتصويرات لقدرات السلحفاة . وهناك . بالنسبة الى قصة كنج شونج - نام الذى انقذ من مياه البحر بمعجزة . سابقة مشهورة في القرون الأولى من التاريخ الميلادى . في عهد أسرة بيكش . فثمة راهب اسمه بانجبى كان مبحرا وهو يحمل كنوز معبد حين اعترضه بعض القراصنة ورموه في البحر . فأنقذته سلحفاة ضخمة من الغرق . ووضعته في مكان أمين . ويرتبط بمعجزة السلحفاة أيضا مغامرة شيمونج الذى أسس أسرة كوجوريو . فقد طارد شيمونج بعض المجرمين يريدون قتله . وبينما هو يعدو فارا من ملاحقتهم اعترض طريقه نهر . وفي هذا الخطر الداهم . ابتكر روح التنين وسيلة نفذها بعض السلاحف التى اقامت قنطرة لشيمونج . ضمنت خلاصه وسلامته .

وتحكى اسطورة عن اسرة كايا (٤٢ الى ٥٦٢) أن الرؤساء الستة لقبائل كايا الست قد ولدوا من ست بيضات هائلة على « سلحفاة في حجم الجبل » . وتجمع شعب كايا على الجبل المقدس وراحوا ينشدون أغنية فتنت السلاحف . الأمر الذى يثبت أن سلحفاة هى التى « باضت » رؤساء كايا .

وفي عهد اسرة سيللا . خطف الامبراطور دراجون (التنين) سارو الجميلة . وبينما كان الجمهور المحتشد ينشد أغنية « البحر » . أقبلت سلحفاة ضخمة وعلى ظهرها سارو الجميلة .

وكما أن السلحفاء موضوع دائم في الفنون التشكيلية . فهى أيضا من الصور البيانية في الأدب ، فهى تتردد في عدد كبير من الحكايات والقصص في عصر أسرة يى . من ذلك « قصة الأرنب والسلحفاة » (بيول - شيبون) . و « رحلة الى قصر التنين » (كيميو - سن هوا) . و « قصة سيم - شونج » . وإذا كان رسم السلحفاة في التصوير الكلاسى نادرا نسبيا . فإن الاشارات الرمزية اليها صريحة تماما . أما التعبير التشكيلى الشعبى فإنه على العكس من ذلك . يعرض السلاحف العطوفة وهى تحمل على ظهرها إرانب وتمضى بها الى قصر التنين .

وترينا صور سا - ريونج السلحفاة وهى في مرتبة الحيوانات المقدسة السعيدة الفأل . وكثير من أعمال اسرة يى تصور سلحفاة تحمل الكتب المقدسة . إشارة الى الفكرة الأسطورية الخاصة « بالتريجرامات » الثمانية التى تمثل المعرفة . وعلى الصورة الجدارية الجنازية لأسرة كوجوريو . نرى السلحفاة حارسة احدى الجهات الأربع الأصلية . وفي عهد اسرة يى . تبطل كل هذه الرموز . ولم تعد السلحفاة سوى رمز من رموز العمر الطويل الستة .

ولكن السلحفاة تظل موضوعا أثيرا في فن النحت على الحجر . ففى أساس المبانى والصروح أدمجت حجارة على شكل سلاحف . تسمى كوى - بو . ويوجد أكثر من مائة من هذه الحجارة في المقابر الملكية والمعابد البوذية . ويرجع تاريخها الى العصر الذى يمتد من مملكة سيللا الموحدة الى اسرة يى . ويقترن بالحجر « السلحفاة » في أساس المبنى . الحجر « التنين » في ذروته . وعلى هذا النحو ينشأ تآلف بديع تعبر فيه السلحفاة عن الفأل السعيد أو ترمز الى طول العمر .

وبعض الأحجار « السلحفاة » لها شكل غريب (كما في تصاوير سا - ريونج » . فأجسامها مطورة بأسلوب فنى ورؤوسها رؤوس التنين . ولا ينبغى فهم معناها إلا بالرجوع الى دلالات رسوم (اتيونات) حيوانات مقدسة أخرى لها رؤوس بشعة . كوحيد القرن (الأسطورى) . والسبع . والنمر الأبيض . والتنين . وتصوير الحيوان واقعى تماما . باستثناء الرأس الذى يغطى بما يشبه القناع البشع . « بيوك - سا » الذى يعتقد أنه يطرد الشيطان .

وإذا كان هذا النمط الفنى « ذو السلحفاة » قد ظهر أولا في الصين في عهد أسرة هان . ثم أدخل فيما بعد في كوريا في عصر الممالك الثلاث . فإن الكثير من المستشرقين يصرحون بأن هذا الفن قد بلغ ذروته في حس التعبير في كوريا . وذلك في كثير من الروائع الفنية مثل الروائع التى كشف عنها ضريح الملك « ميول » .

إن تأثير السلحفاة في حياة كوريا وتاريخها ملموس فيما هو أبعد من الفن والفولكلور ففى القرن السادس عشر صمم الأميرال « يى سون سين » سفينة « سلحفاة » اعتبرها الكثير أول مدرعة . وتثبت السلحفاة وجودها في كل مكان . حتى في الأدوات والأوانى المنزلية ، وتزين اساسات المبانى . والأختام . والأحواض الحجرية . والحدائق . وقد وصل الينا قرابة المائة من « القوارير على شكل السلحفاة » الفاخرة من « الاشتيت » (حجر الطلق) . أو البرونز ، وكانت مصنوعة خصيصا لموائد الملوك في عهد اسرة يى . وهى بمثابة التمائم . كما في أوانى الماحيق التى على شكل الكمثرى . والأقفال . والصناديق السحرية التى يمكلها المنجمون . وكلها مصنوعة بشكل السلحفاة المحبوبة التى تكفل العمر المديد . وتحمى صاحبها من الشيطان .



رسم مصور مجهول في القرن الثامن عشر انسانا خالدا في صحبة سلحفاة ، رمز العمر الطويل .

(الصورة - زو زا - يونج - متحف إميل - سيول - جمهورية كوريا)

فنانون مجهولون يصورون المعتقدات الشعبية



بقلم: زو زا - يونغ

ظهر منذ عشر سنوات نظرة جديدة كشفت عن أهمية التصوير الشعبي الكوري، هذه الأعمال التي نبذها التعليم الفني الرسمي زمنا طويلا. وتوارت مع الذكريات الأسرية التي انتقلت من جيل الى جيل. لم تجتذب انتباه مؤرخي الفن الذين لم يهتموا حتى بإحصائها. وحين بدأ المؤرخون يهتمون بها، أعتبروها خطا ضمن «التصوير المولكوري»، وهو تصنيف مبهم فالواقع أن هذا التصوير، الذي لا يحمل اسماء مبدعية، تصوير «شعبي» من حيث أنه من صنع فلاحين. وكذا مصورين يعملون في بلاط الملوك. وهو «شعبي» لأنه يسلع الحياة اليومية الجارية. وفي الوضع الذي كان يشغله الفنانون في المجتمع الكوري ما يساعد على طرح هذه المسألة بصورة أوضح.

كان التصوير في كوريا مرتبطا على الدوام ارتباطا وثيقا بالتعليم الكونفوشي. ولا بد أن يكون الكونفوشي الصادق متفوقا في ثلاث مواد، الشعر، والخط، والتصوير. أما الشعر والخط فكانا يعتبران بمثابة الفن الناس. وأما التصوير فلم يحظ بمثل هذا الاعتبار.

ولم يكن التصوير في نظر العلماء الكوريين سوى تسلية ممتازة لإزجاء الوقت. ولم يكونوا يبدون تقديرا كافيا للمصورين المحترفين العاملين في الـ «توهوا. سو» أي مكتب الفنون والذين يختارون من بين الـ «شونجوين» أي الحرفيين.

وكان من الشيع تقسيم التصوير الكوري الى تصوير خالص، وتصوير نفعي. ومع أنه لا يوجد تصوير «خالص» تماما، كما لا يوجد تصوير «نفعي» تماما. فإن هذا التصنيف كان يحكم الاختيار الذي يجريه الفنانون. ومؤرخو الفن. والهواة. والتجار. فالطبع الوظيفي، في نظر هؤلاء، يستبعد من الفنون الجميلة الأعمال «الشعبية».

وبالنسبة الى الكونفوشي المتعلم، كانت الألوان الزاهية و«الموضوع» المقتبس من التقاليد الشعبية تثير ازدراءه. ويؤيد حكمه هذا عليها صفة العمل الشعبية، بالإضافة الى أنه مجهول الصانع. وقد اعتاد طلبة اليوم أن يقدروا العمل تبعا لأهمية صاحب الامضاء الموقع عليه. وأن يراعوا أصول التصوير الأكاديمي المتبع في الشرق.

وإنا لندهش من أن التصوير الشعبي قد أمتنع ذكره

تشكل جبال الماس، بالقرب من الساحل، شمال خط عرض ٣٨° سلسلة جبال مقدسة. وقد أوحت القمم الصخرية البالغ عددها ١٢٠٠ قمة أغرب تصوير للمناظر الطبيعية. والرسم أداه «إيديوجرام» (صورة رمزية) صيني يتضمن بناء معدنيا يشبه مجلسا من الحكماء. والى اليمين صورة التصيلية من «بارالان» (حاجز) في القرن الثامن عشر يزيد طوله على عشرة أمتار. تبدو فيها الصخور وهي تتزاحم وكأنها حشد من الناس يسيرون. وفيهم قساوسة ورهبان يبتهلون. وكذا فتيات يرقصن، وأطفال ورجال ونساء بالألوف. وفي موضع آخر، اتخذ الجبل، على حافة البحر الشكل الضاري لمدينة مضيافة.

(الصور - تو زايونغ - متحف إميل - سيول - جمهورية كوريا)



في تاريخ الفن الكورى . والحقيقة أن فكرة النفعة مازالت غامضة . بل ان صورا حديثة بدرجة ما . من نمط كونفوشى . قد يتبادر الى الذهن أنها صور رائعة . نجدها معروضة في المنازل فوق هياكل الأسلاف . وتستخدم كنماذج للأجيال التالية .

ولندع جانبا فن الخط وفن التصوير البارع اللذين نشأا لتسلية طبقة المثقفين . ويعتبران جزءا من الفن الرفيع . نجد أن تاريخ الفن الكورى هو في الأغلب تاريخ الفنون النفعية . أليس هذا من بعض الوجوه فنا فولكوريا ؟ كان العلماء فيما مضى يحتقرون كل تصوير شعبى بسبب صفته النفعية . وكذا بعض التصاوير البارعة بسبب صفتها الفولكلورية . والعجيب مع ذلك أن العلماء الكوريين القدامى . رغم احتقارهم للتصوير الفولكلورى كان عندهم فكرة عن هذا التصوير أوسع من فكرة الأخصائيين المحدثين في الفن الفولكلورى . رغم أن فكرتهم هذه أكثر ايجابية .

ترى ماذا تشمل فكرة التصوير الفولكلورى في التقاليد الكورية ؟ كانت تشمل أعمالاً تخرج في مناسبة الأعياد التقليدية . كالسنة الجديدة . وأول أيام الربيع . وخامس يوم في خامس شهر من السنة . وكذا في الذكرى السنوية لبوذا . وثمة وثائق قديمة تكشف أن معظم هذه التصاوير تمثل موضوعات شعبية يظهر فيها رموز طول العمر . والسعادة . أو رسوم واقية من الشر والأذى .

وكان بعض فنانى البلاط قد أبدعوا بعض هذه التصاوير الفولكورية التى عرضت أولا في مكتب التصوير بالبلاط الملكى حيث توافد العراقيون من الأرياف لاستلاحها . وكانت القرى والبلاط تشترك في استخدام نفس الموضوعات التى تعتبر مصدار للسعادة . وكان الناس كلهم . بما فيهم الملك والملكة يشتركون في إبداع هذه التصاوير الفولكورية . بعبارة أخرى . أن لفظة « فولكلورى » لا تنسب الى مجموعة معينة في المجتمع . وانما الى شيء غريزى في طبيعة كل انسان . وقد اسهم في هذا الفن الشعبى كل من الحرفيين المتنقلين ومصورى البلاط

أما المصورون الجائلون . وهم « ضيوف عابرون » حسب التسمية الشعبية . فإنهم كانوا ينتقلون من قرية الى أخرى . يمارسون التصوير لدى الأفراد . وكان الكثير منهم ممن نسميهم « سذجا » ؟ غير أن بعضهم كانوا أيضا فنانين بارعين لم يستطيعوا أن يصبحوا مصورين في البلاط

وكان الرهبان المصورون طائفة أخرى من الفنانين . وفي الأديرة . كان بعض الشبان الموهوبين يدرسون بإرشاد دقيق من أحد الأساتذة ليصبحوا فنانين محترفين يشتغلون في المعابد في رسم الصور البوذية الشعائرية . غير أن من لم يستطع من هؤلاء أن يلتزم بالنظام الصارم المفروض عليهم . فإنه أصبح في الغالب مصورا جائلا يكسب عيشه برسم صور حائطية على جدران المعابد والمصليات الريفية .

وهناك طائفة ثالثة تضم مصورى البلاط . ومصور البلاط . من الوجهة الاجتماعية هو الذى بلغ أعلى مرتبة يطمح اليها أى فنان في كوريا . ولم يكن هؤلاء الفنانون يتقنون أعمالا من طراز أكاديمى فقط ، وانما كانوا يزينون القصور . أو يشتغلون في صنع أشكال زخرفية . وعلى ذلك فإن التصاوير الفولكلورية كان لها مكان في قصور الملوك والأمراء ، وكانت مستعملة في المعابد البوذية . والمصليات الشامانية . والفنادق . وعلى الهياكل . وفي منازل الأفراد . وفيما عدا بعض الموضوعات التصويرية المخصصة للبلاط والمعابد والهياكل كانت مجموعات هائلة من الصور تثرى الحياة اليومية الجارية .

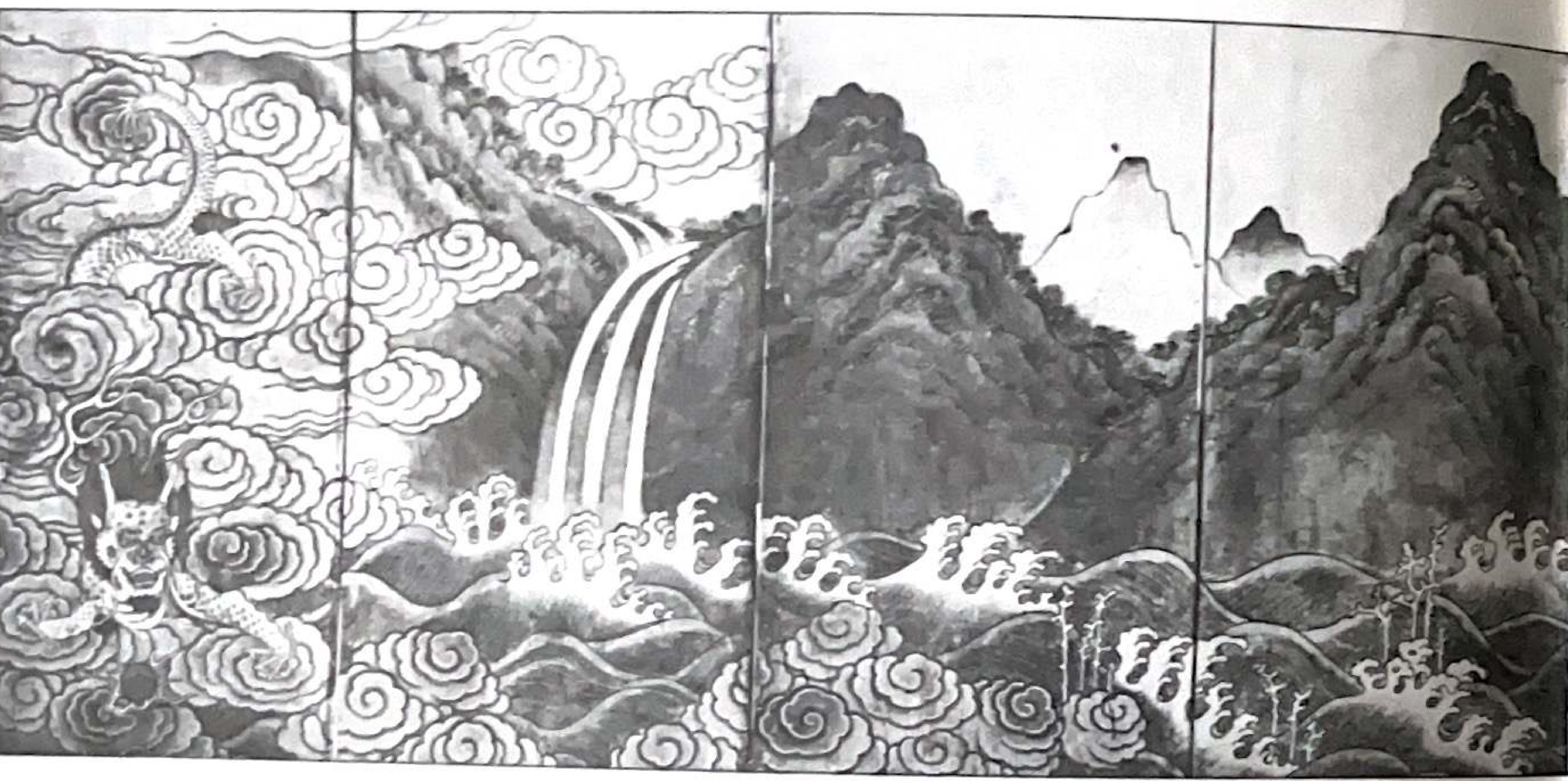
وكان لبعض الأعمال الفنية مكان دائم في المنزل الكورى ، وثمة أعمال أخرى تعرض في المواسم والأعياد . وبعض الموضوعات تناسب البيت كله . في حين أن موضوعات أخرى تناسب أمكنة خاصة في البيت من شأنها وحدها أن تضفى على العمل قيمته الفنية . مثال ذلك أنه من المرغوب فيه وضع صورة النمر على باب المنزل حتى لا يدخله الشر ، ولكن وجود الكلب وحده ضرورى على باب القبر . وعلى حوائط غرفة النوم . يفضل الأزهار والعصافير . أو أوجه الأطفال .

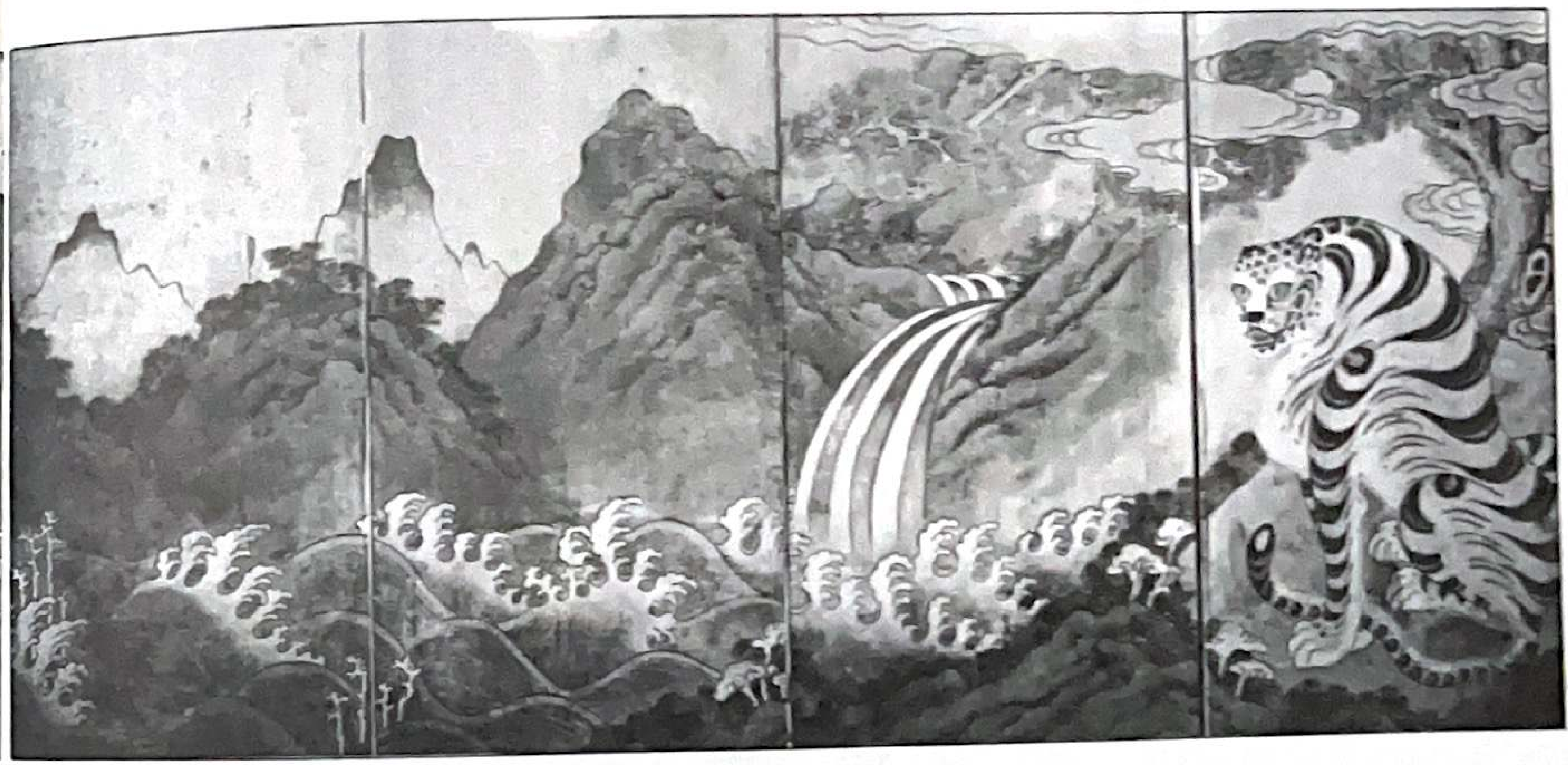
والفن المجرد من أية دلالة رمزية لا قيمة له في نظر الكوريين . وترتبط رموز التصوير الفولكلورى الكورى بالمفاهيم الكونفوشية . أو الطاوية . أو البوذية . أو الشامانية . ويكون تصنيف العمل صحيحا اذا أمكن التعرف على الموضوع الدينى بوضوح . والأعمال التى تحكى حياة بوذا تنتمى الى التصوير البوذى . والأعمال التى تثير ذكرى الخالدين الطاويين تنتمى الى التصوير الكاوى ، والأعمال التى تصور تعاليم كونفوشيوس تنتمى الى التصوير الكونفوشى ، في حين أن « روح الجبل » يتجلى في التصوير الشامانى .

غير أن الموضوعات الدينية متداخلة بدرجة معقدة يستحيل منها تقريبا تمييز تبعيتها الدينية على وجه التحديد . ومن ثم كان الشعور بأن في كوريا بوذية طاوية . وشامانية بوذية . وشامانية طاوية . ويبدو أن هناك عاملا مشتركا يوحد بين هذه التيارات الروحية . ذلك هو الرغبة الفطرية في معرفة حياة طويلة وسعيدة والتوقى من الأرواح الشريرة . ويتحلى التصوير الكورى من هذه الوجهة لغة عالمية . إذ يصور معان مشتركة بين كل النظم الدينية واذا نزع هذا التصوير الى تطوير الأسلوب . ولجأ أحيانا الى التجريد . فإنه يكشف أيضا عن أحلام الإنسان . وأوهامه . ويشرح الحب . ويقوم بمهمة الإعلام والتأريخ . والهجو . وانه ليفضل على الواقعية نوعا من الرمزية . وتلجأ التقنية المستخدمة الى التخطيط البطىء في مقابل ضربات الريشة السريعة المتبعة في الفن الكلاسيكى . وتملأ الفراغ الأثير لدى التصوير الكلاسيكى الشرقى . وثمة خصيصة أخرى لهذا التصوير . تلك هى حيوية المادة التى يعبر عنها كل شيء . الحيوان . والصخر . والشجر . وفي بعض الأحيان أوحت حيوية المادة هذه . مقترنة بالتجريد . رؤية ساذجة زكية للعالم . فهو عالم صادق و« برىء » . فيه قلب الإنسان أهم من إسمه .

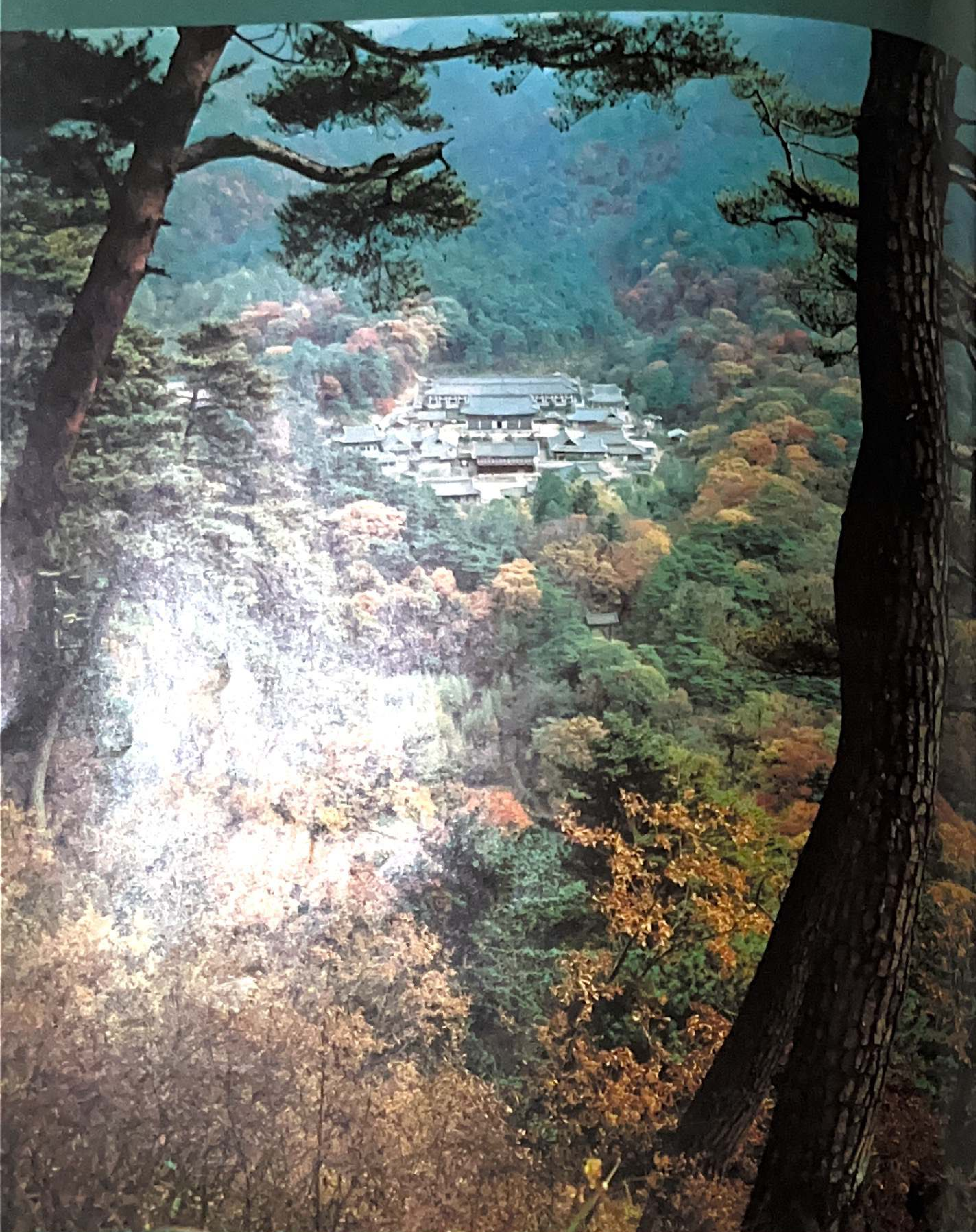


إن عظمة جبال كوريا التى تبث الروعة في النفوس دفعت الناس الى الاعتقاد بوجود روح تسيطر على الجبال ومن بين أكثر الطرق شيوعا التى أخذ الفنانون يصورون بها هذه الروح صورة شبه عجوز أليس يتكىء بذراعيه على حديقة النمر الأبيض . كما في هذه الصورة المرسومة على قطعة من الكتب والتى يرجع تاريخها الى القرن الثامن عشر .





لقد ظلت الشلالات الهادرة فترة طويلة موضوعا مفضلا في الفن الشرقى . ان كلمات الفليسوف الصينى لاو . تسو « مع ان الماء اضعف الاشياء وألينها ملمسا . الا انه يتغلب على اقوى الاشياء وأشرسها مقاومة » . هذه الكلمات ترى ممثلا في الصور السفلى . التى تظهر التناقض بين قوة التنين ، روح الماء . والهدوء الخارجى لانهار الجبال المتدفقة .



حلية برونزية قديمة من الخشب ، كان الشامان يستخدمها لجذب الأرواح الى الأرض . كان الشامان كبير في الطقوس الشامانية وكان الشامان يضيف على جسمه أجنحة أو ريشا استعدادا لرحلته الى عالم الارواح . كان للطيور شأن

تصوير شركة دنيج . هوا لنشر . سيول . المتحف القومي الكوري

الصفحة الملونة

وثبة الشبوط (سمكة شائكة)
فأل حسن

كان الكوريون يرون أن قفزة الشبوط من الأمواج تبشر بحسن الحظ . كأن تبشر بمولد ولد . أو تبشر بالنجاح الكبير في الحياة . وكانوا يعتقدون ان الشبوط يعيش مائة عام . وأنه يتحول في شيخوخته الى تنين خير يطرد الأرواح الشريرة . والشبوط الواثب هنا جزء من صورة على ورق الأرز . من عمل فنان كورى مجهول الاسم عاش في القرن الثامن عشر . (٥٥ سم × ٩٥ سم)

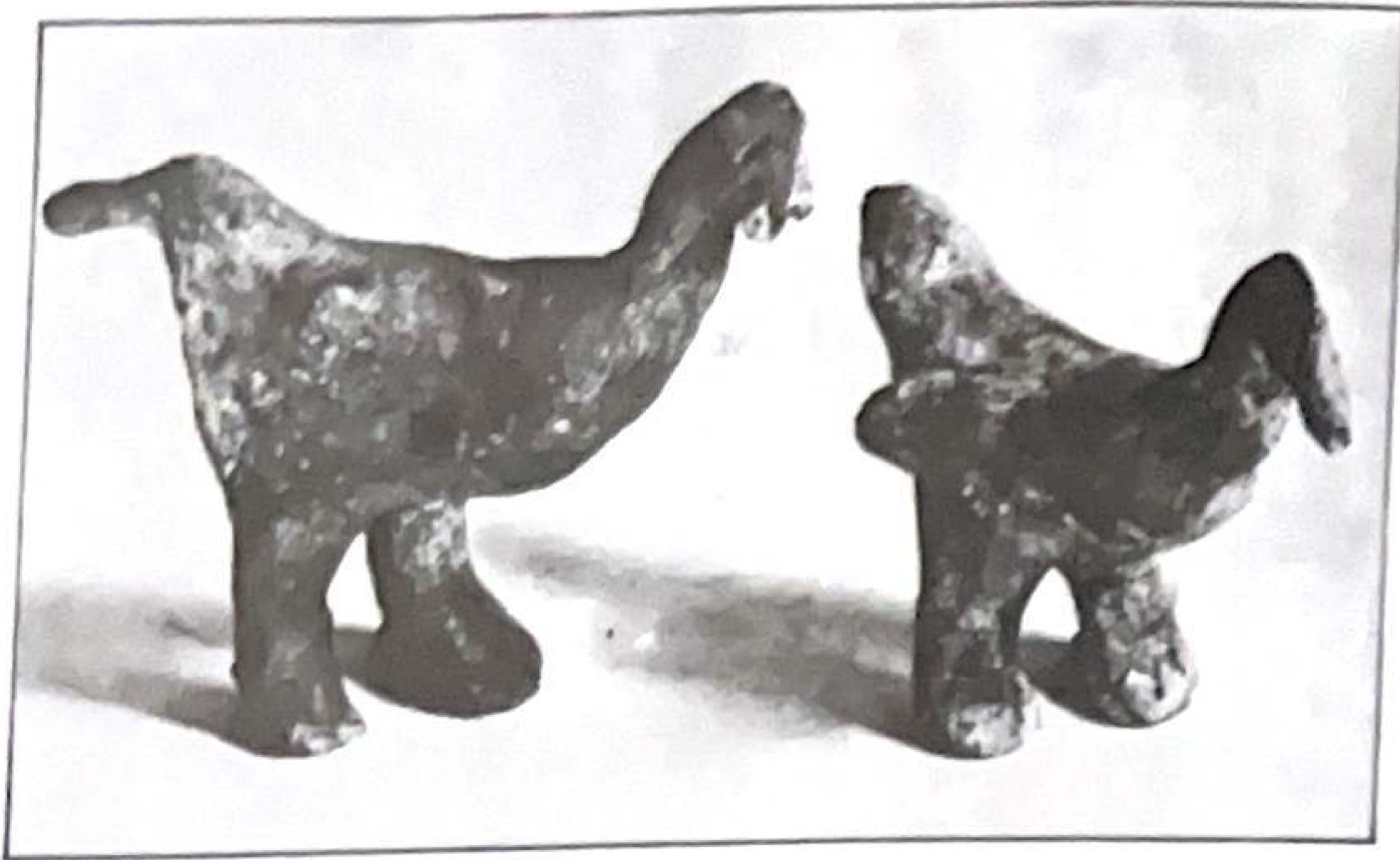
تصوير : زوزا . يونج . متحف إميل . سيول

هالة من الأساطير حول تاج ذهبي

بقلم : لى أوج

في ٢١ سبتمبر ١٩٢١ كانت شلة من الأطفال ترتع وتلعب على بقعة من الأرض البور في مدينة كيونجو . عاصمة مملكة سيلا القديمة التى تأسست في القرن الأول ق . م . ثم بسطت سلطانها فيما بعد على معظم شبه الجزيرة الكورية . وفجأة لحظ الأطفال حفنة من الخرزات الزجاجية ملقاة على الأرض . واذا بهم يقعون ـ من حيث لا يشعرون ـ على مقبرة كانت فيما مضى ربوة عالية ثم سويت بعد ذلك بالأرض . وكانت هذه المقبرة تضم رفات ملك حكم البلاد في بداية القرن السادس الميلادى . ثم أسفرت أعمال الحفر والتنقيب عن اكتشاف نحو ٣٠٫٠٠٠ خرزة زجاجية . وكنز خرافي من الحلى والجواهر . وكان أروع الكشوف الأثرية تاجا ذهبيا بقى سليما . على الرغم من أنه كان هشا . ولذلك اشتهر هذا القبر باسم « قبر التاج الذهبى » .

لى أج ، أستاذ مساعد بجامعة باريس ٧ . ومدير مركز الدراسات الكورية بكوليج دى فرانس . نشر كتابه الموسوم « تاريخ كوريا » في ١٩٦٩ ضمن سلسلة « كى سيج ؟ » (ماذا أعرف ؟) .



ثلاث بطات خزفية ذات أقدام بشرية يرجع تاريخها الى عصر مملكة سيلا القديمة . كانت الطيور تقوم بدور الوسيط بين الشامان وعالم الأرواح .

تصوير . شركة دونج . هوا للنشر . سيول . متحف جامعة ليحو

وكان التاج حافلا بالرموز التى كشفت عند فكها واستطلاع سرها عن معلومات ثمينة حول الأساطير والخرافات التى ذاعت في شرق آسيا اذ ذاك . كما كشفت عن النظرة الدينية إلى العالم التى انتشرت بين الكوريين القدامى .

ويعود بنا هذا التاج إلى الشامانات (الكهنة) الذين دانوا بعقائد وصلت الى كوريا من جبال ألطاى الواقعة في سيريا . كما مارسوا عبادة الطبيعة السحرية المبنية على وجود صلة غامضة من المشاركة بين الحيوان والانسان . إذ كان الصيادون في كوريا القديمة يعتقدون أن الحيوان يحرس الانسان . ويكلؤه برعايته وحمايته . وكانوا يعتقدون أن ذبح الحيوان هو قربان للكائن السماوى الذى يبيح للصياد أن ينتحل الصفات المادية والروحية التى يتحلى بها الحيوان الميت وتوضح لنا طقوس الصيد والقنص . وبعض الأساطير مثل أسطورة الملك شامان . مؤسس مملكة كوجوريو . هذه الصلة المشتركة بين الانسان والحيوان .

تقول الأسطورة إن ابنة « رب النهر » ـ من آلهة الماء ـ خرجت للنزهة . فقابلت « هاموسو » ابن امبراطور السماء . فشغفها حبا وتوثقت عرى الصداقة بينهما . فحملت منه . وأنجبت « بيضة » . وألقيت البيضة أول الأمر الى كلب فعافها . ثم الى خنزير فعافها . ولم يمسها أى منهما . فتركت البيضة على مدرجة الطريق . فأخذتها الجياد والثيران ونقلتها الى مكان أمين . ثم وضعت البيضة بعد ذلك في احد الحقول . و عبثا حاول الناس كسرها . ومن هذه البيضة خرج « شومنج » الجميل .

وهكذا ارتبط الحيوان بالانسان بتيارات خفية وعميقة من الفهم أسفرت عن لغة غنية بالرموز الحيوانية . وكان التاج الذهبى (انظر الصورة الملونة المقابلة) تعبيراً لامعا ومفيداً من تعبيرات هذه اللغة الرمزية .

وكان الكوريون القدامى يعتقدون أن الكون مؤلف من ثلاثة عوالم السماء . والأرض . والعالم السفلى الذى هو مملكة الموتى . وكان يعرف أيضا باسم عالم الماء . وكان لا بد من أن يسيطر شومنج على هذه العوالم الثلاثة . وغالبا ما تتم هذه السيطرة بالتحول الى حيوانات مختلفة كما يتضح من الحكاية التى تحدثنا كيف طلب والد شومنج يد ابنة « رب النهر » .

تقول الحكاية ان رب النهر اراد أن يختبر خاطب ابنته . فحول نفسه الى شبوط (سمكة شائكة) . وسرعان ماحول والد شومنج نفسه الى مضاعة (ثعلب الماء) . وأمسك بالشبوط . ثم عاد رب الماء فحول نفسه من شبوط الى أيل (ذكر الغزال الأحمر) . واذا بخصمه يحول نفسه الى ذئب ويطارده . وأخيراً حول رب الماء نفسه من أيل الى طيهوج (نوع من الطير) واذا بوالد شومنج يحول نفسه الى صقر . وحينئذ ادرك رب النهر أنه يتعامل مع ابن إمبراطور السماء . فوافق على الزوج . وأمر باتمام الزواج .

الصفحة الملونة

تاج ذهبى رائع يزدان بجواهر على شكل الشولة (و) من اليشب الأخضر (أعلى اليسار) كان يلبسه فيما مضى حاكم مملكة سيلا الكورية في القرن (٦) . اكتشف بمدينة كيونجو . العاصمة القديمة لمملكة سيلا وهو حافل بكثير من الرموز (انظر المقال في هذه الصفحة) . اكتشف أيضا في قبر التاج الذهبى «الحزام الذهبى الأنيق (أسفل) الذى يشتمل على صفائح ذات نقش مخرم عددها ٣٩ . وعلى ١٧ قلادة متدلاة . ويزدان بصور من الطراز الشائع إذ ذاك في الصين حيث جرت التقاليد بحمل الأحزمة الحاملة للقلائد الممثلة لكل ما يوجد في عمل خرج كل موظف في الدولة كالسيف والسكين . وحجر الشحذ . وحجر القداحة . يلاحظ أن القلادة الشبيهة بالسمكة هي من النوع الذى كان يستخدم في عهد أسرة تانج الصينية . ويدل على رتبة صاحبه . يحتمل ان يكون استخدام هذا الحزام قد بدأ في العصور القديمة بين قبائل البدو النازلة في السهوب الشمالية . أعلى اليسار ، حلية ذهبية يرجع تاريخها الى أوائل القرن (٦) اكتشفت في قبر الملك ميريونج (انظر الصورة ص ٢٥) بمدينة كونجو . عاصمة مملكة بيكشى .

الصورة ، مصلحة الاستعلامات الكورية لما وراء البحار . سيول

تصوير . هان سوك . هونج . سيول .

رماة السهام الذين يمتطون صهوات الخيل ، مع كلابهم ، يطاردون الأيائل والغزلان ، والنسور ، في صورة جدارية وجدت في قبر « الصور الراقصة » في سهل تونج ـ كو الواقع في جنوب منشوريا . كان الكوريون القدامى يرون أن الصيد يصطبغ بطقوس دينية تعكس الوحدة بين عالم الانسان وعالم الحيوان .

تصوير كيم لى ـ بيوك ـ سيول





◀ ويعلو التاج الذهبى جناحان يتصلان بالقلنسوة المدببة داخل التاج . ووظيفة هذين الجناحين حماية صاحب التاج . ولكنهما ايضا يرمزان للصعود الى السماء . وتحتوى قطعة من قلنسوة اكتشفت في شونج هوا ، بالبلاد التى حكمها شومنج فيما مضى ، على طائر غامض ذى اقدام ثلاثة له نفس المغزى الدينى . ولكن المغزى الرمزى للطير المرسوم على التيجان الكورية القديمة لا يقف عند هذا الحد . ذلك أن « وى تشى » ـ وهو نص صينى يرجع تاريخه الى القرن الثالث م ـ يحكى لنا كيف كان الموتى من قبيلة هان في كوريا الجنوبية « يطيرون » مستخدمين ريش الطيور . وكان شامانات منغوليا يتحولون الى مخلوقات طائرة متى وضعوا أجنحة على ظهورهم . وكان الكهنة الشامانيون في سيبريا ومنشوريا يزينون ايضا ملابسهم وقلانسهم بريش الطير . وقد اكتشف فى يوشينو باليابان تاج مصنوع من سبيكة ذهبية وبرونزية يحمل آثاراً تدل على انه كان مزوداً بأجنحة . مما يثبت ان عبادة الطير وصلت الى اليابان .

وكان الكوريون القدامى يعتقدون أن أجنحة الطير ليست هى الوسيلة الوحيدة للصعود الى السماء . ذلك أن الجواد الطائر ـ كالجواد ذى الحوافر الستة المرسوم على لحاء البتولا (انظر ص ٣٥) ـ يمكن أيضا ان يؤدى هذه المهمة .

ترى ، هل كان المقصود من الاجنحة التى تعلو التاج الذهبى أن ترمز الى اجنحة طائر حقيقى أم أى طائر خرافي ؟ الا يحتمل ان تكون هذه الاجنحة أجنحة ديك . على أساس أن الديك كان له شأن كبير في أساطير سيلا لدرجة أن هذه المملكة كانت تعرف باسم « بلاد الديك والغابة » ؟ وقد ورد في « سمجوك يوسا » ـ وهو نص كورى يرجع الى القرن الثالث عشر ـ أن شعب سيلا يقدس الديك باعتباره إلها . ويستخدم أجنحته في أغراض الزينة .

وفي المعتقدات الكورية القديمة كان الديك يرمز الى الشمس . وكان هو نظير الرنة الخرافية في العصر الحجرى ذات القرون الذهبية التى تطير عبر سيبريا من الشرق الى الغرب .

وفي كوريا كان الأيل ـ وهو رمز دينى آخر ـ يناظر الرنة في سيبريا وكان جزءان ناتئان على شكل قرن يتصلان بالعقد الذهبى الذى يكون قاعدة التاج الذهبى . ويمكننا أن نتبين أيضا في تيجان مملكتى كوجوريو وبيكشى ، صورة القرون . وان كان بعضهم يعتقد ان هذه الرسوم ان هى الازخارف زهرية تعكس تأثير الفن الصينى .

يؤخذ من المعتقدات الشامانية القديمة أن أرواح الطيور تسيطر على العالم العلوى في حين أن الثدييات تسيطر على العالم السفلى

(١) رسم لشامان من الطونجو كانت ملابس الرنة تمكنه من النزول الى العالم السفلى ، واذا خلع قلنسوته استطاع ايضا ان يصعد الى العالم العلوى توجد مثل هذه المعتقدات في الاساطير الشيبرية .

(٢) حيوان خرافى يجمع بين ملامح الغزال والنسر والنمر اكتشف مرسوما بطريق الوشم على جثمان محنط لأحد الرؤساء المدفونين بمدينة بازيريك في سيبريا (القرن ٥ أو ٤ ق . م)

(٣) حلية في ورقة شجرة ذهبية ذات نقش مخرم كان يزدان بها تاج ملكة بيكشى . اكتشفت الحلية في قبر الملك ميريونجع بمدينة كونجو

(١) تصوير ، لاشو ، ١٩٧٧ ـ جامعة باريس ١ ، ناشير .
(٢) تصوير ، دار نشر أورورا ، لينجراد .
(٣) تصوير ، مصلحة الاستعلامات الكورية لما وراء البحار ، متحف بيو .

وكان أهل بيكشى ـ وهم جيران سيلا الغربيون ـ يعتقدون أن الأيل الذى يؤخذ في أثناء الصيد الملكى اما خطيئة أو شيء مقدس . ويحدثنا احد النصوص الصينية أن أعيان كوجوريو ـ الدولة التى سيطرت على شمال شبه الجزيرة الكورية في اثناء عهد الممالك الثلاث ـ كانوا يربطون « آذانا » ذهبية وفضية في خوذاتهم . ويحتمل ان تكون كلمة « آذان » من الأخطاء التى وقع فيها الناسخ . نظراً لأن الحروف الصينية الدالة على كلمة آذان مشابهة للحروف الدالة على قرون الأيل . وهذا بدوره يذكرنا بالقرون الحديديه التى زين بها شامانات طونجو قلانسهم . وبذلك تذكرنا بقرون الأيل . وكانت القلنسوة الشامانية تزدان كذلك بقرون الرنة الحديدية بين أهل سيبريا في مقاطعة كت الشرقية . وهناك حيوانات أخرى مقدسة كذلك ترتسم على التاج الذهبى . إذ يتدلى من قاعدته عدد كبير من قطع اليشب على شكل حوافر أو انياب تمثل أنياب الدب ـ بعضها حقيقى وبعضها مصنوع من الحديد ـ التى تزدان بها أحذية الشمانات الطونجيين . وربما تمثل أنياب النمر الذى عبده شعب يى ، شمالى سيلا

ويظهر عالم النبات ايضا على التاج الذهبى على هيئة البروشات المعدنية الصغيرة وأحسن مثال لصور الزهور في التيجان الكورية القديمة هو التويج البارز فوق تاج ملكة بيكشى (انظر الصورة ص ٤٨) . وتذكر احدى الوثائق القديمة أن ملك وأعيان بيكشى كانوا يلبسون تيجانا مزدانة بالزهور الذهبية والفضية .

أما فيما يتعلق بالعالم السفلى فيمثله نقش متعرج على شكل الامواج يمتد على طول العقد .

ويوجد أمام العقد ثلاثة أعمدة على شكل شجرة . ولكل عمود ثلاثة أغصان تمثل العوالم الثلاثة التى يتألف منها الكون عند الكوريين . ويوجد مثل هذا الرمز الدينى في الاساطير اليابانية في قلنسوة متخذة من زهرة « كليرا يابونيكا » . ويستخدم الكوريون في عباراتهم عموداً ـ بدلا من الشجرة ـ يمثل مركز العالم الأرضى ويسهل الاتصال بالسماء . وكان هذا العمود عند أهل سيبريا والطونجو متوجا بالطيور أحيانا . وورد في بعض الأخبار الصينية القديمة أن الكوريين كان يقيمون في اثناء عبادتهم عموداً يعلقون على قمته جرسا وطبلة .

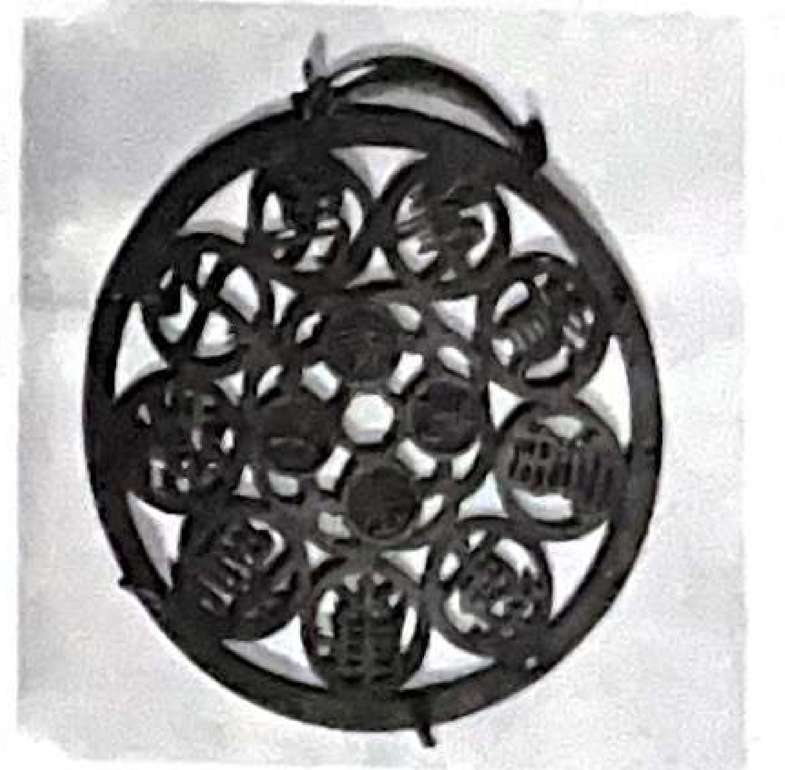
وهكذا يلقى تاج كيونجو الذهبى ـ بجواهره المصوغة من اليشب الأخضر وتباره الذهبى المتلالىء ـ نظرة على معتقدات عالم اختفت معالمه منذ زمن بعيد !

منذ عصر البرونز (بقية)

للالتحاق بوظائف الحكومة وقد اتبعت الحكومة الكورية في هذا الخصوص مثال الصين في عهد تانج وعلى ذلك فإنه ينبغى البحث عن مصادر العلوم الكورية في التقاليد التقنية. وقد انتقلت الخبرة العملية والبراعة التقنية. ونمت من جيل الى جيل. واهتم العلماء الكوريون فقط بالبحث عن الظواهر وأهملوا التفسيرات النظرية. وكان من أثر الاهتمام بالأبحاث العملية أكثر من الدراسات النظرية والعلوم الأساسية تعزيز التقنية في مجال الفنون السرية التى تنتقل شفاهة عن طريق الصناع. ولما كان العلماء الكوريون موظفين في الحكومة كان عليهم الاشتغال بالأبحاث وفقا لسياسة الحكومة. ولم يكن لديهم وقت لإجراء أبحاث حرة أو للتفكير النظرى. كذلك لما كان التقنيون موظفين حكوميين. مرؤسين ومحتقرين مثل الصناع. فإنهم لم يكونوا متمتعين بالحرية المعنوية. أو بالرخاء المادى. ومن ثم لم يكن في المستطاع أن يتوقع أحد منهم تسجيل وحفظ الفنون السرية التى اكتسبوها بخبراتهم الشخصية. وبالتقاليد الشفوية. ولم يكن هناك ما يحفزهم. في النطاق الاجتماعى على القيام بأعمال مثمرة، ولم يكسبهم ما كانوا يبذلونه من جهد لتحسين الأساليب التقنية أى تقدير. لذلك فلم يكن لديهم أى طموح اللهم إلا أن يواصلوا أنشطتهم التقليدية.

•

ولم تكتسب هذه التقنيات الحرفية أساسا علميا إلا في القرنين السابع عشر والثامن عشر. بفضل العلماء أنصار العلوم الدقيقة الذين ثاروا على فكرة تفوق النظريات والأنشطة الفلسفية. وأنشأوا حركة مبدؤها البحث عن الحقيقة على أساس الملاحظة. وعلى هذا النحو أدخلوا العلوم الغربية. وبادروا بإجراء إصلاح علمى.



صفيحة زخرفية لقفل باب قديم. والكتابة بداخل الدائرة تعنى حرفيا « عشرة آلاف سنة في سلام عظيم » أما كتابات الحلقة الخارجية فإنها تدعو بالسعادة، والأبناء الكثيرون، والصحة والغنى، والشرف، والعمر الطويل.
(الصورة ـ مصلحة الاستعلامات الخارجية الكورية. سيول)

المؤتمر العام لليونسكو

افتتحت الدورة العشرون للمؤتمر العام لليونسكو بباريس في ٢٤ اكتوبر ١٩٧٨ وانتهت في ٢٨ نوفمبر بعد الموافقة على برنامج المنظمة لعام ١٩٧٩ و ١٩٨٠. وأقر المؤتمر برياسة السيد نابليون لى بلانك الكندى ميزانية قدرها ٣٠٣ مليون دولار لتنفيذ البرنامج بزيادة ٦ ٪ على ميزانية ١٩٧٧ و ١٩٧٨.

وصرح السيد أحمد مختار امبو في خطابه الختامى بان روح التعاون. والرغبة في الاتفاق الجماعى (....) قد خرجت من هذه الدورة أكثر قوة. واكتسبت أهمية أكبر.

وقال السيد امبو « ليس ثمة شك في ان الاعلان (عن المبادىء الأساسية بشأن اسهام وسائل الاتصال الجماهيرية في تعزيز السلام والتفاهم الدولى. وحقوق الانسان ومكافحة النزعات العنصرية. والفصل العنصرى. والتحريض على الحرب) كان قطب الرحى في الدورة العشرين للمؤتمر العام. بالنظر الى المكان الذى احتله في المناقشات وسوف يظل الترحيب الذى قوبل به اقرار هذا الاعلان من أسعد اللحظات التى مرت بى خلال اضطلاعى بمنصب المدير العام لليونسكو (....). ومما يزيد من روعة هذه النتيجة السعيدة أن احتمال الفشل كان كبيرا. ولاشك أنها دليل على انتصار الرغبة الصادقة في التوفيق التى لم يصبها الفتور قط.

ومضى المدير العام يقول ان المؤتمر قد اتخذ قرارات أخرى هامة ذات مغزى ادبى لا يمكن أن ينسى. اذ أكدت هذه القرارات رسالة اليونسكو في هذا المجال من النشاط الانسانى. ونوه المدير العام بالموافقة الاجتماعية على الاعلان الخاص بالعنصرية والتعصب العنصرى قائلا، « لأول مرة في نظام الأمم المتحدة. بل في تاريخ الجهود الدائبة التى بذلتها البشرية لاستئصال شأفة العنصرية والتعصب العنصرى. يضع المجتمع الدولى بطريقة نظامية تعهدا أدبيا يشمل جميع نواحى المشكلة. دون ان يكون ملزما من الناحية القانونية ».

وأعرب السيد إمبو عن ارتياحه لاقرار المؤتمر بالاجماع للنظام الأساسى للجنة الجديدة التى تمثل فيها الحكومات والتى تختص بالعمل على اعادة الآثار الثقافية الى بلادها الأصلية أو اعادتها الى مالكها الأصلى في حالة الاستيلاء عليها بطريقة غير قانونية.

وأكد المدير العام أن المؤتمر قد أظهر « رغبة قوية في أن تسير اليونسكو بخطى حثيثة في نشاطها العلمى والتكنولوجى. كما أظهر « رغبة الدول الأعضاء في أن ترى اليونسكو تتوسع في مسئوليتها الخاصة عن العلم التى تقع عليها في نطاق نظام الأمم المتحدة بمناسبة مؤتمر الأمم المتحدة للعلم والتكنولوجيا في خدمة التنمية ».

وقد شهد المؤتمر وفود من جميع الدول الأعضاء (التى ارتفع عددها من ١٤٤ الى ١٤٦ عضوا. بعد انضمام ناميبيا. ودومينيكا) ومنهم ٩٣ من وزراء الخارجية والتعليم والعلم والثقافة والمواصلات ولذلك أتاح المؤتمر فرصة لإبداء الرأى في الشئون الواقعة في دائرة اختصاص اليونسكو.

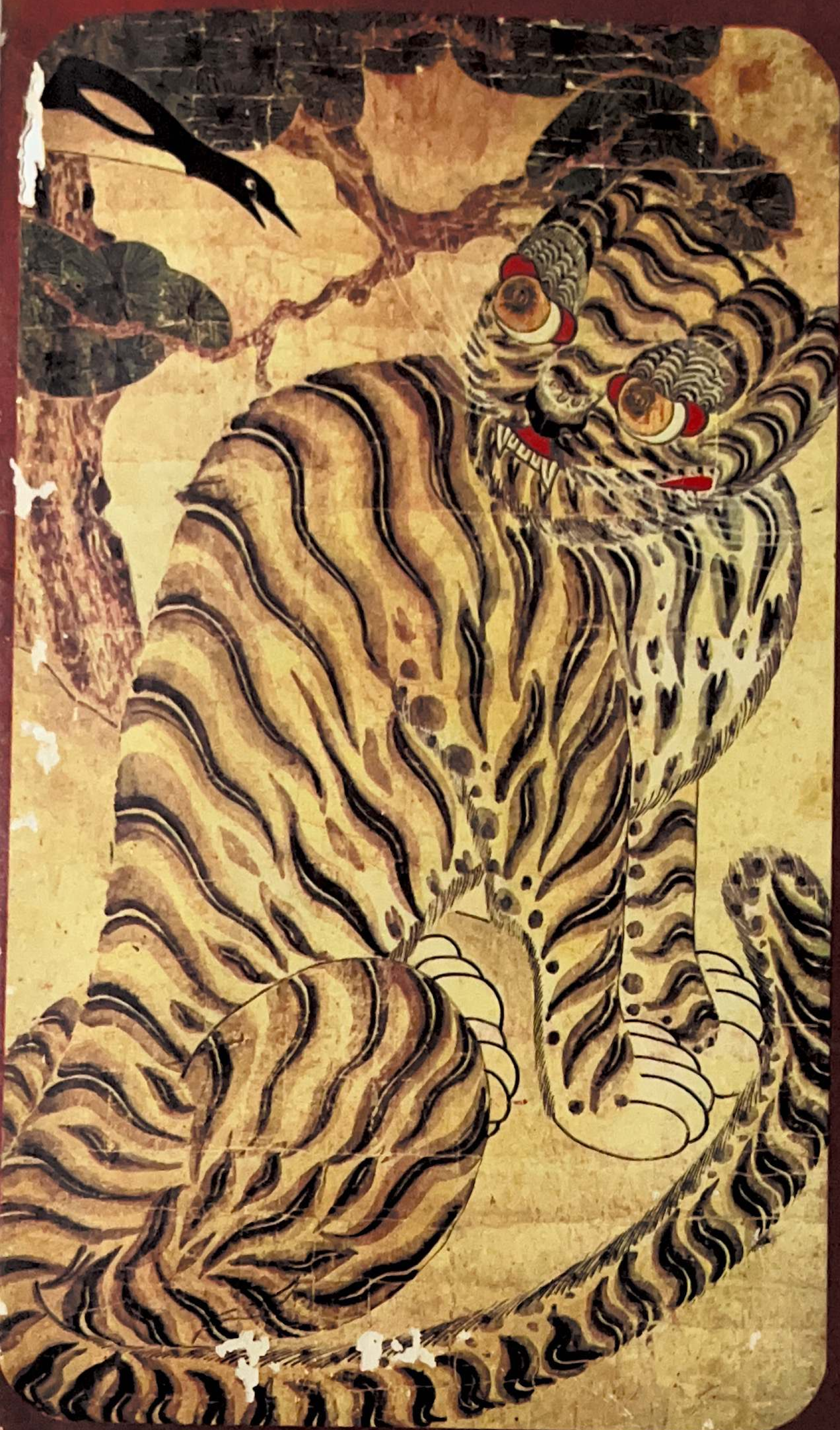
وقال السيد إمبو انه أتضح خلال مناقشة السياسة العامة ان « اقامة نظام اقتصادى دولى جديد هو من أهم الأهداف بل هو ـ بلا شك ـ من الأهداف البعيدة المدى التى يجب أن يتجه اليها نشاط المنظمة. وقد دلت المناقشات على رغبة الدول الأعضاء في عدم اقتصار مفهوم النظام الجديد على البعد الاقتصادى وحده بل يجب التوسع في هذا المفهوم وتعميقه بحيث يشمل الأبعاد الاجتماعية والثقافية. واتفقت الوفود على ضرورة قيام اليونسكو باصلاح الخلل وعدم التوازن في مجال العلم والاعلام. وهو الخلل الذى لا تزال أغلبية البشر تعانى نتائجه وآثاره. ويوضح البرنامج المزمع تنفيذه خلال السنتين القادمتين تصميم اليونسكو على اصلاح هذا الخلل.

وقال السيد إمبو ان اليونسكو تقف في مفترق الطرق الذى تلتقى عنده أسباب القلق في عصرنا هذا. ولذلك تسعى اليونسكو أن تكون معملا مفتوحا لجميع التيارات الفكرية التى تهدف الى وضع دستور اخلاقى ينظم العلاقات بين الناس والأمم. وهذا الهدف منشأه الادراك الواضح والحاسم معا بأن العالم لم يعد مركزا واحدا أو نموذجا واحدا يجب اتباعه في المستقبل. وانما يسعى الى ابتكار طرق جديدة للتنمية ونظام عالمى جديد يراعى التنوع بين الأمم. وعلى الجميع أن يدركوا أن هذا الهدف يجب تحقيقه عن طريق التبادل السلمى المثمر بين جميع النظم لا عن طريق المواجهة القائمة على عدم الثقة.

هذا وكان المؤتمر فرصة طيبة لألقاء أضواء قوية على ثقافات الدول عن طريق اقامة المعارض وغيرها من الأنشطة الثقافية التى تجلت فيها أعمال الفنانين ذوى الشهرة العالمية من جميع أنحاء العالم.

وسوف تعقد الدورة القادمة للمؤتمر العام في بلجراد في ١٩٨٠.

• طبعت بالمطابع الجديدة لمؤسسة دار التعاون للطبع والنشر •



النمر والعقعق

[illegible] النمر [illegible] وهو [illegible] من عداء [illegible] العقعق الغراب الكوري [illegible]

صورة قد لا تكون معهودة لابن لعصر ماضٍ هذا كان النمر وهو حيوان مألوف في الأدب الشعبي الكوري ، أحد أربعة لحرس الجهات الأربع الأصلية ، أما الثلاثة الأخرى فهي التنين والعنقاء والسلحفاة . كان الكوريون في العصور القديمة يصورون على باب بيتهم النمر لطرد الأرواح الشريرة والتي لجلب حسن الحظ .

تصوير رول - بونغ [illegible] من [illegible] .

رسالة

اليونسكو

العدد ١٧٥



٧ قروش

الكلتيون



شركة النصر للأجهزة الكهربائية والالكترونية

"فيليبس"

EL-NASR ELECTRICAL & ELECTRONIC APPARATUS Co. S.A.A.

PHILIPS



راديو شنطة طراز ٨٩ ر٠ت

مليم جنيه
١٠ر٥٠٠



راديو الجيب طراز ٧٧ ر٠ت

مليم جنيه
٤ر٥٠٠

يسر الشركة أن تلبي طلبات الجمعيات التعاونية للشركات والهيئات والمصالح والنقابات واتحادات الطلبة وذلك بتنظيم خاص ضماناً لوصول إنتاجها بأسعار لجميع المواطنين .



راديو منضدة طراز ٩٧ ر٠ت

١٢ جنيه

المركز الرئيسي : الإدارة والمصانع ـ النزهة ـ الإسكندرية
الفروع والمعارض : القاهرة ٢٦ شارع عدلي ت: ٩٧٤٩٩١ ٣
الإسكندرية : ٩ شارع سيزوستريس ت : ٢٥٧٦٠



مزايا ادخارية جديدة

يقدمها وينفرد بها

بنك مصر

لعملاء التوفير ذو الجوائز

جائزة أولى ٥٠٠٠ جنيه

جائزة ثانية ١٠٠٠ جنيه

+ ١٤٤ جائزة مالية أخرى + فائدة ٤٪ سنوياً
+ حرية السحب والإيداع

السحب ٧ مرات سنوياً

١٥ يوليه	١٥ يناير
١٥ سبتمبر	١٥ مارس
١٥ نوفمبر	١٥ مايو

ستة سحبات عادية بالإضافة إلى السحب يوم ٣١ اكتوبر "يوم الادخار العالمي" بجوائز خاصة

* كل ١٠ جنيهات = تذكرة يانصيب تدخل السحب
* ١٧٥ فرعاً منتشرة في الجمهورية .. في خدمتك

تقاليد وخبرة العمل المصرفي على أرفع مستوى

بنك القاهرة

ش . م . م

الإدارة العامة
٢٢ شارع عدلي ـ القاهرة

البنك يعرف طلبات عملائه جيداً

من منطلق سياسة الانفتاح الاقتصادي وإطلاق الحرية لشركات القطاع العام في التعامل مع البنوك التجارية .. فإن بنك القاهرة يرحب بتعامل جميع القطاعات الاقتصادية معه ، واضعا خبرات أجهزته الفنية في خدمة شتى القطاعات من خلال فروعه بجميع أنحاء الجمهورية ووحداته بالبلاد العربية ومراسليه بشتى أنحاء العالم



تليفون : ٤٦/٤٩٤٤٣ ـ تلغرافيا : بنقاهر

صندوق بريد ١٤٩٥ ـ س. ت ٨٠٠٥٨
القاهرة

فبراير ١٩٧٦

رسالة اليونسكو

تصدر شهريا عن :

هيئة اليونسكو

ميدان فونتنوا ـ باريس ٧

تصدرها اليونسكو باللغات

الفرنسية والانجليزية والأسبانية

رئيس التحرير

ساندى كوفلر

وتصدرها شعب قومية

باثنتى عشرة لغة أخرى

الطبعة العربية لرسالة اليونسكو

١ شارع طلعت حرب ـ القاهرة

تليفون ٢٤٤٠٢٢

رئيس التحرير

عبد المنعم الصاوى

هيئة التحرير

د . مصطفى كمال طلبه

د . السيد محمود الشنيطى

د . عبد الفتاح اسماعيل

عثمان نويه

محمود فؤاد عمران

الإخراج والتصميم

روبرت جاكمين

عبد السلام الشريف

عبد العزيز عبد الصادق

صفحة

تعتذر المجلة آسفة عن ادراج اللوحات الملونة الخاصة بهذا العدد ، وذلك لعدم وصولها للآن من باريس .

صورة الغلاف

خصصنا هذا العدد لفن وحضارة الشعوب الكلتية التي انتشرت خلال الألف سنة السابقة على ميلاد المسيح في رقعة واسعة من أوربا تمتد من الدانوب إلى أيرلندة . ويعمل العلماء في الوقت الحاضر على تجميع خيوط تاريخ الكلتيين وكشف النقاب عن الأسرار العجيبة لآثار حضارتهم . وقد استطاع العلماء بفضل الأساليب الفنية الحديثة أن يكشفوا عن أصالة الحضارة الكلتية ، ويلقوا ضوءا جديدا على إسهامها العجيب في الفن العالمي . وتبين الصورة المنشورة هنا وجها برونزيا عجيبا يزين دلوا خشبيا عثر عليه في قبر ببلدة ايلسفورد ، بمقاطعة كنت بالمملكة المتحدة . ولعل الذي قام بصنع هذا الوجه كان بريطانيا في القرن الأول قبل الميلاد ، ثم تسرب إلى بلد الغال .

[illegible]

كنوز الفن العالمي

١٠٥

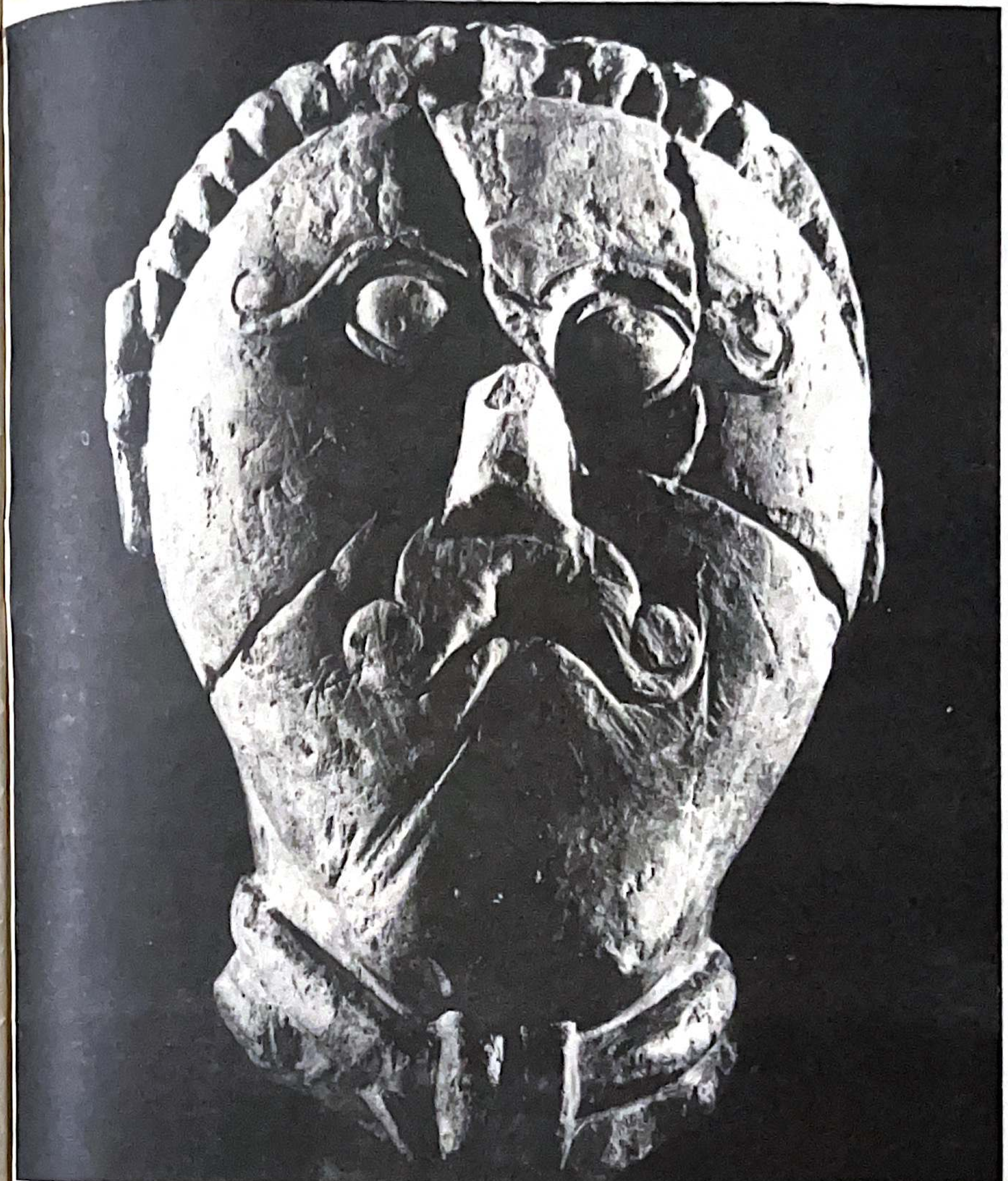
ايطاليا

[illegible]

هذا الراس الذى اكتشف فى تشيكوسلوفاكيا نحته من الحجر فنان كلتى فى القرن الثانى قبل الميلاد • لاحظ الوجه الذى تم نحته بطريقة فنية تقليديـة مع بروز العينين ، والتفاف الحاجبين والشارب بطريقة حلزونية • كان الفن الكلتى فنا خياليـا لا تعبيريا ، ويقول فى ذلك بول جاكوبستال الخبير فى الفن الكلتى : «كان الأغارقة القدامى يرون ان الحلزون هو الحلزون وان الوجه هو الوجه ؛ اما الكلتيون فكانـوا يرون الوجـه اشبه بالحلزون» •

الكلتيون

بقلم : پول مارى دوڤال



تصوير : ايريش ليسنج ؛ باريس

بناة المجتمع الأوروبي الأول

فى تـاريخ أوربـا عصران كلتيـان ، أولهما عصر الكلتيين القدامى الذين تـالق نجمـهم فـى أواخر عصر الحديد ، وكانوا يعاصرون الاغريق القدامى ؛ وممالك الاسـكندر ، والامبراطورية الرومانية ؛ التى طردتهـم بالتـدريج الى الجزر البريطانية ، حيث احتفظوا بعقائدهم الوثنية حتى القرن الخامس بعد الميلاد •

والعصر الثانى هو عصر الكلتيين المسيحيين وذراريهم الذين عاشوا فى ايرلندة ، واسكتلندة ويلز • وقد عاد بعض الكلتيين المسيحيين الى مقاطعة ارموريكا (بريتانى الرومانية) منذ القرن الخامس ، واقاموا حضارة ادبية زاهرة أثرت تاثيرا عميقا فى العصور الوسطى كلها فى الغرب ؛ عن طريق البعثات التبشيرية التى قادها رهبان ايرلنديون فى قلب أوربا •

وفى كلتـا الحالين كان الكلتيون هم اهل القارة الأوربية والجزر المواجهة لها • وكان اهل البحر المتوسـط يعتبرونهم برابرة ؛ وانـدادا للإيبيريين فى اسـبانيا ؛ والقبائل الجرمانية ؛ والأيقوليين ؛ فى مناطق السهوب (الاستبس) ، والداشيين فى اقليم الكربات ، والتراقيين فى شبه جزيرة البلقان •

ترى ، ما هى الأسباب التى اكسبت الكلتيين مثل هذه القوة ؟ أولها انهم حذقوا صناعة الحديد؛ ومهروا فى استخدام الأساليب الفنية • وثانيها نموهم السريع وحذقهم للفنـون العسـكرية • فاستطاعوا أن يندفعوا من الأقاليم التى تقع بين نهرى الراين وفلاتافا (أو المولدو ؛ وهو نهر تشيكى يجرى خلال مدينة براغ) التى يظن انها كانت مهدا للشـعوب الكلتية ؛ واتجهوا صوب المحيط الأطلنطى ؛ والبحر المتوسط ، والأدرياتى؛ والأسود ، بل استطاعوا الوصول الى آسيا الصغرى حيث اسـسوا مقاطعة جلاشيا • وبرغم ذلك كله لم تكن لهم لغة مكتوبة •

وهناك اسباب أخرى لقوة الكلتيين المسيحيين من ذلك أنهم احتلوا من انجلترا ما عجز الرومان من اخضاعه ؛ ودونوا تراثا أدبيا شعبيا يضارع فى قدرة ملاحم هومر الحماسية ، واقاموا حضارة فى المناطق التى نزلوا فيها ؛ ونشروا ديانة يضارع رهبانها الزهاد أولئك الرهبان الذين ظهروا فى « صحارى الشرق » وحافظوا بشدة على طائفة من اللغات والمأثورات التى لا تزال تنبض بالحياة حتى اليوم •

ونحن ندين للكلتيين بالتراث الأدبى الأول غير اللاتينى فى أوربا • ومن ذلك الملاحم الحماسية فى عهد الوثنية بايرلندة وويلز ، واساطير الملك آرثر ؛ والقصص الخيالية البريتونية ، والقصص الشعرية •

ومن ذلك نرى انـه وجدت ؛ قبل ظهـور الامبراطوريات الرومانيـة والبيزنطية والجرمانية والسـلافية ، لغة وتقاليد كلتية فى أوربا تمتد من ايرلندة من الى سيليزيا • ومع ذلك لم يؤلف الكلتيون امة قط ، ولم يؤسسوا دولة تستطيع ان تقـاوم غزو الرومان او القبـائل الجرمانية

وقد عاش الكلتيون على هيئة قبائل وامارات ؛ واتحادات على الولاء (أى كسب ولاء الأفراد او الجماعات التى تنتمى الى قبائل اخرى) • ولم تتجاوز الوحدة السياسية بين الكلتيين هذا الحد قط • وعندما حاولوا الاستيطان بصفة دائمة كانوا ينهكون قواهم فى الغزو والفتح ؛ وخاصة اذا خرج الشبان من بينهم ليحاربوا كجنود مرتزقة حبا فى المغامرة والسلب والنهب •

وبهذه الطريقة برزت الى الوجود بلاد كلتية ولكنها تفككت بالتدريج ثم اندثرت • وكان هذا هو حال المانيا الوسطى وبوهيميا ، وبلاد الغال الشرقية ثم الوسطى ثم الغربية ؛ وشطر كبير من اسبانيا حيث تالف الشعب « الكلتى الأيبيرى » ؛ وايطاليا الشمالية التى غزاها الرومان فى وقت مبكر ، واقليم الدانوب الممتد من النمســا الى يوغوسلافيا ، وبريطانيا العظمى ؛ وايرلندة حيث استقر المهاجرون من قارة أوربا ؛ واخيرا الجماعات « الغـالية » التى تركت آثارها فى بلغـاريا ، واليونان وآسـيا الصغرى • فى حين ان المصنوعات الكلتية ـ ان لم يكن الكلتيون انفسهم ـ قد وصلت الى سيليزيا وجنوب بولندة واوكرانيا • ولكن فى فجر العصر المسيحى انتهى كل ذلك الا فى جزر المحيط الأطلنطى •

ويصف المؤلفون الرومان والأغارقة الكلتيين بانهم أعداء لهم ، ويقولون : اليس هؤلاء هم البرابرة الذين استولوا على روما فى بداية القرن الرابع قبل الميلاد ؛ الذين نهبوا معبد دلفى فى اليـونان بعـد ذلـك بقرن من الزمان ؟ وهكـذا يصورونهم بانهم قوم تستهويهم غنائم وخمور البحر المتوسط ؛ ويصفونهم بانهم قوم قلب لا يستقرون على حال ؛ وان كانوا يتصفون بالشجاعة والكبرياء •

ولكن الواقع ان الغال (اسم فرنسا قديما) كانت تتالف من مجموعة من القبائل القوية التى عجز قيصر عن اخضاعها الا بعد عشر سنوات • وكانت ايطاليا الشمالية تعرف باسـم « الغال الألبية » قبل ان تصبح رومانية ، فى حين انه لم يستطع اى جندى رومانى ان يطأ قدماه أرض ايرلندة ؛ ولا ان يستقر فى اسكتلندة • ولذلك فان حكم اهل البحر المتوسط على معاصريهم من الكلتيين القدامى ، وبخاصة الغاليين ؛ يحتاج الى اعادة نظر ، ولا سبيل الى تعديل هذا الحكم الا بالاستعانة بالشواهد اللغوية والأثرية ؛ ولكن ذلك يتقدم ببطء منذ القرن الأخير •

وفى وسـعنا اليوم أن ندرك أن الوحدة الكلتية شملت مساحة شاسعة ومتنوعة من الأراضى ؛ وتتجلى هذه الوحدة فى نواح مختلفة ، اولها أن الكلتيين كانوا يتكلمون لغة مشتركة ذات لهجات مختلفة ويتضح ذلك من الكتابات والنقوش الغالية ومن الشواهد التى اقتبسها المؤلفون اللاتينيون والاغريقيون ، ومن أسماء الأماكن فى جميع أنحاء أوربا مثل لندن ؛ ويورك ؛ ودبلن ، وباريس ؛ وليون ؛ وليدن ، وبون ، وفيينا ؛ وجنيف ؛ وزيوريخ ؛ وبولونيا ؛ وميلان ، فهذه كلها أسماء كلتية كاسم سنجد ونوم (بلغراد » وبويهيموم (بوهيميا) •

وبهذا نعرف مئات بل آلاف الكلمات ، ولكن بعضهـا لم يمكن تفسيره حتى الآن الا بمقارنته باللغـة الايرلنديـة او الغيليـة او البريتونيـة القديمة ، او مع نظائرها من كلمات اللغات الهندو اوربية الميتة الوثيقة الصلة بها ؛ اى اللغتين اللاتينية والجرمانية •

ومن حسن الحظ أن الثروة اللغوية للآداب الكلتية فى العصور الوسطى عظيمة • ويكشف لنا الأدب الكلتى عن ميـل الكلتيين الى وصـف الأمور الخارقة للطبيعة ؛ فشعرهم يموج بالخيال والأحلام ، وهو فى هذا يخالف اداب أهل البحر المتوسط • وهذه السمات تؤكد أن الكلتيين كانوا يفكرون دائما على غرار واحد •

واليوم نستطيع أن نستشف هذه العقلية من الفن الدقيق الذى مهر فيه الكلتيون القدامى ، والذى يتجلى فى اسلحتهم المزخرفة ؛ وحليهم الثمينة واوانيـهم الخزفيـة ، وتماثيلهم ، وأوانيـهم الزجاجية ؛ ونقـودهم ذات الطـراز « الحديث » •

وقد أطلق على هذا الفن الكلتى القديم اسم « لا تن » ، وهو اسم المكان الذى اكتشف فيه عدد كبير من الآثار الكلتية فى بحيرة نيوشاتل بسويسرة • ويطلق الآن اسم « لاتن » على أواخر عصر الحديد فى أوربا •

وهذا الفن بنوعيه التصويرى والتشكيل مبنى فى أساسه على الجمع بين الخطوط المنحنية وصور النبات والأوراق المستمدة من الرسوم الزخرفية عند الاغريق والطليان ، كما هو مبنى على تحويل هذه الرسوم الى اشكال خيالية • وقد تم بعد ذلك تخليد هذه الرسوم فى المخطوطات البريطانية

بول ـ مادى دوڤال : من رجال معهد فرنسا استاذ الآثار القديمة وتاريخ الغال بكلية فرنسا (كوليج دى فرانس) ؛ مدير مجلة الحفائر والآثار القديمة فى فرنسا التى يصدرها المركز القومى الفرنسى للبحث العلمى مرتين كل سنة • اشرف على اعمال التنقيب عن الآثار القديمة فى عدة اماكن بفرنسا وشمال غربى افريقيا مؤلف لافى كوتيدين آن جول (الحياة اليوميـة فى الغال ؛ هاشيت ، باريس ، ١٩٥٢) وكتاب « بارى انتيك » (باريس القديمة ؛ هرمان ؛ باريس ؛ ١٩٦١) • من مشاهير الثقات فى المصادر المكتوبة اليونانية واللاتينية والكلتية الخاصة بتاريخ الغال • يقوم الآن باعداد كتاب عن الفن الكلتى فى جميع انحاء اوربا •

من هم الكلتيون؟

بقلم : آن روس

والايرلندية ؛ وعلى الصلبان وشواهد القبور المنحوتة فى ايرلندة ، وفى بعض اعمال الفن الرومانى .

وهنا ايضا – أى فى هذا المجال الثقافى الرئيسى – تتجلى وحدة الكلتيين كما يتجلى استمرار حضارتهم . ومن ذلك الخطوط الجريئة المرسومة على النقود فى بلاد الغال ، وهى تدل على ما اتصف به الكلتيون من القدرة على التجريد ، وهى سمة لا تزال تلازم الفن الأوربى منذ ذلك الوقت .

ولذلك نلاحظ ان فن « لاتن » لا يشبه أشكال الفنون الأخرى السائدة فى العصر القديم ؛ فهو فن رفيع وبخاصة فى أشكال الأشياء الصغيرة التى يعالجها ؛ وهو يخالف التناسق والتناسب فى النماذج الكلاسيكية ، ويمتاز بحرية الابتداع والابتكار التى تعكس الاستقلال الفكرى عند الكلتيين ، وثورتهم المستمرة على الطراز الفنى السائد . ولكن الفن الكلتى يمتاز بطابع الجمود فى الجمع بين المنحنيات ؛ والمنحنيات المضادة ؛ وغالبا يتم تنفيذ ذلك باستخدام فرجارين . والخلاصة أن التجريد ، والتحويل ، وابتكار الكائنات الخيالية ؛ كل ذلك كان له شأن كبير فى الفن الكلتى يضارع مكانة الرسوم الزخرفية فيه .

وتتجلى فى مجال الدين أيضا ما امتاز به الكلتيون من قوة الابتكار ؛ فقد قدسوا آلهة الطبيعة والقوى الكونية من انهار وجبال وحيوانات كما قدسوا الهولة (كائن هائل غريب) ، كالالهة ذات الوجوه الثلاثة ، والثعبان الذى له رأس كبش ؛ والاله الذى له قرن غزال . وعبدوا أيضا الأرواح الصغيرة أو الشياطين التى هى أشبه بالعفاريت والغيلان ؛ كما عبدوا مؤلهات مجهولة الاسم (الأمهات الأرضية التى كانت هى أسلاف الجنيات) ؛ وآلهة محلية عديدة .

وقد اندمجت بعض هذه الآلهة القديمة فى الآلهة والمؤلهات الرومانية ، كما اندمجت فى القديسين عند اهل ايرلندة ؛ مما يدل على استمرار الاعتقادات الدينية عند البشر .

وأخيرا نلاحظ أن كثيرا من الأماكن التى لا تزال اليوم ماهولة اختارها الكلتيون فى الأصل للاقامة فيها ؛ وعلى سبيل المثال نجد أن معظم المدن الفرنسية كانت مواطن للغاليين فى الأصل . وقد احتفظت هذه المدن بأهميتها سواء تغيرت مواقعها قليلا او بقيت على حالها . وكثيرا مانجد آثار التطور المتصل من المحلات الكلتية الى المستعمرات الرومانية ومن هذه المستعمرات الى المدن الحديثة .

وقد ورثت الشعوب الأوربية من ايبيرية ولاتينية وجرمانية وانجلوسكسونية ومجرية وسلافية الصفات الكلتية من الناحية السلالية والثقافية ، وان كانت هذه لشعوب لم تعد تشعر بذلك . وربما كانت هذه الصفات من الأسباب القوية لتعزيز الشعور بصلة القربى بين هذه الشعوب والكلتيين القدامى .

والاسلحه السحريه والرؤوس المجزه المقدسه . كل اولئك كانت عناصر جوهريه فى ديانه واساطير الكلتيين الوثنيين ؛ كما كانت معتقدات تؤلف جزءا حيويا من حياتهم اليومية ، وتربط بين القبائل الموزعه فى اماكن متباعده ، والمنتميه الى سلالات متباينه .

وتدلنا هذه الاثار السحريه ايضا على اعتقاد اساسى اخر من الاعتقادات الشائعة فى جميع العبادات الوثنيه ؛ وهو بقاء الروح بعد الموت وولادتها من جديد فى صوره انسان او حيوان او جماد من حين الى حين . وهناك مصادر اخرى تؤيد ان هذه العقيده اى تقمص الأرواح كانت شائعه بين الشعوب الكلتيه .

آن روس : اثريه وكاتبه انجليزيه . ومن مشاهير العلماء الثقات الدوليين فى تاريخ الكلتيين وحضارتهم . كانت فيما مضى تعمل فى جامعات ادنبره وسوث هامتون؛ ولكنها الآن انقطعت للكتابة والبحث فى تاريخ الكلتيين ، وما يتصل بذلك من موضوعات وهى مؤلفة كتاب " بريطانيا الكلتيه الوثنية " (نشرته دار روتلدج وكيجان بول ، لندن ١٩٦٧) وكتاب " الحياة اليومية للكلتيين الوثنيين " (نشرته دار باتفورد : لندن؛ ١٩٧٠) . وستنشر دار باتسفورد قريبا احدث كتابها بعنوان " فولكلور المرتفعات الاسكتلنديه " (اول الاجزاء الثلاثه) . تقوم الآن باعداد كتاب يتضمن تحليلا للحضارة الكلتيه ، وخمسة كتب اخرى عن الكلتيين فى الماضى والحاضر

يعد الديك احد الطيور الكثيرة التى تبرز فى صنع التماثيل الكلتية . وتظهر صورته على النقود والاعلام العسكرية والأشياء اليومية الكلتيه . وهذا ديك على لوح برنزى بعرفه الشبيه بالمروحه وذيله ذى الريش الشبيه بالنخل عليه النقاط الحيوية والحلزونية . هو يوجد على عنق آلة تشبه سلطانية موجودة فى بوس – ل – شاتو – فرنسا
المتحف الوطنى للعاديات فرنسا
تصوير : بيقرو – زوديالك





تصوير : المتحف الألماني الوطني · نورمبرج · جمهورية ألمانيا الاتحادية

وجهان غريبان يحدقان بجراة من هذا الدبوس (البروش) الكلتي الذى صنع من البرونز منذ نحو ٢٫٤٠٠ سنة · الأنف على شكل بصلة ، والعينان والخيشومان على شكل نقطة · الوجه الأعلى مثال رائع للفن الخيالي الغريب عند الكلتيين ؛ والوجه الأسفل يعلوه رسم من اوراق النخيل ينتهى ببرعم اللوتس ، وهو تفسير كلتى للساطير (اله الغابات) ؛ وقد اكتملت الصورة بالأذنين البارزتين المدببتين · تم العثور على البروش فى قبر بولاية بافاريا ·

من ذلك ان واحدا من شعراء ويلز القدماء اسمه تاليسين يظن انه عاش فى القرنين السادس والسابع بعد الميلاد ؛ ومن أبناء المؤلهة سريدوين ، تغنى بابيات سائلة يدعى فيها انه ولد أكثر من مرة ، وتقمصت روحه أشكالا وصورا شتى ؛ قال :

لقد تحولت مرة أخرى
فصرت سلمونا أزرق
وصرت كلبا ، وصرت غزالا
وصرت روبقا (أيلا) فى الجبال
وصرت جذعا ومعزقة
وصرت مثقابا فى مصنع الحداد
ثم صرت ؛ عاما ونصف عام ؛
ديكا ابيض او قط ،
يرغب فى الدجاج ·

ومازالت فكرة تناسخ الأرواح وظهورها فى صورة حيوان او حشرة شائعة فى الفولكلور الكلتى فى القرن الحالى · وكان الناس يعتقدون اعتقادا راسخا انه يمكن مشاهدة الروح وهى تفارق الجسم على هيئة فراشة ، او حشرة صغيرة ؛ او طائر يحوم حول الجسم ؛ او عند نافذة الرجل الذى حضره الموت ·

وتؤيد الكتابات التى وردت فى الكتب اللاتينية والاغريقية هذه المأثورات الأدبية ، والمعتقدات الشعبية الحديثة · وتشير كل الدلائل الى الايمان الجازم بالحياة بعد الموت ؛ حياة روحية او جسمية ، وولادة الروح من جديد فى هذه الحياةالدنيا ؛ والفوز بالنعيم فى الحياة الآخرة ·

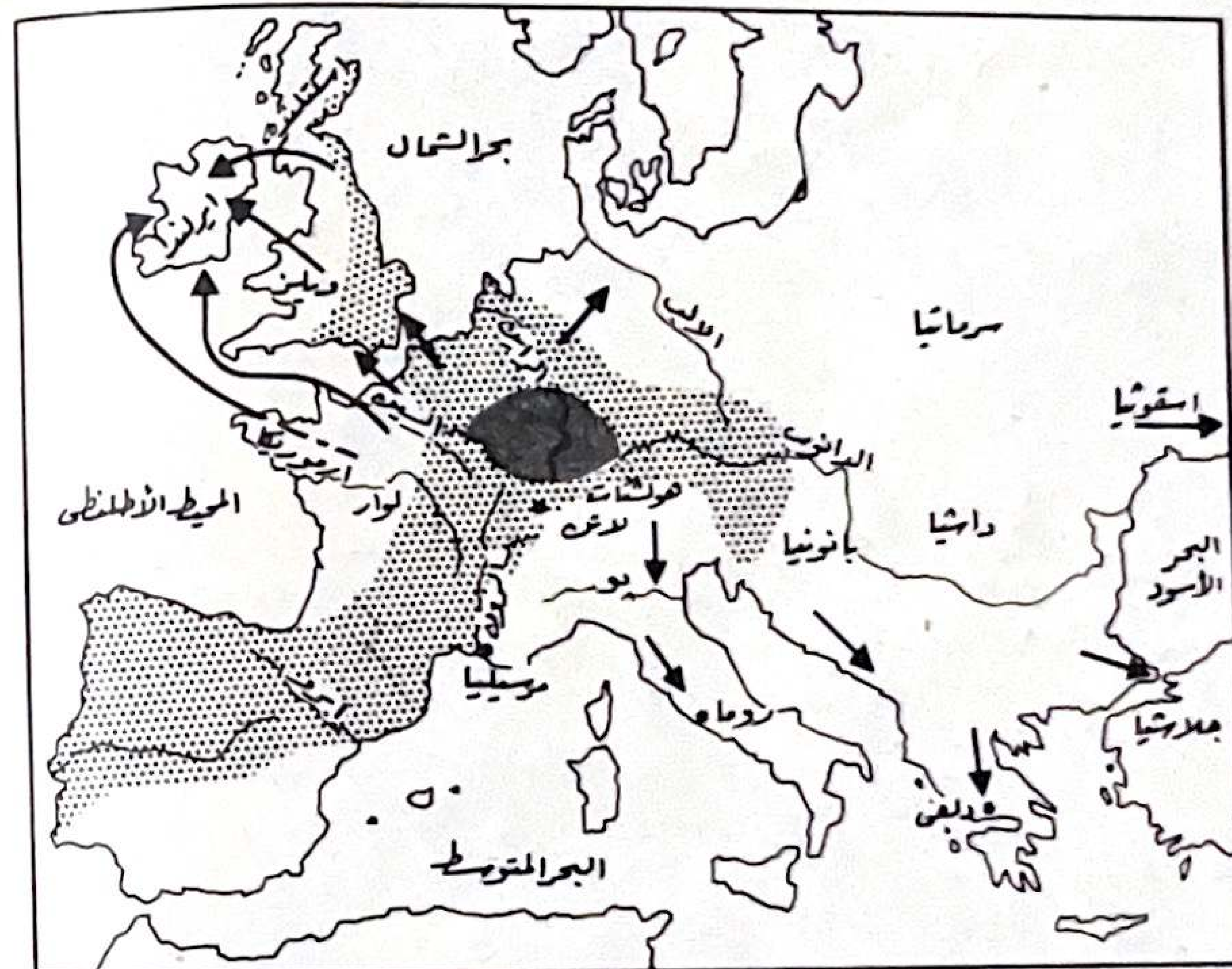
ولم تكن هذه الحياة الآخرة تشبه تلك الحياة السفلى الكئيبة التى آمن بها اهل البحر المتوسط ؛ بل كانت تفوق الحياة الدنيا فى كل ما تقدمه من اللذائذ التى يشتهيها الكلتيون الوثنيون ؛ كالقتال ؛ واطايب الطعام ، والقنص والصيد ، وسباق الخيل ؛ والشراب ؛ والاغارة على الماشية والاستماع الى الحكايات ؛ ومغازلة النساء ذوات الجمال الرائع ، والتمتع بكل ما تزخر به الطبيعة من الوان السعادة ·

ويجدر بنا ان نسال الآن : « من هم الكلتيون ؟ » · و « ما هى المصادر التى نستقى منها اخبارهم ؟ » ، وما هى خصائصهم الثقافية التى جعلت منهم شعبا متميزا فى الأزمان الغابرة ؛ والتى ابقت عليهم حتى الآن فى القلاع الغربية بالجزر البريطانية ، وبمقاطعة بريتانى التى كانت تسمى ارموريكا فى عصر قيصر ؟ ·

الواقع ان حقيقة الكلتيين وزمان ومكان نشأتهم موضع خلاف بين العلماء ، ومن المحتمل ان يظل هذا الخلاف قائما فى المستقبل · ولكن هذا الخلاف لم يعد عقيما ولا جامدا ، ذلك ان التطورات الجديدة فى الأساليب العلمية قد ايدت النتائج التى بناها العلماء على النظريات التى وضعوها ·

والمصادر الرئيسية التى تدلنا على حقيقة الكلتيين ؛ ودياناتهم ؛ وحياتهم اليومية ومصنوعاتهم وصناعهم ، هى الآثار القديمة التى تقدم لنا الدليل المحسوس على حضارتهم ، ثم كتابات الاغارقة والرومان (القرن السادس ق·م وما بعده) ـ سواء تضمنت مدحا او قدحا ـ واسماء الأماكن ؛ واسماء الأشخاص ؛ والنقوش التى يثبت أنها كلتية ، والكتابات التى تركها كتاب ايرلندة وويلز ، وذكروا فيها كثيرا من علوم وعقائد الكلتيين القدامى ·

ولا شك أن فولكلور الكلتيين الأحياء والمناطق التى عاشوا فيها زمنا طويلا يمكن ايضا ان يزودنا بمعلومات عن أحوالهم ؛ وان لم يكن بد من مراعاة اكبر قدر من الحذر فى هذا الشان · وقد ظهرت وسائل جديدة لمعرفة تاريخ الحوادث الماضية ، كاستخدام الكربون المشع ، ويستخدم العلماء الآن



إنتشار الكلتيين فى أوروبا

منطقة الاستيطان الكلتى ابتداء من القرن الخامس ق.م

انتشار الكلتيين بين أواخر القرن ٥ وأواسط القرن ٣ ق.م

مولد طراز لاتين الفنى

الأساليب العلمية الحديثة لاستكشاف المواد التى لم تعد ترى بالعين المجردة ·

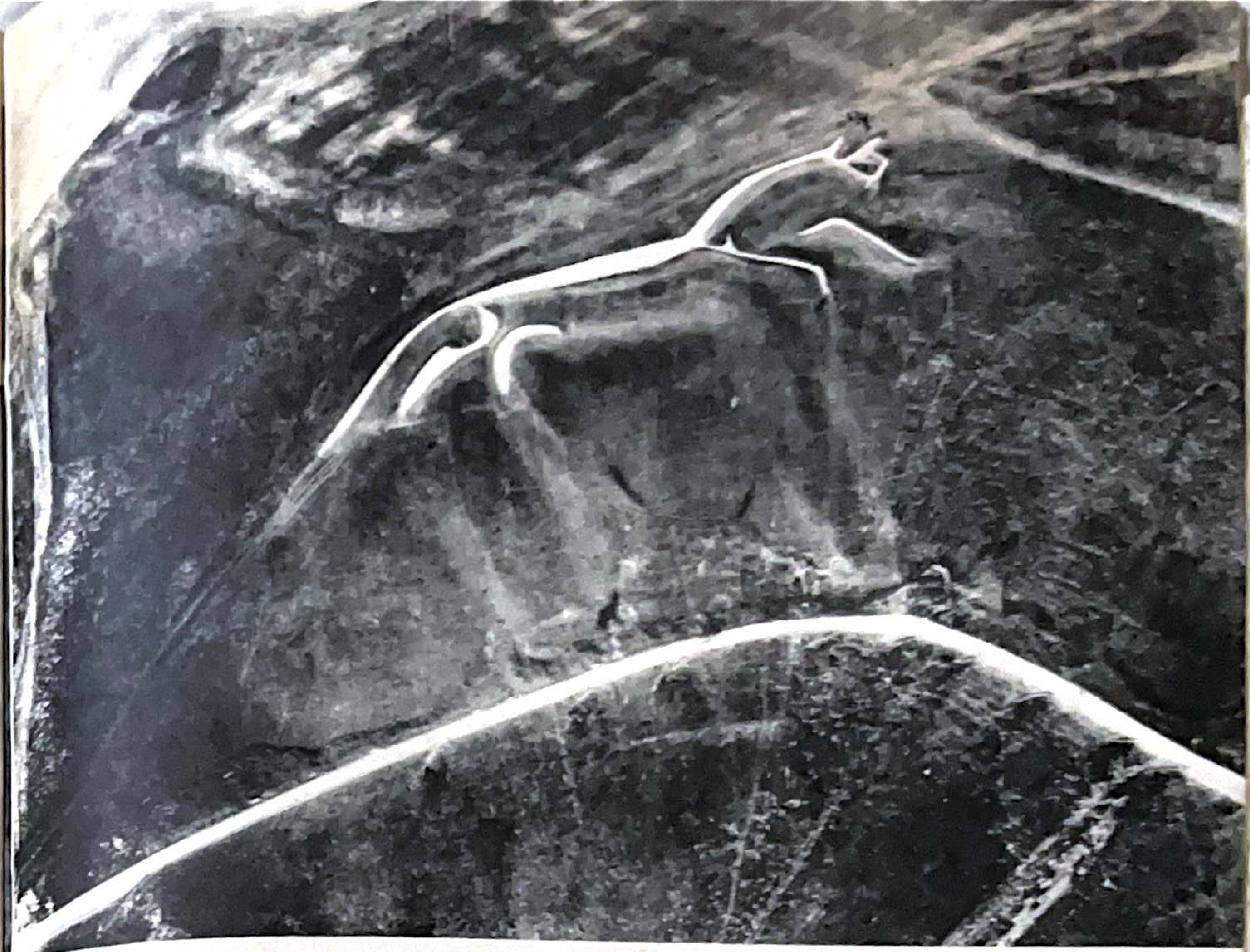
ويمكن ان يدلنا علم النباتات القديمة على حقائق هامة عن النبات والطعام فى العصور الغابرة ولا ريب أن دراسة مجموعات الدم ، وتعدد الجينات ؛ واساليب البحث اللغوى ؛ يمكن ان تساعدنا كلها فى البحث عن أصل القوم الذين نسميهم الآن الكلتيين ·

ولا يزال أصل الكلتيين محجوبا عنا بسبب الغموض الذى يكتنف تاريخ العصور القديمة · وتتجلى حقيقة هؤلاء القوم عندنا فى ذراريهم الباقية الذين يكشف مزاجهم وشخصيتهم عن التشابه العجيب بينهم وبين آبائهم الأولين · على أن آثار تلك القبائل الكلتية القوية ، التى ظلت مئات السنين تقطن مناطق شاسعة فى أوربا وآسيا الصغرى وتسيطر على كل من اتصلت به ، لا تتجلى فقط فى ذراريهم الذين لا يزالون يتكلمون باللغة الكلتية التى ورثوها عن آبائهم ·

ذلك ان الكلتيين تركوا آثارهم حتى اليوم بصور مختلفة فى البلاد التى نشات من مستوطنات قبائلهم القديمة · وان « المزاج الغالى » ليدين بالكثير لما امتاز به الكلتيون القدامى من نشاط وحيوية وابداع فنى · وقد قال احد اساتذة الفنون الجميلة بالمجر فى حديث له ادلى به أخيرا ما نصه : « اننا معشر أهل المجر كلتيون فى الصميم · ان الجنود قد ياتون ؛ والأبطال قد يسقطون ، ولكن الشعب لا يزول ؛ ولهذا القول اهمية كبرى فى اى فهم حقيقى لتاريخ اوربا وتطورها ·

على انه يجب علينا أن نقصر اهتمامنا هنا على المفاهيم والأفكار التقليدية عند الكلتيين · ولهذا السبب سنتكلم عنهم ابان الفترة التى بلغوا فيها درجة عالية من الرقى ، وهى المدة من سنة ٨٠٠ الى سنة ٧٠٠ ق·م ، والفترة التى ارتقوا فيها الى درجة جديدة من الرقى وهى المدة من سنة ٥٠٠ الى سنة ٢٥٠ ق·م ؛ ثم بدأ نفوذهم

ان الطريقة التى صور بها صانع كلتى فى القرن الثالث قبل الميلاد هذا الوجه الذى يجمع بين صورة البومة وصورة النسر تشبه الطريقة التى يتبعها صانع الأفلام الهزلية فى القرن العشرين ؛ وقد استطاع هذا الصانع الماهر ان يكون صورة معروفة ، باستخدامه البارع لأشباه الدوائر والأهلة والمثلثات وغيرها من الأشكال الهندسية · وتكون البومة جزءا من حلية برونزية ضخمة (كيلو واحد) على مقبض مرجل اكتشف فى جتلند (الدنمرك) · ويعتقد ان هذا المرجل الذى يعرف باسم « مرجل براء » قد تم صنعه فى اقليم بوهيميا مورافيا باواسط أوربا · ويعتبر وجوده فى اسكنديناوة التى لم يسكنها الكلتيون دليلا من الأدلة العديدة على انتشار الفن الكلتى فى اوربا ·



تصوير جوى : جامعة كمبردج ، المملكة المتحدة .

هذا الجواد الضخم (الى اليسار) المنحوت فى التربة الطباشيرية فى تلال بركشير (المملكة المتحدة) يبلغ طوله ١١٠ من الأمتار من ذيله الى خياشيمه ؛ ويعرف باسم «جواد او فنجتون الأبيض» ، وهو يقع بالقرب من قلعة على هيئة تل فى عصر الحديد . وهو شديد الشبه بالجياد الغريبة المرسومة على بعض النقود الكلتية القديمة (انظر ص ٣٨ - ٣٩) .

يتضاءل امام ارتقاء الرومان وبسط نفوذهم على الشطر الأعظم من أوربا ؛ ولكن ايرلندة ظلت بنجوة من نفوذ الرومان ، وبذلك اصبحت مستودعا للكنوز التى خلفها الكلتيون المستقلون قبل عهد السيطرة الرومانية .

ولكى يتسنى لنا أن نعرف شيئا عن الحياة اليومية والنزعات الروحية عند الكلتيين يجب أن نعرف هذه الحقيقة المسلم بها وهى ان العالم الكلتى كان ينعم بحضارة متميزة حوالى سنة ٧٠٠ ق.م. ويطلق العلماء عليها حضارة «هولشتات» وهذا بالطبع اصطلاح مفيد ، لأنه يتضمن ان الحضارة نشأت فى تلك المنطقة الجبلية بالنمسا ؛ وان كنا نعرف أن هذا ليس هو حقيقة الحال ؛ ذلك ان التطورات الجديدة التى حدثت باوربا فى عصر ما قبل التاريخ والتى شرت بقدوم ما نسميه بالحضارة الكلتية عمت جميع انحاء أوربا فى وقت واحد تقريبا .

ولكن المادة الفنية الوفيرة التى وجدت فى هولشتات فى القرن التاسع عشر هى التى تجعل هذا الاصطلاح مفيدا فى الدلالة على هذه المرحلة المبكرة من التطور الكلتى . ففى هذه المنطقة الجبلية النائية عاشت بقايا طبقة ارستقراطية قوية ؛ وطبقة عاملة تشتغل باستغلال الملح . وكلتاهما تتألف من السكان الأصليين القدامى فى العصر البرونزى المتأخر . وقد قامت كلتا الطبقتين بثورة تكنولوجية شبيهة بالثورة التى قام بها اقرانهم فى كثير من انحاء أوربا .

وكانت ثروتهم مبنية على استغلال مناجم الملح الغنية . ومعلوم أن الملح من السلع القيمة التى تمتاز بخاصية حفظ اللحوم وغيرها من المواد القابلة للتلف . وبذلك يساعد على الاحتفاظ بالمواد الغذائية اللازمة خلال الشهور العجاف فى شتاء المناطق الشمالية . ولا ريب أن الناس قد عرفوا خواص الملح الطبية من قديم الزمان .

وقد اكتشفت فى هولشتات قبور الأرستقراطيين الذين استخدموا الحديد بدلا من البرونز فى صنع الأدوات والأسلحة الماضية ؛ وكان هؤلاء النبلاء يدفنون موتاهم فى حجرات خشبية فخمة (كان شجر البلوط المقدس هو الخشب المفضل عندهم) تحت التلال والروابى التى يضعون فوقها تمثالا بالحجم الطبيعى للبطل الراحل، او يضعون تمثال الاله الذى كان البطل يعبده او عمودا حجريا مقدسا ، وكانوا يؤثرون دفن الجثة على حرقها كما كان يفعل اسلافهم .

وفى هذه القبور التى تم حفرها بعناية نستطيع ان نرى آثار الحياة والعقيدة الدينية التى شاع امرها بين ذراريهم أى الكلتيين « التاريخيين ، الذين ظهروا نحو سنة ٥٠٠ ق.م والذين يعرفهم العلماء باسم كلتيى لاتين . وفى ذروة سلطانهم اى بين هذا التاريخ (٥٠٠ ق.م) ونحو ٢٢٥ ق.م امتدت أملاكهم من بحر البلطيق الى البحر المتوسط ؛ ومن البحر الاسود الى المحيط الأطلنطى .

ونعود الآن الى الكلتيين الهولشتاتيين ، فنقول انه على الرغم من أنهم ظهروا قبل تدوين التاريخ فاننا نعرف أنهم كلتيون من حضارتهم التى نمت وارتقت .

ويدل بعض أسماء الأماكن الأوربية الموغلة فى القدم على أن اللغات الكلتية ظلت شائعة الاستعمال زمنا طويلا قبل أن يكتب علماء الأجناس البشرية من الاغارقة والرومان عن عادات الشعب الكلتى الذى كان أحد جيرانهم المشهورين ؛ وأقواهم على وجه اليقين . والواقع ان هذه اللغات شاع استعمالها زمنا طويلا قبل أن يقوم الكلتيون ، بفضل خبرتهم الفنية ؛ باستخدام الحديد شمال نهر الألب باوربا ، وبذلك حققوا ما يمكن ان يسمى اول ثورة صناعية كبيرة .

وليس فى وسعنا أن نقول فى ثقة واطمئنان ما هى الآلهة التى عبدها الكلتيون الهولشتاتيون؛ ولكن الشواهد الموجودة الآن تشير الى أن هذه الآلهة تختلف قليلا عن آلهة ذراريهم اى كلتيى لاتن . وتؤيد الشواهد الأثرية المتزايدة الدالة على الديانة الكلتية فى عصر ما قبل التاريخ الاحتمال القائل بانه كان لديهم كهنة أقوياء ، وربما كانوا هم الكهنة المعروفين باسم « الدرويد » .

ولا ريب أن اكرامهم للموتى بدفنهم بدلا من حرق جثثهم ، وادخالهم فى القبر مع الميت طائفة من أجمل ما صنعه رجالهم ، كالأسلحة المتقنة الصنع ؛ والحلى الشخصية ، والقدور الجميلة التى ربما ملئت بالجعة ليرتوى بها المسافر الظمآن فى اثناء رحلته الطويلة الى العالم الآخر ؛ بالاضافة الى لحم الخنزير ، وهو الطعام المحبب لدى الكلتيين ، لا ريب أن كل ذلك يدل على تقديس الكلتيين لأسلافهم ؛ اذ كانوا يعتقدون أن هذه الأشياء هى المدخل الى الحياة المرغوبة بعد الموت .

وكانوا يدفنون مع النبلاء عرباتهم ذات



كان للكلاب الطبيعية والكلاب الخارقة للطبيعة اهمية خاصة عند الكلتيين القدامى . ومما يذكر ان كيوتشولين (كلب كيولان) البطل العظيم فى احدى الملاحم الشعرية الكلتية نال اسمه لقتله الكلب المتوحش لشخص اسطورى آخر اسمه كولان الحداد ؛ ثم لقى حتفه لمخالفته الأمر القاضى بتحريم اكل لحوم الكلاب. كانوا يعتقدون ايضا ان الكلاب ترافق الآلهة ، وتحرس عالم الآخرة . وانك لتجد اليوم المأثورات الشعبية الكلتية حافلة بقصص الكلاب الضارة الخارقة للطبيعة ، والكلاب النافعة والكلاب المسحورة . فى اعلى كلب برونزى وثاب (طوله ١٤سم) .

تصوير : لونيفير دى فورم - جاليمار : باريس

كان الكلتيون القدامى يعتقدون أن البور (الخنزير البرى) هو اسمى الحيوانات التى يجب صيدها ، وان لحمه طعام صالح للآلهة والأبطال . وكذلك قدسوه باعتباره من الحيوانات السحرية فى عالم الآخرة . فى أسفل : ثلاثة من الأبوار البرونزية (القرن الأول ق.م) وعثر عليها فى « نيفى - آن - سولياس ؛ لوريت » (فرنسا) . والبور الأوسط يكاد يماثل حجمه الطبيعى . وتوجد هذه الأبوار الآن فى متحف اورليان التاريخى بمدينة اوليان (فرنسا) ؛ وتعد من اجمل تماثيل الحيوانات الغالية .



المجلات الأربع – رمز الأرستقراطية – مع طقم الجواد ، والواقع أنهم كانوا يضعون مع الميت كل ما يحتاج اليه في الحياة الأخرة ، وقد استبدل المتأخرون بهذه العربات مركبات حربية ذات عجلتين كمظهر خارجي للعظمة ، وقد قام الصناع المهرة بعمل عربات تجمع بين الأناقة والمتانة ، وكان هؤلاء الصناع يتبوأون منزلة رفيعة في المجتمع ؛ ويحظون بمظاهر التقديس ، وكان الناس ينسبون اليهم قوى خارقة .

وقد عرف هؤلاء الصناع المهرة كيف يسخنون ويكمشون الاطارات الحديدية ويركبوها على الأطر الخشبية للمجلات ، كما عرفوا كيف يصنعون مركبات تصلح للاستعمال ؛ وتسر الناظرين ، وتليق بمقام النبيل المغرور ؛ ورفيقه الأصيل سائق المركبة ، ويجر هذه المركبات فرسان صغيران يربيان خصيصا لهذا الغرض ، ويشدان الى نير في نهاية عمود طويل مربع .

وكان المجتمع الكلتي الذي تغلب عليه الصبغة الأرستقراطية ، كما رأينا ؛ يهيء عملا للصناع ومساعديهم على اختلاف أنواعهم ، وكان النبلاء الأقوياء وأسرهم يعملون على اعداد طائفة من الصناع والاخصائيين من كافة الأنواع ؛ لتلبية مطالب المجتمع .

وفي مقدمة هذه المطالب بناء بيوت النبلاء وتأثيثها ، وكان هناك طوائف من العمال المتجولين يعملون بالأجر في بناء القلاع على التلال ، وهي سمة من سمات الحياة والطقوس الكلتية ، ويقوم الصناع أيضا بتزيين الأضرحة ؛ وصنع أوان وحلى فخمة ، يستخدمها رؤساء القبائل وزوجاتهم ؛ ويتزينون بها ، كما تستخدمها الأسر القوية في تبادل الهدايا ؛ توثيقا لعرى الصداقة ؛ واعرابا عن روح السلام والولاء .

وتشير الدلائل المستقاة من كافة المصادر الى أن المجتمع الكلتي كان مقسما الى ثلاث طبقات رئيسية : الكهنة والشعراء والنبلاء المحاربون ، ثم الصناع والفلاحون الأحرار ، وأخيرا الأغلبية غير الحرة ؛ وهم أفراد الشعب الذي يستخدمون لتوفير أسباب الرفاهية لرؤسائهم الأثرياء .

ولكن هناك بعض الجوانب في ديانة الكلتيين القانون الكلتي ؛ وهو أقدم النظم القانونية وأشدها تعقدا في أوربا ، وقد اضطر الرومان الى مسايرته والاذعان له ، وكان هذا القانون لا يحرم أحدا من حقوقه مهما كان وضيعا ، ولكنه اذا ارتكب جريمة خطيرة حرم شهود القرابين ، وتبرأت منه قبيلته ؛ وعاش طريد القانون .

ان استعمال الرومان لكلمة «بربري» واطلاقها على الكلتيين أمر يدعو الى الأسف ، فهذه الكلمة تعني عندنا اليوم شخصا همجيا محروما من نعمة الحضارة ، أما عند الرومان فلم تكن تعني غير الشخص الذي ليس اغريقيا ولا رومانيا ، والدليل على ذلك أن الأتروسكيين الظرفاء كانوا برابرة في نظر الاغريق والرومان .

كانت منازل الكلتيين لا تلائم احتياجات الرومان ولا أذواقهم ؛ ولكنها كانت مناسبة تماما لقوم يقضون طول اليوم في الصيد والقنص والاغارة على المواشي ، وفي القتال وزراعة الأرض وأداء الشعائر الدينية ؛ اذ كانت المعتقدات والآلهة الكلتية من أقوى العوامل التي تربط بينهم ، أما الرومان فكانوا يؤثرون الاشتغال بالقيل والقال في النوادي العامة ، ويقضون وقتهم في الحمامات الأنيقة ؛ ويتناولون الطعام خارج منازلهم ، ويعبدون الآلهة الرسمية .

وكانت المنازل المسقوفة لجيرانهم الكلتيين متسعة بصورة تثير الدهشة ؛ ولذلك كانت توفر أسباب الراحة والمأوى لقوم حل بهم التعب بعد مجهود شاق بذلوه طول اليوم في الهواء الطلق ، وكانت الموائد البسيطة والواطئة كافية لحمل الطعام البسيط الوافر ، والجعة القوية للنبيل المحارب بعد عودته من المناوشات الحربية ورحلات الصيد .

وكانت بيوت الكلتيين ذات جدران رشيقة كما كانت مبانيهم متينة ، وكان النبيل يجلس في بيته ويشرب الخمر في كؤوس وأقداح معدنية جميلة ؛ أمام نار وامضة تبعث الراحة والدفء ، وكانت أرضية الحجرة مزدانة بالفسيفساء ؛ كما كان المنزل مزدانا بالرسوم الأنيقة التي رسمها الفنانون الكلتيون المهرة ، وكان لهب النار يعكس صورة الأسلحة الفخمة الرائعة والحلى الشخصية التي يزدان بها النبيل المغرور نفسه وهو يتناول أطايب الطعام ، كما تعكس صورة الدروع المزخرفة التي كانت دائما في متناول أصحابها الذين يتصفون بسرعة الغضب .

وكانت المنافسة بين الأقران وحب الشهرة بين المحاربين يدفعان النبيل الى توقع الأخطار في أي لحظة ، والاستعداد لمبارزة زملائه على حين فجأة ؛ اذ كانت المبارزة هي الطريقة المحببة لدى الكلتيين لتسوية منازعاتهم .

ولم يكن ثمة ما يدعو النبيل الكلتي الى التماس أسباب اللهو خارج المنزل بعد أن يفرغ من طعامه ؛ كما كان يفعل الرومان ، بل كان النبلاء المحاربون وضيوفهم (كان اكرام الضيف ولا يزال واجبا دينيا عند الكلتيين) اذا فرغوا من الطعام استسلموا لصوت القيثارة ، واستمعوا لصوت الشاعر القبلي وهو يغني وينشد قصائده في مآثر الأبطال الماضين ؛ وضروب شجاعتهم ، ويقص أحاديث الآلهة ؛ ويمتدح كرم صاحب الوليمة .

وكانت هذه الأمور تلائم مزاج الكلتيين وموقعهم الجغرافي ، وأسلوب حياتهم التقليدي الذي اختاروه لأنفسهم ، واذا كانوا يخالفون أهل البحر المتوسط في تقاليدهم وأذواقهم فليس ذلك مبررا لوصفهم بالبربرية .

ولكن جميع هذه الطبقات كانت تخضع لأحكام يراها الرومان بحق أمورا بربرية ، من ذلك ما اعتاده الكلتيون من احتزاز رؤوس اعدائهم والاحتفاظ بها ؛ وتقديم القرابين والذبائح من البشر ؛ والسلطة الكبيرة التي تتمتع بها كهنتهم المعروفون باسم الدرويد ، وتقضي التقاليد الايرلندية القديمة بحظر التكلم أمام الملك في اجتماع أو وليمة ؛ أما الملك نفسه فعليه أن يلزم الصمت اذا أراد الدرويد أن يتكلموا .

وكان الكلتيون يؤمنون بآلهتهم وما يتصفون به من قدرة وقوة في الحياة الأخرة ، حتى أصبح الدين جزءا لا يتجزأ من حياتهم اليومية ، وعلى الرغم من أن كل قبيلة كانت تعبد آلهتها – الى جانب عدد من الآلهة الرفيعة التي اشترك في عبادتها كثير من القبائل – وتروى قصصا خاصة عن أصلها ومغامراتها ، فقد كانت هناك وحدة دينية بين مختلف القبائل كما تدل على ذلك كل المصادر التي تحت أيدينا .

وكان اله القبيلة هو بمثابة الأب لقومه ؛ وهو رازقهم وحاميهم وقائدهم في الحرب ومضيفهم في وليمة الحياة الأخرة ، ومن واجب الملك أن يتأسى بالاله في كل شيء ؛ وأن يكون خاليا من العيوب الجسمية ، وأن يتوخى في حكمه التزام الحق ؛ وتوفير الرخاء لشعبه .

وكانت قرينة الاله هي أم شعبها ، وكانت تختص بزيادة النسل بين أفراد الشعب ، ورعاية أرض القبيلة والاقامة فيها اذا رحلت القبيلة بقيادة الهها الرئيسي ، وفي أثناء هذه الرحلة تظل مرتبطة بالأرض ؛ وتواجه أية قوة تغير عليها ، بقواها السحرية ، وبفضل تعاقب صفتي الحسن والقبح عليها ، ويجب أن تحمل العدو على استرضائها واستعطافها أو تميت نفسها ؛ اذ كان الكلتيون لا يعتقدون أن آلهتهم يعجزون عن اماتة أنفسهم ، والى جانب هذه الآلهة كان هناك عدد كبير من الآلهة على اختلاف أنواعها ؛ والأرواح المحلية التي تحرس الآبار أو الغياض المقدسة .

هذا الدين المشترك ، والكهنة الدرويديون ، واللغات المشتركة ؛ والقوانين القديمة ؛ والافتخار بالأنساب ؛ والتاريخ والأساطير والشعر والمأثورات الشفهية ، كل ذلك ساعد على ربط القبائل المتفرقة والنائية وجعل منها شعبا واحدا هو الشعب الكلتي الذي تدل عليه الآثار القديمة وكتابات الاغارقة والرومان ، والمدونات المتأخرة للمأثورات الشفهية القديمة لأسلاف هذا الشعب .

وكان الغاليون – خلافا للرومان – يرتدون السراويل والمعاطف الفضفاضة التي تناسب حياة الفروسية ؛ أما الايرلنديون فكانوا يرتدون السترة والمعاطف ، وكان الكلتي المثالي طويل القامة ؛ أشقر اللون ، أزرق العين ، قوي الجسم ؛ جريء القلب ، وهذه في الواقع هي الصورة التي رسمها للكلتيين أعداؤهم من الرومان والاغارقة ؛ اذ صوروهم بأنهم يتصفون بالحماسة في الهجوم والأنفة والكبرياء في الهزيمة والانكسار .

والواقع أن الحديث عن الكلتيين ذو سعة وشجون ، ولم تكتب نهايته بعد ، ذلك بأنهم لم يعنوا بتدوين علومهم وعقائدهم ؛ وانما استعملوا اللغة اليونانية واللاتينية في معاملاتهم التجارية .

وهذا الاعتماد على الذاكرة ظل قائما حتى اليوم في المناطق التي تتكلم اللغة الكلتية ؛ حيث يجد الناس متعة ولذة في سرد حكاياتهم ومواويلهم القديمة التي لم يتعلموها من الكتب ، وانما تناقلتها الأفواه جيلا بعد جيل على مر القرون والأعصار .

وتعرف أروع ملحمة شعرية ايرلندية باسم « غارة الماشية في كوالني » ، وهي تدور حول التنافس بين الملكة المؤلهة مديب وزوجها أليل على امتلاك الثور المقدس « دون كوالني » والحروب والكوارث التي ترتبت على هذا الصراع ، ولا تزال قصة هذا الصراع تتردد في صيغتها الجديدة ؛ ومن الغريب أن الذين يحكون هذه القصة لا يعرفون شيئا عن أصلها ؛ وتاريخها القديم .

المحارب ذو الخوذة

ترى خوذة على رأس هذا التمثال المصنوع من الحجر الرملي ؛ وهو يمثل محاربا بالحجم الطبيعي ، ويبدو التمثال عاريا ماعدا الخوذة والحزام الذي يطوق خصره ، ويرجع تاريخه الى القرن الخامس قبل الميلاد ، تم اكتشافه في ١٩٦٣ بالقرب من مدينة شتوتجارت بألمانيا الاتحادية ، كان التمثال يقوم على قمة مقبرة عالية تضم ١٦ قبرا ؛ ولكنه أزيح في النهاية من مكانه ؛ ثم عثر عليه محطما على حدود المقبرة ، في أسفل : مقبرة أعيد بناؤها بمدينة توبنجين ، بألمانيا الاتحادية .

الصورة السفلى : تصوير : متحف لاندس شتوتجارت ، ألمانيا الاتحادية

الصورة الى اليمين : تصوير : المتحف المركزي ميتز ، ألمانيا الاتحادية





الكلتيون يستخرجون الملح

هذه البلدة الصغيرة ، الواقعة عند سفح جبل سالز برجتال الذي يتم فيه تعدين الملح منذ العصور القديمة ؛ أضفت اسمها على أول فترة رئيسية في عصر الحديد الكلتي (٧٠٠ – ٥٠٠ ق.م) ، في ١٨٤ اكتشف « جورج رام سوير » ؛ مدير مناجم الملح في هولشتات ؛ مقبرة قديمة كبيرة ، وواصل « رام سوير » العمل في هذا المكان ١٧ عاما ؛ وفتح بنفسه ما يقرب من ١٠٠٠ قبر من بين القبور البالغ عددها ٢٥١٠٠ قبر ، فكشف النقاب عن آثار هامة تثبت وجود حضارة كلتية قديمة تستخدم الحديد ، وتشتمل هذه الآثار على أسلحة ؛ وأدوات ؛ وحلى ؛ ومركبات حربية ، وكلها بحالة جيدة



تصوير : ايريش ليسنج ؛ باريس



متحف الآثار الوطنية القديمة - سان جرمان
ان لاي - فرنسا

عشاق الجياد في العصر الحديدي

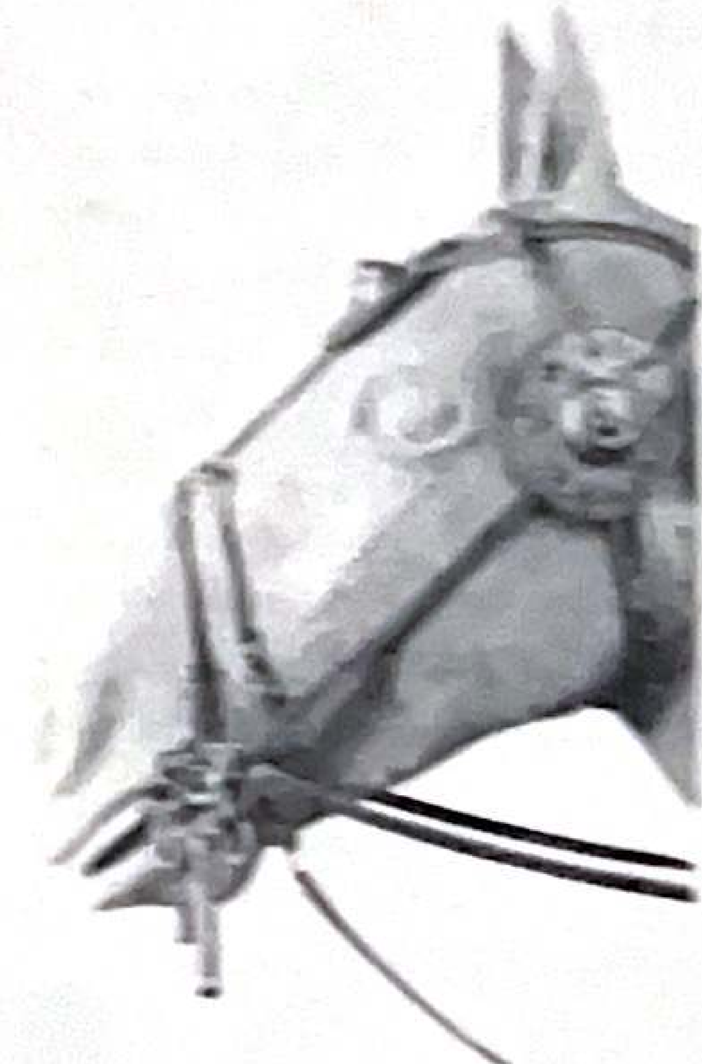
لم يكن الجواد عند الكلتيين مجرد دابة من دواب الحمل : وحلية يستخدمونها في الصيد ، بل كان ايضا حيوانا مقدسا يرتبط بالعديد من الآلهة . ومما يدل على تقديسهم للجياد انهم كانوا يرسمون صورتها على النقود وفي جميع انواع المشغولات المعدنية . في اعلى : عربة دينية ، قطعة من البرونز (القرن الاول ق.م) اكتشفت بمدينة مريدا باسبانيا : يركب عليها كلتي يمتطي صهوة جواد ، ويندفع بسرعة تجاه رمز الخنزير بركبة راكبا عنزه . كان صناع المعادن الكلتيون كثيرا ما يستعيرون الفنا في بلادنا . الآن ، بسويسرا التي اشتهر امرها في عصر الحديد . ويوجد هذا النقش الآن بعد ان ابتدى تركيه : في متحف شويز الاهلي بمدينة زيوريخ . في اسفل : حاملة اخترعها الكلتيون يجرها بغل ؛ ويوجد بمجلات ذات اسنان تحصد سنابل القمح في اثناء سيرها . والصورة في رسم لنحت بارز يرجع تاريخه الى القرن الثاني الميلادي ، ويوجد في بلجيكا .

والمرء في ابراج اسمى القرون الى جد الى الايرلندية القديمة ما يذكر شكلا الى الشؤلة عند الكلتيين ، ولعل الروية الى وجه البطل الشاب ، كوتشولين ، الذي ترتيبه بعد ان لقي حتفه بعد ظهور اثنه القديم الذين كانوا في حالة حب . الفتى كوتشولين وكان ، كوتشولين ، هو ابن الاله الكلتي لوجيس واسم الملك الذي تنتمي » تستريح » ... العالم الكلتي القديم حتى مطرح . والله هو الفترة المذكورة .

« وما كان ايضي الشاب الذي به نال بشكر من شسكله الوسيم امام الجمهور . كوتشولين ، كان له ثلاثة الوان من الشعر ذاكن اللون ملاصق لجلده ، واسمر اللون في الوسط ، وشعر يشبه ... الاسر يغطيهما ، وحول جبينه ... الخيوط الذهبية الحمراء المرصعة كالقصب والقرمزية اللون ، وفي كل ... مواعيد تشع بالضياء ، وكان الصدر ارتداء لحضور هذا الاجتماع ... على حسبه ، ومزركشة بالاهداب ... ثيابا ، وعلى صدره الابيض دبوس ... الفضة البيضاء المرصعة بالذهب ، وكان ... وطاح يعبر الابصار بروعته وشدة بريقه ، وبجانبه سترة من الحرير تزدان اطرافه بخيوط من الذهب والفضة والبرونز الابيض ، وفي يده درع قضية ، ارجوانية اللون ، يحيط به اطار من الفضة البيضاء الخالصة ، والى جانب الايسر سيف يزدان مقبضه بالذهب ، وفي العربة التي بجانبه رمح طويل رمادي اللون ، وحصى ... نبوت وسكاكين من البرونز الابيض ، وفي احدى يديه تسعة رؤوس ؛ وفي اليد الاخرى عشرة رؤوس يهز بها الرؤوس امام الجمهور .

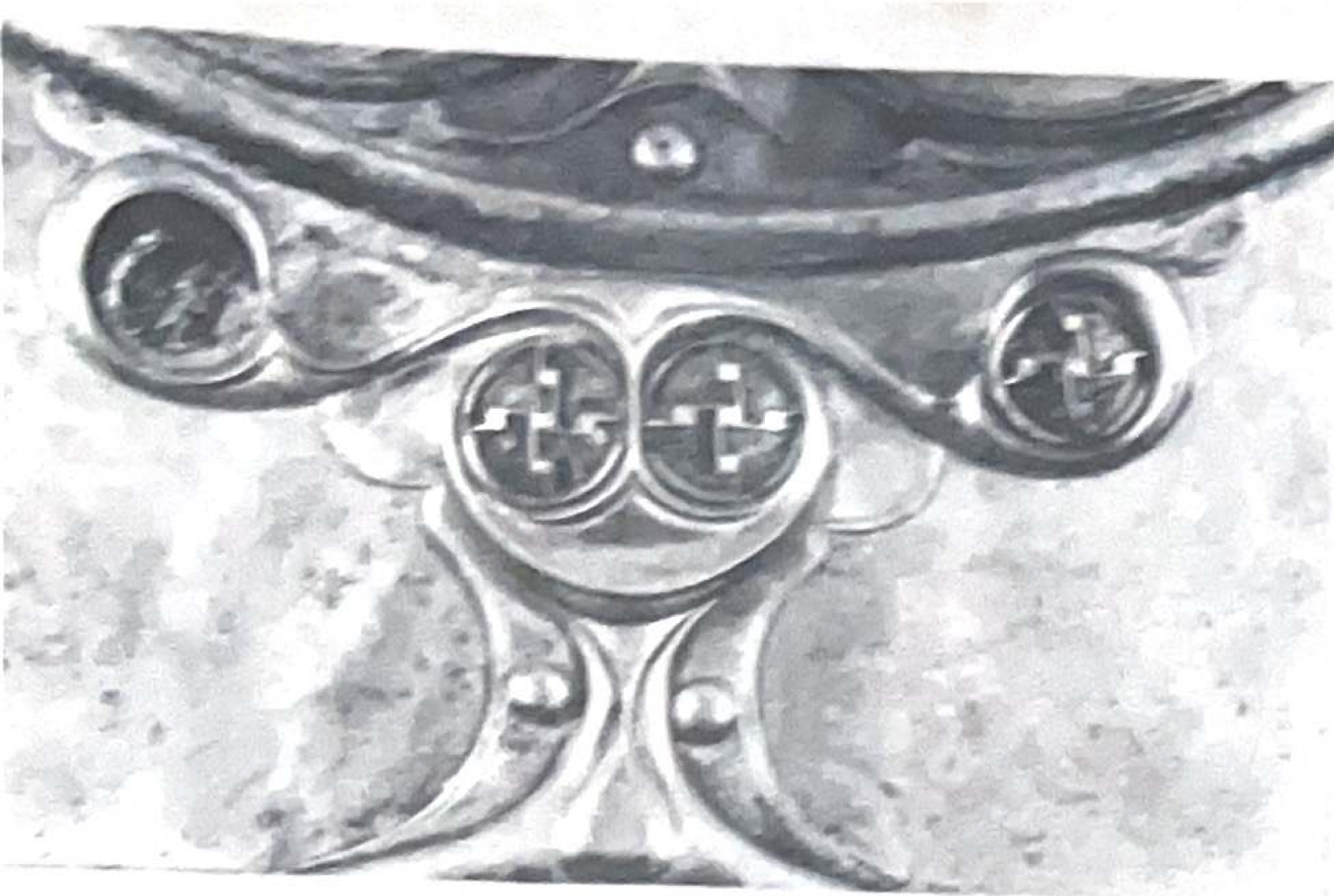
« تسعة رؤوس في احدى يديه ، وعشرة في يده الاخرى » ، ذلك ان الكلتيين لم يكتفوا باحتزاز رؤوس اعدائهم ، بل كانوا يحملون الرأس البشري الذي يحتزونه ، حتى انه يقال ان هذا الرأس هو رمز الديانة الكلتية الوثنية ، كما ان الصليب هو رمز المسيحية .

ولقد تم تدوين الادب الايرلندي قبل تدوين ادب ويلز ، وذلك بفضل عناية الكنيسة المسيحية وكانت هذه الكنيسة لا تضارعها اية كنيسة اخرى في ايمانها وحرصها على التمسك بشعائرها الدينية ولكنها في الوقت نفسه كانت تحب ... الوثنية حبا شديدا ؛ كما كانت تحب لغتها وتقاليدها الكلتية . وعلى الرغم من شيوع كثير من العادات الوثنية في ادب ايرلندة وادب ويلز ، وهما اقدم الادب الوطنية في اوروبا شمال نهر الالب ، فان الكتاب المسيحيين حافظوا بامانة على المأثورات الشفهية ، ولم يستبعدوا منها سوى الافكار الوثنية الصارخة .





نقش من مجموعة ... - روما
متحف ... التاريخي - ... - المانيا الاتحادية





تصوير : ج . ... - المتحف البريطاني - لندن

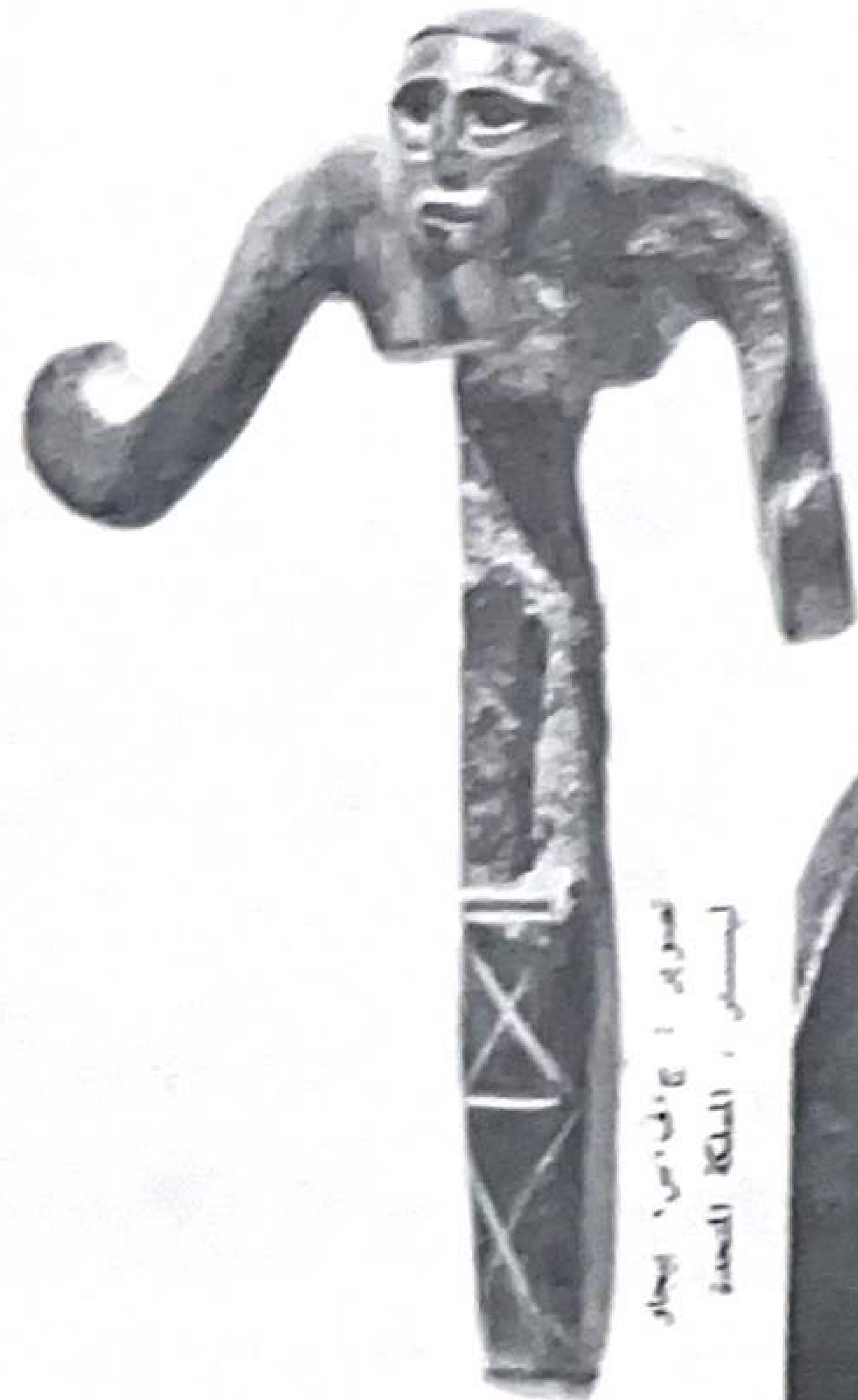
صناع المعدن الثمين

اشتهر الصناع والفنانون الكلتيون بالمهارة في عمل المشغولات من البرونز والحديد ؛ فصنعوا من هذين المعدنين ادوات ، ذات زخارف رائعة وصالحة للاستعمال اليومي . في اعلى درع برونزية يرجع تاريخها الى القرن الاول الميلادي (طولها ٧٧ سم) ومزينة بازرار زجاجية . انتشلت هذه الدرع من نهر التاميز في لندن . تبين صورة الدرع (اعلى) بعض الجواهر المحلاة بالزجاج الاحمر التي تحتاج صناعتها الى البراعة في استخدام الاساليب الفنية المعقدة . يبدو ان هذه الدرع كانت تستخدم في المناسبات الدينية لا في المبارزة الفعلية .



خوذة برونزية مقاسها ٤٢سم بين طرفي القرنين ؛ يرجع تاريخها الى القرن الاول قبل الميلاد . عثر عليها ايضا في نهر التاميز . وربما كانت قيما مضى تستخدم لتزيين احد المعابد القائمة الى جانب نهر التاميز .

اسفل اليسار : مسمار مصنوع من البرونز والحديد في لجام جواد كلتي . اكتشف المسمار في المانيا الاتحادية بالقرب من موقع ، عيد نجران ، التي يظن انها اكبر مستوطنة كلتية محصنة في المانيا . في اسفل : صورة الرأس الذي يتوج المسمار ، وقد ضاعت منه الحشوة التي ترصع العينين .

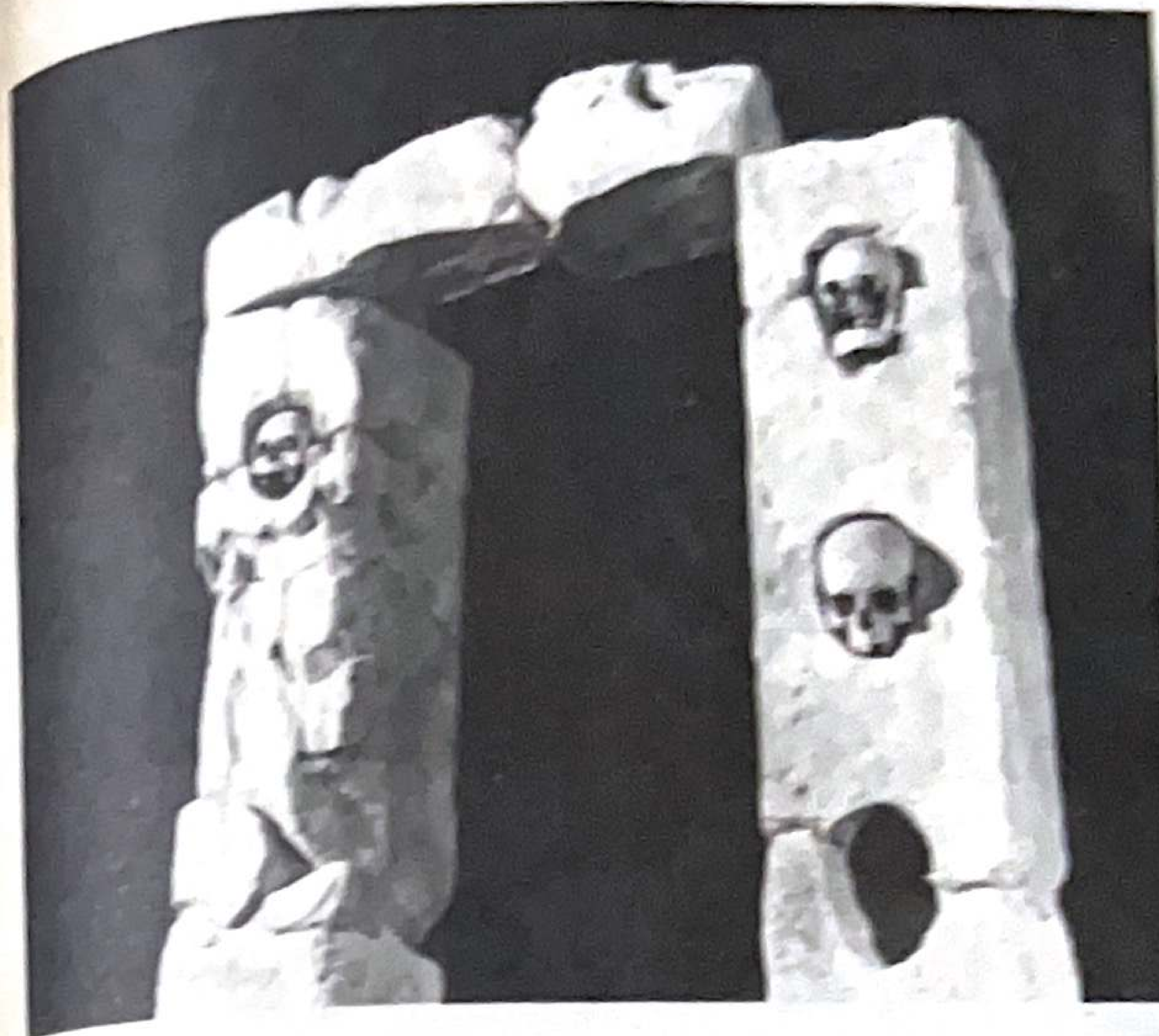


تصوير : ج ... - ... - المملكة المتحدة



وليس أدل على الفرضية التي وقف عندها المستعرب الإيرلندي [illegible] الأكبر وسيجد القارئ من كتابه [illegible] قصة « [illegible] » التي [illegible] إنكلترا في القرن الأول قبل الميلاد . قال :

« سألته عن كل من استطعم قصة [illegible] ولكن أنا الذي رويت هذه القصة . أو بحيرة الغرفة . لا أرى بالأمور المختلفة التي وردت بها لبعض الأشياء التي قصصتها عبارة عن أوهام شيطانية . وبعضها اختلافات شعرية ؛ بعضها يشبه الصورة ؛ وبعضها يقصد الاستغلال . في حين أن بعضها الآخر يهدف إلى تسلية الأطفال » .



كان تزويد أسكفة الباب والأعمدة بكوى تحتلها الجماجم من السمات البارزة التي يمتاز بها معبد « روكبرتوز » وهو من المعابد الكلتية المعقدة بالقرب من مدينة مرسيليا بفرنسا ؛ ويرجع تاريخه إلى القرن الثالث قبل الميلاد . وهذه الكوى مملوءة بالجماجم توضح لنا « عبادة الرؤوس » المعروفة عند الكلتيين . وتؤكد ما رواه الكتاب الرومان والإغريق عن عادة الكلتيين في حز رؤوس أعدائهم والاحتفاظ بها.

متحف بوريلي . مرسيليا . تصوير: لورو – جيرودو : باريس .

« ك » و « ب » اللغــة الكلتيــة

إن اللغة الكلتية واحدة من مجموعة اللغات الكبيرة المعروفة باسم اللغات الهندو أوروبية ؛ التي يعتقد كثير من علماء اللغات أنها نشأت في مكان ما بين البلقان والبحر الأسود . وقد تشتت الشعوب الهندو أوروبية في أنحاء كثيرة لأسباب لا نعرفها . ولكن ربما كان منها الضغط الخارجي من جانب الشعوب القبلية في الأقاليم المجاورة . وذلك بالإضافة إلى عوامل بيئية . ويذهب المتخصصون في فقه اللغات إلى أن شتات الشعوب الهندو أوروبية يرجع إلى سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد .

واتساع حركة الشتات التي عمت أوروبا أصبحت اللغة التي كانت واحدة من قبل لغات مختلفة كونت بالتدريج اللغات الأوروبية التي ظهرت في القرون الأخيرة من التاريخ ؛ وذلك إلى جانب اللغات الفارسية والعبرية . والاستونية (أسرة اللغات الفنلندية العبرية) . واللغة السنسكريتية هي فرع من اللغات الهندو أوروبية في أقصى الشرق . أما اللغة الكلتية فهي موغلة في القدم . وقد احتفظت ببعض صيغها القديمة ؛ شأنها في ذلك شأن الأوضاع الاجتماعية .

وهناك ثلاث لغات كلتية متميزة أو فروع من اللسان الكلتي . أولها وربما كان أقدمها هي اللغة المعروفة عند التنويع باسم « ك » أو اللغة الكلتية ؛ وهي اللغة الجيلية الحديثة .

وهذا الفرع من اللغة الكلتية هو الفرع الذي كان يتكلمه أهل إيرلندة . ثم انتقل إلى اسكتلندة في أواخر القرن الخامس الميلادي . وإن كان من المحتمل أن يكون قد عرف هناك من قبل ذلك .

وقد وصل هذا الفرع إلى « جزيرة الإنسان » (جزيرة تقع في البحر الإيرلندي بين إيرلندة وإنجلترا) حيث لا يزال بعض الشيوخ من السكان يتداولونه .

ويوجد أثر لهـذا الفرع في القارة الأوروبية ؛ ولكن يبدو لنا أن الفرع الثاني من اللغة الكلتية المعروف باسم « ب » أو اللغة البريتونية أو البريطانية كان هو اللغة الكلتية العامة في القارة الأوروبية وبريطانيا إلى أن حلت محلها اللغة الأنجلوسكسونية ؛ ثم أصبحت بعد ذلك هي لغة ويلز وكورنوول . ونشهدها عادت مرة أخرى إلى مقاطعة بريتاني من نهاية القرن الخامس فصاعداً .

والفرع الثالث . وهو أغمض فروع اللغة الكلتية ؛ هو اللغة البكتية ؛ نسبة إلى شعب البكت . والشعوب البكتية هي شعوب كلتية يتكلمها الشيوخ احتلوا اسكتلندة منذ عصور تاريخية . على الأقل [illegible] . ونعرف القليل أساساً من النقوش الحجرية التي يظهر فيها العنصر الكلتي بوضوح . ولكن ذلك لا يزيل الغموض الذي يحيط بالبكتيين ؛ ولذلك يحتدم الخلاف بين العلماء بشأنهم .

اكتشف هذا القناع العجيب في جبال البرانس ؛ والقناع مصنوع من رقائق البرونز . ويمتاز بشعره اللولبي ولحيته ذات التجاعيد على هيئة حرف S . ومحاجر عينيه التي يظن أنها كانت مرصعة بالزجاج الملون أو المينا . يرجع تاريخه إلى القرن الثالث قبل الميلاد ؛ وربما كان يمثل أحد الآلهة الكلتية . ولهذا القناع رقبة اسطوانية مجوفة يمكن بها تركيبه على مقبض خشبي .

متحف تاربس : البرانس العليا . فرنسا .

تصوير فان . تولوز . فرنسا

الوجوه الثلاثة للمرأة الكلتية

بقلم : جين ماركيل

عبر العصور حاول كل مجتمع أن يحدد العلاقة بين الرجل والمرأة ، زوجين وعضوين في المجتمع أيضا ، وفي سبيل ذلك صبغ المجتمع كلا منهما بصورة خاصة تتنوع ، كثيرا طبقا لعادات الشعوب المختلفة وتقاليدها .

ولقد كان « التركيب الاجتماعي للكلتيين - الذين يضمون اليوم أهالي اسكتلندا وايرلنده ، والبريطانيين الذين استوطنوا فيما بعد اقليم ويلز ، والبريطانيين الذين كانوا يقطنون شبه الجزيرة الأرموريكية (بريتاني) - هو نفس التركيب الاجتماعي لجميع الشعوب الهندو أوروبية القديمة » إذ كان يسود فيه سيطرة رب العائلة ، ويحتل الرجل فيه المكانة الأولى .

ولكن عندما نطلع على النصوص القانونية ، والوثائق التاريخية والأدبية والأسطورية ، تصدمنا الدهشة حين نكتشف المكانة العالية التي كانت تتمتع بها المرأة في المجتمع الكلتي بالمقارنة ببعض المجتمعات القديمة الأخرى ، وخاصة مجتمعات البحر الأبيض المتوسط . وفيما يتعلق بعادات الزواج وجد تشابه دقيق بين العادات الكلتية وتلك التي كانت سائدة في الهند القديمة .

فبينما احتفظت جميع شعوب البحر الأبيض المتوسط ، وخاصة الاغريق والرومان ، بنسائها في مركز أدنى من مركز الرجال ، فعلى النقيض وهب الكلتيون نساءهم حقوقا كانت المرأة في أوروبا الغربية لا تزال محرومة منها إبان فترات التزمت الفكري من القرن التاسع عشر والقرن العشرين .

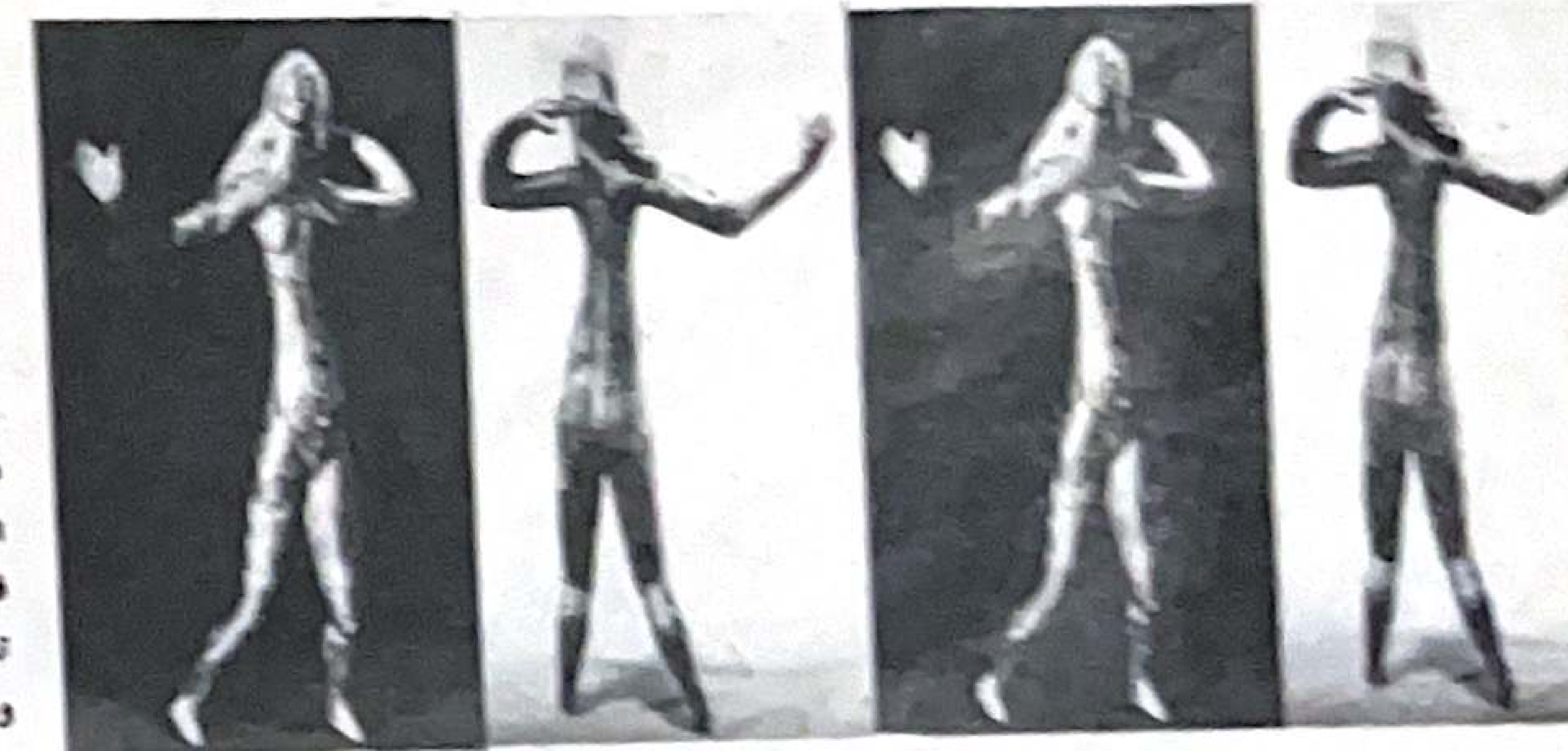
وكانت هناك أسباب شتى لهذا الطابع الخاص الذي تميز به المجتمع الكلتي ؛ أبرزها أن الكلتيين الذين غزوا أوروبا الغربية في القرن الخامس قبل الميلاد تقريبا كانوا قليلي العدد ؛ وكانوا أصلا صفوة من المحاربين الذين يتمتعون بالعقل والحكمة - ومع أنهم وجدوا في الأراضي التي احتلوها سكانا يفوقونهم عددا فقد فرضوا عليهم ثقافتهم ولغتهم وعقيدتهم وحضارتهم الفنية ، واتخذوا منهم بعض العادات ، خاصة تلك التي تتعلق بالعلاقات بين الأفراد .

لذلك ورث الكلتيون عن الشعوب التي استقرت قديما في أوروبا الغربية تلك المكانة الخاصة التي احرزتها المرأة ؛ ونراها واضحة في النشأة من الحضارة الكلتية .

وما يدهش المرء حقا هو ذلك القدر النسبي من الاستقلال الذي كانت تتمتع به المرأة الكلتية بالنسبة للرجل ، إنه كان في استطاعتها تملك ما في حوزتها من أدوات الاستعمال اليومي والمجوهرات والماشية ، ولما كان الكلتيون يأخذون بنظام الملكية الشخصية للأمتعة مع الملكية الجماعية للأرض كان في وسع المرأة استعمال أمتعتها الخاصة بها وفق ما تشتهي ؛ والتخلي عنها إذا رغبت في ذلك ، أو امتلاك غيرها عن طريق الشراء أو في مقابل أداء الخدمات أو قبولها كهدايا . وعندما كانت العروس تتزوج ، كانت تحتفظ بممتلكاتها الشخصية ؛ وتستردها إذا فشل الزواج فيما بعد ؛

وعلى أية حال كان الزواج عند الكلتيين نظاما مرنا ؛ مبنيا على عقد لا يحتم أن يدوم مدى الحياة . وكانت المرأة تختار زوجها بحرية ، على الأقل من الناحية النظرية ، لأن الوالدين كانا أحيانا يرغبان في تزويج بناتهما لأسباب اقتصادية أو سياسية . ولكن حتى في مثل هذه الحالات كان في وسع الفتاة أن تدلي برأيها في الموضوع .

وفي أثناء الزواج كان كل شيء يعتمد على الوضع الاقتصادي لكل من الزوجين ؛ فاذا كانت الزوجة تملك أمتعة أقل من زوجها ؛ فان الزوج هو الذي يدير شؤون المنزل دون الرجوع الى زوجته وإذا تساوى الزوجان في الثروة كان على الزوج أن يحصل على موافقة زوجته على ما يقرره . وأخيرا - وهذه حالة شاذة في معظم الأنظمة القانونية - عندما تفوق ممتلكات الزوجة ما يملكه زوجها فانها هي التي تدير شؤون المنزل ؛ حتى دون أن تسأل زوجها عن رأيه .



في الشكل البرونزي الفخم بالصفحة المقابلة والصور المكررة للامام والظهر (الى اليسار) نبغ صانع كلتي ماهر منذ ٢٠٠٠ سنة في التعبير عن ايقاع واتزان وحيوية امرأة تؤدي رقصة مقدسة . وهذا الشكل من مجموعة كبيرة من البرونز اكتشفت في نيفي - سوليياس ؛ على نهر لوار في فرنسا . وقد وجدت أشكال أخرى بالموقع تتضمن راقصا من الذكور مجردا من الملابس أيضا، وموسيقيين ؛ وأحد الهواة ومعه حيوانات الطقوس الدينية مثل الأوعال والخنازير .

جين ماركيل : خبير فرنسي مشهور في الحضارة الكلتية .

كاتب : ومتخصص في الأدب الكلاسيكي . ألف كثيرا من الروائع عن الكلتيين للاذاعة والتلفزيون الفرنسي ، ونشر كتبا عديدة عن مظاهر تاريخ وحضارة الكلتيين منها : « شعراء الوطن » : فاليز ، باريس ١٩٥٦ ، « الكلتيون » : ١٩٦٠) ؛ « الاساطير الايرلندية الكلتية » ، ١٩٦١) ؛ « التقاليد الكلتية في بريتاني الأرموريكية » ، ١٩٦٧) . ويصدر هذه الكتب الثلاثة بمعرفة بايوت ، باريس ، أحدث كتاب له « المرأة والمجتمع الكلتي » سوف يظهر قريبا . كما نشر هذا العام دراسة لجين ماركيل عن السيدات الكلتيات باللغة الانجليزية بعنوان هذه الشعب الكلتي جيرالد كريستوفري لندن .

المــرأة تحيــا

لقد منح الكلتيون النســاء مكانة مرموقة وادت الالهات دورا عظيما فى أساطيرهم • رأس المرأة الرائع (الصورة رقم ٣) منحوت فى الغال منذ ٢٠٠٠ سنة • ويصور الفنانون الكلتيون الالاهات فى أشكال كثيرة • ويمثل التمثال الذى يبلغ ارتفاعه ٣٢ سم (الصورة رقم ١) الالاهة الكلتية • ايبونا • حامية الخيل وكان يستغاث بها كثيرا فى الغال وفى جميع أنحاء الامبراطورية الرومانية بعد ذلك حيث اصطفاها الفرسان الرومان •

ويؤمن الكلتيون بالصفات السحرية للرقم ٣ • والالاهة الأم الثلاثية (الصورة رقم ٢) المنحوتة على بلاطة من الحجر من برجاندى (فرنســا) كانت مختصة بالخصوبة وانجاب الأطفال وبالحرب فى بعض الأحيان •



١



٢



٣

ولقد خلفت لنا السجلات التاريخية والقصائد القديمة بعض الأمثلة الغريبة لهذه الحالات • فهى تصور بوضوح الدور الذى نجحت فيه المرأة ، فى مجتمع يســود فيه حكم رب العــائلة ؛ فى الاحتفاظ بســيطرة خاصة ونفوذ أدبى ثابت لا اعتراض عليه •

ونصادف مع هـــذا حقيقة هامة ؛ هى أن الزوجة كانت لا تنتســب الى أسرة زوجها عندما تتزوج ، بل تظل منتمية الى الأسرة التى ولدت فيها ، والمهر الذى كان يدفعه الزوج لزوجته لم يكن الا نوعا من التعويض لأسرتهــا ؛ وكانت الزوجة تعــود الى أسرتهــا اذا انتهى الزواج بالطلاق •

وفى بعض الحــالات ـ وخاصة عندما يكون الزوج من اقليم آخر ـ ترتبط الأسرة الجديدة التى تنجم عن الزواج بعائلة الزوجة ؛ والأطفال الذين يولدون يقتصر ارثهم على نسب امهم •

وكان هذا النظام يطبق على الأسر المالكة ، حيث يمكن أن تنتقل السلطة عن طريق الأم أو عن طريق الخال • ويضم الأدب الايرلندى والأدب الأوربى من الوحى الكلتى أمثلة مشهورة لهذا التطبيق حيث يختار وريث الخال من ذرية أخته • وأشهر مثال فى هذا الصدد هو تريستان بطل أسطورة من أساطير العصور الوسطى ذات أصل كلتى ، اذ كان وريث خاله الملك مارك •

أما خارج نطاق الزواج فكان يوجد نوع من اتخاذ الخطيبات ؛ تحكمه تقاليد صارمة • وقد دام هذا النوع فى ايرلندة وقتا طويلا امتد أيضا الى العصر المســيحى • فكان للرجل أن يتخذ خطيبة ســواء كان متزوجا أو غير متزوج • فاذا كان متزوجا فانه لا يســتطيع أن يفعل ذلك الا بموافقة زوجته الشرعية ، ومع ذلك كانت الخطيبة لا تقيم فى منزل الرجل الا بعد أن يحرر معها عقدا •

وتتضمن شروط هذا العقد دفع تعويض لها ولأسرتها ، على أن تتعهد الخطيبة بأن تمكث بالمنزل سنة واحدة بالضبط من يوم تحرير العقد ؛ وفى نهاية السنة تستعيد حريتها مالم تعقد عقدا آخر مع الرجل لفترة مماثلة •

هذه العــادة الغريبة : التى يطلق عليهــا « الزواج الســنوى » أو « الزواج المؤقت » ، كانت تكفل للمرأة حريتها واستقلالها ؛ فلم تكن شيئا يبتاع يوما ويهجر فى اليوم التالى ؛ بل كانت طرفا فى عقد يتم تحريره بأمانة واخلاص ؛ فاذا لم يحترم العقد فلها أن تلجأ الى قاض تختاره بنفسها من بين أحكم الرجال فى المجتمع ، وهم عادة الكهنة الذين كانوا يعملون مســتشــارين قانونيين ورجالا للدين فى وقت واحد •

ولم يكن عقد الزواج الا اتفاقا مؤقتا يمكن فسخه فى أى وقت ، لذلك كان الطلاق أمرا يسيرا للغاية • ولكن اذا قرر الزوج أن يهجر زوجته فانه فى حاجة الى أن يتذرع بأسباب جدية كى يفعل ذلك ؛ والا فعليه أن يدفع تعويضا باهظا ؛ كما هو الحال بالضبط فى حالة فسخ أى عقد دون وجه حق •

أما من ناحية الزوجة فكان لها الحق فى أن تترك زوجها اذا أساء معاملتها أو احتفظ بخطيبة له فى المنزل دون رضاها • وهناك قصة معروفة فى هذا الصدد تتلخص فى أن كاهنا أراد أن ينزل خطيبة فى منزله رغم اعتراض زوجته ، وعندما أصر على ذلك هددت زوجته بالانفصــال عنه • ولما كانت الزوجة تملك معظم الثروة فقد تروى الكاهن وأمعن التفكير فى الأمر أكثر من مرة ، وأخيرا تخلى عن خطيبته •

واذا كان الرجال فى واقع الأمر هم عادة الذين يرغبون فى فسخ الزواج فان النساء أيضا كان لهن مطلق الحرية فى أن يفعلن ذلك • كما كان من الممكن أن يتم الطلاق تلقائيــا برضا الزوجين ؛ وعندما ينفصلان كانت الزوجة تسترد أمتعتها الشخصية بالاضافة الى نصيبها من كل ما اقتناه الزوجان أثناء الزواج •

معنى هذا أن الزوجة لن يلحقها أدنى ضرر : سواء من الناحية المادية أو من الناحية الأدبية لأن الطلاق لم يكن مرتبطا على الاطلاق بفكرة تحمل مسئولية فشل الزواج ، والأمر لا يعدو أن يكون مجرد عقد أصبح ملغى ؛ والطلاق مجرد تسجيل لهذه الحقيقة •

ومن الطبيعى أن تثور المشــاكل بالنســبة للأطفال الذين يولدون أثناء الزواج • فمن ناحية المبدأ كانوا ينتمون الى عائلة أبيهم التى تكفل لهم الحماية من أى ضرر فى ظل تضامن العائلة الذى يؤدى الى عدم التخلى عنهم على الاطلاق •

وكانوا يطبقون أيضــا من احدى العادات الكلتية فى تربية الأطفال : اذ كانوا يرسلون الى أسرة أخرى كى يتعلموا المهارات اليدوية والمنزلية والذهنية والحربية • وكان هذا يوسع اطار الحياة العائلية نتيجة لخلق صلات بين الطفل والوالدين المتبنين له •

كما كانوا يرثون من أمهم ومن أبيــهم ، وللبنات نصيب من الميراث ، مع أنه كان يقل قليلا عن نصيب اخوتهن من البنين • وعلى العموم يبدو أن المجتمع الكلتى ـ ابان العصور التاريخية (من القرن الخامس قبل الميلاد الى القرن الثانى عشر الميلادى) فى ايرلندة وفى ويلز البريطانية وفى بريتانى الأرموريكية ـ قد فعل الكثير من أجل حماية حقوق المرأة وكرامتهــا وما لها من نفوذ أدبى •

وتكثر الأمثلة الخاصة بالنســـاء اللائى فزن بالسلطة وأدين دورا قياديا فى الحياة العامة ؛ منهـا على ســـبيل المثال الملكتـــان البريطانيتان « بوديكا » و « كارتيما ندوا » اللتان أصبحتا من الشخصيات البارزة بسبب مواهبهما الطبيعية التى تمثلت فى الحكمة والجرأة والمقدرة على الحكم •

وجدير بالذكر أن المركز المرموق الذى وصلت اليه النســاء فى المجتمعات الكلتية يرجع أصلا الى وجهة النظر الكلتية عن المرأة بأنها مخلوق يحيط به الغموض ؛ جذاب يسترعى الانتباه ، جبار يوحى بالرهبة ، كما يملك قوة منح الحياة • وتؤكد التقاليــد الكلتية الأصــيلة وتقاليـــد الويلز والايرلنديين والبريتانيين المكانة الســـامية التى كانت تتمتع بها النساء •

كما تذكر لنا الأساطير الايرلندية التى يرجع تاريخها الى القرن التاســـع الميلادى قصة الملكة « ميدب » ملكة كونوت ؛ وهى ملكة أسطورية غريبة جسدت هذه الصفة السامية ، وتقلتها الى زوجها الملك « آيليل » والى العديد من محبيهــا الذين كانت ـ على حد تعبير هذه الأســـاطير ـ « سخية معهم بصداقة أفخاذها » •

ولقــد تأكدت القصص التى دونهـــا مؤلفو الأساطير الايرلندية بشهادة كتاب الآثار الاغريق والرومان ؛ الــذين تأثروا تأثرا عميقــا بالمظهر القوى والطاقة المتقدة لنساء الغال اللائى كن على استعداد دائم للقتال فى سبيل الدفاع عن حقوقهن وحقوق أزواجهن ، بل كن يشتركن فى المعارك محاربات قويات شديدات •

ان فرع الأدب الأوربى الوســيط : المعـروف بالدور الأرثرى (نسبة الى الاسم الأسطورى للملك آرثر) هو دون شك كلتى الأصل ، اذ خلف لنا شخصيات نسائية غريبة الأطوار ؛ عظيمة الشأن • فالملكة « جوينفرا » زوجة الملك « أرثر » (التى وصفتها أســـاطير الويلز القديمة بأنها « الطيف الأبيض ») هى نموذج لهؤلاء النســـاء اللائى يجسدن فكرة السمو •

كانت الملكة جوينفرا ، فــى قلب الكـــون الأرثرى ؛ تحفز فرسان بلاط الملك أرثر بجمالها ومواهبها على أن يعرضوا شهامتهم واقدامهم • وقد اعترف السير « لانسلوت » بأن كل جرأته وشـــجاعته قد استمدها من حبه لجوينفرا وكيف للمرء أن يفسر حقيقة خطف الملكة جوينفرا مرارا بواسطة محاربين محترفين الا برغبتهم فى التزود بالقوة التى تمثلها الملكة ؟ كما تصـــور جميع القصص الأرثرية الملكة جوينفرا بأنها الشخصية الرئيسية فى البلاط ، كشمس ترسل أشعتها المضيئة الى الفرسان ؛ الذين لا يستطيعون الحياة الا بالرضا الذى تظلهم به ، مكافأة لهم على أعمالهم الباهرة •

وكمعظم بطلات الأساطير الكلتية تمثل الملكة جوينفرا صدى لالاهة الشمس القديمة •• لذلك نجد فى جميع اللغات الكلتية الكلمة التى تدل على الشــمس مؤنثة والتى تعنى القمر مذكرة • فالمرأة والشمس سواء ؛ ويدعو هذا الى القول بأن الكلتيين أو أسلافهم فى أوربا كانوا يعبدون فى العصـــور القـديمة الاهة أنثى تتمثل فى الشمس ، نجد وجها لها فى « يوسولت » زوجة الملك « مارك » ؛ وبطلة قصة الحب التراجيدية المعروفة مع ابن أخى زوجها الشاب الوسيم « تريستان » •

ولقد نشأت أسطورة تريستان ويوسولت فى ايرلندة حيث نجد لها قصة مماثلة قديمة تصور دور المرأة كما هو مسلم به فى الشعوب الكلتية القديمة • والقصة الأصلية الايرلندية قصة حب عادية بطلاها « ديارميد » و « جرين » • وسواء كانت بطلة القصة هى جرين أو يوسولت فانها هى هى المرأة هى التى أرغمت الرجل على الوقوع فى حبها ، وهى هى التى قادته منساقا طوع عزمها الأكيد على الفرار فى كل الظروف والأحوال مع الرجل الذى تحبه •

ولقد اتخذ فيها التعبير عن حركة المرأة : ومواقفها المختلفة في سبل الرجل عن الشكوك حينا في مغامرة حب عاطفية ، في قصة غراب يرويه في معاشرة حب عاطفية ، تحب أميرة تريستان وروسولت دون قصد . ولكن حرقة الحب الشهوية هذه ما هي الا استار يخفي ما لدى المرأة من تصميم شديد يفوق مستوى البشر : فهي تحاول الى أن تحرر الرجل في حبيا برغبته ، محاولا بذلك تحرره من حياته أيضا .

هذا الوجه الثاني يوصلنا بطبيعة الحال الى عصر الأساطير الكلتية : حيث اتخذت وجه المرأة بالظهر صورة له ، وحيث يتكرر موضوع سحر المرأة وقوتها التي لا يمكن السيطرة عليه بالقوة فقط ؛ بل أيضا عن طريق الحب .

وتحكي كثير من الأساطير الايرلندية والبريطانية قصة تساير هذا الموضوع : كالقصص في أن جماعة من الشباب وجدوا أنفسهم في صحراء يعانون عطشا ؛ فاكتشفت أعينهم عجوزا شمطاء تريد شاهم بالماء ؛ بشرط أن يقوم الشعر بتقبيلها ؛ فرفضوا جميعا الا واحدا منهم هو ـ كما تروي الأساطير عادة ـ أصغرهم سنا . وعندما تغلب على ما يشعر به من نفور واشمئزاز وقام بتقبيل وجنة العجوز الشمطاء تحولت فجأة الى فتاة جميلة تقول : « أنا السمو والتفوق جميعا والسلطة من تحملك تقترب بي » .

لقد ظهر هذا الموضوع في أنحاء كثيرة من العالم ؛ ولكن الكلتيين أعطوه مغزى خاصا لا يتجاوز هذه الرموز : فالسمو والتفوق الجسد بواسطة المرأة العجوز يمثل قوة متضائلة في حاجة الى أن تبعث من جديد . ولن يستطيع استرجاعها الا شاب يافع . ونتيجة لهذا التجديد سوف يشرق عهد جديد يسود فيه السلام والانتعاش ربوع البلاد .

ولقد ورد هذا المعنى في كثير من الأساطير والقصص القديمة ؛ وهو يفسر قصة البحث المشهورة عن الكأس التي استعملها السيد المسيح في عشائه الأخير والتي جاءت رواياتها البطالية وكتبة تسلما ؛ ومؤداها أن البحث عن الشيء السحري المقدس لا يمكن أن يتحقق الا بمساعدة المرأة لها وجوه عديدة . فهي التي يأتي ذكرها على الدوام في مغامرات الأبطال ؛ وليس لها من مهمة الا أن تأخذ بيدهم لتحقيق مطالبهم .

وفي تصوير الكلتيين وفي الملاحم التي ترجم بطريقة رمزية في أساطيرهم فان المرأة هي التي تملك زمام المبادرة . فهي التي تنقل الرجل الى عالم جديد ؛ وهي التي تمنحه حياة ثانية في عالم أكثر واقعية وروعيا .

فهي تتمتع اما أن تكون هي نفسها الالهة ، أو كاهنة لاحدى الالهات ؛ أو رسولا للآلهة ـ وهنا نرى كيف كان الكلتيون يرون المرأة . انها هي تجد المبادئ القديمة لالهة الشمس القادرة على أن تهب الرجل عنف شبابها . وتمنحه القوة كي ينال نصيبه في الحياة .

كذلك كانت المرأة ترهب الكلتيين بالقوة التي تتجسد فيها ؛ فكانوا يحاولون السيطرة عليها ولو في خيالهم . وهناك أسطورة من الأساطير الويلزية التي ظلت تذكر في احدى قصص مابينوجيون (وهي مجموعة من قصص الويلز ابان العصور الوسطى) تحكي كيف يحاول الرجل أن يحرر نفسه من سيطرة المرأة .

القصة بسيطة ، ولكنها واضحة المعنى ؛ وتتلخص في أن « أريانرود » ابنة « دون » كانت ترفض الاعتراف بالطفل الذي أنجبته من أبيها « جويديون » . والقت عليه ثلاث لعنات : أن يكون لهذا الطفل اسم مالم تعطه اله اسما ؛ ولن يكون لديه أسلحة مالم تمده هي بها ؛ ولن يجد زوجة تتزوجه من البشر .

هذه القصة ترمز الى أن « أريانرود » ترفض رسالة الأمومة وما يترتب على ذلك من آثار اجتماعية ، فبدونها لن يكون للطفل وجود شرعي . وسوف يكون هو والعدم سواء ؛ فالام الطفل فقط هي التي تستطيع أن تجعل منه عضوا في المجتمع . وهذا كله يشير الى العيبة الأم في النظام الاجتماعي التي تصفه الأسطورة .

ويقرر الأب « جويديون » أن يحارب اللعنات الثلاث ؛ وعون من عمه « ماث » ـ وهو ساحر وكاهن ـ جعل « أريانرود » تعطي الاسم الذي سوف يحمله ابنها ، فسوف يطلق عليه اسم « ليو لويجيفز » ، ومعناه « الطفل الواثق اليد » .

وباستخدام السحر تمكن « جويديون » و « ليو » وجعلا « أريانرود » تمنحها بالأسلحة . ثم تمكن « جويديون » و « ماث » من « خلق » امرأة بالصلوات والتعاويذ من الزهور والنباتات المزروعة على سفح التل ؛ وأطلقا عليها اسم « بلوديود » ومعناه « مخلوقة من الأزهار » وأصبحت هذه المرأة هي زوجة « ليو » .

عند هذا الحد توقفت قوة « جويديون » الأبوية والرجولية ؛ وتزوجت « بلوديود » من « ليو » ، ولكنها قابلت شابا آخر ووقعت في حبه ثم هربت معه بعد مقتل « ليو » . وتصف بقية الأسطورة بعد ذلك انتقام « جويديون » ، فقد استطاع أن يعيد ابنه الى الحياة وجعله يقتل عشيق « بلوديود » الذي كان قد هجرها ؛ ثم بدأ في ملاحقة « بلوديود » نفسها .

ولكن « بلوديود » مخلوقة ؛ وهي نتاج قريحته ، ولن يستطيع أن يدمرها ما لم يدمر نفسه . ومع ذلك فقد هربت منه فعلا ؛ وكان تمردها ضربة قاصمة لرجولته لم يقو على احتمالها ؛ وما عليه الا أن يعاقبها كي يحافظ على احترام نفسه . ونظرا لأنه لن يستطيع القضاء عليها كلية فلم يكن في وسعه الا أن يمسخها « بومة » ويعزلها عن الحياة فلا تظهر الا ليلا . ويرمز هذا كله الى أن انتقام الرجل يتضمن ابعاد المرأة وعزلها في الظلام ، الأمر الذي يجعلها تشعر بأنها مذنبة وشريرة .

وهكذا تنتهي أسطورة « بلوديود » ابنة الأزهار بالاخفاق ؛ وهي التي كانت تنشد الخلاص

تعتذر المجلة آسفة عن انتزاع اللوحات الملونة الخاصة بهذا العدد ، وذلك لعدم وصولها الآن من باريس ، وستقوم المجلة بادراجها في أقرب فرصة ممكنة في عدد من الأعداد القادمة .

من سطوة أبيها ، رافضة أن تكون مجرد شيء يتحكم فيه ، مطالبة بحقها في الحرية وفي اختيار حبيبها . ويتضح لهذا الفشل دلالات كثيرة بالنسبة لما يحدث فعلا . لا في المجتمعات الكلتية فحسب ؛ بل في مجتمعات أخرى أقرب الى مجتمعات عصورنا .

فالمرأة تحاول دائما أن تتخلص من استعباد الرجل لها كي تسترد استقلالها . ولكنه يسعى دائما حق السيطرة عليها ؛ ونظرا لأنه لا يستطيع أن يمحا نفوذها ، سواء كانت أما أو زوجة أو عشيقة ؛ فقد فرض عليها نظام تحريم محفوف بالآثام يحمل في طياته عقوبات رادعة . وتكشف أساطير الكلتيين عن أنهم كانوا على دراية كافية بكل هذا . ويظهر مجتمعهم حنينا فطريا الى عصر أسبق كانت المرأة فيه تؤدي دورا أكثر أهمية .

وفضلا عن ذلك لم تمت قط هذه المرأة التي أصبحت منبوذة مدفونة في ظلام وجدانهم أو في حسهم الباطن . بل عاشت حبلة يحيط بها الغموض . كما هي دائما ؛ وعلى استعداد أن تعود ثانية الى وضح النهار ؛ والى عقولهم الواعية أو الى حسهم الظاهر .

وتبين لنا أسطورة كلتية أخرى تحكي قصة مدينة « ييز » (وهي أسطورة معروفة في جميع أنحاء بريتاني) كيف أن الصورة القديمة للمرأة تظل عالقة بالذاكرة .

ويطلق على بطلة هذه القصة اسم « داهود » ومعناه « الساحرة الطيبة » . والاسم اشارة تكشف عن القوى السحرية للمرأة . وكانت البطلة ابنة الملك « جرادلون » حاكم كورنوول ؛ وقد شيدت لنفسها مدينة رائعة على حافة البحر في واد من الأودية ، يحميها سد ضخم من طغيان البحر . هي مدينة « ييز » (١) .

وطبقا للنسخة المسيحية لهذه الأسطورة التي انحدرت الينا عاشت « داهود » حياة فاسقة في مدينتها . وعندما غضب عليها الاله والرجال لانفرادها بحكم مدينتها حكما مطلقا ؛ متحدية قوانين المجتمع ؛ التي يسود بمقتضاها حكم رب العائلة . حكم عليها بالهلاك هي والمدينة بأكملها .

وطغت موجة من أمواج المد والجزر على مدينة « ييز » فأغرقتها . ولكن الأسطورة تحكي أن « داهود » ظلت تعيش في قصرها الفاخر في قاع البحر ؛ وأنها تنتظر اللحظة المناسبة لتظهر مرة ثانية الى السطح . وعندما يجئ ذلك اليوم سوف تعود مدينة « ييز » مرة أخرى أغنى وأجمل مدينة في العالم .

ان ما ترمز اليه هذه الأسطورة واضح جلي : اختفى سمو المرأة وسيادتها وذلك تحت الماء في ظلام الوجدان أو في ظلام الحس الباطن . ولكن عندما يعود سمو المرأة مرة أخرى الى وضح النهار فان العالم سوف يستعيد انسجامه وفردوسه المفقود ؛ حيث تسود شمس المرأة خالدة قوية تمنح الحياة وتهب نشوة الحب .

ولعل هذا هو السبب في أننا نجد فيما لدينا من ثروة عظيمة من الأساطير الكلتية كثيرا من المغامرات الرائعة للأبطال الذين ينطلقون بحثا عن المرأة في جميع مظاهرها . حتى ولو كانت أقربها .

وفي مكان ما من المحيط ، تجاه الشمس الآفلة ؛ توجد قطعة بديعة من الأرض ؛ يطلق عليها اسم « جزيرة أفالون » . انها جزيرة أشجار التفاح حيث تطرح الأشجار ثمارها على مدار السنة كلها . أما المرض والموت فغير معروفين فيها . هذه الجزيرة هي موطن الجمال والانسجام والألوان والغنى والخصب . ولا يقطنها الا النساء .

انهن نساء من الحوريات ؛ يحيط بهن الغموض والابهام ؛ وهن من الالاهات القديسات اللائي ينتظرن الأبطال ، الذين أقدموا على القيام بأعنف المغامرات . أما الرجال فبعد أن أسلموا النساء الى الظلام فانهم يقضون حياتهم باحثين عن أرض الساحرات الفاتنات ، لأنهم يعلمون أنهم لن يحققوا السعادة . لأنفسهم أبدا ما لم يعيدوا اكتشاف طهارتهم الفطرية ؛ طهارة الفردوس المفقود . ودائما تنتهي المغامرة الكلتية على شواطئ جزيرة النساء .

---

(١) كلمة « ييز » معناها « منخفض » . ومدينة « ييز » معناها « المدينة المنخفضة » .

فنانون أعادوا تشكيل الواقع

بقلم : رينيه جوفرى

يعتبر الفن الكلتى بلا مراء : بالنظر الى جودته وطرافته ، من أبرز التطورات الجمالية فى تاريخ الانسان ، ومع ذلك فهناك خطورة فى استخدام مصطلح « الكلتى » من استدامة نوع من سوء الفهم ظهر فى القرن التاسع عشر حينما بدأ كشف نماذج من نمط فنى طريف لم يكن معروفا من قبل، او لم يكن احد يبالى به . ومازلنا نجد دلائل من سوء الفهم هذا فى بعض الأعمال الحديثة التى تنسب الى الكلت بعض الآثار الحجرية الضخمة التى سبقت عهدهم ببضعة آلاف من السنين .

ويعتبر بعض الاخصائيين ان اناس عصر البرونز (النصف الأول من الألف الثانية قبل الميلاد) هم الكلت الاولون ! ويؤكد آخرون ان ظهور الكلت على مسرح التاريخ يتوافق مع ظهور ثقافات العصر الحديدى . بيد ان معظم الكتاب متفقون على ان العصر الكلتى الصحيح ينتمى الى العصر الحديدى المتأخر .

ومع ذلك فقد حدثت فى هذا العصر تغيرات كثيرة ، حتى اننا لنتساءل هل كان هذا العصر يمثل تطورا حدث فى نوع واحد من الثقافة ، أم ان هذه التغيرات تعكس تأثير قوى خارجية وشعوب مختلفة .

ولم يزل العصر الحديدى المتأخر معروفا باسم « العصر التينى » (لاتين) نسبة الى اسم موقع اثرى اكتشف فى سويسرة منذ أكثر من قرن من الزمان . وقسم هذا العصر الى ثلاث فترات تبعا لتنوع المكتشفات الأثرية التى جرت هناك .

ولم ينبثق الفن التينى فجأة ، فهو يدين بالكثير للتطورات الجمالية فى الأقاليم الشاسعة التى اجتاحها الكلت ؛ والى الصلات التى كانت تربطهم بالحضارات المسماة بالكلاسية ــ وهى صلات أكبر حجما مما كان يعتقد قبلا ــ وكذا فن الاستبس (السهوب) . والجدير بالملاحظة ان فن لاتين لم يتأثر تقريبا بفن العصر الحديدى الأول .

قيل احيانا ان ثمة فجوة كانت تفصل بين ثقافة هالستان (نسبة الى موقع قرية كلتية فى النمسا . انظر صفحة ١٢) وبين ثقافة لاتين . هناك بالفعل ، من وجهة النظر الفنية انقطاع بين الفنين ؛ فقد كان فن العصر الحديدى الأول قائما على الأنماط الهندسية . ذات الخطوط المستقيمة ؛ فى حين تسود الأقواس والألواس المضادة الفن الكلتى الحقيقى .

واذا اعتبرنا النماذج المختلفة للتحف الفنية الكلتية وجدنا معظمها من الأشياء المستخدمة عادة

كان الكلت يحبون الأشياء الجميلة من العناية والبراعة فى صنع القدور النزلية ويبذلون ما يبذلون فى صياغة الحلى الحلى . وقد ادى بهم ولعهم بالزخرفة الفنية الى تزيين بعض المشغولات المستوردة التى لم تكن مزخرفة بدرجة تروق لهم . وثمة صائغ كلتى كسا هذه القدر المثبتة (الى اسفل) برقائق ذهبية مخرمة . وكان العرفيون الكلت فى حوض الراين حيث اكتشفت هذه القدر قد اشتهروا بالبراعة والأستاذية فى النقش البارز على المعادن . وعلى الصفحة المقابلة صورة تفصيلية مكبرة لقطعتين من الأطواق العتق ، اكتشفتا صدفة فى عام ١٩٦٢ فى ارستفلد بسويسرة حين انتزعهما من باطن الأرض عربة بولدوزر . ويرجع تاريخ هذين الطوقين (وكذلك القدر) الى القرن الرابع قبل الميلاد ، ويتجلى فيهما مزيج من الخيال والنزعة الطبيعية ؛ حيث جمع فيهما الصائغ الكلتى بين مخلوقات نصف آدمية ونصف حيوانية . فى الطوق الأيسر نرى مخلوقين متصلين احدهما بالآخر اتصال التوأمين السياميين ؛ اذ يتجه احدهما بوجهه الى داخل الطوق ، فى حين يتجه الآخر الى الخارج . أما الطوق الأيمن فانه يمثل مخلوقا بعين واحدة واسعة وانف الطير ولرنين قصيرين مفتولين .

رينيه جوفروى : كبير امناء المتحف القومى للآثار بسان جرمان ـ آن ـ لى بفرنسا . اضطلع بالكثير من أعمال التنقيب فى عدة مواقع تنتمى الى عصور ما قبل التاريخ ؛ وعرف بنوع خاص بأعماله الأثرية فى قرية محصنة بمون لاسوا بفيكس ، فى شرق فرنسا . وفى هذا الموقع كشف فى عام ١٩٥٢ مقبرة أميرة كلتية تضم مجموعة قيمة من الآثار الايطالية اليونانية . ومن أعماله التى نشرت كتاب « مقبرة فيكس » ، نشرتها دار « المطبوعات الجامعية » الفرنسية ؛ باريس ١٩٥٤ ؛ و « مدافن مركبات العصر الحديدى » ، بيكارد ، باريس ؛ و « اوبيدوم فيكس والحضارة الهالستاتية الأخيرة فى شرق فرنسا » ؛ نشرته دار « المعارف » ؛ باريس ١٩٦٠ .





فى الحياة اليومية ، كالأسلحة والحلى والمشغولات الخزفية المزخرفة بنوع ما . وباستثناء بعض نماذج النحت الضخمة التى وجدت فى جنوب فرنسا ووادى الراين لم يعرف شىء على الاطلاق عن العمارة الكلتية ؛ لسبب واضح ، هو انهم لم يستخدموا الحجر فى بناء مساكنهم ؛ اذ كانت بيوتهم مجرد أكواخ بجدران من الخشب والطين لم يبق لها اثر بطبيعة الحال .

غير اننا مع ذلك نحاول أن نحدد بترتيب زمنى الأنماط المختلفة التى تعاقبت طوال تاريخ الفن الحرفى الكلتى الذى عاش خمسمائة سنة

ونتخذ هذا التحديد اطارا نحاول فى نطاقه ان نهيىء شيئا من النظام فى تعقيداته اللانهائية .

ففى أواسط القرن الخامس قبل الميلاد كان الفن الكلتى قد اكتسب موضوعاته الرئيسية ؛ وأمدته اليونان بزخرف قاعدى يتمثل فى سعف النخل . ومع ذلك فقد اختلفت السعفة الكلتية عن نظيرتها اليونانية فكانت ابسط شكلا منها ولكنها مع ذلك اكثر تعقدا لوجود أشكال زائدة مضافة اليها ، تثقلها وتجردها من سمتها الأصلية . بيد أنه كان فى هذا الفن نوع من الجمود ؛ او بالأحرى نوع من التماثل فى النمط

المبكر الذى يوصف عادة بأنه صارم . فى حين انه فى القرن الرابع قبل الميلاد اختلطت مؤثرات كثيرة بعضها ببعض ؛ وتراكبت وامتزجت لتكونت ما يعرف بنمط فالدالجشايم ، نسبة الى مدفن بعض الأمراء فى ألمانيا .

وظهرت اشكال حيوانية وآدمية الى جانب الأقواس الهندسية الغزيرة ؛ وأحيانا تختلط بها . غير أن الفنانين الكلتيين لم يكونوا يراعون الواقع ، فكانت الأشكال الحيوانية تشوه فتصير كأشكال الممسوخ ؛ وتتحول الى رسوم معقدة .

وحل محل نقاء الخط ومتانة الأسلوب مرونة

نوروده ؛ بالغرفة في الزخرفة . ويتمثل هذا النوع بالمزخرف في الزخرفة على بعض أواني الشرب المصنوعة من البرونز التي اكتشفت في [illegible] . والظاهر أن [illegible] الكلتيين قد شربوا منها ليست مزخرفة بصورة كلية ، [illegible] كسوا سطوحها وحافاتها من رقائق الذهب .

واستخدم أسلوب رقائق الذهب هذا على [illegible] ، [illegible] الآخر في [illegible] . والتشكيل [illegible] الأساليب .

والظاهر الكشف العجيب لعدد من [illegible] الذهبية في [illegible] (في ولاية [illegible] سويسرا) [illegible] والتركيب الفني ؛ [illegible] بالحيوانات [illegible] .

[illegible] الكلتيون الأشكال الفنية الواردة من البلاد الإيطالية واليونانية . [illegible] الأواني البرونزية [illegible] : مثل « الأينوكو » و « الابريق الخمر » و « الستيول » و « [illegible] » ؛ [illegible] الابريق [illegible] من رقائق الذهب على شكل زخارف [illegible] . وكانوا يقلدون الأوعية « الإيطالية واليونانية » [illegible] الأوعية [illegible] من الأوعية الأصلية .

وثمة ابريق خمر كلتي وجد في دورنبرج « النمسا » له بروز من ثلاثة فصوص ؛ وجوانبه مزخرفة [illegible] على شكل [illegible] . [illegible] على شكل حرف S . [illegible] .

واندمج [illegible] هذا الفن الكلتي [illegible] الشكل الفني الكلتي [illegible] الأواني الكلتية ابريق الخمر [illegible] (فرنسا) ؛ والابريق [illegible] زينة [illegible] ومقابض [illegible] مرجانية . وثمة حيوان غريب [illegible] يد الابريق . [illegible] غريبة الشكل [illegible] على حواف [illegible] .

وكان استخدام [illegible] لم يعرفها العالم القديم ؛ [illegible] في الفن الكلتي . فكان يستخدم [illegible] الكثير من الأشياء . [illegible] البحر المتوسط [illegible] الحمراء التي شاع استعمالها حتى أواخر عصر [illegible] .

وكانت مركبات القتال ، وهي عربات خشبية [illegible] تجرها مجموعة من الخيل ؛ [illegible] الرأس [illegible] بالزخارف الفنية [illegible] التي كان يتمتع بها [illegible] الكلتيون الذين كانوا في [illegible]

ولـع بالخمـر والخيـال

عرف الكلت بافراطهم في شرب الخمـر . ومن خلال صـلاتهم التجارية ببلاد البحر المتوسط كانوا يستوردون الخمر اليونانيـة عن طريق ماسيليا (مارسيليا) وغيرها من الموانيء . وهـذا الابريق البرونزي الفاخر الخاص بالخمر (الى اليسار) مثال لما يبديه الكلت من براعة فنية واناقة في الأسلوب في زخرفتهم اواني الخمر . ويرجع هذا الابريق الى اواخر القرن الخامس قبل الميلاد ، وقد اكتشف في دورنبرج (النمسا) . والجزء العلوي من يد الابريق (في اعلى) له شـكل حيوان غريب يلتهم رأس انسان . اما جزؤه الأسفل (اعلى الى اليمين) فانه محلى برأس انسان تحيط به زخارف بشكل لفائف لولبية . وثمة وحش صغير غريب (الى اليمين) يزين كلا من جانبي فوهة الابريق . ولهذه الحيوانات ذيول السـباع . والامتداد للرأس كالخرطوم ينتهي بثنية ملفوفة ؛ وعلى ظهر كل وحش صورة جانبية لطائر .



١

أقواس وانثناءات عقدلية

كان الرجال والنساء الكلت على حد سواء مولعين بالحلى . وكان الصاغة يشتغلون بمجموعة من المعادن والاساليب . وتشهد اعمالهم المبتكرة على احساس مرهف بالزخرفة الأنيقة • وكان أكثر الحلى التساما بالطابع الكلتى طوق الرقبة • (١) وهذا الطوق المصنوع من ثمانية اسلاك مجدولة من الالكتروم (اشابة من الذهب والفضة) قد اكتشف فى ستتيشام ، بنورفولك(انجلترا) وتتكون كل جديلة من ثمانية اسلاك مبرومة تلتحم اطرافها فى قطعتين منقوشتين بالزخارف• (٢) دلاية برونزية بزخارف مخرمة على شكل حرف S ، يبلغ قطرها حوالى اربعة سنتيمترات (بوسى ـ لو ـ شاتو ؛ فرنسا) (٣) صورة تفصيلية لسوار ذهبى(فالدالجشايم؛ جمهورية المانيا الاتحادية) ، ويوحى الأسلوب المميز والحلزونات النباتية المجدولة غير المتماثلة بالتأثير الاسكيثى (نسبة الى الاسكيثية القديمة، وهى منطقة شمال البحر الأسود) • ويعتقد بعض الثقات ان هذا النمط من صنع صائغ واحد عرف باسم « استاذ فالدالجشايم » ؛ عاش على مايندو بالقرب من الراين فى اواخر القرن الرابع قبل الميلاد • (٤) سوار ذهبى للذراع (فى القرن الثالث قبل الميلاد) وجد فى اورياك (فرنسا) • وقد خلقت البراعة الفنية اليدوية ايهاما بصور جوز البلوط ؛ والبراعم ، واوراق الشجر • غير ان التصميم لا صلة له فى الواقع بالطبيعة • (٦) خاتم برونزى (من القرن الثالث قبل الميلاد ـ باريس فرنسا) يضم ثلاثة اقنعة آدمية ، قد تكون تصويرات غالية لوجه كوشولين ؛ بطل الملحمة الايرلندية المشهورة • (٥) بروش (دبوس زينة) برونزى طريف من ماتن (تشيكو سلوفاكيا) ؛ زينت حلقته بصورة آدمية طولها ٨٫٨ سم • وكانت العلامات والتجويفات الموجودة على الجسم مرصعة فى الغالب بالمرجان •

٢



٤



٦



٣



٥

يحولوا المعدن الثقيل الى رقائق دقيقة مخرمة .

وثمة قبور اكتشفت فى الجزء الشمال الشرقى من فرنسا ، وبخاصة تلك التى كانت تضم جثث رؤساء القبائل الذين دفنوا فيها ومعهم مركباتهم الحربية ؛ قدمت لنا نماذج فخمة من هذا الفن . ومن هذه النماذج اطباق مستطيلة ومخرمة ، كان يظن أنها اطراف عريش العربات ، وهى مزينة بزخارف متضادة على شكل حرف ى ومستمرة على صورة آلة اللير (القيثارة) ؛ وصفوف من قضبان مرجانية صغيرة على طول القاع .

ووجد فى عدد من القبور خوذات مخروطية الشكل مصنوعة من صفائح برونزية ومزينة بخوصات منحوتة أو بخرزات مرجانية • غير ان اروع هذه الخوذات واحدة اكتشفت اخيرا فى امر يفيل ـ سوه ل ـ مولت بشمال فرنسا ، وتتكون من غطاء للراس من البرونز الصق عليه شريط ذهبى طبع عليه رسوم ثلاثية الفروع ؛ وهى رسوم كلتية النمط تتالف من خطوط حلزونية .

وتشكل الحلى البرونزية فرعا هاما آخر من فروع الفن الكلتى ، بمجموعاتها الكبيرة من الأساور واطواق العنق ، والمشابك (البروشات) .

ووجدت الأساور فى قبور كل من الرجال والنساء ؛ وهى مصنوعة من اشرطة معدنية مسطحة او ملوية منقوشة بخطوط متوازية او منحرفة . والأساور هى فى العادة اطواق ناقصة باطراف مدورة على شكل العقدة (او مقبض الباب) يمكن شبكها • وتخرم الأشرطة فى بعض الأحيان .

وتصنع الأطواق من قضبان معدنية برونزية فى العادة ؛ تنتهى باطراف مختلفة الحجم ، تكون فى العادة مجوفة ، وقد يكون بحافتها الخارجية رسم متكرر من زخارف على شكل حرف او خطوط بارزة حلزونية • وكان النساء يلبسن هذه الأطواق فى أوائل العصر الحديدى المتأخر ؛ ولكن يبدو أنها أصبحت فيما بعد مقصورة على الآلهة والأبطال • ويظهر أن الطوق الذهبى الكبير الحجم الذى وجد فى « مابى ـ لو ـ كان » فى شرق فرنسا والمحفوظ الآن فى متحف الآثار القومية « بسان جرمان ـ آن ـ لبى » بالقرب من باريس من هذا النمط الأخير •

وكانت الثياب تثبت بمشابك (بروشات) تتيح مجالا لكل ضروب الزخرفة المعقدة • اما المشابك التى وجدت فى منطقة شامبانى بشرق فرنسا فانها بسيطة التصميم نسبيا ، فى حين أننا نجد فى وسط أوربا مجموعة كاملة من هذه الحلى باسم « المشابك القناعية » وفى مجال صنع هذه الحلى أطلق الحرفيون الكلتيون لخيالهم العنان ؛ فجمعوا اشكال الحيوانات الأسطورية بالأشكال الآدمية التى تشبه الرسوم الكاريكاتورية فى عالم من التصاوير الوهمية البعيدة عن الواقع حيث يختلط الحلم بالواقع ؛ والنزعة الطبيعية بالفن التجريدى •

ويبدو ان تصوير الرؤوس كان له غاية سحرية او دينية الى جانب غايته الجمالية •

وقد استخدم هذا الزخرف كثيرا فى الحلى والأقراص ؛ الأمر الذى دفع بعض المؤرخين الى الحديث عن « تمجيد الكلتيين للرأس » •

وثمة صدى لهذه العقيدة ينعكس فى العمارة الكلتية • فالمدخل الى معبد اكتشف فى روكبرتوز فى جنوب فرنسا ، وهو محفوظ الآن فى متحف بوريل بمارسيليا ؛ ومزين بكوات صغيرة لم تزل تضم جماجم بشرية • وهذا أثر غير عادى ، ذلك لأن الكلتيين كما ذكرنا من قبل لم يستعملوا فى البناء أية مواد متينة ؛ ولم يصبح استعمال الحجر شائعا عندهم فى البناء الا بعد الغزو الرومانى •

ومع ذلك يبدو ان الغال ـ وهم الكلتيون الذين كانوا يسكنون بلاد الغال ـ كانوا نحاتين • ذلك ان قيصر قد تحدث عن « تصاويرهم » • ويمكن أن ينصرف هذا المصطلح الى التماثيل • ولم يكتشف فى فرنسا أى تمثال حجرى يرجع تاريخه الى ما قبل الغزو الرومانى ، ولو انه قد وجد بعض الأعمدة المزينة برؤوس آدمية فى فالزفيلد ؛ وهلزجرلنجن بالمانيا •

ولكن على الرغم من ان الكثير من مواقع القبور فيما كان قبلا بلاد الغال قد حفرت فانه لم يظهر بها اى عمل من أعمال النحت • ومع أن صورة لاله براسين ، شبيه بالاله بانس ؛ بشفتين غليظتين ، وانف مستقيم ؛ قد وجدت فى جنوب فرنسا ؛ حيث اكتشفت ايضا معبد روكبيرتوز الصخرى ؛ الا أن هذه البقعة قد وقعت دون ريب تحت تأثير الليجوريين ، وهم شعب خلاف الكلتيين •

واكتشف فى مشيل زيروفتش (بتشيكوسلوفاكيا) فى سياج مربع كانت تمارس فيه بعض الطقوس الدينية رأس عجيب لمحارب ؛ بعينين جاحظتين ، ووجه مسطح ؛ وشوارب ، وحواجب حلزونية الشكل بصورة شاذة • ويدل طوق العنق على ان هذا الوجه الغريب المحفوظ الآن بمتحف براج ينتمى الى القرن الأول قبل الميلاد • ومع ذلك لم يزل تأثير هذا الفن الفريد ملموسا بعد الغزو الرومانى لبلاد الغال بزمن طويل ؛ اذ قد وجدت أوثان حجرية وبرونزية فى مناطق كانت غالية رومانية خالصة •

من هذه الأوثان تمثال صغير من حجر الجير ، لاله وجد فى أوفنيه بشرق فرنسا ؛ والاله يرتدى طوقا للعنق ينتهى بطرفين (مثل طاسة التصادم) ، وعلى صدره صورة خنزير برى ؛ وعلى أحد جانبيه عين كبيرة محدقة ، وعلى الجانب الآخر اذن • فهل كان هذا التمثال صورة لاله الصيد ؟ •

وثمة رأس لتمثال آخر ؛ عرف باسم الاله بوراى ، نحت من قسمين ؛ والجسم من الواح برونزية ، ويتمثل فى وضع جالس القرفصاء ؛ وتبدو قدماه وكأنهما تنتهيان بحوافر الأيل ؛ وعيناه اللامعتان تضفيان عليه تعبيرا ثابتا •

غير ان تصوير الشخوص شىء نادر • ولم يكن من عادة الكلتيين ان يعطوا آلهتهم شكلا













عملات كلتية غريبة الشكل





[illegible] العملات التي سكها [illegible] من أهم [illegible] في العصر [illegible] العملات [illegible]

صور الرؤوس

[illegible] العملات [illegible] النصف [illegible] من القطعة كما في [illegible] الإغريقي [illegible] القطعة التي سكها [illegible] في القرن الرابع قبل الميلاد (القطعة رقم ١) [illegible]

[illegible] والخيول

[illegible] العملات [illegible] النصف الأسفل من القطعة كما في [illegible] القطعة رقم [illegible] (١٠ و ١٢ و ١٣) [illegible] القطعة رقم ١٢ [illegible]

كبيرا . ووجدنا عند الكلتيين مثاله مثلا في [illegible] تماثيل الآلهة اليونانية التي تشبه المخلوقات البشرية ، [illegible] الآلهة [illegible] ؛ [illegible] الكلتيين كانوا يعبدون قوى الطبيعة ؛ [illegible] تصويرا رمزيا . ولهذا [illegible] الاشكال الدائرية والحلزونية [illegible] ترمز الى [illegible] الثلاثية [illegible] رقم ٣ .

وقد اثار الرجل الفضي المشهور الذي اكتشف في جندستروب ، وهو الآن في متحف كوبنهاجن القومي ، قدرا كبيرا من الجدل . فهذا الوعاء الكبير المكسو من الداخل والخارج بالواح فضية زخرفية قد وجد في مستنقع من [illegible] ، [illegible] بالمشرق . [illegible] رسومه الزخرفية [illegible] من الاساطير [illegible] . ويختلف الاخصائيون في الرأي بالنسبة الى عمر هذا الاثر [illegible] القرن الاول قبل الميلاد ؛ في حين [illegible] البعض الآخر [illegible] من ذلك ، [illegible] صنع في العصر [illegible] (انظر صفحة ٣٣) .

[illegible] الفنانين الكلتيين قد اظهروا [illegible] في سك العملات (انظر صفحتي ٣٨ و ٣٩) ؛ وكانت عملاتهم في الاصل تقليدا للعملة الذهبية الاغريقية التي ضربها فيليب المقدوني (٣٥٩ - ٣٣٦ ق.م) . وكان وجه هذه العملة يحمل صورة لرأس ابولو [illegible] ، وعلى الظهر صورة [illegible] في المركبة ذات الحصانين ، وهي رمز للالعاب الاولمبية التي فازت فيها مركبة فيليب .

وبالتدريج اتخذت الرسوم التي من هذا القبيل طابعا كلتيا : فاصبح الشعر [illegible] ، [illegible] وتنوعات مختلفة ، والسمات [illegible] ؛ [illegible] الرموز والزخارف [illegible] ، كالحلزونيات والاوراق والرسوم الثلاثية الارجل . اما الحصان فقد [illegible] ؛ ويتشكل منها عدد من المخلوقات الاسطورية ؛ [illegible] او [illegible] الخنزير البري او الطيور او [illegible] .

وكان لكل قبيلة اسلوبها الزخرفي الخاص . ولذلك فانه من العسير دراسة العملات الكلتية ، الا على [illegible] الرموز [illegible] التي [illegible] لا يفهمها سوى الاخصائيين ؛ [illegible] من اشكال [illegible] مقوسة ، وصور خيالية مرسومة [illegible] حرة ، [illegible] .

وكان لهذا الفن تأثير واسع على غرب اوربا رغم تنوعاته المحلية : فقد امتد الى ايرلندة التي افلتت من السيطرة الرومانية ؛ ومن ايرلندة عاد ثانية الى القارة الاوربية في القرن السابع بفضل المبشرين الايرلنديين . واصبح في الامر الآخر مصدرا من مصادر الفن الرومانسكي .

الكشف في المناطق التي كان يحتلها الكلت بين هنغاريا (المجر) وايرلندة تصاوير لرؤوس «يانوس» (ذي الوجه المزدوج) : ويظن انها تعكس اعتقاد كلت العصر الحديدي في قدرة الآلهة على النظر امامًا الى العالم الآخر ، وخلفًا الى عالم الدنيا . والى اليمين تمثال حجري لوجه يانس (القرن الثاني قبل الميلاد : وارتفاع الرسم ٣٢ سم) وجد في بادكسوني - لابديجي (هنغاريا) . وكثيرا ما استعملت الوجوه المزدوجة ايضا كاشكال زخرفية ، كما يبدو في الحلية في اعلى . وقد استخرجت من قبر في مالوميرس : بيرنو تشيكوسلوفاكيا وترجع الى القرن الثالث قبل الميلاد

أوروبا الشرقية تكتشف ماضيها الكلتي

أما بعد حتى اصبح لهم الكثير من الاهل والابناء ، ويرى الخ ..

أما ،

بولندة فانه بعد ان ارتحل سبع قومه من ايرلندة بعد الغزو الذي سبق وصفه استقر معهم في جزر اليونان الشمالية ؛ وعاشوا ثمة وتكاثروا حتى اصبح لهم الكثير من الاهل والابناء ؛ ودرسوا العلوم الدرويدية والكثير من مختلف الفنون في الجزر التي عاشوا فيها حتى اصبحوا علماء يحذقون الفروع السالف ذكرها ، وكانوا يسمون توااتا ، اي شعب الآلهة .

تلك هذه الفقرة من « كتاب الغزوات » الايرلندي القديم ، وهو عمل يقدم وصفا لكل الشعوب التي جاءت الى ايرلندة واستقرت بها ؛ ويتضمن الكثير من الميثولوجيا وقدرا كبيرا من مادة التاريخ ، وكثيرا ما ابرزت التقاليد والروايات القديمة الصلة بين الايرلنديين وبين الشرق .

وتؤكد التطورات الحديثة في علم الآثار في ايرلندة صدق هذه المجموعة الضخمة من الادب القديم .

وليس الجدل في شأن الكلتيين امرا جديدا ؛ فقد ناقش العلماء هذا الموضوع الشائك أجيالا طويلة ، وظل مع ذلك دون حل . وفي عام ١٩٣١ كتب عالم الآثار الفرنسي هنري هوبير يقول :

« لم تزل اللغات الكلتية حية على السنة سكان غرب اوربا ؛ في الجزر واشباه الجزر ، فاى من هذه الصور هي الاصدق ؟ هل بقيت الثقافة الكلتية حية في الطرف الغربي من اقليمها لانها رسخت هناك رسوخا اقوى منه في اية جهة اخرى ؟ او لانها قد دفعت الى هناك دفعا ؟ الا يجدر بنا البحث في هذه البقاع عن الكتلة الرئيسية لشعوب الكلت واصلهم ؟ واساليبهم الصافية ؟ هنا ، في بداية قصة تموج بالمتناقضات ، يتعلق خلاف في الدرجة الاولى من الاهمية » .

وبقي الخلاف بلا حل . وقد وجه الى الكلت العالم الغربي اهتمام اكبر مما وجه الى اخوانهم الشرقيين . وظهر الآن اهتمام جديد بشئانهم ؛ مصحوب بتقنيات علمية ولغوية متقدمة ؛ يدفع بلاد شرق اوربا الى دراسة ماضيهم الكلتي ، وتقدير اسهام هذا الماضي في تكوين ثقافاتهم المتميزة .

وثمة مؤتمرات عظيمة الاهمية ، مثل ندوة اليونسكو الدولية التي انعقدت في المجر في مايو ١٩٧٤ بغرض مناقشة موضوع العالم الكلتي الشرقي ؛ تجمع الاخصائيين الذين يتسنى لهم بمعلوماتهم وابحاثهم المشتركة أن يرشدوا ويفهموا بعضهم بعضا في هذا الحقل الدراسي الهام .

وبفرض انه كان ثمة تجانس اساسي في العالم الكلتي الواسع فلابد أن نتوقع وجود تنوعات وتخصصات اقليمية . ويجرى الآن في شرق أوربا بعض الاكتشافات المثيرة .

لقد اصبح الكلتيون منذ عام ٤٠٠ ق.م القوة المسيطرة على مناطق الألب الشمالية من فرنسا الى المجر . وفي الشرق ابتكر عدد من أبدع الاشغال المعدنية التي الهمتها براعة الفنانين الكلتيين في النقش البارز .

ومن أروع التحف الطقسية التي أبدعها الكلتيون المرجل الفضي الذي اكتشف في القرن الماضي في جندستروب ؛ بجوتلاند ، بالدانمرك ، وكان قد فكك عمدا ووضع كقربان نذرى في مستنقع .

والصنعة الفنية في هذا المرجل رائعة ؛ والأشياء المرسومة عليه كلها دينية . وتتألف الصفائح الخارجية من صور للآلهة والآلهات المختلفة . اما الصفائح الداخلية فانها تعرض صورا من أساطير الكلتيين الدينية . وتصور القاعدة الداخلية مقتل الثور المقدس ، وهو حيوان معبود في الديانة الكلتية .

وقد حدد تاريخ هذا المرجل بين عام مئتين وعام مئة قبل الميلاد ؛ وكل التصاوير والأوصاف المثبتة عليه معروفة وشائعة في دنيا المعتقدات الكلتية الشاسعة . وكان المعتقد أن المرجل قد صنع في بلاد الغال ثم حمل الى الدنمرك لسبب لا نستطيع الا أن نخمنه . غير أنه على الرغم من



كنز جندستروب

الأساطير الكلتية على مرجل فضي



١



٢

لعله لا يوجد من مخلفات الفنون الحرفية الأوربية في العصور التاريخية السحيقة ما اثار شيئا من التعليق والجدل والخلاف مثلما اثاره الرجل الفضي الشهير الذي اكتشف في عام ١٨٩٦ في جندستروب : بجوتلاند (بالدنمرك) وهو المحفوظ الآن بالمتحف القومي بكوبنهاجن (الصورة رقم ١) • وكان المعتقد لسنين عديدة في أوربا الشرقية الكلتية؛ وربما في منغاريا في اوائل القرن الاول قبل الميلاد لسنين عديدةانه صنع في بلاد الغال ؛ بيد ان العلماء اثبتوا الآن انه خرج من ورشة في اوربا الشرقية الكلتية ، وربما في منغاريا ، في اوائل القرن الاول قبل الميلاد • ويعتقد ان المرجل كان من الغنائم الحربية ؛ استحضر الى الدنمرك ثم القى كقربان نذري في مستنقع للخث حيث تم انتشاله • والمرجل مصنوع من الواح فضية منقوشة ببراعة (وقطره ٧٠سم)• تحكي زخارفه الغزيرة من صور آلهة وحيوانية ومخلوقات اسطورية قصة لم



٣



٤

٥

نفهم بعد معناها • ولم يزل العلماء يحاولون تفسير مناظرها ؛ والتعرف على الشخصيات المصورة عليها ، من قبيل صورة الانسان صاحب الخوذة ذات القرنين (٥) • ويرى بعض الثقات

في هذا المحارب صورة كوشولين الباسل ، البطل البارز في العالم الكلتي القديم • وعلى احدى اللوحات صورة انسان بقرني وعل ؛ جالسا القرفصاء (كثيرا ما قيل انه يماثل اله الكلت « كرنونوس » ذي القرنين) وقد امسك طوقا للعنق باحدى يديه ، وثعبانا باليد الأخرى • ومن بين المخلوقات المرافقة له سمكة ، دلفين ، يركبها انسان • وفي منظر آخر (٣) احد الآلهة يلقي باحدى الضحايا في دلو ؛ عرفه البعض بانه « مرجل الرخاء » الكلتي • ولمة اله آخر (٤) يلوح بحيوانين ، يغلب ان يكونا تنينين •

ان ثمة تأثيرا كلتيا قويا يتجلى بوضوح على المرجل نفسه في صناعته عنصر اجنبي من التقاليد العالية •

وانكب العلماء على دراسة هذا الوعاء الفاخر سنين طويلة ؛ وثبت الآن انه لا ينتمي الى غرب اوربا الكلتية ، ولكنه قد خرج من ورشة ممتازة في العالم الكلتي الشرقي ، ربما في داشيا او المجر ؛ والتأكيد من بلد قد الف المفاهيم التي كانت لدى كلت الغرب •

ومن بين الكنوز التي قدمتها البلاد المتاخمة للعالم الكلتي مجموعات الأواني الفخارية الرائعة التي استخرجت من الروابي التي تضم المدافن في سوبرون بالمجر ؛ ويرجع تاريخ هذه الأواني الى أواخر القرن السابع قبل الميلاد • وهي ليست رائعة لأنها مصنوعة من مادة قيمة ، وانما لأنها مزينة بصور محفورة تتيح لنا رؤية ما يجري داخل الحياة اليومية لشعب عاش واشتغل في هذه المنطقة البديعة التي يبدو أن الكلت من الشرق ومن الغرب قد التقوا عندها وطوروا اسلوبهم الفني المتميز •

وتلقي قدور سوبرون ضوءا على الثياب والأنشطة لدى شعب هالستات الأوروبي • وتضيف لمسة انسانية على هياكل علم الآثار العارية وعالم الأساطير المشوش • فعلى هذه الأواني نرى رجالا يتقاتلون ؛ لابسين سراويل من الطرز الشائعة لدى البرابرة ؛ وكذا المعطف الفضفاض الخاص بكلت لاتين في العصر التاريخي • ونرى أيضا نساء يتقاتلن مرتديات تنبات نسطية بديعة التفصيل ، ويستعملن اسلوب القتال الأزلي المعروف بين النساء ، وهو شد الشعور •

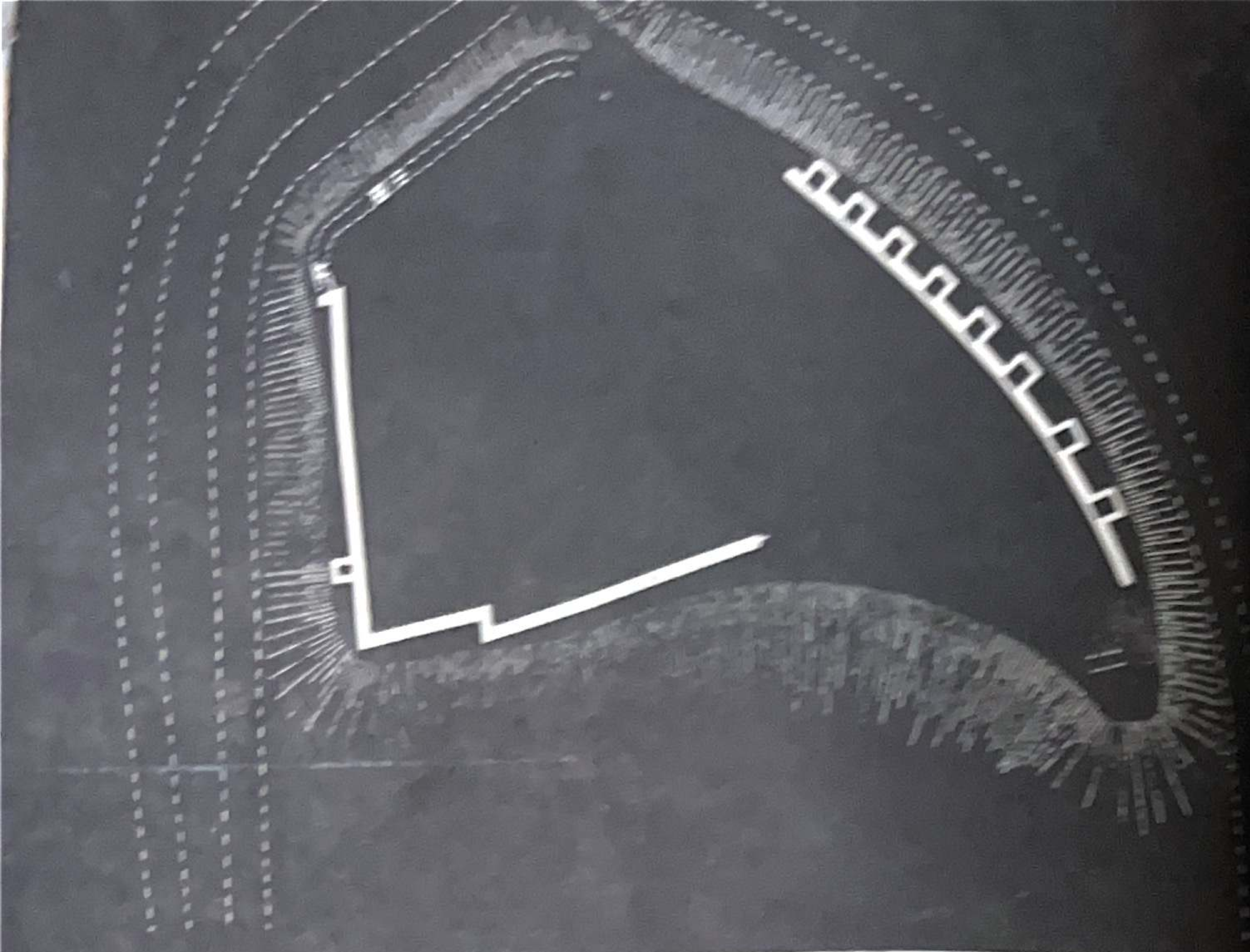
وثمة عاشقان يفترقان على مضض ؛ ونساء بشعور مجعدة يرتدين أثوابا بخطوط على شكل حرفA ؛ تحتها سراويل من طراز فيكتوريا ، مزينة بأجراس ، ويزاولن الغزل والنسج ؛ ونساء اخريات يرقصن وقد رفعن أذرعتهن في نشوة ؛ كالراقصات الباديات في تماثيل نوفي أن سولياس ؛ البرونزية الصغيرة التي كانت في معبد دروبدي على ضفاف اللوار ؛ بعد ذلك الحين بخمسمائة عام (انظر الصفحتين ١٨ و ١٩) • وثمة امرأة تعزف على اللير (القيثارة) ؛ وهي آلة موسيقية كلتية محبوبة ، حسبما تقول الآداب الاغريقية والرومانية• وهناك مع ذلك امرأة أخرى ترتدي تنبة بالية على شكل الناقوس ؛ وسراويل ضيقة محكمة ؛ تمتطي صهوة حصان قد تقوس ظهره من الارهاق • ونشهد ايضا منظرا جنازيا به تابوت باربع عجلات •

ولا يجوز المغالاة في تقدير قيمة هذه القدور المجرية لأنها تنتمي الى عصر لم تكن فيه الكتابات الكلاسية قد بدأت بالفعل في ملء السجلات الأثرية . عصر لم يبق منه الا النزر اليسير من المنسوجات ـ باستثناء المكتشفات الثمينة من ثياب وأدوات في مناجم الملح بهالستات ـ بحيث تتيح لنا أن نتصور الثياب التي كانت تكسو الهياكل العظمية التي تلفظها الأرض على مضض •

ولم يقصر الكلت نشاطهم ونفوذهم على الحدود



قلاع الكلتيين التي تحدت يوليوس قيصر





الى اليمين سور قلعة دون انجوس الضخم فى جزيرة اينشمور بايرلنده ؛ وتقع القلعة على جبل ارتفاعه حوالى مائة متر على شاطىء البحر . وقد حصنت بثلاثة جدران من ناحية البر لحمايتها من اى هجوم قد تتعرض له . اما من ناحية البحر فانها من المناعة بحيث يكاد يكون من المستحيل الاستيلاء عليها . وفضلا عن ذلك انشأ اهالى دون انجوس الكلتيون « غابة » من الاحجار بين السور الخارجى والسور الأوسط ؛ مما زاد من مناعتها . (ويرى فى الصورة جانب من السور الخارجى) وتشغل القلعة وتعزيزاتها حوالى ٤ هكتارات .

« اوبيدا » . وهى مدن هجرها سكانها او استبدلوا بها أخريات فى اماكن اخرى فى عهد الرومان . وقد فعلوا ذلك لأسباب اقتصادية او أسباب تتعلق بتعديل سبل المواصلات . ومن هذه المدن مدينة « بيراكت » التى تعرض سكانها للنفى فى عهد العاهل الرومانى اغسطس ونقلوا الى مدينة أخرى سميت باسمه ، وهى تسمى الآن « اوتون » ، وتقع فى وادى آرو .

ولم يبق من هذه المدينة الا كنيسة صغيرة وسوق كانت مشهورة ؛ ثم اغلقت منذ بضع عشرات من السنين .

ولقد ازدادت معالم مدن الغال وضوحا بفضل تعليقات قيصر والنتائج التى أسفرت عنها أعمال التنقيب عن الآثار القديمة .

ومن أهم هذه المدن مدينة « فيزونتيو » التى تسمى الآن « بيزانسون » بفرنسا . وكانت فيما سلف عاصمة اقليم سيكوانى ؛ ومحصنة تحصينا طبيعيا منيعا ، اذ كان نهر « دو » محيطا بها من ثلاث جهات ؛ كما كان أحد الجبال يحميها من الجهة الرابعة .

ولقد أحاطوا الجبل بجدار سميك جعله شبيها بقلعة تحمى المدينة القائمة عند سفحه . وقد وصف قيصر هذه المنطقة وصفا دقيقا صادقا يعترف بصدقه ودقته كل من يشاهد المنطقة من قمة حصن من الحصون القائمة على مشارف «بيزانسون». ولقد كشفت الحفريات فى اواسط المدينة عن بعض آثار الكلتيين ؛ مثل بقايا من البيوت الخشبية والأوانى الفخارية والأدوات المنزلية وغيرها .

ومن أهم مدن الغال التى كشفت عن اعمال التنقيب مدينة « بيراكت » فى منطقة قبيلة « اودوى » ، وقد كانت عاصمة هذه المنطقة واكبر مدنها واغناها .

وامتازت هذه المدينة بخصائص ومزايا هامة ؛ فاتخذها قيصر مقرا لقيادته العامة فى السنة الأخيرة من اقامته فى بلاد الغال ؛ رغم الرياح والعواصف التى كانت تجتاحها أحيانا . وكانت تقع على تل يبلغ ارتفاعه حوالى ثمانمئة متر . وتمتاز بمواصلات جيدة بينها وبين أودية الرون والساءون واللوار .

ولقد بدأت فى القرن التاسع عشر الميلادى أعمال التنقيب عن الآثار فى هذه المنطقة التى تبلغ مساحتها حوالى مئة هكتار . تتخللها اودية

صغيرة واخاديد وينابيع . وكانت المنطقة مطوقة بجدار قوى من الأخشاب والأحجار ؛ حفر امامه خندق عميق ؛ متبعا لتقاليد الكلتيين وعاداتهم .

وكان للمدينة ابواب او بوابات مفضية الى شوارع تقوم المساكن على جوانبها ، واحياء متنوعة ، منها على سبيل المثال حى شعبى ملىء بالأكواخ والأزقة والحارات ؛ وحى لصناع الحديد والبرونز والزخارف وما الى ذلك .

ومن مساكن المدينة ايضا بيوت أخرى اكبر حجما واوسع رقعة وارحب ؛ تبدو عليها سمات الفن المعمارى السائد فى منطقة البحر الأبيض المتوسط ، والمشابه لما كان موجودا فى مدن الاغريق والرومان خاصة . وكان سكان هذه البيوت من طائفة النبلاء ؛ مثل الفرسان وغيرهم وفى ضواحى المدينة ومرتفعاتها أسواق من الخشب وابنية أخرى للتجار .

ويعتقد علماء الآثار أن بعض الأبنية كانت مخصصة للشئون الادارية ، وأنها شبيهة بمنشآت المداولات الرومانية . وكانت تحتوى على معبد من معابد الكلتيين . وقد استأنفت المعابد والأسواق العمل بالتقاليد الكلتية بعد انسحاب الرومان من المدينة فى عهد أغسطس العاهل الرومانى . وكانت هذه التقاليد سائدة فى « بيراكت » المدينة الشهيرة فى بلاد الغال .

ولقد أدت أعمال التنقيب عن الآثار فى مدينة « بيراكت » الى تكوين صورة هامة لطراز المدن الغالية ؛ ولكنها صورة لم تبلغ بعد حد الكمال . لأن الآثار التى امكن العثور عليها لم تكن سوى آثار الحقبة الأخيرة من حقب تاريخ المدينة ؛ اى الحقبة التى تلت انتهاء حروب قيصر فى بلاد الغال . وامتدت الى الوقت الذى اعيد فيه تنظيم هذه البلاد فى عهد العاهل الرومانى اغسطس . وفى أثناء السنوات الأولى من العصر المسيحى . وقد فقدت المدن الغالية استقلالها أثناء تلك الحقبة ، ولكنها تمتعت بالرخاء والسلام طوال عشرات من السنين ؛ فوجدت بذلك شيئا من العزاء والتعويض عن فقدان الاستقلال والحرية . ومع ذلك لا يسعنا الا أن نتساءل أكانت هذه الفترة فترة تقدم وازدهار أم فترة تأخر وانحطاط . فترة الأضواء الأخيرة لحضارة آيلة الى الغروب والزوال .

ولقد تحدث قيصر فى تعليقاته التاريخية عن مدينة أخرى هى مدينة « أفاريكوم » التى تسمى الآن « أبورج » ، فقال ان هذه المدينة كانت محاطة بعدد من المستنقعات وحائط من الأحجار والأخشاب ، مثل الحوائط التى عثر المنقبون عليها فى مناطق تمتد من بريتانى الى بافاريا . ولقد اندثرت المنشآت الكلتية وحلت محلها تحصينات العهد الرومانى وعهد القرون الوسطى .

وفى مدينة « اليزيا » التى اشتهرت بمعركة تاريخية حاسمة نشبت بين قيصر «وفرسايختوركس» قائد جبهة الغاليين أماط المنقبون اللثام عن آثار هامة يرجع تاريخها الى فترة الحصار الذى ضربه



الى اليسار صورة اسطوانة كلتية من البرونز تعتبر لغزا من الالغاز التى حيرت العلماء، حتى انهم لم يستطيعوا الى الآن معرفة الغرض من صنعها . وهى تتميز بوجه قبيح المنظر وعينين جاحظتين وفم فاغر عريض . ويرجع تاريخها الى القرن الأول او الثانى الميلادى . وقد حفظت فى المتحف البريطانى . وعثر العلماء على اسطوانات اخرى مماثلة فى ايرلندة .

الرومان القرى حول هذه المدينة ، كما عثروا على حائط من حوائط التالبين ، وبقايا من مدينة « البزيا » الرومانية ، من بينها معابد ومصانع ومساكن اثرية . ولقد حلت هذه المدينة الرومانية محل المدينة الكلتية التى لم يبق من معالمها الا القليل .

ولقد وصف قيصر مدينة « البزيا » وصفا وجيزا ولكنه صادق ودقيق ؛ اذ قال : تقع البزيا على تل يجرى نهران على جانبيه من جوانب قاعدته ؛ ويمتد واد كبير امام المدينة وعبر الجوانب الاخرى ، وتحيط بالمدينة تلال عالية .

ولقد تجاوز عالم الكلتيين حدود بلاد الغال التى احتلها قيصر فى القارة الاوربية . ورأى قيصر – اثناء غزوه بعض المدن البريطانية – عددا من المعاقل الكلتية ، كانت مدنهم المحصنة مشابهة لتلك التى رآها فى اوربا ، مع فروق محدودة ، الا ان بعض القرى التى صارت فيما بعد مدنا رومانية لا تشبه معاقلها معاقل بلاد الغال ؛ مثل القرية التى تسمى الآن « سانت البانز » ؛ ومدينة القرى اسيا الصغرى « كولشستر » . ولقد اثبتت صحة قوله هذه الآثار التى امكن العثور عليها فى بلاد الغال من الفترة التى سبقت العهد الرومانى .

ولقد وجد المنقبون عن الآثار عددا كبيرا من القرى والمدن المحصنة التى يرجع تاريخها الى عصر الكلتيين فى المناطق الواقعة شرقى الرين حتى « كارينثيا » ، والمناطق المطلة للدانوب حتى بوهاسيت ؛ وكذلك فى بوهيميا ومورافيا ، ولاحظوا انها مشابهة للقرى والمدن المحصنة التى رآها قيصر فى بلاد الغال .

ولقد اتاح لنا التنقيب عن الآثار منذ ستة عشر عاما التعرف على حصون ما تشبه القرية من المولستاد فى بافاريا ؛ والتى كانت على ما يحتمل عاصمة الكلتيين الفندليكيين ، ثم هجرها سكانها حوالى سنة ١٥ قبل الميلاد فى الوقت الذى كانت كتائب الرومان تشق فيه طريقها عبر جبال الألب اثناء الحرب التى سميت باسم هذه الجبال ، حتى استولت على الجزء الشمالى من المنطقة .

ولقد اقام الرومان مركزا اداريا فى مدينة « اوجستا فانديليكوم » التى تسمى الآن « اوجسبورج » ، وكانوا لا يعرفون اسم الحصون التى اكتشفناها فى هذه المدينة ؛ كما لم يعرفها الذين عهد اليهم انشاء حصن فيها ، اطلقوا عليه اسم « فالاوم » ، وهى كلمة لاتينية تعنى مبنى تحيط به جدرانه ؛ مثل الجدران التى تحيط بالمدينة .

اما مدينة « مانتشنج » فهى محصنة مثل « فانديكوم » ؛ وتقع بجوار نهر الدانوب على مقربة من الطريق المطل النهر ، والمجاور لانهار وجداول الشرق نحو تحصين المدينة . ولكن اهم عناصر التحصين جدار القيم حول المدينة بخندق حفر امام جانبه الخارجى . وتبلغ مساحة المدينة وحصونها حوالى ٣٨٠ هكتارا .

والمدينة اربعة ابواب ، يخترق الذى منها مرور بعد محاذيا لنهر الدانوب ومارا ببعض الثانى ، ويتفرع باب آخر على هذا النهر المشهور الذى ذاكه ان الناس كانوا يستخدمونه الآن للسفر والملاحة والتجارة . اما الباب الرابع فهو يفضى الى طريق تؤدى بدورها الى مناجم الحديد القريبة من الطريق والمشهورة بانتاجها .

ولقد واجهت عمليات تشييد المدن والقرى المحصنة مصاعب واضطرابات قبل التخلى عنها فى القرن الثانى من الميلاد . وكانت ابواب الحصون وجدرانها مشيدة من الحجارة والاخشاب على طريقة الكلتيين ؛ ومزودة بممرات ضيقة مستترة لاصطياد المهاجمين والغزاة من الاعداء . كما كانت الحوائط مبنية على نمط الجدران الغالية التى وصفها قيصر فى تعليقاته على الغزوات التى قام بها فى بلاد الغال .

ولقد دلت اعمال التنقيب على وجود منطقة داخل الحصون اعدت لاستقبال من يلجأ اليها من الاهالى طلبا للامان والوقاية من الاخطار فى اوقات الفتن والحروب .

ويشتغل السكان بالزراعة والصناعة ، مثل صناعة الحديد والسروج والعربات والاوانى الزجاجية ، وهى صناعة يدوية فى اغلب الاحيان ، ولقد يحتشد اصحاب المهنة الواحدة فى شارع او حى واحد ؛ ويتخذون منه مقرا لمصانعهم وحوانيتهم .

ولم يكتشف علماء الآثار حتى الآن المصانع التى كانت تصنع الاوانى الفخارية فى « مانتشنج » ، وربما كانت المصانع والافران موجودة فى اماكن مجهولة خارج حوائط الحصون . ولقد عثر بعض العلماء على آثار فى وسط احدى المدن المحصنة يحتمل ان تكون آثارا لساحة مداولة كالساحات الرومانية ، او لمعبد من المعابد فى ذلك العصر .

ولاحظ العلماء ايضا اختلافات فى التخطيط والتنظيم داخل مدينتى « مانتشنج » و « ديراكته » ، ولكنهم اكدوا الاهتمام بالتخطيط فى المدينتين ، وتقسيمهما الى احياء محددة وواضحة المعالم .

وقالوا ان هذا التخطيط الحسن قد تناول المدن الكبيرة فى بلاد الغال وفى بلاد اخرى ايضا ، وقد تم تنفيذه تبعا لخطة موضوعة . وقد عرفوا ذلك من نتائج التنقيب عن الآثار فى « هرازلى » بالقيم وهيسيا ؛ وفى « ستاريه هرادسكو » بمنطقة مورافيا . ولاحظوا وجود انماط مشابهة للانماط التى كانت متبعة فى مانتشنج .

ومن الجدير بالذكر ان الحضارة المعمارية فى بلاد الكلتيين خلال القرنين الثانى والاول قبل الميلاد قد اتسمت بطابع واحد عام . ولقد نجم عن اتصال الكلتيين بحضارات البحر الابيض المتوسط تطوير الصناعة والتجارة فى بلادهم واستخدام الاساليب الفنية الجديدة والتعامل بالنقد بدلا من المقايضة بالسلع وتغيير الانماط المعمارية .

وهنا قد يجدر بنا ان نتساءل : هل اتصل الكلتيون بالجنوب اى بفرنسا ، او هل كان للقبائل الكلتية القبة فى شمال ايطاليا اثر فى هذا الشأن ؟ .

الحقيقة هى ان الجدل لا يزال قائما حول هذه المسألة حتى الآن ، ولكن الشيء الذى لا ريب فيه هو ان انشاء المدن المحصنة الكلتية قد تأثر بحضارة الاغريق والرومان .

ومع ذلك فان مصير هذه المدن فى المنطقة الفاصلة التى كان الكلتيون يقيمون فيها خلال الحقبة الاخيرة من تاريخهم قد تغير واختلف تبعا لاختلاف المناطق والعصور .

ففى الغال الرومانية تخلى الكلتيون عن عدد من هذه المدن المحصنة لان مركزها الجغرافى والجيولوجى لم يعد مناسبا للاوضاع الجديدة . ولكن مدن اخرى محصنة بقيت قائمة حتى العصر الرومانى والقرون الوسطى ؛ بل حتى ايامنا الحاضرة .

ومن بين هذه المدن باريس وبورج وبيزانسون واميان وبال وغيرها .

ولقد اختفت المدن المحصنة واندثرت كلها فى المنطقة الشرقية من نهر الرين . ولم يبق اى منها بعد العصر الرومانى والقرون الوسطى . ويبدو ان اثر الحضارة المعمارية فى هذه المناطق كان اقل منه فى بلاد الغال التى غزاها يوليوس قيصر .

مراجع اخرى

عن الكلتس

Everyday Life of the Pagan Celts
By Anne Ross
Batsford, London, and Putnam's, New York, 1970

Pagan Celtic Britain
By Anne Ross
Routledge and Kegan Paul, London, and Columbia University Press (USA) 1967

Women of the Celts
By Jean Markale
Gordon Cremonesi, London, 1975

Art of the European Iron Age
By J.V.S. Megaw
Adams and Dart, Bath (U.K.) 1970

The Celts
By Duncan Norton-Taylor and the Editors of Time-Life Books
Time-Life International, 1974.

The Celts
By T.G.E. Powell
Thames and Hudson, London, 1968

A Celtic Miscellany
(Translations from the Celtic Literatures)
By K.H. Jackson
Penguin Books, London (Revised edition, 1971)

Ancient Irish Tales
By T.P. Cross and C.H. Slover
Allen Figgis, Dublin, 1969.

The Celtic Realms
By M. Dillon and N. Chadwick
Weidenfeld and Nicolson, London, 1967

The Druids
By Stuart Piggott
Thames and Hudson, London, 1968

Pattern and Purpose in Celtic Art
By Sir Cyril Fox
National Museum of Wales, Cardiff, 1958

رسائل القراء

مغامرات ميكروبوس المكروبى

لقد استمتعنا استمتاعا كاملا بعدد مجلتكم « أيها الميكروب ، شكرا من العلم ورفاقنا بصحتك الى الأبد » (سبتمبر ١٩٧٥) وتهانئى لفريق تحرير مجلتكم ، ولقد كان مما يلفت النظر بنوع خاص علماء الميكروب المتآزرون الذين اسهموا فى توضيح هذه الموضوعات المعقدة فى عبارات بسيطة يستطيع فهمها الشخص العادى . ومرحى ايضا للمسلسلات الهزلية الذكية ؛ فان مقال « مغامرات ميكروبوس الميكروبى » يروق للقراء الصغار والكبار على السواء ، ويستخدم كمرشد نافع لعلم الأحياء المجهرى » . وانا اعرف ان الصغار سيجدون انفسهم مستمتعين فى حماسة ، وهذا الحكم نتيجة لرد الفعل لدى ٢٥ من اطفال المدرسة الصغار الذين اتصل بهم اتصالا منتظما .

أ٠ جوبالو
كونديه ، والين ٠ دى كابرى

الغجر فى العالم المعاصر

انى اخالف بشدة بعض وجهات النظر المعبر عنها فى مقال « الغجر : اقلية فى مفترق الطرق » (يناير ١٩٧٥) ؛ فاننى عظيم التقدير للطريقة التى نجح بها الغجر فى المحافظة على ذاتيتهم الثقافية ؛ وطريقة حياتهم البدوية ، واستقلالهم طوال قرون اتصالهم بشعوب العالم الغربى . ان الغجر فى رأيى رمز للحرية ؛ انهم يمثلون « هابيل » ازاء « قابيل » الذى نمثله نحن . فلماذا هذا التصميم العنيد لقتل هابيل باجباره على الاستقرار ، وتعليمه القراءة والكتابة .

انى اوافق على ان الأمية عقبة ، ولكن الغجر ينجحون بصورة طيبة جدا فى كسب معاشهم دون معرفة القراءة والكتابة ؛ فى حين انهم يحققون عملا فذا فى المحافظة على تقاليدهم فى عالم مغاير لهم جوهريا ، ومعاد لهم تقريبا . فلنعاونهم بكافة الوسائل على تعلم كيفية القراءة والاحصاء اذا كانوا يرغبون فى هذا ولا نجبرهم على الاستيطان . ولنحترمهم ونحافظ على استقلالهم وثقافتهم وتقاليدهم التى قد تكون غريبة عنا ، ويغلب ان يكون بلوغها متعذرا علينا ؛ ولكنها مع ذلك تشكل جزءا من التراث البشرى .

الدكتور ريمى دورالد
كومبين ؛ فرنسا

اراء لاس كازاس

قرات المقالين المنشورين (فى عدد اغسطس ١٩٧٥) عن بارثلومى دى لاس كازاس باهتمام ، اذ ان كثيرا جدا مما قاله وحاول عمله يمكن تطبيقه فى الوقت الحاضر ، وخاصة فيما يتعلق بالتحرر وحق كرامة الانسان لا فى امريكا اللاتينية وحدها .

ومع انتشار وسائل الأعلام بالاضافة الى تزايد الانتقال فان مستوى الاطلاع يتزايد بسرعة حتى فى اقصى المناطق واشدها فقرا .

والخطوة التالية هى توضيح الحاجات الحقيقية للشعوب وآمالها ؛ ويعقب ذلك عمل فعال لتحقيقها ، ومع ذلك فان هذه مشكلات صعبة وحساسة ؛ اذ ان الموارد الضرورية قد لا توجد ، او على الأقل تبدو كذلك ، وربما لا تتعاطف بعض السلطات مع هذه المشاركة الأكبر من جانب الجماهير التى ترى فيها تهديدا لمركزها .

ومما يدعو اذن للتشجيع ان الأمم المتحدة نفسها ؛ بوصفها منظمة ذات حكومات متعددة ؛ كانت فى وقت ما تؤيد بقوة حسنات التخطيط الاجتماعى ، اعنى نظاما يدخل فى اعتباره حاجات الشعب الحقيقية ، ويستخدم الموارد المتاحة استخداما ملائما . ان هذا تتضمنه على نحو رائع مفاهيم « الطريقة الموحدة » لمعهد البحث عن التنمية الاجتماعية التابع للأمم المتحدة .

ولقد دعمت اقتراحات اليونسكو الخاصة بالوثائق تدعيما جيدا ؛ كما دعمت اقتراحات منظمة الصحة العالمية فيما يتعلق باهمية اعضاء الهيئات الطبية وتدريبهم ؛ والرعاية الصحية بالريف ، والدراسات القيمة الشاملة التى تقوم بها منظمة العمل الدولية لعام العمل العالمى ١٩٧٦ .

ولكن هذه الاقتراحات لا تستطيع ان تحقق شيئا ، فهذا يقتضى من كل حكومة ؛ كيفما كان موقف الجماهير ؛ مؤيدة او دافعة لها ، ان تقوم باية اجراءات تكون ضرورية لتحقيق مستويات محسنة ؛ اذا تجاوزنا ذكر المثل العليا التى ينشدها لاس كازاس .

والنى كخريج فى الدراسات العليا للتخطيط الاجتماعى ادرك بصورة متزايدة وثاقة الصلة بين وجهة النظر هذه وبين الحاجة الحيوية الى الموافقة عليه ، اذ لا يليق باى منا ان يرفضه .

ج٠ الدوسن
لندن ؛ المملكة المتحدة

التراث الظالم للرق الافريقى

حقيقة ان الأفكار العظيمة تشكل اساس كل تغير تاريخى ، وحقيقة ايضا ان معظم الأفكار العظيمة ذات جوانب ايجابية وسلبية على السواء ؛ وتقع افكار بارثلومى دى لاس كازاس فى هذه الفئة .

اقول فى الدفاع عن هنود امريكا الأسبانية ان لاس كازاس كان يحارب من اجل قضية عادلة ، كما يؤكد المؤرخ « انجل لوسادا » (فى عدد اغسطس ١٩٧٥ من رسالة اليونسكو) . ومع ذلك يجب التسليم بان هذا الكفاح من الوجهة التاريخية قد جاوز حدود الدفاع الضيقة عن حقوق الهنود ؛ وانتهى باستنزاف فاجع لسكان افريقيا .

وحين يدافع لاس كازاس عن « الزواج المختلط بين المستعمرين الأسبانيين والهنود ، وعن السماح لكل اسرة بان تاخذ معها رقيقا اسود او رفيقين اسودين » فان كان ينشد فى الحقيقة تحسين نصيب الهنود ؛ ولكنه فى الوقت نفسه يحيى الرق الأسود فى العالم الجديد . وفوق ذلك فانه هو نفسه سمح بهذا وتاسف لأفكاره فيما بعد .

وتكشف تقويم افكار لاس كازاس اليوم من ان جوانبها السلبية ترجح كثيرا جوانبها الايجابية ، ومضمون عمله الشرعى والسياسى يسمو على بيئة الروح التجارية الأسبانية التى انبثق منها . ويوجد اليوم مؤرخون متخصصون فى حياة لاس كازاس وفكره ، ولكن فى كوبا وهايتى ؛ حيث شن لاس كازاس نضاله ، فان آثار الهنود الوحيدة لا توجد اليوم الا فى متاحف علم الانسان . وليس الهنود الذين يعيشون فى المكسيك وبيرو وفنزويلا الا مجموعات تشكل اقلية محرومة . اما بالنسبة للسود فى امريكا فهم لا يزالون يحملون عبء تراث العبودية الظالم .

ميوئيل برنارد
مونتريال ؛ كندا

مذكر ام مؤنث ام جنس ثالث !

ان عدد مجلتكم الممتاز « تحرير المرأة » قد شوهه مقال السيد آرون بلكين « مذكر ام مؤنث ام جنس ثالث » الذى يطالب فيه بمعرفة الأدوار الصحيحة والملائمة التى ينبغى ان يقوم بها الذكور والاناث . ويصر على ان الآباء يجب ان يعملوا كرجال . « اقوياء وشجعان وصارمين ؛ وذوى عزم » . ويجب ان تعمل الأمهات كنساء « رقيقات لطيفات ؛ متفهمات » . ويرتكب السيد بلكين ايضا فظاعة سيكولوجية بموازنته بين ادمان الخمر وتعاطى المخدرات باعتبارها اشياء ضارة وخطيرة ، وبين الشذوذ الجنسى الذى يراه غير ذلك .

ويبدو لى ان النقطة فى اى نوع من التحرر ، سواء كان سياسيا او جنسيا ؛ هى ان الناس يجب ان يكونوا احرارا بقدر المستطاع وهذا يتضمن رجالا واهنين ونساء قويات وشواذ جنسيا .

ستان كوهيس
ريفرسايد ؛ كاليف ٠ الولايات المتحدة الأمريكية

عامنا الثامن والعشرون

ان العدد الأول من « رسالة اليونسكو » الذى احمله عليه عبارة « العام السابع » ، وامامى عدد هذا الشهر ، فى العام الثامن والعشرين . انه سجل لطيف : واننى لأعتز بكثير من الأعداد ، وليس اقلها العدد الذى كرستموه « للانسان والطبيعة » فبراير ١٩٥٨) .

ان مجلتكم عظيمة فى قراءتها ؛ وفى مشاهدتها ايضا ، والحروف التى تطبعها ذات صدى فى مشاعرى ؛ فلعلكم تستمرون .

ت٠و٠ سمرز
اوكسفورد ٠ المملكة المتحدة

من هنا و هناك

الذكرى السنوية الثلاثون للأمم المتحدة

وجه السيد أحمد مختار امبو المدير العام لليونسكو بمناسبة الذكرى السنوية الثلاثين لتأسيس هيئة الأمم المتحدة رسالة الى السيد كورت فالدهيم السكرتير العام للأمم المتحدة ، تكلم فيها عن « مولد قرار انقاذ الأجيال المتعاقبة من كارثة الحرب التى نشبت مرتين فى حياتنا ، وجلبت محنة لا حد لها على الجنس البشرى .. » وصرح السيد أحمد مختار امبو بأن « الأمم المتحدة تواصل رسالتها بعد مضى ثلاثة عقود وتستمد قوتها من ايمان راسخ بالجنس البشرى » .

« فمنذ ثلاثين عاما كنا فى بداية حركة الاستقلال الكبرى للشعوب الخاضعة للاستعمار ولم يكن أحد يتخيل فى ذلك الوقت أن تقدم الجنس البشرى الطويل نحو الكرامة والعدالة سيقود الشعوب الى مسألة العلاقات التقليدية بين الدول فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية كما تفعل فى الوقت الحاضر .. » .. « ونحن نعرف الآن أن الجماعة الدولية اذا كانت ترغب فى مساعدة هذه الشعوب التى لا تستطيع تزويد نفسها بالوسائل الضرورية لتنميتها الخاصة ؛ واقامة علاقات عادلة حقيقية بين الدول السائدة ؛ فانها يجب أن لا تعمل أقل من اعادة توازن شامل للموارد ، ولامكانيات الجنس البشرى العقلية والمادية ؛ وذلك بتغيير جذرى للتنظيمات الحالية للتعاون بين الدول .. » .

المعونة لعملية انقاذ مونيجودارو

منحت جمهورية ألمانيا الاتحادية ٣٧٥٫٠٠٠ دولار لحملة اليونسكو الدولية للمساعدة فى انقاذ مونيجودارو ؛ وهو موقع مدينة حضارة وادى نهر السند القديمة فى باكستان ؛ ويرجع تاريخها الى ٥٠٠٠ عام . وبقايا مونيجودارو العتيقة الرائعة مهددة بدمار تام من جراء التآكل بالأملاح وبفيضان نهر السند . وتعد باكستان واليونسكو عملا تحضيريا للمحافظة على الموقع . وتهدف حملة اليونسكو الى تدبير خمسة ملايين دولار .

مظاهر الموسيقى الآسيوية المتعددة

سجلت روائع الموسيقى الشعبية والتقليدية من ١٤ دولة آسيوية على اسطوانات فونوغرافية للأطفال . أصدرها بعد جهد مركز الثقافة الآسيوى للأطفال لليونسكو فى طوكيو . وهناك نتاج مشترك لمركز طوكيو و ١٥ دولة من أعضاء اليونسكو ؛ يشتمل على ثلاث اسطوانات بستريوفونية لأغان وموسيقى آلية من : أفغانستان ؛ وبنجالادش ؛ واندونيسيا ، واليابان ، وكوريا ؛ ولاوس وماليزيا ؛ ونيبال ؛ وباكستان ؛ والفلبين ، وسنغافورة ، وسرى لانكا اوتايلاند ، وفيتنام والمقصود منها تقدير أفضل للمظاهر المتعددة للموسيقى الآسيوية ؛ ومن ثم تسهم فى التفاهم الدولى . والمقصود منها بنوع خاص أن تستخدم فى مدارس آسيا الابتدائية والثانوية . والاسطوانات مشروحة فى كتيب يصف الموسيقى التقليدية ؛ وآلات كل دولة . وقد نشر مركز طوكيو فى العام الماضى كتابى أطفال ناجحين للغاية تحت عنوان « قصص شعبية من آسيا » فى مجهود نشر مشترك ، اسهمت فيه ١٨ دولة .

مرحبا باليونسكو

رحب مركز استعلامات الزائرين بالمقر الرئيسى للمنظمة ترحيبا حارا بالجماهير التى ترغب فى التعرف على اليونسكو وبرنامجها . وقد قدمت برامج المعلومات العامة والمتخصصة دون مقابل وبكل اللغات لأطفال المدارس والتلاميذ والاتحادات المهنية والثقافية الخ ، عن تاريخ اليونسكو ؛ وتكوينها ؛ والمجال الواسع لأنشطتها . أما أولئك الذين يرغبون فى رؤية وسماع المزيد عن اليونسكو عن طريق الحديث والمناقشات والأفلام فعليهم أن يكتبوا او يتصلوا تلفونيا بالمنظمة لطلب البرنامج الذى يمكن أن يخطط خاصة لمطالبهم .

اعادة الكشف عن قرطاجة

يبين فيلم تلفزيونى جديد لليونسكو هو « اعادة الكشف عن قرطاجة » كيف تقوم حملة دولية أثرية برعاية اليونسكو بجعل قرطاجة القديمة ، المدفونة الآن تحت ضاحية لمدينة تونس ، ترى الضوء . وقد أنتج بالتعاون مع معهد الآثار والفن التونسى الوطنى الفيلم الملون ١٢ دقيقة ؛ ١٦ مم (مترجم الى الانجليزية والفرنسية والروسية والعربية) ؛ وهو متاح بقسم الاستعلامات السمعية والبصرية فى اليونسكو بميدان دى فونتنوى ٧٥٧٠٠ باريس (فرنسا) .



عمليات الأمم المتحدة للمحافظة على السلام العالمى

لقد عملت الأمم المتحدة فى كثير من المناسبات على وقف القتال او المساعدة فى تصفية المنازعات السياسية . ان هذا الطابع الفخرى لعمليات الأمم المتحدة للمحافظة على السلام أصدرته ادارتها البريدية فى ٢١ نوفمبر ١٩٧٥ . وهو يبين وردة برية انخلعت بصورة طليقة من الأسلاك الشائكة ، والطابع يحتفى بذكرى عمل بعثات المراقبة العسكرية التابعة للأمم المتحدة وقوات المحافظة على السلام فى انحاء كثيرة من العالم .


لمحات

* لقد أنتجت فى الولايات المتحدة الأمريكية سلالة من البكتيريا قادرة على أكل انواع الزيت لاستخدامها فى القضاء على البقع الزيتية .

* لا يزال سوء التغذية هو السبب الأساسى فى وفيات الأطفال فى دول العالم الفقيرة ، حيث يموت ما بين ٢٥٪ و ٣٠٪ من جميع الأطفال قبل اليوم الرابع من مولدهم : وهذا ما ورد فى تقرير صندوق رعاية الطفولة التابع للأمم المتحدة .

* لدى نيجيريا ٨٧ من أندية الشباب التابعة لليونسكو ؛ ولدى بنجالاديش أكثر من ٤٠ ناديا فى سبيلها لتكون اتحادا فيدراليا وطنيا .

* تنتج الآن سبع عشرة دولة آسيوية أكثر من نصف الأفلام الروائية الطويلة بعنوان « الاتصالات العالمية » . قامت اليونسكو بعملية مسح فى مئتى دولة لوسائل الأعلام الجماهيرية .



سمات الحيوانية فى الفن الكلتى

ان رأس هذا الطائر المصنوع من البرونز يعد مثالا للفن الكلتى ؛ وهو جزء من مقبض كان ينتج ابان عهد الحضارة الكلتية المعروفة باسم « لاتين » التى اشتهرت خلال القرون الأربعة الأخيرة قبل العصر المسيحى . ويشتمل الفن الكلتى الزخرفى صورا حيوانية رائعة مثل الخنازير البرية والخيل والكلاب والخراف والأيائل ، وكثير من انواع الطيور ، كانت كلها مبجلة عند الشعوب الكلتية ؛ وهى مشغولة بالمعادن ، وخاصة الذهب والبرونز والفضة . وقد ابتدع الحرفيون الكلتيون بعضا من اعظم الأشغال اصالة وصقلا من الفن ؛ التى لا تشبه غيرها من الآثار العتيقة . وراس الطائر المعروض هنا كان مدفونا فى مالوميريث بالقرب من برنو (بتشيكوسلوفاكيا)، وهو الآن فى متحف مورافسكى فى برنو (انظر المقال ص ٣٢) .

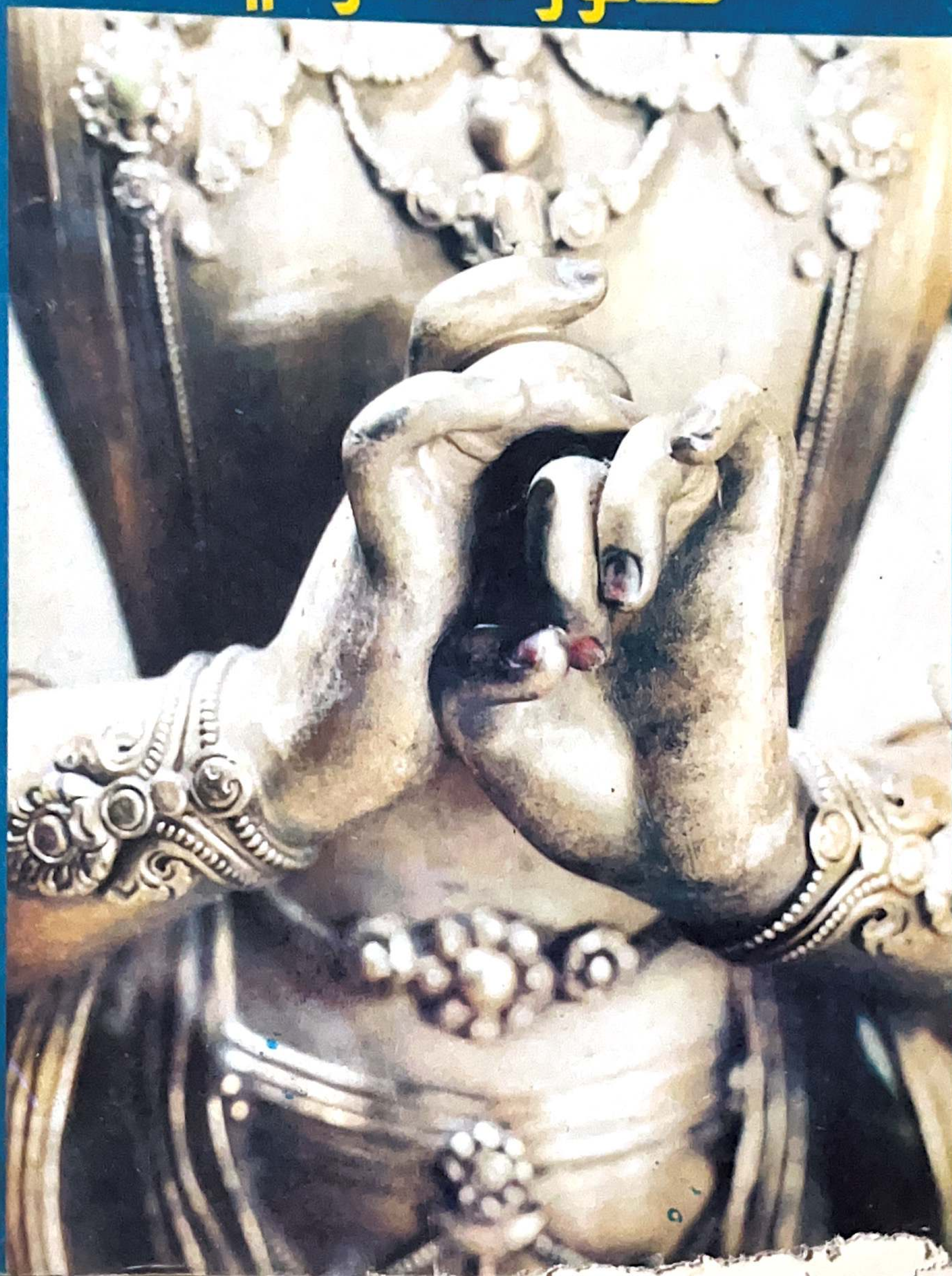
تصوير ارتش لسنج . ماجنوم ؛ باريس

رسالة اليونسكو

العدد ٢٩٨ مارس ١٩٨٦
الثمن ٢٥ قرشا

مذنب هالي
سلطان اللغة
الزرافة التى أهدتها مصر إلي فرنسا
متحف بيكاسو

كنوز منغوليا



حياة الشعوب

٤٣ لوكسمبورج

صور بلا حدود

اقيم في مدينة لوكسمبورج من ١١ ديسمبر/كانون الاول الى ٦ يناير/كانون الثاني معرض عنوانه « صور بلا حدود » . وقد نظم المعرض بالتعاون مع اللجنة الوطنية لليونسكو بلوكسمبورج، ومنظمة « فيزيون سان فرونتير » Visions sans frontières وشركة « آر تي إل برودكشونز » « RTL Productions » اللتين عرضتا اعمال عدة مصورين فوتوغرافيين، ومنهم إدوارد شتايشن (١٨٧٩ - ١٩٧٣) الذي ولد في لوكسمبورج. وقد أقيم هذا المعرض بمناسبة اجتماع للخبراء عقد بناء على مبادرة من اليونسكو وخصص لمجال الصور الثابتة. وكان من بين الأعمال التي عُرِضَتْ صور فوتوغرافية لدومينيك روجيه، وخاصة تلك الصورة التي يشاهد فيها رسم للأطفال، والتي التقطت في بكين في ١٩٨٤ عند إقامة معرض لليونسكو في قصر الشعوب.

رسالة اليونسكو
نافذة على العالم

مارس / آذار ١٩٨٦
السنة التاسعة والثلاثون

إفتتاحية العدد

في اواخر القرن التاسع عشر اكتُشِفَتْ في آسيا الوسطى « بقايا مدينة ضخمة تحرسها فيما يبدو سلحفاة هائلة من الحجر ». وكانت تلك مدينة قَرَهْ قُرُم عاصمة الامبراطورية المغولية التي اسسها جنكيزخان في القرن الثالث عشر ودرة التراث الثقافي والفني الحافل بمنغوليا ايام الخانات ؛ وهي الامبراطورية التي ساد نفوذها الضخم تاريخ آسيا الوسطى بأسرها وامتد الى آسيا الصغرى وشرق اوروبا.

وفي هذا العدد من رسالة اليونسكو يجد القارىء عرضا مجملا لروائع هذه الحضارة المغولية القديمة، وذلك بالاضافة الى مجموعة منوعة من الموضوعات التي تمس بطريقة او بأخرى نشاط اليونسكو في عدة مجالات. ففي مجال الفن، ترد مقالة عن معرض بيكاسو الرائع الذي فُتح في باريس في العام الماضي، ومقالة أخرى عن الرسام الشيلي العظيم روبرتو ماتّا بمناسبة المعرض الذي خُصّص لاعماله مؤخرا في متحف الفن الحديث بمركز جورج بومبيدو بباريس.

وهناك أيضا « سلطان اللغة » وهو الموضوع الذي ينتمي الى مجال العلوم الاجتماعية والانسانية، وقد تناولته مقالة تجمع بين العمق والوضوح بقلم كلود هاجيج الذي يُعد من ألمع اللغويين الفرنسيين الشباب في الوقت الحاضر. اما إليزابيت بادنتر، وهي فرنسية بدورها، فقد كتبت مقالة طرحت فيها مشكلة تشغل الأذهان، الا وهي مشكلة تطور العلاقات بين الجنسين في الغرب.

كما تضمن العدد موضوعين هامين من موضوعات الساعة في مجالي التعاون الثقافي والاتصال بين الشعوب، وهما مذنّب هالّي ونفق المانش. ومما قد يندرج في مجال الثقافة، قصة ممتعة عن الزرافة التي اهداها حاكم مصر في سنة ١٨٢٥ الى ملك فرنسا ؛ وقصة أخرى مثيرة عن كائن غامض لا يحده الزمان وإن كان ثمرة لزواج ثقافي امريكي لاتيني، الا وهو التانجو. ثم يُختتم هذا العدد، كغيره من اعداد سنة ١٩٨٦، بركن مخصص للسنة الدولية للسلام.

صفحة الغلاف الأولى : مقطع من تمثال بوذا « فايروتشانا » من البرونز المذهّب (ارتفاعه ٧٢ سم وعرضه ٤٦ سم). وهو من عمل النحات المنغولي زانابازار (القرن السابع عشر). ومما يلفت النظر خاصة إشارة اليدين الرمزية او الـ « مُدرا » حيث يرفع هذا البوذا التانتري - الذي يُعتقد انه يستأصل الغباء والجهل - سبابة يده اليسرى. ويوجد هذا التمثال في متحف الفنون التشكيلية بأولان - باتور عاصمة جمهورية منغوليا الشعبية.

الصورة مقتبسة من جـ. زانابازار، النحات المنغولي الشهير. © قسم مطبوعات الدولة، اولان - باتور، ١٩٨٢.

صفحة الغلاف الرابعة : ملصق صممه الفنان الفرنسي آلان لوباوان في سنة ١٩٨٥ ؛ وهو يباع لصالح صندوق اليونسكو للتراث العالمي.
تصوير : © اليونسكو

تصدر الطبعة في القاهرة في نفس الوقت الذي تصدر فيه عن مقر اليونسكو في باريس وذلك تحت اشراف مركز مطبوعات اليونسكو بالقاهرة ١ شارع طلعت حرب القاهرة

رئيس المركز : د. السيد محمود الشنيطي

رئيس التحرير : إدوار جليسان

مجلة شهرية تصدرها في اثنين وثلاثين لغة منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، اليونسكو.
٧ ميدان فونتنوا، ٧٥٧٠٠ باريس.

العربية	اليابانية	الفواتيمية	الكورية	الصينية
الفرنسية	الايطالية	البرتغالية	السواحلية	السويدية
الانجليزية	الهندية	التركية	الفلمنكية	الباسكية
الأسبانية	التاميلية	السنهالية	الكرواتو - صربية	التاية
الروسية	اليونانية	الأوردية	التلغوية	
البلغارية	الفارسية	الكطالونية	الصربو - كرواتية	
الألمانية	العبرية	الماليزية	السلوفينية	

وتصدر من أجل المكفوفين طبعة فصلية بطريقة برايل، باللغات الفرنسية والانجليزية والأسبانية والكورية.

ISSN 0304 - 3215
N° 3 - OPI - 86 - 432 Ar



أعلاه: صورة فوتوغرافية عالجها الحاسب الإلكتروني بعد أن أرسلتها مركبة الفضاء «جيوتو» التابعة لوكالة الفضاء الأوروبية عندما التقت بمذنب هالي في ساعة مبكرة من صباح ١٤ مارس/آذار ١٩٨٦ وقد التقطت الصورة من على ارتفاع ٢٥٠٠٠ كم تقريبا من نواة المذنب.

على موعد مع مذنّب هالّي

بقلم: هوارد براين

ثماني مركبات فضائية مُحمّلة بأجهزة شتى (إحداها أطلقتها وكالة الفضاء الأوروبية، واثنتان منها أطلقهما الاتحاد السوفييتي، واثنتان أخريان أطلقتهما اليابان، وثلاثة أطلقتها الولايات المتحدة) تبدو وكأنها مجموعة من النبلاء يؤدون رقصة مهيبة كما ينبغي في البلاط الملكي. فهي ترسم بحركاتها في الفضاء أشكالا متشابكة في أضخم مظاهرة فلكية دولية مشتركة عرفها التاريخ. ألا وهي مظاهرة دراسة مذنب «هالي».

ويجدر بالذكر أيضا أن ثمة شبكتين فضائيتين تتضمن مهمتهما ملاحظة المذنب المذكور وأن المناظير الفلكية على سطح الكرة الأرضية ستستخدم في إجراء مراقبة مستمرة لمساره. ويشترك في هذا البحث قرابة ٩٠٠ من علماء الفلك المتخصصين من سبعة وأربعين بلدا.

فما هو سر هذا الاهتمام كله بما أسماه الفلكي الأمريكي المحنك فريد ويبل «كرة ضخمة قذرة من الثلج»؟

والإجابة عن هذا السؤال هي أن علماء الفلك يعتقدون أن المذنبات تتكون من بقايا لبنات البناء المتخلفة من مولد النظام الشمسي منذ حوالي ٤٦٠٠ مليون سنة. وأن تلك المذنبات تحتوي في طويتها المتجمدة سجلا لتاريخ النظام الشمسي.

واليوم، ولأول مرة في التاريخ، أصبح في مقدورنا - بفضل عبقرية عالمين انجليزيين هما إسحاق نيوتن وإدموند هالي وبفضل منجزات تكنولوجيا الفضاء الحديثة - أن نسجل أحد تلك اللقطات الخاطفة المتجمدة. ذلك أن مذنب هالي هو المذنب النشيط الوحيد الذي يمكّنه مداره من أن يقترب نسبيا من الأرض (ففي هذه المرة التي تعد المرة الثلاثين بين مرات ظهوره المسجلة، سيقترب من كوكبنا بمقدار ٦٢ مليون كيلومتر). وقد أمكن تحديد مدار المذنب بقدر من الدقة يسمح بالتخطيط العلمي المفصل قبل إجراء البحث بمدة طويلة. كما أن تكنولوجيا الفضاء قد بلغت لأول مرة درجة من التقدم تمكننا من أن نخرج إلى المذنب فننفذ وراء الحجاب الذي يفرضه الغلاف الجوي للأرض، بدلا من أن ننتظر قدومه إلينا. وأن ننفذ إليه من خلال ذُؤابته (coma) (انظر معنى الكلمة فيما يلي). وأن نرقب نواته عن كثب، وأن نحلل مكوناته ذاتها. وهي إذن تمكننا بالاختبار من أن نعرف العناصر التي تكون منها نظامنا الشمسي.

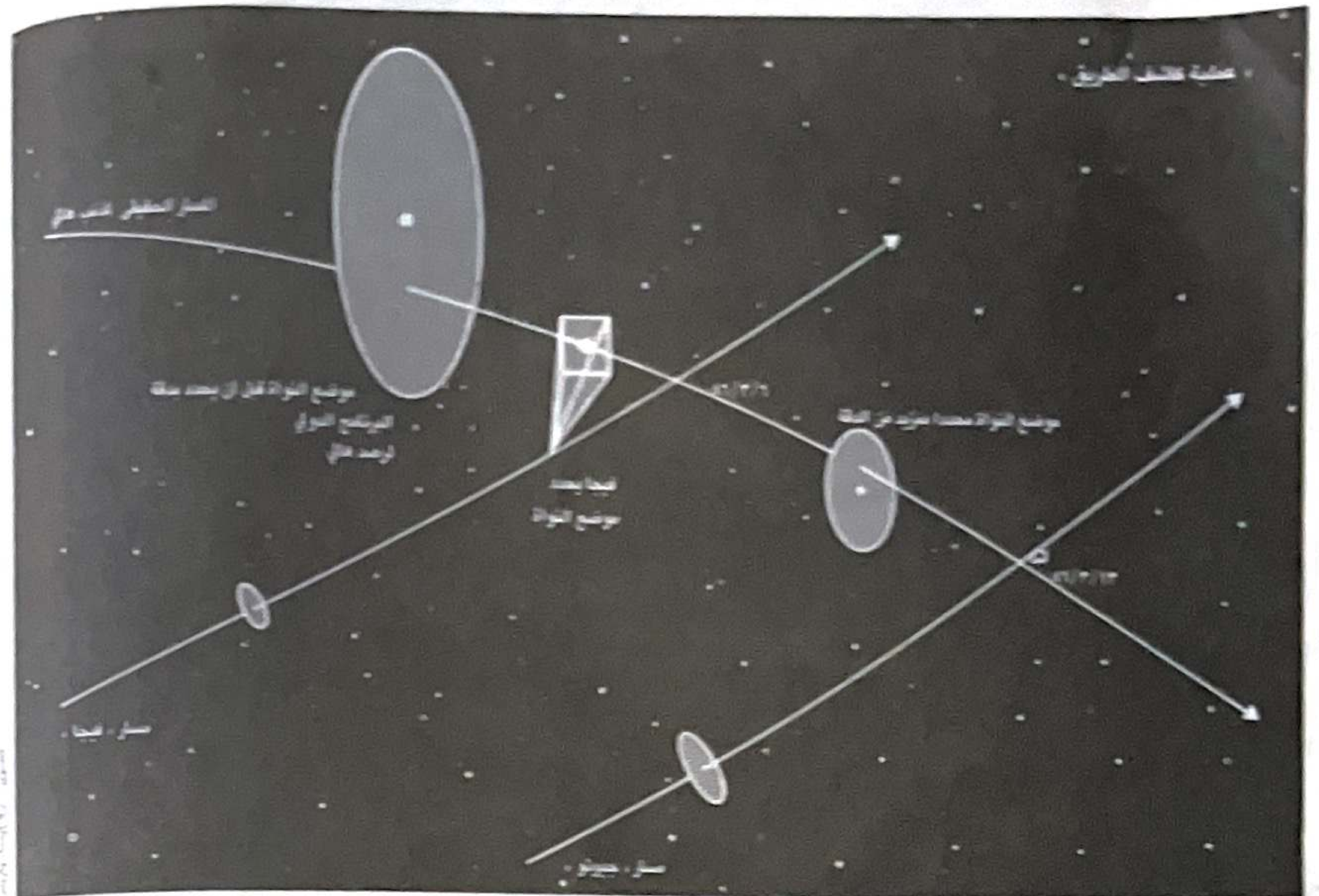
وفي ١٩٥٠ افترض عالم الفلك الهولندي يان هندريك أورت أن المذنبات تنشأ أصلا من سحاب ضخم يتكون من مئات الملايين من الأجسام المذنبية (ويعرف الآن باسم سحاب أورت) ويدور حول النظام الشمسي على بعد سنة ضوئية. ومن المعتقد أن نواة المذنب تتكون من الغبار وقطع من الصخر أو المواد المعدنية بنسبة ٢٥٪ تقريبا ومن الثلج بنسبة ٧٥٪، حيث تمتزج مركبات تتضمن النشادر (الأمونيا) والميثان وثاني أكسيد الكربون. ويتراوح قطر النواة في زهاء السبعين مذنبا التي أمكن حتى الآن تسجيل بيانات علمية كافية عنها بين نصف كيلومتر و٧٠ كيلومترا.

ويحدث بين حين وآخر أن تثير نجمة عابرة موجة من الجاذبية في سحاب أورت، فتتناثر نتيجة لذلك «كرات الثلج القذرة» وتنطلق في الفضاء. وتدخل بعض هذه الكرات الثلجية أو ما يسمى بالمذنبات «قصيرة المدة» مثل مذنب هالي نحو النظام الشمسي وتصبح نتيجة لشد جاذبية أعضاء فيه وتقطع دورتها حول الشمس فيما يقل عن مائتي سنة. أما المذنبات «طويلة المدة» فقد تقطع دوراتها المدارية في ملايين السنين. ويبلغ عدد المذنبات التي تكتشف كل سنة خمسة مذنبات في المتوسط.

ومن المعتقد أن الغشاء الخارجي من نواة المذنب يتكون من الغبار بصفة رئيسية. فعندما يقترب مذنب من الشمس ويغدو منها على بعد ثلاث وحدات فلكية (تساوي الوحدة الفلكية المسافة بين الأرض والشمس، أي قرابة ١٥٠ مليون كيلومتر)، تسخن هذه القشرة الخارجية ويأخذ الثلج الكامن تحت سطحها في التصعيد (وهي عملية تتحول فيها المادة الصلبة إلى بخار مباشرة دون أن تمر بحالة السيولة). وينبثق الغاز الناتج عن ذلك من المذنب حاملا معه جزيئات من الغبار فتتكون الذؤابة، أي السحاب الغازي المشوش، وتمتد على مسافة قد تصل إلى مائة ألف كيلومتر فتحجب النواة عن أبصارنا.

ومع اقتراب المذنب من الشمس يتكون له ذيلان: ذيل مقوس ضارب إلى الصفرة، ويتكون من جزيئات الغبار الناجمة عن التصعيد، وسيل من الغاز ضارب إلى الزرقة يسمى ذيل البلازما، ويتكون عندما تتشحن الغازات المنبثقة من نواة المذنب بالإشعاع الشمسي. ◄

عالم الفلك الانجليزي إدموند هالي (١٦٥٦-١٧٤٢) الذي حسب مدارات عدد كبير من الكواكب، وكان أول من تنبأ بأن المذنب هالي سيعاود الظهور، وذلك بعد أن شاهده في عام ١٦٨٢. وها هو المذنب يعود من جديد بحيث يُشاهد هذا العام على مسافة قصيرة من الأرض (وهذه هي المرة الثالثة التي يحظى فيها بمشاهدة عودته)



يظهر في الرسم التخطيطي أعلاه مسار التابع الصناعي « جيوتو » الذي أطلقته وكالة الفضاء الأوروبية (إيسا) (انظر التعليق على الصورة صفحة ٢٨) ومسار أحد التابعين الصناعيين السوفييتيين « فيجا » اللذين اخترقا مذنب هالي في مارس/آذار ١٩٨٦. ولكي يتاح لجيوتو أن يقترب إلى أقصى حد من نواة المذنب التي لا يُعرف موقعها على وجه الدقة لأنها مغطاة بكميات هائلة من غبار المُذنَّب وغازه، وافق علماء الفلك السوفييت على أن يخطروا إيسا بالمعلومات المستقاة من أجهزة التصوير المحمولة على متن مركبتي الفضاء « فيجا » اللتين ستلتقيان بالمذنب قبل التقاء جيوتو به. كما قدمت الناسا (الإدارة الوطنية الأمريكية لشؤون الملاحة الجوية والفضاء) مساندتها إلى مجموعة الوكالات الثلاثة التي تشترك في هذه العملية المسماة « Pathfinder » (كاشف الطريق) والتي ترمي إلى الحد من عدم اليقين في توجيه جيوتو.

وفي غضون بضعة شهور، أي بعد جمع كل البيانات اللازمة، ستكون قد قفزنا قفزة هائلة إلى الأمام في معرفتنا لطبيعة المذنبات ولنشأة النظام الشمسي. بيد أنه لا ينبغي أن ننسى أن الفضل في هذه القفزة لن يرجع إلى عبقرية علماء الفلك المحدثين وحدهم، فهو يرجع أيضا إلى الجهود التي بُذلت على نحو لم يسبق له مثيل في إطار التعاون الدولي.

وفي ٦ مارس/آذار ١٩٨٦ اخترقت مركبة الفضاء السوفييتية فيجا ١ التي أُطلقت في ١٥ ديسمبر/كانون الأول ١٩٨٤ ذؤابة مذنب هالي على مسافة ٩٦٠٠ كيلومتر تقريبا من النواة، وصورت الغازات التي تحيط بها. أما أخوها التابع الصناعي فيجا ٢ فقد لاقى مذنب هالي في ٩ مارس/آذار ١٩٨٦، وحلّ ذؤابته.

وفي مارس/آذار ١٩٨٦، التقت بمذنب هالي مركبة الفضاء اليابانية ساكيجاكي (أي « الرائد »)، وقاست سرعة وحرارة الريح الشمسية التي تهب على المذنب. في حين مرّ رفيقها سويساي (أي « المذنب ») في ٨ مارس/آذار ١٩٨٦ بمذنب هالي على بعد ١٤٤٠٠٠ كيلومتر ودرس سحاب الهيدروجين الضخم الذي يحيط بالمذنب.

وثمة أدوار ثانوية تؤديها على سبيل المساندة مركبات الفضاء الأمريكية المحنكة بايونير ١٢ وسولار ماكس وأيس (International Cometary Explorer : Ice) (مستكشف المذنبات الدولي). إذ يتعين على مركبة بايونير ١٢ أن تصرف انشغالها عن مهمتها الطويلة الأجل والمتمثلة في مراقبة تأثير الرياح الشمسية على كوكب الزهرة، وأن تركز جهازها الخاص بقياس الطيف على مذنب هالي أثناء وجوده عند نقطة الحضيض (الفترة التي يكون فيها المذنب أقرب ما يمكن من الشمس) وبعدها. وفي الوقت نفسه تدرس سولار ماكس ذيلي المذنب - ذيل الغبار وذيل البلازما، لمقارنة مشاهداتها مع المشاهدات التي أجرتها أيس في سبتمبر/أيلول الماضي على ذيل المذنب جياكوبيني - زينر.

أما آخر جندي في الميدان فهو التابع الصناعي جيوتو الذي أطلقته وكالة الفضاء الأوروبية، وربما كانت مهمته في هذا الصدد مهمة « انتحارية »، ذلك أن أقل خطأ يرتكب في حساب مساره قد يؤدي إلى اصطدام جيوتو بسطح المذنب. وثمة أخطار أخرى إذا أمكن تفادي ذلك الخطر. فقد يكون المذنب محاطا بسحاب من الجزيئات، وقد يكون بعض هذه الجزيئات من الضخامة بحيث تلحق بالتابع من الأضرار ما يودي به. وتوخيا للحيطة، غُطي جيوتو بغشاء خارجي من الألومينيوم، وصنع غلافه الداخلي من الكفلار (Kelvar)، وهي المادة التي تصنع منها السترات الواقية من طلقات الرصاص.

وقد سمي التابع الصناعي جيوتو باسم الرسام الفلورنسي جيوتو دي بوندوني، الذي عاش في القرن الرابع عشر والذي صور مذنب هالي ضمن لوحته الحائطية « ملوك المجوس يسجدون للطفل يسوع »، بعد أن شاهد ظهوره سنة ١٣٠١. وقد أُطلق التابع جيوتو في ٢ يوليو/تموز ١٩٨٥ وحُدد مساره بالاستناد إلى بيانات مستقاة من مركبتي فيجا السوفييتيتين. وسيحاول الاقتراب بمقدار ٥٠٠ كيلومتر من نواة المذنب، فيفحص المواد المتدفقة منها ويرسل الصور إلى الأرض كل أربع ثوان.

وقد لا يكتب للتابع جيوتو الصمود لأخطار الاقتراب من المذنب هالي؛ ومع ذلك فإنه إن دمر سيكون قد أسهم بقسط وافر من البرنامج الدولي لرصد هالي (International Halley Watch) الذي ربما كان أشد المشروعات الفلكية الدولية تعقيدا على الإطلاق. ولا شك أن العلماء عندما يشرعون في دراسة المعلومات الغزيرة التي يرسلها أسطول الفضاء، سيشعرون بحضور عَلَمين عظيمين من أعلام الماضي يقفان من ورائهم ويحدقان بإمعان في النتائج المحصلة؛ وهما إسحاق نيوتن، الذي وضع أول نظرية صالحة للتطبيق عن مدارات المذنبات، والآخر إدموند هالي الذي طبق تلك النظرية على المذنب الذي سمي باسمه بعد أن رآه عام ١٦٨٢، وتنبأ على وجه الدقة بأنه سيعود بانتظام كل ست وسبعين سنة، وبذلك مهد الطريق للمغامرة العجيبة التي نعيشها الآن. ■

هوارد برابين، كاتب وصحفي بريطاني يعني بصفة خاصة بتبسيط العلوم. وهو يقيم في باريس، وكان مسؤولا لفترة طويلة عن تحرير الطبعة الانجليزية من « رسالة اليونسكو ».

الزرافة التي أهدتها مصر إلى فرنسا

بقلم : جورج بواسون

بعد سقوط نابليون وعودة الملكية الفرنسية، شغل منصب القنصل العام لفرنسا بالقاهرة دبلوماسي يتمتع بشخصية طريفة لطيفة هو برناردينو دروفيتي. وكان بيمونتي المولد ومن كبار هواة الآثار المصرية. وكانت مقتنياته في هذا الميدان هي النواة الأولى لمتحف اللوفر وتورينو وبرلين. وذات يوم من سنة ١٨٢٥ سمع دروفيتي نبأ أثار أشجانه وأحلامه فقد عرف أن موكريك، أحد حكام السودان، قد أهدى محمد علي باشا والي مصر زرافتين حديثتي السن.

وكان جو العلاقات بين فرنسا ومصر في ذلك الوقت ملبدا بالغيوم، فقد عاونت القوات المصرية الأتراك في سحق ثورة اليونانيين بجزيرة شيو عام ١٨٢٢. وكان الشباب في فرنسا يتوقدون حماسا لاستقلال اليونان الذي تغنى به فيكتور هوجو في شعره وديلاكروا في لوحاته. ولما كان دور الدبلوماسي في المقام الأول هو بالطبع تهدئة الخلافات بين البلدين، فقد تذكر دروفيتي أن من تقاليد ملوك مصر إهداء هذا الحيوان العجيب الذي هو الزرافة للملوك الذين يريدون تشريفهم. ومن ثم طلب الملك شارل العاشر هذه الهدية الغريبة كوسيلة لتلطيف الجو، فلم تكن فرنسا قد شاهدت زرافة من قبل.

وقبل محمد علي عن طيب خاطر أن يقدم هذه الهدية. لكن الخبر تسرب إلى قنصل بريطانيا العظمى، فتقدم على الفور بطلب مماثل لتحقيق نفس الغرض. فقد كانت العلاقات بين مصر وبريطانيا العظمى سيئة تماما؛ وكان محمد علي قد أمر قبل ذلك بفترة وجيزة بقطع رقاب بعض الرعايا البريطانيين وبتعليق رؤوسهم على أسوار القاهرة، وهو الأمر الذي أدى إلى الاستياء في البلاط الملكي في بريطانيا.

ولما كان محمد علي يدرك أهمية الاقتراحين، فقد قرر، وكأنه سليمان الحكيم، أن يهدي كلا من البلدين إحدى الزرافتين على أن يختار كل من القنصلين زرافته بالقرعة. وبعد ذلك بأيام قليلة كتب دروفيتي إلى وزيره بارون دمشق ليزف إليه النصر الذي أحرزه، فقال:

« يسعدني أن أنهي إلى سعادتكم أن الحظ قد واتانا. فالزرافة التي جاءت من نصيبنا قوية البنيان شديدة الحيوية. أما تلك التي آلت إلى ملك انجلترا، فيبدو عليها السقم ولا يمكن أن تعيش طويلا ».

وهذا ما حدث بالفعل: فقد ماتت زرافة الانجليز بعد بضعة شهور. وبذلك انتصرت فرنسا على انجلترا نصرا مؤكدا حتى ولو لم يكن كافيا كانتقام من هزيمة واترلو.

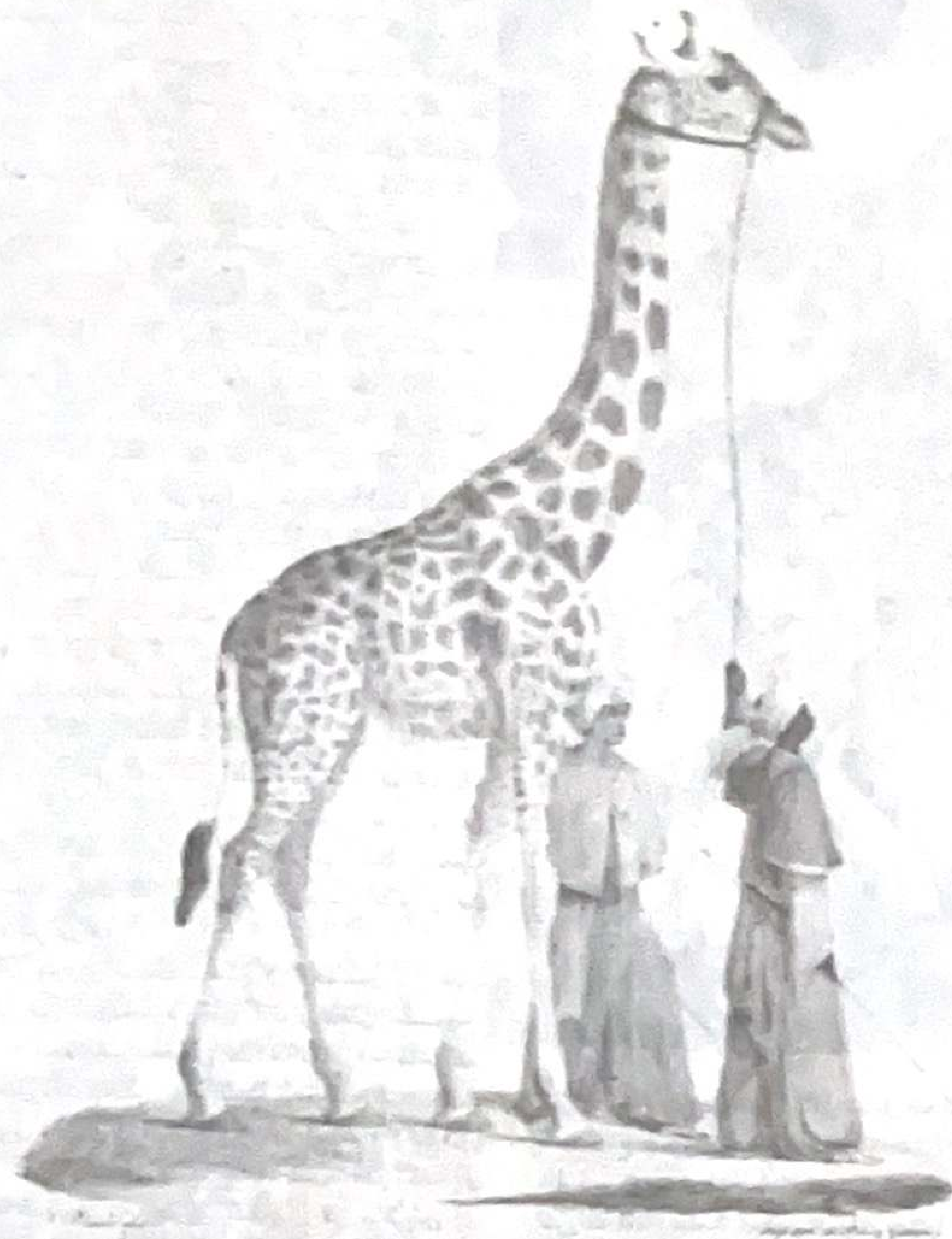
ولم يبق إذن إلا شحن الزرافة إلى فرنسا. فأعد دروفيتي الرحلة إعدادا دقيقا. ووجد بميناء الاسكندرية سفينة شراعية من سردينيا تحمل اسم « الأخوان »، وتعهد قبطانها بأن يعامل الزرافة كما لو كانت ابنته. ونظرا لأن مخزن السفينة لم يكن من الارتفاع بحيث يكفي لإيواء الزرافة، فقد فُتحت ببساطة ثغرة في سطح السفينة، وبذلك استقرت الزرافة في القاع وخرجت رأسها من الثغرة بعد تبطينها بالقش لوقاية الزرافة من هزات الموج. كما أقيمت فوق رأسها مظلة لوقايتها من المطر.

ولكن كيف يمكن إطعام هذا الحيوان الذي يتناول ٢٥ لترا من اللبن يوميا؟ من هنا قرر دروفيتي شحن ثلاث بقرات حلوب. وأضاف إلى الشحنة ظبيتين وسائسا لحلب البقر وثلاثة حراس سودانيين، لكي تشعر الزرافة بأنها لم تفارق موطنها وأهلها. واستكمالا لتلك التدابير، رُئي الاحتياط من الشر، فكان أن عُلّق في عنق الزرافة حجاب يتضمن آيات من القرآن الكريم لحمايتها من كل سوء. ولم يفت دروفيتي أن يكتب إلى زميله بوتو وكيل الخارجية بمارسيليا ليقدم له كل النصائح اللازمة بشأن التدابير التي ينبغي اتخاذها لتوفير السكن والغذاء للزرافة عند وصولها إلى مرسيليا.

ثم أقلعت السفينة. وفي ١٣ اكتوبر/تشرين الأول رست في ميناء مرسيليا بسلام، إلا ما كان من دوار البحر الذي أصاب إحدى البقرات. وكان من الطبيعي أن يُنقل كل ركاب السفينة إلى منطقة الحجر الصحي على حافة الميناء. وانتهز السيد فيلنوف - بارجيمون محافظ المنطقة فترة الحجر ليعد العدة لإقامة الاستقبال اللائق بالهدية السنية.

وكانت هذه هي المرة الأولى التي يُكلّف فيها محافظ بمثل هذه المهمة. فأولاها كل اهتمامه بل وحماسه. ولم يكن يليق بتلك المهاجرة المميزة إذن إلا أن تُستضاف في مبنى المحافظة ذاتها، فأقيم في الفناء حديقة مسورة وكوخ مرتفع يناسب الرقبة الطويلة ومزود بأجهزة التدفئة ويتصل بطابقي المبنى. وتقرر أن تقضي الزرافة الشتاء بهذا المكان، فما كان لها أن تنتقل إلى باريس إلا مع تحسن الطقس. وحرص المحافظ على أن يرفع تقريرا إلى وزير الداخلية يطلعه فيه على كل التدابير التي اتخذها... دون أن يغفل بطبيعة الحال مسألة تسديد التكاليف التي لم يُنص عليها في الميزانية الإدارية.

وفي ١٤ نوفمبر/تشرين الثاني، نُقلت الزرافة من الحجر الصحي إلى مبنى المحافظة ليلا، خشية التجمهر والتظاهر. وحرص السيد المحافظ طيلة الأشهر السبعة التالية على السهر بكل حدب على راحة ضيفته التي كان يتغزل بها في مراسلاته الرسمية فيصفها بقوله « ربيبتي » أو « غادة السهوب الاستوائية ». أما زوجة المحافظ فكانت



يمثل هذا النقش القديم أول زرافة وصلت حية إلى فرنسا. فقد أرسلها حاكم مصر محمد علي باشا هدية إلى الملك شارل العاشر. وكان عمرها سنتين ونصف السنة، ويبلغ ارتفاعها « اثني عشر قدما ». وقد رُسمت في « حديقة الملك » (حديقة النباتات الحالية بباريس) في يوليو/تموز ١٨٢٧، أي بعد وصولها إلى العاصمة الفرنسية بفترة قصيرة.

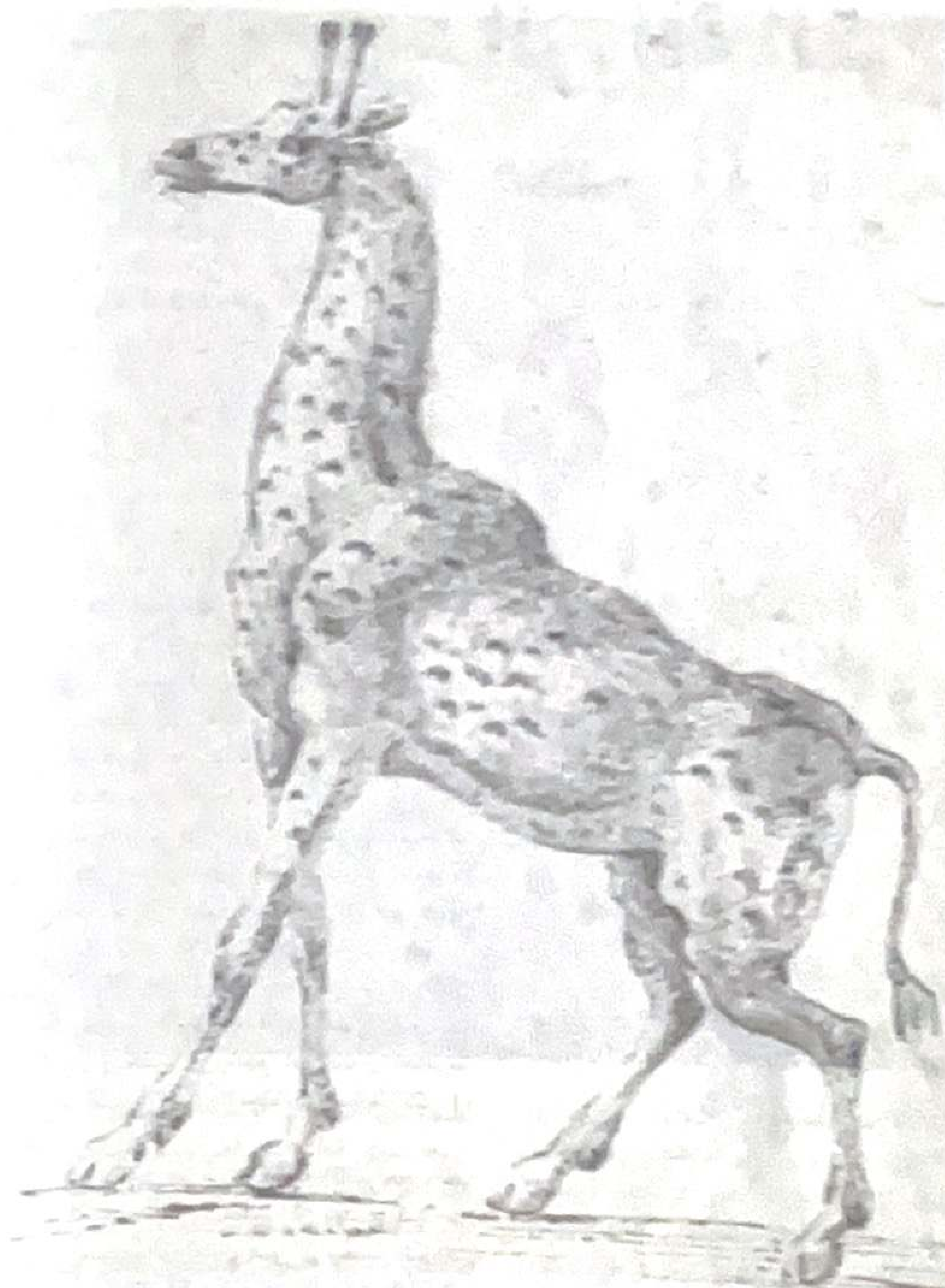
تصوير © مكتبة متحف التاريخ الطبيعي، باريس

▶ تقيم الحفلات تكريمًا للحيوان العجيب على الشاطئ الراقي بالقنابل، وفي أحد الحفلات عزفت الفرقة الكتيبة موسيقيا بتراقص ليلًا حول الشاطئة الزرافة وتسجل سلوكها بالتفصيل. وكان صحب الزرافة يدهشهم إذ اكتشفوا أن الحيوان صاحب الرقبة الطويلة ليست له حبال صوتية. وفي الوقت نفسه قرر المحافظ أن تتاح للزرافة فرصة الخروج للتريض حتى تحتفظ بلياقتها البدنية. وكان ذلك مشهدًا عجيبًا لسكان مرسيليا: ففي كل يوم كان فرسان الشرطة يخرجون على صهوات خيولهم شاهرين سيوفهم ليفسحوا الطريق أمام الزرافة التي تمشي بجلال في شوارع المدينة فتثير لدى السكان العظم السرور وتثير الخيل التي كانت تثور وتجمح من ذي العطر العجيب التي تجرها!

ولكن الملك كان يريد « زرافته » على وجه السرعة. فما إن هلت بوادر الربيع حتى طُرحت من جديد مشكلة النقل: كيف يمكن لحيوان أن يسافر من مرسيليا إلى باريس؟ هل يجري ذلك بحرًا بالدوران حول إسبانيا ثم الصعود إلى باريس عن طريق نهر السين؟ إنها رحلة لا تقل طولًا عن رحلة الزرافة عبر البحر المتوسط. أم هل يجري نقلها بالملاحة النهرية عن طريق الرون والسون والسين؟ وتقدم السيد جوليان - صاحب السيرك المتجول - بعرض لنقل الزرافة. ولكن اقتراحه لم يحظ بالموافقة. وأخيرًا استقر الرأي على أن تسافر الزرافة إلى باريس سيرًا وعلى مراحل صغيرة، إذ إنها كانت قد تعودت على السير. ولما كانت القافلة تتطلب رجلا مجربا لقيادتها طُرح الأمر على أحد كبار علماء فرنسا وهو العالم جيوفروا سانت - هيلير. فقد اشتهر بنظريته عن « توازن الأعضاء » وكان من قدامى علماء الحملة الفرنسية. ولعله كان الفرنسي الوحيد الذي وقعت عيناه على زرافة.

كان جيوفروا سانت - هيلير في الخمسين من عمره ويعاني من الروماتيزم وأمور أخرى تقض مضجعه غير أنه استجاب بحماس لنداء المغامرة، تمامًا كما فعل قبل ذلك بثلاثين عامًا تلبية لدعوة بونابرت. كتب جابرييل داردو في كتابه « زرافة الملك » (١٩٨٥) يقول: « كان يحمل ستارًا خفيًا عندما اقترحت إلى عربة لتطحن به الطريق الطويل من باريس إلى مرسيليا في ستة أيام ونصف، وهو نفس الطريق الذي كان عليه أن يقطعه عائدًا إلى باريس مع الزرافة ». وفي جلسة أكاديمية مرسيليا التي عُقدت في ١٠ مايو/أيار ١٩٢٧، أعلن العضو السيد جوفري رسميًا وصول زميله الجليل إلى مرسيليا، وانتهز الفرصة ليقرأ على الحاضرين ثلاث خرافات نظمها بنفسه عن الزرافة.

وقد دُوِّنت رحلة الزرافة في شتى مراحلها بعناية دقيقة. ويقرر أن تتكون القافلة من الزرافة والبقرات الثلاث وإحدى الظبيتين، فقد ماتت الأخرى بمرسيليا - وتروح من الأغا العربي والسائس المكلف بحلب البقرات والحراس الشرطيين ومترجم وعربة تحمل العلف ومختلف الحوائج الثقيلة. ومن علماء الجليل فإن الحلة بأسرها. ولكيلا تعاني الزرافة من آثار الريح، فُصِّل لها خصيصًا معطف « مشمع » يغطي الجسم كله الرأس وطُرِّزت على جانبيه شعارا ملك فرنسا وباشا مصر. وقرر السيد المحافظ أن يصحب القافلة حرس من الفرسان. كما أرسل التعليمات اللازمة لعمد البلاد التي ستمر بها القافلة في نطاق محافظته، وكتب لزملائه محافظي المناطق الأخرى يبدي لهم النصائح التي اعتمد فيها على التجربة الشخصية.



قبل وصول الزرافة المهداة إلى شارل العاشر بيومين، استطاع جورج كيفييه (١٧٦٩-١٨٣٢) الباحث الفرنسي في مجال التاريخ الطبيعي أن يلتقط هذا الرسم للزرافة أثناء جلسة لمجلس الدولة. ونظرًا لأنه لم يكن قد رأى زرافة من قبل فقد استند في رسمها ببعض صورها القديمة. وجاء الرسم مخالفًا للواقع إلى حد بعيد.



أدى الاكتشاف الضخم الذي أثارته الزرافة في فرنسا إلى صنع كثير من الأشياء التي تصور ملامحها المميزة. وهكذا أصبحت تسمية الهارب ذي المفاتيح، وهو الآلة الموسيقية التي اخترعت في ١٨١٩، فأصبح يدعى البيانو الزرافة بعد وصول الحيوان إلى باريس.

وفي فجر ٢٠ مايو/أيار ١٨٢٧ تحركت القافلة وعلى رأسها جيوفروا سانت - هيلير. وكان عليه أن يبدأ الرحلة بتشريح من آلامه الروماتيزمية بالجلوس إلى جانب سائق العربة، ولكنه كان يمضي معظم الوقت إلى جانب الزرافة عند توقف المحطات أو عبور المدن. فقد كانت تنعشه حرارة الاستقبال من جانب السكان والسلطات المحلية.

وسارت القافلة من إيكس إلى أفينيون إلى أورانج إلى مونتيليمار إلى فيين بسرعة متوسطة مقدارها ٢٧ كيلومترا يوميا. ثم وصلت إلى ليون في ٦ يونيو/حزيران. وهناك كتب جيوفروا سانت - هيلير إلى السيد المحافظ فيلنوف بارجمون يطلعه على أنباء الرحلة. فقد وقع حادث أدى إلى إبطاء السير: « لقد أصيبت الزرافة بمسمار اخترق ظلفها ... وبدا أن مواصلة السير ترهقها. وكانت متعبة، ولكنها ظلت « مطيعة تمامًا ». وكان لا بد من الراحة، فخصص للزرافة مقر بميدان بيلكور، حيث أقامت لخمسة أيام ووجدت في أغصان الزيزفون طعامًا مريحًا بل ولم تتعال على الحلوى التي كان المتفرجون يقدمونها إليها.

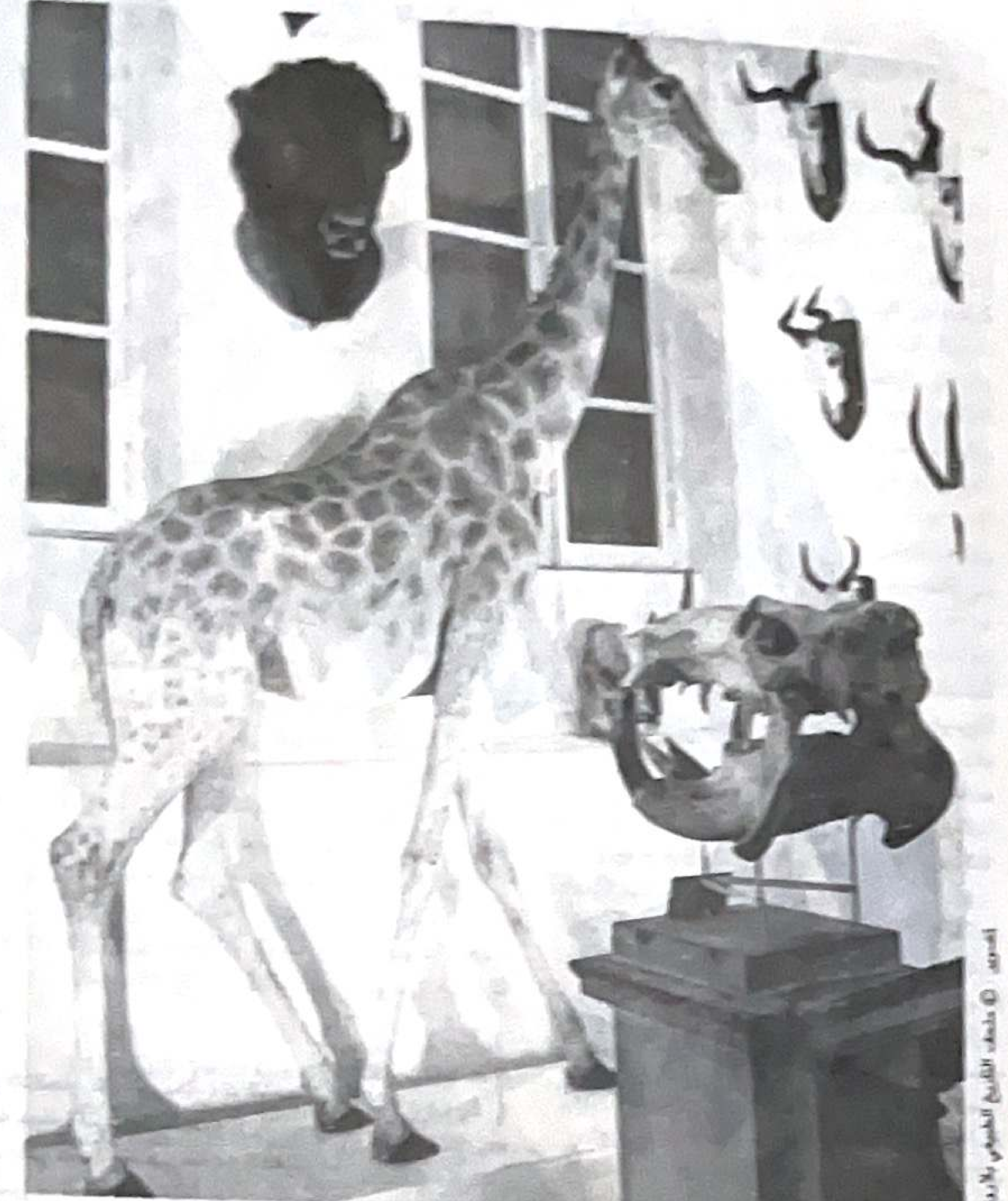
ثم استؤنفت الرحلة. ولكن القافلة أصبحت عندئذ تشق طريقها بين جموع المتفرجين الذين احتشدوا يتزايدون يومًا بعد يوم. كتب جابرييل داردو قائلًا: « في عام ١٨٢٧ كان هناك ما لا يقل عن ثلاثين فندقا ومتجرا ومحطة بريد وضعوا شعار الزرافة على لافتاتهم تذكارًا لمرورها ». بل إننا نستطيع حتى اليوم أن نشاهد رسم الزرافة على بعض لافتات المتاجر في شاتونيري وسيس بمحافظة الأسون.

فما أن صارت القافلة على بعد خمسين كيلومترا من باريس، حتى نُظمت الرحلات لملاقاتها: وانتقل الناس بالعربات الجماعية والعربات الخاصة والسفن على نهر السين. بل إن ستندال نفسه لم يستنكف القيام بالرحلة. وبذلت جهود جهيدة في البلاط لإثناء دوقة بيري عن فعل نفس الشيء. أما العالم الكبير جورج كوفييه عضو مجلس الدولة، فإنه انصرف عن الاستماع إلى مداولات المجلس وانهمك في رسم الزرافة ... وفقًا لما كان يعرفه عنها: وجاء رسمه بعيدًا كل البعد عن الواقع.

وبعد ثمانمائة وثمانين كيلومترا قُطِعَتْ معظمها سيرًا على الأقدام في واحد وأربعين يومًا، وصل جوفروا سانت - هيلير على رأس قافلته إلى باريس في ٣٠ يونيو/حزيران مرهقًا مكدودًا. وأسكن الزرافة بيتها في حديقة النباتات الاستوائية. ولكنه ما كاد ينعم بلذة الجلوس في مقعده الوثير ويدفء قدميه في خفيه الريحين، حتى اضطر الى مغادرة داره، وذلك أن الملك الذي كان يصطاف حينئذ بقصر سان - كلو طلب أن يرى « زرافته » في اليوم التالي.

وكان ثمة موكب بديع على امتداد نهر السين. فقد اصطفت على الطريق حامية باريس عن بكرة أبيها، وعلى رأسها الجنرالات بقبعاتهم ذات الريش، يليهم أساتذة متحف التاريخ الطبيعي وكبار رجال الجامعة بثيابهم الرسمية التي تعددت ألوانها وازدانت بأوشحة الفراء البيضاء والنياشين، يصاحبهم حُجّاب الكليات يحمل كل منهم شارة كليته. وأما جوفروا سانت - هيلير الذي كان يرتدي ثيابه الخاصة بالاحتفالات، فقد قطع الخمسة عشر كيلومترا الأخيرة إلى جانب زرافته وهو يعاني معاناة الشهيد.

وفي سان كلو وأمام الحديقة التي شهدت بونابرت وهو يتلقى زمام السلطة قبل ذلك بثمانية وعشرين عامًا - وإن كان يَضُنّ الصمت عن تلك الذكريات بعد عودة الملكية - اصطف عليه القوم كل حسب رتبته من حول الزرافة التي احتلت مكان الشرف. وبعد بضعة دقائق وأمام حرس الشرف الذي رفع السلاح بالتحية، وصل الملك في حزامه الأزرق، وعليه، كعهده دائما، سيماء الرقيعة؛ وكان يتبعه ابنه وولي عهده الدوق انجوليم يسير كعادته متبخترا تليه زوجته الدوقة التي تشبه الفرس المريض في ثيابها الزرية وشكلها الكريه، ودوقة بيري الرشيقة الأنيقة وقد أمسكت بيديها طفلي الملك اللذين كانا يتحدثان للزرافة بافتتان، بينما القصر في ترقبها في هدوء وسلام. وكان الملك كعادته دائما رقيقا تجاه العالم الجليل، فهنأه واستكثره طويلا ... ومد للزرافة التي قدم لها بيده الملكية أوراق الورد.



الزرافة كما تشاهد اليوم محنطة بمتحف التاريخ الطبيعي في لاروشيل بفرنسا

قال جابرييل داردو: « ولما انتهت المقابلة الملكية ألقى جوفروا سانت - هيلير بنفسه في إحدى العربات وانطلق إلى المستشفى. وأما الزرافة فقد عادت بدورها إلى حديقة النباتات. وقطعت طريقها بين صفين من المتفرجين لم يستطع الجنود الشاهرين أن يسيطروا عليهم إلا بصعوبة ».

وأوحت هذه الوافدة الغريبة بعدد لا يحصى من المصنوعات التي شكلت على هيئتها. وانتشرت صور التمثال الجوالين في كل أقاليم فرنسا، ذلك أن الخزافين بمدن ليز إيبرابت وواي وينيفر والهافر وسوسترو رسموا صورتها بسماتها المميزة على الأطباق والصحاف وسلاطين المدلاة. كما شوهد شكلها مطبوعا على الأنسجة والصور الشعبية والمكاوي والدلاء والمحابر والمراوح وعلب النشوق والتقاويم ومختلف المطبوعات. وانتشرت بين النساء موضة تسريحة الزرافة. أما الآلة الموسيقية التي اخترعت في ١٨١٩ وكانت تسمى « الهارب ذو المفاتيح »، فقد أعيدت تسميتها بحيث أصبحت تدعى « البيانو - الزرافة ».

وسكنت الزرافة في البيت الزجاجي الكبير بحديقة النباتات، ثم انتقلت في أكتوبر/تشرين الأول ١٩٢٧ « الشقة » التي خصصت لها في قاعة القبة - وكانت تتكون من غرفة مبطنة بالقش هُيئت لها الحرارة اللازمة عن طريق جهاز التدفئة تساعده في ذلك الأبقار وحيوانات أخرى، وذلك بغية الاحتفاظ شتاء بالخمس عشرة درجة اللازمة لصحة الضيفة الأفريقية. كذلك هُيئت غرفة علوية لحارسها المصري حتى ينام قريبا من رأسها.

وفي الفترة من يوليو/تموز إلى ديسمبر/كانون الأول ١٨٢٧ زار أكثر من ستمائة ألف باريسي حديقة النباتات لمشاهدة الزرافة. فجنت من ذلك ذهبا لأن الفرنك الفرنسي كان يُسك من ذلك المعدن آنذاك. ثم تضاءل الفضول في العام التالي وإن ظلت الزرافة نجمة الحديقة حيث كانت تنظم لها النزهة عندما يسمح الطقس بذلك. وحوالي ١٨٣٥ زُعم تزويجها. لكن الذكر الذي خطبت له لم يغادر إيطاليا قط. وأمضت زرافتنا شيخوختها في هدوء، وامتد بها العمر بعد شارل العاشر وجوفروا سانت - هيلير إلى أن وافاها الأجل في بداية ١٨٤٥، وكانت عندئذ في الحادية والعشرين من عمرها. وقد حُنطت، وظل جسمها الساكن يزين قاعات متحف التاريخ الطبيعي لفترة طويلة إلى أن نجح أمين متحف لاروشيل في الحصول عليها في فترة ما بين الحربين. وهكذا عبرت هذه الزرافة التي ولدت بالقرب من منابع النيل جزءا من أفريقيا والبحر المتوسط وفرنسا لتسلي الباريسيين طيلة ثمانية عشر عاما قبل أن ترحل من جديد لتستقر على شاطئ المحيط حيث تنعم بنوع من الخلود. ■

جورج بولسون، يعمل منذ ثلاثين عاما رئيس لمتحف « الـ إيل دي فرانس ». وهو أخصائي في تاريخ العمارة، وقد درّس هذه المادة في عدة مؤسسات للتعليم العالي. وصدرت له حوالي أربعين مؤلفا تاريخيا عن العمارة في باريس وضواحيها. وقد فازت بعض هذه المؤلفات بجوائز من الأكاديمية الفرنسية وأكاديمية الفنون الجميلة.



« ثلاثي باندونيون »، رسم لريكاردو كاربانى

« ها هو التانجو، تلك الزوبعة، ذلك الشيطان الرشيق
يواجه حياتنا المزدحمة بتحديه
سوف نمضي قبل أن تنتهي أنغامه الخفيفة
فالانسان قد صنع من تراب وزمن
أما التانجو فهو زمن خالص »

خورخي لويس بورخيس، « التانجو »

التانجو، ذلك الكائن الغامض

بقلم : لويس بوكاز

تحيط بالتانجو ألغاز عديدة من بينها أنه ثمرة تهجين ثقافي. ولكشف النقاب عن أصوله عكف المؤرخون على دراسة آثار الرق في أحد الأقاليم الامبراطورية الاسبانية القديمة. فمنستني روسي مثلا يرى أن التانجو قد نشأ بين الجاليات الافريقية بمونتفيديو. غير أن سكان الضفة الغربية لمصب نهر ريو دى لابلاتا لا يشاطرونه جميعا هذا الرأي. وبغض النظر عن الخلافات التي لا مفر منها بشأن نسب التانجو، فإن أحدا لا يشك في أن رقصة « الكندومبي » (candombe) قد أسهمت في نشوئه وفي أن بوينس أيرس ومونتفيديو، عاصمتي ريو دى لابلاتا، قد أدتا دورا في تطويره. ولئن كانت المدينة الأرجنتينية الساحلية قد نجحت في الاستئثار بلقب « مدينة التانجو »، فقد كان المرفأ معا ـ « البيست » و« الكومبرسيتا » (comparsita) وهي من أشهر مقطوعات التانجو، من أوروغواي؟) موطنا للتراث الافريقي الخلاسي الذي اقترن بعناصر محلية وأوروبية أخرى، فأنجب، خلال بضعة عقود، واحدا من بين أصيل المنتجات الثقافية في القارة الأمريكية.

أما فيما يتعلق باسمه، فإن خورخي لويس بورخيس يهزأ في الصفحات العديدة التي خصصها لهذه المسألة بالذين يسعون إلى الرجوع باشتقاق الكلمة الى فعل من أصل لاتيني. وسخرية الكاتب الكبير مردها تواضع البيئة التي نشأ فيها وهي الضواحي، والعلاقات التي تربط ذلك الكائن بالبيوت ذات السمعة السيئة. ففي بوينس أيرس اتسع نطاق الضواحي نتيجة نمو حضري متفجر. وعندما أصبحت المدينة في ١٨٨٠ عاصمة الاتحاد ونشطت فيها أشغال توسيع المرفأ، كانت المدينة المتواضعة التي ترجع الى عصر الاستعمار والتي أسست على مرحلتين في القرن السادس عشر، قد استوعبت عدة موجات متتالية من المهاجرين الذين جاءوا اليها بأحلامهم ووحدتهم. وهكذا ظهر على تلك الشواطئ، نمط من الحياة خاص بمناطق الحدود. أحياء تكونت أصلا من طبقات متتابعة من الطمي كما تكونت سان فرنسيسكو على ساحل المحيط الهادي في فترة التزاحم بحثا عن الذهب، أو كما تكونت فلباريزو الحزينة، مدينة المراكب الشراعية في نهاية القرن الماضي. وفي المنطقة الحضرية المضطربة، وُجد رجال متوحدون يتنافسون على الثروات والعلاقات الغرامية العابرة. ومن السهل عندئذ أن نفهم كيف وجدت هذه الشريحة البشرية في إيقاع التانجو بما ينطوي عليه من تأخير النبرات ملاذا من الوحدة الناجمة عن اكتظاظ الضواحي بالسكان.

ولقد بقي لنا من ذلك العصر البطولي صورة نمطية عن الراقصين الأصليين: المرأة وقد ارتدت فستانا ملتصقا بجسدها مشقوقا عند الساق، وفيه لمسة واضحة من الاقدام الجنسي؛ والرجل وقد انتعل حذاء عالي الكعبين ووضع على رأسه قبعة ذات حافة ضيقة. وما زالت العروض والمشاهد الراقصة حتى يومنا هذا تخلد تلك الصورة المبتذلة لعصر منصرم.

غير أن من المؤكد في مقابل ذلك أن الموسيقى التي كانت تستخدم خلفية لرقصة التانجو خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر، قد حظيت بشرف التأليف المستقل في فجر القرن العشرين، وحملتها كوكبة من كبار المؤلفين من الضواحي الى وسط المدينة. فلما احتفلت الجمهورية بذكرى مرور مائة عام على نشأتها، كانت الآلات الموسيقية التي يعزف التانجو عليها قد أصبحت تخضع لقواعد نهائية. وكان أن استبعد الفلوت والقيثارة وأصبحت الفرقة الموسيقية التي عُرفت منذ ذلك الحين باسم « الجوقة النموذجية » تتألف من عازف بيان وعازفي كمان وعازف كونترباص، ومن عازف على آلة غير مشهورة هي البندونيون. لكن هذا الأكورديون المهاجر الذي جاء من أوروبا الوسطى قد اقترن بالتانجو حتى اختلط به تماما. فكيف نفسر المكانة المميزة التي خُصصتْ في هذا الفن الشعبي لآلة يُجمع اخصائيو الموسيقى على التنويه بصعوبتها؟ ليس هنالك جواب مقنع عن هذا السؤال، سوى أن قائمة العازفين على هذه الآلة، بداية من راموس ميخيا العظيم حتى استور بيازولا المعاصر، تضمّ أسماء لامعة في تاريخ التانجو لمعان إدوارد أرولاس وأنيبال ترويلو.

وقد ارتقى التانجو سليل الضواحي سلم المجد، تدفعه طاقة إبداعية شعبية خارقة بحيث كان صعوده لا يقاوم. فقبل الحرب العالمية الأولى، فتحت له باريس، مدينة التانجو في نظر بعض المؤرخين، أبواب أوروبا. ووقعت العواصم الكبرى من لندن الى موسكو أسيرة سحر هذا « الكائن » الغامض. وكان انتصاره بشيرا بانتصار الجاز، وهو خلاسي آخر نشأ في مدن أمريكية تكونت بدورها من الطمي. واكتسح جنون التانجو الصالونات ومناطق الاصطياف وانتشرت الكتب الخاصة بتعليم التانجو. وأطلق اسم « التانجو » على ظل معين من اللون البرتقالي. ونشرت مجلة « ايلوستراسيون » الفرنسية في عددها الصادر في فبراير/شباط ١٩١٤، رسما ظهر فيه البابا وهو يرقب بنظرة فاحصة خطوات راقصي تانجو. وكان يتعين على الكرسي البابوي أن يدلي برأيه في الموضوع نظرا للأصوات التي ارتفعت تتهم ذلك « الغريب » الوافد من أمريكا اللاتينية بأنه مناف للأخلاق. وكان لقلقهم هذا ما يبرره: فقد صدرت الشكاوى من بعض الأوساط الأرجنتينية. ومن ذلك أن الشاعر ليوبولدو لوجونيس وصف التانجو بأنه « حيوان زاحف من المواخير »؛ وكان بعض الدبلوماسيين ينظر الى النجاح المذهل الذي حققه مواطنهم الوضيع الأصل نظرة امتعاض.

ولكن ثمة رجل مجهول الأصل رائع الصوت أسهم على نحو حاسم في إعلاء شأن هذا السفير الشعبي. وكان يدعى كارلوس جارديل. وقد دخل حلبة التانجو بعد أن كانت هذه الموسيقى قد اكتسبت شهرة عالمية. إلا أن موهبته المؤكدة، فضلا عن الدور الذي أدته وسائل الاعلام، قد جعل منه شخصية أسطورية؛ بداية من الغموض الذي أحاط بسنوات نشأته الأولى حتى الحادث الذي أدى الى مصرعه في مطار ميديلين. وما أكثر المناطق التي تدّعي أنها كانت مهدا لهذه الأسطورة. وبعد وفاته عام ١٩٣٥ انتشرت الروايات المتناقضة. الى أن حُدّد محل ولادته رسميا في تاكوا رمبو، بباراجواي، أما معجبوه الأرجنتينيون فقد زعموا أن معبود الجماهير قد أمضى طفولته في حي السوق ببوينس ايرس، وجاءوا بوصية مكتوبة بخط اليد تدل على أنه وُلد في تولوز بفرنسا.

ثم حسمت المسألة بصورة نهائية بعد أن نُشرت شهادة ميلاد شارل روموالد جارديس التي ورد فيها ما يلي: الجنس: ذكر، ولد في مستشفى دي لاجراف بتولوز في ١١ ديسمبر/كانون الاول ١٨٩٠، في الساعة الثانية صباحا. وكان المغني ابنا غير شرعي لأب مجهول الهوية وأم غسالة تدعى بيرث جارديس هاجرت الى ريو دى لابلاتا مع طفلها البالغ من العمر سنتين، كما هاجر غيرها من الفرنسيين من جنوبي فرنسا. يضاف الى ذلك أن مدينة تولوز حرصت، بمناسبة مرور خمسين عاما على وفاة كارلوس جارديل على تكريم ذكراه تكريما كبيرا عن طريق هيئاتها الثقافية. ومن بين الاحتفالات التي أقيمت بهذه المناسبة ودامت عدة أسابيع، إزاحة الستار عن نصب تذكاري وتنظيم معارض عامة، وعقد أول مؤتمر علمي عن التانجو بدعوة من جامعة تولوز، وهي مركز مشهور للدراسات الاسبانية واللاتينية الأمريكية. وقد شارك في هذا المؤتمر أخصائيون من أمريكا اللاتينية وأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.

وكانت السبعينات، بالنسبة للتانجو، هي سنوات العودة الى أوروبا باعتباره موسيقى للغناء والعزف. وكان هذا الرواج الجديد متوقعا رغم فترة طويلة من خمول الذكر، إذا ما راعينا الاعجاب الذي ما زال يحيط بالتانجو في مدن أمريكا اللاتينية، بل وفي بلد مثل اليابان حيث توجد، بالاضافة الى التسجيلات المنتشرة في الأسواق، « فرق نموذجية » وهواة يجمعون تسجيلات التانجو ومجلات متخصصة. ولكن من الغريب أن تنظم كوبا مهرجانات للتانجو، وتولع أمستردام وباريس بدقة أوسفالدو بلوجيير الكلاسيكية أو بمغامرات بيازولا الشكلية أو بصوت سوزانا رينالدي الجميل، في حين أن المدن التي نشأ فيها التانجو بدت غير مهتمة به فيما بين ١٩٢٠ و١٩٥٠، حيث شهدت الفرق الموسيقية الكبرى كما شهد العازفون المنفردون صوارة أنشطتهم تنضب واحدا بعد الآخر. وكان من أسباب ذلك أن ذوق الجمهور قد تطور فلم يعد يخص هذا الفن بإعجابه.

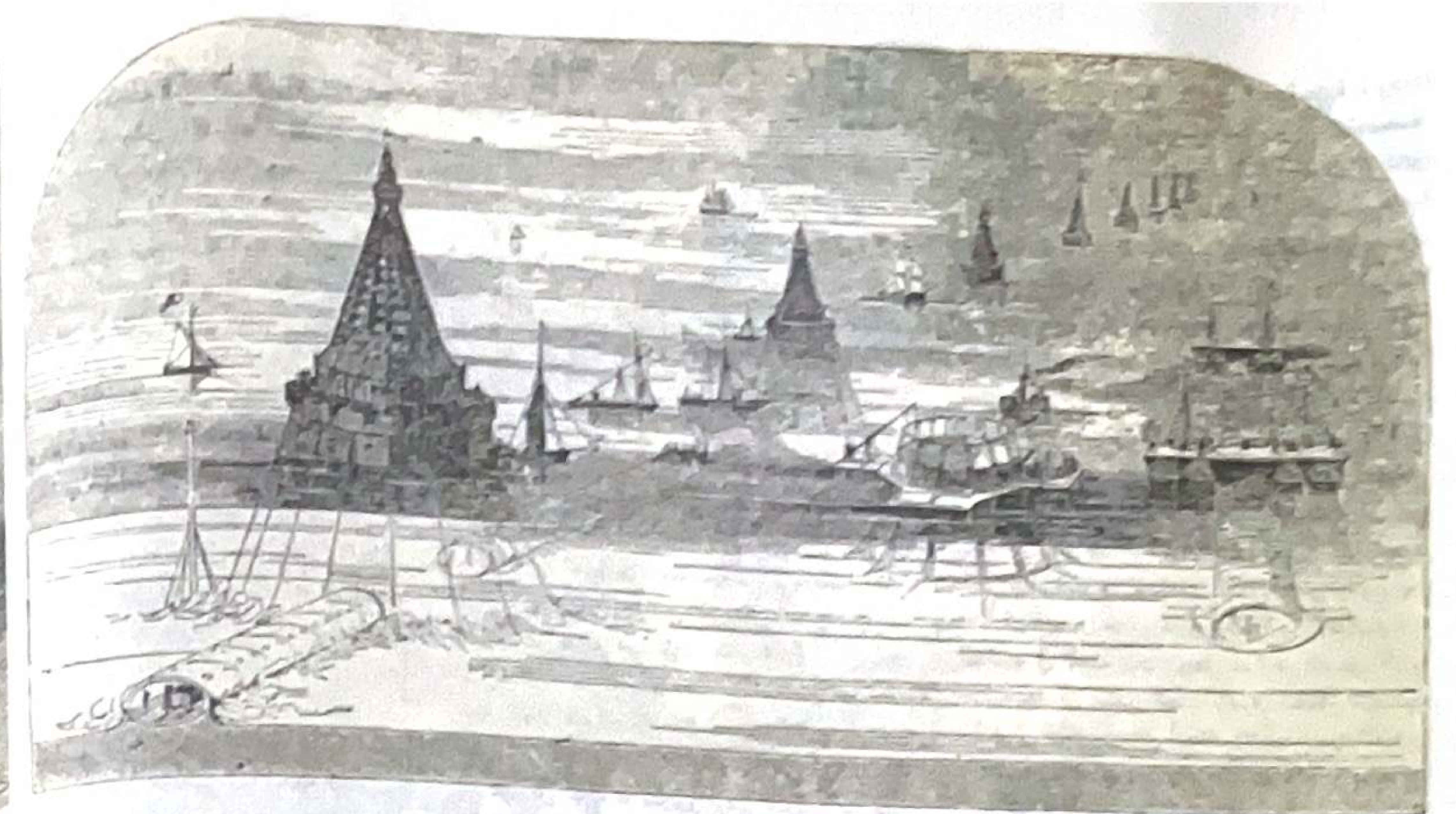
ومن الممكن أن يقال في هذا الصدد إن بنى استقبال التانجو قد تغيرت، كما تغيرت المجتمعات التي نشأ فيها والاتجاهات الفكرية التي رحبت به. بعد أن أصدر خوليو كارو « القواعد الأساسية » للتانجو في العشرينات. ولعل هذا هو السبب الذي أدى، بعد أن انتهى الصدام بين أنصار التقاليد وأنصار التحديث، الى انعقاد الاجماع بين المؤلفين والعازفين والمغنين على أن التانجو متطور بطبعه. ومن ثم كانت بعض المؤلفات الأساسية مثل « Recuerda » (« الذكرى ») (١٩٢٤) لبلوجيير أو « Adiós Nonino » (« وداعا يا أبي ») (١٩٥٩) لبيازولا، تعتبر، كل في عصره، نماذج للتجديد يمكن للتانجو بفضلها أن يساهم في التيارات الفنية السائدة في مجال الرسم أو الشعر أو السينما المعاصرة.

ومما يجدر بالاهتمام ذلك الحماس الذي يحيط بحفلات التانجو التي تقام في نيويورك في الأشهر الأولى من ١٩٨٦. فهل سينبعث من ذلك طاقة حاسمة تدفع بهذا الكائن المعقد الذي نشأت في أمريكا اللاتينية الى مسرح الاهتمام الدولي، فتعيد له مجده وعظمته ■

لويس بوكاز، أخصائي شيلي في أدب أمريكا اللاتينية وثقافتها. يعمل أستاذا مساعدا بجامعة السوربون، ويدير حلقة دراسة موضوعها « الانتاج الثقافي والمجتمع في أمريكا اللاتينية » بمعهد الدراسات العليا لأمريكا اللاتينية بباريس. ومن بين الأنشطة التي اضطلع بها أنه تعاون بوصفه مستشارا مع قطاع الثقافة باليونسكو.

عندما دخلت الثقافة الشعبية المناطق الحضرية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، أخذ التانجو يظهر في المحلات المخصصة للبقالة والشراب في ضواحي ريو دى لابلاتا، وفي البيوت التي توصف بأنها سيئة السمعة وفي الأحياء القريبة من المجازر وفي مساكن الفقراء، كما هو الحال في هذا المسكن الذي نشاهده هنا والذي صوّر في بوينس ايرس في بداية القرن.



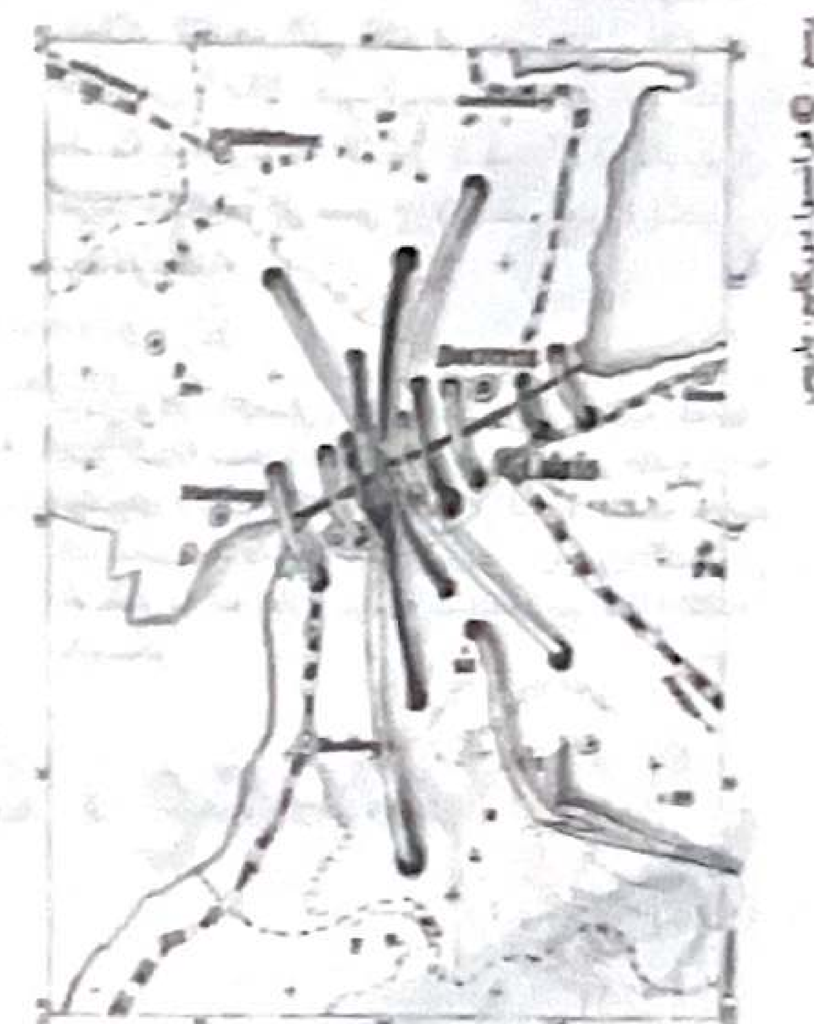


نفق المانش

بقلم: جون أرداه

ما هو نفق المانش يوشك أن يصبح حقيقة واقعة، بعد أن كان حلما طيلة مائتي سنة تقريبا. وفي هذا ما يبعث على السرور، وخاصة بالنسبة للذين يهتمون بمستقبل اوروبا. وذلك أن هذا النفق سيساعد من جميع النواحي - الاقتصادية منها والسياحية والسياسية بل والسيكولوجية - على تعزيز العلاقات بين بريطانيا وسائر دول القارة الأوروبية، وفي مقدمتها فرنسا. وسيفتح بذلك ثغرة في حاجز العزلة الذي يحيط منذ القدم بالجزيرة البريطانية. أجل، سوف نفقد، نحن البريطانيين، انتماءنا الى سكان الجزر!

وقد أعلن الرئيس فرانسوا ميتران ورئيسة الوزراء مارجريت ثاتشر القرار المشترك الذي يقضي بإقامة هذا النفق في احتفال أقيم في مدينة ليل الفرنسية في ٢١ يناير/كانون الثاني الماضي. ويرمي المشروع الذي تم اختياره من بين عدة مشروعات مقترحة الى شق نفق مزدوج يضم خطين حديديين.



رسم © فرانسوا ديكاس، باريس

وقد حبّذ الفرنسيون هذا المشروع لأن المواصلات الحديدية السريعة تمثل نقطة قوتهم. أما البريطانيون فلعلهم كانوا يفضلون إنشاء خطين احدهما حديدي والآخر مخصص للسيارات، لولا أن مثل هذا المشروع باهظ التكاليف. إلا أن الاتفاق قد انعقد على انه من الممكن إضافة نفق خاص بالسيارات في وقت ما بعد سنة الفين. فبدا وافق البرلمان الفرنسي والبرلمان البريطاني على هذه الخطة، فسيبدأ العمل في العام القادم في حفر نفق يمتد لمسافة ٥١ كيلومترا من موقع قريب من فوكستون، في مقاطعة كنت البريطانية، الى موقع قريب من مدينة كاليه الفرنسية. وتمول المصارف البريطانية والفرنسية القسم الأعظم من ميزانية المشروع التي لن تقل عن ٢,٣ مليار جنيه استرليني.

وسوف يكفي النفق، عند افتتاحه سنة ١٩٩٣، لمرور ٣٠ مليون مسافر في السنة. وعندئذ تقطع القطارات السريعة المسافة بين لندن وباريس (٤٥٠ كيلومترا تقريبا) في مدة تزيد قليلا عن ثلاث ساعات، وبين لندن وبروكسل في أقل من هذا الوقت. وسوف يقطع المسافة ذهابا وإيابا قطار ينطلق كل ثلاث دقائق في فترات الازدحام لنقل الشاحنات والسيارات الخاصة.



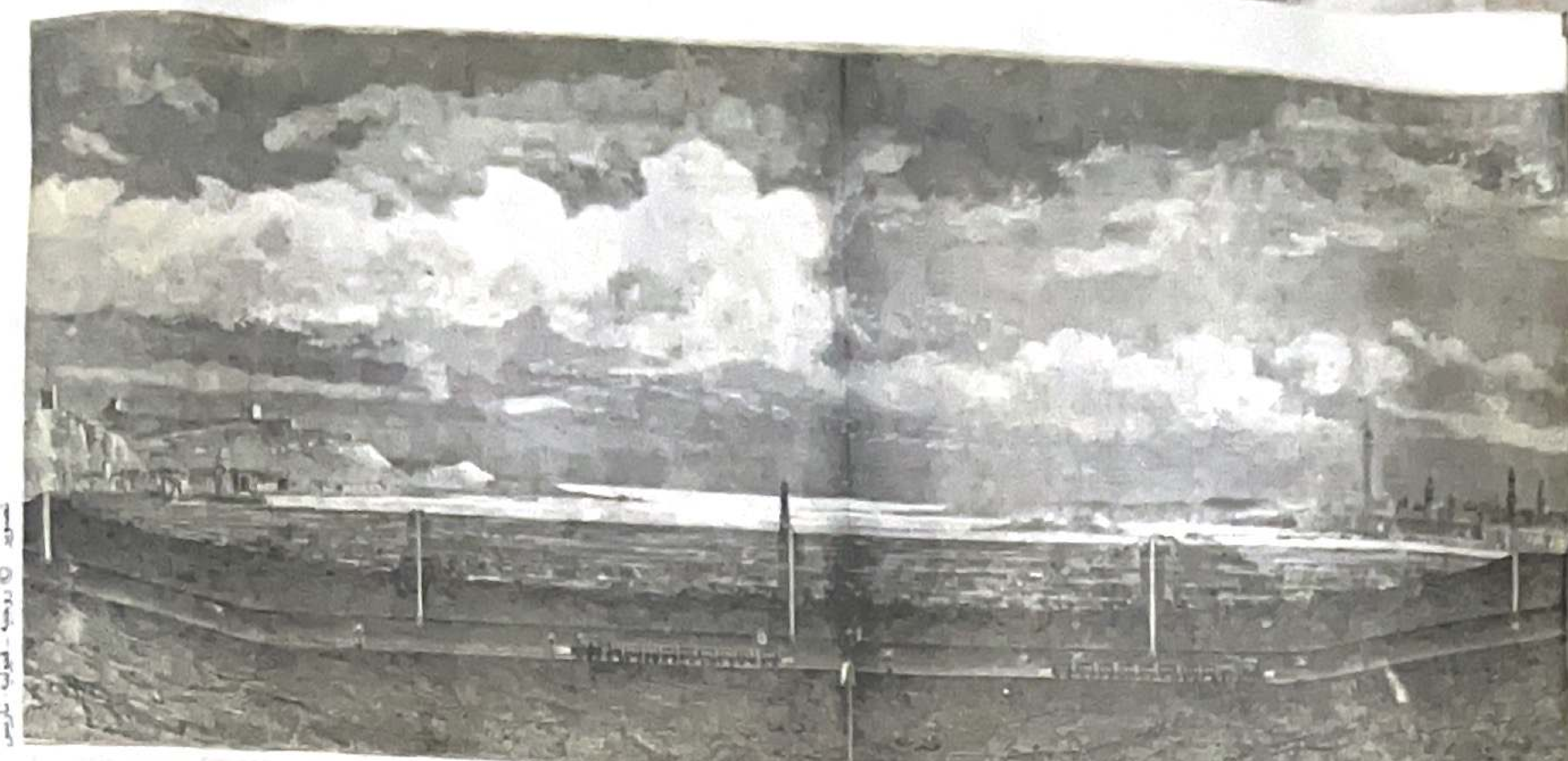
رسم © أوروبونت، باريس

الى اليسار:

مشروع « الجسر الأوروبي » (EUROPONT). وهو جسر يمتد فوق المانش طوله ٣٥ كيلومترا. ويبلغ امتداد فجواته غير المدعمة ٥٠٠٠ متر ومن المقرر يمتد داخل بناء من الخرسانة طريق للسيارات يتضمن اثني عشر مسلكا على مستويين.

في الصفحة المقابلة:

مقطع من مشروع نفق المانش الذي اعتمدته الحكومتان الفرنسية والبريطانية في يناير/كانون الثاني ١٩٨٦. وهنالك نفقان يبلغ قطر كل منهما ٧,٣ متر ويقعان على عمق ٤٠ مترا في قاع البحر، ويسمح احدهما بمرور قطارات المسافرين، بينما يسمح الآخر بمرور مركبة حديدية تنقل جميع انواع العربات ومستقليها. وفيما بين النفقين يوجد سرداب مخصص للخدمات ويبلغ قطره ٤,٥ متر.



تصوير © روجيه - فيوليه، باريس

تصميمان مختلفان لنفق المانش كما وُضعا في القرن التاسع عشر. اعلاه الى اليمين خط حديدي يمتد تحت سطح البحر فيما بين فرنسا وانجلترا؛ وهو مشروع هكتور مورو (١٨٥١). اعلاه، خطة نفق يربط كاليه بدوفر كما صممها المهندس الفرنسي توميه دى جامون في ١٨٧٥. وكان الأمر يقتضي تصريف دخان القاطرات عن طريق مداخن للتهوية توجد إحداها في وسط المانش ويقوم فوقها منار.

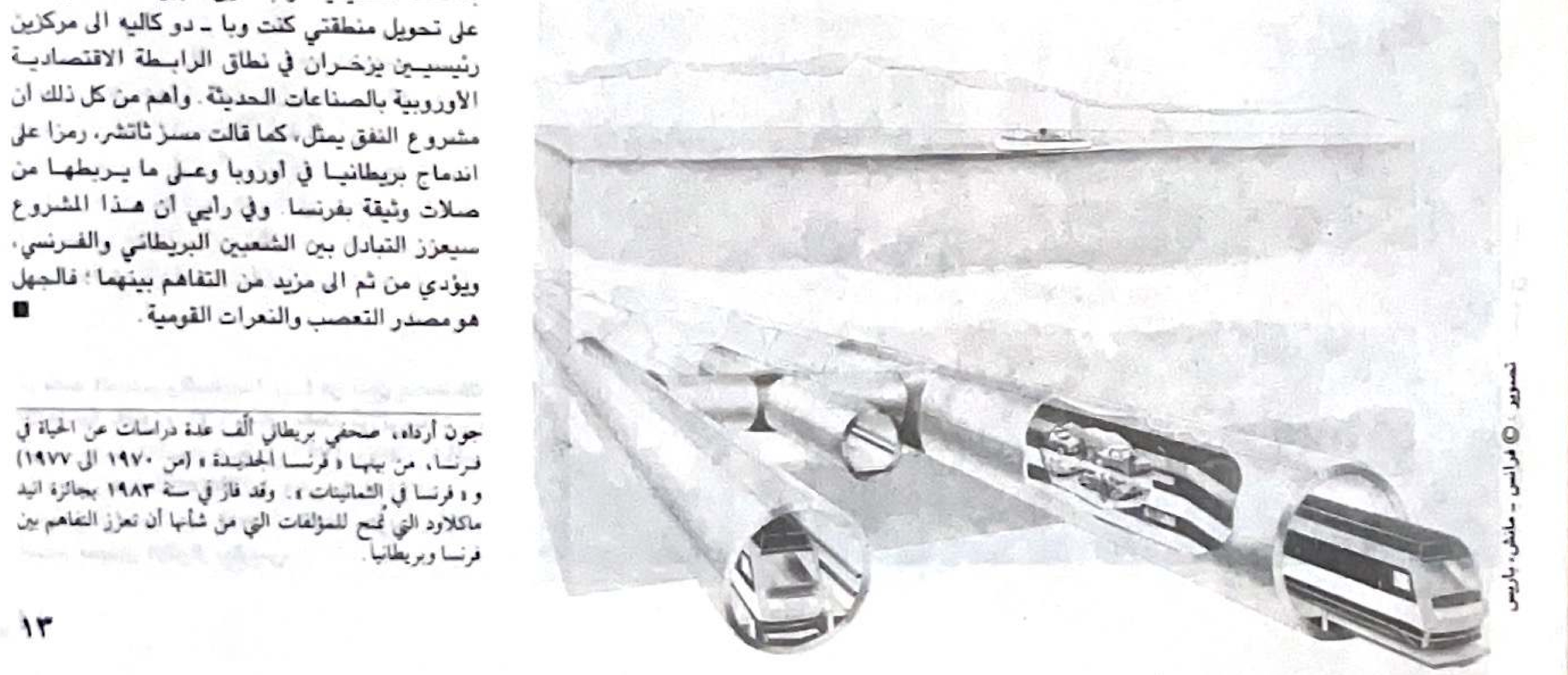
وكان أول من اقترح شق نفق تحت مياه المانش مهندس فرنسي قدم فكرته في سنة ١٨٠٢، فأثارت اهتمام نابليون نظرا لأنه كان ينوي غزو انجلترا. ثم اعيد طرح الفكرة في الثمانينات من القرن الماضي، وبدأت بعض الشركات الخاصة بأعمال الحفر، ولكن المشروع أثار قلق الحكومة البريطانية لأسباب تتعلق بالدفاع، فتوقف العمل. ولم يعد هذا المشروع الى الظهور إلا عام ١٩٥٠، وبعد كثير من المناقشات بدأت أعمال حفر أولية جديدة عام ١٩٧٤، ولكن الحكومة البريطانية الغَتْ المشروع من جديد، وذلك لأسباب مادية.

ويلاحظ طيلة هذه الفترة أن الفرنسيين كانوا اكثر تحمسا للمشروع من البريطانيين، وقد يبدو ذلك غريبا لأن فرنسا تتوافر لديها حدود برية كثيرة مع غيرها من الدول الأوروبية، في حين أن النفق المذكور يتيح لبريطانيا أول اتصال بري مباشر ومهم مع القارة الأوروبية. ولكن البريطانيين كانوا يحجمون بسبب عزلتهم بوصفهم من سكان الجزر، وبسبب خوفهم خاصة من أن تتعرض بلادهم لخطر الغزو عن طريق هذا النفق. أما اليوم، فقد أصبح كل ذلك لحسن الحظ في ذمة الماضي. وأخذت الأوساط السياسية والمؤسسات البريطانية تبدي من الحرص على تنفيذ هذا المشروع ما لا يقل عن حرص الفرنسيين.

وصحيح أن الراي العام البريطاني ما زال يشك في فائدة المشروع، إذ يشير البعض الى أن القطار الذي سينقل السيارات ذهابا وإيابا لن يقطع المسافة في وقت أقصر مما تستغرقه رحلة المراكب الحوامة (التي تجتاز المانش في ٣٥-دقيقة)، ولن يكون أسرع من المُعَدِّيات المستخدمة حاليا في العبور إلا بأربعين دقيقة. ويتساءل هؤلاء النقاد عما إذا كان المسافرون سيقبلون على استخدام هذا النفق بما يكفي لاستهلاك التكاليف الباهظة. أما سكان منطقة دوفر ومدينة فوكستون فيشعرون بالقلق خوفا على بيئتهم، وعلى فرص العمل التي تتيحها لهم خدمات المعديات.

ويرى كثير من الخبراء أن النفق سيكون من الناحية الاقتصادية أنفع لفرنسا منه لبريطانيا، لأن الصناعات الجديدة التي ستنشأ نتيجة للمشروع لن تنجذب في رأيهم الى مقاطعة كنت المزدهرة بقدر ما تنجذب الى منطقة نور - با دو كاليه الفرنسية الكادحة بأراضيها الفسيحة وانخفاض التكاليف فيها وقربها من مركز الرابطة الأوروبية المشتركة.

غير أن الذين يرون الأمور في نطاق أوسع وأطول أجلا، يدركون أن ما ستجنيه بريطانيا من المنافع يفوق الى حد بعيد مثل هذه الأضرار المحتملة فالمسافرون الذين سيعبرون النفق بالقطار السريع سيقطعون المسافة في مدة تقل ساعة على الأقل عن الوقت الذي تستغرقه رحلة الطائرة بين مركز المدينة التي يقلعون منها ومركز المدينة التي يصلون اليها، ودون أن يتعرضوا لفترات التأخير المملة في المطارات. يضاف الى ذلك أن أسعار السفر عبر النفق ستقل عن أسعار السفر بالطائرة. ومن المرجح أن يساعد النفق على زيادة عدد المسافرين للسياحة او العمل زيادة كبيرة بين لندن من ناحية وباريس وبروكسل من ناحية أخرى، وخاصة في حالة الرحلات التي تستغرق يوما واحدا. وسوف يسهم النفق كذلك في تشجيع تجارة الاستيراد والتصدير بالسكك الحديدية او بالطرق البرية، مما سيساعد على تحويل منطقتي كنت وبا - دو كاليه الى مركزين رئيسيين يزخران في نطاق الرابطة الاقتصادية الأوروبية بالصناعات الحديثة. وأهم من كل ذلك أن مشروع النفق يمثل، كما قالت مسز ثاتشر، رمزا على اندماج بريطانيا في أوروبا وعلى ما يربطها من صلات وثيقة بفرنسا. وفي رأيي أن هذا المشروع سيعزز التبادل بين الشعبين البريطاني والفرنسي، ويؤدي من ثم الى مزيد من التفاهم بينهما؛ فالجهل هو مصدر التعصب والنعرات القومية. ■



تصوير © فرانس - مانش، باريس

جون أرداه، صحفي بريطاني ألف عدة دراسات عن الحياة في فرنسا، من بينها « فرنسا الجديدة » (من ١٩٧٠ الى ١٩٧٧) و « فرنسا في الثمانينات ». وقد فاز في سنة ١٩٨٣ بجائزة أنيد ماكلاود التي تُمنح للمؤلفات التي من شأنها أن تعزز التفاهم بين فرنسا وبريطانيا.

العلاقة بين الجنسين في الغرب

بقلم : إليزابيت بادنتير

اقتطفت هذه المقالة من وثيقة عنوانها « علاقة الجنسين : المساواة والاختلاف وصفات الجنس الآخر » قدمتها إليزابيت بادنتير الى ندوة الخبراء الدولية عن الادوار الجديدة للرجل والمرأة في الحياة الخاصة والعامة، والتي عقدت تحت رعاية اليونسكو في اثينا (اليونان) من ٢٦ الى ٢٩ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٨٥.

لئن كنا نعلم منذ زمن طويل أن تعريف الجنسين والتمييز بينهما يوجهان تنظيم المجتمع، فإننا نلاحظ منذ فترة أن تحديد ذاتية كل منهما ليس بالامر السهل، وأن التعاريف تتطور بتطور مختلف انواع الثقافات المعروفة والاكتشافات العلمية والثورات الايديولوجية. فالوجود البيولوجي - شأنه شأن الوجود الاجتماعي - لا يعتبر ثابتا. وفي أواخر هذا القرن أفضى التقدم الكبير الذي أحرزه علم البيولوجيا وعلم الوراثة الى إعادة النظر بصورة جذرية في ادوار كل من الجنسين ووظائفه وخصائصه بعد أن كانت تعدّ « غير قابلة للجدال » منذ فترة لا تكاد تبلغ عشرين سنة.

ويمكننا أن نقول إن تعريف الجنسين ووظائف كلّ منهما لم يكد يتغير في الغرب منذ بداية القرن التاسع عشر حتى الستينات من هذا القرن. وقد استمر الفصل طيلة تلك الفترة بين أدوار الجنسين فصلا تحوّل أحيانا الى ثنائية اساسية من مرتبتين محددتين، واستمد التأييد من الطبيعة والدين والعادات التي اعتبرت قائمة منذ آلاف السنين. فالمرأة تنجب وتقوم بالمهام المنزلية ؛ أما الرجل فيخرج لغزو العالم ويعمل على بقاء أفراد أسرته، فيسعى الى سدّ حاجاتهم في أوقات السلام، ويشارك في الحرب عندما تقتضي الضرورة ذلك.

وكان كل نظام العالم يرتكز على اختلاف الجنسين، وكان أي تداخل أو خلط بين الادوار يعدّ خطرا يهدد النظام الراسخ منذ آلاف السنين، ويعتبر خروجا على الطبيعة وزعزعة للقواعد السائدة.

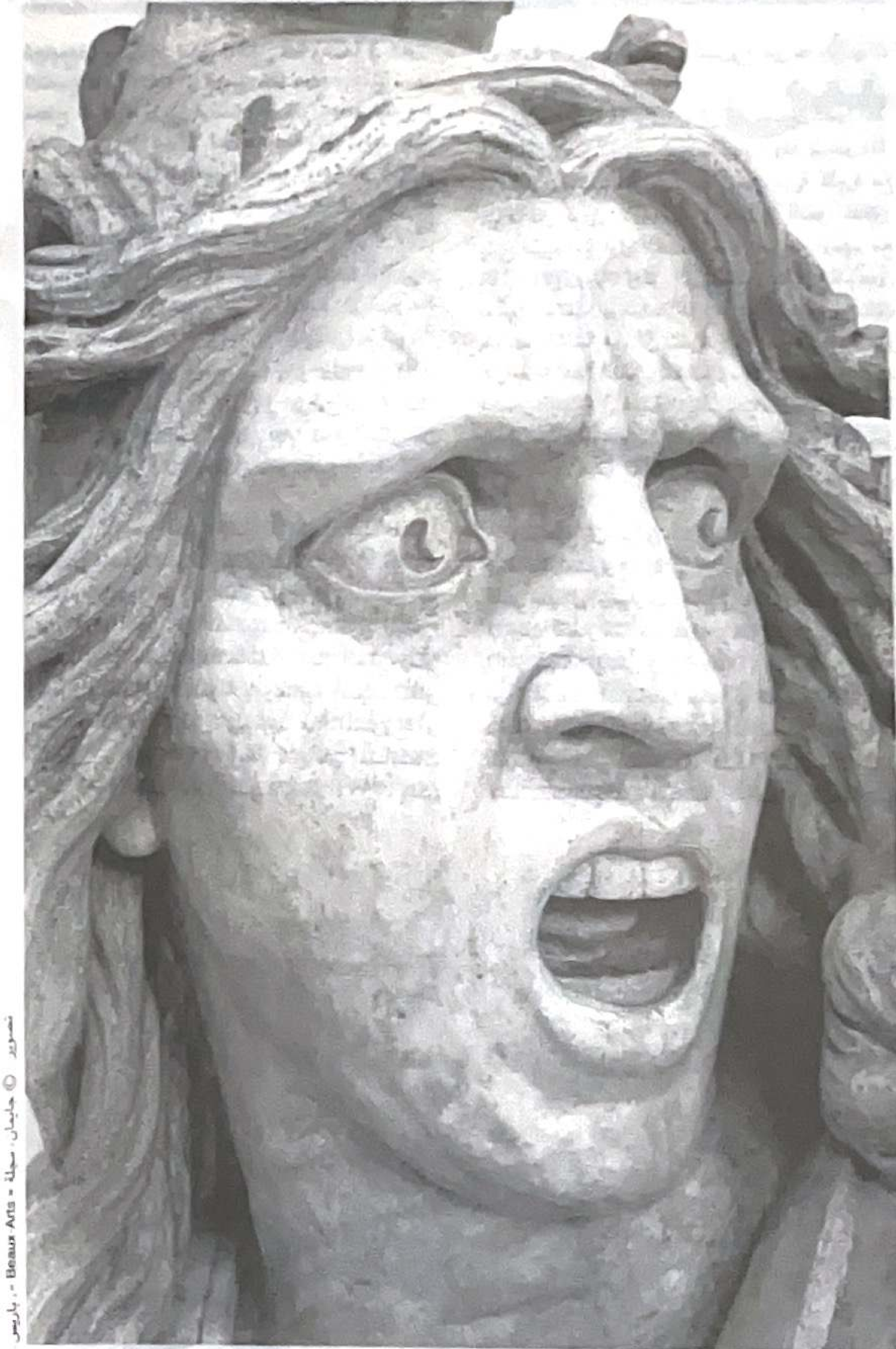
وكان دور كلّ من الجنسين يُحدد بناء على « المكان » الخاص بكل منهما. فكان البيت هو مجال المرأة بلا منازع : أما العالم الخارجي - أي الورشة والمصنع والمؤسسة - فكان يخص الرجال. وكان تقسيم العالم على هذا النحو الجنسي (الى ما هو خاص وما هو عام) يفضي الى تقسيم ثنائي واضح للاتجاهات التي تحدد هوية كلّ من الجنسين. فالمرأة حبيسة المنزل تتميز بأنها « ترعى وتعني وتصون »، وهي في ذلك لا تحتاج على الاطلاق للجرأة والطموح والصلابة وحب المنافسة. أما الرجل فإن عليه بحكم المنافسة مع أنداده أن يناضل يوميا من أجل بقائه، وأن ينحلى من ثم بصفات تعتبر جزءا من طبيعة الرجال.

أما اليوم فإن كثيرا من النساء يعملن خارج بيوتهن، وقد تطورت دوافعهن تطورا بالغا. فالى جانب الدوافع الاقتصادية التقليدية يوجد الطموح والتفتح الشخصي لدى أكثرهن يسرا، ويوجد السعي الى الحياة الاجتماعية والرغبة في الهرب من العزلة لدى غيرهن من النساء. ولكن النشاط المهني يرتبط لديهن جميعاً بالرغبة في الاستقلال. فالمهم قبل كل شيء هو الا تضطر المرأة الى العيش مع رجل لم تعد تتحمله، وأن تستعيد حريتها دون أن يُمس مستوى معيشتها بأي ضرر بالغ.

ومن شأن هذه التجارب المشتركة أن تحدث تغييرا عميقا في العلاقة بين الجنسين وفي تعريف كلّ منهما، سواء شئنا ذلك أم أبينا. وهو ما يفضي بلا شك الى مزيد من المساواة، بل ولعله يفضي أيضا الى نوع من التشابه الاخوي. فبفضل حياة الطرفين معا في ظل أوضاع واحدة، يتعلم كل منهما كيف يتصرف كالآخر. فإذا فقد شريك الحياة شيئا من سحر غموضه نتيجة لذلك، فإنه يحظى في مقابل هذا بمزيد من التفهم.

يضاف الى ذلك أن منع الحمل سمح للمرأة بقدر من الابتعاد عن حالة الأمومة، فلم تعد الأمومة ضرورة فسيولوجية ولا واجبا خلقيا، ولم تعد بالتالي مفروضة على المرأة وإنما تتوقف على اختيارها. وأصبحت إذن أمرا عارضا وإراديا، ولم تعد تترك رهنا « بصدف » الطبيعة.

ولم تعد المرأة في النصف الثاني من القرن العشرين هي الأم ولا شيء غير ذلك. اذ أصبح مسموحا للنساء - للمرة الأولى في تاريخ البشرية - بأن يسعين الى تحقيق أنفسهن في غير مجال الانجاب. وقد يرجع أحد أسباب هذا التطور الى ارتفاع متوسط العمر في حالة المرأة، فلم تعد فترة الأمومة النشطة تزيد على خمسة عشر عاما في المتوسط من حياة المرأة، اي انها لم تعد تمثل سوى مرحلة من مراحل حياتها.



لم يعد الصبر والسلبية (...) من بين الصفات الأساسية للأنوثة. الى اليسار، مقطع من لوحة بارزة هي « رحيل المتطوعين في ١٧٩٢ »، والتي تلقب بالمارسييز La Marseillaise، وهي من انتاج النحات الفرنسي فرانسوا رود (١٧٨٤-١٨٥٥) ؛ وتزين قوس النصر بميدان الاتوال بباريس.

تصوير © جابمان، مجلة « Beaux Arts »، باريس

وقد اقترن هذا التغير في الموقف المتخذ من الأمومة بتغير في المفاهيم النمطية فيما يتعلق بهوية المرأة، بل وفي المفاهيم التي كانت تحدد منذ عهد غير بعيد هوية الرجل. فلم تعد السلبية والصبر والتفاني والايثار هي الصفات الأساسية التي تميز المرأة. فمن ناحية لم تعد المرأة تقبل هذا الوصف المبتسر، لانه يعني إخفاء الجانب الآخر من ذاتها، والذي لا يقل حيوية عن الجانب الاول، وإن كان يُعتقد انه خاص بالرجولة ؛ وذلك مثل الطموح والنشاط والانانية والاستقلال. ونظرا لان النساء من ناحية اخرى ما فتئن منذ عشر سنوات أو خمس عشرة سنة يمارسن الضغط على أزواجهن لكي يشتركوا معهن في متع « الأمومة » وواجباتها، فان الرجال بدورهم أصبحوا يتصفون ببعض الخصال التي كانت تعدّ وقفا على المرأة : ومن ذلك الحنان والاهتمام بالأطفال الصغار. والواقع أن الآباء الشبان الذين يعنون بأطفالهم الرضع منذ ولادتهم سرعان ما يكتسبون من « سمات » الاتجاهات والاهتمامات والمشاعر ما كان يوصف في الماضي بأنه « طبيعي » في حالة المرأة.

وحقيقة الأمر أن الصفات الخاصة بالأبوة أخذت تختلط بسرعة بالصفات الخاصة بالأمومة. ولم تعد الأم تنفرد بمنح الحب ؛ ولم يعد الأب يمثل بمفرده السلطة والقانون والعالم الخارجي، وإنما أصبح الرجل والمرأة يشتركان في جميع هذه الأدوار : وأضحت الاتجاهات تختلف بحسب الأمزجة الشخصية أكثر مما تختلف بحسب الانتماء الى هذا الجنس أو ذاك.

ولئن كانت المرأة لم تعد تعتبر نفسها أمّا قبل كل شيء، فإنها لم تعد ترضى أيضا بأن تكون زوجة فلان فحسب. وأصبحت حياة المرأة تتألف من تناوب بين حياة العزوبة وحياة الزواج : وبذلك صار استقلالها أهم من تكميل حياة الرجل، وأصبحت - مثلها مثل الرجل - تحدد ذاتها بالرجوع الى نفسها بدلا من أن تحددها بالنسبة الى قرينها، كما كان الحال في الماضي. وصحيح أن العلاقة الثنائية ما زالت أمرا منشودا من جانب الرجال والنساء ؛ لكنها أخذت تتراجع في الواقع لتفسح المجال لفترات من حياة المرء بمفرده.

ومن شأن هذا النمط الجديد من الحياة أن يساعد على ظهور صفات سيكولوجية واجتماعية جديدة لدى الجنسين. فقد أصبح بوسع الرجال والنساء أن يظهروا « الجانب الآخر » من أنفسهم، وهو الجانب الذي كانت التربية في الماضي ترى أن من الواجب كبته. وبذلك عادت حالة الازدواج الجنسي الأصلية، واكتسحت في طريقها انعدام المساواة بين الجنسين وتكاملهما التام.

وثمة ظاهرة جديدة أخرى أحدثت في فكرة نمطية عريقة هي صورة الرجل كمحارب، وهي الصورة التي تظل تواجهنا مهما بَعُدَ بنا الشوط في الرجوع الى الماضي. ذلك أن خطر نشوب حرب نووية على الصعيد العالمي يمحو من أذهاننا تميز الرجل بوصفه محاربا. وقد أصبحنا نرى أنفسنا جميعا رجالا ونساء - عن حق أو عن غير حق - كأول ضحايا تلك الحرب التي لا نملك فيها لا الوقت ولا الوسائل اللازمة للدفاع عن أنفسنا كل على حدة. كما يؤدي تخيل أخطار القنبلة الذرية الى تعميق فكرة القدر والسلبية وانعدام التمييز بين الجنسين. فمن ناحية يصبح الرجال عندئذ سلبيين كالنساء، ومن ناحية أخرى قد يكون أولئك الذين « يضغطون على أزرار الفناء » رجالا أو نساء على حد سواء.

والى جانب هذه الصورة التي تنذر بنهاية العالم بسبب الحرب النووية، أصبح من المألوف نتيجة لأنواع أخرى من الحروب الحديثة أن نرى صورة النساء بل والأطفال الذين يحملون السلاح. ولم تعد ◄



كانت فلورا تريستان (١٨٠٣-١٨٤٤) الاشتراكية الفرنسية والمناضلة من أجل قضية المرأة، والتي نصّبت نفسها داعية لحرية المرأة في كتابها « رحلات امرأة منبوذة » (١٨٣٨)، ترى أن مستوى الحضارة في مختلف المجتمعات البشرية يتناسب مع مدى الاستقلال التي تتمتع به المرأة فيها. وقد ولدت فلورا لنبيل من بيرو ولأم فرنسية ؛ وقد تزوجت النقّاش والطابع أندريه شازال، وكانت جدة بول جوجان (١٨٤٨-١٩٠٣).

تصوير دو سلفا © إدسمبا، باريس

▶ هذه الصورة تبعث على الدهشة، وإنما تُبين ان الحروب لم تعد وقفا على الرجال، وان النشاط والسلبية لم يعودا قاصرين على أي من الجنسين.

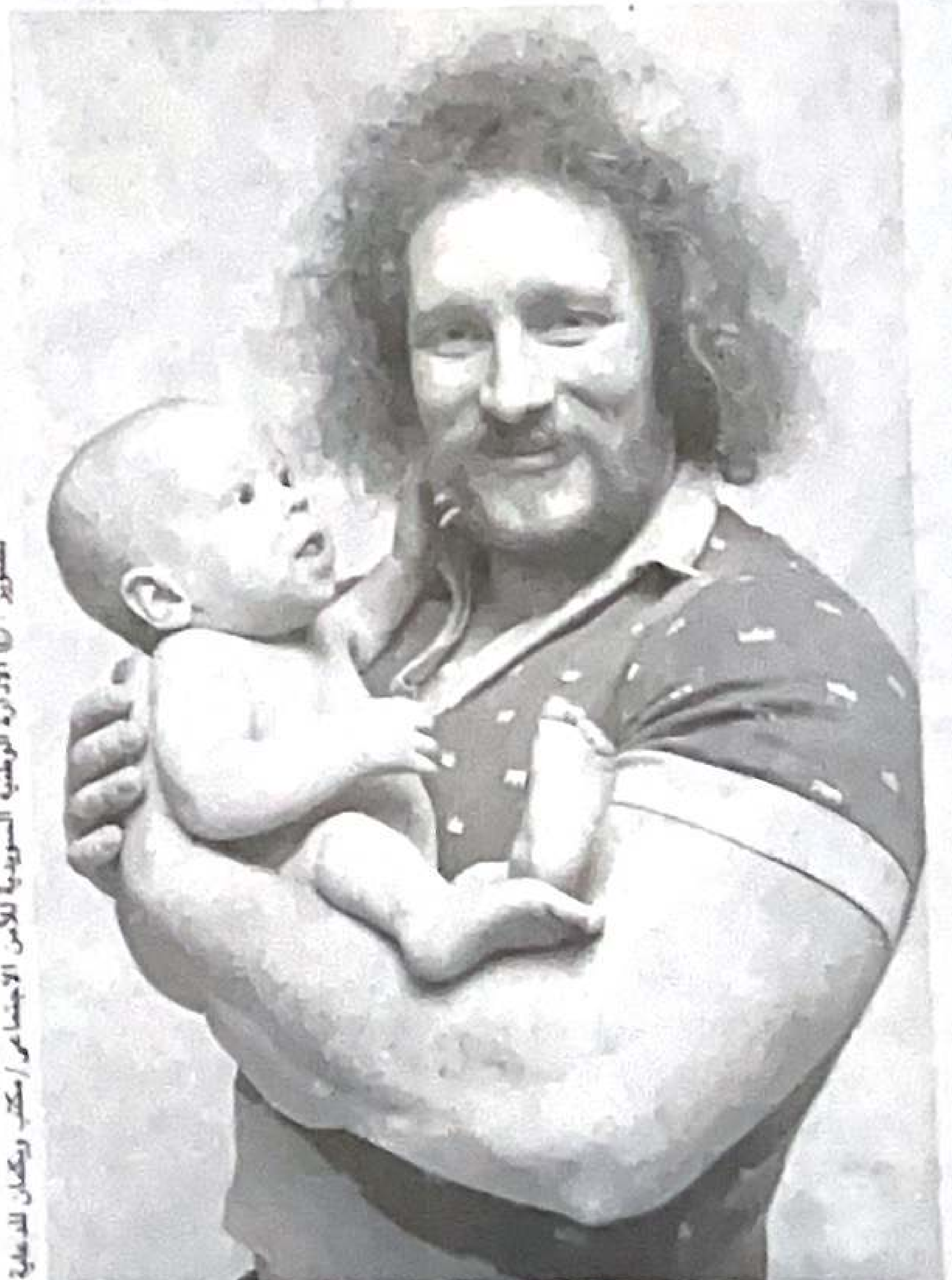
والغريب في الامر ان ذاتية الرجال لم تثر حتى الآن ما اثارته ذاتية النساء من نقاش وجدل. ومع ذلك نعتقد انه يمكننا ان نزعم ان الرجال هم الذين سيكونون موضوعا لكثير من النقاش في الخمسين سنة القادمة.

ويبدو ان النساء قد اكتسبن صفات الرجال دون ان يتخلّين عن ذاتيتهن الانثوية التقليدية. فالمرأة الغربية في القرن العشرين قد أصبحت تنطوي على صفات الجنس الآخر، فهي تجمع بين الرجولة والأنوثة، وتغير دورها ووظيفتها من وقت الى آخر في اليوم الواحد ومن فترة الى اخرى خلال حياتها. وهي، إذ ترفض التخلي عن أي شيء، توفق ما امكن - وهذا ليس دائما بالأمر السهل - بين رغباتها الانثوية والذكرية. وهي تنتقل من السلبية الى الايجابية، وتتحول من ام متفانية الى أنانية طموح، ومن الحنان الى العدوان، ومن الصبر الى حب السيطرة، فتمحو بذلك الفروق الموروثة بين الجنسين.

وفي هذه المرحلة التي تتميز بما احدثت المرأة من انقلاب في الأوضاع، نلاحظ مقاومة الرجال بل وشعورهم بالقلق. ذلك ان التغيير الذي طرأ على زوجاتهم والمطالب الجديدة التي اصبحن يشترطنها يضطرهم الى إعادة النظر في أنموذجهم التقليدي. وهم كثيرا ما يرون في قدرة المرأة على ان تضطلع بكل ما يضطلعون به من اعمال، واستيلاءها على خصائصهم العريقة، ما يشبه التجرد مما يملكون، وفقدان شيء لا يطيقون الحرمان منه.

ولما كان كثير من الرجال يشعرون انهم محصورون بين أنموذج قديم لم يعد مقبولا من النساء وأنموذج جديد يبدو أنهم يخشونه، فإنهم يلجأون الى التهرّب من النساء ومن المسؤوليات الأسرية.

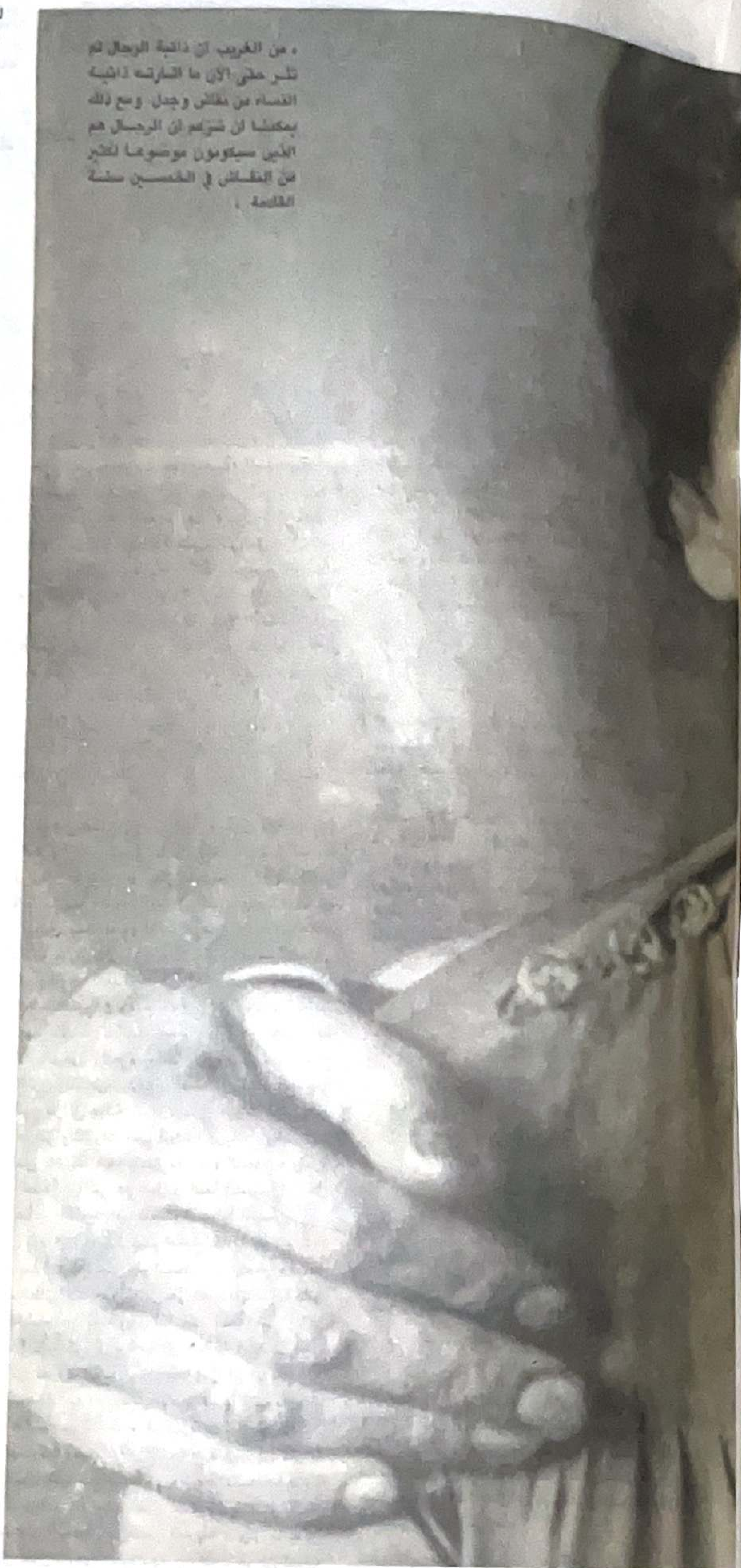
وترجع الصعوبة التي يواجهونها في تمثل الجانب الأنثوي وفي إظهاره بعد ذلك دون تعقيد الى شعورهم بالخطر الذي يحدق برجولتهم. ولا يبدو أن هذا الصراع يصيب النساء كما يصيب الرجال. وأفضل تفسير لهذا الصراع هو ذلك الذي قدمه المحلل النفسي الامريكي روبرت ج. ستولر. ففي رأيه، على عكس ما كان يعتقد فرويد، أن ذاتية «الذكر»



«نظرا لأن النساء ما فتئن منذ فترة تتراوح بين عشر سنوات وخمس عشرة سنة يمارسن الضغط على ازواجهن لكي يشتركوا معهن في متع «الأمومة» وواجباتها (...)، فإن الآباء الشباب يرعون بدورهم اطفالهم ما ان يولدوا وسرعان ما يكتسبون من «سمات» الاتجاهات والاهتمامات والمشاعر ما كان يوصف في الماضي بانه «طبيعي» في حالة المرأة». ادناه، «دور الرجال كآباء»، صورة تستخدمها الادارة الوطنية للأمن الاجتماعي في السويد في حملة ترمي الى منح الآباء ذوي الأطفال صغار السن إجازة ابوية

تصوير © الإدارة الوطنية السويدية للأمن الاجتماعي/ مكتب ريكمان للدعاية

تصوير أندريه كيرتيس، مجموعة مانشستر © متحف الأليزيه، لوزان



«من الغريب ان ذاتية الرجال لم تثر حتى الآن ما اثارته ذاتية النساء من نقاش وجدل. ومع ذلك يمكننا ان نزعم ان الرجال هم الذين سيكونون موضوعا لكثير من النقاش في الخمسين سنة القادمة»

ليست أقوى من ذاتية الأنثى ولا أقرب منها الى الطبيعة، إذ ان الرضيع الذكر لا يفرق طيلة المرحلة الأولى من عمره بين نفسه وبين امه: فهو يعيش معها في اتحاد وثيق.

ومعنى ذلك أن حب الجنس الآخر لا يأتي في المرحلة الأولى من الحياة. وهو لا يتحقق إلا بعد جهد مكثف ومؤلم يبذله الطفل للفكاك من ذلك الاتحاد الوثيق. فينبغي للطفل الذكر أن «ينفصل عن امه» حتى يتخلص من أنوثته وينمي هويته الجنسية المقبلة، وهي الذكورة. لكن هذه الهوية، فيما يرى ستولر، تتعرض دائما لخطر كامن يرجع الى حالة الهناء التي عاشها الطفل مع امه. ومن ثم كان خوف الرجل الشديد من الجمع بين صفات الجنسين، فهو يمثل في نظره خطر الجنسية المثلية، اي خطر فقدان الرجولة.

ويتفق مجيء الألف الثالث من عصرنا مع حدوث انقلاب عجيب في موازين القوى. فلن يقتصر الأمر على زوال نظام السلطة الأبوية الى الأبد في معظم البلاد الصناعية الغربية، وإنما سنشهد أيضا خللا جديدا في توازن العلاقات بين الجنسين، وسيكون الخلل هذه المرة في صالح المرأة وحدها.

ذلك أن النساء - وقد أصبحن يشاركن الرجال في السيطرة على العالم الخارجي بأن يبدعن وينتجن معهم على قدم المساواة - يمتلكن فضلا عن ذلك السلطة المطلقة في مجال الانجاب. فبوسعهن اليوم أن يرفضن إنجاب الأطفال! وسيصبح بإمكانهن غدا أن ينجبن دون مساعدة الرجال الفعلية، وذلك بفضل مراكز تخزين المني. أما العكس فليس ممكنا لأن الرجل يحتاج دائما الى جسد إمرأة لكي ينجب. وبذلك يثور الشك حول علاقة التكامل بين الجنسين التي كان من المعتقد أنها لا مفر منها على صعيد التكاثر. فإذا عرفنا أن علماء البيولوجيا وعلماء الوراثة يتوقعون ان يتمكن العلم في وقت قريب من إخصاب بويضة الأنثى دون الاستعانة بحيوان منوي، أدركنا مدى اقترابنا من تحقيق حلم عريق قوي السلطان، وهو حلم الانجاب دون حاجة الى الجنس الآخر، لولا انه يعني في هذه الحالة إنجاب المرأة دون حاجة الى الرجل.

ومن المرجح أن يتألم الرجال لاحتمال إخراجهم من عملية الاخصاب، ولاختلال التوازن الجديد في غير صالحهم، حتى ولو لم تستغل النساء هذه السلطة القادحة في الألف الثالث من عصرنا. ومن المحتمل إذن أن تصبح حياة الرجال شاقة في العصور القادمة. وقد يتفاقم شعورهم بفقدان هويتهم وخصوصيتهم وضرورتهم. وليس من المستبعد أن يبذلوا قصارى جهودهم لكي يسترجعوا جزءا من سلطتهم. إذ يتوقع علماء البيولوجيا في الوقت الحاضر أن يتحقق ما كان في عداد المستحيلات، وهو أن يتمكن الرجال من «الحمل» قبل مضي نصف قرن... ولم يعد هذا الافتراض جزءا من مجال الخيال العلمي، وسوف يدفعنا قريبا الى إعمال الفكر على نحو جديد تماما بشأن العلاقة بين الجنسين وهوية كل منهما والمساواة بينهما.

فالى اللقاء في الألف الثالث من هذا العصر. ■

إليزابيت بادنتير، فرنسية تحمل شهادة الأحرجاسيون في الفلسفة، وتدير حلقة دراسية عن تاريخ وسيكولوجية الأسرة بمدرسة العلوم التطبيقية بباريس. وقد ألفت كتابا عنوانه «l'amour en plus» وكتابا آخر عنوانه «إميلي، إميلي - امرأة من القرن الثامن عشر» وهي تُعدّ في الوقت الحاضر كتابا عن العلاقات بين الجنسين.

سلطان اللغة

بقلم: كلود هاجيج

يمكننا توخيا للتبسيط ان نقسم قوى اللغة الى نوعين: قوة داخلية اولا، وقوة خارجية ثانيا. فأما القوة الاولى فتتعلق باللغة من حيث هي نظام ومن حيث علاقتها بالذين يستخدمونها فتشكل حياتهم النفسية. واما القوة الثانية فتتعلق باستخدام اللغة في النشاط التعبيري وبالقدرات التي يتيحها هذا الاستخدام لمن يمارسونه.

ووجود اللغة سابق على وجود الفرد: فلا خيار له منذ مولده حتى بلوغه سن الرشد إلا ان يتعلمها. وصحيح ان باستطاعة الفرد ان يوجه اللغة، بل إنه هو الذي يصوغها ويغيرها بطريقة استخدامه لها. غير ان هذه العملية تستغرق فترات طويلة، بالغة الطول. ففيما يسميه علماء اللغة بالتزامن (synchronic)، اي خلال الفترة التي تمتد خلالها حياة مستخدم اللغة، يبدو الفرد وكأنه مركز استقبال تطبعه اللغة بطابعها الذي لا يمحى. ويتجلى هذا الطابع اساسا على مستويين: مستوى تصور العالم، ومستوى الرمزية السيكولوجية الاجتماعية والقومية.

ويستطيع كل منا ان يلاحظ في خبرته اليومية ان كلا من اللغات المختلفة يصوغ تصورا مختلفا عن العالم، فاللغات لا تحاكي ظواهر العالم بطريقة واحدة في جميع الحالات، وإنما هي بالاحرى تنظم هذه الظواهر بحسب انساقها الخاصة بها والتي تختلف من حالة الى اخرى، وتعيد اختراعها بل وتوجدها اصلا، بحيث يكون لها تأثير كبير على طريقة كل مجتمع في تصورها. بل ان هناك من يرون ان ثمة رابطة سببية بين اللغة ورؤية العالم. وذلك هو الاساس الذي يستند إليه الافتراض المسمى بافتراض «سابير - وورف» باسمي عالمَيْ اللغة اللذين ابديا - منذ اوائل هذا القرن - صراحة بالغة في مناصرة هذا الفرض. فقد رأى اولهما «اننا نكون واهمين تماما إذا تخيلنا ان تواؤم الافراد مع الواقع يمكن ان يتحقق دون ان يستخدموا اللغة في وظيفتها الاساسية، وإن اللغة ليست سوى وسيلة ثانوية لحل ما يواجهونه من مشكلات محددة في مجال الاتصال او التفكير. فحقيقة الامر هي ان «عالم الواقع» يتشكل الى حد بعيد وفقا للعادات اللغوية لمختلف الفئات الثقافية»[1]. اما ب. ل. وورف الذي كان تلميذا لسابير، فقد كتب يقول: «إننا نقسم الطبيعة وفقا لخطوط التقسيم التي قررتها لغتنا (...). وليس بوسع احد ان يصف الطبيعة بحياد مطلق، إذ ان الانسان مضطر الى اتباع اساليب معينة في التقسيم في الوقت الذي يتصور فيه انه حر حرية مطلقة»[2]. ويستطرد وورف قائلا إن «الهوبي»، ذلك المجتمع الهندي الذي يعيش على الهضاب الصحراوية في شمال اريزونا، يلاقون صعوبة كبيرة في تصور مكان الفردوس او الجحيم على نحو ما يبشر بهما المبشرون.

ثمة إذن صعوبة لعلها تشبه الصعوبة التي واجهها المبشرون اليسوعيون (الجزويت) في الصين. ففي خبراتهم ما يثير بعض الشكوك بشأن عالمية المقولات النحوية العشرة التي حددها ارسطو، والتي ما زال كثير من علماء اللغة يسترشدون بها في بحوثهم. «إن ما يقدمه لنا ارسطو على انه قائمة بالشروط العامة الدائمة ليس سوى انعكاس فكري لوضع لغوي بعينه (...) فالالفاظ التي يستخدمها ارسطو، والتفرقة التي يقيمها بين المقولات، تنضوي تحت فكرة «الكينونة» التي تشمل كل شيء (...). إن اللغة اليونانية لم يتوافر لديها فحسب فعل بعينه هو فعل «يكون» (الذي لا يتوافر بالضرورة في كل لغة)، وإنما استخدمت ايضا هذا الفعل بطرق خاصة بها تماما»[3].

ومعنى هذا ان وجود فعل «يكون» باليونانية والطريقة التي تقسم بها تلك اللغة المقولات النحوية في نطاق ما يمكن ان يقال، هما مصدر إلهام النحو كما يمارسه علماء اللغة في الغرب وكما فرضوه بطريقة مصطنعة على لغات غيرهم من شعوب العالم. فالأب ماتيو ريتشي لم يجد إلا عبارة «سيد السماء» لكي ينقل الى الصينيين فكرة الله. وكان يواجه مشكلة بالغة الخطورة في جميع المحاولات التي بذلها للتوافق معهم. ذلك ان «الفكر الصيني (...) لا يعني بنعم ولا، بالوجود والعدم، وإنما يعني بأضداد تتتابع وتقترن وتتكامل (...). إن استخدام اللغة الصينية يظهر طرائق عقلية اخرى وينمّي قدرات اخرى غير الطرائق والقدرات التي آثرها الغرب»[4]. ولقد ثارت نفس المشكلة فيما يتعلق بفكرة «الجوهر» وفكرة «الصفة» (التي هي فعل في اللغة الصينية)، وبكل العناصر اللغوية التي تتحكم في عملية التصور.

ذلك ان ايّاً منا لا يهتم اهتماما كافيا بما لا يجد له اسما في لغته، حتى ولو استطاع ان يتصوره تماما. فسلطان الاشياء والمعاني على الفرد يزداد إذا كانت لها اسماء في لغته ويقل إذا خلت اللغة منها. إلا ان هذا لا ينبغي ان يدفعنا الى المبالغة في تقدير القوة التي نعزوها للغة. وبوسعنا إذن ان نبدي بعض التحفظات بإزاء حماس نيتشه عندما كتب يفسر ما «هنالك من تشابه غريب بين جميع الافكار الهندوكية واليونانية والالمانية». فقال «إن القرابة اللغوية تستتبع بالضرورة وجود فلسفة نحوية مشتركة (...) تدفع الفكر بحكم تكوينه الى إنتاج مذاهب فلسفية تنمو بنفس الطريقة». وكل ما يمكن ان تقول - وهو تسليم مهم في ذاته - هو ان تشابه

يتبع صفحة ٢٣

الصفحات الملونة

الصفحة ١٩: في ٢ يوليو/تموز ١٩٨٥، بدأت مركبة الفضاء «جيوتو» - التابعة لوكالة الفضاء الاوروبية (إيسا) - رحلة تستغرق ثمانية اشهر، وينبغي ان تنتهي بها الى لقاء المذنّب هالّي في ١٣ مارس/آذار ١٩٨٦. وفي ١٨ اكتوبر/تشرين الاول ١٩٨٥ التقط جهاز التصوير بالالوان الذي تحمله المركبة، او ما يسمى بآلة تصوير هالّي متعددة الالوان (HMC : Halley Multicolour Camera) مجموعة من الصور للارض من مسافة تبلغ ٢١ مليون كيلومتر وفي هذه الصورة التي التُقطت في الساعة السادسة حسب التوقيت العالمي، تُلاحظ تكوينات من السحب فوق استراليا والقطب الجنوبي.

أعلى الصفحة الى اليمين: صورة للمذنّب هالّي التُقطت من مرصد لاويل (الولايات المتحدة) في ١٩ مايو/ايار سنة ١٩١٠. وقبل ذلك بشهر، كان المذنّب قد وصل الى نقطة الذَّنَب (اقرب نقطة في مدار المذنب من الشمس) واصبح عندئذ على بعد ٠,٩ وحدة فلكية من الشمس وعلى بعد ٠,٣ وحدة فلكية من الارض (تساوي الوحدة الفلكية ١٥٠ مليون كيلومتر تقريبا).

تصوير: © إيسا، باريس، بتصريح تفضل به مرصد لاويل الفلكي والرصد الوطني للرصد الفلكي بالاجهزة البصرية، الولايات المتحدة.

الى اسفل: «ملوك المجوس يسجدون للطفل يسوع»: إحدى اللوحات الجدارية بمصلّى سكروفيني ببادوا، وقد نفذها حوالي سنة ١٣٠٣-١٣٠٥ الرسام والفيلسوف والمهندس المعماري الايطالي جيوتو دي بوندوني (١٢٦٦-١٣٣٧). وقد ظهر المذنّب هالّي في السماء في ١٣٠١، وهو يمثل هنا نجمة بيت لحم. وتكريما لصاحب هذا الرسم العلمي الاول، اطلقت وكالة الفضاء الاوروبية اسم الفنان على الرحلة التي نظمتها لملاقاة المذنّب.

الصفحة ٢٠: «السماء إنسان»، ١٩٤٢: لوحة زيتية (١٨٣×٢٣٩ سم) للرسام الشيلي روبرتو ماتّا. مجموعة يوسف ر. شابيرو، شيكاغو.

تصوير: © فرناندو شافيس

الصفحة ٢١: في اعلى هذه اللوحة التي رسمها في ١٩٧٦ الفنان الارجنتيني انتونيو سيجي بالباستيل على القماش (٢٥٠×٢٠٠ سم) والتي تسمى «لقد مضيتَ دون ان نلاحظ»، يمكن التعرف على كارلوس جارديل (١٨٩٠-١٩٣٥) مؤلف وملحن وعازف التانجو الارجنتيني.

تصوير بتريس ماتالا © مركز جورج بومبيدو، باريس





تابع صفحة ١٨

البنى اللغوية والقوالب الفكرية في ثقافات مختلفة امر مألوف بدرجة تمكنه من ان يثير خيال من يلاحظه

وفي الرموز السيكلوجية الاجتماعية والنزعة القومية مجال آخر تمارس فيه اللغة سلطانها. ذلك ان الفرد يحيا تجربة استخدامه للغة كعلاقة تؤسس ذاتيته او تكسبه إياها إن لم تكن سبيله الى الوجود ذاته. فاللغة ليست هي تلك الأداة الصرف التي قد نؤول إليها لو اننا قبلنا ذلك التعريف المخل الذي لا يرى فيها سوى أداة للاتصال.

وما يصدق على الفرد يصدق من باب أولى على المجتمع وقد أصبح امة. وهنا ينبغي ان نقرأ ما كتبه عالم لغوي مَجَريّ عليم بما يقول: « من المألوف في البلدان الصغرى التي لا تسمح لها الحقائق الاحصائية والجغرافية بأن تطمح الى ان تكون في مصاف الدول العظمى أن يستمد الوعي الوطني اسباب بقائه وعظمته من نوع من الايمان يقوم على تقديس اللغة الوطنية وبعض العناصر الأخرى في التراث الوطني والفولكلوري ». وإنه لفي الأمثال المَجَرية ايضا اننا نجد القول التالي « لا تحيا الأمة إلا بلغتها » (myeleben el a memzet).

وللغة إذن قوة تمكنها من أن تجمع الطاقات حول قضية من القضايا الوطنية تستطيع هي تجسيدها كما لا يجسدها اي عنصر آخر من عناصر الثقافة. ولدينا شاهد على ذلك في المطالب القومية لاقليات عديدة تنتسب الى لغاتها. فهناك القشتاليون والبربر والاوكرانيون والاكراد وسكان التبت واهل بريتاني بفرنسا والغاليون والباسك والمقدونيون. إذ يمكن للقومية عندما تسلح المجتمعات للدفاع عن ثقافتهم عن طريق الدفاع عن لغتهم، أن تتخذ اشكالا عنيفة مثل: المواجهة العسكرية، وحرب المدارس المتمثلة في مقاومة إلحاق الأطفال ببرامج دراسية « اجنبية »، والمظاهرات وما إليها: وذلك كما حدث في الهند واليونان (حيث ادت الانتفاضة المحافظة التي وقعت في ١٩٥١ احتجاجا على ترجمة العهد الجديد الى اليونانية الحديثة الى مقتل عديد من الاشخاص).

وهناك دول كبرى تفرض لغاتها بفضل سلطانها الذي تمارسه بوصفها هذا. ذلك ما يحدث اليوم في حالة الولايات المتحدة وفي حالة اكبر البلاد مساحة، اي الاتحاد السوفييتي. فقد تقهقرت اللغات الهندية في امريكا الشمالية أمام زحف اللغة الانجليزية الامريكية، على حين ان اللغات التي ما زالت مستعملة بين فئات قروية واسعة النطاق، وذلك مثل لغة النافاو في ولاية اريزونا، إنما هي لغات نادرة ومهددة بالاندثار على اي حال. أما في الاتحاد السوفييتي، فإن لغات مثل الكورياكية في شمال شرقي سيبيريا والتشتشينية والانجوشية والشركسية والابخارية في القوقاز والاودمورتية واللغات التركية مثل القرغيزية والازبكية وغير ذلك من اللغات مثل التشيرميسية بحوض الفولجا واللهجات الساموييدية التي يتكلمها السكان الرحل في « الاوب » الادنى، والزيرية في حوض البتشورا - هذه اللغات كلها تبدو عاجزة عن المقاومة في مواجهة اللغة الروسية إذ تتشبع بها دون ضابط وتستعير منها الكثير دونما تخطيط.

لذلك فإن الدول تنشىء أجهزة رسمية للتخطيط عندما تدرك سلطان اللغة. ومن ثم كان إنشاء مجامع اللغة أحد المعالم الهامة في تاريخ كثير من اللغات: إيطاليا (اكاديمية كروسكا، ١٩٨٢)، المانيا (١٦١٧، ١٦٣٣، ١٦٤١)، فرنسا (١٦٣٥)، اسبانيا (١٧١٣)، السويد (١٧٨٦)، رومانيا (١٨٧٩)، سوريا (١٩١٩)، مصر (١٩٣٢)، إسرائيل

IL PLEUT

Il pleut des voix de femmes comme si elles étaient mortes même dans le souvenir
c'est vous aussi qu'il pleut merveilleuses rencontres de ma vie ô gouttelettes
et ces nuages cabrés se prennent à hennir tout un univers de villes auriculaires
écoute s'il pleut tandis que le regret et le dédain pleurent une ancienne musique
écoute tomber les liens qui te retiennent en haut et en bas

يقول مؤلف هذه المقالة في كتابه « L'homme de paroles »: « إن استقلال النص المكتوب يجعل منه غاية في حد ذاته (..) ذلك ان الكتابة، وقد سجلت على سطح مستو، تستطيع ان تبرز شيئا فشيئا كثيرا من إمكانيات الترابط بين مختلف الاتجاهات: الراسي، والأفقي والمتيامن والمتياسر. ولقد كان الشاعر الفرنسي جيّوم ابولينير (١٨٨٠-١٩١٨) يعتبر ما جاء في كتابه الشهير « Calligrammes » (قصائد مرسومة) « صورة مثالية للشعر (..). ونوعا من دقة الطباعة في وقت تختتم فيه الطباعة حياتها بنهاية رائعة... ». الى اسفل قصيدة ابولينير المرسومة « المطر ».



الصفحة الملونة المقابلة

تمثال بوذا « فاجرا ساتفا » من البرونز المذهب، من عمل النحات زانابازار (١٦٣٥-١٧٢٣) احد اساتذة الفن الديني المنغولي. ويبدو هذا الكائن الذي يتميز بين الآلهة الرئيسين بانه رب الـ « فاجرا » (الصواعق او الماس)، وقد حمل في يده اليمنى فاجرا (رمز الذكورة) وفي يده الأخرى جرسا صغيرا (رمز الانوثة)، ومال راسه قليلا الى اليسار. متحف معبد شوجين لاما في اولان - باتور.

(١٩٥٣). وتضطلع هذه الهيئات بمسؤولية استغلال سلطان اللغة استغلالا رشيدا بأن تتخير، في حالة تعدد اللغات، اللغة أو اللغات ذات الصبغة الوطنية، وبأن تنشر قوائم لحصر ما تجيزه من تعبيرات مستحدثة وذلك دفاعا عن نقاء اللغة كما تتصوره، وبوضع قواعد الكتابة أو إصلاحها، وبإنشاء الذخيرة المعجمية الخاصة بأقدم اللهجات (انظر حالة تركيا في عهد أتاتورك)، وبتصنيف كتب النحو والقواميس.

أن القوة الداخلية التي تتمتع بها اللغة لا ترجع إليها في هذه الحالة بوصفها نظاما قائما بذاته وإنما باعتبارها نشاطا يمارس. ونحن إذن بصدد ما يسميه علماء اللغة بالكلام. وليس من قبيل المصادفة أن الذين يسخّرون اللغة لتحقيق أغراض القيادة في جميع الكيانات المنظمة وفي مقدمتها الدولة، يخصون شؤون اللغة بكثير من الاهتمام في معظم الأحيان، إذ يحرص الحكام، عن طريق تأييد البحث العلمي أو دعمه، على توحيد اللغة أو إصلاحها عند الاقتضاء. والدليل على أن هذا الحرص ليس من قبيل اللعب البريء الذي يمارسه عشاق الكلام وإنما هو نشاط سياسي بكل معنى العبارة، هو ما يتضح من المواقف السياسية الصريحة التي يُذكر منها موقف ستالين في مقالته الشهيرة التي نشرت في صحيفة « البرافدا » سنة ١٩٥٠، والتي جرد فيها عالم اللغة « مار » من سلطانه بعد أن سيطرت نظرياته اللغوية على الساحة السوفييتية فعرقلت كل تقدم لفترة طويلة. لقد كتب ستالين في تلك المقالة يقول : « أما فيما يتعلق بالماركسية في مجال اللغويات، (...) فإن تلك قضية تعنيني أنا بصفة شخصية ».

والواقع أن النظم السياسية التي تنهض على طريقة معينة من طرق معالجة الألفاظ إنما يمكن اعتبارها لوجوقراطيات « logocraties » (حكومات لغوية)، أي أنها نظم تستند في سيطرتها على قوة الكلام. وفي مجال الرواية، تعد لغة « النِّجْتكلام » (« Newspeak ») كما وصفها جورج أورويل مثالا واضحا للغة تستهدف القضاء على أي تفكير مخالف للأورثوذوكسية عن طريق استبعاد الأسماء التي يمكن أن يستعين بها. أما عالم الواقع فإنه حافل باللوجوقراطيات. وليس هناك من سلطة سياسية إلا ولديها ما يغريها بدرجات متفاوتة بأن تستغل قوة الكلمات بعد الانحراف بها عن معانيها وتحويلها الى قوالب جامدة بغية حجب الحقيقة.

وتنطوي اللغة البيروقراطية الجامدة على أساليب فريدة، يذكر منها أسلوب سبقت دراسته وقوامه الاستعاضة عن أكبر عدد ممكن من الأفعال والصفات بصيغ اسمية، وبذلك يصبح الكلام وسيلة للهروب من مواجهة الواقع الذي يناظره استخدام الأفعال. ومثال ذلك أننا إذ نستعيض عن « آرائي صائبة » بـ « صواب آرائي »، نتحول في الواقع عن التقرير الصريح الذي قد يستدعي النقد الى الفكرة الضمنية التي تدّعي أنها صورة مطابقة للدليل المتحقق. إن الشخص الذي يستخدم مثل هذا النوع من الكلام لا يتجنب مسؤولية مايقول فحسب وإنما يتجنب الاعتراضات عليه في الوقت نفسه. ذلك أن المستمع أقدر على الاعتراض على جملة تامة مثل « إن آرائي صائبة » منه على الاعتراض على بداية جملة لم تكتمل مثل « إن صواب آرائي... ».

وثمة لغات تبوح فيها الكلمات صراحة بأنها مصدر للقوة، على حين أن هناك لغات أخرى تظل فيها هذه الخاصية الغريبة التي تجعل من اللغة قوة



يسعى الفنان التشيكي جيري كولار عن طريق « قصائده المجسمة » الى جعل « الشعر مائلا على مشهد من الجميع ». ومن المواد التي يستخدمها في هذا الصدد أشياء صغيرة يسهل التعرف عليها مثل أمواس الحلاقة وعلب الكبريت والمفاتيح وقطع القماش؛ وكان الهدف هو تجسيم الكلمات. وهو يختار في ملصّقاته، كما هو الحال في « التفاحة » (١٩٦٧) التي ترد صورتها هنا، من المواد ما يُستخدم في شتى أساليب الطباعة التي ابتكرها الانسان للاتصال بالغير، وذلك مثل : شذرات من المخطوطات القديمة والخطابات والقواميس ومختلف الكتابات من عربية وعبرية وصينية وفارسية وقوطية وسيريلية ولاتينية ويونانية.





« يعد الأسلوب الشفوي نوعا أدبيا حقيقيا. فهو يقوم على تراث ثقافي يبرر صك عبارة « الأدب المنطوق » لتقابل عبارة « الأدب المكتوب » (...) بمعنى أن من شأن الأدب المنطوق أن يحفظ ما في الثقافة المعنية من معالم دون أن يترك آثارا مادية (كلود هاجيج « L'homme de paroles »). الى أسفل : بلطة معقوفة يستخدمها شعب الـلُيليه بزائير في طقوسه ويبلغ طولها ٤٠ سنتمترا؛ وتمثل سلطان اللغة والكلام؛ ومقعد من الخشب مزين بصورة لأحد الأسلاف (ارتفاعه ٧٦ سنتمترا) يستخدمه شعب الياتمول في بابوا غينيا الجديدة. وهو لا يستخدم في الجلوس وإنما يقوم مقام « المنبر » عندما تدور المناقشات المعتادة بشأن الأساطير والأنساب.

خفية وقادرة بالتالي على إغواء المستبدين، خاصية غير معلنة ويغدو من العسير التعرف عليها في الأحوال العادية. وتندرج الناهوتلية، لغة شعب الأزتيك، في عداد الفئة الأولى. ففي المكسيك كان الشخص الذي تطلق عليه اسم « الامبراطور » يحمل لقب « tlatoani » أي « المتحدث » من الفعل « tlatoa » أي « يتحدث ». ونحن نجد نفس الجذر في الألفاظ التي تتعلق بالكلام مثل « tlatolli »، أي « اللغة »، وفي الألفاظ التي تتعلق بالسلطة، مثل كلمة « tlatocan » التي تدل على « المجلس الأعلى » حيث يدور الحديث وتصدر السلطة. وليس من قبيل المصادفة أن الحاكم يوصف بأنه « tlatoani » : سلطته تستند الى فن الكلام والى الخطب التي تُلقى في المجلس والى المهارة والجلال اللذين يميزان تلك الكلمات المهيبة والصور التي كان الأزتيك يولعون بها.

من ذلك نرى أن سلطان الكلمة واضح في جميع المجالات سواء من حيث تأثيرها منذ نشوئها على التصورات العقلية للناطق بها في محيطه الطبيعي إذ هي تشكل تفكيره، أو من حيث إمكانية توظيف اللغة المستعملة - أي الكلام - بهدف السيطرة. وعلم اللغة الذي يدرس هذه القوى إنما يدرس في الوقت نفسه أعمق ما في الانسان. ذلك أنه قد أصبح في مستطاع الانسان بعد إخضاع الطبيعة لارادته أن يحول المعطيات البيولوجية عن طريق دراسة خواصها ووسائل التأثير عليها دراسة دائبة ومتعمقة.

وذلك هو نفس النهج الذي يتبعه الانسان في دراسة اللغة. فماذا عساه أن يكون مصير الآلات التي أخذت تنتشر في الأسواق بفضل الثورة في مجال معالجة المعلومات ودراسات الذكاء الصناعي ؟ هل يجد الانسان فيها صورة ولو شاحبة لقدراته الفريدة، أو سادة جددا تتأهب لاستعباده، كما حدث لتلميذ الساحر الذي وقع ضحية لمخترعاته ذاتها ؟ إن المستقبل وحده هو الكفيل بأن يقدم الاجابة عن هذه الأسئلة. غير أن عالم اللغة الذي يدرس سلطان اللغات الطبيعية لديه من الأسباب ما يجعله يعتقد أن سلطان اللغات الصناعية ليس بالأمر المتوقع في الغد القريب. ■

(١) *E. Sapir,. « The status of linguistics as a science »*, Language, *5, 1929, p. 209 (207-214).*

(٢) *B. L., Whorf*, Language, thought and reality, *New York, The Technology Press, 1956.*

(٣) *E. Benveniste, « Catégories de pensée et catégories de langue »*, Les Études Philosophiques, *4, 1958, reproduit dans* **Problèmes de linguistique générale**, *Paris, Gallimard, 1966, pp. 70-71 (63-74).*

(٤) *J. Gernet*, Chine et christianisme : action et réaction, *Paris, Gallimard, « Bibliothèque des Histoires », 1982, pp. 326-327.*

(٥) *J. Erdödi, compte rendu de G. Barczi*, A magyar nyelv életrajza *(Budapest 1975)*, *Études Finno-ougriennes 12, 1976, p. 304 (304-307).*

(٦) *J. Soustelle*, La vie quotidienne des Aztèques à la veille de la conquête espagnole, *Paris, Hachette, 1955, p. 114.*

كلود هاجيج، أستاذ جامعي فرنسي، ومدير للدراسات بالمعهد العملي للدراسات العليا، وعضو بمختبر اللغة بالمركز الوطني للبحوث العلمية (CNRS). ألف عشرة كتب عن اللغة، آخرها هو « L'homme de paroles » (١٩٨٦). وقد دفعته بحوثه اللغوية الى الترحال من أفريقيا الى أوقيانيا ومن أوروبا الى العالم العربي ومن الصين الى معازل الهنود بأمريكا.



تصوير © بريزنس أفريكين، باريس

شيخ أنتا ديوب (١٩٢٣-١٩٨٦)

توفي في داكار في ٧ فبراير/شباط ١٩٨٦ عالم فذ من أعلام الثقافة، ذلك أن اسم الأستاذ شيخ أنتا ديوب يقترن دائما بنهضة التاريخ الأفريقي. فبفضل أعماله أمكن رفع النقاب عن صفحات كاملة من ماضي أفريقيا؛ وبذلك أمكن سد الثغرات في معرفتنا بتطور البشرية بصفة عامة. ولم يعد من الممكن اليوم كتابة تاريخ مصر القديمة دون الرجوع الى مؤلفاته عن نشأة الحضارات الأفريقية وعن الحضارات الفرعونية. كان شيخ أنتا ديوب رجل علم وأدب؛ وكان في الوقت نفسه أخصائيا في الانثروبولوجيا والتاريخ والفيزياء والمصريات واللغويات والفلسفة. فبعد أن درس لعدة سنوات على عالم الفيزياء الفرنسي فردريك جوليو كوري، تخصص في الفيزياء النووية بالكوليج دي فرانس. أما في مجال العلوم الانسانية فقد تتلمذ على عالمين بارزين، هما الفيلسوف جاستون باشلار والمؤرخ المتخصص في عصر ما قبل التاريخ أندريه لروا - جورهان. وأعد بجامعة السوربون رسالة عن الدراسة المقارنة للنظم الاجتماعية بأوروبا وبإفريقيا السوداء بداية من العصور القديمة حتى نشوء الدول الحديثة. وقد عمل شيخ أنتا ديوب أستاذا للمصريات بجامعة داكار، وكان مديرا مؤسسا لمختبر الكربون المشع بالمعهد الأساسي لأفريقيا السوداء. فلا غرو أنه كان من أنشط الأعضاء في اللجنة العلمية الدولية التي تضطلع بإعداد التاريخ العام لافريقيا. ويقع هذا المؤلف الهام، الذي يعدّ تحت رعاية اليونسكو، في ثمانية مجلدات صدر بعضها، وما زال بعضها الآخر قيد الاعداد. ■

متحف بيكاسو

بقلم : دومينيك بوزو

يضم متحف بيكاسو بباريس الذي افتتح في ١ اكتوبر/تشرين الاول ١٩٨٥ مجموعة بيكاسو من اعمال غيره من الفنانين ونخبة كبيرة من اعمال بيكاسو قدمها ورثته للدولة الفرنسية في سنة ١٩٧٩ وفاء للضريبة المستحقة على التركة. ويبلغ المجموع الكلي للاعمال التي يضمها المعرض قرابة ٢٣٠ لوحة و١٥٠ عملا منحوتا و٩٠٠ قطعة من الخزف و١٥٠٠ رسم و١٥٠٠ لوحة محفورة. وقد عُرضت هذه المجموعة الممتازة في مبنى من اجمل المباني التاريخية بحي Marais بباريس، وهو مبني اوتيل اوبير دى فونتني الذي انشىء في ١٦٥٩ والذي رُمِّم وهُيِّىء خصيصا لهذا الغرض. وفيما يلي مقابلة صحفية اجرتها ، رسالة اليونسكو ، مع دومينيك بوزو الذي ادى دورا حاسما في إنشاء متحف بيكاسو.



الصورة © جميع الحقوق محفوظة

صورة الدّرج في مبنى اوتيل ساليه بباريس الذي اصبح متحف بيكاسو. اما النجفة فهي من اعمال دييجو جياكومتي.

• هل يمكن لمجموعة بيكاسو الخاصة (الاعمال التي احتفظ بها سواء اكانت من إبداعه هو ام من إبداع فنانين آخرين) ان تعرف هاويا للفن بالاتجاهات السائدة في اعمال الفنان ؟

- سؤال تصعب الاجابة عنه، لأن المجموعة الخاصة لا تفسح بالضرورة مجالا لمقارنة اعمال الفنان بأعمال غيره من الفنانين او لاستكشاف علاقته بهم. والشيء الذي يثير الاعجاب في حالة بيكاسو انه كوّن لنفسه مجموعة خاصة عن طريق الشراء وعن طريق التبادل مع غيره من الفنانين في وقت مبكر جدا منذ مطلع هذا القرن. ومن ثم فقد اتيح لهذا المتحف أن يجمع بين مختارات الرسام ومعظم اعماله. وهكذا تعتبر لوحات روسّو الملقب بموظف العوائد - التي اقتناها بيكاسو في الفترة ما بين عامي ١٩١٩ و١٩٢٠ في نفس الوقت الذي هجر فيه التكعيبية وعاد الى الأسلوب الكلاسيكي - شواهد قاطعة الدلالة على نحو ما على الامكانات التشكيلية التي نتجت عن الثورة التكعيبية. ويصدق ذلك على لوحات سيزان الثلاثين. فهي - وإن كانت لم تُضم الى المجموعة حين ظهرت التكعيبية الى حيز الوجود في عام ١٩٠٧ - ذات اهمية في فهم الفراغ والضوء في اعمال رسام ايكس (AIX)، او بعبارة موجزة في فهم جوهر الاشكالية التكعيبية. اما لوحات رفاق الطريق - دران وبراك وماتيس - فإنها تفسح المجال لعقد مقارنات تسمح بتبين الاتجاهات السائدة في اعمال بيكاسو.

• فهل تنطوي مثل هذه المجموعة الكبيرة على دلالات تنبىء بقدرة الرسام على اعتناق الفن بابعاده ، العالمية ، اي على الاتصال بثقافات اخرى والارتباط بفترات فنية سابقة بحيث يصبح استمرارا لها ؟

- دأب بيكاسو منذ مطلع القرن وحتى بداية الحرب العالمية الثانية على تجميع اعمال فنية بدائية من اوقيانيا ومن افريقيا بصفة خاصة، وتعليقها في مرسمه. وقد عُرض الجانب الأكبر من هذه الاعمال في متحفه. وواضح منها أن الفنان لم يقلد الفن البدائي على الاطلاق، وإنما دُفع بحكم جدلية إبداعه وبحكم لون التكعيبية وشكلها فيما بعد إلى رؤية ما فيها من وشيجة أو من قرابة حميمة تثبت ايمانه بمسعاه. كذلك نظر بيكاسو في فنون ما قبل التاريخ، وفي الفن الأيبيري بنوع أخص - وهذه الأعمال تعرّف هواة الفن بالطريق التي سلكتها ملكاته الابداعية. غير أن الفن البدائي لم ينل قط من الاستقلال الذي بلغته أعماله التشكيلية والفلسفية.

• ومن هذه الناحية يعتبر متحف بيكاسو ملتقى نادر المثال للدراسة والمعرفة، إذ اجتمعت فيه آثار خلفتها حضارات أخرى واعمال معاصرين آخرين يسعنا ان نضعهم في مرتبة الاصول.

- وميزة هذا المتحف هي أنه يكاد يضم كل الدراسات التحضيرية التي اعدها بيكاسو وكل ما يتعلق بفكره من سجلات. ومن خلال هذا المختبر التجريبي لأعماله (آثار الحضارات الأخرى أو علاقاته مع الفنانين الآخرين) يقدم المتحف إمكانات تعليمية فائقة الأهمية تسمح باختيار موضوعات بذاتها في اعمال بيكاسو وإبراز استمراريتها وتطورها وما طرا عليها من اختلافات عبر فترة معينة او عبر اعماله برمتها. فمن المعلوم انه كان يذهب دائما الى ابعد مما كان يقدر، وأن ملكته الابداعية كانت تخونه، وانه كان يعاني من الحاجة الى التوقف لوقت ما عما كان يفعل... وانتهى به ذلك الى السيطرة على افكاره على نحو يوشك أن يكون تاما : وكان يستعين على تحقيق هذه السيطرة بالرجوع الى الذين سبقوه من كبار الفنانين، ومن اجل ذلك تظهر في اعماله بانتظام صياغات جديدة لفنانين عالميين وقد ابدته هذه المقارنة بحرية هائلة إزاء بعض النظم التي حُدِّدت بصورة نهائية. ويتميز المتحف ايضا بأنه يضم مجموعة كبرى تتخللها مجموعات أخرى تمهد لها او تنبثق عنها.

• هل كان لمثل هذه الاعتبارات العامة السابقة اثر حاسم في تنظيم المتحف ؟

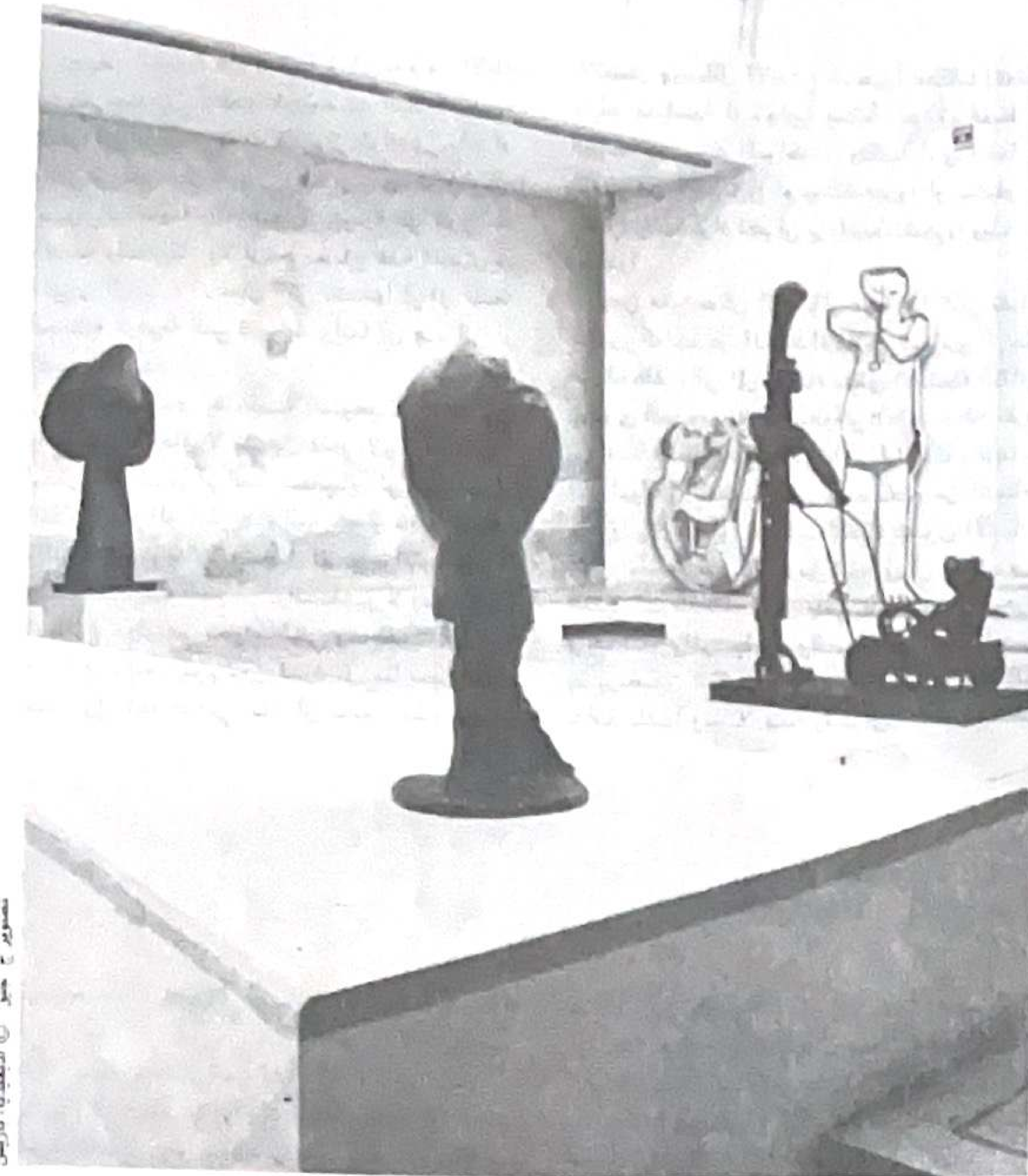
- تتمثل الغاية التي يهدف اليها تصميم المتحف في إبراز الأعمال وإحياء الروائع : كما تتمثل في الوقت نفسه في إيضاح قوة التجديد من فترة الى اخرى والرجوع الى البدايات في فترة سابقة. فثمة عمل أنجز في الخمسينات يُعرَض الى جانب عمل يرجع الى عام ١٩١٩ لابراز الاستمرارية من حيث الشكل او من حيث الموضوع، وسيجد الجمهور في ذلك مادة للتأمل. كذلك عُرضت أعمال نحتية الى جانب لوحات، لأن النحت في أعمال بيكاسو كان يظهر حين يواجه مشكلة الفراغ.

• هل يكون ترتيب المتحف بوضعه الحالي هو ترتيبه النهائي ؟

- إن أسلوب العرض الحالي ليس نهائيا. ذلك ان المتاحف تتميز - خلافا لما كان عليه الحال في القرن التاسع عشر - باننا إنما ندرك مدى ثرائها وإمكانية تعديلها كلما ازددنا خبرة بها. وينبغي أن تسمح خصوبة الأعمال المعروضة ذاتها باعادة ترتيب عرضها على نحو مختلف. بيد أن الترتيب الحالي للمعروضات يستهدف قصدا جليا هو إبراز ثراء المجموعة، وتمكين الجمهور من الاستمتاع بمشاهدتها، وضمان اتساقها مع المبنى الذي يرجع الى القرن السابع عشر.

• وهل توجد في العالم متاحف اخرى تم تصميمها وتنفيذها على نسق مماثل ؟

- توجد في العالم متاحف كثيرة من هذا النوع. فهناك متحف رودان في باريس، ومتحف ماتيس في نيس، ومتحف فان فوق في امستردام، ومتحف إدوارد مونك في اوسلو. وتتفق كل البلاد تقريبا في رغبتها في تخصيص متحف لفنانها الكبير. ولا صعوبة في ذلك إذا كان الفنانون قد بلغوا مستويات رفيعة وكنا نملك خيرة أعمال الفنان المعنّي او اكثرها اهمية. وليس المطلوب في هذه الحالة إنشاء متحف بالمفهوم العملي لهذا التعبير، بل تدبير مكان بالقرب من موضع الابداع. وقد كان من محاسن الصدف ان وقع الاختيار على مبنى أوتيل ساليه Hôtel Salé الذي يثبت أن فن القرن العشرين يستطيع ان يتوامم مع القرن السابع عشر او أن يعمل على استمراره. فها هي المنحوتات الضخمة التي ابدعها بيكاسو في حقبة الثلاثينات تتجاور فوق الدّرج الكبير مع منحوتات الفنانين الفلمنك الذين كانوا يفدون الى فرنسا للعمل إبان القرن السابع عشر. وقد عاش بيكاسو خلال هذه الفترة ذاتها



ياوي هذا الجزء من متحف بيكاسو بباريس خمس منحوتات نفذها الفنان العظيم في فترات مختلفة من تطور فنه : الى اليسار تمثال ، راس امراة ، (برونز) ويرجع الى سنة ١٩٣١ والى اليمين التمثال الشهير ، امراة تدفع عربة طفل ، (برونز) و ، لاعب الفلوت جالسا ،. وترجع كلتاهما الى سنة ١٩٥٨

وخلال فترة لاحقة لها في بيوت حضرية كبيرة أو في مساكن ريفية تحيط بها أجواء قريبة كل القرب من الأجواء التي تحيط بأوتيل ساليه : لقد أبدع بيكاسو أعماله في مكان مثل هذا المكان وفي بقعة مثل هذه البقعة. ولنذكر أخيرا أنه كان لوجود أثاث من تصميم فنان آخر (دييجو جياكومتي : شقيق النحات الشهير) أثره في إضفاء ترابط شامل بين عناصر اللقاء.

• فما الذي يمكن ان نختتم به حديثنا عن إنجاز من هذا القبيل ؟

- إننا نشجع جماهيرنا اليوم على ارتياد المتاحف، ولكن الجمهور لا تسعفه وسائل الاعلام ولا تتوافر لديه المعارف اللازمة دائما، وغالبا ما تستبد به الحيرة حتى وإن كان شغوفا بالفن. وتكمن مشكلة القرن العشرين في تكاثر الاتجاهات المتناقضة - ابتداء من التقاليد التي تتشبث بها النزعات الكلاسيكية وانتهاء باكثر مذاهب الفن تحررا في هذا العصر - الى حد يخشى معه المرء من أن يضيع في غمرة تنوع الفكر الحديث. ولكن متحف بيكاسو يقدم عامة الجمهور الى فن القرن العشرين : ذلك أن نظرة الفنان وسيلة جيدة لفهم القرن الذي عاش فيه، وخاصة إذا كانت أعماله تغطي اكثر من ثمانين عاما من الابداع. والأمر يتعلق في نهاية المطاف بفنان إنساني النزعة يضفي على هذا المتحف بحكم موقعه من الماضي وعلاقته بالفن - بوصفه تراثا وعملية تاريخية - طابعا عاليا فيه غذاء للعقل وتنبيه للشعور في وقت معا. ■

دومينيك بوزو، رئيس أمناء متاحف فرنسا ومدير المتحف الوطني للفن الحديث بمركز جورج بومبيدو في باريس.

ماتًا ومشكلة النظرة

بقلم : جان ـ جاك ليبيل

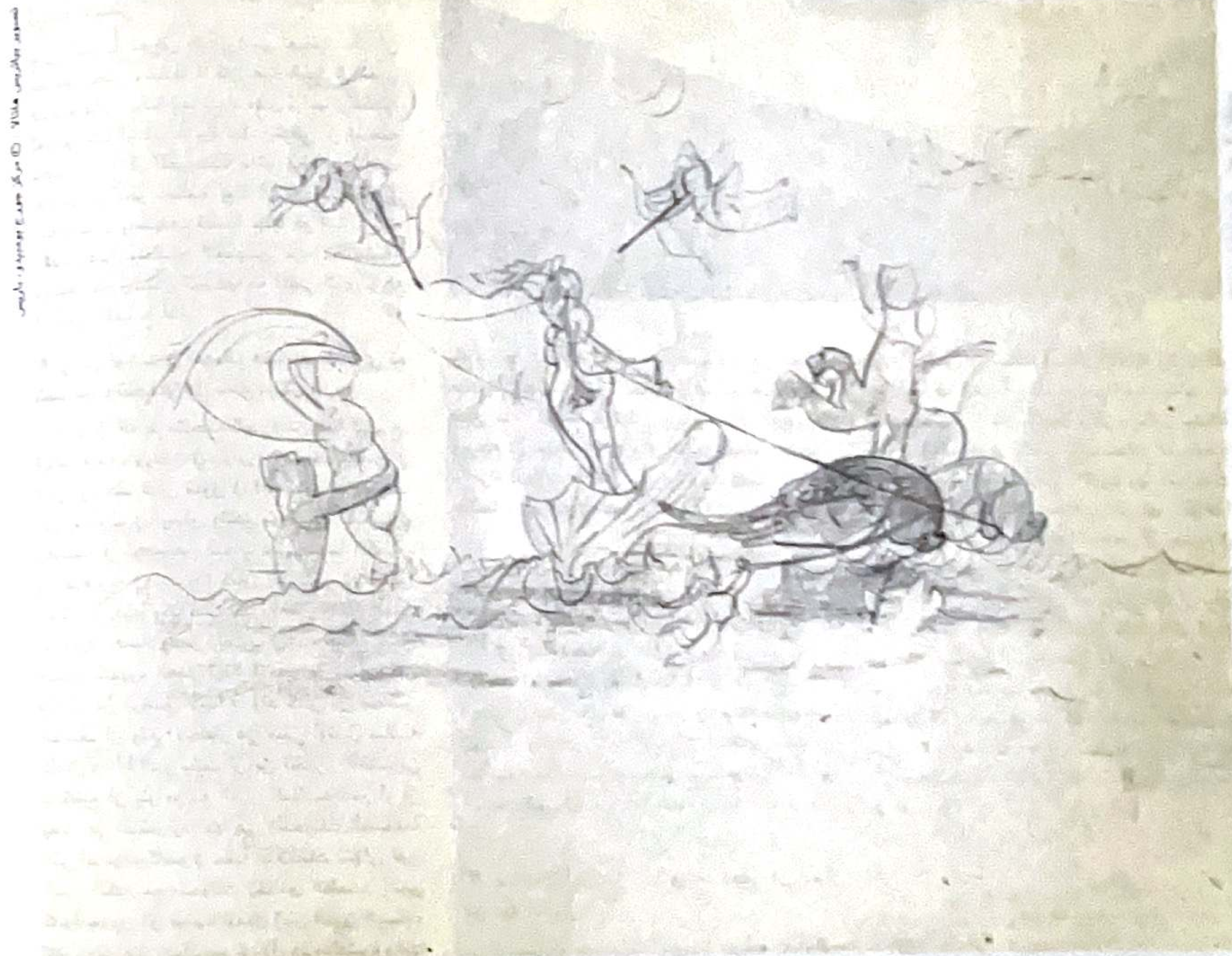
لم يكثر الحديث عن الثقافة في اي يوم من الأيام كما كثر منذ أن أخذت المجتمعات التكنوقراطية تسعى الى التخلص منها. فالزوار يتوافدون بأعداد هائلة على مدن مثل باريس وميلانو وموسكو وطوكيو ونيويورك، بغية إلقاء نظرة عابرة على الروائع القديمة والحديثة. ولا يرجع نجاح هذه المعارض الكبرى الى ندرة الأعمال التي تضمها او الى المتعة الجمالية الرفيعة التي تتيحها، وإنما الى عدد الزوار الذين تجتذبهم.

والخطر الذي يفرضه التوحيد الاعلامي والتصنيع الثقافي لا يشمل فقط الأعمال الفنية لبعض الفنانين او السينمائيين او الكتاب او الفلاسفة او الموسيقيين، وإنما يشمل مهمة الثقافة والفن ذاتها بوصفها وسائل التعبير والاستقصاء وحفظ منتجات الخيال. والحاجز لا يقوم دون الاطلاع ـ ولو على نحو سطحي وخاطف ـ على هذه الروائع، وإنما يقوم دون قدرة كل منا سبر أغوار خياله وإبداعه الذاتي. ذلك أن تسخير تكنولوجيات الاتصال ووسائل الابداع تسخيرا مطلقا لتحقيق غايات سياسية او تجارية بحتة، لم يؤد فقط الى التحكم في سلوك المواطنين، ولكنه أدى أيضا الى منعهم من أن يروا او يستشعروا او يتخيلوا او يفكروا إلا ما يُراد لهم أن يروا ويستشعروا ويتخيلوا ويفكروا.

ومن هنا يمكن التساؤل عما إذا كان تفاقم الضرر الناجم عن التخطيط الاعلامي سيؤدي الى حالة من التخلف، أي الى اختفاء بعض الأنشطة الثقافية بدعوى انها مفرطة في الذاتية والتعقيد. فكلنا نعرف أن اتساع نطاق البيئة الايكولوجية المهلكة والتصحر قد أديا الى القضاء على عدد كبير من أجناس الحيوان، ولم يبق على قيد الحياة سوى الأجناس التي استطاعت عن طريق التحول أن تتكيف مع التغيرات القاتلة. فهل يلقى الفنانون والشعراء والفلاسفة والموسيقيون والسينمائيون نفس المصير إذ يرفضون التكيف مع اتجاه الصناعة الثقافية ـ اتجاها وبيلا بدوره ـ الى التقاط وتغليب الاعتبارات التجارية ؟

تلك هي المشكلات التي أثارتها ثلاثة معارض أقيمت في باريس مؤخرا. فهي تدفعنا الى التساؤل من ثلاث وجهات نظر مختلفة، عن قدرة الجمهور على تذوق اي شيء آخر سوى مسلسلات التلفزيون او ما تقدمه مغنيات المنوعات. والمعارض التي نعنيها هي معرض رسم رامبرانت في قصر « البيتي باليه » (باريس) ومعرض بيرنارد ساني في متحف الفن الحديث بمدينة باريس، ومعرض ماتا في مركز جورج بومبيدو. معارض ثلاثة تشبه ثلاثة مواقع معزولة لمقاومة التصحر الثقافي.

لنأخذ حالة ماتا. هذا الفنان الذي قال عنه مارسيل دوشان (Marcel Duchamp) منذ ١٩٤٦ إنه « أكثر رسامي جيله عمقا »، وإن كان لا يعتبر نفسه رساما وإنما باحثا... باحثا عن نفسه وعن الآخرين. فهو بمثابة باحث ينقب عن الرغبات الانسانية ويعيد تنظيم الواقع. وهو قد صك من ثم كلمة جديدة لتعريف طبيعة عمله : الايكونوغرافيا



© مركز جورج بومبيدو، باريس



الى اعلى « القديس جرجس والتنين » (١٩٦٥). رسم على الورق بأقلام الشمع والقلم الرصاص (٥٤,٥×٧٥,٥ سم). مجموعة خاصة. باريس.

في الصفحة المقابلة، « مولد فينوس » (١٩٦٥). رسم على الورق بأقلام الشمع والقلم الرصاص (٥٠×٦٦ سم). مجموعة خاصة. باريس.

(« الرسم الاقتصادي »). إنه يتميز بين عظام المبدعين بأنه قد تعمق أشد التعمق في تناول إشكالية النظرة. فهو لم يزل منذ خمسين سنة يسعى الى بعث الحركة في البنى الاجتماعية والفكرية في الغرب، ويعرضها من ثم لخطر الاختلال لكي يتحقق لها توازن جديد. فنحن بصدد مهندس معماري استهل حياته المهنية مع لوكوربوزييه (Le Corbusier)، وإن لم يشيد سوى مدن فاضلة تقع في مكان اسطوري ولغوي خارج نطاق المكان الحضري الذي حُبِسَ فيه إنسان العصر النووي. وثمة إذن رجل فذ اجتاز جبال الأنديز والمحيط الأطلسي والسيريالية والشيوعية. وكان صديقا لبابلو بيكاسو، وأندريه بريتون، وفيكتور براونر، وماكس إرنست، وهنري ميشو، وسلفادور ايندي ؛ وتعلم على الماركيز دوساد وماركس ولوتريامون. وزيّنت رسومه كتب سرفانتس وشكسبير ورامبو وجاري ؛ وربطته أواصر الصداقة مع مارا، وجرامشي، ولاوزي، وكان عاشقا لداناييه وبانتسيلي (ملكة الأمازون) والامبراطورة الحمراء ؛ وكان يحلم بأن يكون جنكيزخان، وليوناردو دافنشي، وتشي جيفارا. إنه فنان اراد ان يرسم ما لم يُرسم من قبل اي الانسان وهو يعيد التفكير في العالم وفي مكانه فيه. ولقد كان معرضه من بين أهم المعارض التي أقيمت في الخمس وعشرين سنة الماضية.

كيف يمكن « استهلاك » هذا الرسم الذي لا يخضع لقوانين السوق ؟ وترى ماذا نالت الحشود المتزاحمة على مركز جورج بومبيدو من هذا المعرض الكبير الذي يضم من الأعمال ما يسطع تارة ويَخفى تارة أخرى ؟

ومن الواضح أن هذا الرحال الشيلي الملم بلغات عديدة لا يشعر بانتماء الى اي مدرسة ولا الى اي اسلوب ولا اي مذهب. فهو ليس تجريديا ولا تصويريا، وليس تعبيريا ولا واقعيا اشتراكيا. بل انه لا يعد سيرياليا تماما. وليس في ذلك مشكلة إلا بالنسبة للذين يحتاجون الى « مفتاح » ايديولوجي يوهمهم بأنهم قد عرفوا كُنه الفن (وكأنه لا يختلف عن قفلٍ او بابٍ مغلق).

إن ماتا قادرٌ على إرباك العقول لأن طريقته تقوم على اللعب ولأن فيه شيئا من طبيعة الفتى المتقلب المرواغ. وهو يعرض علينا فنا لرؤية الأشياء.

« فراغ فتيّ
فراغ في الفراغ
فراغ منبسط »

بهذه الكلمات وصف هنري ميشو هذا الرسم الذي يعتمد على النظرة والذي لا يهتم بالواقع إلا من أجل تحويله. وماتًا لم يخف ذلك يوما وإنما جاهر به : « من المؤكد ان الفن ثورة ! ». ■

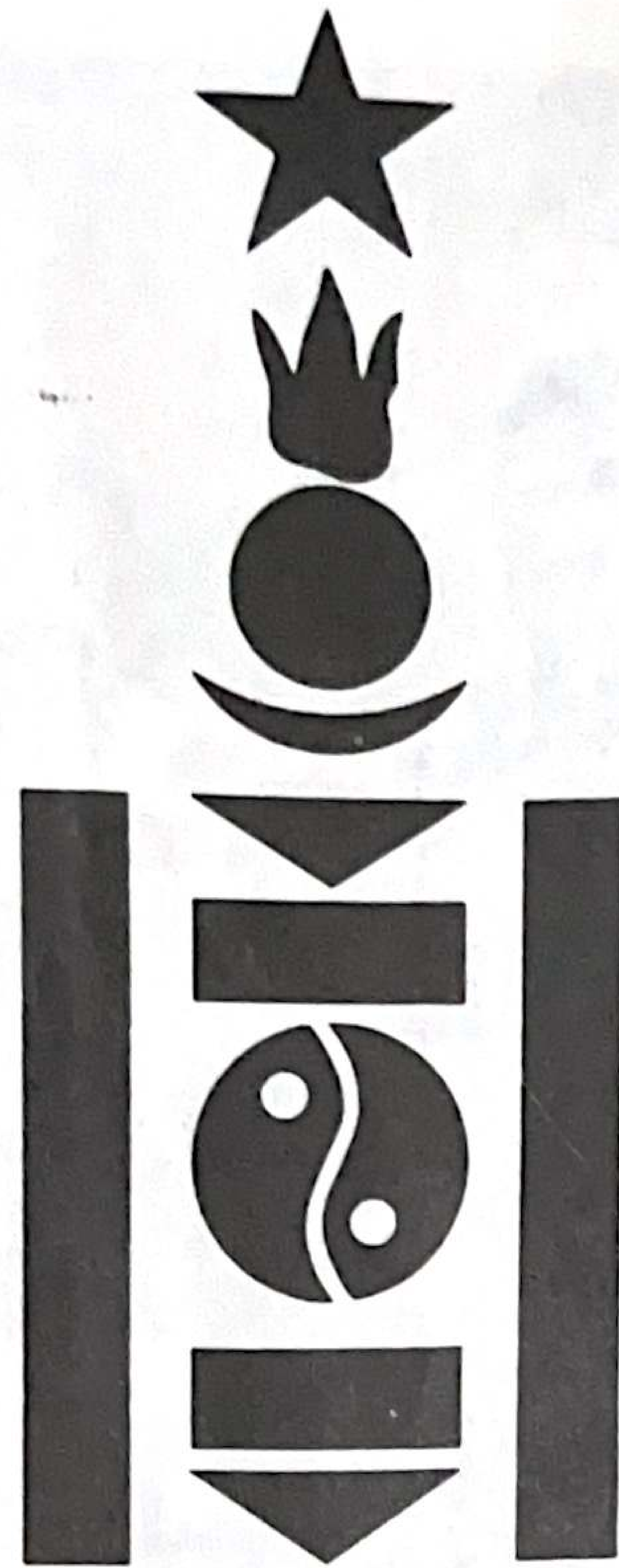
جان ـ جاك ليبيل، كاتب ومخرج مسرحي وسينمائي فرنسي ؛ وقد نُشر له بصفة خاصة « شعر جيل البيت » (« La poésie de la Beat Generation ») (١٩٦٥)، و « الحادث » (١٩٦٦) و « الحب والمال » (١٩٧٩). كما اشترك في تأسيس مهرجان بولي فونيكس الدولي.



كنوز منغوليا

بقلم : نامسراين سر ـ أودجاف

هذه السلحفاة المنحوتة من جرانيت قره قُرُم هي إحدى بقايا العاصمة القديمة لاوغوداوي ابن جنكيزخان، والتي تقع على الشاطىء الأيمن لنهر ارخون عند سفح جبل خانجاي (منغوليا). وكانت تقوم على ظهر السلحفاة في الماضي مسلة نقشت عليها مراسيم التأسيس. أما اليوم فإننا نجد بدلا منها بعض الأحجار المقدمة كقرابين، وهو تقليد ما زال متبعا ويدعى « اوبو » بالمنغولية.



ينظر المنغوليون الى رمز الـ « سويومبو » الذي يظهر على العلم الوطني لجمهورية منغوليا الشعبية بوصفه شعارا وطنيا للحرية والاستقلال. وفي إطار هذا التكوين تكتسب كل علامة مستعارة من الرموز القديمة معنى خاصا. ومثال ذلك ما يشاهد أعلى التكوين : فعلامة النار التي وضعت فوق صورة للشمس وصورة للهلال ـ وهما اب الشعب المنغولي وامه على التوالي وفقا للأساطير القديمة ـ تعني هنا « ليحيا الشعب المنغولي وليزدهر ».

في اواخر القرن التاسع عشر تسامعت الأوساط العلمية في العالم بكشف أثرى غير عادي في الوادي الأعلى لنهر ارخون ؛ ففي البقعة التي ينحني فيها مجرى النهر فيشكل زاوية هائلة ويتدفق في السهل إثر خروجه من شعاب عميقة، عُثِرَ على آثار مدينة ضخمة كانت تسهر عليها فيما يبدو سلحفاة حجرية عملاقة ترمزُ للخلود.

وكانت تلك هي مدينة قَرَه قُرُم عاصمة إمبراطورية المغول التي أسسها جنكيزخان في القرن الثالث عشر. وتقع قَرَه قُرُم على الضفة اليمنى للنهر على بعد اربعمائة كيلومتر جنوب غربي مدينة اولان ـ باتور ـ العاصمة الحالية لمنغوليا ـ في منطقة صالحة للزراعة والرعي، غنية بمستودعات معدنية موغلة في القدم، تسمى « دالاخين تل ». وقد كانت هذه المنطقة المهد الحقيقي لعدد كبير من حضارات آسيا الوسطى. أما النقوش الغريبة التي وجدت في المدينة فوق بعض التماثيل والمسلّات الحجرية فقد عزيت في وقت لاحق الى الأتراك الزرق ؛ وهم جماعة تتحدث كثير من النصوص التي ترجع الى الفترة ما بين القرن السادس والقرن الثامن عن أمجادها وعن مصيرها المأساوي.

وكان سكان قَرَه قُرُم يبلغون بضعة آلاف ؛ وكانت فيها زراعة وصناعات يدوية متطورة وتجارة تموج بالنشاط، وحياة فكرية راقية. ويرجع البعض تاريخ تأسيسها الى عام ١٢٢٠، وهو العهد الذي نقل فيه جنكيزخان مقر قيادته الى ضفاف نهر ارخون عند مكان قريب ولا شك من جبل ملخيت أو « جبل السلحفاة ». ويستطيع الواقف فوق الرابية المرتفعة التي تشرف اليوم على قرية خاركوريم أن يرى السلحفاة الجرانيتية المنيفة التي استمد منها هذا الموقع اسمه على أرجح تقدير.

وحول هذا الموقع المنيع أقيمت بالتدريج أحياء للصناع والتجار ومنازل للسكنى الى أن اتخذت الأرض التي عمّرت على هذا النحو معالم المدينة حوالي سنة ١٢٣٠. وفي مرحلة لاحقة عمد الخان الأكبر اوغوداي ثالث ابناء جنكيزخان الى تشييد مبان ضخمة لايواء الادارة التي انشأها لحكم الامبراطورية، وكي تصبح المدينة جديرة باستقبال السفراء.

وفي المراجع الأجنبية العديدة التي تتحدث عن عاصمة الأباطرة الأول من سلالة جنكيزخان تبدو المدينة في بادىء الأمر وكأنها مستودع غامض تندفع منه موجات متتابعة من أفواج مطلقة العقال من الغزاة ؛ ثم يبدو فيما بعد كمركز اقتصادي وسياسي وثقافي لاتحاد قبائل المغول في القرن الثالث عشر ؛ وهي تصورها أخيرا وكأنها مقبرة أثرية. ولكن حقيقة قَرَه قُرُم تختلف عن ذلك كله أشد الاختلاف.

فقد وصل الينا وصف مفصل للمدينة تركه الراهب جيوم دى ريبروك الذي أوفده الملك لويس التاسع ملك فرنسا، واستقبله مونك خان في عام ١٢٥٦. ويؤخذ مما قاله جيوم دى ريبروك أن اثنتي عشرة عقيدة دينية مختلفة كانت تتعايش في قَرَه قُرُم حيث كانت المساجد تتجاور مع الأديرة البوذية ومع كنيسة مسيحية. وكانت للأسوار الطينية المحيطة بالمدينة أربعة أبواب لكل منها سوق خاصة به.

وكان قصر الخان اوغوداي، الذي يعد آية من آيات المعمار في ذلك الزمان، مؤلفا من طابقين وتتوسطه قاعة استقبال رحبة ترتكز على أربعة وستين عمودا. وقد جهزت بذوق رفيع : إذ كانت حيطانها مُزيّنة بالرسوم، وارضيتها بالقرميد الأخضر اللامع. وكانت كل الأسقف مصنوعة من القرميد الأخضر والأحمر ومزينة بزخارف بارزة. وكان لهذا الولع بالزخرفة والتفنن في استخدام عدد قليل من الأشكال الزخرفية ـ وهاتان سمتان من سمات الفن المعماري في ذلك العصر ـ أثرهما في إضفاء جو الأعياد على هذا القصر.

ثم تأتي الحفريات التي أجريت في الأعوام الأخيرة في قَرَه قُرُم لتكمّل الشهادات المكتوبة من عدة جوانب. فلقد بني القصر والمنشآت الأخرى من آجر محروق لا يزال بعضه يحمل خاتم صانعه حتى الآن. وكان أهل المدينة يستخدمون نظاما للتدفئة يوضع في الطابق تحت الأرض ويمكّن من تدفئة المنازل. وكانت الأحياء الأرستقراطية تمتد من الشمال الى الجنوب بمحاذاة نهر أرخون. وقد وُجِدَتْ في أحياء الصناع والتجار وفي الأحياء الادارية التي ◄

◄ كشف عنها كميات كبيرة من المواد : قطع مكسورة من الصيني والخزف اللامع، وأدوات زراعية، وعدد لأرباب الحرف، وقباب دولاب للعجلات من الحديد المسبوك، وأدوات منزلية، وحلى من كل نوع من الذهب والفضة والبرونز. اما النقود فكانت بالغة الكثرة : وكان من بينها مسكوكات منغولية ومسكوكات من اصل اجنبي.

وفي عام ١٨٣٠ دمرت قره قُرُم. غير انه بعد انقضاء ما يقرب من قرنين نصبت في نفس الموضع خيمة أقتاي خان مؤسس دير إردني - تسو. ولا زلنا نستطيع حتى الآن ان نشاهد القاعدة الدائرية الضخمة التي كانت تستخدم كأساس لها.

ويرجع الفضل في تأسيس مجموعة إردني - تسو، التي تعتبر من الآثار الفريدة للعمارة المغولية، الى القائد المغولي أفتاي خان، وذلك في عام ١٥٨٦ على وجه التحديد. واستكملت هذه المجموعة المربعة الجوانب في القرن السابع عشر بعد ان أقيم في داخلها بهو من طراز خاص يضم مائة وثمانية مبنى صغيرا على شكل الباجودا تسمى سوبورجان. وقد نقشت على كل مبنى منها كتابات تعرّف باسم الشخص الذي تحمّل نفقات إقامته وباسم الشخص الذي أهدى إليه. وتوجد في إردني - تسو آثار رائعة أخرى تم ترميم بعضها بالفعل ولا يزال العمل جاريا في ترميم بعضها الآخر. نذكر منها مبنى لا برانج وهو قصر، وثلاثة معابد كبيرة. وتشكل هذه المعابد، التي أقيمت بمحاذاة بعضها البعض على سطح رفع خصيصا لهذا الغرض، مجموعة متناسقة رغم اختلافها في الشكل من جوانب معينة. فالمعبد الأوسط يتألف من طابقين، في حين أن المعبدين الآخرين لا يضمان سوى طابق واحد ولكل منهما سقف مزدوج.

ويعتبر دير إردني - تسو من البقاع المرموقة في تاريخ الشعب المغولي وثقافته، وهو يحتوي على نقوش وزخارف ومطرزات ترجع الى الفترة الواقعة ما بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر، وذلك بالاضافة الى مكتبة عامرة تضم مخطوطات نادرة وكتابات محفورة على الخشب. كذلك حفظت في الدير أعمال زانابازار Zanabazar الرسام النحات الذي عاش في القرن السابع عشر، وكان أعظم مصوّر للشريعة البوذية : كما كان من أوائل الفنانين المغول الذين ذاعت شهرتهم في العالم كله. وقد شهدت منغوليا في عصره ازدهارا فنيا وثقافيا نادر المثال.

وفي مقدمة الآثار الرائعة في وادي الأرخون المجمّع الجنائزي الذي ووريت فيه رفات القائدين التركيين كول - تيجين وبيلج - خاجان. ويضم المجمع الى جانب المقبرتين مسلّات تذكارية سامقة نقشت فوقها كتابات بحروف جرمانية شمالية وعددا كبيرا من التماثيل الحجرية. ومنذ أكثر من عشرة قرون انهارت اسقف المعبد القرباني، ثم كسا الصلصال الأنقاض بغطاء واق. وفي العهود القديمة كانت ثمة طريق تخرج من المعبد في اتجاه الشرق وقد تراصت على جانبيها نصب منحوتة لبعض الأمراء وكبار القادة العسكريين. ولكن هذا الحرس الرسمي تحول الى كتلة شوهاء من الأنقاض، باستثناء تمثالين من المرمر الرمادي فقدا رأسيهما وإن بقيا فيما عدا ذلك سليمين تقريبا.

وليس ثمة ما يشير الى وجود السلحفاة الحجرية الكبرى سوى جذع من المرمر يبرز من الأرض. وكانت المسلّة التي تنتصب فوق ظهرها مغطاة بحروف تركية قديمة بارزة ومنسقة في خطوط

يتبع صفحة ٣٧




تمثال لمحارب حارس في موقع خصص لمقابر القادة الاتراك (القرنان السابع والثامن) بوادي ارخون. وقد صفت امام تمثال المحارب الباسل مجموعة من الاحجار تسمى « البلبل » وتدل على عدد من هزمهم من الاعداء.



يقع معبد لابرانج في الحرم الفسيح بدير إردني - تسو، احد المعالم المعمارية والثقافية بمنغوليا. اي على مسافة ٤٠٠ كم تقريبا غربي اولان - باتور العاصمة. ولقد انشىء هذا البناء الضخم في عام ١٧٨٠ وفقا للطراز التبتي، فقلّ سُمك جدرانه كلما ارتفعت، وجاء مسطحا ونوافذه على شكل مربع منحرف. وكان المعبد يستخدم مقرا للاما ومكانا للعبادة.



نحتت هذه المسلة التي كانت تقوم على ظهر سلحفاة من جرانيت قره قُرُم : وهي بمثابة سفر من الحجر. فهي تروي بالحروف التركية القديمة، صفحة كاملة من تاريخ قبائل الرعاة الرّحل في آسيا الوسطى : وفيها نقرا ما يلي : « فلتسمعوا يا من تجيئون بعدي الى قولي هذا حتى نهايته. ايها الشعب التركي ! الا فليحيا الشعب التركي وليبق شعبا على الدوام ».



يجري منذ سنة ١٩٨٠ ترميم دير اماربايسجالام الذي يقع على ارتفاع ٢٠٠٠ متر فوق سطح البحر وعلى بعد ٣٠١ كم شمال اولان - باتور، وذلك تحت رعاية اليونسكو وحكومة منغوليا وقد اقتضى ذلك إعادة تغطية السقوف بقطع القرميد اللماع التي صنعت وفقا للطريقة القديمة بحيث تشبه القطع الأصلية. ويبلغ مجموع مباني الدير حوالي ثلاثين مبنى.

تصوير © كريستي حمضة - باريس



« اليورت » خيمة دائرية تصنع من هيكل من الخشب مغطى بلبد من الصوف. وفي مثل هذه الخيام يسكن الرعاة الرحل الترك والمغوليون في آسيا الوسطى. وكان المالوف في الماضي ان توضع خيام الأمراء الكبيرة ـ كالتي نراها في الرسم (اعلاه) الذي نُفّذ في القرن التاسع عشر ويشير الى منظر يرجع الى القرن الثالث عشر ـ على منصة متحركة تجرها مجموعة من الثيران. وقد روى جيّوم دى روبروك في القرن الثالث عشر انه راى احدى هذه الخيام يجرها اثنان وعشرون ثورا. ولئن كانت هذه المساكن المتحركة قد اختفت، فإن خيام اليورت ـ التي تسمى « روى » بالتركية و « غير » بالمنغولية ـ ما زالت باقية.

صورة ماخوذة من « فن منغوليا من العصور القديمة حتى بداية القرن العشرين » لنيام اوستوررين وتسولتن، دار النشر « الفنون التشكيلية »، موسكو، ١٩٨٤.

التصوير الفوتوغرافي ذاكرة للشعوب

انعقد في لكسمبورج من ٩ الى ١٢ ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٨٥ اجتماع خصص للتصوير الفوتوغرافي، واشترك فيه حوالي اربعين اخصائيا في هذا المجال. وقد حضر الاجتماع، الذي يُعد أول اجتماع تنظمه اليونسكو في هذا المجال من مجالات الابداع الفني، ممثلون عن معظم وكالات الأنباء الكبرى في البلاد المتقدمة (وكالة الأنباء الفرنسية ؛ رويتر ؛ تاس ؛ كيستون) وفي البلاد النامية (وكالة أنباء عموم أفريقيا (بانا) وسنهوا).

وقدم المشتركون عددا من التوصيات التي تستهدف توجيه نشاط اليونسكو في مجال الصور الثابتة. فاقترحوا أن تجري المنظمة دراسات عن الآثار الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لتكنولوجيات الاعلام الحديثة وللتصوير الفوتوغرافي، وعن الكتابة البصرية بوصفها شكلا جديدا من أشكال التعبير. وقيل إن بوسع اليونسكو أيضا أن تسهم في نشر دراسات متخصصة عن التصوير الفوتوغرافي وخاصة في البلدان النامية. كما طالب المشتركون في الاجتماع بأن تجمع المنظمة مستخدمي المعدات الفوتوغرافية وصُنّاعها لكي تكفل التزام هؤلاء الأخيرين بأن يطرحوا في الأسواق أجهزة للتصوير عملية متينة بحيث تتوائم وظروف البلاد التي لا يناسب مناخها معدات التصوير المتقدمة، ووسائل كيميائية وضوئية مغناطيسية يمكن استخدامها لمدة طويلة.

وحث المشتركون اليونسكو على أن تسهم في انشاء محفوظات فوتوغرافية ؛ فهي بمثابة ذاكرة حقيقية للشعوب. كما رأوا أنه ينبغي عقد اجتماع للخبراء لاستيفاء الاتفاقيات الدولية الخاصة بحقوق المؤلف بحيث تشمل حماية الصور الفوتوغرافية. ودعوا اليونسكو الى أن تساند برامج للتدريب في مجال التصوير الفوتوغرافي على جميع المستويات في البلاد النامية. ■

تابع صفحة ٣٢

منتظمة. وكانت هذه الكتابات تروي خلاصة موجزة لتاريخ القبائل الرحل في وسط آسيا عبر قرابة قرنين من الزمان. على أن هذه القبور ـ التي تعتبر شاهدا نادرا على ما كان للاتراك في منطقة السهوب المغولية من فن وثقافة ـ تنطوي ايضا على إضافة أساسية لمعرفة الماضي.

وتمتاز تماثيل المحاربين المنحوتة من الحجر بقوة اصالتها. وهي تصورهم في وضع تقليدي في الغالب الاعم، منتصبي القامة. وقد امسك كل منهم بكأس في يده اليمنى. ويبرز التمثال على نحو يتسم بالدقة ثياب المحارب، ولباس راسه، وأطرافه، وحزامه بما يزينه من شارات وبما ثبت فيه من سلاح. أما الوجه فتطل منه عينان مزمومتان تتقاربان اشد التقارب، وله أنف طويل، وفم صغير يعلوه شارب. بيد أن هذا الانموذج الواقعي يقترن بخيال واسع في ابتكار الملامح. وقد كانت هذه التماثيل شهودا خرساء على ما كان يدور داخل المباني التي اقيمت تكريما لاصحابها والتي كانت موجهة صوب الشرق من مراسم واحتفالات جنائزية. وكانت تصفّ أمام نصب المحارب المغوار احجار غير مصقولة تسمى البَلْبَلْ Balbal ترمز الى عدد الذين صرعهم من الاعداء.

وتوجد في وادي ارخون ايضا رسوم صخرية قديمة لا يحصيها العد : فيها رسوم حيوانات واشخاص وفيها إشارات واشكال زخرفية متنوعة. وعندما يعكف المرء على فك طلاسم هذا السفر الصخري يتبدى لعينيه عالم بأسره له شكله ومغزاه، وتساوره للحظات قصار مشاعر الفرح والخوف التي كانت تثيرها المراسم المقدسة في عتمة الليل أمام النيران. ومن صخور السهوب التي تآكلت بفعل الرياح والامطار يبين لعينيه وجه هذا الإله او وجه ذلك الصنم الرهيب كما كان يراه او يتخيله فنان العصور الغابرة وأفراد قبيلته.

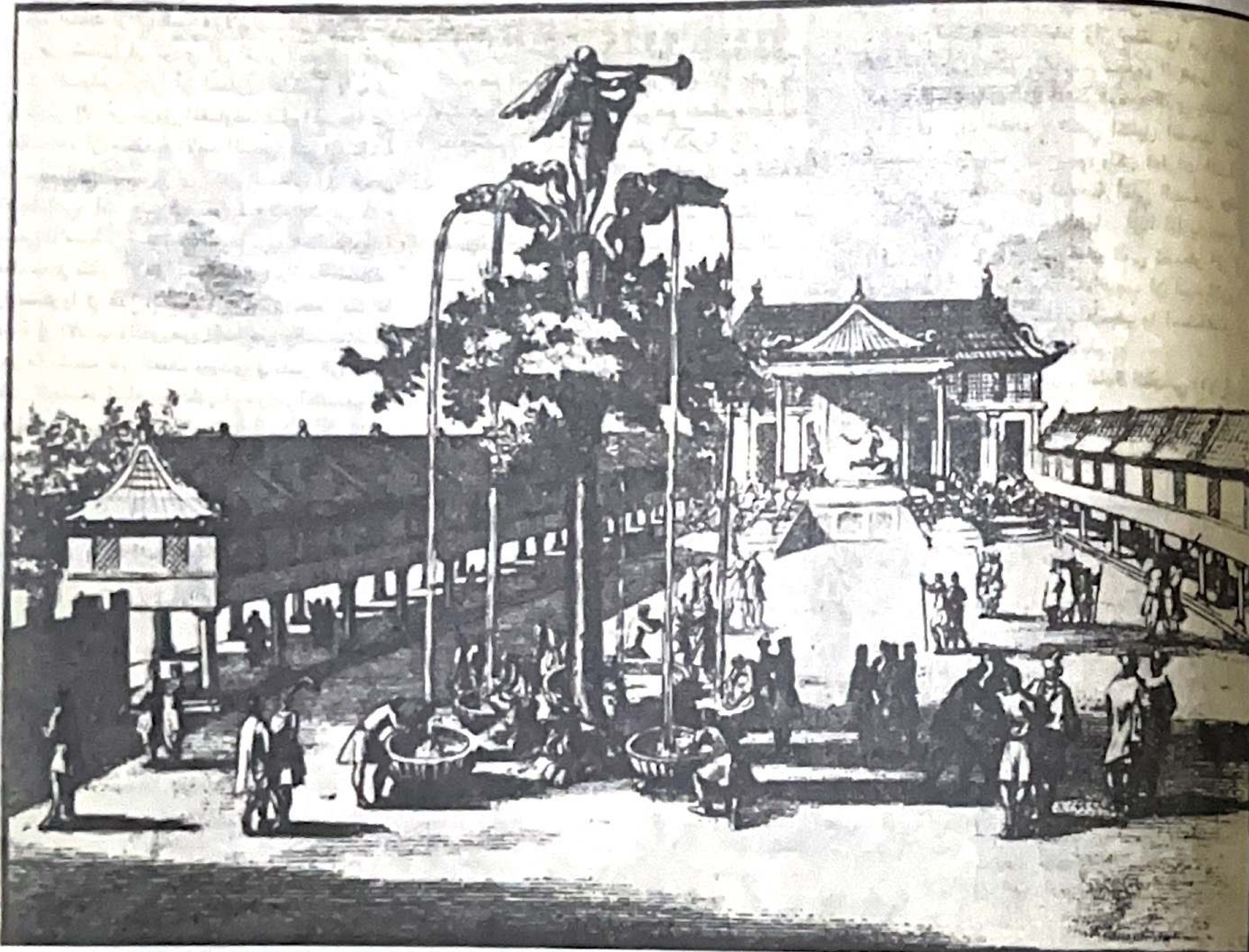
وكانت الخيل، رُسُل السهوب الباسلة، تتمتع بمحبة خاصة، وهي تظهر في تشكيلات معقدة وقد شدت اعناقها في معظم الاحيان وانطلقت تعدو سابحة لا تلوي على شيء. وقد يمتطي صهواتها احيانا فرسان يشدون سهامهم او يمدون أذرعتهم. فإذا اشتدت سخونة الهواء سرت في هذه الرسوم رعشة، ودبّت فيها حياة حقيقية تضاعف من قدرتها على الايحاء. وكثيرا ما تظهر الوعول هي الأخرى في هذه الرسوم، ويبدو انها كانت مقدسة في إحدى العبادات كما كانت عنصرا هاما في اقتصاد هذه القبائل.

إن هذه النظرة العاجلة الى التراث الثقافي المغولي مبتسرة بالضرورة، ولا شك أن وادي أرخون ما زال يخفي ثرواته الجمة. ومهما يكن من امر فإن اثرا تاريخيا على هذا القدر من الجلال يستحق ان يُدرج في عداد كنوز التراث الثقافي العالمي. فعلى ضفتي ارخون اقام رجال غيروا وجه التاريخ عبر عشرين قرنا... لا في آسيا الوسطى وحدها بل وفي آسيا الصغرى وفي اوروبا الشرقية ايضا ؛ رجال ارسوا حدود تلك البقاع الشاسعة التي ازدهر في أرجائها ما اصطلح على تسميته « إمبراطورية السهوب ». ■

ناصرايين سر ـ أودجاف، رئيس قسم الآثار بمعهد التاريخ التابع لأكاديمية العلوم في جمهورية منغوليا الشعبية، وعضو اللجنة الدولية لدراسة ما قبل التاريخ، وكبير المستشارين العلميين للجنة الوطنية المغولية بشأن دراسة حضارات آسيا الوسطى. وقد اشترك في إطار اليونسكو في إعداد تاريخ لثقافات آسيا الوسطى.

رسم من القرن الثامن عشر يمثل مدخل قصر قره قُرُم كما كان في القرن الثالث عشر. وقد زينته شجرة بديعة من الفضة صنعها حرفي فرنسي. وتتضمن القصة التي رواها الراهب جيوم دى روبروك، رسول ملك فرنسا لويس التاسع الى مونجك خان، في كتابه « رحلات في الإمبراطورية المنغولية » وصفا لهذه الشجرة العجيبة « التي يوجد عند جذورها اربعة اسود فضية يتدفق من فيها لبن إناث الخيل. وفي اعلى الشجرة، تنفث إحدى الأنابيب الاربعة النبيذ وتنفث الأخرى الكاراكوموس اي لبن إناث الخيل المصفّى وتنفث الثالثة « البال »، وهو شراب مستخرج من العسل، وتنفث الرابعة جعة مصنوعة من الارز. وقد خُصّصت لكل من هذه الأشربة قسقية من الفضة عند جذع الشجرة. وفي ذروة الشجرة وضع الفنان ملاكا يمسك ببوق ؛ وهيا من تحتها سردابا يمكن للرجل ان ياوي إليه فيخفيه ».

صورة مقتبسة من « فن منغوليا من العصور القديمة حتى بداية القرن العشرين » لنيام اوستوررين وتسولتن، دار النشر « الفنون التشكيلية »، موسكو، ١٩٨٤.



١٩٨٦ : سنة السلام / ٣

رسالة الشباب



رأت اليونسكو أن تدعو الشباب الى التفكير بشأن « مضمون السلام وتعزيزه » فطلبت الى اللجان الوطنية المنظمة أن ترسل اليها نصوصاً كتبها شباب تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٢٤ سنة عن هذا الموضوع.

وهكذا استجاب أربعة وأربعون شاباً من سائر أنحاء العالم، فبعثوا رسائل أعربوا فيها بادىء ذي بدء عن رغبتهم في إقرار السلام. ولما كانوا يدركون أن السلم عرضة للخطر، فقد انعقد إجماعهم على إدانة سباق التسلح، ورأوا أن الأموال التي تبدد في هذا الصدد ينبغي أن تخصص لتنمية البلدان المحرومة، وأن السلام مستحيل طالما ساد الجوع والبؤس والمرض في جزء كبير من الكرة الأرضية، وأنه في نهاية المطاف لا يمكن أن تقوم له قائمة دون تنمية ودون إقرار العدل. وقالوا إن النزاعات المسلحة ترجع بصفة خاصة الى التعصب الأيديولوجي والسياسي والعنصرية وانعدام المساواة الاجتماعية. ولم يروا في صراع الأجيال إلا شكلاً من أشكال الظلم الاجتماعي، وخاصة في فترة تسودها الأزمة الاقتصادية. وذلك أن الشباب، إذ يفتقرون الى الوسائل اللازمة للتفاهم مع الأجيال السابقة، يشعرون في كثير من الأحيان أنهم على هامش المجتمع.

وقد اتفقت آراء أغلبية هؤلاء الشباب على السبل التي من شأنها أن تؤدي الى اقرار السلام. ففي المجال السياسي، رأوا أن الحلول السلمية لا يمكن أن تتحقق إلا عن طريق المفاوضات؛ وأعربوا عن اعتقادهم أن منظمة الأمم المتحدة هي المنظمة الوحيدة التي تستطيع أن تكفل السلام. وفي المجال الاجتماعي، أكد عدد كبير من هؤلاء الشباب أنه ينبغي للأسرة أن تستخدم طريقة تربوية سيكولوجية مناسبة في تلقين الأطفال منذ صغرهم قيمة السلام، واستنكروا في هذا الصدد أن يحتل العنف مكانة هامة في الآداب والعروض المسرحية والسينمائية، وهو ما يشجع على العنف ويؤدي في نفس الوقت الى تقبل المعاناة كظاهرة عادية. ورأى أغلبيتهم أن الإخاء والأريحية هما القيمتان الأساسيتان اللتان ينبغي التمسك بهما في هذا المجال، وأنهما لا يمكن أن يكون لهما أي تأثير إلا إذا التزم بهما كل إنسان وتمثلهما. فكل شيء يتوقف في نظرهم على الفرد. ومن ثم كان الدور الحاسم الذي تؤديه الوحدة الأسرية، فهي سبيل الأفراد في المستقبل الى السلام، وهي، بالتالي سبيل المجتمعات والأمم الى إقرار السلم فيما بينها.

وفيما يلي مقتطفات من رسائل الشباب :

« أود أن انضم الى منظمة للأطفال ممن تتراوح أعمارهم فيما بين عشرة أعوام وثلاثة عشر عاماً، ويسعون الى التأثير فيمن هم أصغر منهم بحيث يقنعونهم بأن الحرب شر على البشرية. »

براتيمير ماجيكا (يوغسلافيا)

« إن الحرب لا تعني بالضرورة إلقاء القنابل. فبعض الحكام المستبدين يستخدمون في الوقت الحاضر وسائل التعذيب والارهاب البدني، والناس لا يموتون إذن تحت وابل من الرصاص، وإنما يموتون نتيجة لسوء التغذية أو الالتهاب الرئوي، أو أنهم يموتون في ظل بعض نظم الحكم الصارمة لأنهم « انتحروا ». وإنه لمن الصعب الاحتجاج على الحرب وقد اتخذت هذه الصورة، فهي في هذه الحالة أقل وضوحاً ومن الصعب إثباتها. كلا، إن الحرب لا تقترن دائماً بإلقاء القنابل. »

كريستين كاسبر (النمسا)

« إذا تقاتلت الفيلة، عانى العُشب. وكذلك أرى الصراع بين القوى العظمى أدى الى نتائج وخيمة في العالم الثالث. »

بلسامتا راج (نيبال)

« في البلاد النامية، لا يوجد إلا طبيب واحد لكل ٢٠٧٠٠ نسمة، بينما يوجد جندي عسكري لكل ٢٥٠ نسمة. »

أ.و.م. سيف الدين إكرام (بنجلاديش)

« ... إنني الآن أقف أمام طفل لم يتجاوز الخامسة من عمره... سألته : ما معنى السلام ؟ »، فقال : « لا أعرف ». وعندما سألته عن الحرب قال : « ناس بيحاربوا... يعني بيموتوا »... إن الطفل الصغير يعرف الكثير عن الحرب ولكن لا يعرف عن السلام أي شيء. »

عصام علي عبد الرحمن (مصر)

« توقف واقترب منها، فابتسمت عيناها وقالت « كم وردة تريد، وأي الألوان تحب ؟ ». قال : لم أكن أريد أن أشتري، كنت أريد أن أسألك فقط... ألا تعتقدين أن بيع الورد في ظروف كهذه ليس متناسباً ؟... أقصد أن يموت الناس بالألوف... أن تحصد الجرافات الأبرياء، وأن يطفئوا من عيون الأطفال نور الحياة، وأنت... تبيعين الزهور ! »...

وجاءه صوتها حزيناً : « لست الوحيد الذي يستغرب هذا. كل ورود العالم لا تكفي أكاليل أضعها على أضرحة الذين تتحدث عنهم. ولكن قطرات الندى على الورود ستذكرني بدمعة أخي الصغير وهو يمتص ثدي أمي الملطخ بالدماء. لماذا أنا يا سيدي أبيع الورد حقاً : فلست وحدي التي تضطر الى أن تبيع أحلى الأشياء. أعرف لماذا يجب أن أبيع الورد. الورد رسول السلام، لكنكم للأسف ما استطعتم أن تفهموا رسالته في يوم من الأيام. »

غادة القدسي (الأردن)

« يا أمي قولي عندما تلدين : « السلام ! »

اليخاندرو انخيل بوخا كامبوس (شيلي)

نائب رئيس التحرير : أوغا روجل
سكرتير التحرير : حنيف ريتكوي

التحرير

الطبعة العربية : عبد الرشيد الصادق محمودي (باريس)
الطبعة الفرنسية : آلان ليفيك
الطبعة الانجليزية : روي مالكن (باريس)
الطبعة الاسبانية : فرانسيسكو فرنانديز - سانتوس
الطبعة الروسية : نيقولاي كوستروف (باريس)
الطبعة الألمانية : فيرنر ميركلي (برن)
الطبعة اليابانية : سيشيرو كوجيمو (طوكيو)
الطبعة الايطالية : ماريو جنتيلي (روما)
الطبعة الهندية : راجمال تيواري (دلهي)

الطبعة العبرية : الكسندر برودمان (تل أبيب)
الطبعة الفارسية : حسين رازمجو (طهران)
الطبعة الهولندية : بول مورين (انفرس)
الطبعة البرتغالية : بنيديكتو سيلفا (ريو دي جانيرو)
الطبعة التركية : مفرا ألغازر (استانبول)
الطبعة الأوردية : حكيم محمد سعيد (كراتشي)
الطبعة الكتالونية : جوان كارارا إي مارتي (برشلونة)
الطبعة الكورية : بيك سونج - جول (سيول)
الطبعة السواحيلية : دومينو روتايبيروا (دار السلام)
الطبعة الصينية : شن هوفان (بكين)
الطبعة البلغارية : جوران جوتيف (صوفيا)

الطبعة اليونانية : نيقولا باباجيورجيو (أثينا)
الطبعة السنهالية : س. ج. سوماناسكيرا (كولومبو)
الطبعة الفنلندية : مرجاتا أوكسانن (هلسنكي)
الطبعة السويدية : إنجر رايل (ستكهولم)
الطبعة الباسكية : جوزويتز لارانياجا (سان سباستيان)
الطبعة التايلاندية : سافيتري سوانسانيت (بانكوك)

التوثيق : كريستيان بوشيه
الصور : أريان بايلي
الاخراج والتصميم : جورج سيرفا
الخط العربي : فتحي فايد
الترويج : فرانشسكو إيسا
مشروعات خاصة : يحيى جولبان
ترسل جميع المكاتبات الى رئيس التحرير

تصدر الطبعة العربية في القاهرة في نفس الوقت الذي تصدر فيه عن مقر اليونسكو في باريس وذلك تحت اشراف مركز مطبوعات اليونسكو، ١ شارع طلعت حرب، القاهرة

رسالة اليونسكو

اشتركوا لسنة ١٩٨٦

تصدر الطبعة العربية من «رسالة اليونسكو» في باريس في نفس الوقت الذي تصدر فيه الطبعات الانجليزية والفرنسية والأسبانية. وللاشتراك فيها، ترسل قيمة الاشتراك بالفرنك الفرنسي، أو باية عملة أخرى قابلة للتحويل، بشيك مصرفي أو بحوالة بريدية لأمر اليونسكو على العنوان التالي:

Unesco, PUB/C
7, place de Fontenoy - 75700 Paris

قيمة الاشتراك لسنة واحدة: ٧٨ فرنك فرنسيا تضاف اليها قيمة الارسال بالبريد الجوي بناء على الطلب. ويمكن الحصول على نسخ من أعداد سنة كاملة من المجلة مطبوعة على أفلام مصغرة لقاء ١٥٠ فرنكا فرنسيا.

للاستعلام عن قيمة الاشتراك بالعملة المحلية يمكن التوجه بالسؤال الى العناوين التالية:

الأردن: دار وكالة التوزيع الأردنية، ص.ب. ٣٧٥، عمّان، الأردن.
الامارات العربية المتحدة: المكتبة، ص.ب. ١٥٤٠٨، العين، أبو ظبي.
تونس: الشركة للتوزيع، ٥ شارع قرطاج، تونس، ص.ب. ٤٤٠.
الجزائر: Institut pédagogique national, 11, rue Ali-Haddad - Alger. الشركة الوطنية للنشر و... زيغوت يوسف، الجزائر.
السودان: مكتبة البشير، ص.ب. ١١١٨، الخرطوم
سوريا: مكتبة صائغ، بناية دياب، تجاه البرلمان، ص.ب. ٧٠٤، دمشق، سوريا.
الصومال: Modern Bookshop, P.O. Box 951 Mogadiscio.
الكويت: شركة المكتبات الكويتية، ص.ب. ٢٩٤٢، الكويت.
لبنان: Librairies Antoine, A. Naufal et Frère, B.P. 656, Beyrouth.
الجماهيرية العربية الليبية: دار التنمية للنشر والتوزيع، ص.ب. ٣٤٣٥، طرابلس.
مصر: مركز مطبوعات اليونسكو، ١ شارع طلعت حرب، القاهرة.
المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف (سوشبريس)، ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة ... ص.ب. ١٣٦٨٣ الدار البيضاء، 05؛ مكتبة المدارس، ١٢ شارع الحسن الثاني، الدار البيضاء، ... «Belles Images»، ٢٨١ شارع محمد الخامس، الرباط؛ اللجنة الوطنية للتربية والعلم ... ص.ب. ٤٢٠ الرباط.
المملكة العربية السعودية: دار الوطن للنشر والاعلام عمارة ابراهيم بن سليم، الشارع العام، العليا، ... ص.ب. ٣٣١٠.
موريتانيا: المكتبة التجارية الموريتانية الكبرى، ١ شارع السوق المتفرع من شارع كنيدي - نواكشوط العاصمة. ص.ب. ٣٤١.

أما مواطنو البلاد التي ليس فيها وكلاء لمطبوعات اليونسكو فيمكنهم إرسال اشتراكاتهم مباشرة الى المقر الرئيسي لليونسكو، باريس بالعنوان الموضح قربه.

صدر مؤخرا

التربية العلمية والتكنولوجية في التنمية الوطنية

يعرض هذا الكتاب المواد والدراسات التي ألقيت وبحثت في المؤتمر الدولي حول «تعليم العلوم والتكنولوجيا ودوره في التنمية الوطنية» الذي دعت إليه اليونسكو وعقد في باريس عام ١٩٨١. ويضمّ الكتاب أيضا مواد مكمّلة تبلورت عن اجتماعات الخبراء ومن الدراسات التحضيرية للمؤتمر خلال الفترة من ١٩٨٠ الى ١٩٨٢.

لقد عقد هذا المؤتمر استجابة للاهتمام المتزايد حول تعليم العلوم والتكنولوجيا لدى غالبية الدول الأعضاء في اليونسكو. وكان هدف المؤتمر استعراض الانجازات التي تحققت في مجالات تعليم العلوم والتكنولوجيا على جميع المستويات في النظام التعليمي الرسمي والخاص، وكذلك صياغة معالم إرشاد دليلية لتوجيه تنامي هذا التعليم وتطوره المستقبلي. وقد بحث المؤتمر أيضا سبل ووسائل تعزيز البنى التربوية الأساسية للبحث والتدريب في ميادين العلم والتكنولوجيا وفي تطوير البرامج والمواد التعليمية الملائمة لذلك. وجرى التركيز بشكل خاص على احتياجات البلدان النامية، كما قُدّمت اقتراحات حول تعزيز التعاون الاقليمي والدولي في هذا المجال.

وقد أسهمت مؤسسات متعددة وأفراد من ذوي الاختصاص في إنجاح المؤتمر والاجتماعات التحضيرية له.

كيف تحصل على مطبوعات اليونسكو:

يقدم مركز مطبوعات اليونسكو ١ شارع طلعت حرب بالقاهرة الطبعات العربية لدوريات اليونسكو علاوة على أنه وكيل بيع جميع مطبوعات اليونسكو ... يمكنك الحصول على الدوريات أو غيرها من مطبوعات اليونسكو

الاشتراك السنوي لـ الدورية	داخل مصر جنيه مصرى	خارجها دولار أمريكى
مجلة رسالة اليونسكو	١,٠	٧
المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية	١,٥	٥
مجلة العلم والمجتمع	١,٥	٥
	١,٥	٥
مجلة ديوجين (مصباح الفكر)	١,٥	٥
	١,٠	٥

الاشتراك في المجموعة كاملة ... جنيهات مصرية بمصر و ٢٢ دولارا أمريكيا بالدول العربية شاملة تكاليف البريد.

بالنسبة لمطبوعات اليونسكو تباع بالعملة المصرية
ترسل جميع المراسلات باسم مركز مطبوعات اليونسكو

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

اليونسكو



التراث العالمي
ذاكرة الشعوب

رسالة اليونسكو

نافذة على العالم

العدد ٢١٣ — ٧ قروش



الهويتشول بالمكسيك:
يتخاطبون بلغة الآلهة

الهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس

يدير الهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس أحد الكفاءات الوطنية في المجال العلمى .. هو الدكتور خالد يوسف الخلف . فقد ولد بالرياض عاصمة المملكة العربية السعودية عام ١٩٤٤ م حيث أكمل دراسته الابتدائية والثانوية ثم أبتعث لأمريكا لدراسة علم الكيمياء بجامعة تكساس وحصل على درجة البكالوريوس عام ١٩٦٧ . واستكمل دراساته العليا في هذا المجال فنال الماجستير عام ١٩٦٩ من جامعة سنساتى بولاية أوهايو بأمريكا . وعاد للوطن ليعمل معيدا بجامعة البترول والمعادن بالظهران . وقد أوفدته الجامعة لأمريكا لاستكمال دراساته العلمية بجامعة سنساتى وحصل بالفعل على درجة الدكتوراه في الكيمياء التحليلية عام ١٩٧٤ فعينته جامعة البترول والمعادن أستاذا مساعدا بقسم الكيمياء .

وفي عام ١٩٧٦ عين سعادته رئيسا لقسم الكيمياء بجامعة البترول والمعادن ـ ثم مديرا لمركز اختبارات الزيوت حتى نهاية عام ١٩٧٧ ـ حيث تم اختيار سعادته مديرا عاما للهيئة .

والدكتور خالد يوسف الخلف أحد الكفاءات الوطنية التى تحرص على أن يسود الطابع العلمى المتطور كل مجالات العمل بالهيئة لتواكب عن جدارة مسيرة التقدم والبناء التى تعيشها المملكة العربية السعودية في ظل المليك المفدى خالد بن عبد العزيز وسمولى عهده الأمين صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز حفظهما الله .

حققت الدول العربية في شهر ديسمبر ١٩٧٨ م نصراً مؤزرا على المستوى الدولى وذلك عندما قامت المنظمة الدولية للتقييس بجنيف بانتخاب الهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس عضوا في مجلس المنظمة . الذى يعتبر السلطة العليا للمنظمة الدولية . ووراء هذا الخبر قصة طويلة تمتد الى عدة سنوات مضت . وبالتحديد الى عام ١٣٩٢ هـ حين صدر مرسوم ملكى كريم في ٣ / ٣ / ١٣٩٢ هـ بانشاء الهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس كجهاز وطنى للتقييس في المملكة واسند اليها مهمة وضع واعتماد المواصفات القياسية للسلع والمنتجات وطرق الفحص والاختبار والقياس والمعايرة . وتطبيق النظم الحافزة على الأخذ بنظم التقييس في التجارة والصناعة والزراعة وغيرها من المجالات مثل منح شهادات للسلع التى يثبت بعد الاختبار مطابقتها للمواصفات القياسية . والترخيص للمصانع بوضع علامة معتمدة على السلع المطابقة للمواصفات القياسية تدل المستهلك على جودتها وملاءمتها للاغراض التى أنتجت من أجلها . وذلك بعد تطبيق نظام للتفتيش الفنى على هذه المصانع يتم فيه التأكد بصفة مستمرة من مطابقة هذه السلع للمواصفات القياسية كما تعمل الهيئة على تنمية الوعى بالتقييس ومزاياه على تنسيق اعمال التقييس في المملكة . كما تقوم بتمثيل المملكة على كافة المستويات الاقليمية والدولية للتقييس .

ومن الواضح من عرض مجالات عمل الهيئة أنها كلها تدور حول تحديد المستوى الملائم للسلع والمنتجات . وايجاد الوسائل الكفيلة بالحفاظ على هذا المستوى . وتطويره بما يتلاءم مع التطورات المستجدة والاحتياجات المتجددة . ويهدف ذلك الى ضمان أن تكون السلع المنتجة أو المستوردة محققة للاغراض التى تطلب من أجلها . والى الحفاظ على صحة وسلامة



(تصوير . رينيه رولاند . باريس)

الثلاثية العاجية

اصبحت مدينة مايسيناى اليونانية واحدة من المراكز الرئيسية في العالم الايجى في الجزء الاخير من العصر الالفى الثانى قبل الميلاد . وقد بدأت شهرة المدينة بالاحتفال بالاكتشافات التى قام بها عالم الآثار الألمانى هنريش سكليمان في فترة سبعينات التى بدأت القرن التاسع عشر . وقد أظهرت الحفريات التى أجريت في مايسيناى كميات كبيرة من الجواهر والأقنعة الذهبية وغيرها من الأشياء الثمينة منها قطع فنية متقنة الصنع مثل مقابض المرايا والأمشاط . ومن الأمثلة البارزة على الفن العاجى في مايسيناى هذه المجموعة (التى يبلغ ارتفاعها ٧ سم) والتى تصور اثنين المؤلهتين وأحد الأطفال الأرباب ويرجع تاريخها الى القرن الخامس عشر ق . م . وتوجد هذه المجموعة في الوقت الحاضر في المتحف القومى في أثينا .

المستهلك ، وتأسيس النهضة الاقتصادية في مختلف القطاعات على أسس ، سليمة ومدروسة كما تهدف المواصفات أيضا الى توحيد النظم المتبعة في القياس أو الى ضمان دقة أجهزة الفحص والأختبار عن طريق إدخال نظم المعايرة أى التأكد من الدقة طبقا لنظم دقيقة وموحدة . كما تهدف إلى توحيد المقاسات المنتجة من مختلف أنواع السلع مما يؤدى إلى سهولة الصيانة ، وإلى توفير قطع الغيار .

وعكفت الهيئة فور انشائها على تحقيق هذه الأهداف ، ووضعت لنفسها أسسا للعمل ، وحرصت على توفير أعلى الكفاءات المتوفرة محليا أو أجنبيا ، وانطلقت بعد ذلك الى رسم خطة خمسية تمشيا مع الخطة الخمسية للدولة ، واستهدفت فيها انجاز ثلاثمائة مواصفة قياسية ، وتدل كل المؤشرات على أنها ستوفق في تحقيق هذا الهدف في نهاية الخطة بعون الله تعالى كما ركزت على انجاز أهدافها الاخرى فوضعت اللبنات الاولى في ذلك السبيل ، وهى تأمل في ازالة الصعوبات ورفع المعوقات باذن الله ....

ولم تقتصر الهيئة على النظام المحلى بل انطلقت على مختلف المستويات الاقليمية حيث شاركت فور انشائها في المنطقة العربية للمواصفات والمقاييس . وهى منظمة أنشئت كجهاز من أجهزة الجامعة العربية ، لتعمل على تنسيق وتوحيد المواصفات بين الدول العربية كما كانت للهيئة السعودية أنشطة في بعض الاجهزة الدولية الاخرى . وعلى سبيل المثال كان التقييس أحد العناصر الفنية التى شملها الحوار العربى الأوربى الذى يجرى مع دول السوق الأوربية المشتركة . وشكلت مجموعة متخصصة من الخبراء العرب والأوربيين لبحث أوجه التعاون بين العالم العربى والأوربى في هذا المجال وكانت الهيئة السعودية أحد ممثلى العالم العربى في هذه المجموعة .



الدكتور خالد يوسف الخلف
مدير عام الهيئة

وعلى النطاق الدولى شاركت الهيئة في كثير مما جرى على الساحة الدولية في مجال المواصفات والمقاييس ، فلطالما أسهمت في أجتماع لجنة دستور الأغذية التى تعقد إجتماعاتها عادة في روما ، وتتابع باستمرار كل ما يصدر عن هذه اللجنة من مواصفات وتوصيات ، حيث تبدى رأيها الفنى فيها ، وتعمل على تحقيق مصالح العالم العربى في هذا المجال الهام . كما أنها تساهم في اللجنة الدولية للكهرباء والتى يرمز اليها بالرمز (IEC) وهى الجهاز الفنى المتخصص في قطاع الكهرباء للمنظمة الدولية للتقييس (ISO) والتى تشارك الهيئة فيها أيضا مشاركة فعالة ، تعززت بانتخابها لعضوية مجلسها كما أشرنا إلى ذلك في مطلع هذا المقال .

ونود الاشارة هنا الى أن نشاط الهيئة ونعنى به التقييس يمس انشطة اليونسكو ، ويتداخل معه تداخلا شديدا . فكما أن اليونسكو تهتم بكل ما يمس الثقافة والعلوم ، فان التقييس يعتبر الانعكاس العلمى للثقافة والعلوم ، والاداة العلمية التى تتحول فيها نظريات العلم الى واقع تطبيقى ، وعلى عنصر فعال من عناصر التطور والانماء ، « والتقييس » يتأثر بما يجرى في ميدان العلوم كما أنه يؤثر فيه ايضا .. ولذا فان رسالة اليونسكو تلتقى مع رسالة التقييس في هدف واحد تعملان له سويا ، ألا وهو خدمة قضية تطوير الانسان ، وزيادة رفاهيته والعمل من أجل اسعاده ووضع مكتشفات العلوم النظرية بين يديه كواقع تطبيقى .. واذا كانت اليونسكو تسعى لاضاءة عقله ، ومحاربة الجهل الذى قد يحجب عنه نور الحقيقة ، فان التقييس يسعى للحفاظ على صحته وسلامته وعلى توفير كل متطلباته بالمستوى الذى يتمشى مع احدث منجزات العلم وبذلك فانه يكمل الدائرة التى باكتمالها تكتمل سعادة الانسان ...

قسم الاعلام والتوعية



الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون

تقديم :

تطور مفهوم الثقافة في عصرنا الحالى نتيجة لاتساع آفاق المعرفة الانسانية ، وأصبح لها مفهوما جديدا باعتبارها تمثل روافد المعرفة لكل القيم الانسانية ..

وبهذا المفهوم المتكامل فانها تشمل التعليم والفنون بكل أنواعها والعلوم وكل مجالات الفكر والأدب ، ولا يمكن بأى حال فصل الثقافة عن العلم والفن ..

وتشهد المملكة العربية السعودية في الوقت الحاضر انطلاقة حية في مجالات الثقافة والفنون فقد أقيمت الأندية الادبية لرعاية فنون الأدب ، وكثرت المطابع ودور النشر ونشطت حركة التأليف والترجمة وظهرت في الأفق مؤلفات سعودية ، وكثرت المجلات الثقافية والمتخصصة الى جانب الصحف السعودية باللغتين العربية والانجليزية ، واقيمت المعارض الفنية .. الى جانب ما تشهده المملكة العربية السعودية من مؤتمرات وندوات في شتى الحياة .. العلمية والفكرية والاقتصادية وأيضا التكنولوجية ـ لربط العلم بالايمان والدين بالدنيا .. ايمانا منها بدورها القيادى لعالمنا المسلم .

في مواجهة ذلك كله ، واهتماما من الدولة بقطاعى الثقافة والفنون .. انشئت الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون عام ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٣ م لتواكب مسيرة التقدم في المملكة العربية السعودية لتحقق للثقافة العربية السعودية ما يمكنها من مواجهة كل الثقافات التى لا تناسب واقعها ومجتمعها المسلم ، وأصبح في مقدمة برامج عملها التنسيق والترابط والتكامل بين الأجهزة التى تعنى بالثقافة والفنون في المملكة العربية السعودية ..

ورغم عمر الجمعية الذى لم يتعد ست سنوات قضت أغلبها في تجارب تنظيمية وادارية متطلعة خلالها لنظام أمثل يحقق المرونة والانطلاق في مجال عملها .. الا أنها استطاعت بفضل الله ثم توجيه ورعاية القيادة الواعية المخلصة ان تحقق منجزات طيبة في مختلف مجالات عملها ، وهى على سبيل المثال لا الحصر ..

أولا : النشاط الثقافى ـ « المطبوعات » وقد صدر منها ما يلى :

١ ـ كتابين عن الأدب الشعبى .. الأول للاستاذ عبد الله العلى الزامل .. والثانى جدى الفلاح للاستاذ سليمان الحماد .

٢ ـ ملف الثقافة والفنون ويضم عددا من الدراسات والبحوث والمقالات ذات العلاقة بالثقافة والفنون ، شارك في اعدادها لفيف من المفكرين والأدباء والفنانين السعوديين سيصدر العدد الثانى منه قريبا .



صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز الرئيس العام لرعاية الشباب والمشرف على الجمعية في إحدى ندوات الجمعية ضمن نشاطها الثقافى

٣ ـ الدليل الاعلامى الذى أشرفت عليه لجنة الاعلام والنشر محددا البرامج الزمنية للأنشطة الفنية والثقافية للجمعية وفروعها خلال هذا الموسم ويحوى التنظيم الادارى والفنى ويلقى الضوء على كل نشاطات الجمعية ولجانها الفنية.

٤ ـ تعليم آلة الكمان .. ثلاثة أجزاء .. للاستاذ عز الدين حسنى.

٥ ـ الفناء في رباعيات الخيام وغرامه (أو فلسفة الكوز) للاستاذين ابى عبد الرحمن بن عقيل وعبد الله الماجد.

٦ ـ ديوان ابن صقية التميمى ـ الجزء الثانى ـ شعر شعبى لعبد الله بن على ابن صقية ـ تحقيق وشرح ابن عقيل .. وقدم له الشيخ عبد الله بن خميس.

٧ ـ ديوان زهرة حنا للشاعرة ريم الصحراء.

كتب تحت التحقيق والتأليف والترجمة :

١ ـ فهرس المخطوطات والمصورات التى تقتنيها المكتبة العامة للجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ويقوم باعداده الاستاذين يحيى ساعاتى وابى عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى.

٢ ـ تعريب كتاب عن مناظرة ابى الوليد الباحى لابن محمد بن حزم باللغة الفرنسية وسيقوم بترجمته الدكتور عبد الصبور شاهين ويراجعه الدكتور محمد عبد الحليم وذلك باقتراح من الدكتور المرحوم فضيلة الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر السابق .. وسيقدم له الاستاذ أبو عبد الرحمن بن عقيل وسيحشى عليه السادة أعضاء اللجنة الاستشارية الدائمة للشئون الثقافية.

٣ ـ تحقيق خمس رسائل للاستاذ ابن حزم لم يسبق نشرها ويقوم فضيلة الشيخ اساعيل الانصارى بتحقيقها.

٤ ـ تحقيق الايثار بمعرفة رواة الآثار للحافظ ابن حجر العسقلانى .. عهد بتحقيقه لفضيلة الشيخ عبد الفتاح أبو غده ..

٥ ـ تحقيق كتاب الامام أحمد بن حنبل لابنه صالح.

٦ ـ تحقيق كتاب وهج الجمر عن احكام الخمر لابن دحية ..

٧ ـ تحقيق كتاب رواة الصحابة الذين استخرجهم ابو القاسم على ابن الحسن من مسند أحمد.

٨ ـ تحقيق رواة الصحابة الذين استخرجهم بقى بن مخلد من مسنده.

٩ ـ الصفة المشروعة للذكاة لسماحة الشيخ محمد بن ابراهيم ـ رحمه الله ـ بتحقيق احد المشايخ.

١٠ ـ تاريخ نجد لابن ضويان والنبذة الملحقة به .. بتحقيق الدكتور محمد بن سعد الشويعر والاستاذ يحيى ساعاتى

١١ ـ المصور في سر الهوى المكنون لابى اسحق ابراهيم بن على الحصرى تحقيق الدكتور محمد بن سعد الشويعر والاستاذ ابى عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى.

١٢ ـ ديوان الاستاذ عبد اللطيف البناى .. من الكويت الشقيق .. شعر غنائى.

١٣ ـ معجم النباتات العربية في جزيرة العرب .. وقد كلف بالاجزاء الخاصة بنجد كل من المشايخ عبد الله بن محمد بن خميس ومحمد بن ناصر العبودى وسعد بن عبدالله بن جنيدل وحسين بن جريس ومحمد بن عبد الله بن حمدان .. وهذا المعجم موسوعة علمية لغوية يتناول كل نوع من النباتات باسمه في الفصحى والعامية والمصطلحات الاجنبية مع بيان وجه الاشتقاق اللغوى وذكر الشواهد من الشعر العربى فصيحة وعامية ووصف النبات وتصويره وبيان مواسمه الزمنية وما يستخرج منه من عقاقير وعطور وبيان خواصه .. وسيشارك فيه بعض المختصين في الطب والصيدلة.

١٤ ـ فهرسة الشعر الشعبى القديم المطبوع في المنطقة الوسطى بجزيرة العرب وما هو في منهجه واستخراج ما فيه من شعر جنوب سوريا وجنوب العراق والاردن والكويت وقطر والبحرين.

١٥ ـ ديوان الشعر الشعبى القديم في المنطقة الوسطى بجزيرة العرب وما هو في منهجه ـ واستخراج ما فيه من مخبآت لغوية وتاريخية واجتماعية وعقلية.

١٦ ـ موسوعة الالحان الشعبية في حزيرة العرب مع كتابتها بالنوتة ووضع اعارض لها. وقد كلف بهذه الكتب الثلاثة عدد من المختصين.

١٧ ـ تعريب دراسة كتاب الجيم تأليف (فيرفرديم) باللغة الالمانية عربة الاستاذ عبد الحليم طهبوب والدكتور محمد وصفى خليل ويراجعه الدكتور حسن الشماع.

١٨ ـ كتاب كنز الاسماء في كشف المعمى لقطب الدين النهروالى .. تحقيق الاساتذة يحيى ساعاتى وسليمان الحمد وابى عبد الرحمن بن عقيل.

١٩ ـ دموع الوجد .. ديوان شعر شعبى .. للشاعر الحميدى الحربى.

٢٠ ـ كتاب الاجتهاد في الاسلام .. للشيخ محمد بن ابراهيم الهويس.

٢١ ـ الحياة الجديدة لدانتى .. ترجمة الدكتور الطاهر احمد مكى.

٢٢ ـ تاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطية .. واخبار مجموعة لمجهول .. ودراسة مقارنة للمستشرق الاسبانى خوليان ريبرا .. ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكى.

٢٣ ـ كتاب الشعر الاندلسى لهنرى بيريس .. نقله من الفرنسية الدكتور الطاهر احمد مكى.

٢٤ ـ النغم الذى أحببته .. ديوان شعر للأستاذ ابو عبد الرحمن بن عقيل.

٢٥ ـ الاسم والمسمى للبطليوسى .. بتحقيق عبد الرحمن بن عقيل.



خلال فترة قصيرة تمكنت الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون من إصدار الكثير من الكتب المتعددة والتى تغطى اكثر من مجال مؤكدة بذلك حرصها على متابعة المسيرة المباركة التى تعيشها المملكة العربية السعودية في ظل الملك المفدى خالد بن عبد العزيز وسمو ولى العهد الأمين الأمير فهد بن عبد العزيز.

كتب تحت الطبع :

١ ـ تحقيق ثلاثة رسائل عن الثقلاء بتحقيق فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودى .

٢ ـ مختارات شعراء العرب للاديب اللغوى بن الشجرى تحقيق الدكتور نعمان محمد امين طه .

٣ ـ اذرع الواحات المشمسة .

نظرا لأن الجمعية قد طرحت مسابقة القصة القصيرة بشروط مغرية تقدم فيها العديد من القصص لشبان سعوديين فان الجمعية ستقوم بجمعها تمهيدا لنشرها في كتيب .. وهى باكورة انتاج نادى القصة السعودى والذى انشأته الجمعية من أجل رعاية فن القصة وابراز المواهب الشابة في هذا المجال وتوفير سبل الرعاية لهم والمعاونة في تحقيق هذا الهدف بالتعاون من كبار كتابنا وادبائنا والاستفادة من خبرات الكتاب العرب ممن سبقونا في هذا المجال .

كتب لاتزال الجمعية تخطط لها لاستكمالها :

١ ـ موسوعة الرسم الاملائى ومصطلحات الترقيم .. ستوزع مواده على عدد من الباحثين المختصين لضبط القاعدة الصحيحة لصورة الكتابة العربية وتحديد القدر المطلوب من الشكل واستخدام علامات الترقيم عن وعى وفق قاعدة من استيعاب للرموز المصطلح عليها بين الكتاب والعلماء لاختصار الكتابة وسيراعى في هذه الموسوعة ترجيح ماتقتضيه الضرورة ولا يخل بالاصالة من المقترحات المقدمة لتسيير الكتابة .

٢ ـ موسوعة المصطلحات المستعملة عند أهل الفن ـ سيعقد لهذه الموسوعة مؤتمر من عدد من الباحثين يخطط له .. وستوزع مواده على عدد من الباحثين السعوديين وغيرهم في البلاد العربية وستتضمن معجما لغويا حسب المخطط المقترح ..

رسالة اليونسكو

تصدر شهريا عن :
هيئة اليونسكو
ميدان فونتينوا ـ باريس ـ ٧

تصدرها اليونسكو باللغات الفرنسية والإنجليزية والأسبانية وتصدرها شعب قومية بسبع عشرة لغة أخرى

رئيس التحرير
جان جودان
وتوجه الى سيادته جميع الرسائل فى باريس

الطبعة العربية لرسالة اليونسكو
١ شارع طلعت حرب ـ القاهرة
تليفون : ٧٤٢٥٠٢

رئيس التحرير
عبد المنعم الصاوى

هيئة التحرير
د. مصطفى كمال طلبة
د. السيد محمود الشنيطى
د. محمد عبد الفتاح القصاص
عثمان نوية
صفى الدين العزاوى

الإخراج والتصميم
روبرت جاكمين
عبد السلام الشريف

العدد ٢١٣
١٠ أبريل ١٩٧٩



صورة الغلاف :

الويشول شعب منفرد . يعيش في جبال سيرا المكسيكية الوعرة . احتفظ بثقافة أصولها أقدم بكثير من الزمن الذى وصل فيه الاسبان . والويشول . مشاة لايكلون . وحجاج يسعون بحثا عن شخصيتهم الالهية . وقد أثمرت ثقافتهم فنا فريدا في نوعه . تمثله « لوحاتهم الصوفية » أبدع تمثيل . ويعبر الويشول بذلك . في صفاء الأشكال والألوان عن العالم المقدس لدى الأسلاف والآلهة . مثال ذلك هذه التحفة « رؤيا الأيل الأزرق » وهى من إبداع هوان ربوس مارتينيز . والفن الأمريكى اللاتينى غنى ومتعدد الألوان . ونجد في هذا العدد أيضا مثالا عما تم أخيرا في حل رموز كتابة المايا . ومثالا آخر عن الواقع الرائع في الفن الهايتى .

(الصورة ـ ب . لويد بيكر . اوريجون . الولايات المتحدة الامريكية)

حذار..! المناخ متقلب

بقلم : وليم و. كيلوج

يمكن وصف المناخ بوجه عام بأنه نوع الجو الذى علمتنا التجربة أن نتوقعه للعام القادم . ومن المعروف بعامة أن المناخ ليس هو نفسه من عام الى عام أو من عقد الى عقد . لذلك فمن طبيعتنا كبشر أن ننتظر دائما جوا مناسبا للمحاصيل والأجازات والمناطق التى نختارها للسكن . ونبتهج حين يكون الجو أحسن من المعتاد ، ونتكدر حين يسوء . والواقع هو أن المناخ متقلب من سنة الى أخرى ، بل ويتغير في فترات أطول من ذلك .

وفي ذاكرتنا عدد من الأمثلة لمثل هذه التغيرات المناخية . فقد خبرت غرب أوروبا وشرق الولايات المتحدة بعض فصول الشتاء القاسية التى أثرت في مواد الوقود وأدت الى إغلاق المصانع مؤقتا . وفي شمال أفريقيا ، عانت منطقة الساحل من آثار الجفاف المدمر الذى استطال من ١٩٦٩ الى ١٩٧٤ . وفي عام ١٩٧٢ عانى غرب الاتحاد السوفيتى من شتاء بارد جاف ، ثم صيف حار جاف انقصا بقدر كبير من حجم محاصيله وحبوبه . ومع ذلك فلا تخلو هذه الأحوال من السوابق التى حدثت من قبل ، وسوف تحدث في العديد من بقاع الأرض .

وتذكرنا هذه الأحداث الأخيرة بأن مناخ كوكبنا هو نتاج توازن متغير غير ثابت . ومن عوامل هذا التوازن تأثيرا الشمس . والهواء الجوى ، والمحيطات ، واليابسة ، والثلوج ، والجليد في المناطق القطبية ،

وليم و. كيلوج ـ أحد المسئولين العلميين في المركز القومى للأبحاث الجوية بيولدر (كولورادو) ومدير مخبره للعلوم الجوية سابقا . واليوم ، وهو في اجازة من المركز القومى للأبحاث الجوية يعمل بصفته مستشارا للأمانة العامة للبرنامج المناخى العالمى التابع للهيئة العالمية للأرصاد الجوية . له عدة كتابات في ديناميكية الهواء الجوى العلوى ، واستخدامات الأقمار الصناعية في الأرصاد الجوية ، والكيمياء الجوية ، وتلوث الهواء ، وتأثير الإنسان على المناخ .



(الصورة) . مستقبل التماثيل .
ارنيه ماجريت ـ مؤسسة ادوارد جيمس . المملكة المتحدة .

وتأثير الأجسام الحية ومنها الإنسان نفسه . دانا لنتعجب حيال توازن مناخى مستقر نسبيا استمر خلال بضعة القرون الماضية ، وبخاصة اذا فكرنا في ذاك الزمان الماضى القريب بنوع ما (حوالى ١٥٠٠٠ الى ٢٠٠٠٠ سنة) حين كان شمال أمريكا وغرب أوروبا مغطين في معظم أجزائها بالجليد

ولم يعد في الإمكان في الوقت الحاضر ، مثلما كان في الماضى قبول مناخ شديد التقلب ، وذلك لأسباب كثيرة :

فنحن أولا لم نعد نملك احتياطات من الغذاء وغيره ، مما كان موجودا منذ زمن قريب وموارد الكوكب محدودة ، ونمو السكان ، ومتوسط مستوى المعيشة مستمر . وإذا تسبب المناخ في ضعف المحاصيل أو قلة السمك المصيد في منطقة ما ، انعكست نتيجة ذلك على العالم كله .

وهناك بعد ذلك كله المشروعات الكبرى ، كتطوير شبكات الطرق ، ونظم الرى ، والصناعات ، ومحطات الطاقة ، ومشروعات الزراعية الضخمة في البلاد الصناعية ، وكذا في البلاد النامية . ومن ثم يزداد الاهتمام بالتغيرات والتنوعات المتحملة في المناخ .

فضلا عن ذلك ، عرفنا الشيء الكثير عن النظام الكلى الذى يتحكم في المناخ ، فأصبحنا نعلم من جهة أن التغيرات المناخية يمكن أن تطرأ في كل المقاييس الزمنية ، ومن جهة أخرى أن أنشطة الإنسان يمكن أن يكون لها تأثير ملموس على المناخ في مستقبل مرتقب .

وأخيرا فقد اتسعت معلوماتنا عن النظام المناخى وتأثيراته على المجتمع . وهناك معدات جديدة تتضمن تقنيات قوية تتيح رصد الأرض من الفضاء ، وجمع المعلومات المناخية وتحليلها . يضاف الى هذه الضروب من التقدم التكنولوجى ضروب رائعة أيضا من التقدم في فهم النظام المناخى نفسه . ويمكن القول بان رد فعل الأبنية الأجتماعية على التغيرات المناخية أصبح هو أيضا معروفا بصورة أفضل .

والحاصل أن المشاكل المرتبطة بالمناخ يجب معالجتها على المستويين العالمى والدولى . ومن أجل هذا تعمل الأمم المتحدة ومختلف وكالاتها ، وبخاصة الهيئة العالمية للأرصاد الجوية في الوقت الحاضر بالتعاون مع المجلس الدولى للاتحادات العلمية في إعداد برنامج مناخى عالمى . وينبغى أن يتجاوز مثل هذا البرنامج حدود علم المناخ التقليدى .





قد يكون للتغيرات المناخية تأثير كبير في مجتمعات البشر . من ذلك أن « العصر الجليدى الصغير » (١٥٠٠ ـ ١٧٠٠) قد أثر على مزارع الكروم بانجلترا وجعل من الانجليز أمة تشرب الجعة (البيرة) . وشهد هذا العصر أيضا تقدما كبيرا في الثلاجات الجبلية . أما القرن العشرون فانه تميز بدفء عام ، وتراجع الثلاجات الجبلية . وتبين الصورة بأعلى الصفحة ثلاجة أرجنتيير بفرنسا . وقد رسمت في حوالى عام ١٨٦٠ . أما الصورة الفوتوغرافية السفلى التى التقطت عام ١٩٦٦ فانها توضح تقهقر الثلاجة في فترة زمنية تربو قليلا على قرن واحد . واليوم ، ثلاثة أرباع المياه العذبة في العالم محفوظة في القلنسوة الجليدية . والثلاجات ، فلو ذاب الثلج كله لارتفع منسوب البحر حوالى ٩٠ مترا

(الصورة العليا ، فلاماريون . باريس) (الصورة السفلى ، لوروف لادورى ، ١٩٦٦)

منظران للقارة القطبية الجنوبية أخذا من قمر الأرصاد الجوية نيمبس ٥ يوضحان التغيرات الهامة التى طرأت على الغلاف الجليدية أثناء الصيف القطبى . فالصورة اليسرى التقطت فى ١٥ من ديسمبر ١٩٧٢ ، واليمنى فى ٣٠ من يناير ١٩٧٣ . وعلى كل صورة خط أسود يبين حدود أرض القارة . وتمثل الأسطح البيض أو الرمادية الفاتحة مسطحات الماء . أما النقطة السوداء فإنها تدل على نقص فى المعلومات الخاصة بالمعطيات التى يرسلها القمر الصناعى .
(الصورة ـ أ. [illegible] ـ باريس)

والواقع أن دراسة النظام المناخى يشمل مجموع علوم الأرض وكذا علم البيئة ويجب أيضا أن يعمل هذا البرنامج جاهدا على تفهم تأثير المناخ على أنشطة الإنسان وتنظيماته ، وأن يساعد المسئولين على تنظيم وتنسيق الأنشطة والتنظيمات الخاضعة للأحوال المناخية حتى تصير أقل تأثرا بتنوعات المناخ وتغيراته .

والواقع أن دراسة النظام المناخى جاهدا على تفهم تأثير المناخ على أنشطة الإنسان وتنظيماته ، وأن يساعد المسئولين على تنظيم وتنسيق الأنشطة والتنظيمات الخاضعة للأحوال المناخية حتى تصير أقل تأثرا بتنوعات المناخ وتغيراته .

وتمهيدا لأول مؤتمر عالمى بشأن المناخ نظمت الهيئة العالمية للأرصاد الجوية مؤتمرا من الخبراء فى مختلف فروع المعرفة فى شأن المناخ والإنسان ، وذلك بالتعاون مع اليونسكو وغيرها من الهيئات المتخصصة فى الأمم المتحدة ، والمجلس الدولى للاتحادات العلمية ، والمعهد الدولى لتحليل النظم التطبيقية . وسوف ينعقد هذا المؤتمر فى جنيف من ١٢ الى ٢٣ من فبراير ١٩٧٩ .

والغرض من هذا المؤتمر إعداد بيان بالمعلومات الخاصة بالنظام الذى يتحكم فى المناخ ؛ وعليه بعد ذلك دراسة التأثيرات العديدة التى تمارسها التنوعات والتغيرات المناخية على مختلف الأنشطة البشرية ، من زراعة ، وموارد مالية ، وتأجيم ، وصيد أسماك .. وسوف تبحث أخيرا فى تأثيرها على أبنية المجتمع الاجتماعية والاقتصادية الرئيسية .

وسوف تكون نتائج هذا المؤتمر مفيدة حين ينعقد مؤتمر هيئة الأرصاد الجوية فى شهر مايو القادم ، فالمطلوب فى الواقع هو اعداد برنامج المناخ الدولى . ويجرى منذ سنوات دراسة مشروع البرنامج الذى سوف يعرض على مؤتمر هيئة الأرصاد الجوية هذا . وفى عام ١٩٧٨ عقدت عدة اجتماعات للخبراء لإعداد تفاصيل المشروع . وفى الوقت الحاضر ينقسم برنامج المناخ العالمى الى أربعة أقسام أو فروع يعالج كل منها مظهرا جوهريا :

- المعطيات المناخية !
- تطبيقها !
- دراسة التأثيرات المناخية
- الأبحاث المناخية الأصلية .

أما المعطيات المناخية التقليدية فإنها تقيس وتصف التغيرات فى درجة الحرارة . وسقوط المطر او الثلج ، وفى الرياح ، والضغط الجوى والرطوبة ، والضباب ـ وتضاف إليها معطيات متعلقة بالمناخ ، كالإشعاع الشمسى ، ودرجة الحرارة على سطح الماء وامتداد مسطحات الجليد البحرى .

ويزودنا بمعلومات الأرصاد الجوية أكثر من ٩٠٠٠ محطة سطحية ، منها حوالى ٤٠٠٠ تقدم بانتظام أربعة تقارير يومية ، باعتبارها محاط لشبكة عالمية شاملة . وثمة قرابة ٩٠٠ محطة تجرى رصدا جويا واحدا او رصدين كل يوم . وبالإضافة الى المحاط الأرضية تجرى قرابة ٧٠٠٠ سفينة تجارية أرصادا سطحية ، وتقدم الطائرات التجارية ١٥٠٠ تقرير . أما المعلومات التى تبلغ الى الشبكة فإنها تنشر فى بضع ساعات بوساطة نظام عالمى من الاتصالات عن بعد تنظمها الهيئة العالمية للأرصاد الجوية ، ثم تعالج هذه المعلومات وتودع فى عدد معين من مراكز الأرصاد الجوية الاقليمية ، وفى المراكز العالمية الثلاثة لمعلومات الأرصاد الجوية فى واشنطون وموسكو وملبورن .

والهدف الأول من كل هذه الأرصاد هو التنبؤ بالأحوال الجوية . غير أنه لا يوجد عادة الا القليل جدا من الاهتمام بالمعطيات اللازمة للعلماء لدراسة موضوعات مثل تيارات المحيطات أو الأحوال الخاصة بالمناطق القطبية . وبعض هذه المعطيات غير الاجمالية تجمع فى الوقت الحاضر بوساطة شبكات لاترتبط مباشرة بمرافق الأرصاد الجوية .

وثمة طوائف أخرى من المعطيات لازمة للأبحاث بشأن أنواع المناخ فى الزمان الماضى ؛

من ذلك مثلا فحص طبقات نمو الأشجار ، وتوزيع الأنواع المختلفة من اللقاحات فى رواسب البحيرات ، ودراسة الأنهار الجليدية . وفى هذا المجال يستهدف برنامج المناخ العالمى حصر نطاق المعلومات الموجودة وتيسير استخدامها فى مجال أوسع .

وعلى ذلك فإن مدى المعلومات اللازمة لمختلف التطبيقات والأبحاث المناخية واسع للغاية . وتأخذ الدول المتقدمة فى اعتبارها بوجه عام هذه المعلومات فى تصور المشروعات وتحقيقها ؛ من ذلك تنمية موارد المياه ، والمحاط الكهربية الجديدة ، وبناء الطرق ، ونمو المدن ..

والتقنيات الإحصائية فى هذا الخصوص دقيقة للغاية . ويستهدف هذا الجزء من البرنامج بنوع أخص مساعدة البلاد النامية حتى تستطيع استخدام هذه المعلومات فى الوقت الذى تتطور فيه القواعد الصناعية والزراعية فى الكثير منها .

والكثير من البلاد النامية لها مناخ غير مناسب لممارسة أنشطتها ، وعليها إذن ، عند إعداد أبسط مشروعاتها أن تأخذ فى اعتبارها العوامل المناخية .

وتملك منظمة دولية مثل الهيئة العالمية للأرصاد الجوية وسائل كثيرة لمساعدة البلاد النامية على استخدام المعلومات عن المناخ فى إعداد نموها الزراعى والصناعى والاجتماعى ومباشرته . وثمة بلاد تملك برامج متقنة لتطبيق المعلومات المناخية . وفى إمكان الهيئة العالمية للأرصاد الجوية أن تتخذ إجراءات لنقل هذه التقنيات الى البلاد التى تريد استخدامها ، ويمكنها أن تسهم فى تأهيل التقنيين ، وإنشاء نظام لمعالجة المعلومات .

وكثيرا ما يكون للتقلبات المناخية نتائج هامة . وقد يؤثر الجفاف أو البرد القارس او الفيضانات بصور منوعة فى مختلف الأبنية . وبعض الأبنية أكثر قابلية للعطب من غيرها نتيجة لأهواء المناخ . ولكن ما سبب ذلك ؟ لا علم لنا بالسبب حتى الآن . والغرض من هذا البرنامج الفرعى هو فهم ثم توقع استجابة نظام اجتماعى واقتصادى معين لتغير مناخى أو آخر .

وإذا كان هناك تغيرات مناخية سوف تحدث كما نعتقد فى عشرات السنين القادمة . فمن واجبنا ليس فقط أن نفهم أسبابها ، ونصف التغيرات بدقة كافية ، ولكن ينبغى أيضا أن يكون فى وسعنا تقديرا التأثيرات التى سيكون لها على الانسان . وعلى كل مسئول أن يعرف تأثير التغيرات المناخية على الحياة الاقتصادية والاجتماعية ليستطيع أن يتصرف عن خبرة ومعرفة .

3

1

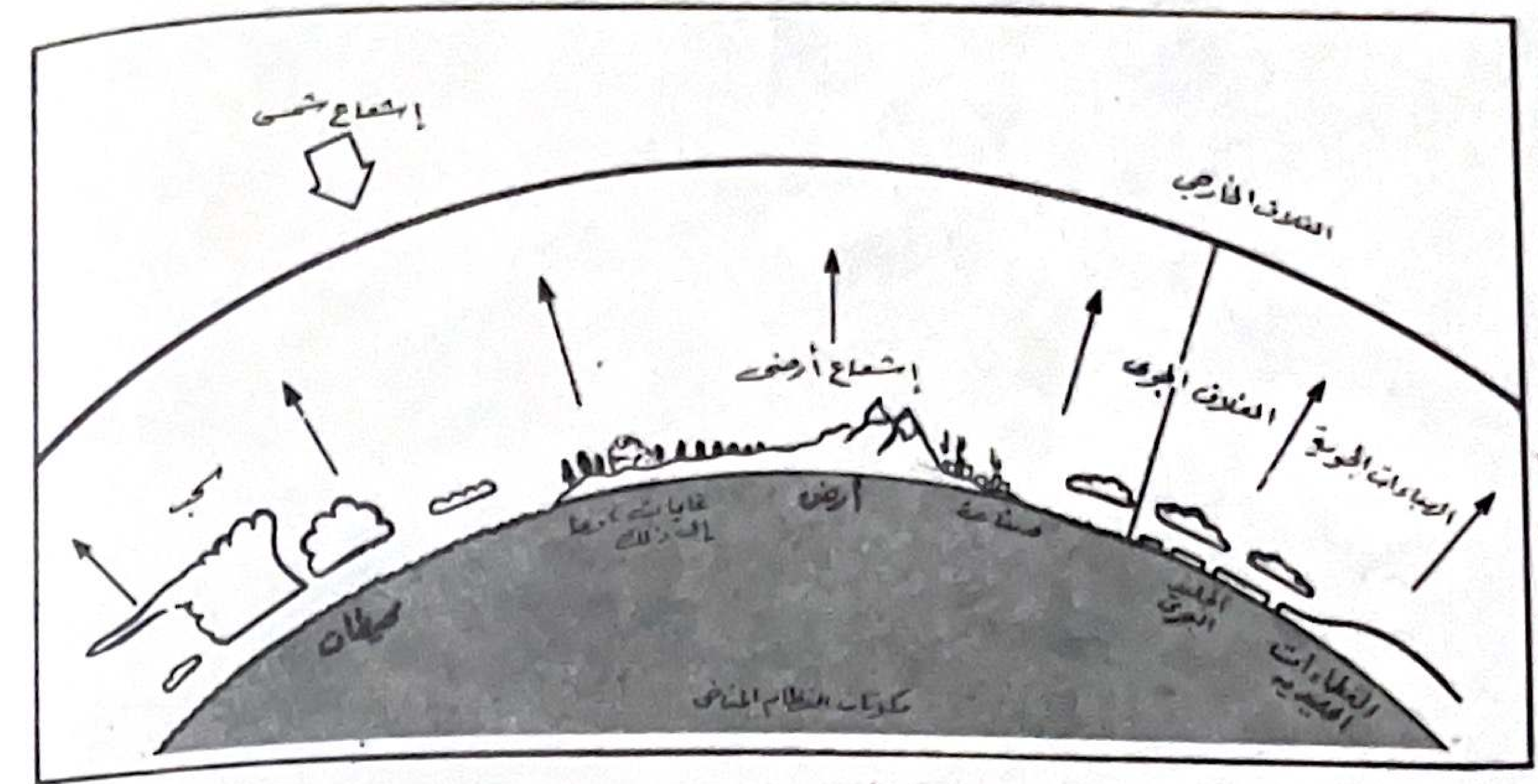
2

قد تزودنا الاحافير ، حتى الخاصة منها بالكائنات البحرية ببيانات عن درجات حرارة البحر فى الماضى البعيد ، و « النيوجلوبو كوادرينا باشيدرينا » رغم اسمها الهائل لا يزيد حجمها على رأس الدبوس ، وهى عبارة عن قوقعة يأخذ حلزونها اتجاها معينا (الرسم رقم ١) حين تكون درجة حرارة الماء أقل من ٧° مئوية ، ويتخذ الاتجاه المضاد حين تكون درجة الحرارة أقل من ذلك . وتتكشف درجات حرارة الماء التى تتجاوز ١٠° مئوية بوجود كائن بحرى آخر ، أسمه « جلوبوروتاليا ميناردى » (الرسم رقم ٢) .
(الرسومات ـ جان لوماربيه باريس)

تواريخ	مناخ	عصر	زان	بلوط	زيزفون	بندق	صنوبر	سندر	صفصاف
٥٠٠ م	بارد و رطب	تحت الاطلنطى							
٥٠٠ ق . م	حار و جاف	تحت الشمالى							
٣٠٠٠ ق . م	حار و رطب	اطلنطى							
٦٠٠٠ ق . م	جاف دافىء	شمالى							
٧٠٠٠ ق . م	شبه قطبى	قبل الشمالى							
٩٠٠٠ ق . م	نشاط القطب الشمالى وتحت القطب الشمالى	نهاية العصر الجليدى							

بأعلا رسم بيانى للقاح « شاهد » يوضح الأحوال المناخية بشرقى الدانمرك منذ عام ٩٠٠٠ ق . م . حتى عام ٥٠٠ ميلادى . ويبين اللقاح المتحجر الذى اكتشف فى ترسبات الخث والصلصال كيف تطورت النباتات . واللقاحات المتحجرة دليل ممتاز على التغيرات المناخية لأنها مماثلة تماما للقاحات النباتات الحية ، لذلك يمكن تتبع أثرها بالرجوع الى ملايين السنين الماضية .
(الرسم ، مقتبس بمعرفة ج . ايفرسن . فى العدد الأول من « دانمازكس ناتور » ـ جرانج باتولير س . أ . باريس)

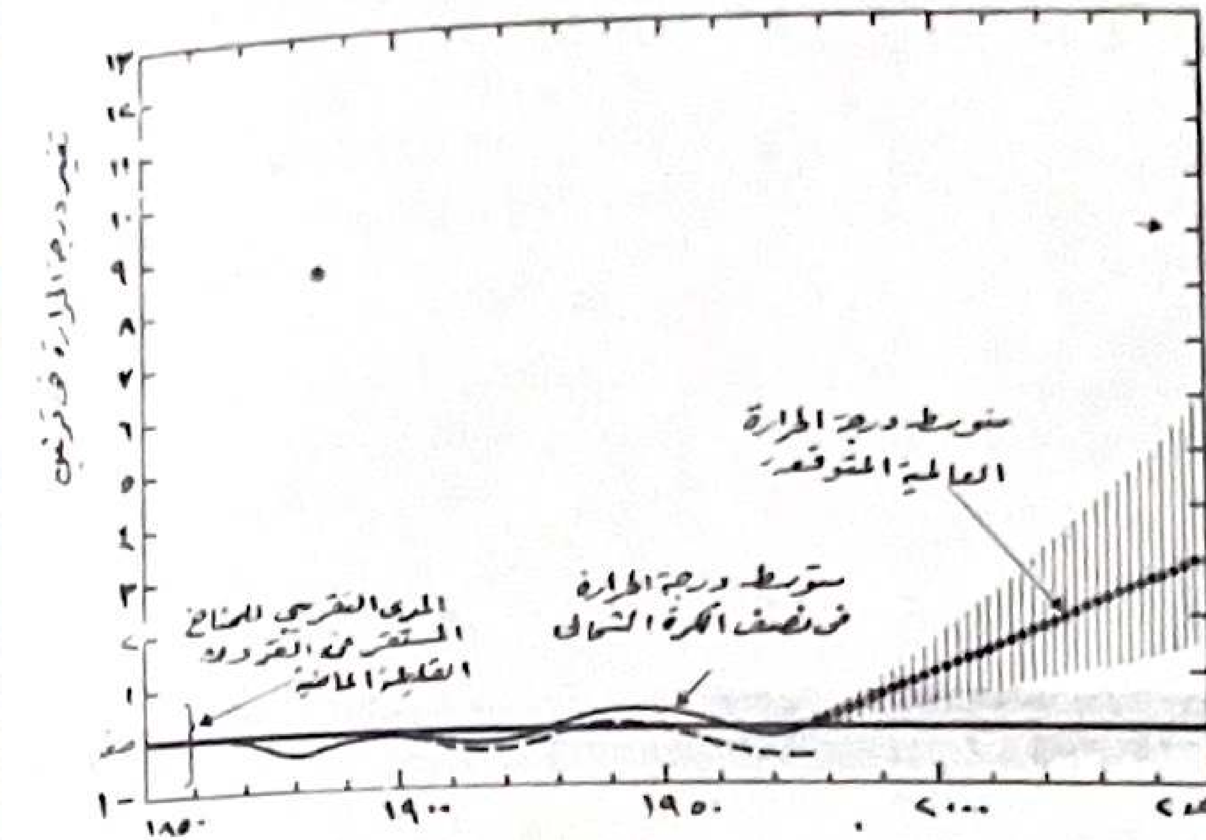
الى اليسار ، قطاع فى شجرة صلبة ، يوضح نمو حلقة الجذع وغالبية الأشجار فى المناطق المعتدلة تنمو كل سنة . كما يشهد بذلك جذوع الأشجار المقطوعة ، بوساطة حلقات متحدة المركز . ولا تتيح هذه الحلقات معرفة عمر الشجرة فحسب . ولكن تخانتها أيضا تعطى معلومات ثمينة عن الأحوال المناخية فى الزمان الماضى . من ذلك أن الحلقات الضيقة قد تدل على فترة أمطار قليلة أو فترة جفاف . أما الحلقات الأكثر اتساعا فإنها تعنى احوالا مناخية ملائمة بالنسبة الى النوع الجارى دراسته .
(الصورة ، كورسون ـ فوتو جرام ، باريس)



من أهم وظائف هوائنا الجوى تنقية الإشعاعات التى تبعثها الشمس الى الأرض ويبث الدرع الجوى معظم الإشعاع ذى الموجة القصيرة ، ولكنه ، اسوة بالدفيئة يحتجز جزءا من هذه الإشعاعات التى تتشتت فى الفضاء (انظر الرسم التخطيطى بعاليه) ، الأمر الذى يترتب عليه البطء فى ضياع الطاقة الآتية من الأرض ، وتثبيت درجة الحرارة على سطح الكرة الأرضية . ومع ذلك فإن الإنسان يحرق فى الوقت الحاضر كمية كبيرة من الوقود الحجرى كالفحم والبترول والغاز الطبيعى لدرجة أنه يزيد بدرجة مفرطة نسبة ثانى أكسيد الكربون فى الهواء الجوى . ويمتص ثانى أكسيد الكربون الإشعاعات المنبثقة من الأرض ويمنعها من التشتت فى الفضاء . وهكذا فإن الإنسان « يزيد بفعله من سمك زجاج الدفيئة » . وفى الرسم التخطيطى يسارا ، يبين الخط الكامل معدل درجة الحرارة السطحية فى نصف الكرة الشمالى منذ عام ١٨٦٠ . وتحت هذا الخط تبين الخطوط الصغيرة ماسوف تكون عليه درجات الحرارة لو لم يرفع الإنسان معدل ثانى أكسيد الكربون فى الهواء الجوى « الطبيعى » . أما الخط المنقط الى اليسار فإنه يوضح الارتفاع الخطير فى متوسط درجة الحرارة العالمى الذى يمكن بلوغه إذا استمر اتجاه الأمور على ما هو عليه فى الوقت الحاضر .

(الرسم العلوى ـ وليم و كيلوج)

(الرسم الأيسر ، تغيرات درجة الحرارة على السطح ، بالدرجات المئوية)



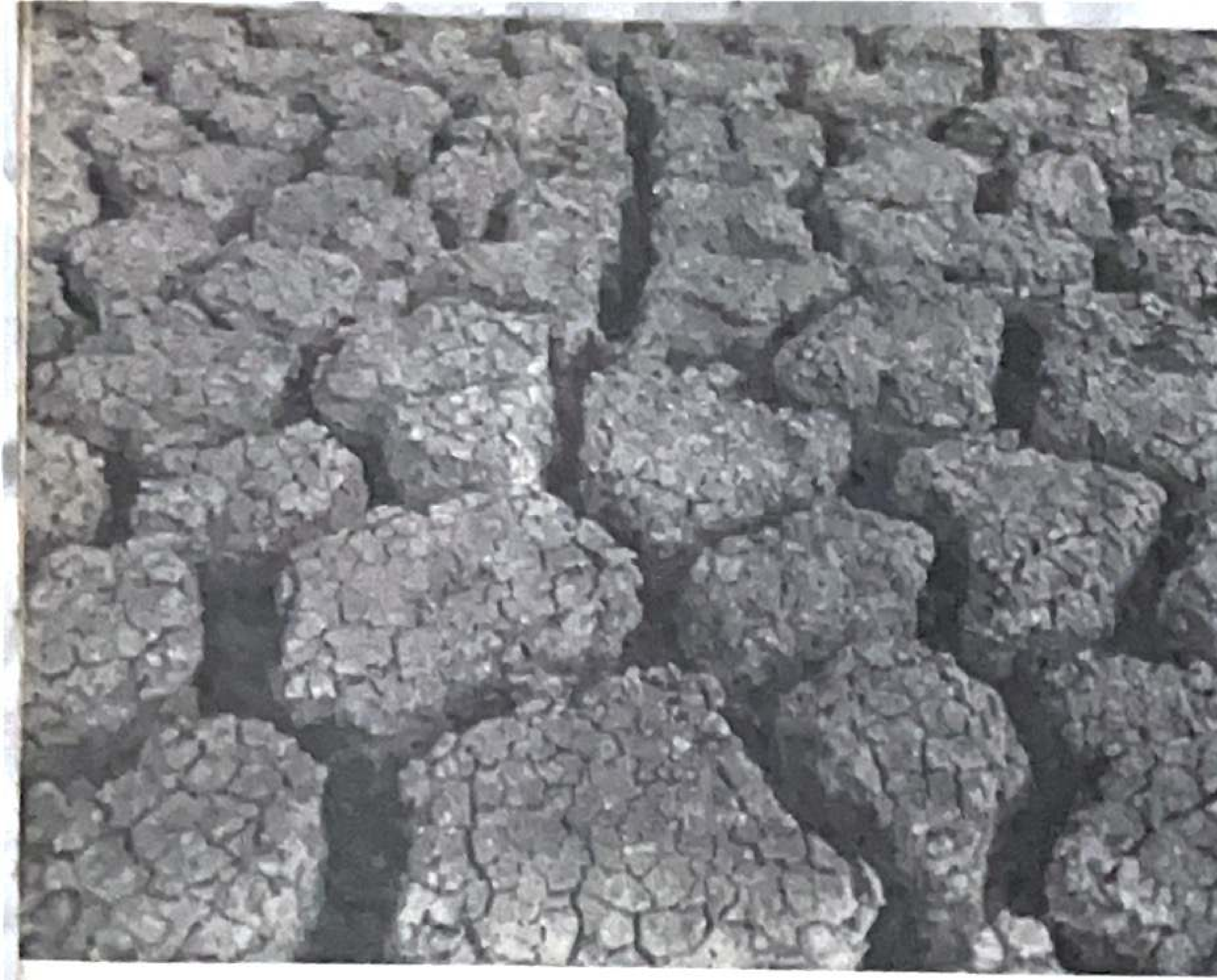
وبرنامج الأبحاث المناخية ، رغم أنه الفرع الرابع من برنامج المناخ العالمى ، فإنه ربما يكون فى الواقع أهم عناصر هذا البرنامج . وبوجه عام فإن البحث المناخى ينشيا تحسين معلوماتنا عن النظام الاجمالى الذى يتحكم فى المناخ فى كل مكان . وعلى ذلك فإن هذا الجزء من البرنامج يؤكد على تطور مختلف النماذج النظرية والتجريبية للنظام المناخى . وبفضل التحسين المستمر ، تستطيع هذه النماذج أن تمثل على أفضل الوجوه السلوك الواقعى للنظام وسوف تتيح دراسة إمكانية تطبيق التنبؤات المناخية (على مستوى الفصول أو السنين) . والأهم من ذلك بدون شك أننا سوف نستطيع أن نكون فكرة أدق عن الكيفية التى يستجيب بها النظام المناخى للتغيرات الواسعة النطاق التى تستثيرها أنشطة الإنسان .

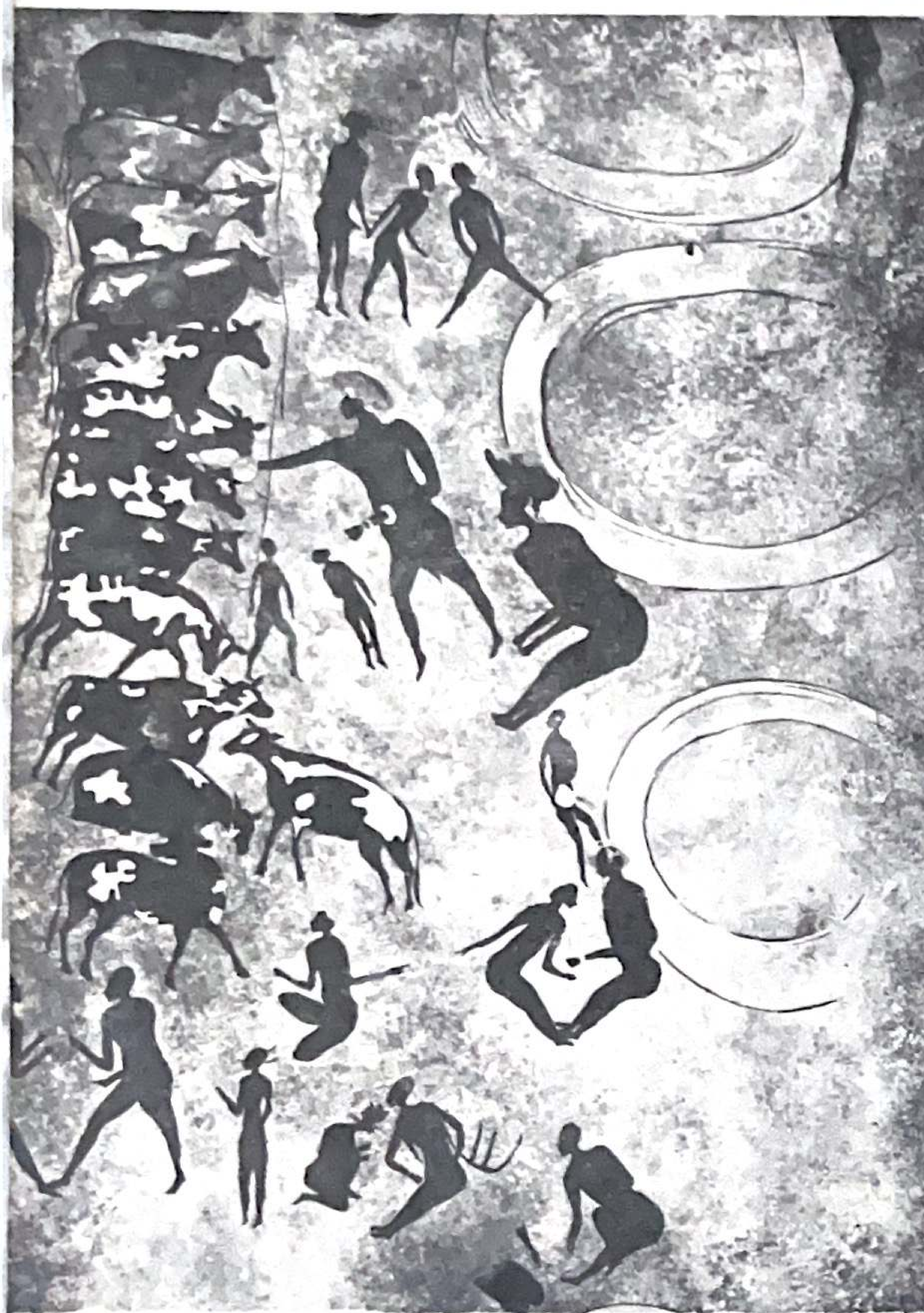
وثمة مسألة جوهرية ، ذلك أنه رغم أننا لا نستطيع دون شك أن نأمل فى الحصول على تنبؤ جديد للمناخ من سنة الى أخرى ، فإننا أصبحنا نعرف كيف نصور سلوك هذا النظام تصويرا صحيحا بحيث ندرك أن أنشطة الانسان يمكن بالفعل أن تولد تغيرا فى المناخ على المستوى العالمى اذا رأينا على المضى فى طريقنا الحاضر .

ومن بين المشاكل الكبرى التى تظهر فى عشرات السنين القادمة ، تتبدى المشكلة التى يطرحها ارتفاع حرارة مناخ الأرض بفعل الانسان من أشد المشاكل التى تهدد بالخطر . مشكلة لم يسبق لها مثيل . والسبب الرئيسى لهذه المشكلة هو زيادة نسبة ثانى أكسيد الكربون فى الهواء الجوى . وثانى أكسيد الكربون الذى ينتج من استعمال أنواع الوقود الحجرى (كالفحم ، والبترول ، والغاز الطبيعى) غاز له نتائج جسام ، قد يؤدى الى تسخين لا يستهان به فى نهاية القرن الحالى . وينتج هذا التسخين من أن ثانى أكسيد الكربون غاز ثابت يميل الى البقاء أمدا طويلا فى الهواء الجوى ، ولكنه يمتص الاشعاعات تحت الحمراء الآتية من الأرض ، والتى تتشتت ـ اذا لم تمتص ـ فى الفضاء ، وتسمى هذه الظاهرة أحيانا « تأثير الدفيئة » وربما تزداد نسبة هذا الغاز أيضا فى أعقاب إجتثاث الغابات الاستوائية . لأن تحلل الخشب يؤدى أيضا الى زيادة هذه النسبة .

ويبقى هذا الغاز زمنا طويلا جدا فى الهواء الجوى قبل أن يختفى ، أساسا فى المحيطات والواقع أن علماء المحيطات يقدرون انه يلزم من ١٠٠٠ الى ١٥٠٠ سنة لكى تمتص المياه النصف فقط من كمية هذا الغاز الذى أطلقناه فى الهواء الجوى . وقد قدر بالفعل تركيز هذا الغاز (حوالى ١٥٪ منذ أوائل هذا القرن) ، وسوف يستمر هذا التركيز على الراجح حتى يتضاعف فى منتصف القرن التالى ، وهو تركيز « غير قابل للانعكاس » ومع ذلك فإن هذا التنبؤ بتسخين شامل لم يزل بالأحرى قائما على مقدمات منطقية غير مؤكدة . وثمة بعض هذه المقدمات . وهى ليست اقلها شأنا ، مايأتى من تفسيرات يمكن إعطاؤها بشأن موقف الناس فى المستقبل فيما يختص بانتاج الطاقة

وقد قيل وكتب الكثير من الأشياء فى هذا الموضوع . ولابد من التسليم بأنه يوجد اجماع متزايد فى الأوساط العلمية على القول بأن نسبة ثانى أكسيد الكربون سوف تتزايد باستمرار اذا لم يغير البشر من اتجاهاتهم . وتسلم أحسن التقديرات بأن الأرض سوف تكون فى نهاية هذا القرن اكثر سخونة





فى المتوسط مما كانت عليه فى الألف سنة الأخيرة على الأقل ، وسوف تستمر درجة الحرارة فى الارتفاع .

على أن التأثيرات المحتملة لهذا المتغير المناخى على الجنس البشرى ليست معروفة تماما ويحتمل أن تتغير الحركات الجوية والاوقيانوسية (الخاصة بالمحيطات) ، فتسبب تغيرات إقليمية فوق المتوسط فى درجات الحرارة وهطول الأمطار . وسوف تكون بعض المناطق أشد جفافا مما هى عليه فى الوقت الحاضر ، ومناطق أخرى أكثر رطوبة . وفى حين يرتفع متوسط درجة الحرارة السطحية ، تبلو أجزاء متنوعة من الكرة الأرضية برودة وقتية على الأقل .

ومن المتوقع أن ترتفع حرارة المناطق القطبية أكثر مما ترتفع حرارة المناطق الاستوائية ،وقد يؤدى هذا الى تعديل مساحة الثلوج القطبية ، مما يسفر عنه فى نهاية المطاف تغيير حجم مسطحات الجليد فى جرنيلند ، وفى مناطق القطب الجنوبى، وسوف يلاحظ عند لذ ارتفاع مستوى سطح البحر . ومع ذلك فان علماء الجليد يتفقون فى الرأى على أن هذه التعديلات سوف تكون أبطأ بالنسبة الى معدل سرعة الأنشطة البشرية .

وسوف تكون التغيرات المنتظرة فى درجات الحرارة وهطول الأمطار والثلج والرياح ذات أهمية كبيرة . ففى هذه الفترة التى لن يتوقف فيها النظام الماضى عن التغير ، يحتمل أن تتراكب على الاتجاه العام تقلبات سنوية فى المناخ أكثر رحابة وشمولا مما نعرفه فى الوقت الحاضر .

وثمة مناطق بما فيها من سكان تستطيع أن تواجه هذه التغيرات تبعا للأسلوب الذى تدبر به معيشة أفضل من غيرها ، ومناطق أخرى سوف تعانى من التغيرات بقسوة . وفى كل الأحوال سوف يتعين أحيانا مراجعة التقنيات الزراعية وأساليب المعيشة مراجعة جذرية . ومن الحقائق الاقتصادية أن كل عمليات التعديل التى تجرى على نطاق واسع تكلف المجتمع نفقات طائلة .

وإذا نحن تفكرنا فى تطور المناخ فى المستقبل ، وردود الفعل التى تستثيره فى الانسان مثلما نتفكر فى تمثيلة تؤدى على مسرح . أمكن القول بأننا مازلنا فى الفصل الاول من المسرحية ، وأن ما سوف يحدث فى بقية المسرحية حين تدخل فى التاريخ لايزال فى مجال الافتراضات . فهل يواصل البشر طريقهم المعتاد ام يؤدون شيئا للحد من أستعمال أنواع الوقود الحجرى . واجتثاث الغابات الاستوائية ؟ وهل هم على قدر كاف من الحكمة والتعقل بحيث يتوقعون التغيرات التى ستطرأ على المناخ . فيتأهبون لها بالحل المناسب ؟ ليس فى وسع أحد أن يؤكد هذا . غير أن المؤتمر العالمى للمناخ ، وبرنامج المناخ العالمى لهما غاية ، وهما بمثابة الخطوات الأولى فى الطريق الصحيح .

تتجلى تأثيرات الأنسان على المناخ بوضوح فى منطقة الساحل ، وهى الحزام شبه القاحل الذى يمتد عبر أفريقيا من الغرب الى الشرق ، من موريتانيا والسنغال الى تشاد وحدود السودان . وكانت منطقة الساحل منذ عدة قرون أرض مراع للأقوام الرحل . وفى أعلى يسارا ، نرى تلف المراعى ، واجتثاث الحراج قد حولا ألوف الكيلو مترات المربعة من المراعى الى صحراء . والى اليسار تصوير على الصخر يرجع الى ما قبل التاريخ فى هضبة « أجير » فى تاسيلى بالصحارى الجزائرية . ولعل الحلقات الكبيرة تمثل أكواخ الرعاة القدامى

(الصورة العليا ، الان نوج ـ سيجما ، باريس)

(الصورة السفلى ، اريك لسنج ـ ماجنوم ، باريس)



زخرف من الجص في نقش تسجيلي إخباري في « العيد النسي » بپالنك ، ويتكون من بادئة تمثل إله الرقم ٣ ، وحلية رئيسية على شكل يشوى تعبر عن اليوم . ومعنى ذلك « رأس الكلب » . نقرأ إذن ، اليوم ٣ من التقويم القارى الذى يحتوى على ٢٦٠ يوما . ويرجع هذا النقش الى عصر المايا الكلاسيكى الحديث (٦٠٠ ـ ٩٠٠)
(الصورة ، كورسون ـ فوتوجرام ، باريس)

أرقام.. لاكتشاف حروف المايَا

بقلم : فلاديمير ا. كوزمستشيف

إن رموزا رمزية صغيرة ، وعلامات متعددة الألوان مصفوفة في عمد متراصة على أوراق من شجر التين يمكن ليس فقط أن تشرح سر الاهرامات ، وإنما تعطى أيضا معلومات تفوق ما تعطيها أطلال المدن القديمة . وفي وسع المخطوطات القديمة أن تميط اللثام عن الكثير من الأسرار والألغاز ، وما علينا إلا أن نفتحها فنعرف ..

ولم يشرع أحد في حل رموز الكتابات القديمة المجهولة على أساس علمى خالص الا منذ زمن قريب ، يقل عن قرنين . وهكذا اكتشفت الحروف الهيروغليفية المصرية ، والكتابات المسمارية لدى السومريين . وقد أصبح من المبادىء المعروفة أن الكتابات الغامضة التى تركتها حضارات بادت يمكن

فلاديمير أ . كوزمستشيف ـ دكتوراه في العلوم التاريخية ومدير ادارة الثقافة بمعهد أمريكا اللاتينية التابع لأكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتى . أخصائى في مشاكل الثقافة الأمريكية اللاتينية . ومؤلف كتاب بعنوان « سر مقدمى القرابين المايا » . ونائب رئيس الجمعية السوفيتية للصداقة والتعاون الثقافى مع بلاد أمريكا اللاتينية .

أن تقرأ حتى ولو كانت اللغة التى تنتمى اليها قد اختفت هى أيضا .

ومع ذلك بقيت كتابة لم تزل مجهولة ، تلك هى « الكتب المخطوطة » لدى شعوب مايا القديمة ، وهى شعوب هندية كانت تقطن أمريكا الوسطى . وكرس الكثير من العلماء من مختلف البلاد حياتهم كلها في حل رموز هذه العلامات ، ولكن دون جدوى . وانتهى الأخصائيون عندئذ الى أن هذه العلامات الخاصة بالمايا لا تمثل كتابة لغوية ، ولكنها كتابة تصويرية أى مجموعة من الرسوم لم يكن القصد منها أن « تقرأ » ولكنها قابلة لأن تفسر .

كان هذا هو الوضع في بداية الخمسينات حين بدأ يورى كنوروزوف وهو عالم سوفيتى شاب يهتم بمخطوطات المايا . كان يطمح في إعداد نظرية للرموز والعلامات ، وهى من المجالات المثيرة للغاية في علم اللغة ، التاريخى والمقارن ، والرياضى . على انه لكى يمكن اكتشاف معنى علامة ما ، يجب على الأقل حل شفرتها .

وبوجه عام أمكن حل رموز الكتابات المجهولة الخاصة بالصور القديمة بفضل وجود نصوص من لغتين ، أو بالأحرى نص واحد مدون بلغتين إحداهما معروفة وعلى هذا النحو كان « حجر رشيد » المشهور الذى أتاح للعالم الفرنسى شامبليون أن يكشف سر الحروف الهيروغليفية المصرية . ومما يسر حل الرموز أيضا معرفة الأحداث التاريخية التى جرت في زمن واحد من بلاد مختلفة . وكذا المبادلات التى كانت تجرى بين هذه البلاد .

غير أن المعلومات من هذا النوع لم تكن موجودة بالمرة في حالة أمريكا قبل الكشف الكولمبى كيف ان يجرى الباحث أبحاثه ؟ كان لابد من اجابة واحدة على هذا السؤال ، وهى اجابة « بسيطة » للغاية ، اذ يتعين إيجاد وسيلة جديدة لحل الرموز . ولكن من أين يمكن البدأ ؟

درس يورى كنوروزوف بتعمق كل الوثائق المكتوبة الخاصة بشعوب مايا القديمة والمعروفة حتى ذلك الحين (وتشمل ثلاث مجموعات من المخطوطات ، تسمى تبعا للمدن المحفوظة فيها ، مخطوطات درسدن ، ومخطوطات مدريد ، ومخطوطات باريس) . ثم لاحظ بشىء من الدهش أن تحليل هذه الوثائق يشوبه نقص جسيم . وكانت حجته عندئذ هى انه اذا كانت المخطوطات نصوصا حقيقية ، فلابد من ايجاد نظام الكتابة المستعمل ، ومن أجل ذلك يجب إجراء مقابلة بين هذه النصوص وبين نصوص أخرى مكتوبة بحروف أخرى معروفة ، ولكن كيف يمكن إجراء هذه المقابلة ؟

وتبدت الإجابة على هذا السؤال بسيطة للغاية . فقد خص كنوروزوف كل علامة برقم معين ، الأمر الذى أتاح له أن يحدد ليس فقط العدد الإجمالى لهذه العلامات ، ومرات ترددها ، وإنما أيضا صلات أخرى ، قارنها بالمؤشرات الخاصة بمختلف نظم الكتابة المعروفة ، فكشفت له بما لا يقبل الشك أن أهالى المايا القدامى كانوا يستعملون نظاما من الكتابة .

وهذى هى القصة ،

في المجموعات الخطية الثلاث ، أحصى كنوروزوف بالإجمال ٣٠٠ علامة . كان لزاما إذن العثور على نظام يشتمل على عدد مماثل من العلامات . ولكن لو كانت مخطوطات المايا مجرد رسومات لكان بها عدة آلاف من العلامات ، لا ٣٠٠ علامة فقط . لم يكن الموضوع اذن كتابة تصويرية .

ومن جهة أخرى فإن عدد الأصوات في أية لغة لا يصل أبدا الى مائة ، ويستقر عادة في حوالى ٣٠ الى ٤٠ صوتا ، وهذه تقابل عدد علامات (أو حروف) أبجدية خطية . لم تكن هذه الحالة اذن أبجدية خطية . وفي النظم المسماة بالمقطعية (الكتاكانا ، والهيراجانا اليابانية ، والدنيانا جارى الهندية أو الكتابة القبرصية القديمة) لا يتجاوز عدد المقاطع



الى اليسار ، صورة من « مخطوطات باريس » . ونرى في الشكل الأوسط إله المطر ممسكا برأس إله الريح ، ويقف تجاه إله لا يكاد يرى ، جالسا على عرش ، وفي يده صولجان ، وثمة عصفور يطير أعلا رأسه ، وقرابين من الطعام موضوعة على أثفية (ركيزة ذات ثلاث قوائم) .
(الصورة ، المكتبة الأهلية ، باريس)



أمثلة من حروف مايا الهيروغليفية بمعانيها :
(١) نبت ، (٢) سنبلة أذرة ، (٣) نضج الأذرة ، (٤) الحديث ، (٥) الطريق (أثر الخطوات) ، (٦) الصب ، (٧) معنيات ، صهريج لماء المطر ، أو القمر ، (٨) الموت (العينان مغلقتان) ، (٩) ميت في وضع الجنين .
(الرسومات ، يورى كنوروزوف ، لينينجراد)

مائة الى مائة وخمسين . لم يكن هذا هو الموضوع اذن .

وفي الكتابة « البادلة » (حيث العلامة تقابل أصل الكلمة أو أداة نحوية) يوجد من ألف الى ١٥٠٠ بادلة . لم يكن هذا هو الموضوع كذلك .

لم يبق الا أخر النظم المعروفة . النظام الهيروغليفى أو المختلط وفيه يقابل جزء من العلامات بادلات . والجزء الثانى يقابل أصواتا أو مقاطع . وهذا يقابل عدد العلامات التى أحصيت (في مخطوطات مايا) .

وهكذا أثبت كنوروزوف بفضل أسلوب الأرقام الدقيق ما قدمه ليون دوروزلى سنة ١٨٨١ على أنه فرض . ولكن هذا العالم الاثنوجرافي الفرنسى لم ينجح في اثبات فرضه هذا . ومن ثم كان هدفا لانتقادات لاذعة .

كان المايا إذن يستعملون نظاما من الحروف الهيروغليفية . ومن ثم يمكن « قراءة » هذه الحروف وكان لابد اذن من الاستمرار في محاولة حل الرموز . وكان يكفى فقط تحديد ما يقابل بالضبط كلا من الثلثمائة علامة . ومعرفة كيف يلفظ كل منها (بافتراض أن العلامة تلفظ) ، ومن ثم يمكن الشروع في قراءتها . ويجب أيضا في البداية تعيين اللغة التى كتبت بها . فكيف يمكن معالجة هذه المجموعة الجديدة من المشاكل ؟

وظهر اكتشاف أخر « بسيط » يقوم على فرض بارع كان فيه الكفاية ولنبدأ بالفرض . لقد نشأ هذا الفرض منذ قراءة ودراسة « ابجدية لاندا » المشهورة الموجودة في صفحات المخطوط الذى لا يقل عنها شهرة والذى يرجع الى عام ١٥٦٦ وعنوانه ، « تقرير بشأن مسائل يوكاتان » وفي هذا النص كتب الراهب الفرنسسكانى دييجو دى لاندا الذى كان وقتئذ رئيس دير الليسى ثم أصبح فيما بعد أسقف يوكاتان ، كتب يعرف مدبرى رهبانية بوجود منود المايا . وبالعمل الذى أنجزه بينهم للقضاء على الإلحاد . ولسوء الحظ ، ففى الوقت نفسه الذى استوصل فيه الإلحاد ، بادت ثقافة تفصح عن العالم الروحى لدى الهنود . من ذلك انه اختفت الألوف من مخطوطات مايا . بقى « تقرير » الفرنسسكانى ، وهو بالفعل المصدر الوحيد الموجود حاليا لمعارفنا عن المايا القدامى . هذه الوثيقة التى اكتشف نسخة منها في عام ١٨٦٣ بدا مور دى بوربور ، تحتوى ليس فقط على « الأبجدية » ولكن أيضا على أمثلة من كلمات تعبر عنها علامات مايا . على أن هذه الأمثلة والرسوم التخطيطية كانت تعتبر بعامة حتى ذلك الحين اما تلفيقا ، أو على الأقل بمثابة جهد أخرق تماما لنقل العلامات والرسوم المايا الى الحروف الهجائية الاسبانية .

بدأ كنوروزوف اذن بمراجعة « أبجدية » لاندا وتحقيقها . ولاحظ أنها ليست بالمرة تلفيقا ولا تخمينا بأية صورة . ذلك أن دييجو دى لاندا ، الرجل ذا العقل المستنير المدقق قد بذل جهده لافهام رؤسائه حروف مايا الهيروغليفية . وأقام أبجدية لا باستخدام حروف مجردة . وإنما دلالاتها الصوتية التى كانت بالفعل أقرب من علامات المايا وتقابل أيضا من الوجهة الصوتية بعض عناصر كتابة المايا . وكفى كنوروزوف ليفهم هذا عبارة صغيرة اضافها دييجو دى لاندا عرضا في نصه . « انهم ـ أى المايا ـ يكتبون بالمقاطع ... » هذا في حين أن الدلالة الصوتية للحروف الإسبانية يعبر عنها أيضا بالمقاطع ! وكان هذا هو الفرض البارع الذى قدمه كنوروزوف .

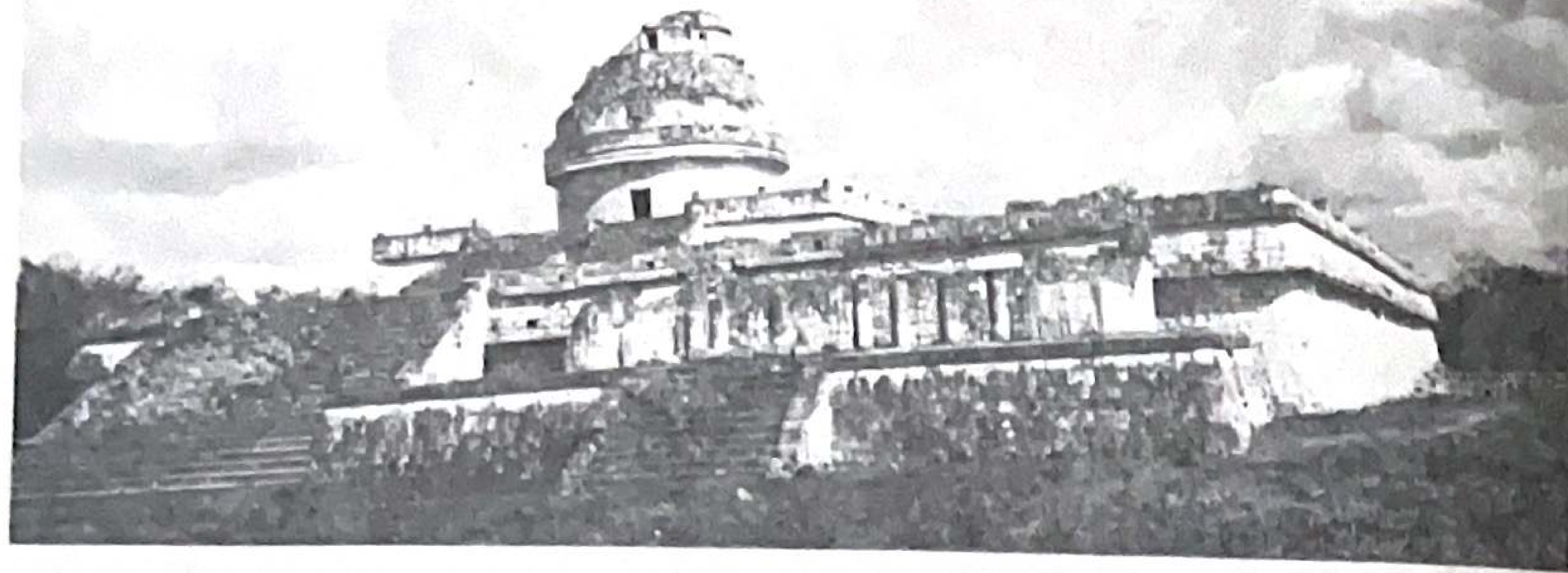
ومع ذلك فإن « أبجدية » لاندا لم تقدم سوى عينة من علامات المايا . لا قائمة كاملة بها . ولم تكن تحتوى الا على الثلثمائة علامة التى تقابل مباشرة أو تناهز هجاء حروف الألفباء الاسبانية التى تبلغ الخمسة والعشرين حرفا فقط . وتعقد الوضع بسبب أن هذه الحروف الهيروغليفية كانت هى نفسها تتجلى في الكتابة المختلطة . ومعقدة تعقيدا ينأى بها عن البساطة المثالية التى تتجلى في الكتابة الخطية بالحروف . فضلا عن ذلك فإن هذا النظام لا يحتوى فقط على ٣٠٠ علامة . ولكن بعض هذه العلامات تؤدى حسب الأحوال وظائف مختلفة . وأحيانا مزدوجة ، فالعلامات الرمزية تقابل أصول الكلمات . والعلامات الصوتية تترجم مقطعا أو صوتا ، وأخيرا العلامات « الشكلية » (أو المميزة) تحدد معنى الكلمة ولكنها لا تقرأ (من ذلك مثلا انه اذا دونت كلمة « بيير » ـ أى حجر ـ الفرنسية بالحروف الهيروغليفية ، كان لابد لذلك من علامة مميزة لتدل القارىء على انها خاصة بمادة معدنية صلبة ، أو أنها إسم علم لشخص ما .

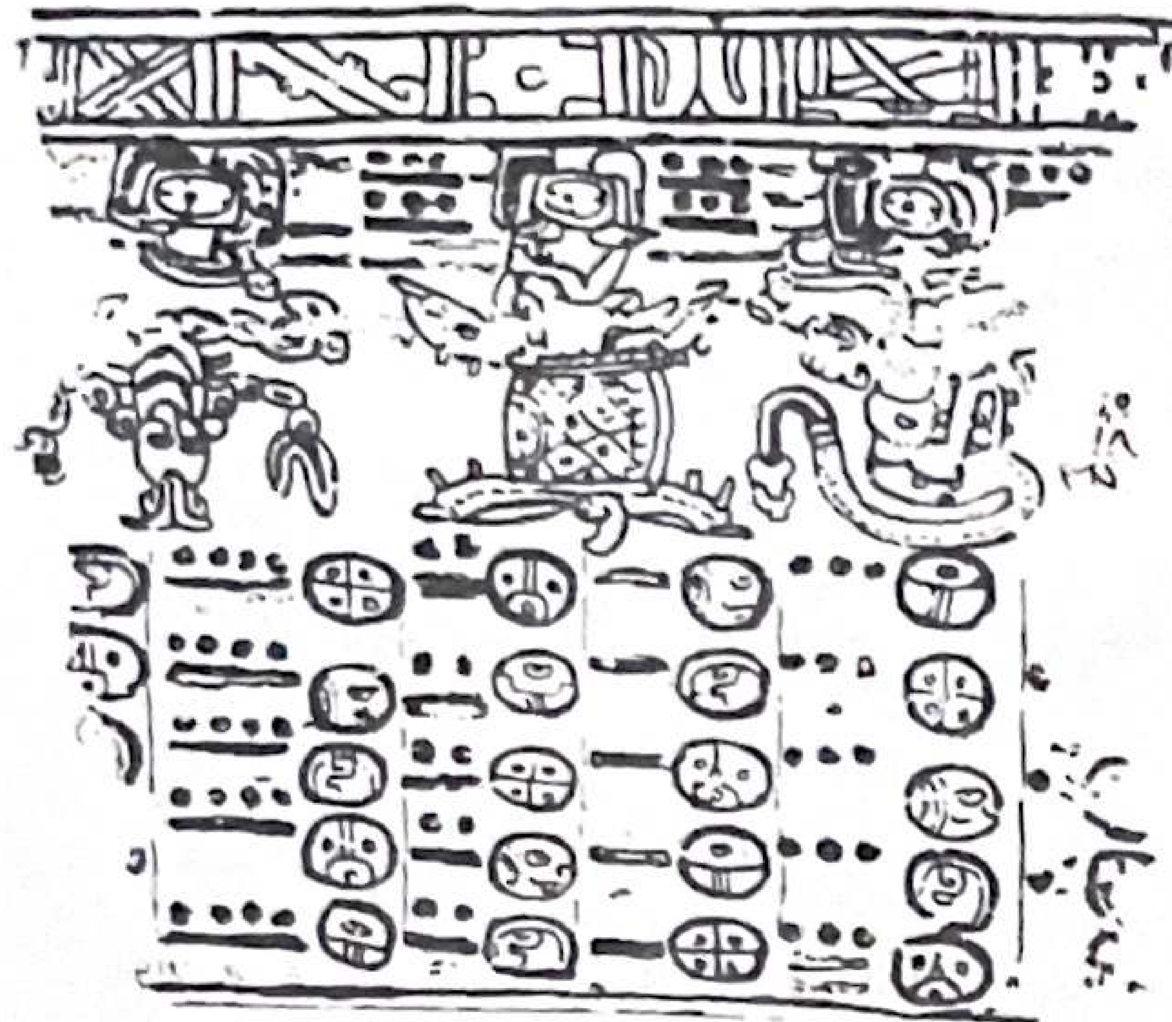
ومرة أخرى . لجأ كنوروزوف الى النماذج الرياضية لتحليل قواعد النحو في لغة المايا

ومن أجل هذا استعمل أساسا النصوص المعروفة باسم « كتب شيلام بالام » التى دونت في القرنين السادس عشر والسابع عشر بحروف لاتينية ، وتتصل بأحداث سابقة على عصر المغامرين الاسبانيين الذين غزوا أمريكا ، بحيث أن اللغة التى كتبت بها تدانى نسبيا الهيروغليفية .

وإذ أعطيت العلامات الهيروغليفية أرقاما ، فإنها أصبحت من جديد موضوعا لعمل بطىء يستهدف استخراج قواعد اللغة . ومع أن الوثيقة الأساسية كانت قد نقصت كثيرا ـ فلم تكن المخطوطات الثلاثة لكتب شيلام بالام تضم سوى ٢١٠ صفحة من صفحاتنا المطبوعة فقد اتاح هذا العمل شيئا فشيئا استخلاص الدلالات الرئيسية لكتابة المايا الهيروغليفية وذلك بفضل تواتر بعض العلامات وبفضل المكان المتميز لكل منها في مجموع الجملة . وغير ذلك .

هذه الطريقة التحليلية التى أطلق عليها اسم « الاحصاء الموضعى » قد كشفت نهائيا عن سر كتابة المايا الهيروغليفية ،وذلك بايجاد المفتاح الذى يتيح قراءتها وفهمها . فكل علامة أصبحت منذ الآن تملك « جواز مرورها » الذى يبين طبيعة عملها . وكذلك





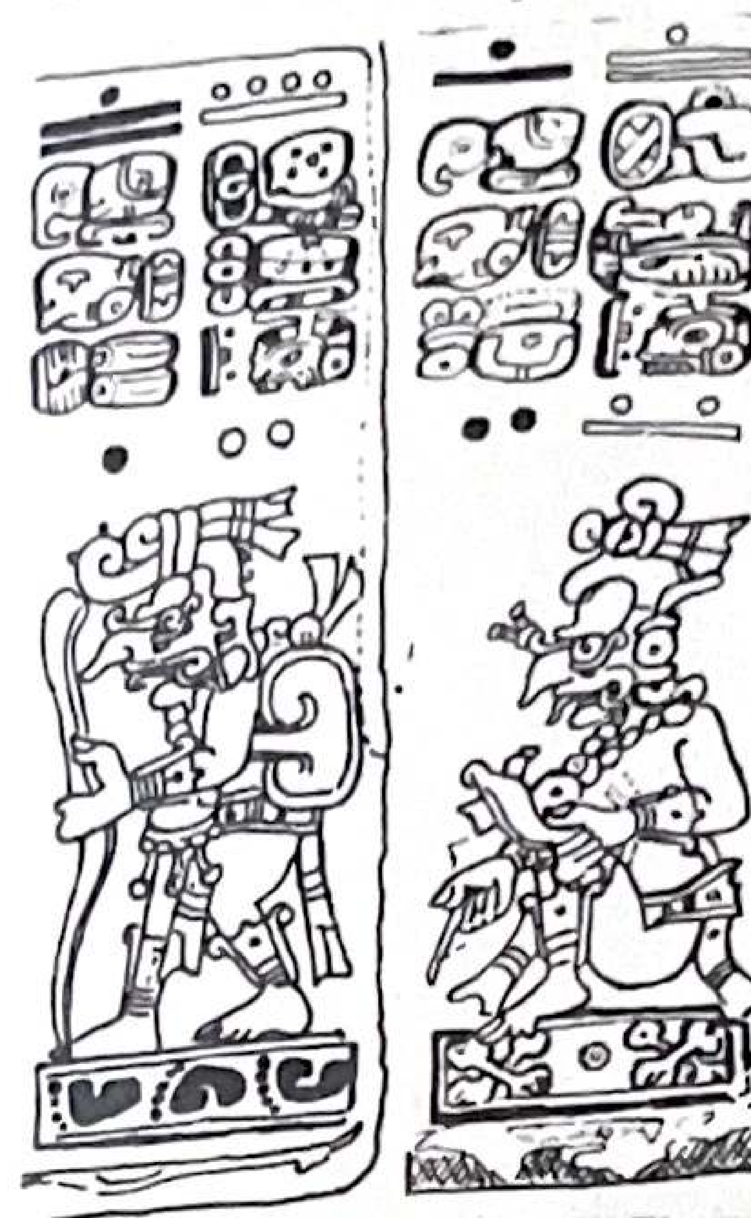
.. كما في السماء

كان المايا يمسكون سجلا دقيقا بالأرصاد الفلكية والجوية بقصد تحديد مواعيد الأمطار . ووقت زراعة الأذرة . ومن الصعب معرفة قيمة تنبؤهم بالحالة الجوية . ومع ذلك كان فلكيو المايا على علم دقيق بالسنة الشمسية . فقد جعلوا معلوماتهم الفلكية في ثلاث عشر مجموعة كوكبية شبيهة بصور البروج . وكل مجموعة منها تحمل اسم حيوان . والى اليسار . على مستخرج من مخطوطات باريس التى تقرأ من اليمين الى اليسار . نرى حية ذات اجراس (الثريا الحالية) وسلحفاة (الجوزاء) . وعقرب (السرطان) . وكانت دائرة البروج عند المايا تبدأ بما يعادل برج الحمل عندنا . مع الشمس في اعتدال الربيع . ومن حيث أن الاعتدال الربيعى في الوقت الحاضر يقع في برج الحوت . فإنه يمكن اعتبار أن دائرة البروج عند المايا كما هى موصوفة في مخطوطات باريس ترجع الى القرن الأول قبل الميلاد . وبأعلا « القره قول » (المخفر) وهو مرصد هائل للمايا في شيشن اتزا . ولهذا المبنى شكل البرج المستدير . وهو مشيد على مصطبة فسيحة مرتفعة . فوق سطح مستطيل مساحته ٦٧ × ٥٧ مترا . وفي وسط البرج يرتفع سلم حلزونى تخترق جداره كوات متخذة بعض الاتجاهات الفلكية التى تتيح إجراء الأرصاد .

(الصورة العليا . اينج مورات . ماجنوم . باريس)

(الرسم الأيسر . الصورة ـ يورى كنوروزوف . لينجراد)









إلى إله الأرض

قبل الغزو الاسبانى ، كان جميع كهنة المايا يستعملون المخطوطات اليدوية بمثابة كتب ، وكان بكل مدينة مكتبتها العامة . ولكن في منتصف القرن السادس عشر ، أحرق « التفتيش » كل هذه المخطوطات « الكافرة » ، ولم يبق اليوم سوى أربع من هذه المخطوطات ، مخطوطات درسون ، وباريس ، ومدريد ، وسميت كذلك تبعا للمدن المحفوظة بها ، ثم مخطوطات « جروليه » الموجودة في نيويورك في مجموعة خاصة . والى اليسار مستخرج من مجموعة درسون يحكى بالنص والصورة كيف أن كاشيش إله الريح والمطر انطلق في الطريق (اللوحة الأولى) في هيئة فلاح ليزرع الذرة قبل مجىء الأمطار ، وهو يحمل بيديه أداة ليصنع بها حفرا في التربة ، ويحمل على ظهره كيس حبوب . وترمز النقوش تحت قدميه الى مسيرته الطويلة صوب حقول الذرة . وعندما ينجز كاشيش هذه المهمة يتوجه (اللوحة الثانية) الى موقع جنائزى تدل عليه بعض العظام حيث يلتمس مساعدة الاجداد . بعد ذلك يرحل (اللوحة الثالثة) بحثا عن حجارة جيرية في محجر (كان المايا يحفظون الذرع في ماء الجير) . وبعد أن وجد كاشيش كمية كافية من الحجارة ، دخل في مياه نهر (اللوحة الرابعة) ليجمع منها النينوفار والقواقع . ويقرأ النص الذى يعلو اللوحة الأولى كالاتى ، « أحد عشر (يوما قبل) التاسع (فترة) . يمضى الى الحقول (الإله) كاشيش قبل سفره (؟) . هذى هى مهمته . يوما (قبل) الثانى (فترة) .

« وفي رواية أخرى متأخرة من مجموعة درسون ، تحل محل الأنشطة الريفية التى يزاولها الإله ، شعائر أكثر وضوحا . فالإله يذهب الى المعبد (اللوحة الأولى) ليجمع بعض القرابين . ثم يمضى الى بحيرة (اللوحة الثانية) حيث يلتمس المطر بواساطة حركات سحرية . وثمة فصل في المخطوط يتحدث عن النساء وعن الأيام التى تكون بالنسبة اليهن فألا حسنا أو سيئا . ففى بعض الأيام ، تلك التى يستلم فيها إله الموت زهرة ، تتعرض المرأة لأن تتزوج الموت ويبدو يومتسك ، إله الموت (اللوحة الثالثة) جالسا ، وبيده زهرة ، « نك ـ تى » . وبأعلا ، يقرأ النص هكذا ، « يستلم زهرة (إله الموت) يومتسك ، ذلك الذى يملك سلطة الموت . اثنا عشر (يوما قبل) الثانية (الفترة) . »

(الصورة ـ يورى كنوروزوف ـ لينتجراد)



قرص حجري يصور لاعب من المايا . وكان المايا يزاولون لعبة كرة شعائرية لم تزل موجودة في شمال غربي المكسيك . وكانوا يلعبون في ساحة مستطيلة الشكل محاطة بجدران . ويستعمل اللاعبون سواعدهم وأوراكهم فيقذفون كرة صلبة من المطاط صوب الجدران . وكانت اللعبة أحيانا تؤدي بعنف . وكانت أوراك اللاعبين ومرافقهم وركبهم تغطى بجلد محشو لوقايتها . والمعتقد أن الحفلات التي تقام بعد العرض الرياضي كانت تتضمن في بعض الأحيان التضحية بلاعبي الفريق الخاسر

(الصورة . روجيه فيوليه . باريس)

محلها في « الكتلة » أي في كل من الرسومات الهيروغليفية وقد أثبت صحة هذه الافتراضات قراءة علماء أخرين بعض الكلمات . وهكذا فان الاحصاء الموضعي كان بالنسبة الى كنوروزوف معادلا بنوع ما لحجر رشيد بالنسبة الى شامبليون فيما عدا أن كنوروزوف خلق لنفسه « حجر رشيد » خاصة به وقد دونت نتائج هذا العمل في كتاب « كتابة هوذ مايا » الذي ظهر في لينجراد عام ١٨٦٣ .

ولكن بقى أن تقرأ مخطوطات المايا ، وهذا عمل آخر تماما ! وكان على كنوروزوف أن يحدد بادىء بدء اللغة التي حرر بها كل مخطوط . ولا يجوز أن يغيب عن البال أن لغة المايا التي دونت بها « كتب شيلام بالام » في القرن السادس عشر مختلفة كثيرا عن لغة المايا المعاصرين . والواقع أن هذه المخطوطات نقلت نصوصا دونت على الأرجح بلغة ترجع الى ٢٠٠٠ سنة مضت .

وقد أنجز عمل ضخم لاعادة اكتشاف هذه اللغة بفضل العلماء المكسيكيين في « مركز دراسات المايا » الملحق بأحدى دور التعليم بأمريكا اللاتينية . وهي الجامعة الأهلية المستقلة في المكسيك . ولفهم الكيفية التي أمكن بها تحديد لغة المخطوطات . يمكن الاستعانة بالقياس الآتي ، يمكن السؤال عن أي اللغات « اللاتينية » . الحديثة - الاسبانية او الايطالية أو الفرنسية أو البرتغالية أو الرمانية - أقرب الى اللاتينية . لقد تساءل هؤلاء العلماء عن اللغة الأقرب الى لغة بلدهم القديمة - لاتينيتهم - فأثبتوا بجلاء أنها لغة المايا . وهكذا قربت مطبوعات « المركز » كثيرا اللحظة التي سوف يتم فيها حل رموز مخطوطات المايا .

واستمر هذا العمل بالمثل في العديد من البلاد . وظهر في أواخر عام ١٩٧٥ كتاب جديد ليوري كنوروزوف ، « مخطوطات المايا الهيروغليفية » . وهو ترجمة حقيقية لكل المخطوطات التي وصلت الى أيدينا .

هذه المخطوطات ليست كتبا بالمعنى الذي نفهمه في الوقت الحاضر ، ولكنها أدلة أو مفكرات موسوعية تتناول كل مظاهر الحياة والتقاليد عند شعب قديم . كتب في ذلك يوري كنوروزوف : « هذه المخطوطات نصوص يرجع اليها ، موجهة الى القساوسة المحليين ، ولا تقرأ قراءة متتابعة . وكانت تتيح للقساوسة أن يسلكوا طريقهم في خفايا طقوس الأعياد غير الثابتة التاريخ -- وكان التبليغ الرسمي والتقاليد المتبعة بالنسبة الى هذه الأعياد معروفة ليس فقط لدى القساوسة وإنما أيضا لدى عامة الناس (الشيء الذي لا يمكننا أن نقوله عن أنفسنا ، نحن الباحثين المعاصرين) .

وليس ثمة برهان لموهبة كنوروزوف أحسن من بضع عينات من الترجمة التي يقترحها (أنظر صفحة ١٢) .

ما هو إذن أول تقرير بنتائج حل رموز مخطوطات المايا القدامى وترجمتها ؟ أول كل شيء ، أثبتت حقيقة أن هذا الشعب كان يملك كتابة أن حضارية ذات مستوى عال . وثانيا ، وجد أثناء عملية حل الرموز البرهان الذي لا يدحض على أن هذه الكتابة كانت « ابتكارا » محليا ، لأن الحروف الهيروغليفية تستنسخ عناصر من عالم الحيوان والنبات وتقاليد ثقافية لدى المايا أنفسهم .

غير أن حل رموز المخطوطات وقراءتها ودراستها بالتفصيل لا يقتصر على مشاكل المايا وسائر شعوب أمريكا ، فقد سبق أن تحدثنا عن النظرية العامة للرموز والعلامات وهي من مسائل العصر الحاضر ، كما انها من مسائل المستقبل . هناك أكثر من ذلك ،



تمثال صغير من طين نضج يمثل عين من أعيان المايا القدامى ومع تطور الحضارة الزراعية . انقسم مجتمع المايا سريعا الى طبقات متميزة . وتكونت هوة كبيرة بين النبلاء وعامة الشعب . وكانت الأملاك والسلطة لدى النبلاء تنتقل الى الابن الأكبر ، أما الأبناء الصغار فانهم يصيرون كهنة أو محاربين . أما طبقات المجتمع الأخرى فكانت تتكون من صناع . وتجار . وسحرة . وأطباء . وعرافين ولكل من هؤلاء الهته

(الصورة . رونيك دار . باريس)

لقد كان المايا بالتأكيد فلكيين ممتازين . وضعوا تقويما أدق بكثير من تقويمنا الجريجوري ، وكانوا يرصدون السماء بامعان ويسجلون ليس فقط الظواهر المتواترة على مر السنين ، والأطوار الشمسية ، وأطوار الكواكب الأخرى . وإنما أيضا كل الظواهر الشاذة ، من نيازك ، وخسوف وكسوف (وكانوا يتكهنون بحدوثهما) كل هذه المعطيات المسجلة في المخطوطات ، أو على العمد الحجرية التذكارية لايمكن أن يبقى الفلكيون المعاصرون أمامها مكتوفي الأذرع .

وثمة مسألة أخرى بالغة الأهمية ، فقد وضع المايا تقويما شمسيا دقيقا بصورة مدهشة (كانت سنتهم الشمسية ٣٦٥٫٢٤٢٠ يوما في حين أن سنة التقويم الجريجوري ٣٦٥٫٢٤٢٥ يوما ، ونحن نعلم يقينا أن السنة الشمسية ٣٦٥٫٢٤٢٢ يوما) . ان مثل هذه الدقة غير العادية لتجذب الأنظار الى نظامهم الحسابي . ثم من أين أتى تاريخ الصفر الاسطوري عندهم . وهو ٥٠٤١٧٣٨ سنة قبل الميلاد . واليوم يتوه الانسان في التخمينات ، ذلك لأن أي افتراض يقدم في الوقت الحاضر - افتراض للطوفان أو ميلاد « مسيح » للمايا ، أو أي حدث آخر - يكون بلا مبرر . غير أن العمل الذي له ما يبرره هو البحث عن الحلول في نصوص المايا ، أو بمساعدة هذه النصوص .

لقد ترجم كنوروزوف كل المخطوطات المعروفة الى وقتنا الحاضر ، وهي أربع مجموعات ، لأن الأخصائي المعروف في حضارة المايا ميخاليل كوى اكتشف في عام ١٩٦٣ مجموعة رابعة ونشرها . وكانت مخفية في مكتبة خاصة في نيويورك ويعزز هذا الاكتشاف الأمل في العثور على كتب « مايا » أخرى -- وهناك فضلا عن ذلك نقوش مايا على العديد من العمد الحجرية ، والمباني ، والأشياء المعتاد استعمالها والتصاوير الجدارية ، والنقوش البارزة ، وغيرها من آثار الثقافة المادية والروحية لهذا الشعب العظيم كل هذه النقوش تتكون هي الأخرى من حروف هيروغليفية .

ويختلف « تكوين » هذه الحروف الهيروغليفية تمام الاختلاف عن تكوين هيروغليفيات المخطوطات بيد أنه في الإمكان بل ومن الضروري حل رموزها هي أيضا حتى يتسنى قراءتها ، وتبذل جهود في الوقت الحاضر لهذا الغرض . والمهم هو أن معظم هذه الصور الرمزية تتعلق كما أثبتت العلامات الأولى التي أمكن فهمها ، لا بموضوعيات دينية وشعائرية ، ولكن بموضوعات تاريخية . ومن الصعب في الوقت الحاضر تحديد أهمية هذه الوثائق ، ولكن المؤكد انها سوف تتيح ازالة الكثير من الفراغات التي لم تزل باقية في تاريخ المايا القدامى وأمريكا قبل الكشف الكولومبي .

ومع ذلك فان ترجمة مخطوطات المايا ليست سوى جزء من النتائج التي حصلت عليها يوري كنوروزوف خلال أبحاثه الأساسية في المجال العام لنظرية العلامات والرموز ويسعى الآن علماء آخرون يستخدمون طريقته الخاصة بالاحصاء الموضعي الى حل رموز ونقوش أخرى مازالت تبدو لنا غامضة .

الحياة الدنيا ، والآخرة لدى المايا القدامى

بقلم : يوري كنوروزوف

كان المايا القدامى يحملون الطفل الحديث الولادة الى الكاهن ، ويتحرى الكاهن عن حظه ، ويحدد عمله في المستقبل ، ويعطيه اسما ويحكي لنا نص قديم يرجع الى عهد الاستعمار ، ويتعلق بالنبوءات أن الأطفال المولودين في أيام « كان وشوين ، ومن » موعودون للحرف اليدوية ، والمولودين في أيام « كش ، وكب » يصيرون محاربين ، والمولودين يوم « ختس ناب » يصيرون أطباء ، وهكذا كان الكاهن إذن هو الذي يحدد المهنة التي سيزاولها الطفل ، ويمكنه بالتالي أن يشرح للوالدين كيف ينبغي تربيته .

وترضع الأمهات الأطفال حتى سن الثالثة أو الرابعة . وتشب الفتيات تحت أنظار الأمهات اليقظات .

والحول ، عند المايا من سمات الجمال ، ويستثير المايا الحول في الطفل ، بأن يعلقوا من شعره كرة صغيرة تتدلى بين عينيه .

وتعتبر الفتاة بالغة بين الرابعة عشرة والخامسة عشرة ، والصبي بين السابعة عشرة والثامنة عشرة . غير أن طقوس التلقين - التي تبيح الزواج - تبدأ قبل هذه الأعمار بقليل بحيث يتسنى للآباء عندئذ أن يتفقوا على زواج أبنائهم وبعد أن يتم تلقين الابن ، يساعد أباه في عمله اسمه فإذا ما تزوج يضيف الى اسمه اسم أمه .

وخلال السنوات الأولى من الزواج ، يعيش الرجل مع زوجه في كوخ صغير على أرض أسرتها . وإذا تذمر فسرعان ما يرد الى جادة الصواب . ولكن تلتزم الزوجة إعالته ونساء المايا يرغبن غالبا في إنجاب الكثير من الأبناء ، ومن أجل ذلك يهبن قرابين استرضائية الى ستة من الآلهة ، وكذا الى آلهة الجهات الأربع الأصلية ، وإلهة القمر ، وخمس آلهات أخريات . وقد يظهر للمرأ « أب رمزي » في صورة نيزك وفي تواريخ محددة تمضي النساء ليلة بطولها في المعبد بأمل أن يزورهن « إله رحيم »

ويجب على المرأة التي تقابل رجلا أن تدير له ظهرها ، أو على الأقل تغضي عنه طرفها وإذا نظرت فتاة الى رجل ، فعلى أمها أن تدعك عينيها بالفلفل وفي أيام الأعياد يرقص الرجال والنساء كل على حدة غير أن تقليدا قديما يحكي أنهم رقصوا معا رقصة من نوع « جيج » (رقصة سريعة)

والمرأة الخائنة توبخ ، أما الرجل الذي غواها فإنه يرجم حتى يموت والأسنان المصقولة عند النساء من سمات الأناقة . وبعد الزواج يوشم الرجال والنساء الجزء الأعلى من أجسامهم حتى الخصر ، باستثناء الصدر ، ويدلكون أجسامهم أيضا بمرهم أحمر اللون يقيهم من الحر والبرد والبعوض . ويتعطر النساء بتدليك بشرتهن بقضيب من الراتنج العطري ، ويضعن في شعورهن أكاليل من الزهور ، فإذا جن الليل ، وضعن فيها حباحب .

وعندما كانت القبائل رحالة تعيش على الصيد وجني الثمار ، جرت العادة بقتل الأكبر سنا بسبب قلة الغذاء . وكان « الإتزاس » يقتلون من يبلغ الخمسين من العمر وكانوا يعتبرون أن حياة الإنسان لا تتجاوز اثنتين وخمسين سنة حتى لا يصبح ساحر

وعندما أصبحت حضارة المايا مستقرة زراعية أصبح المتقدمون في السن يلقون على العكس من ذلك كل احترام ، تقديرا لخبرتهم الكبيرة في اختيار الأرض ، وانتقاء البذور والتكهن بالجو ، الخ .

أما فكرة الموت فقد تغيرت مرارا لدى المايا ، ونجدها في طقوسهم الجنازية وتصور بعض الرسوم شخصا ميتا في شكل جنين ادمي ، تعبيرا عن فكرة أن السلف المتوفى سوف يبعث حيا في مولود جديد ، والجثة مطلية باللون الاحمر ومقمطة من الرأس الى القدمين وكان يعتبرون الميت شديد الخطورة (ويرتبط هذا الاعتقاد دون شك بحالات من العدوى الوبائية نتيجة لملامسة الجثة) . وكانوا يجهزون المتوفى وكأنه يتأهب للسفر ، فيلبس ثوب المسافر ويوضع في فمه قطعٌ صغيرة من اليشب ، والبسكويت المجفف ، وكل الأشياء التي يجب على المسافر أن يتزود بها وفي القبر توضع أيضا تماثيل صغيرة للآلهة ، وأشياء أخرى متنوعة وربما اعتقد البعض ، تبعا للأساطير التي تحكي أن الأسلاف جاءوا من الشمال أن الشخص الذي يموت يمضي في طريقه الى مقره الأسطوري في الشمال . والعبارات التي تدل على الشمال (شام - شب ، ذلك الذي كان - قد زال أو شام - أن ذلك الذي كان - قد اخترام) مشتقة من الاصل « شام » الذي يعني كلا من « الذي كان » و « قديم » وطبقا لمعتقدات أخرى أكثر حداثة على الراجح يرحل المتوفى الى عالم سفلي (اش - شاب ، أو اش - كاب ، أي « في الأرض ») . ويجتاز شبح الميت دوائر العالم السفلي التسعة قبل أن يظهر ثانية في طفل حديث الولادة .

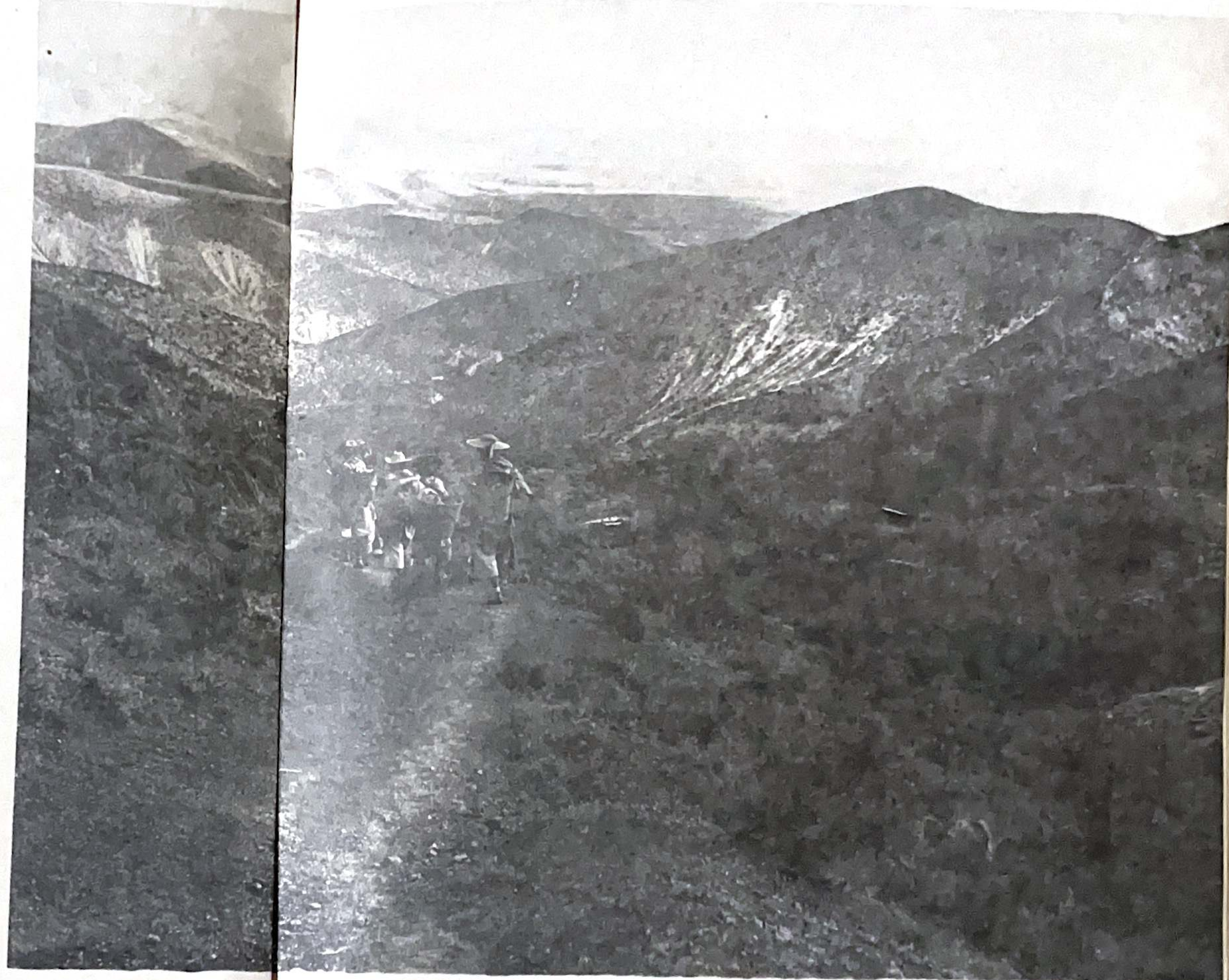
يوري ف . كنوروزوف - عالم سوفيتي - يعتبر حجة في مجال نظرية العلامات والحضارات القديمة في الهند وأمريكا دكتوراه في تاريخ العلوم . ويباشر أبحاثا هامة في المعهد الانتوجرافي بأكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتي نشر له أكثر من مائة مؤلف علمي ونال في عام ١٩٧٨ جائزة الدول في العلوم

الهنود الويشول
حضارة فى المكسيك اليوم
تمثل العصر السابق لكولمبس

مجموعة من الهنود الويشول يعبرون سلسلة جبال مادرا الغربية الهبة بالمكسيك في رحلتهم التقليدية إلى أرض الصحراء المقدسة بحثا عن البيوت وتشكل جماعة الويشول أو الوكسيتارى كما يطلقون على أنفسهم مجموعة ثقافية عرقية لها نظام كامل من المعتقدات الصوفية والدينية وفى على درجة كبيرة من الأصالة (أنظر الصفحات الملونة الوسطى) وتتمثل الرحلة السنوية التطهيرية التى يمكن أن تستمر ثلاثة أشهر فى فترة من الصيام والتقشف لا يفقد الويشول فيها ايمانهم فحسب بل يتمثلون لبعض الوقت اسلافهم الاقدمين .

تصوير : مارينو بترى

بقلم : جوان نجرين



أن الناس الذين يجيئون الى المكسيك بحثا عن الذهب والانفس المهيئة للتحول لدين آخر ويمكثون لتربية شعب من الاجناس المختلطة يقطن البلاد اليوم - هؤلاء الناس لا يعيرون التفاتا الى بعض المجموعات القطرية من السكان الذين يتقهقرون الى معاقلهم فى قمم جبالهم المنحدرة فالهنود الويشول الذين يبلغ عددهم ٦٠٠٠ أو ٧٠٠٠ والذين يعيشون فى أرض الكوميونات فى جنوب سلسلة جبال مادرا الغربية فى ولايات المكسيك جاليسو وناياريت هم الباقون من احدى هذه المجموعات ولا يمكن اختراق البقعة التى يحتلونها بغير السير على الاقدام باعتبارها أرض غير سوية بها وديان يصل عمقها الى ٥٠٠ متر وصخور ارتفاعها يزيد عن ٣٠٠٠ متر ولا تشكل جماعة الويشول جماعة عرقية واحدة ولكنها تنقسم الى ثلاث قبائل وهى الهواتوارى والتوابوريتادى والتاتيكيتارى وهى تختلف فى كل من لغاتها وثقافاتها وتنتمى لغاتهم الى عائلة الاوتوناهواتل وقد استقروا فى سلسلة جبال سيرالبل ان يدخل الازتكيون وادى المكسيك .

وتكمن قوة حضارتهم فى انهم بدلا من السماح لانفسهم بالاندماج فى ثقافات اخرى استمروا فى تنمية فنونهم فى الخط الذى سلكوه قبل ما يظهر كورتيس على مسرح الاحداث واليوم كما فى الماضى يضفى شعب الويشول نشاطا متجددا على ذاكرتهم الجماعية عن طريق الممارسة المكثفة لطقوسهم المعقدة وبذلك يتطلعون الى خلق « قلب روحانى » قوى وصحى . يعيشون فى ظروف من الفقر ويفرضون على انفسهم انواعا اضافية من الحرمان فى صورة نذور وتضحيات وعلى حد تعبير فنان الويشول جوزيه بنيتيه ، « هكذا تعانى « الزهور الورقية (وهو الاسم الذى اطلق على الويشول « بلغة الآلهة ») . يسيرون دون ان يأكلوا أو يناموا ودون اقتناء ممتلكات ودون أن يعرفوا اين المسار فهم فقراء ابرياء ولكنهم اغنياء فى روحهم وحياتهم

ولا يمثل عدم مبالاة الويشول بالحرمان المادى سلبية فالقلب الروحى الذى ينبع من انضباطهم الذاتى يضفى عليهم الاحترام والاستقامة وهما الخاصيتان اللتان يتميز بهما شعب السيرا . لقد انتهت اول دراسة اجرتها الحكومة المكسيكية فى منتصف الستينات عن امكانيات التنمية فى منطقة الويشول بالتعليق الذى مفاده ان الويشول لم تتغير نظرتهم عن الحياة على مر القرون ان لم تتغير على الاطلاق وانهم تمسكوا وحافظوا على تقاليد عالمهم الذى فى نظرهم لايضاهيه تفوقاً العالم المتحضر حتى ولو قدم لهم الاخير فى صورة مرغوب فيها الى حد كبير .

وعلى نقيض الرجل العصرى يقدر رجل الويشول الحياة للنواحى المتسامية والالهية فيها . ويتألف « القلب الروحى » من رواسب من الذكريات غير الشخصية التى تراكمت منذ فجر البشرية . لقد ضحى الاسلاف مثل النار « جدنا » والبحر « أمنا » والحيوانات الاوائل بقلوبهم البدنية لتبث الحياة فى الويشول ولتسبغ عليهم القلب الروحى وقوة الرؤية الخارقة . ويحاول الويشول أن يحذوا مثل خالقيهم وان يكونوا اهلا للحياة الروحانية من خلال التضحية بالماديات .

ان اكثر الاعمال الدنيوية للهنود ترتبط كافتها بعملية خلق العالم الذى يجد صداه فى العالم المصغر لكل حياة بمفردها وفى جوهر كل ما يحيط بنا من عالم النبات والمعادن . ويلتحم الحاضر مع الابدية ويقضى على الحاجة الى « اللهو » اذ طبقا لما كتبه مؤرخ الديانات الرومانى ميرسيا الياذ « ان اى عمل يستتبعه مسئولية هو فى حد ذاته وسيلة للهروب من الزمن ، وتعد هذه المعتقدات للويشول ذات جذور الفكر السابق للفكر الاسبانى فى امريكا اللاتينية والاحساس الدينى العالمى .

ويتخذ فن الويشول اشكالا عدة أولها المقدس والصوفى والمتسامى والجماعى . وهو فن دينى « مكرس للعبادة » القادرة على تحريك ووصف التجارب الروحانية « ولا يفهم الاشكال الصحيحة

جوان نجرين دارس وكاتب مكسيكى يجرى ابحاث عن الفن والعقيدة لدى الويشول منذ عام ١٩٧٠ ويعيش بينهم ويقوم بعدد من الحملات الاستكشافية الى اماكنهم المقدسة ونظم عدة معارض هامة عن فن الويشول فى المكسيك والولايات المتحدة ومن كتاباته عن ديانة وثقافة الويشول « خلق الويشول للعالم » - صالة ا . ب كرومر للفن ١٩٧٥ . « وفن الويشول المعاصر » - جامعة جواد اليارا . والمكسيك ١٩٧٧ . و « تذوق شخصى لثقافة الويشول » .

الهة الويشول وعملية خلق العالم

الصفحات الملونة الثلاث (ص ٣٢ ، ٢١ ، ٢٠) تصور ست لوحات زيتية بخيوط الغزل لاثنين من قادة فنانى الويشول ، جوزيه بنيتيه سانشيز وتوتو كيلا كاديلو . وفيما يلى مقتطفات من حكايات الفنانين ذاتها عن الاساطير المصورة فى اللوحات . انظر كذلك الغلاف الأمامى به لوحة زيتية بخيوط الغزل لفنان آخر عظيم من فنانى الويشول ، جوان مارتينيه .

الصفحة الملونة ص ٣٢

فى أعلى الصفحة « رحم العالم » لجوزيه بنيتيه سانشيز . هنا نرى العالم الذى انجبه كويومارى (روح الايل . روح الالهة) من أمرأة أسمها تاتى يوريياناكا .

حقا أن الارض كانت فى الأصل أمرأة تعيش فى عالم والتوابا الأول . وهناك سألها كويومارى اذا كانت ترغب فى أن تكون عالما يقطنه أهم الالهة وقبلت ودخل كويومارى رحمها ألذى بدأ يتمدد كما لو أنها أصبحت حاملا وهكذا يمثل كويومارى كائـان أيل (فى أعلى الوسط) داخل كرة مستديرة تمثل رحم تاتى يوريياناكا وهو يزرع بذور الفواكهة والنباتات التى تعيننا على الحياة وفى الوسط تماما . وقد زرع أولى النباتات التى سوف يحصدها الانسان قبل أن يتعلم فن الزراعة وبين هذه المحاصيل وضع دودة تؤكل والاغوانة ليقدما كطعام « للملائكة التابعين له » . الويشول المقبلون . ويعاون كويومارى مساعديه الالهيين فقد عين تاتوارى رب النار (على اليسار) مسئولا عن الايل الازرق جد أيلنا ودمه غذاء روحه ويمسك تاتوارى الذى يعد طعامنا فى يده سكين القرابين ويتمشى على الزهور كما يفعل الالهة الكبرى الاخرى ، تاو يفكام . الشمس (وتظهر على الجانب المقابل) . وفى أدنى الصورة . باريا ، روح الفجر (على اليسار) فى أرض البيوت وفيروكو تمايكو ، النسر الصغير فى صورة شخص (على اليسار) مسئولان عن القرب المستخدمة فى اداء الصلوات . والعالم يحيطه الماء ويظهر اربعة صقور منبثقة من زبد البحار التى تحيط بالارض وكل صقر يعد حارثًا لاحد اركان الارض الاربعة

فى أسفل الصفحة : « بعد الموت تجتمع أرواح الألهة فى ويريكوتا » لجوزيه بنيتيه سانشيز . لقد مات الالهة اسلافنا باجسادهم ولكنهم لا يزالون احياء بأرواحهم وكل عام تجتمع ارواح الالهة لزيارة رئيسهم الأخ الأكبر كويومارى وحتى بعد أن تنفصل ارواح الالهة الأسلاف عن اجسادهم تظل أرحامهم فى الصحراء المقدسة فى ويريكوتا وهناك يجتمعون بعد مضى عام ويضعون قلوبهم وأرواحهم ونبضاتهم وألوانهم كلها على المذبح (فى أدنى الوسط) حيث رأوا أول ما رأوا الضوء الساطع من سطح الأرض وفى أعلى المذبح تجد تاتى يوريياناكا امنا الأرض الندية ، وتاتى وديكا ويمارى . أمنا انثى الصقر الصغير روح السماء (وهى تحط فوق رأس يوريياناكا) . وأخونا الأكبر كويومارى مصور على هيئة غزال (على اليسار) وأمنا القمح فوق ظهره (فى أعلى اليمين) فى صورة بنات القمح ويظهر من على يمين المذبح تاتوارى روح اله النار والسنة لهبه ترتفع من حول كويومارى ويظهر أبونا الشمس (فى أدنى اليسار) فى اجتماع أرواح الالهة فى عدة اشكال وقلبه فى صورة ايل (فى أقصى اليسار) تظهر فيه فقراته العمودية .

الصفحتان الملونتان فى الوسط

فى أعلى الصفحة اليسرى ص ٢١ ، ٢٠ « كيرى أواتوسا يحتفى به ويتم تقديسه » لتوتو كيلا كاريلو .

تجتمع كافة الارواح الالهية فى تياكاتا ويعدون احتفالا لمنح هوايت أنتلر صفة الروح الألهية . ويتلقى سهم النذور أكبر رمز للقوة واداة لها اعترافا منهم بصفاته . ويوضع السهم المزود بقوس وخف صغير ووسادة تمكن لروحه من الاستراحة عليها عند قاعدة شكلة النباتى ويقدم قربانا له ثور حتى تتغذى روحه بدم الثور ويحرق البخور فى اناء من الفخار ذى ثلاث أرجل تكريما للثور . وتهدى جدتنا الكبرى النمو وجدنا الأكبر النار شموع النذور إلى روح كيرى ويتلقى تيتيكا تيماى نهاية من كافة الأرواح الالهية الأخرى ويبلغ اكاى الثعبان عرفانه بالجميل إلى الأرواح الالهية لتلقيه مسئولية حراسة كيرى . ويقوم أواتاى نقار الخشب المتوج بتنبيه كيرى إلى وجود هؤلاء الذين يقتربون منه ويقدم كل من القمر والشمس مرآيتهما الداخلتين الخاصتين بهما حتى يتمكن من الاتصال بروحيهما .

فى أدنى الصفحة اليسرى : « فى أعقاب الفيضان » لتوتو كيلا كاريلو

اكتشف الاسلاف أول أرض بها جفاف عقب الفيضان فى اكـابا فيـنا وفى الزورق (أعلى اليمين) يجلس واتيكام بمجدافه وتاكوتسى الهة النمو العظيمة بعصاها وكلب واتيكام الأسود متشلين تاتى يوه ياناكا (أمنا الارض الندية) مع القرع والذرة والحبوب التى انقذوها ويقدسون هذه البقعة بترك سهم وتبدأ تاكوتسى بحثا عن تيريكا مامنا وتوجد بالقرب من المكان الذى تركت فيه فى كيو يسوتا ويجتمع أمام النيريكا مرة أخرى تاكوتسا بعصاها وتاتوارى اله النار على كرسيهما المقدسين بينما يظهر اعلاه تاماتسى كويومارى (روح الايل الأخ الأكبر) وتاماتسى واكا كواكسى (الايل الذيل الأخ الأكبر) وهما يحيطان بسهم كبير ويأخذ تاماتسى كويومارى قوسه سهمه بحثا عن كيانه الروحى (على اليمين أسفل الزورق) ليصطاد البيوت (الهيكورى) الذى هو ايل كذلك . وفى تياكاتا بالقرب من توابورى أسس تاكوتسى وتاتوارى وتاماتسى كويومارى منازلهم الالهية (طبقا لاتجاه عقرب الساعة ادنى اليسار) ووضعوا سهامهم المقدسة ومن الاناء الذى بجوار المنزل الالهى الاسفل يقدم البيوت عندما يحتفل الاسلاف بعيد الهيكورى وتقرر تاتى يوريياناكا (فى أدنى الوسط) العودة الى الشاطىء يصحبها واتاكام وكلبه الأسود وتحمل معها اناء وقربة النذور التى تحوى كافة البذور التى يتطلبها النمو الجديد .

فى أعلى الصفحة اليمنى : « الاسلاف الهتنا يجربون البيوت » لجوزيه بنيتيه سانشيز .

هنا نشاهد اسلافنا من الالهة الرئيسيين ، كويومارى اخانا الاكبر روح الايل . وتاتوارى جدنا النار وتاويفيكام ابانا الشمس وهذه هى الطريقة التى يرون بها أنفسهم عندما يتناولون البيوت الذى هو ذات قلبهم وكل منهم يتناول نفس الكمية من البيوت (ويمثل بثلاث اشكال على هيئة براميل وجذورها تتجه الى اليمين) وتحت تأثير البيوت يرى كويومارى نفسه وقد تحول الى ايل (أعلى اليسار) ثم التفت ليرى وجها بشريا على ذيله بدأ يتحدث معه وجدنا النار (فى أدنى الوسط) كان أكثرهم تأثيرا بالبيوت فقد رأى نفسه يزحف كالثعبان تمتد منه شجيرات تظهر منها زهور يراها ويأخذ أبونا الشمس شكل أسد جبلى حيث أنه لا يزال يأكل جذور البيوت ويشعر كما لو كان توازيه فى خطر وهو على شجرة على وشك السقوط لحركتها المتأرجحة .

فى أدنى الصفحة اليمنى : « نشأة الملح » لجوزيه بنيتيه سانشيز

تاكوتسى تاكاوا أم الالهة تذهب إلى شاطىء المحيط حيث تستعد للموت وقد نزعت عظامها وطحنتها بالحجر واصبحت ملحا مختلطا بالأرض ثم طحنت اسنان فكيها فتحولت إلى ملح نقى رشت به البحر ويراقب واتاكام فى الم عملية تحول العظام والاسنان إلى ملح وعندما تخطو تاكوتسى إلى البحر بجناحين اسودين ترتفع موجة كبيرة على طوال الشاطىء (الخط المتعرج الأزرق فى الوسط) . لقد ولد هنا تاناتسى ماكايوالى الايل الازرق .

الرؤية المتصوفة للفن الهاييتى

صفحة ٣٢ الملونة على اليسار

فى تجلى خلاق يقوم فنانو هايتى اليوم بانتاج اعمال على درجة كبيرة من الاصالة فيها الاشكال الصاخبة والالوان الحية تلهمها تجارب وتقاليد الشعب الهايتى ويقدم هؤلاء الفنانون . الذين غالبا ما يسمون تسمية ربما كانت غير عادلة الأوهى السذج أو البدائين . فنا اسماه الكاتب الهايتى جاك ستيفن الكيز ، « الصور التى يغلف بها القوم تجاربهم وتعكس فكرتهم عن العالم والحياة » وهنا يظهر مثلان مميزان لاعمالهم . الأعلى : « جزيرة الطيور » لياسين جوزيف والأسفل : « الجنة على الأرض » لويلسن بيجود . انظر كذلك الغلاف الأخير .

والمغزى الدقيق لهذا الفن سوى الشامانات (الكهان) أو « المرتلين » المعروفين باسم المراكات ومفردها مراكام وهو فن يمكن اعتباره مظهرا من مظاهر الجهود الجماعية التى يسيطرون عليها ويستجمعونها فى مناسبات الطقوس الدينية عندما يحتشد المئات من الويشول حول مركز اداء الشعائر الذى غالبا ما يستغرق الوصول اليه ما يزيد على يوم من السفر الشاق من منازلهم المتناثرة وهناك يجتمعون للمشاركة فى الدراما الالهية والغرض منها اعادة خلق الجو الموات الذى يتطلبه بعث الحياة فى العالم

وحين يحل المشتركون فى الطقوس محل الالهة عليهم أن يعيدوا الانسجام بين المياه (امهاتنا من البحار والأمطار والسماء والارض) والنار « جدنا » والشمس « ابينا الخالق » « واخواننا الكبار من الرياح والايائل » . ولعدة ايام وليالى يسلمون انفسهم فى حالة من الحماس الى التقليد المقدس لاسلافهم من خلال الرقص والصوم والصلاة طوال الليل متمشيين مع الايقاع المغنطيسى لموسيقاهم .

ويتم استحضار الاسلاف الذين تجتذبهم تراتيل الماراكات وسكب الخمر والتضحية بالحيوان وتسترضيهم نضال ذريتهم من البشر وهكذا تلتحم روح الاسلاف المهيمنة مع الروح البشرية الحيوية فى لقاء متبادل فى اتصاله بين العالم الكبير والعالم الصغير يجلب فيه الابدى الخصوبة للحاضر

ويساهم بدور فعال فى هذا الاتحاد بين الانسانية والالهية الصبية والبنات والشباب والعجائز ويجند الافراد محاولاتهم وحماسهم لدعم مهارات الماراكات الخارقة وهو يغنى من اجل الناس ككل ويتبع عيد الاسلاف عيد الرجال الذين يتقربون الى الالهة من خلال اشعال النار واظهار التوبة والتمثيل التلقالى وبهذه الطريقة تتصل العائلات القادمة من منازل منعزلة فى لقاء عشرى .

ان خلق فسحة زمنية ومكان سحريين فى الشعائر التى يمارسونها فى مركز الاحتفال يعكس ويضرب لنا مثلا لاسلوب حياتهم فى منازلهم الاسرية والعيد هو الذروة الدرامية لدورة من الواجبات اليوميه تتركز فى زراعة القمح « امنا » واهم لحظة فى الاحتفال هو « رقصة امنا » وفيها يسألونها العفو لأكلهم لها .

ويعد هذا الموقف دليلا على احساس الويشول « كل شىء يضحى به من اجلنا ؛ القمح يهب لنا بناته والأيائل صغارها والشمس اشعتها والبحر بناته الافاعى ذات الريش السحب الممطرة » وهذا هو الاساس ذاته للعادات التى تمارسها العائلة فى انكار الذات من يوم الى يوم . ويعيش اعضاء الاسرة معا على نهج النظام الساوى ويوزعون مهامهم





عملان مقدسان للويشول يتعلقان بتاتى نوار هوم امنا رسول المطر ويرمز لها بثعبان المياه . (الصورة اعلاه) هذا الثعبان الملتف المنحوت من الحجارة يحرس مذبح المعبد الكر من لعبادة تاتى نوار هوم . (الصورة ادناه) قطعة خشب ملصق عليها بالشمع قطع من الخيوط المغزولة لتشكل منها رسومات تمثل الخصوبة لدى النساء ووفرة الذرة وكلاهما تؤثر فيه تاتى نوار هوم ويعد عملان كهذين رائدين للرسم الزيتى للويشول المستخدم فيه خيوط الغزل .

ومسئولياتهم تبعا لذلك فالأطفال ذوو اربعة الربيع على سبيل المثال يقومون برعاية اخوتهم الاصغر منهم ويشاركون اباءهم فى حمل مسئولياتهم . ويسلم الاجداد بدورهم الحكمة التى جمعوها عبر السنين الى احفادهم .

وينشأ اطفال الويشول على احساس دينى بالحياة الذى يكشف لهم تدريجيا عن الاسرار التى تكتنفهم . ينصتون حين يحكى الكبار الى خليط من الاساطير والتجارب الشخصية ويتعلمون ان كل شىء فى بيئتهم مفعم بالحياة ويصلهم بالحقيقة السامية المختبئة فى كل ظاهرة طبيعية وان النباتات والناس والحيوان تتغير من الواحد الى الاخر . تتغير أسماءهم وتفقد اشكالها المادية بنفس الطريقة التى يذوب بها الثلج الى ماء لتغذية البحار ويمكن ان تحول نفسها من الزبد الى الندى وبنفس الطريقة التى يتحول بها الحجاج من ذوى العقول العابثة الى صخور وقسم كعلامة ابدية للعرجفة القبية .

وكثيرا ماتجرى انواع من العلاج السحرى ويشاهد الاطفال كافة اشكال الاحداث الخارقة وبالاضافة الى ذلك يتعلمون تقليد الكتابات المقدسة من خلال اشغال الابرة والنسج والحفر فى الحجر واستخدام الألواح المغطاة بطبقة من الشمع فى تكوين تشكيلات من حبات الخرز الزجاجية وخيوط الغزل .

ويعتمد مستوى التعبير لدى فنانى الويشول على مدى استيعابهم للاساطير ورؤيتهم الشخصية التى تتطلب منهم الاندماج فى روح الاشياء التى يرونها أكثر منه رؤيتها كموضوعات منفصلة الى حد أن الماركام ذا المهارة الفائقة يمكنه كما يقال رؤية الأرض التى يقف عليها كما لو كانت شخصا يتحدث اليها باعتبارها امنا الأرض . والغرض من ذلك التوصل الى مرحلة يمكن عندها أن نرى دخائل الكائنات الاخرى من داخل وجودنا نحن حتى يتم اللقاء من القلب الى القلب .

ومع ذلك لكى يتوصل الويشول الى « القلب الروحى » الذى يجعل من هذه الرؤية أمرا ممكنا عليهم ان يتوصلوا الى كيفية التحكم فى اجسادهم بالسيطرة على شهواتهم وتطهير انفسهم من الافكار التى تضر وعيهم وتفسد قوى الرؤية لديهم . فلكى ترانا من خلال الروح كما يرانا اسلافنا فعلى الحالة الانسانية ان تسمو من خلال « النيريكا » التى تعكس كل ما هو موجود على المستويين الروحى والمادى وعلى حد قول جوزيه بنتيه ، « لكى نحقق « النيريكا » تقدم التضحيات عن طريق الصيام والامتناع عن النوم مع زوجاتنا وعدم التفكير فى خواطر شريرة بل عوضا عن ذلك عدم التفكير سوى فى تحقيق « النيريكا » حتى يمكننا ان نتعلم شيئا

عن « القلب الروحانى » و « روح امنا الارض » .

وحتى يحقق الويشول « النيريكا » ينبغى عليهم أن يشرعوا فى رحلات تأخذهم على بعد ٥٠٠ كم بحثا عن البيوت وهو من سلالة الصبار وينمو فى الصحراء ويستخرج منه مادة المسكال الاستوائية . وعلى الباحثين عن البيوت أن ينمو شخصيتين خلال هذه الرحلة الطويلة أولهما الشخصية الداخلية الالهية التى تنمو عندما يرحل المسافر بعيدا عن العالم اليومى وبعد عدة ايام من المجهود البدنى الذى يقضيه فى السفر سيرا على الاقدام دون ان يتمكن من اطفاء عطشه حتى هبوط الليل . وفى صلواته طوال الليل يظل فى اغلب الاحيان حول النار المقدسة وتأخذ الحاجات الجسدية أهمية ثانية ويصبح الطريق ممهدا لظهور العون الروحى المطلوب لكى يحل محل الطاقة الجسدية وتبدأ القوة الداخلية للقلب الروحى فى تعرية واجهة الكائن الاجتماعى الخارجى ويبعث الرحالة من جديد باسم جديد يتسق مع شخصيته التى تتسم من جديد بالطهارة والقدسية .

أما الشخصية الثانية الشخصية الدنيوية الخارجية فتنشىء لتخبىء الحقيقة الداخلية العميقة من حملقة الجماهير المهلكة فالناس الذين يضحون بكافة الملذات الجسدية لا يكشفون عن أى شاهد من شواهد معاناتهم فى العملية الروحية للخلق الذاتى

ويعلم الباحث عن البيوت أنه يحتوى على روح أخينا الاكبر ايل الشمس الذى ضحى بنفسه من أجل أن ينبت البيوت ويقدم نفسه مرة أخرى ليأكله الرحالة السعيد وهاهى لحظة اللقاء الحقيقية عندما يتصل الباحث المتصوف عن البيوت اتصالا مباشرا بالالهة اذ أن اخانا الاكبر يشملهم كلهم

ويتحدث ولد الظبى الخفى الى الرحالة من داخله ويعلن عن كلمات الالهة ونظرا لانهم يسحون له برؤية محياهم المتغير فتنطبع فى « قلبه الروحى » بعض آثار من ذكراهم بيد أن الالتحام فى اتصال وثيق مع الالهة ومع الجوهر الروحانى لوجودنا يعد واجبا مستمرا مدى الحياة وفى مجرى الرحلة الاولى المقدسة لا ينكشف سوى الحجاب الخارجى للسر المقدس لتظهر الرؤية الكونية المضيئة التى لا يمكن استيعابها توا ولكنها تصبح تجربة محسوسة تحت تأثير البيوت

ويعود الباحثون عن البيوت بعد غياب عدة أسابيع أو حتى عدة شهور بعد أن يكونوا قد حققوا رسالتهم باحضار الشحنة النفيسة من البيوت ليقتسموها أثناء أداء الشعائر المقدسة وخلال رحلتهم يحاولون أحياء لغتهم لتتناسب مع رؤيتهم الجديدة واذا لم نفهم الافكار الصوفية والشاعرية التى توحى بها شعائر الهويشول المعقدة فلن ندرك سوى الجانب السطحى لهذه الثقافة العميقة الجذور وسوف نفشل فى فهم مغزى فنها الاصيل كل الاصالة

وكلما كان فن الهويشول فنا حقيقيا تقل الى أضعاف ما ينقله فننا الينا اليوم وتنطبق الهندى الملاحظات التى أبدأها بول وستم عن الفن السابق للفن الاسبانى انطباقا مباشرا على فن الهويشول عند قوله « أن الحقيقة يعاد اخراجها ولكنها تخلق فهى حقيقة الفكر السحرى فلا يكفى ضرورة أن يرى الفنان حتى يمكن له وصف المعنى الاسطورى الخفى لظاهرة ما فالامر يتطلب أن يكون له رؤية » كما لاحظ وستم كيف تشرع الواقعية المعاصرة فى اعادة اخراج العالم المرئى بينما تهدف الواقعية فى أمريكا الوسطى الى أضفاء جوهر مرئى على ما هو خفى . ومن ثم يستتبع ذلك أنه لكى ينتج الفنان المبدع عملا فنيا بالمفهوم فى أمريكا الوسطى عليه أن يعيش منغمسا انغماسا كليا فى رؤية صوفية اذا كان عليه أن يكون قادرا على تجسيد الحقيقة الخفية وهذه الحقيقة لها صفة سحرية اذ ينبغى أن يكون عمل الفنان جذابا وموطنا للطاقة الروحانية للانسان أو الاله الاب الذى يمثله .

أن الاشخاص الذين يصنعون المنتجات اليدوية للهويشول هم فى الغالب أشخاص من الهويشول نصف المتمدينين الذين هجروا أعمالهم فى حقول القمح (المزروعة على سفح التلال بعصا أو عمود الزراعة) وانفصلوا عن جذورهم فى مجتمعهم فهم يخافون غضب اسلافهم الذين لا يرغبون فى « معرفتهم » سواء من خلال التضحيات التقليدية أو عن طريق السحر المستخدم فيه الرموز ومن ثم فالحرفيون الذين الذين يصنعون منتجات بغرض البيع عادة لا يمارسون مثل هذا النشاط من باب الوحى السماوى أو كنوع من الصلاة وبالاضافة الى الانفصال الثقافى الذى يحاولونه فهم جزء من نظام تجارى يعمل على استغلالهم والتجار الاهليون يغامرون بأموالهم فى المنتجات الزخرفية التى يجلبها لهم الهنود وعلاوة على ذلك لا يبدى هؤلاء الوسطاء اهتماما بهذه المنتجات نظرا لان قيمتها الفنية ضئيلة للغاية ومن الطبيعى الا تشجع هذه المهنة التقدير الذاتى للحرفيين ولا رغبتهم فى الابداع حيث أن عملهم يقابل بالاحتقار

ومع ذلك يهب بعض هؤلاء الحرفيين أنفسهم لعمل ذى مغزى أكبر فى السعى لتأكيد الذاتية التى انغمرت تحت وطأة انعدام الشخصية التى فرضت عليهم ولاستعادة حساسيتهم الاصلية التى ضحوا بها تلبية لنداء الحاجة لانتاج محصول كبير لكى يعيشوا

وينبع فن الويشول كأى فن عظيم من حاجة الخالق الى توصيل شىء ما يهمه ويحرك قلبه الى درجة يفيض معها قلبه بالايمان أو الالم أو البهجة ويستوجب أن يخرج عنه ويصل الى الآخرين عن





ان الايقاع المغناطيسى للموسيقى والرقص عنصر ضرورى فى شعائر واحتفالات الويشول . ففى خلال الاحتفال بأول ثمار الحصاد (فى أعلى اليمين) يقوم شاب بدق ايقاع على طبلة ذات ثلاث أرجل وطوال الاحتفال المستمر طوال النهار يقوم صغار الأطفال عن طريق رنين الاجراس والدق على الطبول بمساعدة الشمس أن تنضج المحاصيل وتأخذهم ارواحهم فى رحلة إلى أرض اسلافهم المقدسين (ادناه على اليمين) منظر لسوق من أسواق الويشول



يشرع الرحالة من الويشول بمئونته الزهيدة وادواته الشعائرية فى سلة على ظهره فى رحلة بحثا عن البيوت المقدس . مسعى يأخذه إلى بعد ٥٠٠ كم عبر سلسلة جبال مادرا وصحراء سان لويس بوتوسى . ويرحل الباحثون عن البيوت فى مجموعات من حوالى ١٢ رجلا كل منها سيرا على الأقدام من الفجر حتى الشفق فى صمت منسحب متحملين كافة أنواع الحرمان تحت اشراف القس أو الشامان اذ لا توجد ظاهرة دينية هندو امريكية اخرى أكثر تعقيدا ولا أكثر ادهاشا من هذه الرحلة الشعائرية الدينية .



طريق تحويل المشاعر الى عمل . ورسوم الهويشول المبينة على غلافنا وفي الصفحات الوسطى الملونة هى أعمال تحقق الاتصال وتشهد على الرؤيات النابضة وعلى الرموز التى وضعت على نحو يبلور الفكرة منها ويوصل الرسالة المعنية

وترجع جذور المواهب الفنية للاشخاص الذين رسوها مثل جوزيه بنيتيه وتوتوكيلا كاريلو وجوان ريوز مارتينيه وجواديلوب حونز يليز الى تعليم السحر والتعليم الدينى الذى استوعبوه بعمق شديد في شبابهم وبعد أن عاش هؤلاء الفنانون وعملوا مع الاناس المتحضرين تحولوا مرة أخرى الى ثقافة أجدادهم في رغبة منهم لاعادة تدعيم صلاتهم المتداعية بها ولتحقيق تذورهم التقليدية

وتنفذ لوحاتهم القائمة على خيوط الغزل على لوحات من الخشب الابلاكاش المغطاه بطبقة رقيقة من الشمع اللزج الذى تنتجه . طبقا لمعتقدات الهويشول . نحلة لا تلدغ ويدفىء الشمع في الشمس حتى يصبح طيعا وحينئذ ينشر باليد على اللوحة وفي بعض الاحوال يحدد الفنان الاشكال في الشمع ثم يضغط خيوط الغزل ذات الالوان البراقة المصبوغة بالانيلين في القاعدة الشمع واحدة واحدة بظفر الابهام

وبلغة الرموز تمثل اللوحة فراشا لجيء الالهة الاسلاف لتستريح عليه كما تمثل حقلا يعد لزراعة بذور القمح والفول والقرع وزهور الامارانت وتعد أطراف اللوحة بعمل اطار لها ذى ثلاث ألوان متباينة وتحدد هذه الالوان الثلاثة الى حد ما طبيعة الالوان المستخدمة في اللوحة ثم تشكل معالم الاشخاص قبل أن تلون الخلفية نهائيا بلون أو أكثر

وقد ظهرت هذه اللوحات التى هى من خيوط الغزل في السوق لاول مرة عام ١٩٥١ عندما نظم البروفسير الفونسو سوتو سوريا معرضا عن هذه اللوحات في جوادالايارا في المكسيك ومع ذلك فالاسلوب يرجع الى ما قبل الغزو الاسبانى وكان يستخدم في أغراض دينية في صورة هبات صغيرة تقدم كنذور وحتى هذا اليوم ترسم عليها الدعوات الموجهة للاسلاف

وقبل استخدام الخيوط المغزولة والحبات الزجاجية كان الشمع يستخدم في تشكيل نقوش داخل أوان مصنوعة من نبات القرع أو على قطع شبه دالرية من الخشب بينما تلصق الحبوب والبذور والقطن والياف الصبار في الشمع ولازالت كل هذه المواد تستخدم الان بيد ان التباين الواضح ومجموعة الأولوان الصاخبة التى يمكن أن تتحقق مع أصواف الغزل التجارية تعد أكثر نجاحا في التعبير عن الرؤية التى تستيقظ تحت تأثير البيوت

وعند فنانى الويشول بعامة وجوزيه بنيتيه بخاصة الابداع الفنى هو الوسيلة الفعالة الوحيدة للقضاء على الثغرة العميقة التى تفصل الثقافه اللادارية الروحانية عن الثقافة المكتسبه من الحياة في الحضارة المكسيكية الحديثة . ويذود فنان الويشول عن طريق فطرى للتفكير يسبغ معنى على حياته الشخصية من خلال التعبير عن ثقافته باستخدام الرموز فالهويشول كمدافع عن ثقافته يجد نفسه في الاشخاص الاسطورية التى تشترك في موضوع اللوحات ويظهر صراعه الداخلى على السطح من خلال الاشخاص المرسومة في لوحاته المليئة بالحركة والفتنة والاستقطاب والمتماسكة كما لو كانت بالمجهود العضلى

وعلى ايه حال تعبير فنانى الويشول هو تعبير شخصى بحت ويرتبط بالتجارب ذات التأثير على افئدتهم وذاكرتهم فعلى سبيل المثال هناك تعبير ملحوظ في لوحات جوزية بنيتيه أو جواد يلوب حونزاليز التى يبدعانها بعد عودتهما من الرحلة المقدسة وتؤخذ موضوعاتهم من احداث ترتبط بأوقات السنة مثل الموسم الممطر أو الوقت الذى تجهز فيه الارض او يحصد فيه المحصول أو موضوعات تشير الى احداث قريبة منهم مثل حلم مزعج أو مولد أو وفاة طفل وكل عمل فريد في نوعه نظرا لان التجربة التى تحرك داخلية كل كائن لا تكرر نفسها واللوحات شاهد على ما يسعى الفنان الى رؤيته من خلال مرآته الداخلية (النيريكا) التى تصقلها تجربته المقدسة وتنبع الصورة من القلب الروحانى وهو قلب بمثابة « كتاب مصور » طبقا لتراث الشعب الأذتكى وادهى كارثة ممكن حدوثها للهويشول هو ان « يفقد القلب الروحى » الذى يمكنه من الاتصال بالذاكرة التاريخية العظمى التى يختزنها « اسلافنا » الذين هم بمثابة الطبيعة ذاتها

لقد نشأ هذا الشكل الفنى عن تحالف بين الحرفيين التجار والعبقرية المميزة لبعض من المثقفين من الويشول الذين لا يزالون ملتزمين بتراث أسلافهم وقيمة فنهم لدينا يكمن في كونه وسيلة جيدة لربطنا بثقافة الهويشول فهو وسيط مرئى يحدثنا من خلال عنصر الجمال القاسم المشترك . فمن خلاله ينجح فنان الهويشول في نقل رؤيته الشخصية التى تتجاوب

يمكن الحكم على قدم ثقافة الويشول من أنهم قد استقروا في جبال ولايتى المكسيك في يومنا هذا . ناياريت وجاليسو وذلك حتى قبل أن يصل الازتكيون الى وادى المكسيك . والويشول ليسو وحدة عرقية واحدة بل هم يضمون ثلاث قبائل متمايزة لغويا وثقافيا . الصورة التى على اليمين : ثلاث نساء منهم في لباس احتفال مزركش بالزينة والصورة أدناه تمثل شابا من الويشول .

معها بمشاركتنا في قيمتها العالمية من خلال شاعريتها وجمالها وهو شكل فنى حديث ينبثق من احساس الفنان بذاتيته ويخلق بهدف الاتصال بالجمهور غير الهويشول ولهذا السبب أسر الفنانون منهم على توضيح « الاسس » التى بنى عليها فنهم المرئى فأعمالهم تبعث ذكريات مقدسة نابعة مما يذكره قلبهم من أقوال أجدادهم أو الماراكام لهم وقد أصبحت مطبوعة بخاتم تجربتهم الذاتيه . ولهذا صرح جوزيه بنيتيه في مقابلة معه أنه لو عرضت لوحاته كمجرد زينة فهذا يعد بمثابة اظهار عدم الاحترام « لاسلافه » .

وانه لمن المأمول أن تتمكن هذه الثقافة الاصيلة بجمالها الاخاذ من أن تنهج طريقها الخاص بها نحو التنمية المستقلة والذاتية وان تحافظ على استقلالها وينبغى لنا الا نحجم عن رؤية القيم الجمالية العالمية والفلسفة العميقة الجذور لاخر شعب ناقد الرؤية المعقدة للسكان الاصليين بأمريكا الوسطى

ولقد رأينا كيف أن أهل الهويشول المتحضرين الذين يعيشون في ظل نظام أبى هندو أمريكية مثقلون بادراكهم لحدة النقص المفترضة فيهم وباليأس من فقدهم جذورهم . لقد رأينا بينهم الفوضى التى قوضها الادمان والجريمة والفاقة الكاملة والمرض وانهيار الوحدة الاسرية

وعندما نتكلم عن تعليم الهنود يجب ألا ننسى أنهم نشأوا على الانسجام الوثيق مع بيئتهم التى يعرفونها كل المعرفة وفي ظل نظام من الشعائر والتقاليد العميقة الجذور وما ينبغى أن نقدمه لشعب الهويشول والجماعات الفطرية الاخرى في انحاء العالم هو تعليم ثقافى تنائى يشترك في تصوره « أناس عقلاء » صالحون في مجال تراثهم .





بريفيت ويوفوت أحد المؤيدين البارزين لفن الرسم الشعبي الهايتي . وتبدو قوة الخيال والابداع الذى لا يبارى لفنه والمتأصلة بعمق في التراث الهايتي في لوحته « الميناء » المشهودة

الحقيقة السّاحرة للفـن الهـايتي

بقلم : رينيه ديبستر

رينية ديبستر مؤلف هايتي ، نشر عدة مجلدات من الشعر والمقالات والقصة . وقد نشرت له بالانجليزية قصة « قوس قزح للغرب المسجى » التى طبعت في مطبعة جامعة ماشوسيس كما كتب قصة « شاعر في كوبا » التى ستظهر قريبا بالانجليزية ولقد اشترك في عملين من الاعمال التى قدمتها اليونسكو « افريقيا في أمريكا اللاتينية » و « أمريكا اللاتينية عبر افكارها » ويعمل حاليا مستشارا لليونسكو . وقد قام بالتدريس في جامعة هافانا بكوبا وجامعة وست انديز في مونا كنجستون بجامايكا .

اذا كانت كلمة رائع يمكن أن تعبر عن كل شيء يشذ عن النظام الطبيعى والمستقر للأشياء . اذن فقلة من الدول هى التى قطعت شوطا طويلا بجرأة وبرقة مثل هاييتى عبر طريق ممهد بالروائع . ويعتبر الاحساس بالروعة في كل الأشكال المزدهرة والمتنوعة أحد المكونات التاريخية للوعى الهاييتى

فالناس في هاييتى لهم طريقتهم المنفردة لادراك العلاقة بين العقل وقوة الخيال . فأهل هاييتى « يسمعون للشجر أصواتا » ويقرأون كتبا في الجداول الجارية ويسمعون ترانيم تنبعث من الأحجار ويجدون الخير في كل شيء وهم يسمعون صوت الأرباب في الشمس والمطر وفي القواقع وفي أسماك الأنهار وفي الأجنحة المرفرفة للطيور والفراشات الطنانة

وكرد فعل لمشكلات العبودية نشأ بين المجتمع وعالم الطبيعة في هاييتى طراز معقد من الاتصالات والخرافات والرموز . ونتيجة لتلك العملية الغريبة فان التناقضات الكامنة في العملية الاستعمارية أدت ليس فقط الى اضفاء الشعوذة على التنويم المغناطيسى الذاتى بل الى أشكال حالمة من الحديث والسلوك حيث يتآلف أحسن وأسوأ ما في الطبيعة البشرية أو يتصارع بعنف غير عادى .

ان « الحقيقة الساحرة » لهاييتى تتمثل في تيارات عظيمة الاضطراب تتداخل وتمتزج ، طبيعى والخارق للطبيعة والبوهيمى والشهوانى والمقدس والتافة والمضحك والمتصل بالسحر والمبهر . ولقد كان لذلك أثره على الدين والغموض السياسى والقصص الشعبى المنتشر والفير مدون والأدب المكتوب بالفرنسية أو بلغة هاييتى (كريول) . وتضفى لتلك « الحقيقة الساحرة » سحرا اضافيا على مباهج الحب والرقص والموسيقى كما تعطى الفنون التشكيلية روعة مبهرة .

وقد انبهر كريستوفر كولومبس في صباح أحد أيام ديسمبر ١٤٩٢ بجمال خليج هاييتى وبجبالها وسهالها - التى تتساوى في زرقتها - المترامية أمام ناظريه ومع صيحة الاعجاب التى أطلقها في ذلك اليوم المشهود أضاف جزيرة أخرى الى جواهر التاج الأسبانى وفتح في نفس الوقت آفاق هاييتى لتيارات التاريخ العالمى الغريبة . ولقد أطلق على الجزيرة الحديثة الاكتشاف « اسبانولا » وبعد ذلك أخذت الصفة الانجليزية لتصبح « هيبانيولا » . ولقد تحول السكان الوطنيين في هاييتى « الأرواكس » في ذلك الصباح دون ان يعلموا بواسطة تدبير العناية الالهية الغامضة الى « هنود هيبانيولا » .

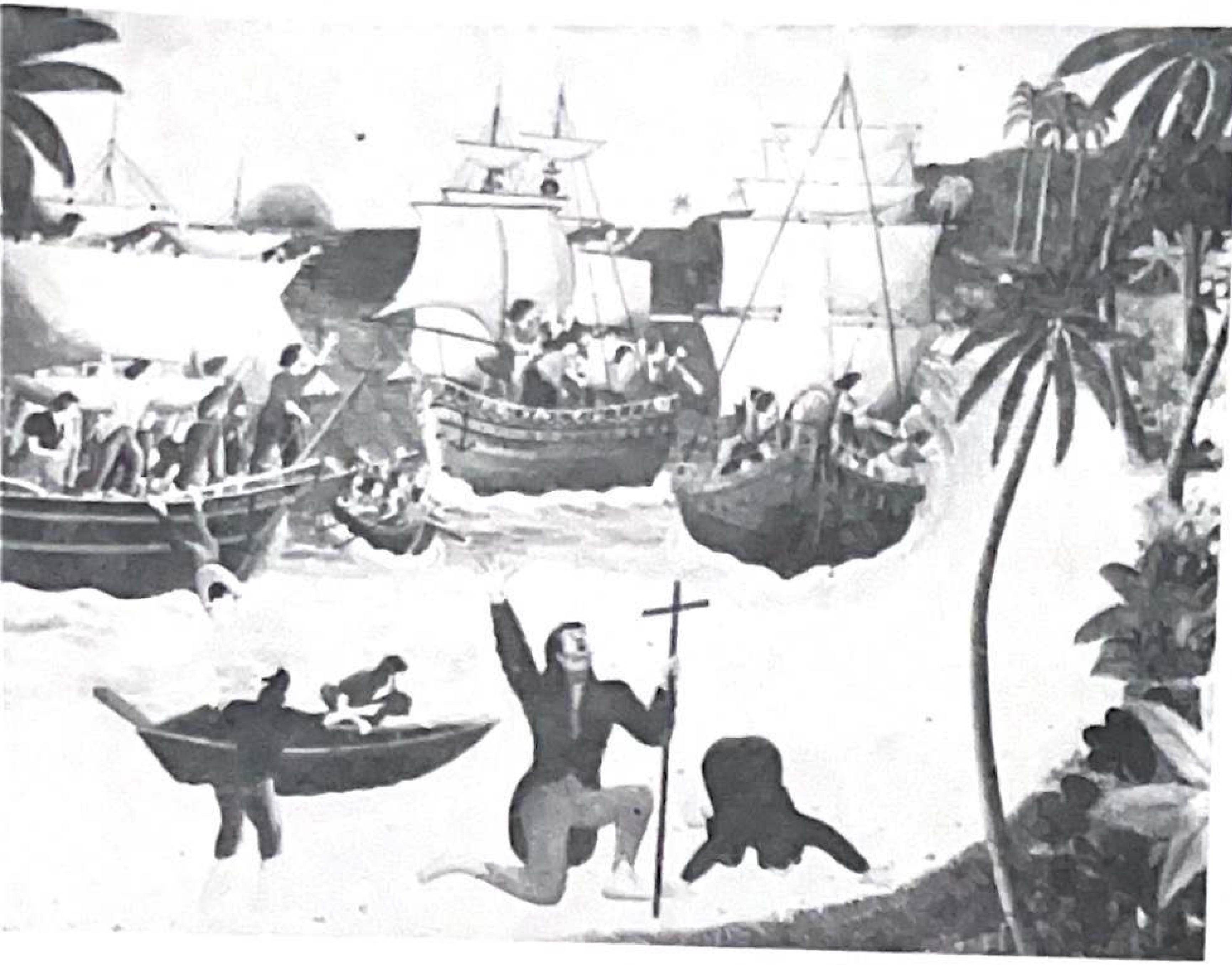
وسوف يكتسح الاروبيون الذين يمارسون نفس براعة دلالات الألفاظ في الحقبات التالية هذا « العالم الجديد » ويعتقد هؤلاء المستعمرون أن السود قد خلقوا عن طريق تجميع « الايو » و « البامبال » و « الوولوف » و « البول » و « الماندنج » وغيرها من الشعوب الافريقية التى انسلخت من شخصيتها . وبنفس الطريقة المخادعة (مع الاعتقاد هذه المرة في التقدم وليس التشوية) فان البيض خلقوا من شعوب أسبانيا وانجلترا وفرنسا والبرتغال وهولندا الذين يحتوون فيما بينهم الأمريكيون (وهذا تعبير مشوش آخر خرج به المستعمرون كما يخرج الحاوى بأرنب من قبعته)

ولقد أورد هذا التوالد العقيم في تلك المناطق فيما بعد مشهدا متعدد الألوان من المولدين والهجين والمنتمين للزنوج بربع دمائهم وثمن دمائهم الذين أخذوا مكانهم جنبا الى جنب مع الهنود الذين تم اختراعهم بالفعل من الزنوج والبيض والذين أعطوا بدورهم شكلا يتمثل في سوء الحظ والوهم لمجموعة من الصراعات والألوان المثيرة جدا والتى تفوق قوس قزح .

ومنذ ذلك التاريخ لم ينفصل تاريخ هاييتى عن نوع من السريالية الشعبية الغير متسقة الشكل والتى أظهرت نفسها بحيوية متساوية في احداث وحياة فردية بطريقة شاملة . وبين عام ١٤٩٢ و ١٦٩٧ عندما وضعت معاهدة رايسويك طريقة للتعايش بين الامبراطورية الفرنسية والأسبانية على جزيرة هيبانيولا عن طريق تقسيمها الى مستعمرتين منفصلتين ، تم احياء عالم من القراصنة المتصارعين في مجموعة من الأساطير والحكايات ونسجت آلاف من القصص الخيالية عن القراصنة وقطاع الطرق . ولقد سجلت المقاومة والابادة الجماعية للقبائل الهندية في الكاريبى في كثير من القصص التى يقف لها شعر الرأس .

ولقد كانت هذه الإثارة الخيالية جزءا لا يتجزأ من الاستغلال الاقتصادى الذى تم في عصر الرعب في المزارع وورش السخرة . ولقد كان الازدهار الخرافي لسانت دومنجو (كما كانت هاييتى معروفة أيضا) سببا في ملء السفن الشراعية حتى حافتها بالذهب والنيلة واللؤلؤ والأحجار الكريمة والتوابل والقطن والبن والسكر مع تدفق لتجارة الرقيق الأبيض التى ملأت العالم بفضب لم يسبق له مثيل .

هكذا صور الفنان الهاييتى المعاصر جين رينيه شيرى نزول كريستوفر كولومبوس لأول مرة الى هاييتى عندما وقع بصره لأول مرة على الجزيرة صاح المكتشف العظيم وهو في عجب من جمالها . ولازال نفس الشعور بالروعة والفتنة يلهم الأدب والفن الهاييتى

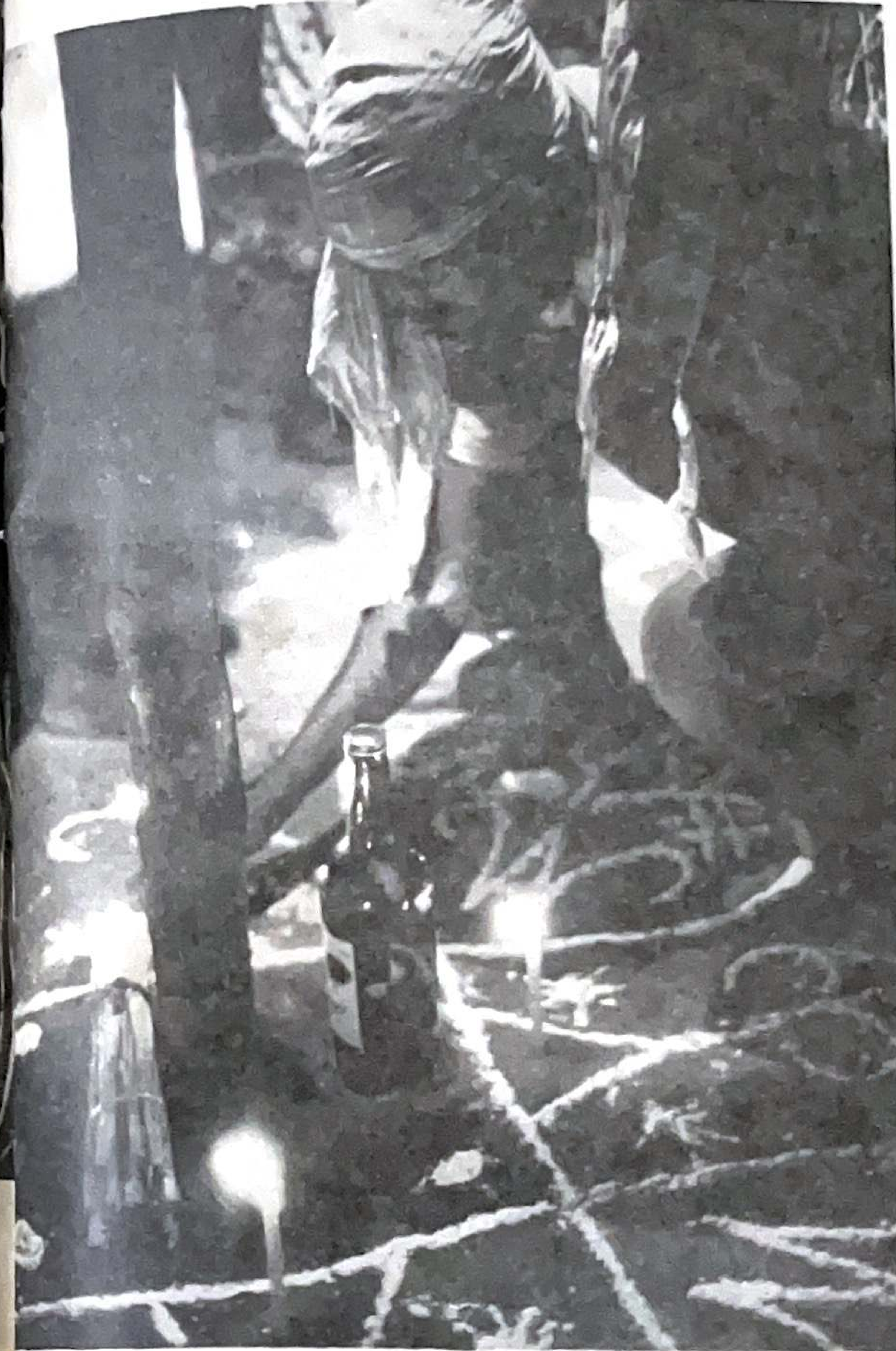


أحد أبطال النضال الهاييتى من أجل الاستقلال . لقد قبض على توسينت لوفيرتثر بأوامر من نابليون وأبحر به إلى فرنسا حيث توفي سجينا في فورت دى جو في جورا الفرنسية . وهذا النحت الذى يصور لحظاته الأخيرة أحد أعمال فنان مجهول في تلك الفترة



وبينما كانت تجارة العبيد « المعروفة بـ « الملح من الهند ») وأخشاب الأبنوس تمارس في ظروف تتحدى العقيدة فإن المعجزات التى تميز تاريخ هايتى لم تندثر في ظل النظام القاسى والملل من العمل الاجبارى . ولكنها على العكس وجدت تغذية جديدة في مقاومة العبيد لقدرهم المرعب . ولقد استطاع الأفارقة وخلفاؤهم وقد استحالوا الى ما يشبه حالة القوة الفوق الطبيعية من الوقود العضوى أن يستخلصوا من الشعور بعدم الأمان الذى يسيطر على كل جزء من كيانهم حركة مكنتهم من اعادة تشكيل الأسس المفككة لشخصيتهم . لقد استطاع العبيد تحمل ضغوط حملات التبشير المسلحة بالسياط والعنصرية وحولوا شعورهم بالبؤس إلى ابداع .

وبدلا من استيعاب دروس التعاليم الاستعمارية في سلبية فإنهم قاموا بالتوفيق بينها وبين المعتقدات الدينية التى تنتمى لليوريا والفانتى أشانتى والبانتو والكونجو والفون والتى أضافت ذاكرتهم وخيالهم إليها وظائف جديدة ارتبطت بالاحتياجات



عند التحدث عن الرسم الهايتى أعلن الفنان فيليب أوجست ساليف « لقد خرجت كل تلك الروائع في رأيى من تفكير رجال لا يعرفون شيئا عن الثقافة أو الأسلوب الفنى أو التوجيه . إنها ثمرة الخيال المحض . وقد احترف نفسه الرسم في سن الثانية والخمسين والرسم المنشور جزء من لوحته جنة عدن »



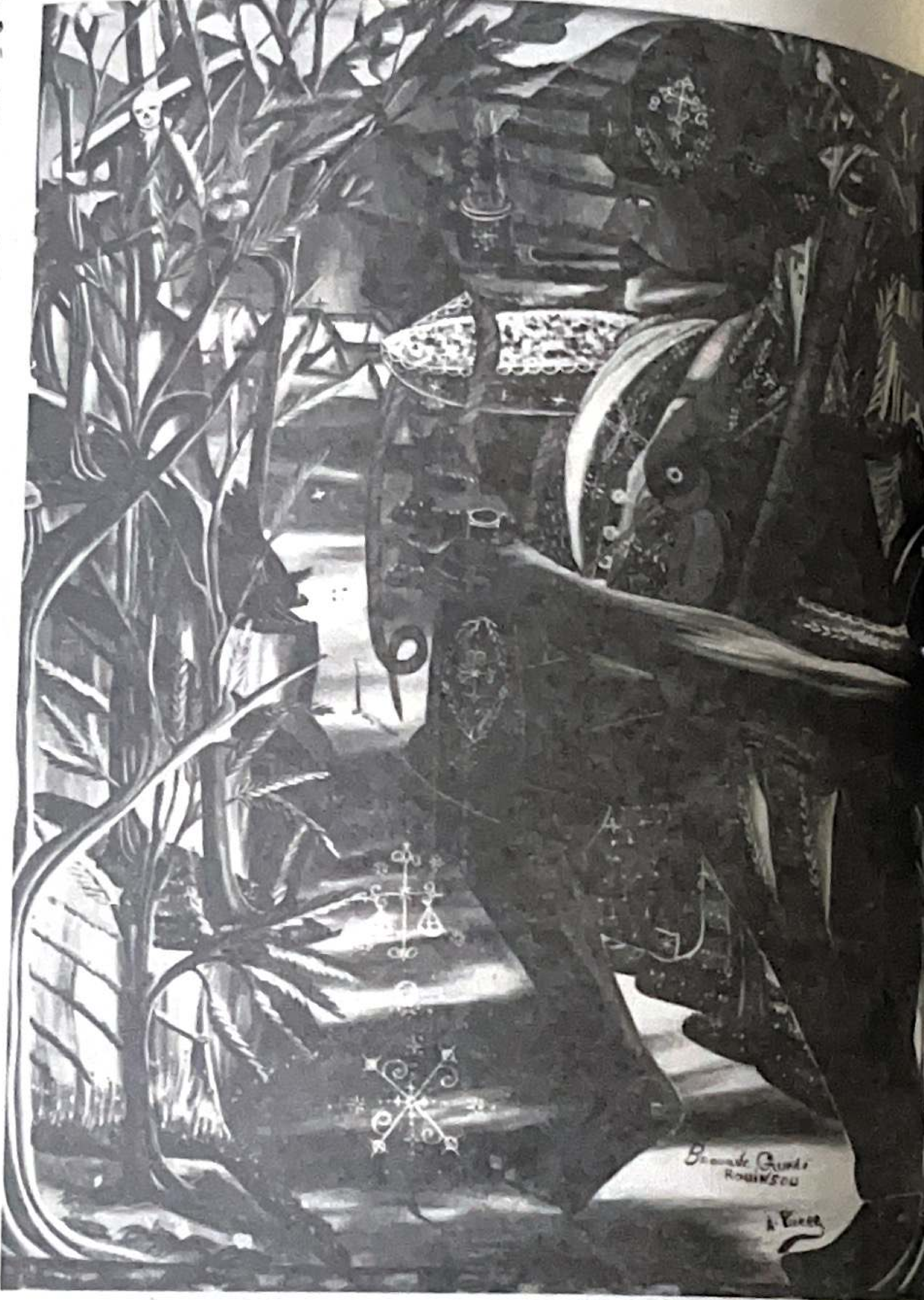
في الصفحة المقابلة واحدة من عدد من الصور بعنوان بارون سمردى بريشة الرسام الهايتى أندرية بيير الذى يعتبر واحدا من قديسى طائفة الودونية . فحسب تعاليم الودونية يعتبر بارون سمردى رئيس الأرواح المتصلة بطائفة الموتى ويرى الى اليسار أحد المؤمنين بالودونية وقد لبسته إحدى هذه الأرواح وهو يرسم رمزا سريا للروح خلال أحد احتفالات الودونية . ويرى إلى أعلى رمزا سريا سحريا للروح . وتعتبر الودونية مزيجا من المعتقدات والطقوس الدينية الكاثوليكية والأفريقية وهى شبيهة بمعتقدات « الكاندومبيل » في البرازيل و « السانتيريا » في كوبا .

العاطفية والمتنوعة للمزارع الأمريكية . فشكرا لهذا التلج في الشخصية وأساطير وتقاليد الماضى الافريقى اكتسبت قوة مدهشة حقيقية بدت في الأنماط الجديدة للسلوك والطرق الأصيلة في الشعور والأحلام والتخيل والتفكير والعمل . لقد حول العبيد النماذج المتناقضة لتراثهم الثقافى المزدوج وحتى الثلاثى (مقسودين بقوة بين عالم افريقيا وأوربا والهنود الأمريكيون) إلى نماذج جديدة مع حبكة قادرة على تشكيل وعى قومى من خلال الألم وإحياء جذور الهايتية » . وفي نهاية القرن الثامن عشر أصبحت الودونية بالنسبة لأهل « هايتى » نوعا من الدراما النفسية ونظاما للراحة النفسية يشبه النشوة . ومع قدوم رجال النهضة الذين قادوا هايتى في حرب الاستقلال تحولت « الودونية » إلى حركة لتعبئة الجماهير .

ولقد بدأ النضال من أجل التحرير في ١٩ اغسطس ١٧٩١ باحتفال تذكره سجلات التاريخ في هايتى . وفي مشهد يستحق خيال روائى قوطى تجمعت فرق موسيقية من العبيد الهاربين في جواسى كيمان (« غابة التمساح ») استجابة لنداء قائدهم بوكمان وأقسموا على الولاء لقضيتهم وسط عاصفة رعدية قوية . وبينما الريح تعصف والأمطار تسقط شرب المتمردون دماء خنزير حديث الذبح في نشوة مجنونة بينما ومضات البرق تضع توقيعا كونيا على عهدهم بأن ينالوا حريتهم أو يموتوا من أجلها . ومنذ تلك الليلة وحتى انتصر أهل هايتى في معركة فير تييرز الحاسمة في ١٨ نوفمبر عام ١٨٠٣ عاشت الجزيرة حياة طاحنة من النار والدم . وخلال مقاومتهم البطولية للعبودية لم يكن هناك عمل بطولى شجاع ولا تضحية تعظم على الجموع المتهورة وهى تناضل لتحقيق النصر الأول للحركة المناهضة للاستعمار في التاريخ العالمى .

ولازالت ظروف حياة جميع قادة هذه الحركة الرائدة المتنوعة والظروف المأساوية لموتهم تعيش في خيال أهل هايتى . وأول هؤلاء القادة نبى مسلح يدعى ماكاندال سيطر على مزارع شمال الجزيرة لمدة أربع سنوات من الرعب والاثارة حتى قبض عليه وأحرق حيا في أحد ميادين كان فرانسية . وبعد اعدامه في ٢٠ يناير ١٧٥٨ بفترة طويلة شوهدت روحه متجسده في « شجرة سائرة » أو وحدة رؤية لحيوان أليف أو أحد طيور القنص .

وبعد بوكمان عملاق جواسى كيمان الأسود جاء توسينت لوفيرتشر البطل العظيم الذى سار بسفينته وسط العواصف التى ولدت منها هايتى . فلقد كانت حركته التى اعتمد فيها على تفكيره من أجل تحرير العبيد في سان دومنجو دليلا ضد كل مداهنة . ولكنه وهو في قمة عظمته وعندما أشرف على تحقيق هذا التخطيط العظيم قبض عليه بأوامر من نابليون وأرسل بالبحر إلى فرنسا كأسير وربما يكون قد مات ذات صباح بارد متأثرا بحنينه إلى الوطن سجينا في قلعة على قمة تل في چورا .



وفي ظل خلفه الملهم ديسالينس نمت جذور جديدة على شجرة الحرية التى كانت قد دفنت تحت الجليد الأجنبى الغريب مع الرؤى المفقودة لتوسينت لوفيرتشر . وبعد عامين فقط وبعد التئام شمل الأمة سقط ديسالينس نفسه تحت وابل من الرصاص الهايتى في بونت روج . ولقد اكتمل الفصل الأخير لتلك القاطعة الاسطوالية عندما قامت امرأة مسنة نصف مجنونة بجمع أشلائه المبعثرة في موقع القتل ودفنتها في احدى الليالى المظلمة وهى تغمغم بتعويذة ذاهلة .

ويعتبر هنرى كريستوف أب آخر لهايتى . ولقد كان يلقب « بيتر العظيم المنتمى الى الشمس » وكانت سيرته تفوق الأساطير وتفيض بالحيوية على الجزيرة . وبعد تتويجه كان يلقب بابا في قصره سان سوسى عن كل يوم في السنة كما بنى قلعة لافيرير على قمة جبل وهى القلعة التى وصفها أندريه مالرو بأنها « القلعة الزاهرة » والتى لم تهاجم أبدا ولم يسكنها أحد باستثناء « أرواح الموتى الذين أعيدوا إلى الحياة بقوة غير طبيعية وهم الذين بنوها » . ولقد سمعت لأول مرة في أحد أيام عام ١٩٤٢ في احدى دور السينما في بورت أوبرنس الروائى الكوبى أليجوكار بينتير يعلق على تلك الأطلال المسكونة في محاضرة ألقت ضوءا ساطعا على روعتها المهجورة .

ولقد تحدث كاربينتيير في نغمة تعطى صدى للنغمة التى استخدمها بابلونيرودا عندما وقف عيناه على الموقع الدورانى لماكى بيكو في بيرو . لقد جرب الروائى الكوبى وهى الحقيقة الساحرة لأمريكا وهو الوحى الذى أثرى رواياته بعد ذلك وخاصة رائعته « مملكة هذا العالم » والتى استلهمها مباشرة من الهندسة والأحلام المجنونة التى حولها الملك كريستوف إبان مجده إلى حقيقة .

ولقد خلف كريستوف الرئيس اليكسندر بيتون الذى انطلق من وجود رتيب إلى حلم يتسم بالمبالغة عندما أدت المساعدة الأخوية التى قدمها إلى اللاجىء سيمون بوليفار عام ١٨١٥ مباشرة الى معركة أياكوشو (١٨٢٤) والتى تعتبر نقطة الذروة في نضال أمريكا اللاتينية من أجل الاستقلال عن أسبانيا . ويرجع الفضل إلى بيتون في أن هايبتى أصبحت بسبب يد الترحيب التى مدها إلى بوليفار (وكانت أحيانا تحتقر باعتبارها إحدى الصلات الفقيرة لعالم الهسبانو الأمريكى) أول دولة في نصف الكرة الغربى تعطى لجيرانها التأييد الحالم من أجل تضامن الشعوب .

ودولة تدخل تاريخ الأمريكتين وهى تقدم تلك الهبات الرائعة لابد وأن تتوقع أن ترى دلالة تقدمها الموجات الانعاشية للروعة والواقعية . وفي عام ١٩٢٨ نشر عالم الانثولوجيا چين برايس مارس دراسته الكلاسيكية للفن الشعبى الافريقى الهايبتى التى ميزت ظهور شكل جديد من أشكال تبرير خصائصنا وقيمنا القومية ولقد بدأ رجال مثل نورمل سايلڤان وچاك رومين واميل رومير وكارل برورد وليون لالو وفيليب ثوباى مارسيلين وضع طريق جديد للتعبير في الشكل الأدبى عن مشاعر أهل هايبتى والصعوبات التى يواجهونها في حياتهم ..

ومن الأعضاء الآخرين البارزين في تلك المجموعة الرائدة چين . ف . بريير و ف . موريو ليروى وروسان كاميل وكليمنت ماجلوار سانت أود . وبالاضافة الى الكتاب السابقين ظهرت جذوة من الخيال تمثلت في رينيه بيلانس وبول لاراك

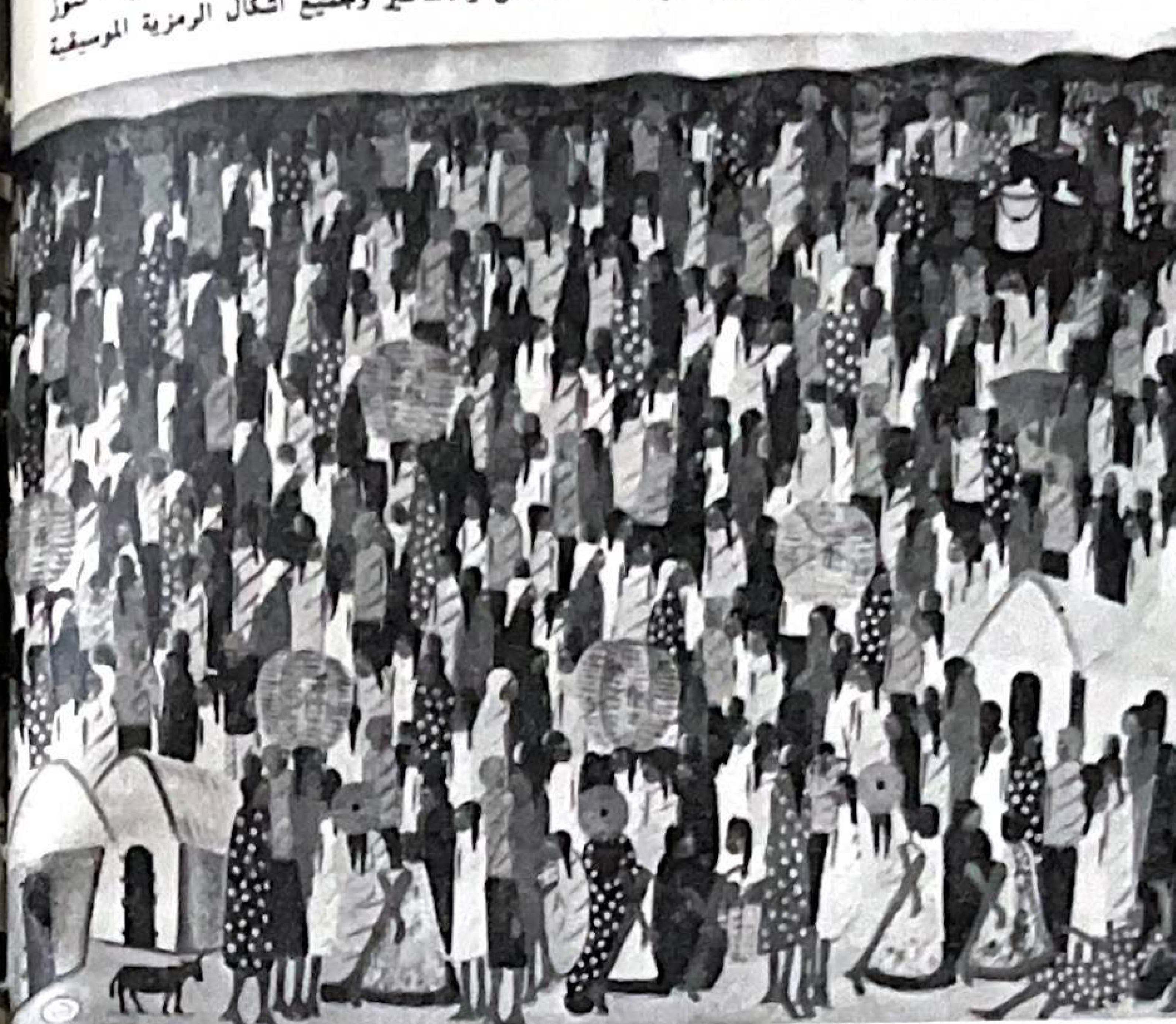
تحت أسم اسياد الندى Masters of the Dew
وغيرهم من الأعمال الأخرى Compere General Soleil
القوية نسج الكتان صورا رمزية غنية للصراع من أجل حياة أفضل في هايبتى تصور رقة وجمال الحياة اليومية من خلال الامتزاج الملهم بين الواقع والخيال . ولقد عرف اليكيس أهمية البحث الهايبتى من أجل الشخصية من خلال الأدب .

الشىء الخيالى الذى يضمنه الشعب تجربته ويعكس من خلاله مفهومه عن العالم والحياة وعقيدته وأمله وثقته في البشرية وفي شكل رفيع من العدالة . ولقد دعا الشعراء والروائيين والموسيقيين والرسامين في بلده في بيان رسمى مؤثر لأن يستخدموا « كنوز القصص والأساطير وجميع أشكال الرمزية الموسيقية



تزدهر بسرعة في الفن والأدب .. فإذا كان ذلك لم يحدث فتلك احدى التناقضات التى تتضمنها قصدتنا . فالقبضة الاستعمارية لم تنزع كلية من الهيكل الاجتماعى لهايبتى كما أن الاتجاهات الاستعمارية عادت لتؤثر بقوة على الحياة والقواعد الجمالية لأهل الفكر والفن الوطنيين ولقد جمدت تلك الأفكار التى نشطت من جديد والتى كانت من سمات العبودية . لمدة سنوات الشعور بالروعة الذى كان من الممكن أن يعيد الحيوية إلى ثقافتنا . ولقد كان فنانونا المبدعون الأوائل في القرن التاسع عشر محاكين للنظريات الأدبية والمفاهيم التى كانت تتعارض كلية مع حقيقة الحياة في هايبتى ومع الأحلام التى شكلها الوعى الشعبى في أساطير وقصص خرافية والقصص من الأدب غير المدون . ولقد بدأ بحث هايبتى عن شخصية فنية حقيقية بشعر « أوزوالد ديوراند » و « ماسيلون كواكو » وبنشر « فردريك مارسيلين » « وجستين ليرسون » « وفيرناند هيبرت » « وأنتونى انو سينتب » . لقد كان هؤلاء الرجال أول من بدأ في تفجير ينابيع الابداع الهايبتى الأصيل ..

ولكن لم يحدث قبل عام ١٩٢٧ عندما كانت هايبتى تحت الاحتلال العسكرى أن أعطى جيل آخر هذا البحث التجريبى عن الشخصية اتجاها واضحا بين



سوق في الهواء الطلق بريشة كازيمير لورنت وهو واحد من أحسن الرسامين المعروفين في هايبتى

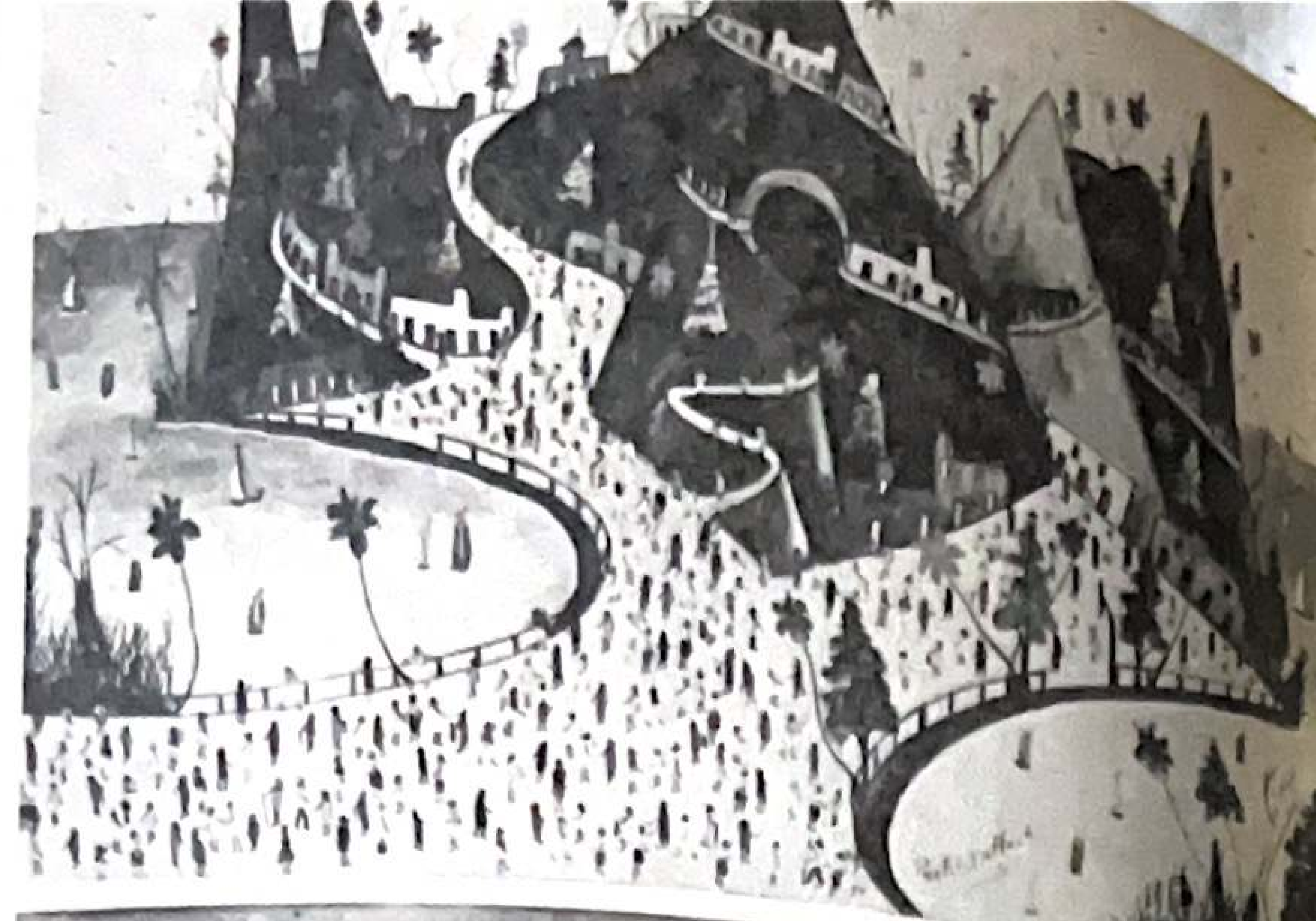
وادريس سانت أماند وجاك ستيڤن أليكس ومارى سوڤيت وروجر دورسينفيل مولوسيان ليسوان وغيرهم ممن أظهروا سواء في الشعر أو الرواية « امكانية تحقيق التكامل الديناميكى بين الحقيقة والخيال » ولازال نفس التهيج المصاحب للصفة الغنائية في الشعر يبدو في القطع الغنائية المدهشة لكتاب مثل دالير تيج وأنتونى فيلبس وجورجى كاسيترا واميل أوليفيير ورينيه فيلوكتيت وغيرهم . وفي نفس الوقت نشر أعضاء الجيل الصاعد من المبدعين انطباعاتهم الصريحة في أعمدة مجلة تسمى لو بيتيت ساميدى سوار Le petit Samedi Soir « هكذا نبذت هايبتى في النصف الأخير من قرن التقليد والمحاكاة للنظم الجمالية المستوردة وغامرت بجرأة عبر طريق يؤدى الى الحقائق والغموض يضيئه توهجها الداخلى وتساندة جذورها التاريخية ..

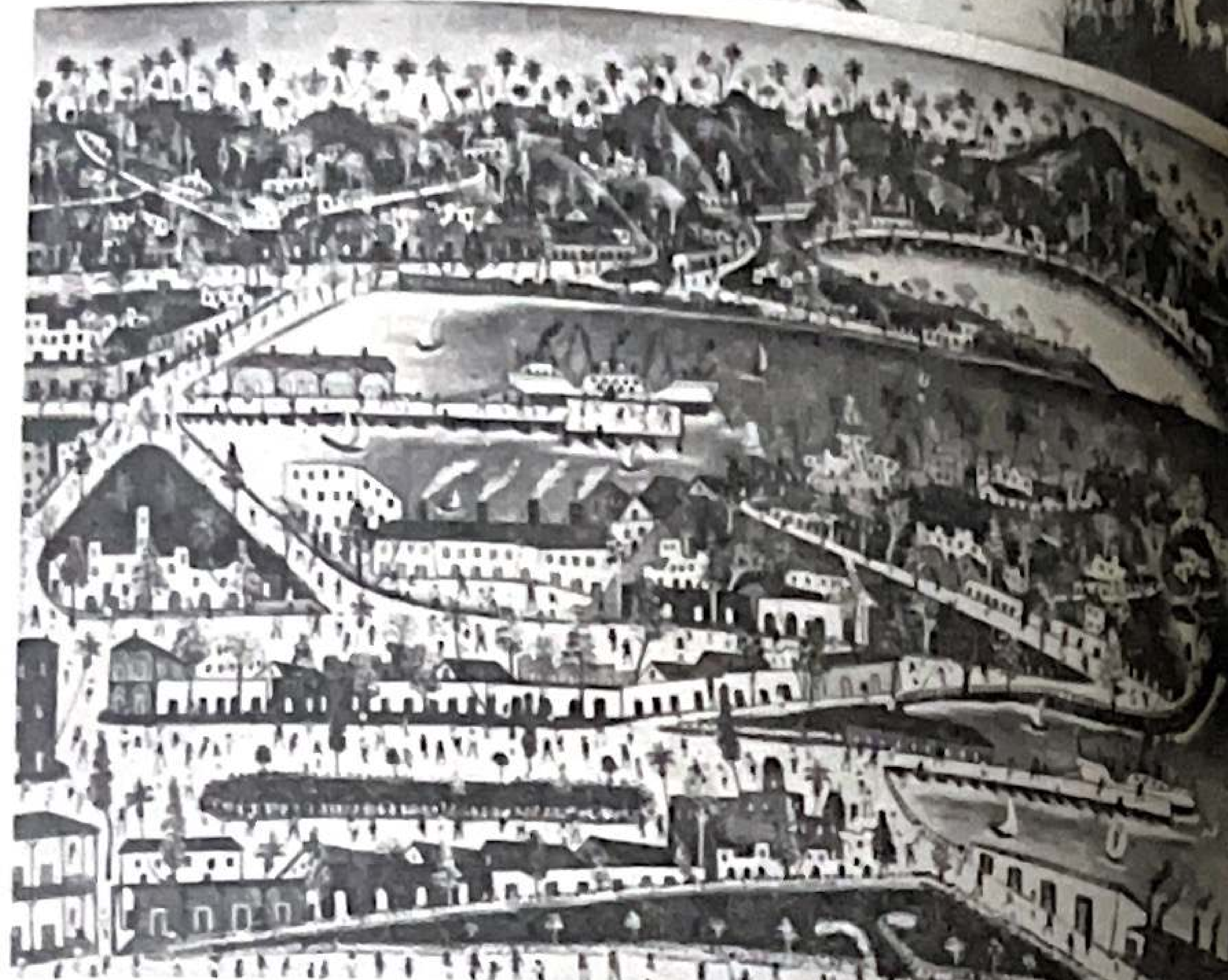
ومن رواد تلك النهضة بلا منازع جاك رومان وجاك ستيفن اليكس . ففى روايات اخرى (التى نشرت بالانجليزية Gouverneurs de la Rosée

والراقصة والتشكيلية وجميع أشكال الفن الشعبى الهايبتى لمساعدة الأمة على حل مشكلاتها والقيام بالأعباء التى تنتظرها ..

ولقد كان الرسامون في هايبتى أكثر الفنانين تحقيقا للبرنامج الجمالى الذى وضعه رومان واليكيس . فلقد نجحوا بطريقة تشبه الأعجوبة في التعبير بالرسم عن الاحساس الغريب لأهل هايبتى بالنغم . ومن خلال مجموعة من الاشكال والألوان وجهوا الوعى الهايبتى الى المركز المتوهج للشخصية الهايتية ..

وفي أحد أيام نهاية عام ١٩٤٣ ودع استاذى للغة الانجليزية في لايسى بيتون فصلى . وكان من مواطنى امريكا الشمالية ومن أصل هولندى ديويت بيترز . لقد ترك مهنة التدريس ليؤسس مركزا للفن في بورت أوو برنس . ولقد كان ذلك يبدو مشروعا عظيم الطموح وتحقق بالفعل في ١٤ مايو ١٩٤٤







بافتتاح أول معرض للرسم الهايبتى لم يكن يظن أنه بالامكان تنظيمه . وأخيرا وجد السحر والواقعية في هايبتى لغتهم والهامهم في الفنون المرئية ! لقد انغمس الفنانون في أعمال الخيال الشعبى ونظموا الشعر في تقلبات « الحلم الهايبتى » الذى تصوره القصص البسيطة التى تسعد أطفالنا وبدأوا في تحويلها الى مساحات فسيحة من الألوان والأشكال الزاهية . ومن خلال الأعمال التى كانت بمثابة تعويذة للعدالة والتى كانت تتجاهل برقة الاهتمامات الأكاديمية والبلاغية . سقطت قطرة الندى التى كانت ترتعش لقرون طويلة من شجرة المعاناة وأصبحت هايبتى حدثا في تاريخ الفن العالمى ..

وتضم بعض الشخصيات القائدة في تلك الحركة ، هيكتور هايبولايت وفيلومى وسينيك أوبن وريجود بينوات وكاسيترا بازيل وولسون بيجود والجيراند چورج ولوليرتشر بواسون وبريفيت ديوفوت ومسيوس استيفان وأندريه بيير وفيليب أوجست وسانت بريس وجاسمين جوزيف وديودونى سيدور وأنتونى جوزيف ولكر لازار ولوس تيرنيير وماكس بنشينات وج شيرى وبيرنارد وا . ودالبرتيج وليونتوس ورولاند دورسيلى ومنيام كاييست . ولكن هذه القائمة ليست كاملة فهناك مهارات لامعة لكثير من الأيدى الأخرى ساعدت على بزوغ فجر ابداعى جديد لهايبتى .

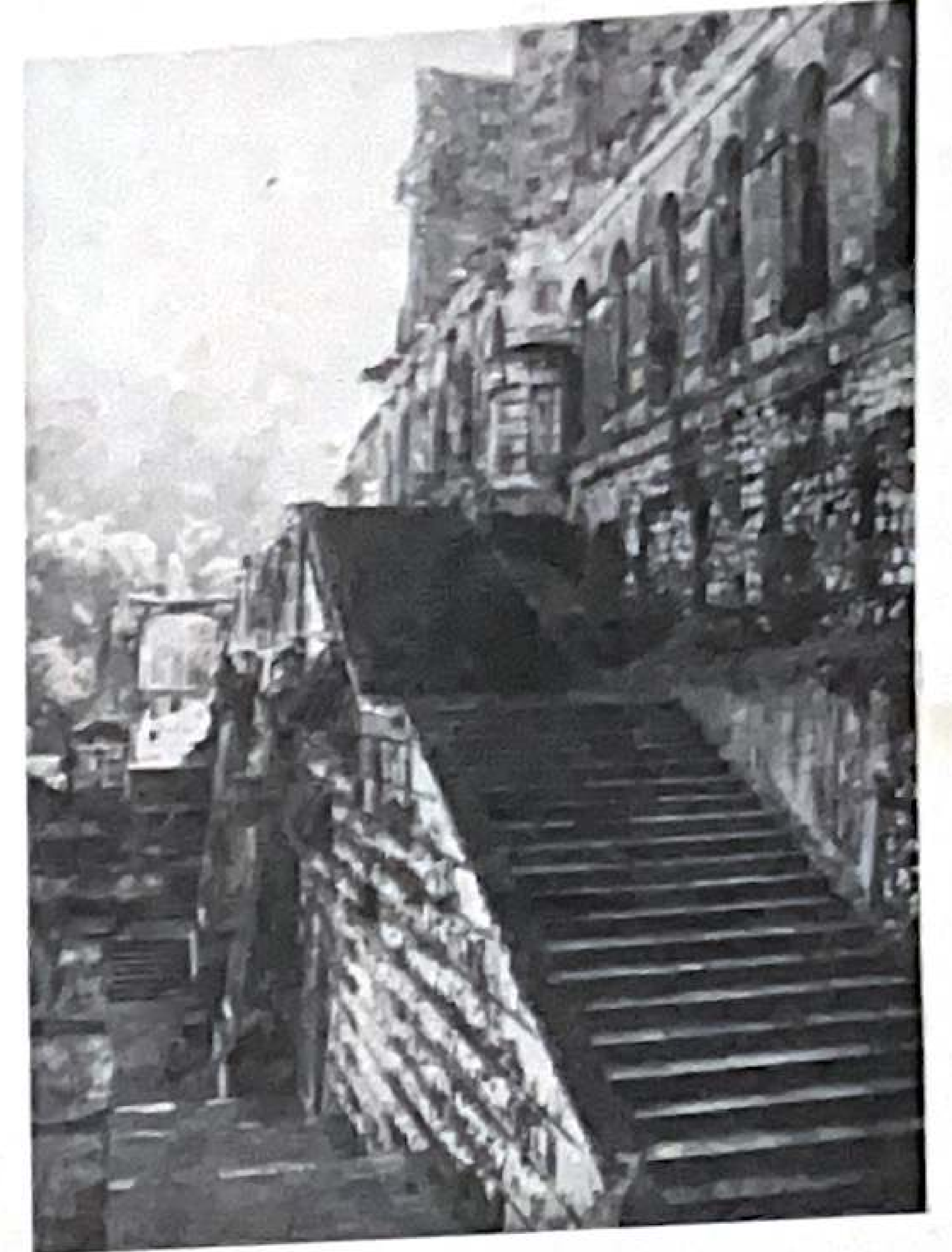
وقد يكون الفنانون المبدعون في بلدنا وخاصة رسامونا البسطاء يمتلكون مواهب مكنتهم من تصوير عالم الحيوان والخضروات والمعادن وكذلك أكثر احلام المجتمع سرية . لقد منحوا هذه المواهب لكى يعبروا برقة وتكامل عن كل شىء في جزر الكاريبى الفاتنة بطريقة تبهر وتسعد العين والقلب وتخلق عالما يمكن أن تزدهر فيه العلاقات الانسانية الى الأبد في الشعر والاحساس بالعزة ..



يبدو (في أعلى الصفحة) أحد المناظر الطبيعية (وفي الوسط) منظر يمثل الودونية وهى جزء من سلسلة بريفيت ديوفورت « للمدن الخيالية » والتى استلهمها من مدينته الأصلية جاسيل . ويرى إلى اليمين حفلة راقصة في « بورت أوو برنس » بريشة ريجود بينوات وهو فنان معروف بدقته الشديدة في رسم النقوش

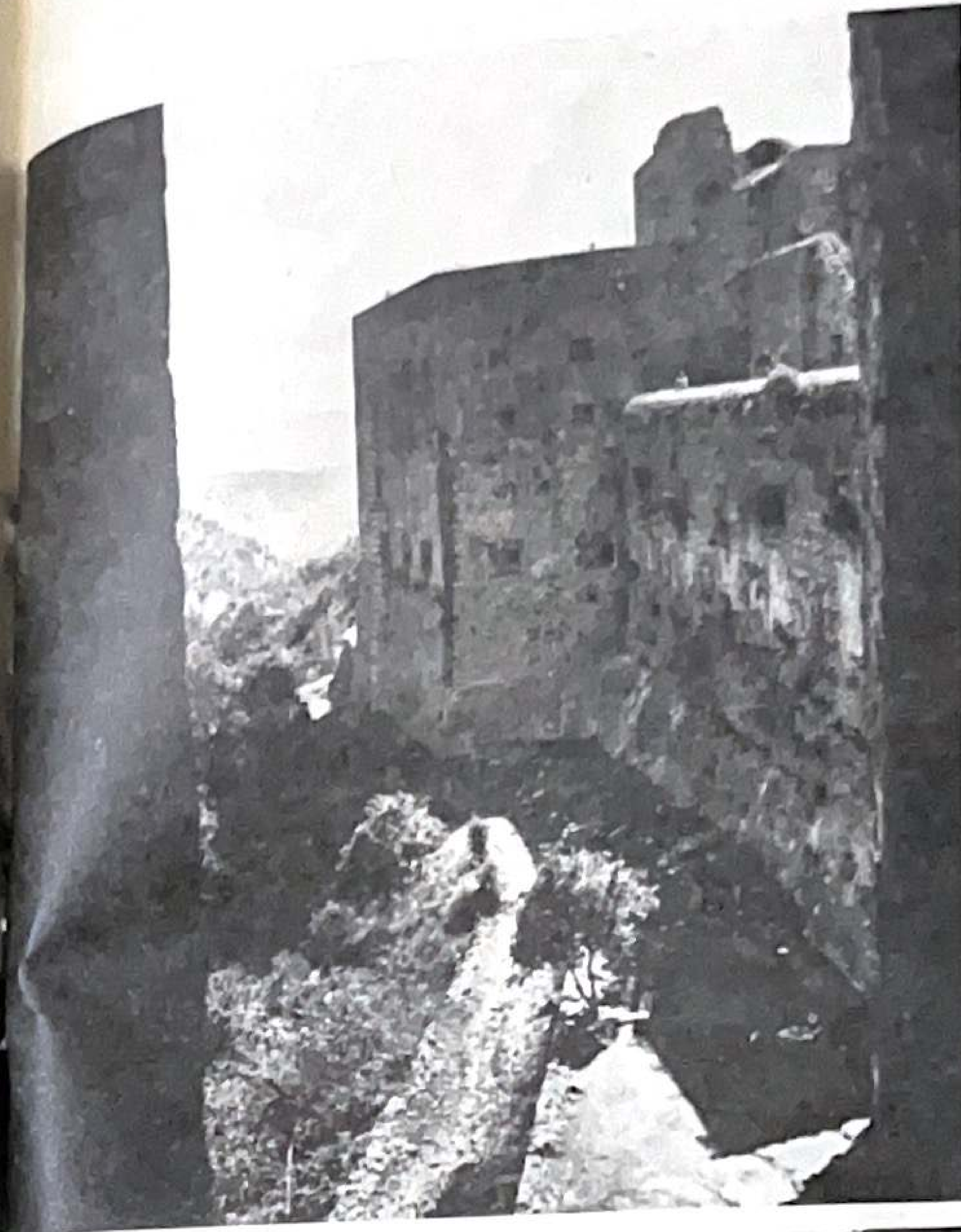
أحيـــــاء أمـــــلاك الملك كريستوف

عقب هزيمة الفرنسيين في معركة فيرتييرز طالبت هاييتى باستقلالها في اول يناير ١٨٠٤ وبذلك اصبحت اول جمهورية مستقلة سوداء . ولقد بدأ أحد القادة المتمردين المنتصرين وهو الجنرال هنرى كريستوف (١٧٦٧ ـ ١٨٢٠) بناء قلعة كبيرة فوق بيك دى لا فيرير التى تبعد ٢٨ كيلو مترا جنوب شرقى كاب هايتيان . وبعد ذلك بسبع سنوات نادى بنفسه ملكا وبدأ بناء قصر سان سوسى . هذا البناء الشامخ المحاط بالحدائق الرائعة خصص للأسرة المالكة والضباط الاداريين الرئيسيين في المملكة . وفي عام ١٨٢٠ انتحر كريستوف بعد اصابته بضربة جعلته نصف مشلول بجانب مواجهته عصيانا مسلحا . وقد اكتسح المتمردون القصر . وفي عام ١٨٤٢ أصيب القصر والقلعة بأضرار بالغة بسبب وقوع زلزال . وفي عام ١٩٧٧ قررت حكومة هاييتى احياء القصر والقلعة وانشاء حديقة قومية تاريخية . ولقد ساهمت اليونسكو في المحافظة على تلك الآثار الثقافية والتاريخية الهامة بتخصيص خبراء لدراسة التخطيط الاصلى للمبانى وتقديم ارائهم بالنسبة لحمايتها والابقاء عليها واحيائها .



منظر يوضح المدخل [illegible] الأول إلى قصر سان سوسى ويشمل القصر والحدائق والمبانى الادارية [illegible] مدرجة بطريقة طبيعية شكلتها الجبال المحيطة بها [illegible] معظم لامدادات المياه بعدد الناعورات العديدة الموجودة في الأرض بالاضافة إلى توفير المياه للأغراض العادية

(تصوير اليونسكو)





المبنى الرئيسى لقصر سان سوسى كما هو قائم اليوم . ويمثل هذا الجزء من القصر محل اقامة الأسرة المالكة .

(تصوير دى مورجحوك . باريماج باريس)

تطل قلعة لافيرير التى بنيت لتحمى كملجأ أخير في حالة الاحتلال الشمالى لهاييتى . والقلعة مسلحة بـ ٣٦٥ مدفع . ولقد صممت القلعة كحصن لـ ٢٠٠٠ رجل ولكنها يمكن أن تسع ضعف هذا العدد في وقت الطوارىء بسهولة . ويقال إن ٢٠ ألف عامل قد استخدموا لبنائها الذى استغرق تسع سنوات .

(تصوير لوره اكسانتون . باريماج باريس)

صورة للملك كريستوف بريشة ريتشارد ايفانز وقد ولد الملك في عصر الاستعباد في جزيرة جريناوا . وقد أصبح أحد أبطال النضال من أجل الاستقلال ونادى بنفسه ملكا لشمال هاييتى عام ١٨١١ وحكم باسم الملك هنرى الأول حتى أكتوبر ١٨٢٠ وبدلا من الاستسلام للقوى المتمردة أطلق النار على نفسه برصاصة فضية .

(تصوير : خدمة المحافظة على المواقع والآثار التاريخية . بورت ـ أو ـ برنس



نظرة عالمية للتاريخ

بقلم : جيوفرى باراكلف

عندما طلب منى منذ سبع سنوات مضت أن أخطط وأشرف على تحرير أطلس جديد لتاريخ العالم (١) ولقد كان التحدى مثيرا لدرجة لا تقاوم . فالأحداث العظيمة لجيلنا مثل انتهاء الامبراطوريات الاستعمارية والثورة الصينية وتحرير اسيا وافريقيا والوضع المتغير لاوربا في العالم قد غيرت تماما نظرتنا للماضى . ولقد بدأت العملية عام ١٩٦٣ بست مجلدات عن تاريخ البشرية نشرتها اليونسكو حاول فيها عدد من المؤرخين أن يضعوا الأبعاد الجديدة ولكن هل كان من الممكن بيان تلك الابعاد بطريقة مرئية وتصويرية ؟ هل يمكننا أن نستخدم الخرائط بطريقة تنقل مسرحية التاريخ البشرى الى جيل يتجاوب مع تأثير الصورة المرئية مع الكلمة المكتوبة ؟

اذا أردنا النجاح في مهمتنا فهناك شيئين ضروريين . أولا لابد أن ننظر نظرة جديدة تماما لسياق ومضمون التاريخ ونفكر مرة ومرة أخرى فيما يعتبر هاما ويستحق التسجيل وما لا يعتبر كذلك ثانيا يجب أن نترجم هذه الأفكار الى حقيقة وفي النهاية يعتمد كل شىء على التقديم المؤثر والاستخدام الخيالى لفن صناعة الخرائط

دعنى اعطى مثالا واحدا فقط على نتيجة هذا التزاوج بين الأفكار الجديدة وصناعة الخرائط المرنة الفنية لقد أعلنت بمحض اختيارى في احدى المراحل أن خريطتنا الخاصة بـ « انتشار الاسلام » يجب أن ترتكز على مكة حيث تعتبر مكة قلب العالم الاسلامى وعندما انتهى العمل لم يكن هناك من هو اكثر دهشة منى فلقد تغير مفهومى المتوارث عن انتشار الاسلام . ورأيت في الحال أن تقدمه في الشرق كان أكثر اهمية بمراحل من تقدمه في الغرب وأن معركة بواتيارز (الشهيرة في التراث الأوربى الغربى) عندما قضى

الكاتب ، جيوفرى باراكلف أحد مؤرخى العصور الوسطى وكان استاذا شيليا سابقا للتاريخ المعاصر وزميلا بجامعة اكسفورد . وهو مؤلف العديد من الاعمال التاريخية الهامة التى تتضمن ، مقدمة للتاريخ المعاصر ١٩٦٤ وأوربا الشرقية والغربية في العصور الوسطى ١٩٧٠ والاختيار القاسى لاوربا ١٩٧٦ .

(١) الاطلس العالمى للتايمز الذى يعتبر الاستاذ باراكلف رئيس تحريره العام . ولقد نشر في سلسلة التايمز للكتب لتمد لندن وسوف تنشر طبعات من الاطلس بالالمانية والايطالية والفرنسية والهولندية واليابانية خلال عام ١٩٧٩ .

شارليس مارتن الحاكم الفرنجى على الهجمة العسكرية على الغرب كانت تبدو في أعين المسلمين اكبر قليلا من مجرد حادث صغير على الحدود

وسوف يجد أى شخص يطلع على الأطلس أن هناك صحائف لا تحصى تبدو فيها الأشياء التى كانت تبدو مألوفة وقد أخذت فجأة ابعادا جديدة نتيجة لمهارة صانع الخريطة . فما هو أكثر من ذلك يمكن للمرء أن يطلبه من أطلس لتاريخ العالم ؟ لقد كان هدفنا وضع بناء من المعرفة بغرض استثارة خيال القارىء وجعله أو جعلها يفكر مرة أخرى في معنى تقدم الانسان عبر العصور

لقد كانت مهمتى الأولى كواحد ممن ساهموا في وضع الأطلس ـ والذى كنت أعتقد لفترة طويلة أنها عملية غير ممكنة ـ هى ايجاز كل التاريخ البشرى في ١٣٧ صحيفة كبيرة مزدوجة لقد كانت لدى في البداية فكرة طيبة عما كنت أفعله فلقد كنت أعرف أن لا يوجد أى اطلس تاريخى يعطى معنى في عالم اليوم يمكن أن يركز على أوربا بالطريقة التى تتم في معظم الأطالس التاريخية التقليدية .

ولقد قررت منذ البداية أن اوجد توازنا بين القارات دون أن أجعل حماسى يتغلب على فأقلل من التأثير الأوربى ثانيا لقد كنت أعرف أن الخرائط لابد وأن تظهر دناميات التاريخ فهى يجب الا تكون مجرد صور جامدة لمواقف معينة لأزمان معينة . ثالثا يجب أن يكون أطلسا تاريخيا بمعنى أنه يجب أن يعطى اهتماما لما كان هاما (حتى ولو كان منذ ٥٠٠ أو ١٠٠٠٠ سنة مضت) وليس فقط لما هو هام الآن . ومعنى ذلك اننا قررنا مثلا أن نعطى وزنا عادلا لجميع الحضارات مثل الحضارة العثمانية العظيمة أو المغولية في الهند أو الامبراطورية البيزنطية التى لم يعد لها أى أهمية حاسمة اليوم .

ومن ناحية أخرى فقد حررنا مرور الكرام على كثير من الاشياء التى تمثل ثقلا في التاريخ القومى . وهناك مثال على ذلك تعرضنا بسببه للنقد هو أنه رغم نشر الأطلس لأول مرة في لندن الا أنه لم يذكر على وجه الخصوص هاستنجس التى تعتبر نقطة تحول في تاريخ انجلترا . ولقد كانت اجابتنا أننا لا نتناول تاريخ انجلترا ولكن تاريخ العالم .

لقد كان من السهل بطبيعة الحال أن تقرر ما يمكن حذفه أكثر من تقرير ما يمكن تضمينه فقد قضيت عدة شهور عام ١٩٧٢ أدرس الاطالس التاريخية الأولى وفي بداية عام ١٩٧٣ بدأت في وضع خطة موضوعية لقد بدأت العمل دون تصور سابق لتاريخ العالم . ولقد بدا لى أنه من المهم أن أؤكد أنه يوجد منذ فجر التاريخ روابط بين الحضارات المختلفة وبين الجماعات الثقافية المختلفة (حيث أن خريطتنا توضح « الطريق الحريرى » الذى يربط بين الصين وشرق البحر المتوسط عبر وسط اسيا) ولكننا بذلنا عناية كبيرة لكى لا نوحى بأن هناك خيطا واحدا أو عملية تاريخية واحدة تربط جميع البشرية ومع ذلك فليس هناك من يستطيع اذا كان يفكر بجدية في تاريخ استراليا أو الصحراء الافريقية أن يقر وجهة النظر هذه فالأطلس أو على الاقل التفكير فيما وراء الأطلس يتسم بالواقعية وليس الأيديولوجية ومن ثم فهو ليس بالتأكيد تخطيطا .

ومهما يكن امرا فان من الأمور الحقيقية أيضا

... ماركس منذ مدة طويلة) أن أى محاولة للنظر بموضوعية لتاريخ العالم لم تستطع « تجنب الفذلكات » . فاذا رجعت بذاكرتى الى الوراء متأملا أعتقد أن هناك فذلكتين رئيسيتين تحددان وانتاج الأطلس تتعلق الفذلكة الأولى بأن النظرة التى تعامل الريمسالة عام التى تقع بين التقليدية حاما وليتين (كما ورد في كلمات المؤرخ الانجليزى المعروف أ. هـ . كار) وهى باعتبارها التاريخ العالمى وكل شىء ما عداها يعتبر . محور . يعتبر » تشويها سيئا للعلاقات النسبية بين هامشيا » . وهكذا كانت محاولتنا ايجاد توازن بين الأشياء » أو العصور السبع المختلفة التى قسمنا الفترات اليها ثانيا كان الموضوع الرئيسى بالنسبة الأطلس البشرى والمشترك بين البشرية جمعاء هو للتاريخ للسيطرة على الطبيعة والتزاع أساليب العيش النضال بيئة شنيئة ويعد هذا النضال جوهريا لأنه من الأنظمة السياسية والاستجابات السبب في ظهور الثقافية المختلفة .

كما يعد هذا النضال هاما أيضا في تخطيط مشروعنا لأنه يعطينا مفهوما لتقرير ما هو المهم وما هو غير المهم من منظور عالمى ولأنه يوجه التركيز بصفة خاصة من أحداث على المستوى القومى أو المحلى تؤثر فقط على شعب واحد أو جماعة عرقية الى حركات شاملة مثل الثورة الزراعية القديمة التى شملت جميع الحضارات أو البشرية جمعاء .

وهذا هو السبب في أنه بدلا من معالجة التفاصيل المتشابكة للتاريخ السياسى لأوربا الاقطاعية الأولى .

فقد خصصنا بدلا من ذلك صحيفة كاملة لنهضتها الاقتصادية في الفترة ما بين ٩٥٠ و١١٥٠ وهى النهضة التى وضعت الأسس لعصر الكاتدراليات والجامعات العظيمة ولقد بدأ ذلك لنا أهم جانب سواء على المدى القصير أو البعيد

وفي اطار تلك الخطوط الارشادية العريضة كانت المبادىء التى بنى عليها الأطلس تبدو ومن حيث النظرية على الاقل بسيطة جدا ولقد كان المبدأ الرئيسى كما أشرنا من قبل هو تجنب « التركيز على اوربا » فلقد كانت أوربا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر كما كان « كوام كروماه » يعبر دائما في حالة ركود بالمقارنة مع مالى وشنغهاى ولذلك فقد أبرزنا جامعة تيمبوكتى بنفس القدر الذى أبرزنا به جامعة باريس أو أكسفورد كذلك فلقد كان من المهم تخصيص ست صحاف كاملة (أو سبعة اذا اعتبرنا الصحيفة الخاصة بمصر القديمة) من ١٣٧ صحيفة لافريقيا وحدها بجانب عدد لا يحصى من الصحائف التى ظهر فيها شمال افريقيا كجزء من الامبراطورية الرومانية أو كجزء من العالم الاسلامى ومن الممكن أن نقول بثقة أن اى أطلس عالمى اخر لم يعط أهمية لافريقيا قبل قدوم الاوربيين ويعتبر ذلك شيئا مميزا للجهد الذى بذلناه لكى نأخذ نظرة عالمية واقعية للتاريخ .

ومهما يكن من أمر فقد تجنبنا التجديد من أجل التجديد كما اننا لم نتجنب مزيدا من الخرائط التقليدية فالناس يريدونها وفي حاجة اليها فقد ضمنا الاطلس على سبيل المثال خريطة عن ظهور المملكة الافرنكية وهو موضوع تقليدى في جميع أنواع التاريخ الاوربى ولكننا قمنا بموازنة بين هذه

الخريطة وخريطة عن العالم الأوراسى عام ٨١٤ لنبين وكيف كانت الامبراطورية الافرنكية غير هامة نسبيا في ذلك الوقت بالمقارنة مع تانج في الصين والخليفة العباسى والامبراطورية الرومانية الشرقية في بيزنطة

وتتضمن جميع الأطالس خريطة توضح التوسع الغربى من جانب الولايات المتحدة في الفترة ما بين ١٧٨٥ و ١٨٩٠ . ولكننا قمنا بموازنة هذا التوسع بخريطة توضح توسع المستوطنين البيض من وجهة نظر السكان الهنود البدائيين أصبح التوسع بالنسبة لهم انكماشا واصبح الرخاء فقرا والحرية سجنا ولقد ضمنا الأطلس الخريطة العادية للاستعمار الاوربى فيما بين ١٨٩٠ و ١٩١٤ فلقد كان ذلك يعتبر بكل المقاييس حدثا رئيسيا في التاريخ العالمى ولكننا استكملنا هذه الخريطة بصحيفة عن « رد الفعل المناهض للاستعمار » في اسيا وافريقيا فيما بين ١٨٨١ و ١٩١٧ والذى اعتقد انها خريطة فريدة في نوعها وهذه طريقة أخرى حاولنا فيها أن نضع أحداثا مألوفة بمنظور جديد .

وفي نهاية التقرير هل أنا راض عن الأطلس كما هو ؟ ان الاجابة مزيج من الايجاب والنفى فأنا اعلم انه غير كامل فعملية الضغط ـ والعملية غير الممكنة تقريبا لاحتواء كل تاريخ البشرية منذ العصر الثلجى الى العصر الصعب والعالم المقسم الى دول فقيرة ودول غنية نعيش فيها في نطاق ١٣٧ صحيفة ـ تعوق تحقيق الكمال .

وبعد اكتمال الأطلس فاننى احس ان شعوبا معينة مثل سكان ويلز مثلا لم تأخذ حقها من الاهتمام كما كانت تود وقد ينطبق نفس الشىء على الكويبيك والاكراد والأرمن وغيرهم بدون شك .

ومهما يكن من امر فاننا نعتقد ان الاطلس قد وضع معيارا جديدا ونحن نامل ان يحقق هدفه من تحقيق العدالة دون تعصب أو تفضيل للانجازات التى قامت بها جميع الشعوب في جميع العصور وفي جميع انحاء العالم .



انتشار الاسلام :

منذ صباح اليوم الذى توفي فيه النبى عام ٦٣٢ انتشر الاسلام خلال قرن من الجزيرة العربية وعبر جبال البرانس حتى حدود الهند . ولقد كانت انتصاراته شرقى مكة تفوق بكثير انتصاراته غربى مكة من حيث الحجم والأهمية . ومنذ عام ٧٥٠ اكتملت المرحلة الأولى من التوسع . وأصبحت الخلافة العباسية تمثل أكبر حضارة غرب الصين .

روجر كايوا

حزن الكتاب والعلماء في جميع أنحاء العالم عندما علموا بموت روجر كايوا في باريس في ٢١ ديسمبر ١٩٧٨ . ولم يكن الاحساس بفقده في فرنسا فقط حيث عمله واهتماماته في مجال علم الاجتماع والسريالية والنقد والأدب التى جعلته يرتبط بالأكاديمية الفرنسية ولكن أيضا في اليابان والبرازيل (التى انتخبته أكاديميتها ليشغل الكرسى الذى كان يشغله اندريه مارلو) والأرجنتين حيث له أصدقاء عديدين ساعد في نشر فكرهم وأعمالهم في أوروبا لقد احست الأوساط الأدبية والثقافية بفقده بعمق .

ولقد ارتبط حب استطلاع كيلواس بمنهل غنى من المعرفة أمتد ليحتوى فروعا فكريا شتى . لقد كان يهتم بالاحلام والألعاب والشعر والاحتفالات والأقنعة والفراشات والاحجار . كما استحوذت الدراسات الاحصائية للسكان ونظرية المعرفة والاقتصاد السياسى أيضا على اهتمامه . ولقد عمل مديرا لقسم التطور الثقافي في اليونسكو (١٩٦٨ - ١٩٧١) كما عمل لمدة ستة وعشرون عاما كرئيس لتحرير المجلة الدولية للدراسات الانسانية « ديوجين » . ولقد اهتم بصفة خاصة بتقديم صورة لعالم مختلف من الثقافات والتطلعات الانسانية وانجازات العقل البشرى من خلال كتاب مصور عن الحقوق الانسانية ومن خلال مجموعة اليونسكو من التراجم للأعمال البارزة في الأدب العالمى .

لقد أنفرد روجر كيلواس بمحاربة التفتيت . ولقد أدى ذلك به إلى رفض التخصص . وفي رأيه يعتبر التخصص تقسيما مذموما للثقافة المحضة يؤدى في النهاية إلى اهمال منبع جميع العلوم ألا وهو البشرية . هذا هو ما توصل إليه خياله المبدع لقد قدم كيلواس عنصرا للمواجهة على الأقل إذا لم يكن للوحدة لعلاج « التفتيت المغلق » للأخصائيين الذين أكدوا أصالة ميادينهم التى لا يمكن الانتقاص منها . فبدلا من التخصص المفرط لتلك البحوث المفتتة فإن كيلواس ذهب لأبعد من فكرة تعدد الجوانب وقدم ما أطلق عليه العلوم القطرية ، ويعنى بذلك ليس فقط تحليل ظاهرة واحدة باستخدام الطرق المتخصصة لكل علم (ضرب كيلواس مثالا بموضوع يدرس على مراحل ولكن بطريقة منفصلة على يد متخصصين الكيميائى وأخصائى المعادن والمؤرخ والأقتصادى والفنان الجمالى) ولكن بظهور شكل جديد من الفهم التعاونى المفتوح على مستويات مختلفة . ولقد ذهب في أعماله التى نشرت أخيرا بعيدا مع نظرته الحالمة للعلم والعالم إلى المدى الذى أنشأ فيه روابط رسمية ومستترة بين الأحجار والأحلام والروح والشىء الحى وبين الخيال الحر الصدالة العلمية .



هذه الجرأة وهذا التهور الذى كان هو نفسه يصفه « بالجنون » كانت دائما تحكمها صرامة غير متساوية .

إن اختفاء روجر كيلواس يعتبر فقدا لا يمكن للعلوم الانسانية في وقتنا الحاضر أن تعوضه بسهولة .

چين دورميسون
بالاكاديمية الفرنسية

رف الكتب

RECENT UNESCO PERIODICALS

• **Violence** is the major theme of Unesco's quarterly **International Social Science Journal** (Vol. XXX, No. 4, 1978). Each issue 23 F; subscriptions 70 F for one year or 116 F for two years.

• **Latin America and the Caribbean: Identity and Pluralism** is the theme of Unesco's quarterly **Cultures** (Vol. V, No 3, 1978). Subscription 75 F for one year or 125 F for two years.

• **Development and Education in Latin America** is the major theme of **Prospects**, Unesco's quarterly review of education (Vol. VIII, No. 3, 1978). Each issue 12 F; subscriptions 42 F for one year or 70 F for two years.

BOOKS RECEIVED

• **The Times Atlas of World History**, edited by Geoffrey Barraclough. Times Books, Ltd., London. 1978. £20 (See article page 35).

• **The Huichol Creation of the World**, by Juan Negrín. E.B. Crocker Art Gallery, Sacramento, California. 1975 (See article page 16).

• **Visual Literacy in Communication: Designing for Development**, by Anne C. Zimmer and Fred A. Zimmer. 144 pp., 1978. **Towards Scientific Literacy**, a core curriculum for adult learners and literacy teachers, by Frederick J. Thomas and Allan S. Kondo. 96 pp., 1978. Monographs in a series "Literacy in Development", edited by H.S. Bhola. Hulton Educational Publications Ltd., in co-operation with the International Institute for Adult Literacy Methods, Tehran.

• **Anti-personnel Weapons**, by Stockholm International Peace Research Institute (SIPRI). Published on behalf of SIPRI by Taylor and Francis Ltd., London and distributed by Almqvist and Wiksell International, Stockholm (for Sweden, Norway, Denmark and Finland); Crane, Russak and Co. Inc., New York (for U.S.A.); and Taylor and Francis (rest of the world). 1979 (£9).

• **Prologue to Education: An Enquiry into Ends and Means**, by John N. Wales. 1979 Routledge and Kegan Paul, London, Boston and Henley. (£4.75).

'UNESCO IN PRINT'

A selection of Unesco's recent English-language publications is being displayed at the National Book League, Albemarle Street, London, from 16 to 28 March 1979. The exhibition, Unesco in Print, is being organized jointly by Unesco Publishing Services, the National Book League, the U.K. National Commission for Unesco and Her Majesty's Stationery Office. It will be open to the public from Monday to Friday between 10 a.m. and 6 p.m. and on Saturdays between 10 a.m. and 1 p.m.



رسالة اليونسكو باللغة السواحيلية

يسرنا أن نعلن عن صدور عدد جديد من مجلة رسالة اليونسكو باللغة السواحيلية . لقد أصدرت اللجنة القومية التنزانية لليونسكو بدار السلام العدد الأول في ديسمبر ١٩٧٨ . وبذلك يصل عدد اللغات التى تصدر بها مجلة رسالة اليونسكو الى العشرين .

صفحات إضافية خاصة بالطبعة العربية



• طبعت بالمطابع الجديدة لمؤسسة دار التعاون للطبع والنشر •

مصورو الواقع الرائع في هاييتي

كشفت نهضة الفن الهاييتي [illegible] التي شاهدنا ازدهارها ابتداء من عام ١٩٤٠ عن أعمال [illegible] مثل ولسون بيجو، وجاسنت جوزيف اللذين نجد صورا لأعمالهما بصفحة ٢٢. وقد أثمرت هذه [illegible] اليوم عن [illegible] جميلة. يشهد بذلك هذا «الموز». من أعمال أودسون. وهو مصور من مصوري الجيل [illegible] وان مثل هذا الازدهار في الابتكار الخلاق ليكشف لنا عن طبيعة الشعب الهاييتي الحقيقية. وفي كل [illegible] التصو[illegible] والزخرفة، وأشغال الحرف تتفجر ثروة مدهشة من قوة الخيال تشمل كل التقاليد الهاييتية.

(الصورة: وارن أ. ليون الأصغر ــ الناشر، دلرواس، باريس: مجموعة معرض جورج نادر)



العدد ٢٨٣ ديسمبر ١٩٨٤
الثمن ١٠ قروش

رسالة اليونسكو



حضارة الأرز



حياة الشعوب

٣٠ الأرجنتين

كبرياء السهل

كانت الحياة على الپامبا، ذلك السهل المعشوشب الشاسع الأرجاء في وسط الأرجنتين، مصدر وحي لما أنتج من أدب وفير في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، كما كان موضوعاً لكثير من موسيقى الأرجنتين الشعبية. ونتيجة لذلك اندرج رعاة البقر الرحّل (الجاوتشو) في عداد شخصيات الأساطير بما أوتوا من براعة في امتطاء الجياد وما اشتهروا به من حرص على الحرية والاستقلال ومن قدرة بدنية على الاحتمال. غير أن الأخذ بالتصنيع وإدخال التقنيات الحديثة في مجال تربية الحيوان قد أفضيا إلى تحوَلات عميقة في أساليب الحياة التي كرّسها أدب الجاوتشو وأضفى عليها طابع الأسطورة. وترى في هذه الصورة قطعان من الماشية يجرى تطعيمها ضدَ الحمَى القلاعيَة.

رسالة اليونسكو
نافذة على العالم

ديسمبر/كانون الاول ١٩٨٤
السنة السابعة والثلاثون

افتتاحية العدد

في عدد كبير من لغات آسيا تعني لفظة «طعام» «طعام الأرز» ولفظة «وجبة» «وجبة أرز». ومن المتفق عليه الآن أن آسيا هي القارة التي نشأ فيها الأوريزا ساتيفا، النوع الرئيسي من الأرز المزروع في العالم.

والأرز هو اليوم طعام ما يزيد على ثلث البشر إذ يشكّل نصف كمية المواد الغذائية التي يستهلكها ١٦٠٠ مليون منهم ويمثل بالنسبة لـ ٤٠٠ مليون آخرين ما يتراوح بين ربع ونصف استهلاكهم الغذائي.

وتُنتج آسيا تسعة أعشار أرز العالم وقد عقدت حضارات شعوب تلك القارة مع الأرز أواصر تفوق كل ما عداها اتساعاً وعمقاً. ولئن كان صحيحاً ـ كما يقول بحق عالم الجغرافيا الفرنسي بيير جورو في كتاب صدر له مؤخراً بعنوان Riz et civilisation (الأرز والحضارة) ـ أن الأرز لم يكن هو السبب في نشوء تلك الحضارات (فحضارة الصين والهند مثلاً قد سبقتا بزمن طويل قيام زراعة الأرز بالغمر التي تنهض به اليوم)، فإن هذا لم يمنع تلك الزراعة من أن تحوّر إن لم تشكّل شعائر تلك الحضارات وبُناها بما تقتضيه من توافر الأيدي العاملة ومن سيطرة تامة على الوسط والبيئة.

وعلى هذا النحو استطاع الأرز أن يثري بوجوده المادي والروحي لا لغات هؤلاء القوم فحسب وإنما أيضاً حياتهم اليومية وفنونهم وآدابهم بل ومعتقداتهم ـــ الأمر الذي نوّهت به **ندوة دولية عن الحضارات المقترنة بزراعة الأرز في بلاد آسيا**، نظّمها بالاتفاق مع اليونسكو مركز دراسة ثقافات شرق آسيا وعُقدت في كيوتو باليابان من ٦ إلى ١٠ يونيو/حزيران ١٩٨٣.

وطبيعي أن هذا العدد من **رسالة اليونسكو** لم يستطع، بسبب قِصَر الوقت وضيق المكان، أن يستعرض شتّى جوانب هذا الإشعاع في جميع بلاد آسيا؛ ومع ذلك فقد حاولنا أن نصوّر المدى الذي بلغته قوة نفاذه إلى نفوس وقلوب أهل هذه المنطقة بانتقاء بعض الظواهر ذات المغزى الخاص، مثل الإيمان بوجود «روح الأرز»، وعيد **البونجال** الذي يحييه شعب التاميل، وممارسة **الكلاپانا** في تايلاند، وانتفاع زرّاع الأرز في فيتنام بخصائص الأزولّا ومزاياه.

ومع أننا قد أعطينا مكان الصدارة لعالم العادات والأعراف والأساطير دون أن نغفل المتضمنات الاجتماعية الاقتصادية، فقد قصدنا إلى استرعاء انتباه القارئ، في المقال الاستهلالي الذي كتبه م. س. سواميناثان مدير المعهد الدولي لبحوث الأرز، إلى ما أحرز من تقدم في الدراسات الوراثية لهذا النبات زادت كثيراً بفضله غلة محاصيل الأرز. ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد ما تنبأت به منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (الفاو) من وجوب زيادة إنتاج الأرز بمعدل ٣٪ سنوياً حتى عام ألفين إذا كان لنا أن نواجه مقتضيات النمو السكاني على صعيد العالم.

صورة الغلاف: حقل أرز في جزيرة بالي بإندونيسيا.

تصوير: أموس شابك © ANA، باريس

رئيس التحرير: إدوار جليسان

تصدر الطبعة في القاهرة في نفس الوقت الذي تصدر فيه عن مقر اليونسكو في باريس وذلك تحت اشراف مركز مطبوعات اليونسكو بالقاهرة ١ شارع طلعت حرب القاهرة
رئيس المركز: عبد المنعم الصاوي

كيف تحصل على مطبوعات اليونسكو (ص ٣٩

مجلة شهرية تصدرها في ثمان وعشرين لغة منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، اليونسكو.
٧ ميدان فونتنوا، ٧٥٧٠٠ باريس.

العربية، الفرنسية، الإنجليزية، الأسبانية، الروسية، البلغارية، الألمانية، اليابانية، الإيطالية، الهندية، التاميلية، اليونانية، الفارسية، العبرية، الهولندية، البرتغالية، التركية، السنهالية، الأوردية، الكتالونية، الماليزية، الكورية، السواحلية، الكرواتو - صربية، المقدونية، الصربو - كرواتية، السلوفينية، الصينية

وتصدر من أجل المكفوفين طبعة فصلية بطريقة براي، باللغات الفرنسية والإنجليزية والأسبانية والكورية.

ISSN 0304-3215
N° 12-OPI-84-3-417-Ar

مُعجزة الأرز

بقلم : مُنْكُمبو س . سواميناثان

يعتبر الأرز اليوم ، الذي نعلم أنه يُزْرَع في بعض مناطق الهند والصين منذ سبعة آلاف سنة ، جزءاً لا يتجزأ من حياة الملايين من الناس في شتى أنحاء العالم . وهو يكاد ألا يستخدم إلا كطعام للبشر ويشكل نصف كمية الغذاء التي يستهلكها ألف وستمائة مليون نسمة ، ويعتمد عليه أربعمائة مليون نسمة آخرين في نسبة تتراوح بين ٢٥٪ و ٥٠٪ من حاجتهم الغذائية .

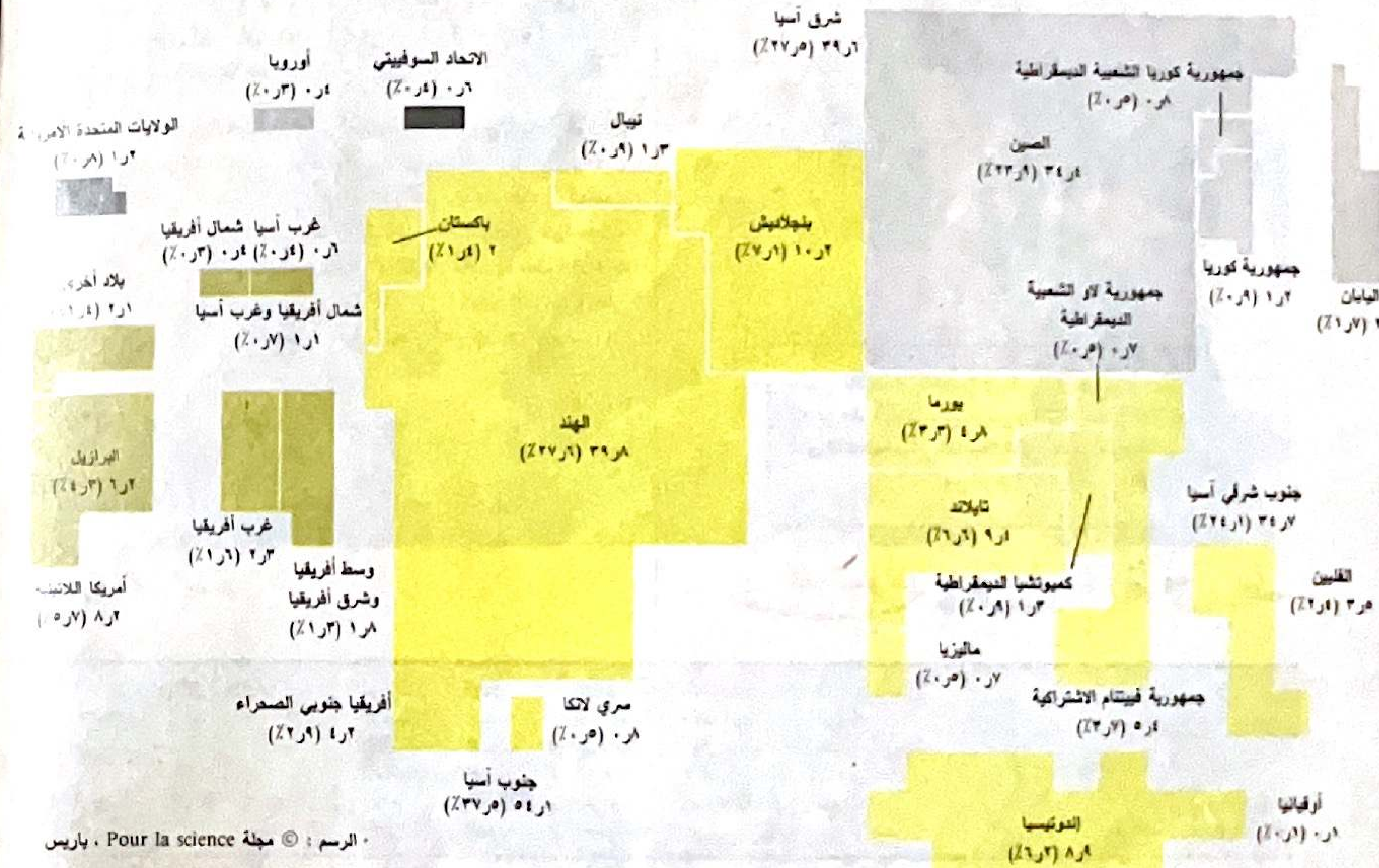
والأرز نبات حولي من الفصيلة الأرزية ينمو في بيئات بالغة التنوع والتباين – من خط عرض ٥٠° شمالاً إلى خط عرض ٤٠° جنوباً ومن أراضٍ تقع تحت مستوى سطح البحر إلى مناطق أعلى من ٥٠٠ ٢ متر فوق مستوى سطح البحر . وعلى الرغم من أن زراعة الأرز بدأت أصلاً في المناطق الاستوائية كنبات شبه مائي ، فهو يتأقلم اليوم مع ظروف بيئية شتى تشمل المناطق الجافة والمناطق الباردة نوعاً ما .

وهناك نوعان من الأرز المزروع : **أوريزا ساتيفا** وهو الأرز العادي الذي يُزْرَع على نطاق واسع في المناطق الاستوائية والمناطق المعتدلة ، و**أوريزا جلابِرِّيما** الذي يُزْرَع في غرب أفريقيا . وبالإضافة إلى هذين النوعين المزروعين ، فإن **الأوريزا** يتضمن أيضاً زهاء عشرين نوعاً من الأرز البرّي .

ومع مُضيّ الزمن انبثقت من **الأوريزا ساتيفا** ثلاثة أنواع فرعية هي : الهندي Indica ، والياباني Japonica ، والجاوي Javanica . وقد استُخْدِمت عبارة الأرز الهندي للدلالة على أصناف الأرز الاستوائي ودون الاستوائي التي تنمو في الهند والصين ، في حين أُطلِقت عبارة الأرز الياباني على أصناف الأرز ذي الحبة القصيرة والمستديرة التي تنمو في اليابان والصين وشبه جزيرة كوريا . أما عبارة الأرز الجاوي فقد استُخْدِمت للدلالة على أرز **البولو** bulu (ذي الحسك) والـ **جونديل** gundil (بلا حسك) اللذيْن يُزْرَعان في إندونيسيا . أما أصناف الأرز الصيفي التي تجمع بين كثير من صفات الأرز الهندي والأرز الياباني – مثل **الأوس** aus الذي ينمو في شرق الهند وفي بنجلاديش وأرز إندونيسيا طويل السنبلة غليظ الحبة – فقد صُنِّفت على أنها نوع وسط بين الاثنين .

كذلك أدّت الظروف المناخية القصوى إلى نشوء أصناف متخصصة من الأرز يُذْكَر منها أرز الأراضي المرتفعة وأرز المياه العميقة . وتطوّرت كذلك ، نتيجة لتضافر عوامل الانتقاء البشري والطبيعي ، أصناف قادرة على تحمُّل الملوحة والقلوية ودرجات الحرارة الليلية المنخفضة . وكان يوجد على الأرجح ما يربو على المائة ألف صنف من الأرز الآسيوي قبل أن يبدأ انقراض وِرْثاتها بعد الحرب العالمية الثانية بوقت قليل .

وقد اتجه تطور نوع الأرز الأفريقي أوريزا جلابِرِّيما في مسار مماثل لتطوره بالنسبة للأرز الآسيوي على الرغم من أن تاريخ زراعة الأرز في غرب أفريقيا أقصر من تاريخ زراعته في آسيا وأن أصنافه أقل تنوعاً من نظائرها الآسيوية .



رسم تخطيطي يبيّن (بملايين الهكتارات) مساحة الأراضي التي تُزرع أرزاً في العالم . ويُلاحظ أن هذه المساحة تتناسب تقريباً في كل بلد مع المساحة الكلية لهذا البلد . وهو يورد أيضاً لكل بلد نسبة مساحة الأرض المزروعة أرزاً به إلى مساحة الأرض المزروعة أرزاً على صعيد العالم .

• الرسم : © مجلة Pour la science ، باريس



تصوير : © اللجنة الوطنية الكورية لليونسكو

أغاني حقل الأرز في شبه جزيرة كوريا . والرجل الواقف يقود الغناء بصحبة دقات الطبل وتَرُدّ عليه المجموعة . وتُنْشَد الأغاني الشعبية في جميع مراحل زراعة الأرز . من الغرس حتى الحصاد ، وكثيراً ما يعطي ذلك انطباع عرض «مسرحي» .

وشكّلت أصناف الأرز العديدة التي تطورت على هذا النحو مجموعة قيّمة من البلازما الوِرْثية التي يُعَدّ حفظها وتصنيفُها وصونُها أمراً أساسياً لبرامج إنبات أصناف الأرز التي تُنَفَّذ حالياً أو يُزْمَع تنفيذها في المستقبل .

وبعد الحرب العالمية الثانية بوقت قصير بدأت معظم الأقطار الآسيوية تحفظ مجموعات من أصنافها المستأنسة من الأرز (وهي الأصناف التي نشأت وتطورت على أثر زراعتها) . وقد ضُمَّت كل مجموعة وطنية بعض الأصناف الأجنبية التي أُدخلت زراعتها في البلاد . غير أنها كانت تفتقر إلى كثير من الأصناف التي تنمو في مناطق نائية ، كما لم يُحْفَظ سوى عدد قليل من أنواع الأرز البري .

وعلى الرغم من أن الأرز لم يوجد أصلاً في الولايات المتحدة الأمريكية ، فإن وزارة الزراعة الأمريكية قد بذلت جهوداً جادة لتكوين مجموعة عالمية من أصناف الأرز . كذلك مَوَّلت تلك الوزارة مشروعات لتكوين مجموعات حقلية في كل من الهند وباكستان . ومما أسهم في مساندة جهود حفظ الأنواع توفيرُ أطر مادية تمثلت في إقامة مرافق للخزن البارد متوسط الأجل في بلْتسفيل ، ماريلاند ، عام ١٩٥٧ ، وإنشاء المختبر الوطني لخزن البذور في فورت كولنز ، كولورادو ، عام ١٩٥٨ – ١٩٥٩ . واستمرت مجموعة عينات الأرز الأمريكية في التوسع حتى بلغ مجموعها نحو ٠٠٠ ١٣ عينة عام ١٩٨١ ولم يكن يتجاوز ٦٠٠٠ عينة عام ١٩٦٠ .

وفي أوائل الخمسينات شرعت اللجنة الدولية للأرز التابعة لمنظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (الفاو) في إحداث ثلاث مجموعات إقليمية تمثل الأجناس البيئية الجغرافية التالية : الـ Indica في الهند والـ Javanica في إندونيسيا والـ Japonica في اليابان ؛ كما حُفِظت ◄

مجموعة أخرى من أصناف أرز الغلة المستنبطة محلياً. ويبلغ مجموع الأصناف في المجموعات الأربع ١٣٤٤ صنفاً، غير أن المستنبطات المراكز الثلاثة القائمة في المنطقة الاستوائية تحافظ على حيوية البذور بتبريدها. والبنغلاديش هو البلد الآسيوي الوحيد الذي اتخذ منذ عام ١٩٦٥ مرافق للتخزين على المدى المتوسط والطويل.

وحين بدأ المعهد الدولي لبحوث الأرز نشاطه البحثي عام ١٩٦١ - ١٩٦٢، أخذ على عاتقه مهمة الإيداع والحفاظ على الصعيد الدولي فاستطاع أن يحصل على مجموعة طبق الأصل من معظم المجموعات الوطنية. وعندما أخذت أصناف الأرز شبه القزمية عالية الغلة في الانتشار بسرعة في مناطق آسيا الاستوائية والحلول محل الأصناف التقليدية، تعاونت أربعة عشر بلداً آسيوياً مع المعهد في شن حملة منظمة لإنشاء المجموعات الحقلية في المناطق المهددة وغيرها من المناطق النائية التي لم يتم ارتيادها من قبل. وأسفرت هذه الجهود المضنية عن إضافة ٣٨٠٠٠ عينة إلى المجموعات الوطنية وإلى المجموعة الأساسية التي يحتفظ بها معهد البحوث. وأصبحت أنواع الأرز البري الآخذة في الانقراض هي أيضاً محط العناية والحفظ. كذلك أسفرت جهود مماثلة بذلتها المراكز الإقليمية والبرامج الوطنية في غرب أفريقيا عن إضافة ٢٧٠٠ عينة من الأرز الإفريقي إلى مجموعات وراثات الأرز في العالم.

ومنذ عام ١٩٧٨ شارك المجلس الدولي للموارد الوراثية النباتية في تلك الحملات بتقديم جانب من الأموال اللازمة لها. وخلال عام ١٩٨٤ بلغ مجموع عينات الأرز المستأنس والبري التي تضمها مجموعة المعهد الدولي لبحوث الأرز ٧٤٠٠٠ عينة. وعلى ذلك فإن الجهود الجماعية التي بذلها كل من يهمهم الأمر لم تقتصر نتائجها على إنقاذ الأرز من الانقراض الوراثي بل تجاوزت ذلك إلى إثراء مجمعات الوراثات المحلية وتمكينها من إدخال المزيد من التحسينات عليه.

وبعد مضي فترة وجيزة على إنشاء المعهد الدولي لبحوث الأرز، كان من شأن خدمات توزيع البذور التي نظمتها وتحديد المصادر التي تنشر تطوير صفات الأرز المرغوبة، أن حفزت البرامج الوطنية لبحوث الأرز على توسيع نطاق ما تضطلع به من مشروعات في مجال التهجين المنهجي للصفات. ومنذ عام ١٩٦٢ تم المركز الدولي للازما وراثة الأرز التابع للمعهد الدولي لبحوث الأرز بتزويد الباحثين في شتى أنحاء العالم بقرابة ١٠٠٠٠٠ صرّة من البذور استجابة لما يزيد على ٣٠٠٠ طلب. ولعدد الطلبات دلالته بالنسبة لاتساع نطاق البحوث والتجارب التي يجريها علماء الأرز في مختلف البلاد.

وفي عام ١٩٧٤ وُسِّعت ورُشِّدت عمليات التقييم المنهجي لعدد كبير من الصفات المرغوبة في إطار برنامج تقييم الوراثات واستخدامها. ونُظِّمت أفرقة متعددة الاختصاصات بهدف تحسين الأرز في ثماني من مجالات البحث: الخصائص الزراعية (ولا سيما غلة المحصول)؛ مقاومة الأمراض؛ مقاومة الحشرات؛ نوعية الحبة وقيمتها الغذائية؛ مقاومة الجفاف؛ القدرة على تحمُّل التربة غير الملائمة والمياه العميقة والفيضان؛ قابلية تحمُّل درجات الحرارة القصوى.

وحسبنا للاستدلال على ضخامة حجم برنامج التقييم الذي يضطلع به معهد بحوث الأرز أن نعرف أن المركز الدولي للازما وراثة الأرز يوزع كل عام ما يتراوح بين ◄

نبات الأرز

السنبلة

حبة الأرز

الأوراق

السويقة

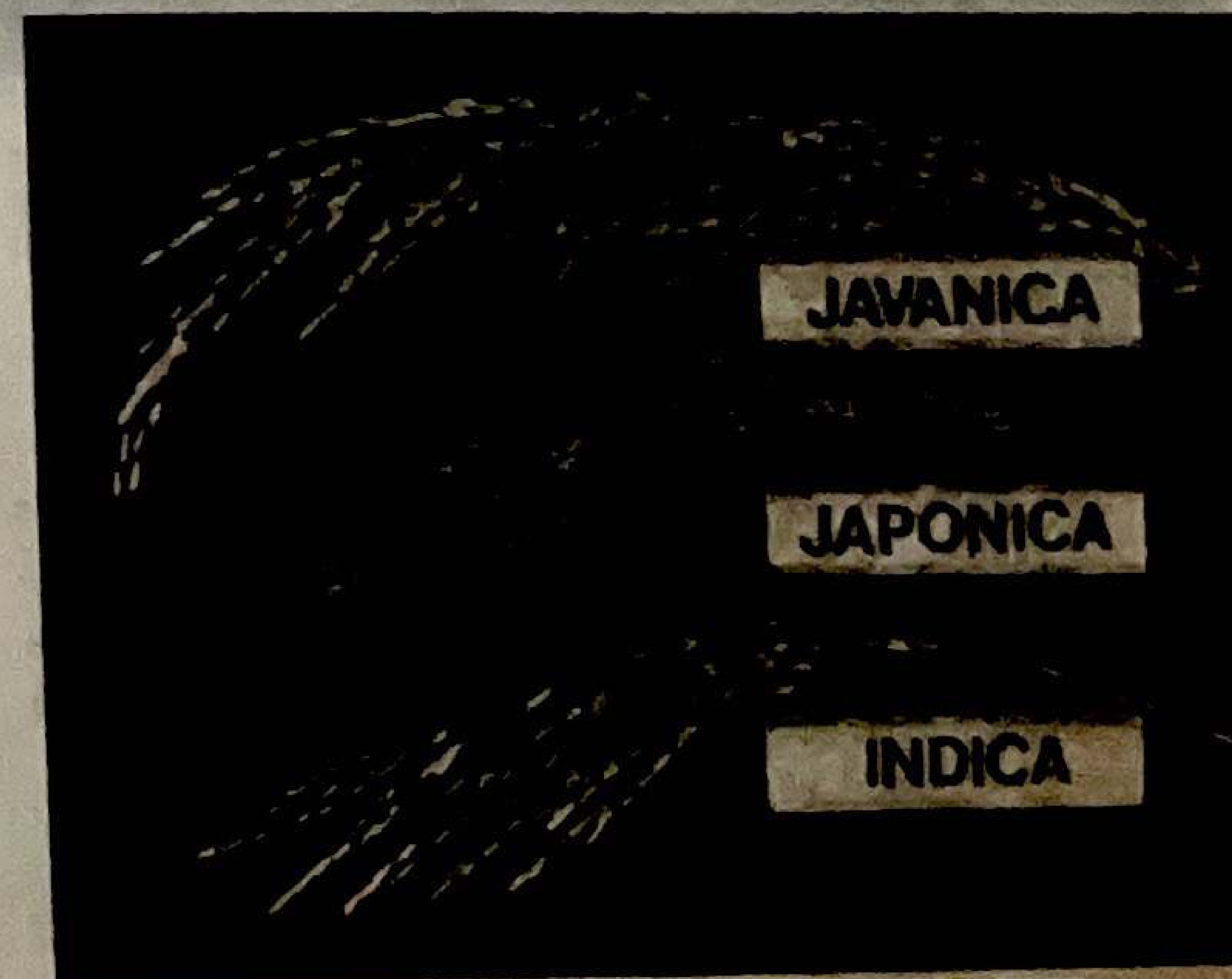
الجنين

الماء

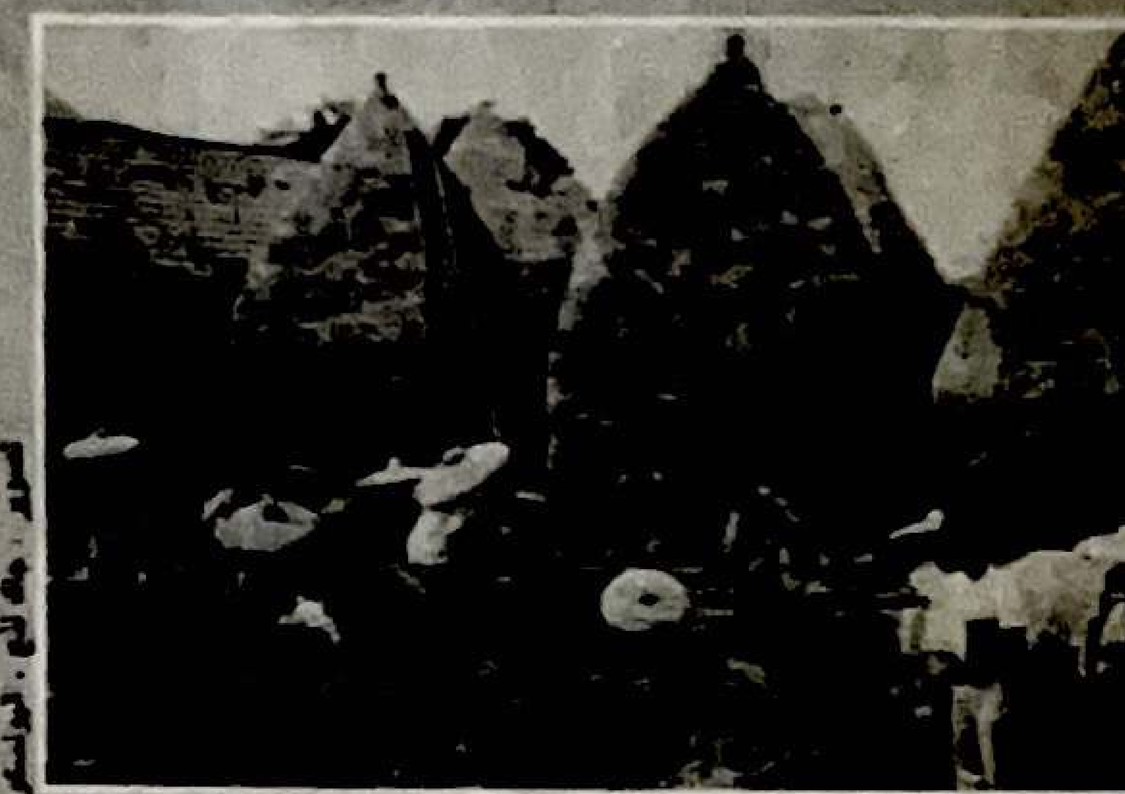
التربة

الأرز

الأوريزا ساتيفا هو أوسع أنواع الأرز انتشاراً في العالم وقد استؤنس في آسيا منذ سبعة آلاف سنة وطرأت عليه على مر القرون تحورات لتكييفه باختلاف الظروف الجغرافية التي نشأ فيها. وانقسم على أثرها إلى ثلاثة أنواع فرعية هي الهندي Indica والياباني Japonica (أو الصيني Sinica) والجاوي Javanica.











من التربة إلى الصحن

(١) حراثة حقل أرز في سري لانكا.

(٢) في جمهورية كوريا الشعبية الديمقراطية، مُكنِنت عملية نقل شتلات الأرز في المزارع التعاونية.

(٣) نقل شتلات الأرز في كمبوتشيا الديمقراطية.

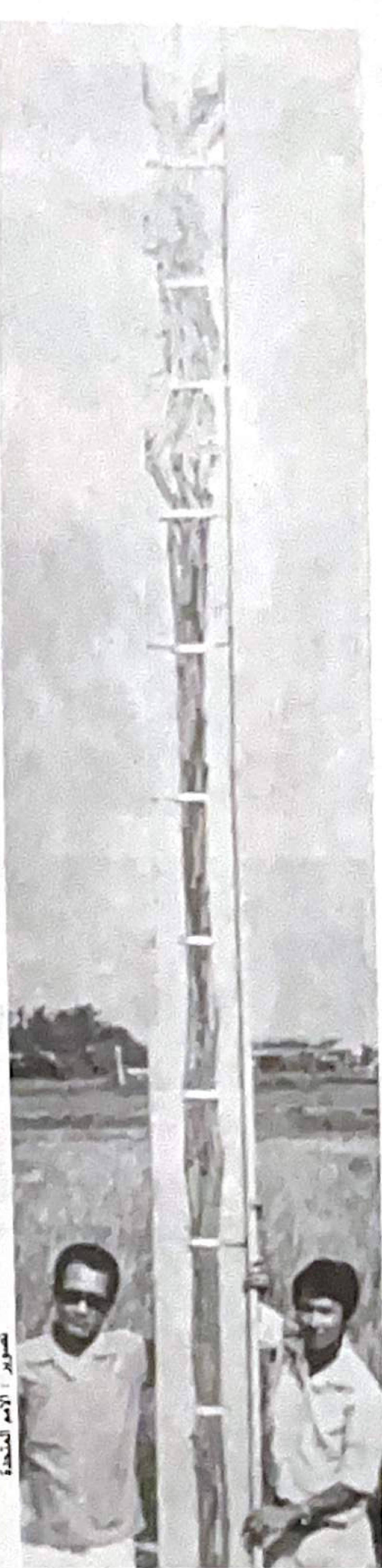
(٤) حصاد الأرز بالمنجل في وادي بارو، بهوتان.

(٥) بعد حصاد الأرز يجتمع هؤلاء القرويون (جاوة، اندونيسيا) لتكويمه حزماً وأقماطاً.

(٦) قرية الأرز في بورما.

(٧) في نيبال، يستعملن في انتزاع قشور حب الأرز بمطرقة خشبية تسمى الديكي.

(٨) التفاف حول صحن أرز لتناول وجبة غذاء سريعة، في باكستان.



تصوير : الأمم المتحدة

تتألف منطقة الدلتا في بنجلاديش من مصبي نهري الجانجا وبراهمابوترا ، وزراعة الارز فيها مهمة شاقة بالنظر إلى الارتفاع المفاجئ لمستوى المياه ، لا سيما وأن إقامة الجسور لم تنتشر بعد . وعلى ذلك فإن فلاحي هذه المنطقة يزرعون أرز المياه العميقة الذي يواكب نموه ارتفاع مستوى المياه وقد يبلغ طوله ستة أمتار . وتستهدف البحوث الجارية تحسين أصناف الارز المواءمة للأراضي المغمورة .

◄ ٣٠٠٠٠٠ و ٥٠٠٠٠٠ عينة من البذور . ومن المهام الرئيسية التي يتصدى لها برنامج تقييم الوِرْثات واستخدامها رفع مستويات القدرة الإنتاجية وإضفاء الاستقرار على إنتاج المحاصيل في مناطق بَعْلِيَّة واسعة (مناطق تعتمد على الأمطار) لم يستفد زرّاعها من أصناف الأرز شبه القزمية التي تسود زراعتها المناطق المروية . وفي السنوات الأخيرة نظّمت عدة دول آسيوية برامج وطنية لتقييم الوِرْثات واستخدامها .

ومن العوامل التي أدّت إلى توسّع عمليات التقييم والتبادل على نطاق دولي إنشاء البرنامج التعاوني الدولي لاختبار الأرز في عام ١٩٧٦ .

وخلال الفترة الممتدة من ١٩٦٠ إلى ١٩٨٠ ارتفع متوسط غلة الأرز في آسيا بنسبة ٤٠٪ وزاد الإنتاج بنسبة تربو على ٦٠٪ وإن كان ينبغي ألا يعزب عن البال أن عدد السكان في آسيا قد زاد بنسبة ٥٥٪ خلال نفس الفترة . ويعود جل الفضل في ارتفاع كمية الإنتاج إلى زيادة غلة الهكتار الواحد أكثر مما يعود إلى زيادة مساحة الأراضي المزروعة . وقد ساعد ذلك على تخفيض السعر الحقيقي للأرز بالنسبة للمستهلك في عدد من البلاد ذات الكثافة السكانية العالية .

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن الآن هو كيف استطاع فلاحو بنجلاديش وبورما والصين والهند وإندونيسيا واليابان والفلبين وغيرها من أقطار آسيا أن يرفعوا إنتاج الأرز في فترة عشرين عاماً بنسبة تفوق كثيراً ما حققته طوال فترة الخمسة آلاف سنة السابقة . إن من الممكن عزو الجانب الأكبر من نجاحهم إلى ما تحقّق من تقدم في خمسة مجالات أساسية هي :

١ ـ إدخال أصناف حديثة من الأرز شبه القزمي وفير الغلة

تنزع أصناف الأرز الطويلة التقليدية إلى الانحناء حتى ملامسة الأرض تحت وطأة الريح أو المطر أو ثقل الحبوب ذاتها ، هذا إذا لم تتعفن الحبوب أو تأكلها الجرذان . أما الأصناف الحديثة من الأرز شبه القزمي فيمكنها أن تُغِلَّ خمسة أطنان أو أكثر للهكتار الواحد بالنظر إلى أن سيقانها القوية التي ورثتها عن أبويها الصينيين تؤهلها للوقوف منتصبة مما يزيد من قدرتها على تحويل المواد الغذائية والماء وأشعة الشمس إلى حبوب . وتغطي زراعة أصناف الأرز شبه القزمية اليوم مساحة تمثل زهاء ٢٥٪ من المساحة الكلية لحقول الأرز في العالم . ولدى كثير من الأصناف الجديدة قدرة وِرْثية على مقاومة حَشْدٍ من الحشرات والأمراض . من ذلك مثلاً أن وِرْثة استُخلِصت من إحدى سلالات الـ **أوريزا نيفارا** من شمالي وسط الهند ، لعبت دوراً حيوياً في الحد من التخريب الذي يسببه فيروس معوّق نمو النبات .

٢ ـ تطوير سلالات يقتضي نضجها فترة قصيرة ولا تتأثر بطول ساعات النهار

قامت أفرقة من الباحثين بإضفاء هذه الصفات على أصناف منتقاة من الأرز الحديث بهدف تمكين الفلاحين الذين كانوا يزرعون منها في السابق محصولاً واحداً من زرع محصولين أو ثلاثة ومن زرع أصناف أرقى من الأرز في مناطق واقعة على خطوط عرض مختلفة .

٣ ـ زراعة الأرز الهجين

تُعتبر الصين البلد الرائد على صعيد العالم في إنتاج الأرز الهجين إذ أن مساحة الأرض التي يُزرع عليها في الصين تربو اليوم على سبعة ملايين هكتار . أما غلته فهي تزيد بنحو ٢٠٪ على غلة الأصناف العادية من الأرز شبه القزمي .

٤ ـ تحسين أساليب الري وإدارة المياه

إن توفير المزيد من الماء يتيح للفلاحين فرصة زراعة حقل الأرز بمحصولين أو أكثر في السنة الواحدة .

٥ ـ إدخال تقنيات جديدة في تدبير شؤون المزارع

لقد ارتفعت غلة الأرض وغدت دخول المزارع أبعث على الطمأنينة بسبب ما يتوافر اليوم للفلاحين من آلات مُحسَّنة وأسمدة كيميائية وأساليب أفضل لاستخدامها ، بما في ذلك تكامل التدابير الرامية إلى مكافحة الأوبئة والأساليب المُحسَّنة لرعاية المحصول بعد الحصاد .

وثمة حاجة واضحة لمواصلة تحسين وِرْثات الأرز مع الاستعانة في ذلك بما يمكن أن تقدمه تكنولوجيات حديثة مثل زرع الأنسجة والتحكّم الوِرْثي . وتُقدّر الفاو أن مجرد مواكبة النمو السكاني تقتضي زيادة إنتاج الأرز بنسبة ٣٪ سنوياً حتى نهاية هذا القرن .

وبفضل تطوير أصناف الأرز سريعة النضج نستطيع الآن أن نزرع محصولين أو ثلاثة محاصيل في السنة بشرط أن يتوافر الماء وقدر كاف من العناصر الغذائية . والواقع أن حقول التجارب التي يرعاها المعهد الدولي لبحوث الأرز تُزرع بشكل متواصل على مدار السنة وتُغل أكثر من عشرين طناً للهكتار الواحد في العام .

وفي إطار نظام الإنتاج المكثف للأرز هذا ، يُقسَّم هكتار الأرض إلى ثلاث عشرة قطعة بالنظر إلى أن صنف الأرز المستخدم يقتضي نُضْجُه ثلاثة عشر أسبوعاً ابتداء من يوم الغرس . وبانتهاج أسلوب تَعاقبي في الزرع يُحْصَد محصول واحد كل يوم اثنين . وبعد الحصاد تُحرَث القطعة وتزرع من جديد في يوم الجمعة الذي يليه . وعلى هذا يبلغ عدد المحاصيل عددَ ما يوجد في السنة من أسابيع .

ولعل في ذلك خير شاهد على «القوة الخضراء» في المناطق الاستوائية حيث تستطيع النباتات الخضراء بفضل توافر أشعة الشمس على مدار السنة ، أن تصنع الغذاء من خلال عملية التخليق الضوئي . بيد أن هذه الزراعة الكثيفة والمتواصلة لمحاصيل الأرز قد تؤدي إلى مشكلات خطيرة تنجم عن الأوبئة الزراعية أو عن استنزاف خصوبة التربة . لذلك يجب أن تصحبها تدابير متكاملة لمكافحة الأوبئة وتوفير مَدَدٍ من الغذاء المتوازن .

ويرسم لنا قول صيني مأثور صورة حية للقوة الخضراء في المناطق الاستوائية لزراعة الأرز إذ يقول : «يمكن للحقل أن يبدو بلون الذهب ثم باللون الأسود ثم الأخضر في نفس اليوم» . فاللون الذهبي هو لون محصول الأرز الناضج الذي يقوم الفلاح وأسرته بحصده في الصباح الباكر . ويبدو الحقل نفسه أسود قرب الظهر لأن الأسرة قامت بحرثه تمهيداً لزرع محصول جديد . وفي أول المساء يلبس الحقل ثوباً أخضر نظراً لأن الأسرة غرست فيه شتلات جديدة من الأرز .

لا غرو إذن والحالة هذه أن ملايين الناس ينظرون إلى الأرز على أنه هبة فريدة يهبها الله إلى البشر ■

م . س . سواميناثان

منكمبو سمباسيفان سواميناثان . عالم هندي مرموق نهض بدور قيادي في حركة «الثورة الخضراء» في آسيا وعكف خلال الثلاثين سنة الأخيرة على دراسة مجموعة متنوعة من المشكلات في مجالي علم الوراثة النباتي والبحوث والتنمية الزراعية . يشغل منذ إبريل/نيسان ١٩٨٢ منصب مدير عام المعهد الدولي لبحوث الأرز ، لوس بانوس ، الفلبين . شغل من قبل عدداً من المناصب يُذكر منها مدير عام المجلس الهندي للبحوث الزراعية (١٩٧٢ ـ ١٩٧٩) ؛ نائب رئيس فريق الأمم المتحدة الاستشاري بشأن البروتين والسُّعر الحراري (١٩٧٢ ـ ١٩٧٧) ؛ أمين عام وزارة الزراعة في حكومة الهند (١٩٧٩ ـ ١٩٨٠) . نُشرت له في الصحف العلمية الدولية زهاء مائتي بحث ودراسة .

الأرز بين الحكاية والأسطورة

بقلم : أوبَيَاشي تاريُو



أعلاه وأدناه ، في جوجرات ، إحدى ولايات شمال غربي الهند ، رقصات شعبية تؤدى أثناء موسم الحصاد .

على الرغم من أن بلاد شرق وجنوب شرق آسيا تختلف فيما بينها من حيث تاريخها وثقافاتها ومجتمعاتها فإنها ترتبط بمقام مشترك هو الأرز . وليس الأمر مجرّد أن شعوب هذه البلاد تزرع الأرز ، بل أن لها جميعاً عاداتٍ وتقاليد وطقوساً وأساطيرَ تتعلق بالأرز وتعمل بمثابة خيوط تشدّها بعضها إلى بعض . وفي هذه المناطق تحتل زراعة الأرز مكانة بالغة الأهمية بوصفها تراثاً مشتركاً .

وتأخذ الأساطير المتعلقة بمنشأ الأرز أشكالاً عديدة ومتنوعة ، منها ما له جوانب مشتركة مع أساطير تتعلق بمحاصيل أخرى غير الأرز . وتروي إحدى هذه الأساطير ، وهي واسعة الانتشار في بلاد يُذكر منها إندونيسيا وماليزيا ، كيف أن المحاصيل قد انبثقت من جثة إلـه أو إنسان مقتول . ونقرأ في كثير منها أن الأرز لم ينشأ وحده بل نشأت معه في نفس الوقت محاصيل أخرى . ففي جزيرة جاوة ، حسبما جاء في بعض الروايات ، انبعث النباتات المثمرة من جثة فتاة يافعة : فمن السُّرة خرج الأرز ، ومن الرأس والأعضاء التناسلية انبثقت شجرة جوز الهند ، ومن اليدين تدلّت الفاكهة الناضجة ، وعلى الأرض أينعت الثمار المنبعثة من الساقين . ويتداول شعب المنجاراي ، في جزيرة فلوريس (إندونيسيا) ، رواية مؤدّاها أن مصدر الأرز والذرة جثة طفل قتيل . وحسبما وَرَدَ في أحد المؤلفات اليابانية الكلاسيكية ، **كوجيكي** (سجل الشؤون القديمة) ، الذي جُمِعَ في سنة ٧١٢ الميلادية ، ذبح سوزانو إلـهةَ الطعام أوهوجتسو هايم فخرج من رأسها دود القز ، ومن عينيها بذور الأرز ، ومن أذنيها خرج الدُّخن ، وخرجت الفاصوليا الحمراء من أنفها والحنطة من أعضائها التناسلية وفول الصويا من رِدْفيها .

ويعمد كثير من سكان الجبال في جنوب شرقي القارة الآسيوية وجزرها إلى التضحية بحيواناتهم الأليفة مثل الجواميس والخنازير على سبيل أداء الطقوس الزراعية . ويُضحّي بالجواميس أيضاً بعضُ سكان السهول بالمنطقة ومنهم أهل لاوس على سبيل المثال . وتختلف الدوافع التي تكمن وراء هذه الممارسة فهناك من يعتقد أن لحم الحيوان يُقدَّم إلى الآلهة مقابل أن تَمُنَّ الآلهةُ على الناس بمحصول أرز وفير . ويعتقد آخرون بأن القوة السحرية (المانا) التي يحتويها دم الحيوان تعزّز نمو النبات وتيسّره .

وبالنظر إلى الرأي القائل بأن الموت إنْ هو إلا تمهيد للحياة ، فإن هناك نقاط التقاء بين فكرة الضحية الحيوانية وبين الأساطير المتعلقة بانبعاث المحاصيل الزراعية من جثث الموتى . ففي جزر جنوب شرقي آسيا كثيراً ما توجد الأسطورة والتضحية جنباً إلى جنب . إلا أنه على الرغم من انتشار ممارسة الضحية الحيوانية على القارة ذاتها فإن الأساطير القائلة بخروج الأرز من أجسام الموتى تكاد تكون معدومة هناك تماما . ◄



تصوير : © غلشيام سي . بائل ، بومباي ، الهند



تصوير © كلاسرس لاتورا ، هولندا

في إحدى قرى بورما ، تُقدّم حزمة من سنابل الأرز قرباناً للروح الحارسة لمجتمع القرية . ويسود الاعتقاد بأن هذه الأحصنة الخشبية الصغيرة هي التي تتخذها الروح مطايا لها .

وشكل مهم آخر من الأساطير المتداولة عن زراعة الأرز هو ذلك الذي يتحدث عن سرقة البذور . وهذه الأساطير لا توجد في الشرق والجنوب الشرقي من آسيا فحسب بل هي واسعة الانتشار أيضاً بين الشعوب الزراعية في أفريقيا والأمريكتين . وفضلاً عن ذلك فإن هذه الأساطير لا تقتصر على زراعة الأرز وحدها وإنما تتعلق أيضاً بزراعة الذرة البيضاء في أفريقيا والذرة في أمريكا . وفي ساموا ، بولينيزيا ، تأخذ هذا الشكل أيضاً الأساطير المتعلقة بمنشأ القلقاس . ومن أمثلة ذلك في شرق آسيا أن سكان الجبال في تايوان يُدخلون عنصر السرقة هذا في أساطيرهم المتعلقة بمنشأ الدُّخن .

ويُحكى أن أسلاف شعب الياو في سِشْوان بالصين لم تكن لديهم البذور اللازمة لزراعة حقولهم .



تصوير © ثروو سابيونو ، هولندا

امرأة من جاوة ، إندونيسيا . بعد أن قطعت أولى سنابل الأرز ضمّتها معاً في باقة سوف تُضفي عليها ثياباً من القطن المطبوع ثم تحملها على ذراعيها كما لو كانت طفلاً رضيعاً لتعود بها إلى البيت .

فما كان منهم إلا أن أطلقوا سراح طائر أخضر طار في الفضاء مُحلّقاً حتى بلغ مخزن أرز إله السماء وعاد يحمل بذور الأرز السماوية . وتروي أسطورة من منطقة منهاسا في أرخبيل سولاوازي بإندونيسيا كيف صعد رجل إلى السماء وعاد إلى الأرض بأرز غير مقشور مخبأ داخل جرح في ساقه .

ومن السمات البارزة في طقوس زراعة الأرز في شرق وجنوب شرقي آسيا تواتر ظهور مفهوم روح الأرز ، وتقدّم جماعة اللاميت ، وهم مزارعون من لاوس يتبعون أسلوب إزالة الأدغال وحرقها لتهيئة الأرض للزراعة ، مثلاً نموذجياً لطقوس قديمة تتعلق بزراعة الأرز وتتضمن هذا المفهوم . فهم يمارسون طقوساً تتضمن مُحرّمات صارمة في كل مرحلة من مراحل الزراعة ، ومفهوم روح الأرز لديهم شبيه بنظيره لدى كثير من الشعوب القاطنة في جزر جنوب شرقي آسيا .

وتتسم روح الأرز بأهمية خاصة في موسم الحصاد ؛ ذلك أن عملية الحصد ينبغي أن تتم بحيث لا تهرب روح الأرز وإنما تبتعد في اتجاه زاوية الحقل . وتطير روح الأرز من حقل إلى حقل حتى ينتهي بها المطاف إلى حقل مقدّس على مقربة من الكوخ ، وهو أول حقل تُغرس فيه البذور وآخر حقل يُحصد منه المحصول . وعلى حين أنه في سائر الحقول تُفرك سنابل الأرز بواسطة الأيدي ليُستخرج منها الأرز غير المقشور فإنه في الحقل المقدس تُقطع سويقات الأرز بلطف وتُشدّ في حزم تضمّ في داخلها روح الأرز . ومن هذه الحزم يُستخرج الأرز غير المقشور ليُستخدم في السنة التالية في بَذر الحقل المقدس من جديد . أما إذا هربت روح الأرز فلن يؤتيَ الأرز ثماره .

وتوجد المُحرّمات المقترنة بزراعة الأرز ومفهوم روح الأرز على نطاق واسع في الأشكال القديمة من طقوس زراعة الأرز في جنوب شرقي آسيا . ففي اليابان نُشاهد هذه الظاهرة في جزر أمامي بنوع خاص ، غير أنها ليست منتشرة بحال في شمال اليابان . ومن الخصائص الفريدة لمفهوم روح الأرز لدى كثير من الشعوب ما تتسم به من حساسية مفرطة وقابلية عالية للتأثر بالإساءة ، وهي إذ أسيء إليها سارعت إلى الهرب . ويمتد نطاق هذه الفكرة غرباً حتى يبلغ شعب الموندا في وسط الهند .

ومن أمثلة النصوص التي تتحدث عن مفهوم روح الأرز في اليابان ما جاء في المعجم الجغرافي الذي وضع لإقليم بنجو ، كيوشو ، في القرن الثامن الميلادي . فهو يروي قصة منطقة تدعى تانو كانت في قديم الزمان واسعة وخصبة . وقد زرع فلاحو هذه المنطقة حقول أرز كثيرة أعطت محاصيل وفيرة . وصنع الفلاحون الموتشي (كعك الأرز) واتخذوه هدفاً لسهامهم . وتحول الموتشي الذي أصيب بسهم إلى طائر أبيض طار محلقاً نحو الجنوب ؛ وفي تلك السنة مات الفلاحون ولحق الخرابُ حقولهم .

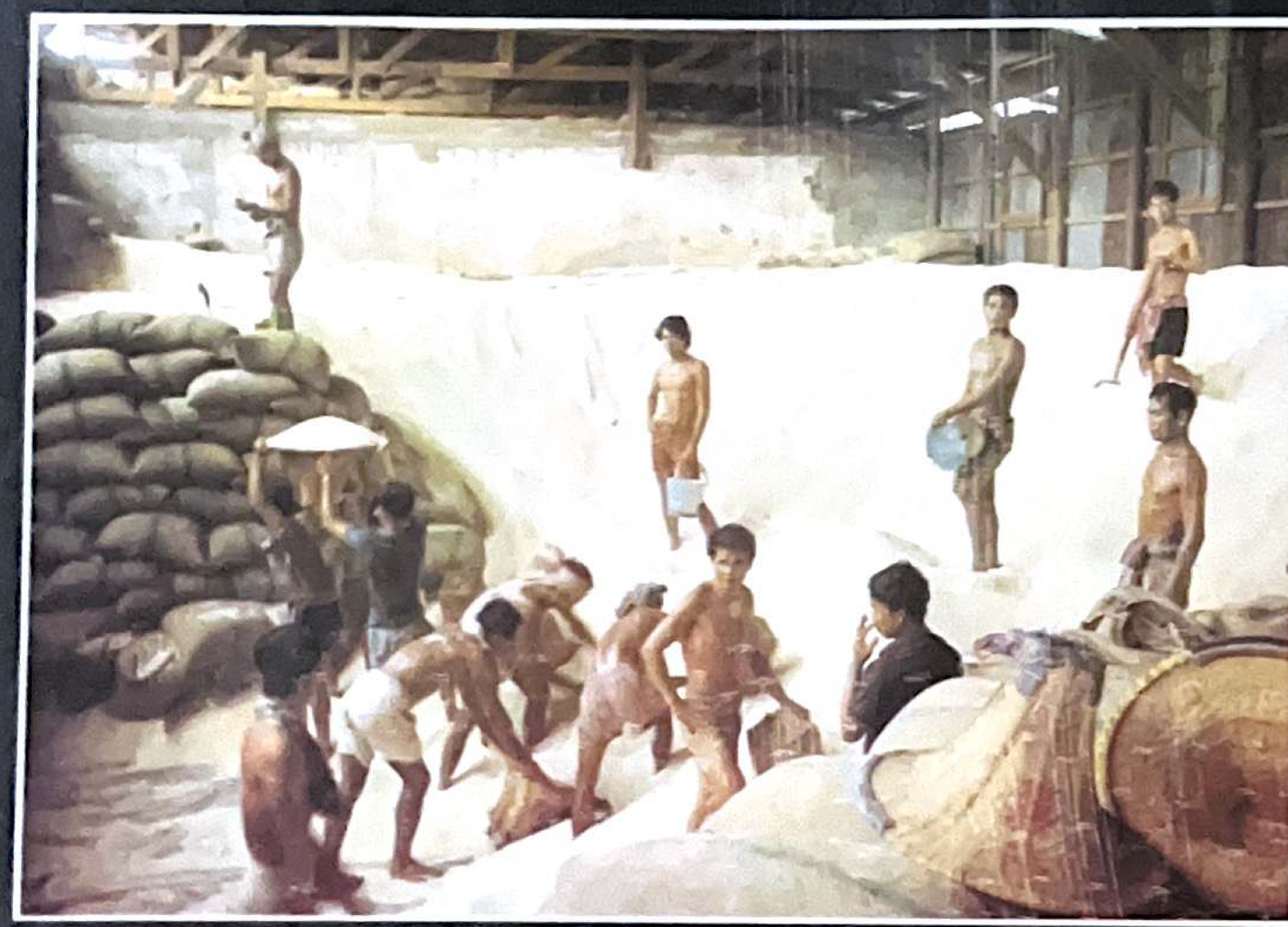
وتوجد فكرة هروب روح الأرز أيضاً لدى شعب الكمير الذين يمارسون زراعة الأرز المروي ويروون الأسطورة التالية : في قديم الزمان كان الأرز عندما ينضج في الحقول يطير مُحلّقاً في السماء ويحطّ في مخزن للغلال فكان بذلك في غنىً عن الحصاد . وكان يقيم بالقرب من مخزن الغلال زوج شاب مع زوجته أحدثا في يوم من الأيام ضجة مزعجة أفزعت روح الأرز ثم تلفظا بعد ذلك بعبارات غير لائقة أساءت إلى الأرز فطار إلى شق ضيق في جبل . وسبّب غياب الأرز مجاعة في كافة أنحاء البلاد وحاول الناس استرجاعه بطرق شتى بيد أن جهودهم ذهبت هباء . وأخيراً اختير أحد الأشخاص ليكون مبعوثاً إليه لعله ينجح في إعادته . وبعد مشاق طويلة كللت مهمة المبعوث بالنجاح .

وتظهر حيوانات شتى في الأساطير المتعلقة بزراعة الأرز . ومن الأساطير واسعة الانتشار في اليابان أسطورة يحمل فيها الأرزَ طائرُ الغرنوق . والأساطير التي يحمل فيها الأرزَ طائرٌ ما منتشرة أيضاً في جنوب شرقي آسيا قارة وجزراً . كذلك تُروى حكايات في جنوب الصين حتى أسام تكون فيها الكلاب هي حاملة الأرز . ففي سِشْوان بالصين تروي إحدى هذه الأساطير ما حدث في أعقاب فيضان عظيم ترك الناجين منه بدون محاصيل وفي حالة من اليأس لا حد لها . فقد شاهد هؤلاء كلباً يزحف خارجاً من الحقول التي غمرتها مياه الفيضان ، ومن حبة أرز علقت بذيله استطاعوا أن يبدأوا زراعة الأرز من جديد . ويحكي

(يتبع في صفحة ١٣)

• انظر المقال الآخر لأوباياشي تاريو في صفحة ٢٠ .





الصفحة الملونة

أعلى ، حقل أرز ينضج تحت سماء نيبالية عاصفة . بعد أن كان الأرز لا يُزرع في الأصل إلا في المناطق المدارية الرطبة كنبات دون استوائي ، يمكن اليوم زرعه في ظروف مناخية بالغة التنوع ، من الصحاري الحارة في باكستان وإيران ومصر إلى الجبال المرتفعة في الهند ونيبال .

تصوير : مارك ريبو © ماجنوم ، باريس

أدنى ، عمال من تايلاند يعبئون الأرز في زكائب في مخزن على ضفة النهر في بانكوك .

تصوير : مايك ياماشيتا © رافو ، باريس









تصوير : © هاجوارا ، اليابان .

في عيد رأس السنة ، شيخ إحدى القرى في شمال غربي تايلاند ينثر حب الارز على حشد من أهل القرية ، مُضفياً عليهم بذلك الفضائل الروحية التي تقترن عادة بالأرز .

الصفحة الملونة

أعلى ، امرأتان من الهاريجان (طبقة المنبوذين في الهند) مع أولادهما خارج البيت الذي زيّناه بمعجون الأرز ترحيباً بلاكشمي ، إلـهة الثراء . وتمثّل الزخارف أرزاً وسط الزهور .

تصوير : © برافولا موهانتي ، تانتبور ، الهند

أدنى إلى اليسار ، تروي الأساطير أن أول أرز أدخل إلى اليابان كان أرزاً أحمر . وحتى يومنا هذا يُزرع صنف أرز أحمر في حقول الارز المقدّسة التي تنتمي إلى مزار تاكوزو في تسوشيما ومزار هومان في تانيجاشيما . ويظهر في الصورة مشهد من طقس معروف ذي صلة بأرز تسوشيما الأحمر . ففي قرية تسوتسو في تسوشيما تتناوب خمس عشرة أسرة من الأسر القديمة زراعة الارز الأحمر وانتخاب أحد أعضائها ليتزعّم الطقس . وفي كل عام تُجْدل بالة كبيرة (تعرف باسم التانيموميدوارا) من أول أرز أحمر يُحصد وتُعلّق في بيت زعيم الطقس . وفي منتصف ليل اليوم العاشر من أول شهر من التقويم القديم ، تُنزل هذه البالة ، مُدثّرة في ثوب شعائري ، وتُنقل في موكب من بيت من كان زعيم الطقس في العام السابق إلى بيت الزعيم الجديد . وعندئذ يصطف أهل القرية على جانبي الطريق ويركعون تعبّداً للـ تانيموميدوارا المقدسة عندما تمر في موكب يتقدمه حامل الشعلة .

أدنى إلى اليمين ، كعك أرز مصنوع من الأرز الأحمر والأرز الأبيض .

الصورتان : © مركز اليونسكو الثقافي الآسيوي ، طوكيو

(تابع صفحة ١٠)

يُعبّروا عن شعورهم بالعرفان إزاء هذا الكلب أعطوه نصيباً من أول وجبة طعام جُهّزت بعد الحصاد .

وفي أساطير شرق وجنوب شرق آسيا يتباين كثيراً ما بين روح الأرز وآلهة الأرز من علاقة . ففي جاوة على سبيل المثال يُقابل بين إلـهة الأرز سري وإلـه الأرز وسنو أو سيدانا . ففي موسم الحصاد ينظر إليهما على أنهما عروس وعريس . وعليه فحين تظهر براعم الأرز يقال إن الأرز «حامل» . وحين يُحصد الأرز تُنقل إلـهة الأرز مع زوجها إلى مخزن الغلال ليتمتعا بليلة العرس بدون أن يزعجهما أحد . وبهذا تتهيأ التربة لاستقبال محصول جديد . أما في تايلاند فإن إلـه الأرز يُجري عملية الإخصاب في حقل الأرز ذاته ثم يأوي بعد الحصاد إلى سقيفة يظل بها إلى أن يحل العام التالي .

ولدى شعب المووخ في فيتنام يُقدّم الأرز للأسلاف وللأرواح المبجّلة بمناسبة الاحتفال بالسنة الجديدة (تت) . وبعد ذلك لا يؤكل الأرز فحسب وإنما يُقدّم أيضاً إلى الأرز ذاته ، وبهذا تتضاعف قداسة الأرز .

ويتبوأ جميع الآلهة ـ إلـه الأرز ، وروح الأرز ، وإلـه الحقول ـ مكانة هامة في هذه الأساطير . ففي اليابان نجد أن الآلهة المرتبطة بزراعة الأرز هي في العادة آلهة لا تمكث في الحقول دائماً وإنما تأتي إليها في وقت نمو الأرز فحسب . كذلك فإن آلهة الجبال تصبح آلهة الحقول في فصل الربيع حين تأتي إلى حقول الأرز . وفي فصل الخريف بعد أن يتم الحصاد تعود مرة ثانية إلى صفتها الأولى كآلهة للجبال حيث تعود لقضاء فصل الشتاء .

وتتسم فكرة المجيء والرواح الفصلي لآلهة الحقل على هذا النحو بأهمية خاصة في فهم المعتقدات المقترنة بزراعة الأرز في اليابان . وعلى الرغم من أنني لم أعثر على فكرة مشابهة لها في أرجاء أخرى من شرق وجنوب شرق آسيا فإنه توجد في لاوس فكرة مؤداها أن أرواح الثعابين تقطن الحقول والبرك أثناء موسم الأمطار وتذهب إلى الأنهار أثناء موسم الجفاف .

بيد أن الزمن يتغيّر . فطقوس زراعة الأرز التي كانت تؤدّى في مناطق كثيرة ، والأساطير التي تتحدث عن أصل الأرز ويتداولها الناس على نطاق واسع ، بدأت كلها تتلاشى وتضمحل شيئاً فشيئاً مع زخف التحديث وما طرأ من تغيّرات تقنية على فلاحة الأرض . ومع موت كل رجل شيخ أو امرأة عجوز تضيع أسطورة ويختفي طقس سوي آخر . وعلى عاتق علماء الأنثروبولوجيا ودارسي الفولكلور في تلك المناطق تقع مسؤولية هامة تتمثل في تسجيل هذا الثراء البالغ الذي تضمه ثقافة الأرز ونقله إلى الأجيال المقبلة ■

أونياشي تاريو

أونياشي تاريو . أستاذ الأنثروبولوجيا الثقافية بجامعة طوكيو . أخصائي في التاريخ الثقافي لشرق آسيا وجنوب شرق آسيا . ألّف عدداً من الكتب في الميثولوجيا والإثنوغرافيا والتاريخ الثقافي لليابان القديمة . اشترك في مشروع بحث لدراسة زراعة الأرز وجوانبها الثقافية في آسيا ، نظّمه بمعاونة اليونسكو بين عامي ١٩٧٨ و ١٩٨٣ مركز دراسة ثقافات شرق آسيا ، طوكيو .

فلّاح قرية نانبور

بقلم : برافولّا موهانتي

كروشنا جينا هو صديقي منذ الطفولة . لقد ذهبنا إلى المدرسة معاً ولكنه انقطع عن الدراسة عندما بلغ سن الثانية عشرة لكي يعاون أباه في فلاحة الأرض . وهو ينتمي إلى مجتمع الفلاحين في قريتي نانبور التي تقع في شرق الهند حيث يشكّل الأرز الغلة الرئيسية .

ويعيش كروشنا في بيت من الّلبن مسقوف بالقش . وهو متزوج وعنده خمسة أولاد ، ثلاثة أبناء وابنتان . وقد توفي أبوه منذ خمس سنوات وتعيش معه أمه البالغة من العمر خمسة وسبعين عاماً .

ويبلغ كروشنا من العمر نحو خمسين عاماً ولكنه يبدو أكبر من ذلك سنّاً . وأذكر أنه كان بهيّ الطلعة غير أن بشرته أصبحت اليوم كامدة وذابلة من جراء العمل تحت وطأة الشمس وهطول المطر . وهو يقول في هذا الصدد : «إن زراعة الأرز مهمة شاقة ولكي تعمل في التربة لا مناص لك من أن تغدو تراباً» .

تعلّم كروشنا فلاحة الأرض بمشاهدة أبيه وهو يعمل . وهو يُعدّ مزارعاً كفؤاً ويطلب منه بعض أهالي القرية أن يزرع لهم أرضهم . فقد جرى العرف بألا يقوم البرهمانيون وغيرهم ممن ينتمون إلى الطبقات الراقية بأعمال يدوية ، على حين أن مُتقفي اليوم يرون في العمل في الحقول غضاً من شأنهم . لذلك فهم يعهدون بأرضهم إلى فلاحين أجراء يزرعونها مقابل خمسين في المائة من غلتها .

ويبلغ ما يملكه كروشنا من الأرض قرابة هكتار وربع الهكتار تتألف من قطع مُبعثرة يبعد بعضها ثلاثة كيلومترات عن بيته . وهو يستأجر أيضاً قطع أرض أخرى من عدة أسر . وقد وضعت الحكومة خطة لتجميع الأراضي وتوزيعها من أجل تمكين الفلاحين من امتلاك أراضٍ في منطقة واحدة . غير أن هذه مهمة صعبة نظراً لأن الأراضي ليست كلها مروية وأكثرها قيمة هي الأراضي التي تقع بالقرب من قنوات الري .

ويبدأ كروشنا حرث حقوله في منتصف إبريل/نيسان الذي يصادف بداية الصيف والسنة الجديدة . ويحدّد هذا التاريخ منجّم القرية . وتقوم بالحرث ثيران تجر محراثاً خشبياً من صنع نجار القرية ، ولا يوجد بالقرية جرارات ؛ وحتى لو وجدت لصعب استخدامها بالنظر إلى صغر مساحة قطع الأرض . ويقول كروشنا : «إن محراثاً تجرّه الثيران هو أفضل شيء لزراعة الأرز» .

والحراثة فن علّمَهُ إياه أبوه عندما كان في سن العاشرة . غير أن الحر يشتدّ في أيام الصيف بدرجة تتصدع معها التربة وتغدو الحراثة عملاً شاقاً . ولا بد من بعض المطر لترطيب التربة .

وتتطلب زراعة الأرز إمدادات منتظمة من الماء ولكن هطول الأمطار بكثرة قد يؤدّي إلى تلف المحاصيل . وتوجد شبكة من الأنهار ولكن لا يوجد ريّ بالمعنى الصحيح . وتفيض الأنهار أثناء فترة الرياح الموسمية التي تبدأ في يوليو/تموز وتستمر حتى أكتوبر/تشرين الأول . وإذا دامت مياه الفيضان أسبوعاً واحداً عادت بالنفع على حقول الأرز إذ تُخلّف غرْيناً خصباً يقتل الأعشاب الضارة ويخفر الحو . غير أنها إذا بقيت مدة أطول أتلفت حقل الأرز برمّته .

ويقول كروشنا : «إن أمي لا تكُفّ عن التوسل إلى الآلهة لكي تُنزل الكمية المناسبة من المطر في الوقت المناسب» .

وفي منتصف شهر يونيو/حزيران تكون الأرض قد تهيأت للزراعة . فينثر الفلاحون البذور ويدعون بهطول المطر . ثم يستريحون ثلاثة أيام يُحيون أثنائها مهرجان راجا الشعبي فيتوقفون عن العمل ويكبّون على الأكل واللهو . كان راجا في الأصل مهرجاناً قروياً للاحتفال بامتلاء أثداء الأرض بأول قطرات أمطار فترة الرياح الموسمية . وهو يرمز للخصب والخصوبة . إنها لفترة ممتعة غاية الإمتاع للفتيات العزب إذ يعشن أثناءها معاً في غرفة واحدة طوال ثلاثة أيام ، ويغنّين الأغاني الشعبية ويركبن الأراجيح ، ويرتدين الساريات الجديدة ويزيّن وجوههن بمعجون خشب الصندل وشعرهن بالأزهار المدارية العبقة .

ويستيقظ كروشنا كل يوم قبل الفجر فيغسل وجهه ويُطعم ماشيته بالتبن وقشور الحب ومنقوع الأرز الذي تخزنه زوجته بانتظام في قدر من الفخار . وتعكف الزوجة على كنس الأفنية وتحضير وجبة الإفطار لزوجها وأولادها . ويتألف فطور كروشنا من طاس من الأرز المنقوع في الماء مع الصلصة وبعض النيء . وهو يكرّس قطعة صغيرة من الأرض وراء منزله لزراعة الفلافل والخضر . وفي بعض الأحيان تُعدّ أمّه كعك الأرز لجميع أفراد الأسرة .

«إننا نأكل الأرز في كل وجبة . وعندما كنت طفلاً ، لم نكن نأكل أيّ شاباتي (خبز رقيق مصنوع من دقيق القمح) ولم يكن يُقدّم لنا في الأعياد والمهرجانات سوى الرقاق المقلي . غير أن القمح أصبح اليوم أرخص ثمناً من الأرز وبدأ عدد كبير من أهل القرية يتناولونه في وجبة العشاء . وعند منتصف النهار نأكل الأرز المسلوق و **الدال** (بازلاء تزرع في الهند) والخُضَر . وبعد إطعام الأسرة تعمد زوجتي إلى جمع ما يتبقى من الأرز في الماء وتخزنه في قدر من الفخار وتتركه يختمر ؛ وهو طعام يحظى بإقبال عظيم في موسم الصيف ويُعرف باسم «باكهالا بهاتا» . وهو لذيذ الطعم عندما يُمزج بالملح وعصير الليمون ويؤكل مع السمك المُجفّف والسبانخ المقلية» .

ويمضي كروشنا إلى الحقل على أثر فراغه من وجبة الإفطار . ويساعده في عمله الهريجان (شخص ينتمي إلى طبقة المنبوذين) سِدْهيا مالك . وسِدْهيا لا يملك أرضاً فهو يعمل كمزارع أجير . وحتى عهد قريب كانت قطعة الأرض التي يقوم عليها بيته ملكاً لقروي من طبقة عليا . أما الآن فقد أصدرت الحكومة قوانين بشأن إصلاح الأراضي تمنح سِدْهيا حقّ ملكية الأرض . لقد عمل بجد واجتهاد ووفّر بعض المال واشترى ثورين . غير أن أحدهما مات فجأة في العام الماضي ولم يتمكن من شراء غيره وهو لهذا يستعير حيوانات كروشنا لحرث حقله . ويتوقف كروشنا عن العمل عند منتصف النهار . وفي طريق العودة يغتسل في النهر ويغسل حيواناته ويتحدث مع أصدقائه في شؤون الزراعة . وهو يبتهل بالدعاء قبل البدء في تناول الطعام ثم يستريح إلى أن يتلاشى وهج الشمس نحو الثالثة بعد الظهر . وبعد ذلك يعود إلى الحقل ليعمل فيه حتى يُقبل المساء قرب السادسة عندما تشعل زوجته مصباح الزيت لاستقبال الليل .

وهو يأتي بالماء من البئر ويُطعم الماشية ويربطها في حظيرتها . وفيما هو يشرب كأساً من الشاي الذي يُؤثِر عليه حب الأرز المشوي ، يُحدّث زوجته عن يومه كيف قضاه ويستمع إلى بعض موسيقى الأفلام في المذياع . وفي بعض الأمسيات ينضم إليه أصدقاؤه فيتبادل معهم الآراء بشأن زواج ابنته التي بلغت من العمر سبعة عشر عاماً وكفّت عن الذهاب إلى المدرسة منذ قليل .

وطالما سمع كروشنا أمّه تقول محذّرة . «ليس من الخير أن تظل الإبنة عزباء في بيت أبيها» .

ولكن العثور على فتى لائق ليس أمراً سهلاً ، والآباء يطلبون مهراً مكلفاً : ساعات ودرّاجات وأجهزة راديو وحليّاً ذهبية . والآن وقد بلغ التلفزيون المدن أصبح جهاز استقباله جزءاً من المهر .

«لو تمكن ابني من العثور على عمل لانتهت مشكلاتي» .

إن أكبر أبنائه يبلغ من العمر أربعة وعشرين عاماً وقد أنهى دراسة الآداب في المعهد المحلي منذ وقت قريب ولم يعثر بعد على عمل وهو يبقى في البيت لا يفعل شيئاً .

يقول كروشنا : «إن من الصعب عليّ الحصول على نقود سائلة ، فنحن نأكل ثمار كل ما نزرعه ولا يبقى للبيع إلا القليل . لقد علّمت ابني لكي يتمكن من العمل في المدينة ويمدّنا ببعض المال» .

وإذا لم يهطل المطر في الوقت المناسب لاستنبات الأرز ، انتاب الفلاحين اليأس إذ يضطرهم ذلك إلى شراء المزيد من البذور التي تكلفهم غالياً . وبعد كل موسم حصاد يحتفظ الفلاحون بكمية من الأرز لاستخدامها كبذور . غير أنه كثيراً ما تأكل معظمها الجرذان والحشرات أو تُطبخ لإطعام الأسرة .

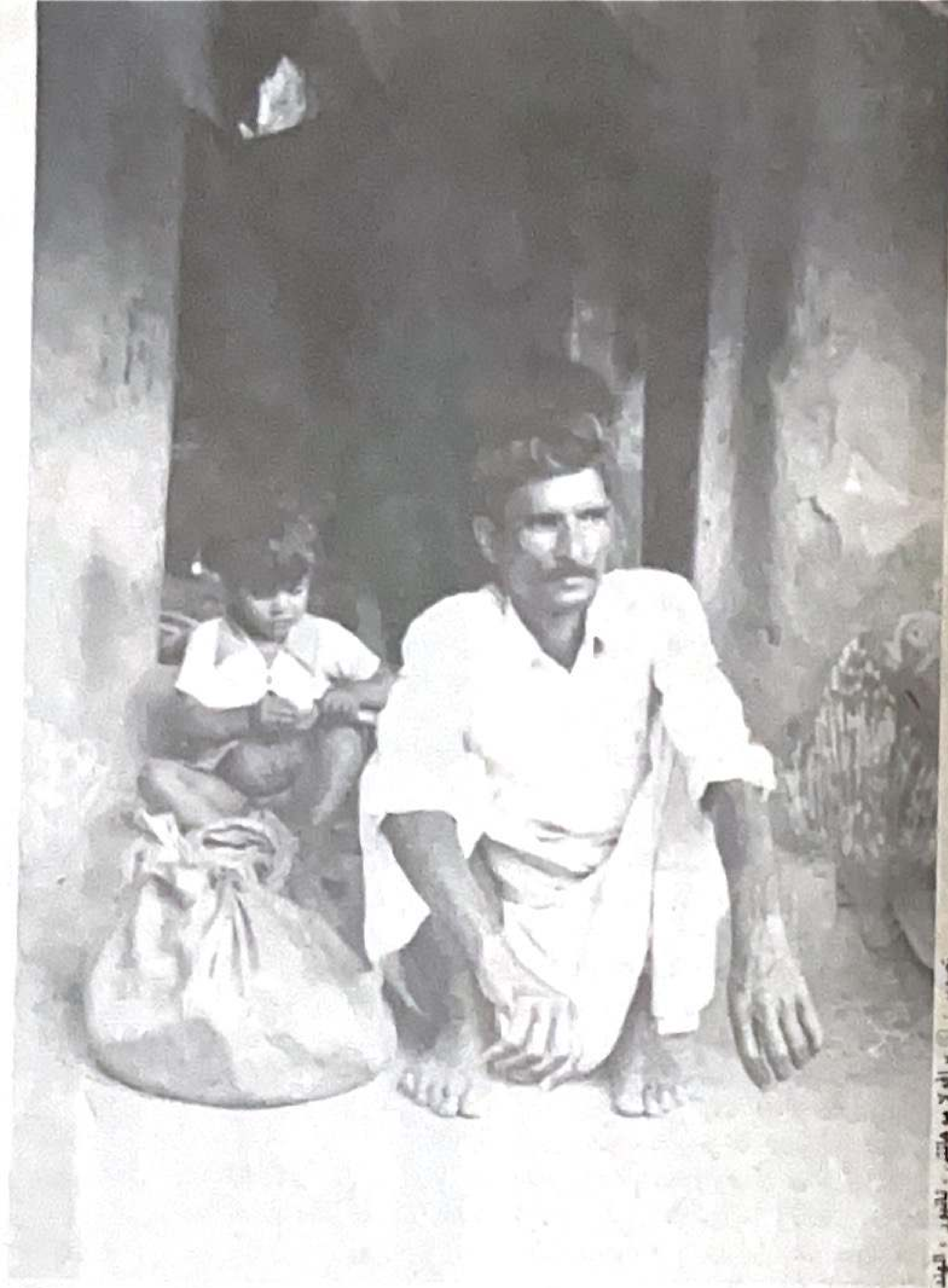
ويُشتَل الأرز بقصد ازدراعه وهي عملية تحتاج إلى قدر كبير من العناية . فتُرشّ البذور أولا بمبيدات الحشرات وتُجفّف في الشمس . ثم تُنقع في الماء لمدة أربع وعشرين ساعة توضع بعدها في سلال من الخيزران وتُغطّى بالقش وتُرَشّ بالماء الفاتر . وتُنشر عليها أكياس من الخيش . وبعد ثلاثة أيام أو أربعة تبدأ البراعم في الظهور . وفي هذه الأثناء يكون المزارعون قد هيأوا رُقعاً خاصة من الأرض بتسميدها حتى تُزرع فيها البذور . وتحتاج الغرسات إلى ثلاثة أسابيع لكي تنمو ويبلغ ارتفاعها عشرة سنتيمترات وعندئذ تغدو جاهزة للازدراع . وريثما يتم ذلك تسوّى أرض الحقول بحيث يكون للتربة قوام الطين . وتزرع الغرسات في صفوف تفصل كلاً منها عن الآخر مسافة خمسة عشر سنتيمتراً . وتحتاج غرسات الأرز إلى إمدادات مستمرة من الماء — قرابة أربعة سنتيمترات . ثم تُجفّف الحقول قبل الحصاد بأسبوعين .

«يستغرق محصول الأرز أربعة أشهر من اليوم الذي أغرس فيه البذور إلى يوم الحصاد ولا يخلو الأمر من المشكلات . فإذا عصفت الريح في فترة الإزهار تُلِف الأرز ؛ كذلك فإن الحشرات تأكل الغرسات وهذا يتعين عليّ أن أرشّها بالمبيدات التي تكلفني غالياً وعليّ أن أكف عن استعمالها بعد نمو سنابل الأرز» .

ومع هبّات النسيم تهتز الحقول ذات الخضرة الناضرة فتبدو كأمواج خضراء . ويتغير لون النبات تدريجياً إلى الأخضر الغامق ثم إلى أصفر ذهبي عندما يبلغ ارتفاعه قرابة المتر . وعندما يكون المحصول جيداً ينحني النبات تحت ثقله .

«لشدّ ما يسعدني أن أرى الحقول مليئة بالمحاصيل ! ومما يُثلج صدري أنني فلاح قادر على تزويد أسرتي بطعام نقي أنتجه بجهدي وكدّي . فالطعام الذي نشتريه طعام مغشوش إذ أن التجار يمزجون الدقيق بنشارة الخشب وزيت الطهو بالزيت الأبيض . وفي أشهر الشتاء أزرع العدس والبطاطس والخُضر وأبيع قسماً منها في السوق . وأنا أحب أيام السوق لأنها تتيح لي لقاء الأصدقاء القادمين إليها من قرى مجاورة . وأثناء موسم الجفاف أزرع محصولاً ثانياً من الأرز» .

وكروشنا لا يعرف ما هي الثورة الخضراء . والحكومة تشجع الفلاحين على استخدام الأرز وافر الغلة والأسمدة ومبيدات الحشرات من أجل إنتاج محصول ثان . وذلك أمر لا يتسنى تحقيقه إلا من نوفمبر/تشرين الثاني إلى مايو/أيار . ولا تُزرع من الأرض سوى بضعة فدادين ويظل الباقي بدون زرع . وفي الماضي كان روث البهائم هو المصدر الوحيد للسماد غير أن نساء القرية كن يحرقن معظمه كوقود . وتباع الأسمدة ومبيدات الحشرات في السوق بدون أي قيد ومعظم الفلاحين لا يدركون آثارها الضارة على المحاصيل وعلى صحة البشر . فمبيدات الحشرات هي مواد سامة إلى درجة مكّنتها من إبادة جانب كبير من ◄


تصوير : © برافولا موهانتي ، نانبور ، الهند

كروشنا الفلاح يجلس في مدخل بيته ومعه ابنه وزكيبة أرز بجوار قدمه .




الصورتان : © برافولا موهانتي ، نانبور ، الهند

أدنى إلى اليمين ، في قرية نانبور بالهند زخارف حائطية بمعجون الأرز تظهر فيها فيلة وطواويس وزهور اللوتس (انظر أيضاً صفحة ١٢ الملونة) . أدنى إلى اليسار ، مهليا بودا ، إله قرية نانبور ، ومعه خادمه . ويزيّن الإله معجونٌ قرمزي ويعلو رأسه تاجٌ من الزهور .

الحياة البرية فاختفت أبناء آوى وذهبت الضفادع التي كانت تملأ سكون الليل بنقيقها .

«إنني أرُشّ مبيدات الحشرات ووجهي مغطى بقطعة من القماش . ولهذه الغاية أستأجر مضخة من الحكومة . وربما كان أيسرّ لي لو أنني أمتلك مضخة خاصة بي ، غير أنها تكلّف ثمناً باهظاً . لقد أدخلت الحكومة بذوراً جديدة يُغِلّ الهكتار الواحد منها أكثر مما يغل الهكتار من البذور المحلية . فالأرز أبيض ويطهى بسهولة ولكنه عديم النكهة» .

«إنني أزرع أنواعاً مختلفة من الأرز . بعضها طويل الحبات والبعض الآخر قصير الحبات ولها كلها نكهات مختلفة يتميّز بها أرز منطقتنا ، ولُصِرُّ والدي على أن أزرعها وإلا فقدناها في غضون سنوات» .

«وعندما أحصد الأرز في نوفمبر/تشرين الثاني ، تكون السماء زرقاء والشمس ذهبية . فأقطع الأرز وأتركه في الحقل بضعة أيام لكي يجف . ثم أربطه في حزم أنقلها إلى البيت على رأسي . إنني أشعر بالفخر والاعتزاز ؛ وعندما يكون المحصول جيداً تقرأ الابتسامة على وجوه جميع أهل القرية» .

«وأيام الخميس أثناء موسم الحصاد ، تنظّف زوجتي البيت وتكسو أرضه وجدرانه بجص الطين وتزخرفها بعجينة الأرز ترحيباً بلاكشمي إلهة الثراء . وتصنع باقي الأكاليل بباقات الأرز وتضعها حول البيت . أما أنا فلا أذهب إلى العمل بل أبقى في المنزل وتُعِدُّ زوجتي صورة للإلهة لاكشمي بوضع طاس من الأرز في وسط الغرفة وتزيينها بقطع النقود والأزهار . وتُقدّم طلائع الأرز التي نؤتى بها من الحقل إلى الإلهة وتتقاسمها الأسرة . وفي تلك الليلة يمكن أن أنام نوماً هنيئاً وإن كانت مشكلاتي لم تنته بعد . فكل ما يمكنني أن أحصل عليه من أرض يكفي بالكاد لإطعام أسرتي . ذلك أنني أعول ثمانية أشخاص وعليّ أن أشتري لهم الملابس والأدوية وأن أنفق على تعليم الأولاد . لذلك لا أستطيع أن أشتري لنفسي قميصاً جديداً . ولا يكُفّ الفيضان أو الجفاف عن الحدوث ؛ وعندما يحل هذا أو ذاك أحْرَم من ثمار كدي وجهدي» ■

برافولاّ موهانتي

برافولاّ موهانتي كاتب ومُصوِّر هندي عُرِضت لوحاته في أماكن مختلفة من العالم بما في ذلك أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية واليابان فضلاً عن الهند . وقد تُرجِم كتابه المعروف **My Village, My Life** (قريتي ، حياتي) ، ١٩٧٣ ، الذي يشيد بذكر القرية الهندية التي وُلِد ونشأ فيها ، إلى اللغات اليابانية والنرويجية والدانماركية . وستتولى دار نشر جامعة أكسفورد في العام القادم إصدار كتاب له عن الأجلير كما يراهم الهنود .

عيد البونجال

بقلم : جي ديلوري

أي عمل آلف لدى فلاح أو قروي في جنوب الهند من أن يطلب طهو أرزه ؟ وأي شيء أكثر شيوعاً من القدر الفخاري المنتفخ الذي تحضّر فيه النساء كل يوم وجبات الطعام ؟ وأي شيء أطول شروقاً من شمس ما بين خط الاستواء والمدارين ؟ ومع كل ذلك فهذه الأمور الثلاثة المألوفة هي التي تشكل كل عام محور عيد البونجال الكوني ، فضلاً بطبيعة الحال عن البقر والثيران .

وعلى حين أن بعض الحضارات قد سعت إلى فصل ما هو مقدس عما هو دنيوي وإلى حصر الدين في نطاق المواهف ، فإن الهندوسيّ يُقيم شعائره انطلاقاً من أبسط الأشياء وآلف الأعمال لديه . فالكون في نظره نظام تُدغدِغ فيه الرعشة الصادرة عن أصأل أعشاب الأرض أبعَد نجوم السماء ، وتنتظم طبقات الشعب حول القرية كما تدور الكواكب حول الشمس كل منها في فلكها الخاص بها . فنظام الطبقات نظام شمسي شأنه شأن نظام الذرّات التي يتألف منها جسم الإنسان ، أو شأن دورة الفصول ودوران القمر .

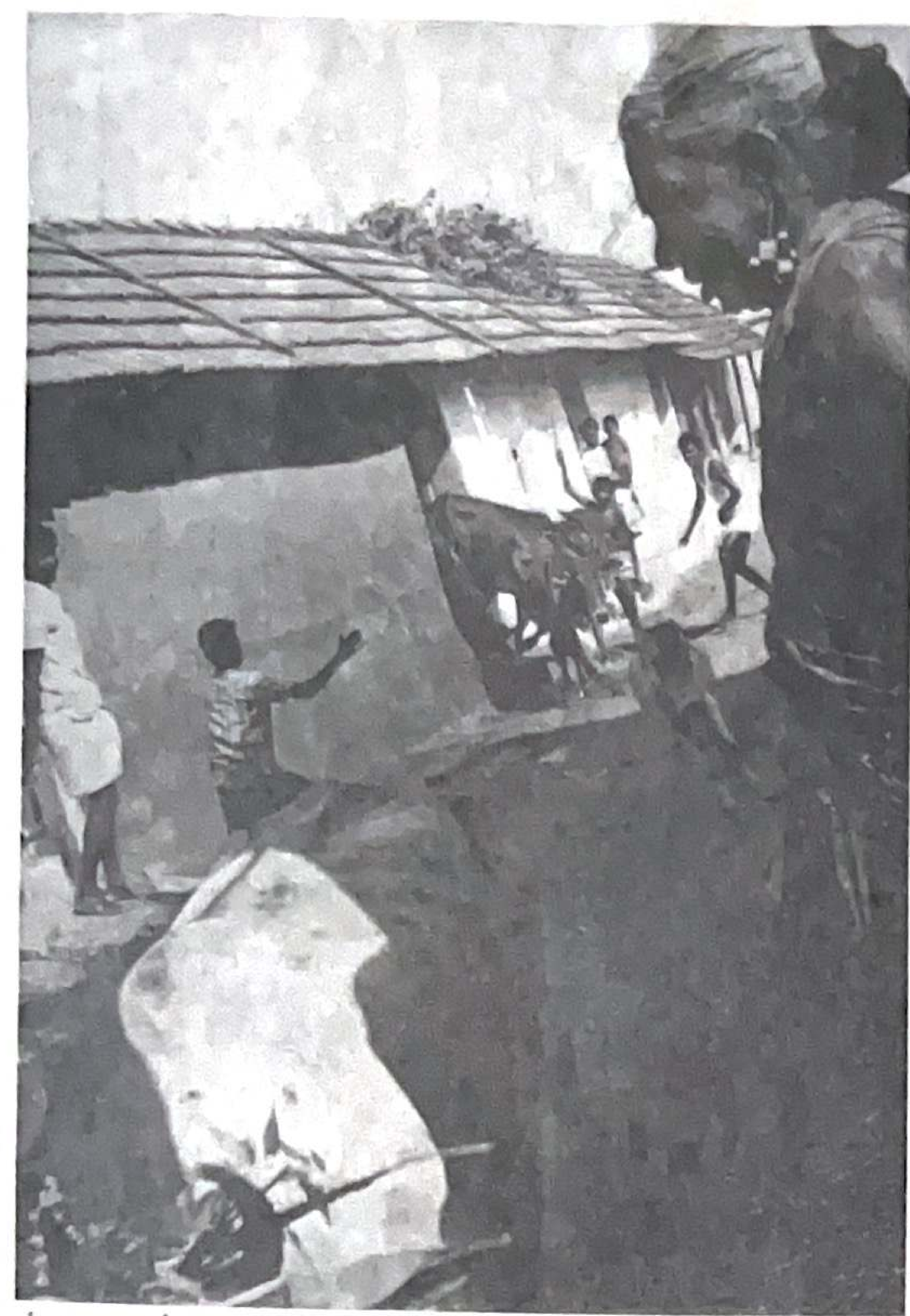
ولتُشكّل الأعيادُ المحاورَ المفضلة التي تلتقي فيها كل حلحات الكون فتولّد لحناً له دلالته . وخير مثال على هذه الأعياد عيد البونجال في تاميل نادو أو أرض التاميل في الطرف الجنوبي الشرقي لشبه جزيرة الهند . ففي الهند يحتفل كل إقليم بعيده الخاص الذي يُعبّر فيه عن هويته الفريدة : فهناك عيد «جنباتي» في مَهَرَشترا وعيد «دورجا» في البنغال وعيد «أونام» في كيرالا وهكذا دواليك .

والبونجال هو عيد انقلاب الشمس الشتوي حيث تنتقل من نصف مدارها الجنوبي إلى نصفه الشمالي ويعود النهار فيطول من جديد يوماً بعد يوم . ولئن كان انقلاب الشمس الحقيقي يبكّر قرابة شهر في الوقت الحاضر ـ أي يحدث نحو ٢١ ديسمبر/كانون الأول ، فلا يزال الاحتفال به يُقام في التاريخ الذي حُدِّدَ له في القرن السادس ، ربما لأن دخول الشمس في فلك برج الجَدي يوافق موسم حصاد الأرز الجديد . ولئن كان هذا التاريخ يسمح بإبراز أهمية العلاقة بين الشمس والأرز ، فإن طابعه الشعائري هو الذي يجعله ينعكس أيضاً على الإنسان والمجتمع . فالشمس تُخرج الأرز من الماء فيتحوّل إلى غذاء يبث الحياة في بَدَن الإنسان . وأدوات هذا التحوّل المزدوج هي الثيران التي تُفلِح حقول الأرز والقدور التي تتخذ وعاء لطهوه . ويجمع العيد بين عناصر الحياة الجديدة الأربعة : الشمس والأرز والقِدْر والثّور ، يضاف إليها عنصر خامس هو مجتمع القرية .

ويدوم هذا العيد يومين أو ثلاثة أيام أو أربعة



أثناء الاحتفال بعيد البونجال في تاميل نادو (أرض التاميل) بجنوب الهند ، يَتبوّأ الثيران والأبقار مكانة الملوك والملكات طوال يوم واحد . في الصفحة المقابلة امرأة من قرية مل سفال ، إقليم تيرونلفيلي ، تطهو الأرز لمواشي الأسرة . وترى على الأرض علامة الكولام التي جرت التقاليد برسمها بالجير الأبيض أمام البيت (انظر عدد مارس/آذار من رسالة اليونسكو : ثقافة التاميل ، ثقافة حية) . إلى اليسار ، أبقار وثيران حُمِّمت وكُلِّلت بالزهور ترتع طليقة في القرية طول اليوم .



تصوير : © ماري لويز رينفش ، باريس

حسب مناطق أرض التاميل . وما اليوم الأول إلا وقفة العيد التي تُسمّى بالهندية «بهوجي» ، وتعني «المتعة» ؛ وهي كوقفة عيد انقلاب الشمس الصيفي أو كوقفة عيد الـ «ديوالي» (عيد المصابيح) . وهو يوم الغسيل الكبير إذ يتطهر الناس من آثار السنة الماضية ويَجمع الصبيان كل قطع الخشب والسّلال القديمة المهمَلة وتُطلَى الجدران الخارجية للمنازل والمعابد بالكلس الأبيض . وبعد الظهر يُطْهَى الأرز بالماء ، وتُقدَّم أحياناً بعض القرابين إلى ماريامَا ، إلهة الأوبئة ، وتقام على العموم طقوس لتكريم أرواح الأجداد . وتُكسَّر القدور الفخارية القديمة ويَهب الخزاف قدوراً جديدة للأسَر التي تندرج في عداد زبائنه . وكما هو الحال قبيل عيد الدورجا في البنغال أو عيد الجنباتي في مَهَرَشترا ، يعمل الخزافون ليلاً ونهاراً طوال أسابيع في صنع القدور اللازمة للعيد .

وعلى حين يميل الناس اليوم باطراد إلى شراء هذه القدور من الأسواق ، كانت كل أسرة من أسر الخزافين في الماضي تتبادل الخدمات مع بعض أسر الفلاحين المتجين في القرية ، وذلك وفقاً لنظام يُطلَق عليه اسم «جاجماني» . وكان البونجال واحداً من تلك الأعياد التي تتوطد فيها العلاقات بين أسر القرية بمختلف طبقاتها وتتوثق عراها .

وذلك هو المغزى الذي يتجلى في احتفالات اليوم الثاني الذي يُدْعَى البونجال الكبير وأحياناً بونجال الآلهة ، والذي تطهو فيه كل أسرة قِدْراً من الأرز وتقدّم إلى سائر الأسر وفقاً لأولويات تقليدية حصصاً منه على أوراق من شجر الموز . وقد يحدث أن تطبخ الطبقات الراقية أرز العيد في الصباح وتطبخ باقي الطبقات أرزها بعد الظهر ، أما الأرز الجماعي (أي الذي يُوزَّع على العامة) فكان يُطهَى أمام المعابد . والأرز المُفضَّل في هذا العيد هو الأرز المُحَلّى بالسكر والذي تُراعَى في تحضيره عادات شتّى ويدخل في طهوه السكر الأسمر المستخرج من القصب وجوز الهند والزبيب والعدس المقلي وحب الهال والزعفران والكافور . وتفتخر كل أسرة بطريقتها الخاصة في تحضير هذا الأرز ويرى فيه الأطفال أكبر متعة في هذا العيد لا يضاهيه في ذلك إلا لبس الجديد ومصّ قصب السكّر .

ذلك أن الأطفال تُقدّم لهم عيدان قصب السكّر المنتارة لمصّها في هذا العيد . ومن المعروف أن الهند هي أول من بادر إلى صنع السكّر كما يتضح من انتماء كلمة «سكّر» إلى أصل سنسكريتي . وعيد البونجال يُعدُّ يَوْمَ السكّر على الأخص ؛ ففي مَهَرَشترا ، حيث يُطلَق على هذا العيد اسم «مكرا ـ سنكرنت» (ويعني الدخول في فلك برج الجَدْي) ، يُوزِّع الناس على الأهل والأصدقاء يومَ العيد ملبسات صغيرة بالسمسم . وعندئذ يقول العاطي للمُتلقّي : «خُذ هذه الحلْوَى وقُل لي حُلْوَ الكلام» . وإذ يتبادل أهل القرية قطع الحلوى على هذا النحو ، فإنهم يَعِدُون بعضُهم بعضاً بأن يكون الودُّ رائدَ كل علاقاتهم طوال السنة المقبلة .

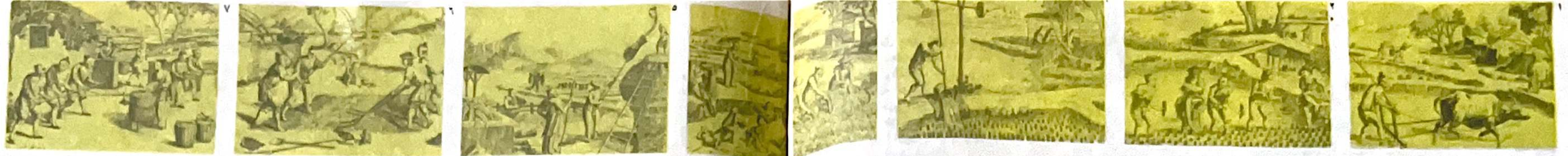
وفي هذا اليوم من العيد أو في اليوم التالي ، تُضاف إلى ملاط جدران المعابد الأبيض ـ الذي يُمثّل الإلـه فيشنو ـ خطوطٌ حمراء ترابية تُمثّل الإلـه شيفا . ولكن هذا اليوم من أيام العيد هو قبل كل شيء يوم المواشي إذ تحتل فيه الأبقار والثيران منزلة المَلِكات والملوك ، فتُغسَل وتُزيَّن وتُخلَع عليها الحُلَل المُزخرفة وتُناط بأعناقها عقود من قش الأرز وتُلوَّن قرونها ويُربَط فيما بينها بالحبل المقدس المصنوع من ألياف المونجا والمُلوَّن بالكركم الأصفر الضارب إلى الحمرة . وبعد أن تُزيَّن المواشي على هذا النحو تترك طليقة تطوف أرجاء القرية . ويُنظَّم أحيانا موكب رسمي تُراعَى فيه الأولويات الطبقية المتعارف عليها . وأخيراً نقدّم للمواشي وجبة من الأرز المُعطَّر والمُحَلّى بالسكر .

وتروي الأساطير أن الأبقار لا ترضَى بأن تترك جنتها لتأتي وتعاون الإنسان في فلاحة أرضه إلا بشرط أن يريحها يوما في كل سنة يَحتفِل فيه بعيدها . ويُعْتَبَر هذا التكريم اعترافاً من أهل القرية بما يدينون به للأبقار الحلوبة ولثيران الحرث من فضل . وعلى طبقات البشر وطبقات البهائم (وتستخدم نفس الكلمة (جاتي) للتمييز بين كل من «أجناس» البشر و «أجناس» البهائم) أن يمدّوا لبعضهم بعضاً يد العون حتى يواصل الكون دورانه .

ولعل هذا الجانب الكوني هو الذي يُضفِي معنىً حقيقياً على حلبة الثيران التي تقام في اليوم الرابع من عيد البونجال . ويتم اختيار هذه الثيران على أساس ما تتسم به من شراسة وقوة ، وتُذَبَّبُ قرونها لكي تزداد خطورتها ، وتُعلَّق على جباهها قطع الذهب والفضة ، ثم تُطلَق واحداً تِلْوَ الآخر في طريق مرسوم بعناية يمر وسط القرية ، وفي وسط الهتافات العالية أو وسط الصمت الرهيب يحاول الشبان انتزاع مدالياتها . تلك هي ثيران الشمس التي يستثار على هذا النحو عنفوانها حتى تنطلق في مسارها نحو الشمال يوم انقلاب الشمس الشتوي في تاميل نادو ، أرض شعب التاميل ■

جي ديلوري

جي دلوري كاتب فرنسي أمضى جانباً كبيراً من حياته في الهند وكتب عن كثير من جوانب الفكر الهندي والحضارة الهندية . يُخصّ بالذكر من أعماله **Renaître en Inde** (ميلاد جديد في الهند) ، ١٩٧٦ ، و **Le Modèle Indou** (النموذج الهندوسي) ١٩٧٨ ، وهو دراسة عن نظم الحضارة الهندية وبناها في الماضي والحاضر . ويظهر كتابه القادم **L'Inde en fête** (الهند تحتفل بأعيادها) عام ١٩٨٥ ، تصدره دار النشر **Lidis** ، باريس .



سبعة آلاف عام من زراعة الأرز في الصين

بقلم : هو بواشين وتشانج شوجيا

لزراعة الأرز غير المقشور تاريخ طويل في الصين . ويرد في إحدى فقرات الـ **شيجنج** (كتاب الأناشيد) نصّ مؤداه «التمر يجمع في شهر أغسطس/آب ، والأرز يحصد في شهر أكتوبر/تشرين الأول ، وتصنع منهما الخمور في فصل الربيع لكي تحتفل بما تتمتع به من طول العمر» ويشهد بأن الصينيين من سكان مقاطعة شانشي كانوا منذ ثلاثة آلاف سنة ، خلال حكم أسرة دجو الغربية ، يحصدون الأرز ويستخرجون منه الخمر . ومن ناحية أخرى فإن زراعة الأرز يمكن إرجاعها إلى تاريخ أبعد من ذلك كثيراً في الماضي . ففي عامي ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤ أجريت حفريات بقرية همودو ، إقليم يوياو بمقاطعة دجيجيانج ، أسفرت عن أن زراعة الأرز الهندي indica بمنطقة هانجدجو لها تاريخ يمتد على ٧٠٠٠ عام على الأقل .

وقد وصلت الزراعة الكثيفة للأرز غير المقشور إلى مستوى رفيع في عهد أسرة هان (٢٠٢ قبل الميلاد ـ ٢٢٠ ميلادية) . وتتضمن روزنامة الفلاح (**سيمن يولنج**) التي كتبت أثناء تلك الفترة وقائع عن ازدراع هذا النوع من الأرز ، كما كتبت في القرن السادس عدد من المؤلفات النظرية الفذة في منهجيتها وشمولها عن زراعة الأرز غير المقشور . ويقول لي بودجونج إن أسلوب إتباع محصول الأرز بمحصول قمح قد أدخل في بضعة من أكثر الأقاليم تطوراً أثناء حكم الإمبراطور جاوزونج والإمبراطورة وو (٦٥٠ ـ ٧٠٤) وعمّم في أوائل وأواسط عهد أسرة تانج (٧٠٥ ـ ٨٢٠) ولا سيما في مناطق دلتا التشانججيانج وسهل التشنجدو وعلى ضفتي نهر التشانججيانج .

وخلال الفترة التي أعقبت أواسط عهد أسرة تانج عانى وادي نهر الهوانج هو (النهر الأصفر) من حروب متصلة أدّت بالأمراء الإقطاعيين إلى أن يزيدوا من اعتمادهم في مواجهة المصروفات العامة الضخمة على الإيرادات العينية التي تأتي من الجنوب . وقد بلغ هذا الأمر مبلغاً غدت معه تسعة أعشار الإيرادات المحصّلة من كافة أرجاء البلاد تأتي من المنطقة الواقعة جنوبي نهر التشانججيانج . ففي تلك المنطقة ، حيث كانت تكاليف زراعة حقل الأرز غير المقشور تقل بنسبة ٢٠ ـ ٣٠ في المائة عما تكلفه زراعة مساحة مماثلة من الأرض الجافة ، كان الفلاحون ينزعون إلى الاستكثار من زراعة الأرز غير المقشور رغبة في زيادة دخولهم .

ومن ناحية أخرى كان مستأجرو الأرض من الفلاحين يعانون في ظل النظام الإقطاعي من استغلال شديد من قبل مُلّاكها . ويتحدث سو شي الكاتب الكبير الذي عاش في عهد أسرة سونج (٩٦٠ ـ ١٢٧٩ ميلادية) بأن «دخل الأرض كان يُقتسم بالتساوي بين مُلّاك الأرض ومستأجريها» . وكانت إيجارات الأراضي تُحصّل عيناً في معظمها ، غير أنه قرب نهاية فترة الإقطاع كانت تُحصّل أيضاً إيجارات نقدية تؤدّى بالفضة وإن ظل التقدير العيني لها قائماً إذ أن ما يحصّل من فضة كان يعادل مقداراً معيّناً من الغلة بسعر السوق .

ويُقال إن الأرز كان دائماً الغذاء الرئيسي لشعوب آسيا ، على أنه ولئن كان هذا صحيحاً في جوهره اليوم ، فإنه خلال الحكم الإقطاعي الطويل في الصين كانت الأسر الغنية والمتوسطة الحال هي وحدها التي بوسعها أن تتخذ من الأرز غذاءً يومياً لها . أما الفلاحون الذين يعملون في الأرض فكانوا يعيشون في مستوى الكفاف على كميات محدودة من الحنطة والشعير وحبوب أخرى بالإضافة إلى البطاطس والقلقاس .

وعلى أثر استصلاح أراضي وادي نهر التشانججيانج ، أدخلت بالتدريج أساليب زراعية جديدة بما في ذلك استخدام المحاريث والمسالف وآلات تفتيت التربة مع إيلاء اهتمام خاص لتنمية لنبات أرز سليمة . كذلك أدخلت تحسينات عظيمة على أدوات الزراعة فاستخدمت شفرات المحاريث المعقوفة وابتكرت أدوات حديثة لقطع التربة وتفتيتها وانتشرت الاستعانة بأجهزة للري تستخدم الطاقة المائية لرفع المياه تلقائياً ـ مثل السواقي والنواعير والطواحين الهوائية .

ولقد كثير من مشروعات الري واسعة النطاق التي يُذكر منها سدّ دودجيانج يان بمقاطعة سيتشوان ، وقناة لنج كيو بمقاطعة جوانجشي ، وقناة دجنجوو كيو بمقاطعة شانشي ، وقناة دجانجشوي كيو في إقليم لندجانج بمقاطعة هيبي . كما أقيمت في الجنوب كثير من نظم الري محدودة النطاق . وابتكرت طرق كثيرة لجمع وعمل الأخلاط المخصّبة للتربة لغرض تنمية مصادر السماد ، مثل جمع الروث من حظائر الماشية وتعفين مختلف المواد العضوية وتخمير أقراص السماد وحرق الروث أو تحميصه .

وجرى استنبات وانتقاء أنواع كثيرة محسنة من سلالات الأرز غير المقشور . وقد طُبّقت لأول مرة طريقة انتقاء السنابل الجيدة لأغراض الاستنبات في عهد أسرة هان الغربية (٢٠٢ قبل الميلاد ـ ٩ ميلادية) وما زال الفلاحون يستخدمونها حتى اليوم . ومن أمثلة ذلك ما حققه في أربعينات هذا القرن تشين يونجكانج أحد منتجي الأرز المعروفين في إقليم سونججيانج بمقاطعة دجيانجسو ، من نجاح في استنبات نوع من الأرز الياباني Japonica يعرف باسم لاو لاي تشينج وحققت غلته رقماً قياسياً .

كذلك جلبت الصين من الخارج تقنيات متقدمة وسلالات أرز جيدة . من ذلك مثلاً أن زراعة أرز دجان تشنج الذي جُلب من فيتنام قد انتشرت على نطاق واسع في مقاطعة فودجيان منذ عهد أسرة سونج الشمالية . وتمكّن هذا الصنف في نهاية الأمر من تعزيز



آلة خشبية لبذر حبوب الأرز يرجع تاريخها إلى عهد أسرة هان في القرن الأول قبل الميلاد .

تصوير : © أنجلانيت ، باريس

مجموعة من النقوش الصينية يرجع تاريخها إلى القرن الثامن عشر وتصوّر مراحل إنتاج الأرز : (١) بعد غمر حقول الأرز بالمياه ، يتيح تمشيط التربة مزج الماء بالأرض التي جففتها الشمس ؛ (٢) تُغرس في الحقل نبتات غضة لَمُنبت في مشاتل الأرز ؛ (٣) تُروى الحقول بحيث يواكب مستوى المياه نمو النبات ؛ (٤) الحصاد ؛ (٥) تُجمع حُزم الأرز في أكداس ؛ (٦) يُدرس الأرز ـ عادة فوق ألواح من الخيزران ؛ (٧) يُطحن الأرز لفصل القشر عن الحب .

حظوته لدى جماهير منتجي الأرز في جنوب الصين . وقد أضفت عليه قدرته الفذة على مقاومة الجفاف اسماً شعبياً هو «داحر الجفاف» . ومن السمات الأخرى التي قرّبته إلى نفوس الزراع قصرُ الفترة التي يحتاجها للنضج مما يتيح حصاده قبل هطول أمطار الخريف الغزيرة المستمرة .

وأدّت زراعة الأرز غير المقشور على نطاق واسع إلى زيادات مستمرة في إنتاج الغذاء في جنوب الصين . ففي الأجزاء الدنيا لنهر تشانججيانج ووادي بحيرة تاهو كان الأرز يُعطي محصولين في السنة . واحتل إنتاج الأرز في إقليمي سودجو وهودجو بوادي بحيرة تاهو مكانة هامة على الصعيد الوطني فكان هناك مثل شعبي يقول «إن محصولاً جيداً في سودجو وهودجو لكفيل بأن يطعم البلاد كلها» .

وأخذت مكانة الأرز تترسّخ شيئاً فشيئاً بين سائر الحبوب وباتت عملية شحن كميات كبيرة من الحبوب ، والأرز بنوع خاص ، من الجنوب إلى الشمال تقليداً منتظماً أرسى دعائم نمط من أنماط التموين الغذائي استمر لمئات من السنين . وساعد انتشار زراعة محصولين أو ثلاثة محاصيل سنوياً من الأرز على زيادة تعزيز مكان الصدارة التي يحتلها بين الحبوب الأخرى . وأصبحت منطقة إنتاج الأرز في جنوب الصين تتمتع بأهمية متزايدة في الاقتصاد الوطني .

وكان الأرز يُستخدم بطرق مختلفة . فبالإضافة إلى كونه الغذاء اليومي الأساسي ، كان يستعمل أيضاً لإنتاج أصناف كثيرة من النبيذ والكعك والفطائر ودقيق الأرز . ومما جاء في كتاب بعنوان **حكايات من وولين** (هانجدجو) ألّفه سيشوي كيانفو أثناء عهد أسرة سونج الجنوبية (١١٢٧ ـ ١٢٧٩ ميلادية) ، أنه كانت توجد أنواع كثيرة جداً من الخمور والفطائر في هانجدجو في ذلك الوقت . وقد ورد فيه ذكر عشرين نوعاً من الفطائر وتسعة أنواع من العصيدة . وكانت توجد فضلاً عن ذلك مطابخ خاصة لصنع الزلابية . وقد وردت في **سجلات أحلام الحبوب** ، التي كتبها وو زيمو ، قوائم مفصّلة من أنواع الأرز وأصناف الفطائر والكعك والزلابية المعروضة في محلات بيع أطباق الأرز . ويبلغ المئات عددُ أنواع الخمر والخل المصنوعة من الأرز عالي الجلوتين .

وكان علماء الطب الصينيون يؤمنون بأن الأرز غير المقشور «يملأ المعدة ويزوّد الجسم بحاجته من الطاقة ويساعد على سيلان اللعاب» . والواقع أن الأرز غير المقشور مشهور بقيمته الغذائية والطبية . فهو يحتوي على الليسين ، الحامض الأميني ذي القيمة الغذائية العالية . كذلك فإن نوعية البروتين الذي يحتويه الأرز تضاهي نظيرتها في الحبوب الأخرى . وعندما كان أسلافنا يصفون الدواء لمرضاهم كثيراً ما كانوا يضمّنونه الأرز لأنه «يحمي المعدة ويبثّ الخير في الجسم ويُخلّصه من الشر» .

وأثناء فترة النقاهة عقب مرض خطير ، وحين تكون المعدة بصدد استرجاع ما فقدته من قوتها ، يتعين على المرء أن يتناول طعاماً خفيفاً كحساء الأرز أو عصيدته .

لقد ظلت الحبوب لآلاف السنين تشكل العنصر الأساسي في النظام الغذائي لشعب الصين . واليوم ، وقد بلغت الحضارة المادية شأواً بعيداً من التطور ، أدخلت إلى الصين العادات الغربية في الأكل ومعها مفاهيم جديدة في التغذية . والجدل القائم الآن في الأوساط الأكاديمية الصينية يدور حول ما إذا كان الأرز يعتبر عنصراً رئيسياً أو مجرد عنصر ثانوي في الغذاء . غير أننا حين ننظر إلى المسألة من زاوية تاريخية نرى أنه مهما كان حجم وأهمية التغيّرات التي سيحدثها التطور العلمي والتكنولوجي في النظم الاغتذائية للشعوب في القرن الحادي والعشرين ، فإنه لن يتسنى رؤية رخاء الأمة الصينية ـ وهي أكبر أمم العالم عدداً ـ بمعزل عن الدور الذي يلعبه الإنتاج الزراعي في توفير ما يلزمها من طعام ■

هو باوشين
تشانج شوجيا

هو باوشين و تشانج شوجيا مهندسان زراعيان يعملان في إدارة الزراعة بوزارة الزراعة وتربية الحيوان وصيد الأسماك ، الصين .

في مزرعة تعاونية بمقاطعة مار لو على مقربة من شنغهاي ، يُستعان في حصد محصول الارز بماكينة صينية صُنعت خصيصاً لهذا الغرض .



الإله الذي سرق الأرز

بقلم : أوبياشي تاريو

وفقاً لأسطورة يتداولها الناس بإقليم سوميجاوا في محافظة إيواتي بشرق اليابان ، لم يكن يوجد في اليابان أرز في بداية الأمر . وفي ذات يوم سرق الإله إيناري ساما بضع حبات من أرز كارا (الصين) وخبأها في جوف قصبة كبيرة سدّ طرفها العلوي بالورق وقلّبها واتخذها عصا يتوكأ عليها أثناء سيره ، وعاد إلى اليابان ومعه أول أرز تشهده البلاد . وبالنظر إلى أن الإله قد خبأ حبات الأرز في قصبة مقلوبة ، فإن الزرّاع يعمدون دائماً إلى غرس قصبة مقلوبة في مهاد البذور . ومتى تم ازدراع النبات بنجاح فلا ضير من إيقاف القصبة وجذورها في التربة .

وهناك طريقة قديمة جداً لحفظ الأرز عن طريق تحميصه ، وهي تقترن بطقوس ازدراع الأرز هذه وبالأسطورة التي تواكبها ـ أسطورة الإيناري ساما (ومعناها «الإله الذي أتى بالأرز») وللحصول على **الياكيجومه** (الأرز المحمّص) ، يحمى شيّ الأرز ثم ضربه لفصل الحبات عن لحائها . ويمكن أكل **الياكيجومه** كما هو ، أو بعد إعادة تحميصه ، أو ممزوجاً بالماء الساخن . وفي القرون الأخيرة لم يعد **الياكيجومه** يُستخدم أساساً إلّا كطعام يُقدّم إلى الآلهة أثناء شعائر وطقوس تقام في حقل الأرز .

وفي شرق اليابان ، عندما تُنثر البذور في مهاد الأرز ، تقام شعائر **الميناكوتشي** بغية مباركة الفتحة التي تدخل منها إلى الحقل المياه القادمة من شبكة قنوات الري .

وفي قرية موراوكا في فوجيساوا بمحافظة كناجاوا ، يُقدّم **الياكيجومه** إلى الآلهة أثناء شعائر البذر (**الميناكوتشي**) ، ثم يوزّع على الأطفال ليأكلوه . والأرز الذي يتناثر من حول الأطفال وهم يأكلون **الياكيجومه** في مرح وسرور ، تتهافت عليه الغربان والعصافير . ويقال إنه على هذا النحو تكون النبتات النامية بمأمن من الأضرار التي تحدثها الطيور الجائعة . وكثيرة أيضاً هي القرى التي كانت تؤمن بجدوى الطقوس المتمثّلة في نثر **الياكيجومه** عند مدخل مياه الري إلى الحقل حيث تأكلها الطيور وتمتنع بالتالي عن إتلاف نبات الأرز .

وفي غرب اليابان يُقدّم **الياكيجومه** إلى الآلهة في مهرجان الحصاد عندما تُقطع بالمنجل طلائع نبات الأرز الأول للموسم وتُقدّم بمناسبة صلاة الشكر وفي مناطق عدة من غرب اليابان كان العرف يقضي بقطع ثمار الأرز الأول في احتفال شعائري وتحميص الحب حتى قبل أن يتم نضجه . وكان **الياكيجومه** يُقدّم إلى الآلهة والأسلاف ثم تتبادله أسر القرية كهدايا شعائرية .

واليوم يكاد استخدام **الياكيجومه** أن يقتصر على الأغراض الشعائرية ، غير أنه كان يمثّل في وقت من الأوقات غذاء مهماً ومناسباً للجنود والمسافرين ، شأنه في ذلك شأن **الهوشيي** ، وهو أرز يُطهى بالبخار ثم يُجفّف . وعلى حين أن **الياكيجومه** لم يعُد يحظى بالإقبال كطعام ، فإن **الموتشي** لا يزال يُعدّ طعاماً شعبياً ويحتلّ مكانة هامة في فن الطهو الياباني . وتُترجم لفظة **موتشي** في الإنجليزية عادة بـ «كعك الأرز» (rice cake) التي قد تكون ترجمة مضللة بالنظر إلى أن **الموتشي** لا يُحضّر من الأرز المغلي ولا من دقيق الأرز . فـ **الموتشي** هو عبارة عن أرز قصير الحب عالي الجلوتين يُطهى بالبخار إلى أن يصير ليّناً ، ثم يُسحق وهو ساخن في هاون إلى أن يتحول إلى عجينة عروية لا يمكن تمييز الحب فيها ويمكن أن تُشكّل وتُتبّل بطرق شتى .

ويحتل **الموتشي** مكانة هامة ولا سيما في احتفالات عيد رأس السنة . فقد جرت العادة في جميع أنحاء اليابان بصنع **الموتشي** في الفجوة المركزية من الغرفة الرئيسية ، في أشكال كروية متدرّجة الأحجام تُعرف باسم **الأوسوناي** . ويُقدّم **الموتشي** الى آلهة الأسرة ويؤكل في حساء خاص يُدعى **الأوزوني** ، وتتناوله الأسرة في أول وجبة شعائرية صباح يوم رأس السنة .

كذلك استُخدِم **الموتشي** على نطاق واسع في طقوس دينية أخرى غير طقوس رأس السنة ، وهو اليومَ طعام شائع يُقدّم في مناسبات عدة . وهو يُمزج بمواد أخرى ولا سيما بالسكّر فيعطي حلوى محددة وطعاماً شعبياً يُتناول في الوجبات السريعة .



في يوم نثر بذور الأرز بمقاطعة آيشي في اليابان ، تقدّم الزهور قرباناً لإله حقل الأرز فتودع عند مدخل مياه الري إلى الحقل .



بعد الحصاد ، في إقليم نوتو بمقاطعة إشيكاوا في اليابان ، يؤدّي الفلاحون شعيرة الأينوكوتو التي تقدّم فيها فروض الولاء والاحترام لإله حقل الأرز الذي تمثّله هنا بالات الأرز .



تعمد هذه الأسرة الريفية المنتمية إلى مقاطعة أكيتا باليابان ـ لكي تضمن تحقيق محصول أرز جيد في فصل الخريف ـ إلى إتيان حركات زراعة الأرز في أول شهر من شهور التقويم القمري ، أي في وقت تكون فيه الحقول مغطاة بالثلوج .



في الرابع والعشرين من يونيو/حزيران ، وفي حقل الارز المقدس الملحق بمزار إيزاوا ، بالقرب من إيزي باليابان ، يحتفل الصّبية والصبايا ، وقد ارتدوا كيمونوات حمراء وبيضاء بمهرجان غرس الارز . ومن سمات هذا المهرجان الاغاني الطقسية المصحوبة بدقات الطبول وصوت «الخشاخيش» . وتردد الاغاني أسطورة الشنتو التي تروي أن غرنوقاً أبيض أتى بالارز إلى اليابان وقدمه قرباناً لاماتراسو ، إلـهة الشمس .

ومن الأطعمة التقليدية الأخرى التي يدخل الأرز في تركيبها **السّكيهان** (الأرز بالفاصوليا الحمراء) وهو طعام ذو مغزى شعائري في اليابان ، ويُحضّر من أرز قصير الحب عالي الجلوتين ويُطهى بالبخار مع حبوب من الفاصوليا الحمراء (**أزوكي**) تعطيه لوناً أحمر بهيّاً ومميّزاً . أما اليوم فإن كثيراً من ربات البيوت يكتفين لعمل **السّكيهان** بإضافة الفاصوليا الحمراء إلى الأرز العادي أثناء سلقه ، وذلك عوضاً عن طهوه بالبخار . وكان **السّكيهان** يظهر في الماضي في طائفة متنوعة من الطقوس ، ولكنه يُقدّم اليوم في مناسبات سعيدة مثل الاحتفال بأعياد الميلاد وفي مناسبات أخرى أقل حبوراً : ففي منطقة توهوكو الشمالية يُقدّم بمناسبة السهر أمام جثة الميت وفي المآتم .

ويقال إن طهو **السّكيهان** يمثّل محاولة من جانب اليابانيين لكي ينتجوا في مناسبات خاصة صنفاً من الأرز ضارباً إلى الحمرة كان يُزرع في العهود القديمة ، غير أن بعض العلماء يساورهم كثير من الشك في صحة هذا التفسير . وفي حقل الأرز المقدس الملحق بمزار هومان ، في جزيرة تانيجاشيما بمحافظة كاجوشيما ، يُزرع صنف من الأرز الأحمر بهدف تقديمه إلى الإله في احتفال شعائري . ويُزرع الأرز الضارب إلى الحمرة في أماكن أخرى كثيرة لأغراض طقسية كما توجد أيضاً في الصين وجنوب شرقي آسيا أنواع أخرى من الأرز الأحمر .

أما عصيدة الأرز والفاصوليا الحمراء (**الأزوكي ـ جايو**) ، فهي شبيهة **بالسّكيهان** من حيث أنها تُحضّر بطهو فاصوليا حمراء صغيرة الحب على نار هادئة مع أرز عادي متوسط الحب في كمية كبيرة من الماء إلى أن يغدو قوامها كثيفاً . ويُقدّم هذا الصنف في اليوم الخامس عشر بعد رأس السنة القمرية . وجرى العرف في بعض المناطق بأن يستأثر الرجال دون النساء بتحضير هذه العصيدة . وفي الماضي كان ذلك اليوم ، الذي يُعرف أيضاً باسم عيد رأس السنة الصغير ، يوماً تؤدّى فيه عدة طقوس زراعية . ذلك أنه من العادات التي ينفرد بها اليابانيون أنهم يسعون إلى ضمان نجاح محاصيل السنة بإحياء الطقوس والشعائر في ذلك اليوم ، أي قبل أن يحين وقت الغرس بزمن طويل .

ولعيد رأس السنة الصغير سمتان هامتان : الأولى ، أداء رقصات تحاكي عملية غرس شتلات الأرز ، والثانية تزيين البيوت والأبنية المتاخمة على المزرعة بأغصان من الشجر تُعلّق عليها أشياء مثل **الموتشي** ترمز لوفرة الأرز وسنابله المثقلة .

وقد جرت العادة في الماضي بطهو **الموتشي** و **السّكيهان** في أوعية بخارية . بل أنه حتى القرون الوسطى لم يكن الأرز العادي يُسلق مباشرة بل كان يُحضّر في أوعية بخارية من الفخار أو الخشب . ولا تزال بعض الأسر حتى اليوم تسلق الأرز على الفحم النباتي في قدور حديدية ضخمة ذات غطاء ثقيل (تدعى **كاما**) . على أنه منذ الحرب العالمية الثانية استُعيض عن كل ذلك بأوعية أوتوماتية لطهو الأرز تعمل بالكهرباء أو الغاز .

كذلك أحدثت التكنولوجيا الجديدة ثورةً في أساليب عمل وحياة الأسر الزراعية . فلمّا كانت زراعة الأرز تتم اليوم بواسطة الآلات ، هبط كثيراً عددُ الأسر اليابانية التي تعمل في الزراعة طول الوقت كما اختفى عدد كبير من الطقوس الزراعية التقليدية وفقدت الأطباق التقليدية المُجهّزة من الأرز مغزاها الشعائري ومعناها الديني . ولم تعُد الأسر تزرع أرزّها أو تطهو **الموتشي** أو **السّكيهان** في البيوت بل هم يؤثرون على ذلك شراء ما تنتجه الآلات في المزارع والمصانع ■

أوبياشي تاريو

أوبياشي تاريو . انظر صفحة ١٣ .

الأزولاّ ، ذلك السماد الأخضر

بقلم : داو ثي توان

في المناطق الشمالية من جمهورية فييتنام الاشتراكية ترتبط زراعة الأرز ارتباطاً وثيقاً بزراعة الأزولاّ ، وهو سرخس مائي له القدرة على تثبيت النتروجين من الجو . والمعروف أن النتروجين عنصر أساسي لزيادة غلة الأرز التي يمكن الحصول عليها من مساحة معلومة من الأرض المزروعة .

ويُستخدم الأزولاّ منذ عدة قرون في حقول الأرز كـ«سماد أخضر» لتخصيب «أرز الشتاء» ، وتشير هذه العبارة الأخيرة إلى مجموعة من أصناف الأرز التي تنفرد بها دلتا النهر الأحمر والتي طوّرها أسلافنا من أجل زراعتها بالأراضي المغمورة في سهول ذلك النهر .

وبالنظر إلى أن الأزولاّ قادر على مقاومة البرد ، فإن صنفه الذي يزرع في فييتنام (Azolla Pinnata) مواءم جيداً لمناخ الشتاء الذي يسود هذه البلاد . ففي أثناء أشهر الصيف والخريف يُزرَع السرخس في برك عدد قليل من قرى مقاطعة تاي بنه لكي ينتج حبوب اللقاح . وتباع هذه الحبوب لسائر القرى لكي تنثر في حقول أرز الشتاء بعد أن تُنقل إليها شتلات الأرز في شهر يناير/كانون الثاني . وعليها ينمو السرخس وينتشر حتى إذا أقبل شهر مارس/آذار ، عندما يكون الأرز جاهزاً للحصاد ، يكون قد غطى كلّ شبر على سطح الماء . وبعد أن يُحصد الأرز ، تُحرث هذه الكتلة الخضراء في التربة حيث تتحلّل وتُفرز النتروجين . والمعروف أن طبقة من الأزولاّ تغطي هكتاراً من حقل الأرز تُنتج نحو عشرة أطنان من الخضرة الناضرة تعادل خمسة وعشرين كيلوجراماً من النتروجين .

ولا يُعرف أحد على وجه التحديد التاريخ الذي بدأ فيه فلاحو فييتنام استخدام الأزولاّ في حقول الأرز لأول مرة . وتروي الأساطير الشعبية أن راهباً بوذياً عملاقاً يُدعى خونج منه خونج عاش في القرن الحادي عشر أثناء حكم أسرة لي ، هو الذي كان يحمل على كتفيه نيراً تتدلى منه سلّتان مملوءتان بالأزولاّ . وعندما كان مارّاً بالقرب من النهر الأحمر تساقطت منه الأزولاّ على حقول الأرز في قريتين أو ثلاث قرى وترتّب على ذلك أن أهل هذه القرى وحدهم هم الذين وقفوا على سر تكاثر الأزولاّ .

وفي القرن السابع عشر أقيم معبد تكريماً لخونج منه خونج واعترافاً بفضله في إدخال أسلوب التسميد بالأزولاّ . وتُروى مع ذلك أسطورة أخرى تقول بأن اكتشاف خواص الأزولاّ إنما يعود الفضل فيه إلى امرأة هي إلهة الأزولاّ .

والمعروف أن أهالي ثلاث من قرى فييتنام الشمالية - لا فان ويوخ ونش دو ، بمقاطعة تاي بنه - عمدوا إلى انتقاء نباتات أزولاّ برية غرسوها أثناء أشهر الصيف في أحْصُص الزهور ثم نقلوها إلى برك تقيها من حرارة الشمس أسوارٌ من الخيزران . وبيعت حبوب اللقاح التي أسفرت عنها تلك الجهود لسائر الفلاحين بالمنطقة . ولم يحلّ عام ١٩٤٥ إلا وكان زهاء ٤٠٠٠٠ هكتار من حقول الأرز تزرع بالأزولاّ مُثبت النتروجين .

وفي خمسينات هذا القرن أجرى المهندسون الزراعيون دراسات عن هذا الأسلوب الزراعي التقليدي وعُمِّم بين زرّاع الأرز كافة . وتحسّنت كثيراً زراعة الأزولاّ بفضل استخدام السوبرفوسفات بدلاً من السماد والرماد اللذين كانا يستخدمان من قبل لتخصيبه . وترتّب على ذلك أن الأزولاّ أسهم في الستينات والسبعينات بقسط وافر في زيادة محصول الأرز في فييتنام . ومنذ ذلك الحين ، ومع إدخال أصناف أرز جديدة ، طرأت تغييرات على أساليب الزراعة : فالأزولاّ تُزرع اليوم في حقول الأرز قبل أن تنقل إليها شتل الأرز الربيعي في فبراير/شباط من كل عام .

غير أن استخدام الأزولاّ تعترضه اليوم بعض الصعوبات التي يرجع بعضها إلى أنه يتطلب عمالة مكثفة وبعضها الآخر إلى نقص السوبرفوسفات مما أعاق تطوير الأساليب . وتُجرى في الوقت الحاضر دراسات عن تلك المشكلات في فييتنام . بل أنه أثناء السنين القليلة الماضية عكف علماء البحوث في شتى أنحاء العالم على دراسة هذا النبات المفيد بهدف تطويره وإدخاله في بلاد أخرى غير فييتنام . ومن المأمول أن تذلّل المشكلات القائمة حتى يواصل الأزولاّ إسهامه في مهمة زيادة إنتاج الأرز على صعيد العلم أجمع ■

داو ثي توان

داو ثي توان مدير معهد العلوم الزراعية التابع لوزارة الزراعة في هانوي ، فييتنام . أخصائي في فسيولوجيا النبات . أجرى بحوثاً عديدة في فسيولوجيا الأرز ونبات الأزولاّ الذي يتناوله في هذا المقال .

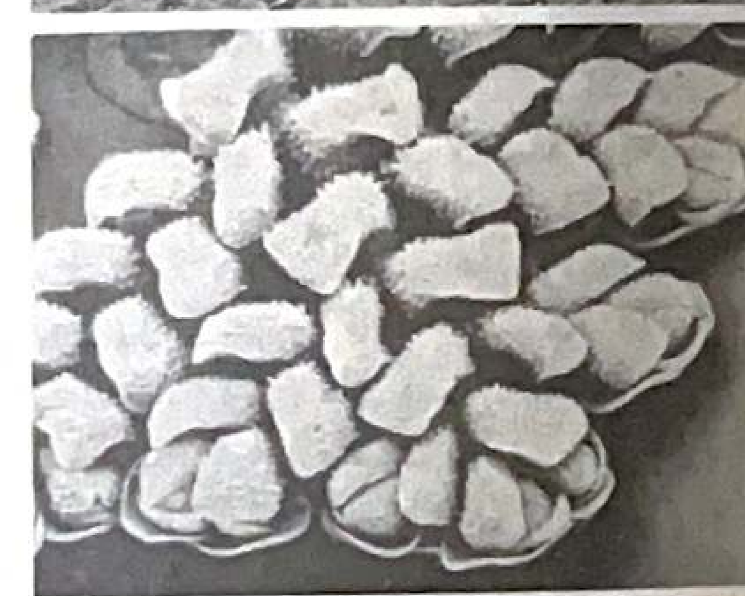
١



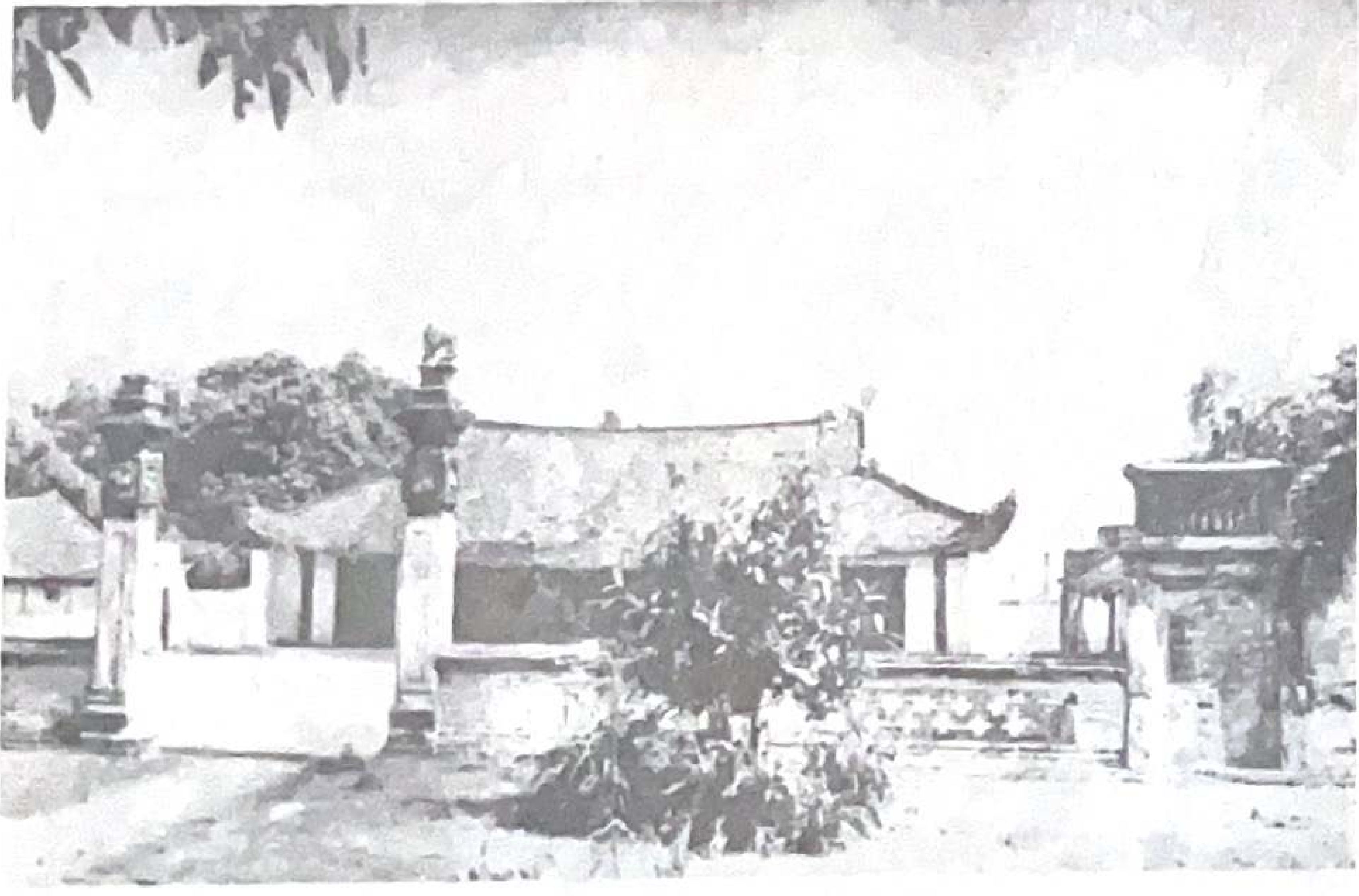
٢



٣



٤

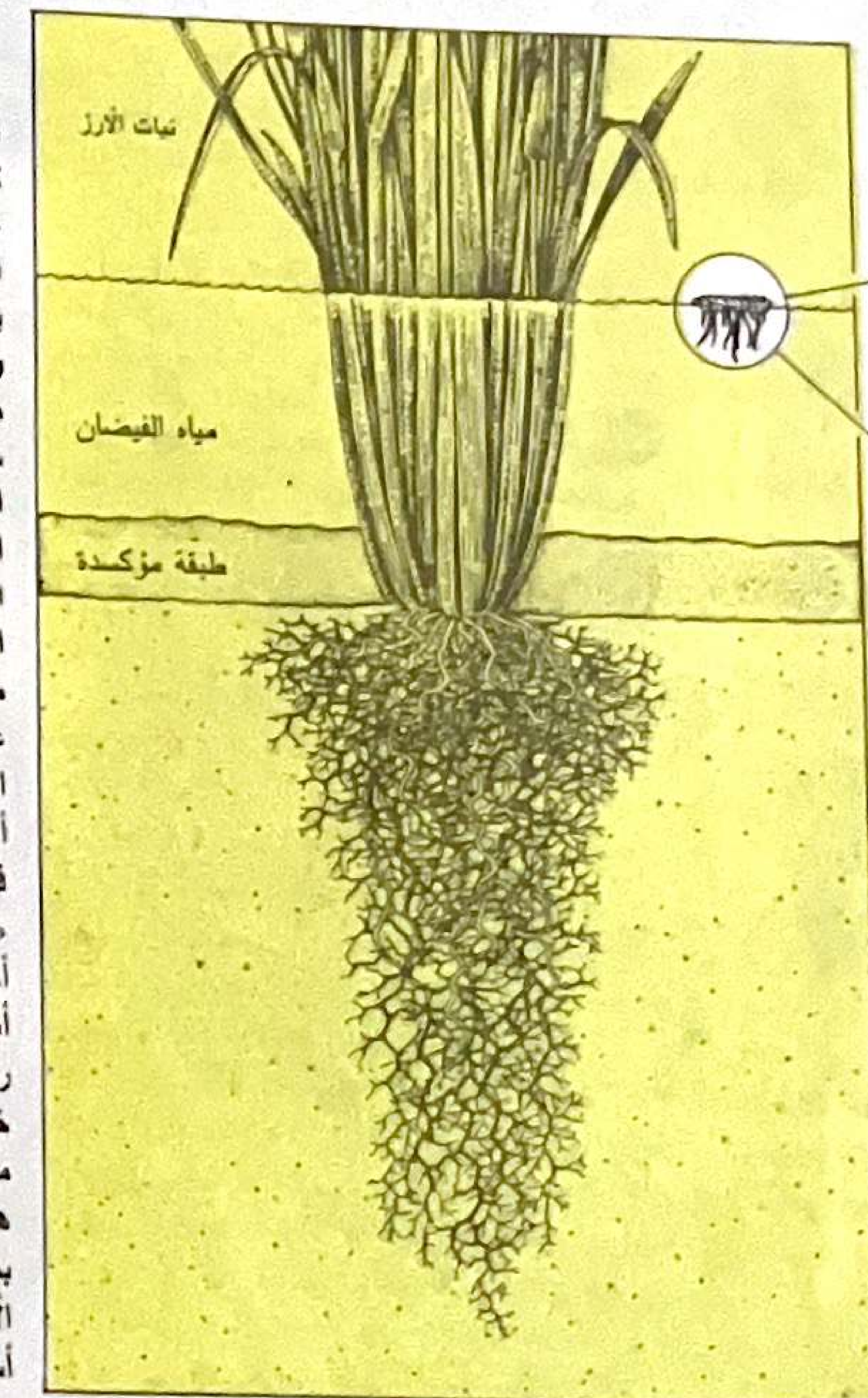


الصورتان ٢ و ٤ : © معهد العلوم الزراعية ، فييتنام

الصورتان ١ و ٣ : © باتيل كثرانج ، أرهايو ، الولايات المتحدة الأمريكية

تثبيت النتروجين في حقول الأرز

أمام أعين تنقصها الخبرة ، تبدو الكتلة النباتية الخضراء التي تعلو حقول الارز في فييتنام كما لو كانت تُضيّق الخناق على غرسات الارز الغضة . غير أن هذه الكتلة الخضراء إن هي إلا وسيلة الطبيعة إلى مد الأرز بمزيد من النتروجين الذي يتسم بأهمية حيوية لسلامة نموّه ووفرة غلته . ويتألف هذا «المصنع الطبيعي العائم» للنتروجين من نباتين يعيشان معاً في ترابط وثيق : أحدهما سرخس الماء الأزولاّ ، والثاني الطحلب الأخضر الضارب إلى الزرقة أنابينا أزولاي . وتقضي هذه الرابطة بأن يأوى الأزولاّ في فجوات بأوراقه طحلب الأنابينا الذي يجمع بدوره من الجو قدراً من النتروجين يكفي لسد حاجته وحاجة مضيفه كاملةً من ذلك الغاز . ويجد بعض النتروجين «المثبت» على هذا النحو سبيله إلى المياه التي تروي حقول الارز فيمتصه نبات الارز . غير أن الأزولاّ يبلغ أقصى فعاليته كمصدر غني بالنتروجين عندما يُحرث في تربة حقل الارز أثناء فترة إراحته فيكون بمثابة «سماد أخضر» . الصور : (١) أنابينا أزولاي طحلب أخضر ضارب إلى الزرقة ؛ (٢) يُنثر الأزولاّ على أسطح البرك أثناء فصليْ الصيف والخريف فتتسع رقعته بسرعة فائقة ويضاعف المساحة التي يغطيها خلال أسبوع واحد ؛ (٣) صورة مكبرة لنبات الأزولاّ من خلال عدسة مجهر إلكتروني ماسح ؛ (٤) شُيّد هذا المعبد في القرن السابع عشر في قرية لا فان ، بمقاطعة تاي بنه في فييتنام تكريما للراهب الأسطوري خونج منه خونج الذي إليه يُنسب ابتكار أسلوب استخدام الأزولاّ كمخصّب للتربة .





مُركّب الأزولاّ - أنابينا

الرسم : © Scientific American ، نيويورك

ربّ البيت وإلهه

بقلم : لي كوانغ كيو

شبه جزيرة كوريا أرض جبلية لا يصلح للزراعة إلا خمسها . وهي تصلح لزراعة الأرز ، ولا سيما في الجنوب ، بفضل صيفها الحار وأمطارها الغزيرة التي تصل إلى ٨٠٠ ـ ١٠٠٠ مليمتر في السنة . ويسقط ٦٠٪ من مجموع الأمطار خلال أشهر الصيف ابتداء من يونيو/حزيران حتى أوائل سبتمبر/أيلول .

ما هي أصول زراعة الأرز في شبه الجزيرة الكورية ؟ ومتى وكيف بدأت ؟ من بين الأحد عشر موقعاً أثرياً التي تُقدّم الدليل على زراعة الأرز ، يعود أقدمهما عهداً ـ ناجو في القسم الجنوبي وهونام ري في المنطقة الوسطى من شبه الجزيرة ـ إلى حقبة تقع بين القرن الحادي عشر والقرن الثالث عشر قبل الميلاد وتمثل بداية العصر البرونزي في كوريا .

ويرى بعض علماء الآثار أن من المحتمل أن زراعة الأرز قد انتقلت إلى كوريا من جنوب الصين عن طريقين ، طريق بري يمر من شمال الصين وطريق بحري يبدأ من وسط الصين ويسير عبر البحر الأصفر ويُعدّ امتداداً لنمط لونجشان الزراعي في الصين . أما علماء الزراعة فلديهم فرضية أخرى مؤداها أن الأرز جاء إلى كوريا من شمال الصين ، وحجتهم في ذلك أن الأرز الياباني Japonica والأرز الجاف الموجودين الآن في كوريا يُزرعان في شمال الصين .

وكانت الزراعة الجافة أول طريقة اعتُمدت في زراعة الأرز حيث اتُّبع أسلوب إزالة الأدغال وحرقها لتنظيف الأرض وتهيئتها للزراعة . أما زراعة الأرز المروي فقد أدخلت على ما يبدو في القرن الأول الميلادي . وقد ورد في سام ـ جوك ـ سا ـ جي ، (تاريخ الممالك الثلاث في كوريا) ذكر عمليات واسعة النطاق لتكسية ضفاف الأنهار وإنشاء نظم الري في القرنين الثاني والثالث الميلاديين .

وفي عهد أسرة كوريو (٩١٨ ـ ١٣٩٢) الذي تلا عهد الممالك الثلاث أصبح الأرز هو المحصول الرئيسي في البلاد . وذهبت أسرة شوسون (١٣٩٢ ـ ١٩١٠) شوطاً أبعد في تطوير الزراعة عموماً وزراعة الأرز بوجه خاص . بل أن الأرز غدا في عهد تلك الأسرة نوعاً من العملة جنباً إلى جنب مع العملة المعدنية والقماش ، فكان الموظفون يتقاضون رواتبهم أرزاً وكانت حقولُ الأرز تُمنح لهم وفقا لمراتبهم .

ولا يزال الأرز يحتل مكانة بالغة الأهمية في الحياة الكورية اليوم . فكما هو الحال في مناطق أخرى من جنوب شرق آسيا ، يعتبر الأرزُ الغذاء الرئيسي للناس ويُقدَّم يوميا في الوجبات الثلاث كطبق رئيسي تُصَفّ حوله سائر الأصناف . وحتى عندما تتضمن الوجبة أصنافاً غنية من المأكولات فهي لا تُعَدُّ وجبة حقيقية ما لم يكن الأرز بين أطباقها .

ولغرض إعداد الأرز كغذاء يومي ، يُغسَل جيداً ثم يُغلَى بشدّة لمدة خمس دقائق ويُترَك على نار هادئة لمدة عشر دقائق ، ومن بعدها تُطفأ النار ليستوي ببخاره خمس دقائق أخرى . وهو يُغلَى أحياناً مع الشعير أو فول الصويا أو الفاصوليا الحمراء أو الدُّخن .

ويُستَعمل الأرز في أغراض أخرى فتصنع منه العصيدة والكعك والنبيذ . وتصنع العصيدة بالأرز الأبيض المصقول وتُقدَّم للأطفال والمرضى وكبار السن وتُقدَّم وحدها أو مصحوبة بأطباق أخرى . ويوجد أكثر من ١٠٠ نوع من الكعك والحلويات المصنوعة من دقيق الأرز عالي الجلوتين أو منخفضه . وتختلف أنواع كعك الأرز باختلاف المناسبات التي تُحضَّر من أجلها ـ كالعطلات الموسمية والطقوس التي تقام للسلف وأعياد الميلاد والأعراس والمهرجانات .

ويُستَعمل الأرز في صنع النبيذ إذ يُخلَط الأرز المطهي بالبخار مع خميرة من نخالة الحنطة والماء . وهناك ثلاثة أصناف من نبيذ الأرز : الأول جعة كدِرَة تُسمّى **ماكولي** ؛ والثاني مشروب صاف يُدعَى **ياكجو** ؛ والثالث شراب مقطر اسمه سوجو .

وتُزرَع الأرز مرة واحدة في السنة نظراً لقيود المناخ . وفي القسم الجنوبي من شبه جزيرة كوريا تُزرَع الحقول شعيراً في فصل الشتاء وأرزاً في فصل الصيف . وفي المنطقة الوسطى من شبه الجزيرة تبدأ عملية زراعة الأرز بغَسْل البذور في أواخر شهر مارس/آذار أو أوائل شهر إبريل/نيسان من التقويم الشمسي . ويَحتَفِظ الفلاحون من المحصول السابق بأجود أنواع البذور ؛ وهي تُغسَل أولا بماء مالح لتخليصها من القشور ثم تغسل ثانية لإزالة الملح عنها .

وفي أكثر أجزاء الحقل تعرُّضاً للشمس تُحرَث أخاديد يبلغ عرض كل منها متراً واحداً لتهيئة مهاد للبذور تُغطى بالحشائش والرماد وتترك لمدة يومين أو ثلاثة أيام لكي تجف . ثم تُبذَر البذور وتُسقى الماء بكثرة حتى تنغمس في التربة ، وبعد مُضيّ خمسة عشر يوماً تُصرَّف المياه من مهاد البذور لكي تترسخ الجذور ثم تُروَى المهاد مرة ثانية . وتُكرَّر هذه العملية مرتين ثم تُغطَّى مهاد البذور بالسماد . وبعد حوالى الشهر تنقل شتلات الأرز الفتية من مهادها لتغرس في الحقول .

ويُحرَث حقل الأرز قبل نقل الشتْل إليه . وكانت الثيران تستخدم لهذا الغرض في الماضي ولكنها اليوم تُخلي مكانها بسرعة للمحاريث التي تعمل بقوة الطاقة . وتُسوّى أرض الحقل قبل إغراقها بالمياه وزرع الغرسات فيها ، وعلى المُزارِع أن يُقوّي جسور حجز المياه وأن يُرشّ السماد . وتُستَعمل في الوقت الحاضر مُخصِّبات كيميائية بدلاً من الروث وغيره من السماد الحيواني والرماد والحشائش التي كانت تستخدم في الماضي .

وتزرع شتلات الأرز على مسافات محددة بين شتلة وأخرى ، ويُستَعان في ضبط صفوفها بحبل عُقِدَت به عقد على مسافات متساوية . ويشترك الرجال والنساء في زرع الغرسات بالصف إذ لا يزال يتعين تنفيذ ذلك بواسطة الأيدي حسب الطريقة التقليدية بالنظر إلى أن المشكلات المقترنة بميكنة أعمال الغرس لم تُحَلّ بعد .

وكانت حقول الأرز في الأزمنة السابقة تُنظّف من الأعشاب الضارة ثلاث مرات في السنة مما كان يتطلب جهوداً مضنية تمتد على فترات طويلة سواء استُخدمت الفؤوس أو الأيدي المجردة . أما اليوم فإن المبيدات الكيميائية للحشائش تُغني كثيراً عن الحاجة إلى استخدام الأيدي في هذه المهمة الشاقة .

ويُحصَد الأرز في غضون فترة تبلغ نحو عشرة أيام وتقع في أوائل شهر أكتوبر/تشرين الأول . وبسبب هذا القيد الزمني يتعين على المُزارِع أن يبذل جهودا مكثفة . وبعد أن يُجفَّف المحصول يُستَعان بدرّاسة في استخراج الحبوب منه بعد مضي أسابيع قليلة على الحصاد .

وتقع القرية الزراعية النموذجية بالقرب من حقول الأرز عند سفح جبل . ذلك أن الفلاحين يرون من الضروري أن يكون بمقدورهم الإشراف على شتلات الأرز يومياً إذ أنهم لو أغفلوا مراقبتها فإنها ستذوي كما يذوي الطفل الذي هجره أبواه .

ولمعظم القرى فرق موسيقية من الفلاحين للعزف في مواسم الحصاد والعطل الموسمية أو بعد الطقوس التي تُؤدّى لإلـه القرية في اليوم الذي يكتمل فيه البدر لأول مرة في السنة القمرية . وتشترك قرى كثيرة ـ لا سيما قرى الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة ـ في إحياء هذا اليوم ، وتُعقَد بهذه المناسبة مسابقات في شدّ الحبل ، وهي عادة تمارس في بلاد أخرى بجنوب شرقي آسيا .

وأهم من ذلك كله أن الأرز يُعبَد في القرى الزراعية بوصفه إلـه الدار . والرمز الرئيسي لهذا الإلـه هو جرة صغيرة تحتوي على الأرز ، وتوضع هذه الجرة في الفناء الخلفي للدار في المناطق الوسطى من شبه الجزيرة بينما هي في مناطق أخرى توضع في إحدى الغرف الداخلية .

وتقدّم ربة المنزل كعك الأرز مرة واحدة في السنة تقرّباً إلى إلـه الدار داعية إياه أن يَمُنّ على الأسرة بالوفرة في غلة أرضها وبالصحة والعافية لأفرادها .

ولا يزال الناس إلى يومنا هذا يشعرون بالضيق حين يأتي محصول الأرز ضعيفاً على الرغم من علمهم بأنه يمكن تعويض أي نقص فيه باستيراد الأرز من الخارج . وعلى نقيض ذلك تغمر الناس السعادة وتعلو وجوههم علائم الرضى حين يكون المحصول جيداً ويحدوهم ذلك إلى البذل بسخاء والعفو عن أخطاء الماضي . وقصارى القول إن الأرز أهم عنصر من عناصر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في كوريا على الرغم من كل مظاهر التحديث والتصنيع ■

لي كوانغ كيو

ساحة دَرْس الأرز و الفلاحون يُقلّبون التربة ، **مرحلتان من مراحل زراعة الارز صوّرهما كيم هونج دو الفنان الكوري المعروف في القرن الثامن عشر . إلى اليمين فلاحون يَدْرسون الأرز تحت رقابة مالك الأرض . إلى اليسار ، مناظر لفلاحين يحرثون الأرض ويهيئونها للزراعة ، يمكن رؤيتها إلى يومنا هذا في ريف كوريا .**





الصورتان : © متحف كوريا الوطني ، سيول ، جمهورية كوريا

إن مباريات شدّ الحبل التي جرت العادة على إقامتها في شهر يناير/كانون الثاني في قُرى جنوب شبه الجزيرة الكورية تسبقها «معركة الحلقات» ، وهي مباراة حامية بين فريقين يُمسِك كل منهما بحبل يبلغ طوله مائة متر وينتهي بحلقة ضخمة مصنوعة من القش والخشب . ومعركة الحلقات مباراة دَفْع لا مباراة جَذْب والهدف منها إنزال حلقة الفريق الخصم إلى الأرض . ويتراوح عدد أعضاء كل فريق بين خمسين وثمانين عضواً يعتلي رئيسهم الحلقة التي يرفعونها بمساعدة أعمدة خشبية . ويُعطي تجمع الرجال والحبال والحلقات انطباعاً بأن الصراع قائم بين تنّينين هائلين .

لي كوانغ كيو . جمهورية كوريا . أستاذ بكلية العلوم الاجتماعية في جامعة سيول الوطنية ، ورئيس سابق (١٩٧٦ ـ ١٩٧٩) لجمعية الأنثروبولوجيا الثقافية في بلاده . وضع دراسات كثيرة عن البنى الأسرية وصلات القرابة في بلاده وبلاد أخرى في شرق آسيا .

مدينة شُيِّدت على الأرز

بقلم : سريساكرا فالّيبهوتاما

في تاريخ التاي ، تقترن أهمية الأرز في تطوير الدولة بعمل اجتماعي ثقافي يُدعى **كلابانا** ويتمثل في تقديم هبات من أرض وعُمّال وسلع إلى الأنصاب أو المواقع المقدسة . وقد أدّت هذه الممارسة إلى زيادة عدد المجتمعات القروية التي تعتمد في كفافها على إنتاج الأرز .

والأساس المنطقي الذي تنهض عليه هذه الممارسة هو أن تايلاند كانت بلداً قليل السكان مما جعل القوى العاملة اللازمة لكفالة أمن الدولة ورخائها أمراً عسير المنال . وكان حشد هذه القوى العاملة يتم بطرق عدة منها طريق العنف المتمثل في شن الحروب والغارات على أمل أسر عدد كبير من العائلات . وكان هناك حل آخر أقل عنفاً يتمثل في عرض الحماية على اللاجئين أو إغراء التجار والرحّل بالمجيء إلى البلاد والاستقرار فيها . وكان من الضروري لكي تندمج هذه الجماعات المنتمية إلى أصول مختلفة في المجتمع ، إنشاء وحدات اجتماعية متكاملة توفر لهم شعور الانتماء إلى مجتمع معين .

ولهذه الغاية كان الحاكم يعمد إلى بناء نصب ديني أو صرح في مكان معين ويُقدم في سبيل صونه على اتخاذ تدابير **الكلابانا** بأن يهب الموقع عدداً من الأسر وحيوانات الجر وأشياء أخرى . وتشرع هذه الأسر التي تُجلب عادة من الخارج في تنظيف الأرض وتحويل الغابات إلى حقول وتشييد مساكنها ورعاية النصب الديني . وبهذه الطريقة يُقام مجتمع فلاحي لا يكون وحدة من وحدات المجتمع الأكبر فحسب بل أيضاً مصدراً لتزويد الدولة التي ينتمي إليها بالقوى العاملة . وبناء على ذلك فإن أي تقييم لقوة وصمود مدينة أو دولة تائية في الماضي كان يتعين أن يضع في اعتباره لا مجرد حجمها بل أيضاً عدد المواقع الدينية المرتبطة بمزارع الأرز في المنطقة المحيطة بها .

ومن الأمثلة على ذلك دولة سوخوتاي التي برزت إلى الوجود في القرن الثالث عشر ومن المتفق عليه عموماً أنها أقدم مملكة تائية في البلاد . وجاء في إحدى الروايات المُدَوَّنة عن حاكمها العظيم رام كام هاينج ، أنه قبل أن يصبح ملكاً خدم والده وأخاه الأكبر بأمانة وإخلاص فشن الحرب على دول أخرى واعتقل كثيراً من الأسرى فلم يقتلهم أو يعذّبهم وإنما جعلهم مواطنين في دولة سوخوتاي . وحين أصبح ملكاً أقنع التجار والرحّل القادمين من خارج مملكته بأن يتاجروا بحرية في سوخوتاي وأن يستقروا بها .

وكانت مدينة سوخوتاي مستوطنة كبيرة تحيط بها ثلاثة أسوار ومزوّدة بعدد من البِرَك الكبيرة المملوءة بمياه الشرب . وكانت لها أربع بوابات رئيسية (واحدة في كل من الجهات الأصلية) تمر من خلالها أفواج من الناس في المناسبات الدينية الخاصة ليقدّموا فروض الإجلال إلى البوذا القائم في قلب المدينة . وحول سوخوتاي توجد البساتين والمعابد المقامة لبوذا العظيم . وإلى الجنوب والغرب منها توجد مساكن الرهبان ، وإلى الشمال والشرق تنتشر القرى وحقول الأرز .

وفي عهد الملك رام كام عمّ الرخاء والازدهار دولة سوخوتاي ، «فكان السمك يسبح في مياهها والأرز ينمو في حقولها» ، على ما جاء في قول مأثور جرى على ألسنة الناس أثناء فترة حكمه . ولكي يندمج الغرباء في مجتمع دولة سوخوتاي عمد الملك إلى بناء أديرة لكهنة البوذا (**وات**) ووقف عليها حقول الأرز والعمّال والسلع لكي يرسي أساس المجتمعات القروية . وقد بات من المعلوم أن هذه الأعمال قد استمرت بعده حيث تذكر سجلات لاحقة كيف أن أفراد الأسرة المالكة ورجال الدولة قد ساروا على خطاه وأصلحوا وبنوا الطرقات والجسور والسدود والقنوات التي ثبتت ضرورتها لتأمين المواصلات ولزراعة الأرز .

وكانت مدينة سوخوتاي تقع ولا تزال قرب منحدر جبلي تحيط به من جهتي الشمال والشرق أراض منخفضة تُزرع فيها الأرز . وتنتشر اليوم في تلك الأراضي المنخفضة أطلال المعابد والأسطات (أضرحة بوذية على شكل أبراج) فتقف شاهداً على مراكز القرى الفلاحية التي كان موجودة في الماضي . والمصدر الرئيسي للمياه اللازمة لري حقول الأرز هو نهر **ماي لامبان** الذي يمر بالمدينة من الشمال إلى الشرق قبل أن يصب في نهر **اليوم** الذي يقع على بعد زهاء أحد عشر كيلومتراً . ويمكن مشاهدة آثار السدود وقنوات الري على الضفاف الشمالية والشرقية من النهر ، مما يدلنا على أهمية المرافق الهيدرولية التي كانت تشيدها الدولة لمجتمعات زراعة الأرز التي تكونت نتيجة **للكلابانا** .

وفضلاً عن هذه الشواهد على وجود نظم للري ، توجد مساحة كبيرة من الأرض على شكل مستطيل تحدها سدود ترابية بالقرب من الركن الشمالي الشرقي للمدينة . وهذه المساحة المستطيلة هي قطعة أرض مخصصة لزراعة الأرز . إن الآثار المتبقية لشبكة الري هذه وللأرض المكرسة لزراعة الأرز ، والتي قد يعود السبب في إهمالها إلى أن تربة هذا الجزء من حوض نهر **اليوم** ليست من نوع جيد وكثيراً ما كانت تعاني من الجفاف ، لا تزال تقف شاهداً على ما بذلته دولة سوخوتاي من جهد لزراعة الأرز لكي تظل المدينة وأهلها على قيد الحياة ■

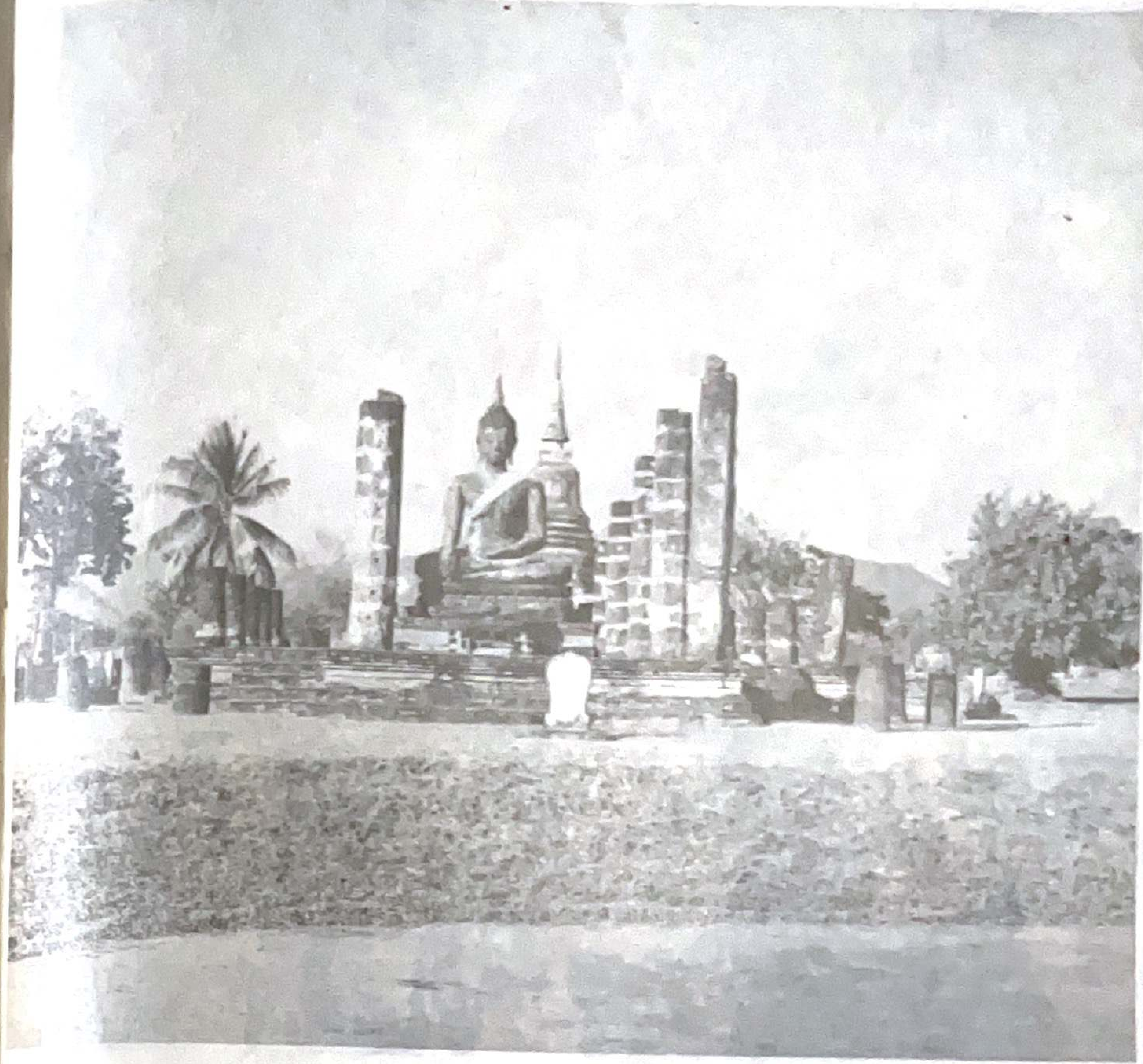
سريساكرا فالّيبهوتاما

سريساكرا فالّيبهوتاما . تايلاندي ، أخصائي في التاريخ والأنثروبولوجيا الاجتماعية . يشغل منذ عام ١٩٨٠ منصب أستاذ معاون في الأنثروبولوجيا بجامعة سيناكورن في بانكوك . أُعير عام ١٩٧٧ لمشروع تنمية حديقة سوخوتاي التاريخية لبتعاون مع اليونسكو بوصفه كبير أخصائي السوسيولوجيا بالمشروع ، وكان عام ١٩٨٠ أستاذاً زائراً بجامعة كورنيل بالولايات المتحدة الأمريكية .

يعدّ الأرز أهمّ الحاصلات الزراعية في تايلاند ، والغذاء الرئيسي لأهلها ، وأهمّ سلعة تصديرية للبلاد .



تصوير : آي . كنيدي ، الفاو ، روما



يقع معبد مهاتهات في وسط أطلال مدينة سوخوتاي القديمة ، مهد حضارة التاي .

قالب من الطوب استُخرج من الأرض في وسط تايلاند وتحتوي مادته على قشر الارز مما يقف شاهداً على أن الارز كان يُزرع في عهد مملكة دفارفاتي القديمة التي ازدهرت في تلك المنطقة بين القرنين السادس والثالث عشر .



تصوير © الوفد الدائم لتايلاند لدى اليونسكو



الصورتان : جان لو شارميه - رسالة اليونسكو مقتبستان من Description de Borobudur ، تأليف ن . ج . كروم و ت . فان إرب ، ١٩٢٠ .

الف عام من زراعة الأرز في جاوة

ذلك الفلاح الدءوب الذي يقود محراثاً تجرّه جاموسة في حقل من حقول الأرز ، منظر مألوف في جزيرة جاوة (اندونيسيا) منذ ألف سنة على الأقل : تلك واحدة من الرسائل التي تنقلها إلينا المئات من النقوش الحجرية الناتئة (انظر أعلاه) التي يُصوّر كثير منها مشاهد من الحياة اليومية وتغطي جدران معبد بوروبودور العظيم الذي يرجع تاريخه إلى القرن التاسع (انظر عدد فبراير/شباط ١٩٨٣ من رسالة اليونسكو) . والنقش الناتئ الذي ترد صورته أدناه يصوّر منظر حصاد الأرز حيث نرى رجالاً ونساء يحصدون الأرز في الحقل وينقلون حُزمَه على مناكبهم . وفي سهول جاوة المزدحمة بسكانها اليوم حيث تبدو القرى كما لو كانت جزراً من الخضرة المنبثقة من حقول الأرز المغمورة بالمياه ، ربما كانت الجواميس تُخلي مكانها للآلات الزراعية الممكننة ، ومع ذلك فإن الأساطير والتقاليد المقترنة بزراعة الأرز لم تفقد شيئاً من حيويتها . وفي جزيرة جاوة يقترن الأرز بالخصب ويرمز للأنوثة ويُجسّد الإلـٰهة ديوي سري . وقد حُظِرت على الرجال أمور كثيرة فيما يتعلق بالأرز ؛ فليس مُرخّصاً لهم طهوُه ولا غرسُه أو تداولُه حتى وإن كانوا هم المكلفين بتهيئة الأرض لزراعته . وكانت كل مرحلة من مراحل زراعة الأرز وإعداده مناسبة لتقديم فروض الولاء والاحترام للإلـٰهة ديوي سري ولمدّ يد العون لمن هم في حاجة إليه . وكان الأرز يحتل مكانة أرفع من المكانة التي تحتلها محاصيل أخرى مثل الذرة والمنيهوت .



الصفحة الملونة

حصاد الأرز . لوحة رسمها م . رونيا . (جزيرة بالي)

إيّاك وتناول الأرز في الظلام



الصورتان © فرانسوا موري ، باريس

أمثال من الفلبين جمعها

صمويل ك. تان

أستاذ التاريخ بجامعة الفلبين ، دليمان ، كيزون سيتي .

• إيّاك وتناول الأرز في الظلام ، وإلّا أغريت بنفسك الشبحَ أو روحَ الشر ، بل ربما اطلعت روح الشر وجلبت على نفسك الشقاء .

• إن من يُفرِّط في الأرز أو يبدده تُشوَّه يداه ولا يعرف سعةً ولا رخاء .

• إذا أعطيت أرزاً لسائل فقدِّمه إليه على صحن وليس في مكيال ، وإلّا عرَّضْتَ نصيبك من الأرز والطعام للنقصان .

• لا تضع المكيال مقلوباً قط في وعاء الأرز فربما أدى ذلك إلى محصول رديء .



• لا ينبغي قط تسليف الأرز أو منحه في الليل أو في الصباح الباكر ، لأن هذا يجرّ معه سوء الحظ . على أنه يمكن شراء الأرز ليلاً .

• إن رشّ الأرز على العريس وعروسه يجلب الرخاء للعروسين ولراشّ الأرز على السواء .

• يجب أن يُغسَل الأرز ثلاث مرات لأن في ذلك التزاماً بأساليب الأقدمين .

• من الخير أن يُغرَس الأرز أثناء اكتمال البدر وفي ليل صحو مرصّع بالنجوم ، فذلك يكفل جودة المحصول .

• أيام الأحد والاثنين ويوم أول أغسطس والتواريخ الفردية عموماً ليست مؤاتية لغرس الأرز . وخير الأيام لذلك هي أيام الأربعاء والجمعة الواقعة في تواريخ زوجية ، إذ أنها مجلبة لمحصول وفير وحَبّ سليم ، وعلى الأخص إذا شُفِعَ الغرس بالصلوات والدعاء .

• في ساعة الغرس ينبغي أن تكون مَعِدَة الغارس ممتلئة ، إذ أن ذلك مدعاة لحسن الحظ وثراء الأيام والشهور المقبلة . وعلى الغارس عندما يفرغ من عمله أن يطلق صيحة عالية تنبئ بانتهاء يوم كُلِّل بالنصر على العوادي والأحداث المفاجئة .

• يحتلّ موسم الحصاد مكان الصدارة في دوْرة زراعة الأرز . وينبغي أن يتم الحصاد قبل اختفاء قطرات الندى وضباب الصباح ، فمن شأن ذلك أن يجلب على الناس حسن الحظ ويغمرهم بالخير .

على المنحدرات الشاهقة للجبال القائمة شمالي لوزون أكبر جزر الفلبين ، نجح شعب الإيفوجاو ، بما أوتوا من مهارة فائقة وبذلوا من جهود جبارة ، في بناء مجموعة معقدة من مصاطب زراعة الارز المروي . وقد اقتضى إنشاء هذه المجموعة بناء عشرين ألف كيلومتر من الدعامات منها سبعة آلاف كيلومتر من الجدران الحجرية . أعلاه ، قرية باتود التي يقطنها أناس من الإيفوجاو ؛ إلى اليسار ، تمثال لإلـهة الارز صُوِّر في باتود .

الصفحة الملونة

طباخة تُجهِّز وجبة أرز لتوزيعها على العاملين الطوعيين في مشروع لبناء قناة لري حقول الارز بمقاطعة دا نانج في فيتنام .

روح الأرض







أتعرف وليمة البلوف ؟

بقلم : بوريس ف . أندريانوف

هل تعلم يوماً بطوف الأرز الأوزبكستاني ؟ إنه كان [illegible] في أوزبكستان حيث [illegible] الاتحاد السوفيتي [illegible] أوزبكستان [illegible] وشعوب أخرى في آسيا الوسطى.

وقد انتشرت زراعة الأرز في آسيا الوسطى آتية من بلاد آسيوية تقع إلى الجنوب حيث ظهرت نظم الري وزراعة الحبوب منذ الألف السادس أو الخامس قبل الميلاد. غير أنه لم يكن قبل النصف الثاني من الألف الثالث ونهاية الألف الثاني قبل الميلاد أن أصبحت كبيرة مساحات الأرض المروية. ويعتبر علماء الآثار أن جنوب آسيا الوسطى أصبح ابتداء من هذه الحقبة منطقة حضرية [illegible] العرب [illegible] الحضارات [illegible] من سهل السند في الجنوب.

ولا شك أن العلاقات التي أقامتها مع هذه البلاد آسيا الوسطى قد ساعدت على ظهور زراعة الأرز المروية فيها. ولكن كلا من العلماء اليوم [illegible] بالنظر إلى عدم وجود أدلة كافية. ومن الواضح أنه لم يكن ليحدث قبل الفترة التي تمكنت فيها شعوب آسيا الوسطى إنشاء أنظمة ري ضخمة ومعقدة، وهي بمثابة الفترة التي ظهرت فيها مراكز حضرية وتجارية هامة في الواحات التي أقامت [illegible].

وفي آسيا الوسطى ، كما في العديد من بلاد آسيا

رئيس الطهاة في مطعم بسمرقند ، جمهورية أوزبكستان السوفيتية الاشتراكية وسط آسيا . وقد ذاع صيت براعته في فن إعداد البلوف . طبق الأرز المفضل لدى أهل أوزبكستان وشعوب أخرى كثيرة في الاتحاد السوفيتي .

[illegible] التي كان يسكنها [illegible] ، كانت حدود أول الوحدات الاقتصادية المستقلة (الواحات) تتطابق إلى حد بعيد مع حدود الأراضي المروية . وقد خلفت بلاد كثيرة هذا العصر في أواخر الألف الثاني وأوائل الألف الأول قبل الميلاد ؛ فنشأت البكتريانة على ضفاف مجرى الأمو داريا الأوسط وعلى روافده ، كما ظهرت [illegible] على ضفاف الأترك ، و[illegible] على ضفاف المرغاب ، وبارثيا على حدود مرتفعات كوبتداغ ، والسوغديانا على نهر الزرافشان ، وخوارزم في الدلتا القديمة لنهر أموداريا . ويحدثنا المؤرخ اليوناني هيرودوت عن مشروع شُيّد على نهر الأكس وكان الهدف منه سقي الأراضي الواقعة على حدود ولايات خوارزم وهيركانيا وبارثيا .

وفي عهد الأخمينيين (أسرة فارسية حكمت من القرن السادس إلى القرن الرابع قبل الميلاد وخضع لها قسم كبير من آسيا الوسطى) ، بلغت الزراعة بفضل شق القنوات مستوى رفيعاً من التطور فكانت تنتج ، فضلاً عن حبوب مثل القمح والشعير والذرة البيضاء ، عدة محاصيل أخرى يذكر منها الكروم ومن المحتمل أن يكون الأرز من بينها . وأياً كان الأمر فإن زراعة الأرز كانت منتشرة نوعاً ما في البكتريانة تلك الفترة التي غزا فيها الإسكندر المقدوني (٣٥٦ - ٣٢٣ قبل الميلاد) وواصل فيها غزواته الهند - في زهاء عام ٣٢٧ قبل الميلاد .

وتذكر بعض الوثائق الصينية أن الأرز كان يزرع على نطاق واسع في آسيا الوسطى في القرن الثاني قبل الميلاد . وقد كتب الرحالة والدبلوماسي [illegible] يقول إنه في فرغانة وفي بارثيا كان الناس يعيشون حياة مستقرة ويمارسون فلاحة الأرض وزراعة الأرز والقمح ويستخرجون النبيذ من الكروم ، وتلك حقيقة أكدتها الحفائر الأثرية وخاصة ما أجري منها في مرجيانة القديمة .

ومنذ هذه العصور السحيقة دخل الأرز ومختلف الأطباق التي يتيح إعدادها في حياة العديد من شعوب آسيا الوسطى ، وقد ظل غذاء الأغنياء بنوع خاص فلم يكن ينعم به إلا أولئك الذين كان بوسعهم تحضير البلوف أو عصيدة الأرز كل يوم تقريباً . وحتى في بداية القرن العشرين لم تكن الأسر الميسورة نوعاً ما تطبخ البلوف إلا مرة واحدة في الأسبوع على أحسن الفروض . أما الفقراء فلم يكونوا يأكلونه إلا في الولائم التي كان يقيمها الأغنياء كحفلات الأعراس والمآتم ومناسبة عيد رأس السنة (عيد النوروز) ويقدّم فيها البلوف دائماً .

وحتى يومنا هذا ، ولدى شعوب كثيرة في آسيا الوسطى . لا يزال البلوف ونحوه من الأطباق التي تحضّر من الأرز من أصناف الطعام التقليدية التي تقدم عادة للأعراس بعد أن تطبخ في بيت العروس أو في بيت العريس . وقد درج شباب اليوم على أن يتجمعوا في حلقات صغيرة مقصورة على الذكور ويدفع كل منهم حصته لشراء المواد اللازمة لطبخ وأكل البلوف في الهواء الطلق وفي رحلات الطبيعة .

كانت حقول الأرز ولا تزال تحتل مقاماً رفيعاً في طقوس الطعام التي تؤدّى عادة للآلهة . وهي تبدأ بالأرز المطبوخ بالحليب الذي يعدّ وفقاً للتقاليد الصينية القديمة طعاماً مقدساً لم يكن في الماضي مباحاً إلا للكهنة والخلفاء (الأمراء والرؤساء) والمقربين منهم . وكان الناس يؤمنون بقدرته الشفائية فكان يشكل جزءاً من طعام المصابين بالأمراض الخطيرة كما يقدّم للمرضى لمساعدتهم على استعادة قواهم وزيادة أوزانهم . من هنا نرى أنه كانت تنفرد بالأرز شتى المعتقدات الشعبية فكان يعتبر طعاماً مقدساً وكان إسقاطه في مكان قذر يعدّ خطيئة لا تغتفر .

وفي الماضي لم يكن الأرز يزرع في آسيا الوسطى إلا في أرض الأغنياء والأعيان . غير أنه انتشر من النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، عندما غدا الجزء الأكبر من تلك المنطقة جزءاً من روسيا ، أخذ الفلاحون الفقراء يزرعونه في قطع أرض يستأجرونها بغية بيعه .

وفي المجتمع الاشتراكي في الوقت الحاضر ، وبفضل الملكية المشتركة للأراضي والمياه واستخدام الأسمدة وآلات حصد الأرز وظهور أنواع جديدة منتقاة منه ، دخل الأرز في كل بيت وأصبح اليوم في إمكان كل أسرة أن تتذوق البلوف ونحوه من الأصناف التي تعدّ من الأرز . وفي شوارع المدن يباع البلوف الذي يطهى في قدور ضخمة ، وكثيراً ما يقدّم في المقاهي والمقاصف والمطاعم .

وتعرف اليوم أكثر من أربعين طريقة لتحضير البلوف حيث يدخل في إعداده اللحم والفول والحمص والأعشاب والزبيب وما إلى ذلك . ويتكفل في تحضير البلوف عادة [illegible] وهو من نواحي [illegible] من بيته . ذلك أن طهو البلوف ، إذا ما عدّ مهنة ، يتطلب مهارة وبراعة وقوة احتمال ! فالقدور تتفاوت سعتها بين ٥٠ كيلوجراماً و ٣٠٠ كيلوجرام . ولكل كيلوجرام من الأرز يجب تحضير كمية مماثلة من اللحم والجزر والبصل فضلاً عن شتى التوابل : فالزبرباريس ومختلف أنواع الفلفل والكسبرة والسفرجلة وما إلى ذلك هي التي تضفي على البلوف نكهته الخاصة . ثم إن سلق الأرز بحيث لا تلتصق حبوبه هو فن بحد ذاته ، كما ينبغي ألا يعزب عن البال أن كل حفل يضم المئات من الضيوف الذين يتحلقون حول أطباق البلوف .

وقد شهدت مساحات الأراضي المزروعة بالأرز زيادة ملحوظة إذ ارتفعت كما يربو قليلاً على ١٥٠ ألف هكتار في عام ١٩١٣ إلى ما يزيد على ٨٠٠ ألف هكتار في الوقت الحاضر . وفي الاتحاد السوفيتي تقع المناطق الرئيسية لزراعة الأرز في آسيا الوسطى . غير أن زراعة الأرز قد امتدت اليوم لتغطي بعض المناطق الشمالية وذلك بفضل عمليات الانتقاء وما أسفرت عنه من أصناف متنوعة ، فأكبر حقول الأرز وأكثرها انتاجاً على البكتة توجد في حوض الكوبان بشمال القوقاز ■

بوريس ف . أندريانوف

بوريس فاسيليفتش أندريانوف . أخصائي سوفيتي في موضوع الزراعة المروية في الأزمنة القديمة . عضو معهد الإثنوغرافيا التابع لأكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتي ، نشرت له عدة دراسات علمية واشترك في تأليف كتاب جماعي سيصدر قريباً بعنوان (الزراعة الري في الاتحاد السوفيتي) تحت الرعاية المشتركة للجنة الدولية للري والصرف (بومباي) واليونسكو .

اجتماع عائلي حول مائدة في إحدى المزارع الجماعية (كولخوز) في أوزبكستان . وتنتج المزرعة الأرز والقطن على السواء .

تصوير : APN © ، باريس

مَعْلَمَ الزَمان والمكان

بقلم : رفرالاهي بيمانتجرا



تصوير : © نيكول بيلغروا ، باريس

تذرية الأرز على مقربة من أنتناريفو بمدغشقر . فبعد أن يُحصد الأرز تُضرب سنابله على حجر لفصل الحب عن العناقيد . ثم يُجمع الحبُ في سلال تمهيداً لتذريته . وكما نرى في هذه الصورة ، تضع الذارية السلة فوق رأسها وتصب منها في يدها سيلاً من الأرز يسقط على أصابعها المنفرجة فتتطاير القشور والقش بينما يستقر الحب في كومة على فرش من الحصير .

من بين الحضارات المشهورة التي قامت على زراعة الأرز واستهلاكه ، تُعَدّ حضارة مدغشقر حالة نموذجية أو على الأقل جديرة بالدراسة . ويُطلَق على الأرز في كل أنحاء الجزيرة اسم **فاري** vary أو vare وهو الغذاء الرئيسي لسكان هذه الجزيرة البالغ عددهم تسعة ملايين ونصف مليون نسمة ويحتل مكان الصدارة في حياتهم المادية وعالمهم الفكري .

وكان الأرز عند أهل مدغشقر القدامى أحد العناصر التي يستخدمونها لتحديد موقعهم من الزمان والمكان ، إذ نجده في جميع النظم التقليدية لقياس الوقت الذي كانت وحدته الأساسية تعادل «المدة اللازمة لطبخ وجبة أرز (**إندراي مهماسا – باري**)» ، وهي تتراوح بين نصف ساعة وساعة كاملة حسب نوع الوقود المستخدم ونوع وعاء الطهو وكمية الأرز . وكان الأرز يدخل أيضاً في تقدير المسافات ، فكان يقال على سبيل المثال إن هذا المكان أو ذاك يقع على مسافة «يستغرق قطعها وقت طهو طبخة أرز أو طبختين» .

وكانت دورة نُضج الأرز تزوّد الفلاحين بمعالم تدلهم على مرور الأشهر على مدار السنة . فموسم البذر (**تماي كيتسا**) يوافق على وجه التقريب شهري يوليو/تموز وأغسطس/آب ، كما يناظر موسم الشتل (**مانتسا فاري**) عموماً شهريْ أكتوبر/تشرين الأول ونوفمبر/تشرين الثاني . وكان من الشائع استخدام تعابير يُذكَر منها **ميتيرا – باري** (ويعني حرفياً «عندما يَلِدُ الأرز») للدلالة على ظهور السنابل ، **وميا فاري** للدلالة على موسم الحصاد حيث تكتسي حقول الأرز حلة ذهبية اللون ؛ وكانت تستخدم عبارات كثيرة للدلالة على وقوع حدث ما قبل هذه المواسم أو أثناءها أو بعدها .

وكان الأرز يستخدم كذلك في معايرة مقاييس أخرى ولا سيما بعض وحدات السعة الكبيرة نسبياً إذ كان الـ **فاري إيراي** (ويعني حرفياً «حبة أرز») يعادل ١٢٠ لتراً تقريباً . أما أشهر المكاييل المسمى «**فاهيفاباري أو فاهيفاني**» فيعادل خمسة لترات .

وثمة تعابير أخرى تدخل في تركيبها كلمة «فاري» واستخدمت للدلالة على وحدات نقدية . فقبل وصول الأوروبيين إلى مدغشقر ولا سيما إبان المحاولات الأولى لتوحيد البلاد قُرب نهاية القرن الثامن عشر ، أُنشئت أسواق في أرباض العاصمة أنتناريفو لتنظيم عمليات البيع والشراء . وكانت تستخدم في الدفع قطع نقدية أجنبية تُقطّع أجزاءً لتحدَّد قيمتها تبعا لوزنها . وهنا أيضاً كانت حبة الأرز هي وحدة القياس . فكانت الـ **فاريرايفتي** («حبة أرز») تساوي واحدا على سبعمائة وعشرين من القرش ولا بد أنها كانت تمثل الوحدة النقدية الأساسية . ولا تزال هذه الكلمة ماثلة في اللغة وإن لم تستخدم إلا في معنى سلبي . فـ **تسي أم – باريرايفتي أو تسي منام – باريرايفتي** معناها «مُفلس» أو «صفر اليدين» .

ولا يقتصر استخدام كلمة **فاري** على القيم الكمية وحدها بل قد تستخدم كذلك لنعت شيء أو شخص . فلكي يصف رجل من مدغشقر حركة ما أو عملاً نال إعجابه ، لا يستطيع أن يمنع نفسه من أن يقول : «إن هذا أرز بالحليب مغطى بالعسل» قاصداً بذلك أنه الكمال بعينه وأقصى ما يمكن أن يتمناه إنسان على وجه الأرض !

وعلى الصعيد الأخلاقي ، لم ينس شيوخ مدغشقر ومُسنّوها عيباً أساسياً من عيوب نبات الأرز الناضج الذي إذا ما حنت الريح أعواده عجز عن الانتصاب من جديد – ظاهرة أفضت إلى ابتكار تعبير **ميفاري لا فو** ومعناه «نحا فلان نحو أعواد الأرز الراقدة» . ويُساق هذا التعبير عن كل من أطلق العنان لأهوائه الفاسدة .

على أنه باستثناء نقطة الضعف «الفسيولوجية» هذه ، يقرّ أهل مدغشقر للأرز بالعديد من الصفات الحميدة التي يستوحون منها قواعد سلوكهم . وكثيراً ما تُنسَب إلى الأرز صفات البشر ، فقبيل ظهور سنابله ، أي عندما تكون سيقانه منتفخة ، نسمعهم يتحدثون عن الأرز «الحامل» . وعندما تنشق السنابل يقال إن الأرز «يلد» . أما السنابل التي تنتصب شامخة قبل أن تنحني فتُذكّرهم بحياة الإنسان الذي يزهو بعنفوان الشباب وكبريائه قبل أن ينحني في أواخر عمره تحت عبء السنين وقد «أترعه النضج» .

وكان اقتران الأرز بالماء وتكاملهما يُعدّان على الدوام رمزاً للصداقة الحميمة والحب الوفي إذ يقال : «لتكن الصداقة (أو الحب) كالأرز والماء لأنهما لا يفترقان في الغيط قط ولا ينفصلان في البيت حتى واحدة» . ويقال أيضاً بصدد الزواج : «الحب كشتلة أرز فتية لا تتفتح ما لم تُزدَرَع» .

وثمة كثير من الأمثال الشعبية التي تستشهد بالأرز في الحديث عن سلوك الفرد . فيقال للحث على المشاركة في الحديث في مجلس ما : «لتحذو حذو الأرز وليُعرِب كل منكم عما في قلبه» .

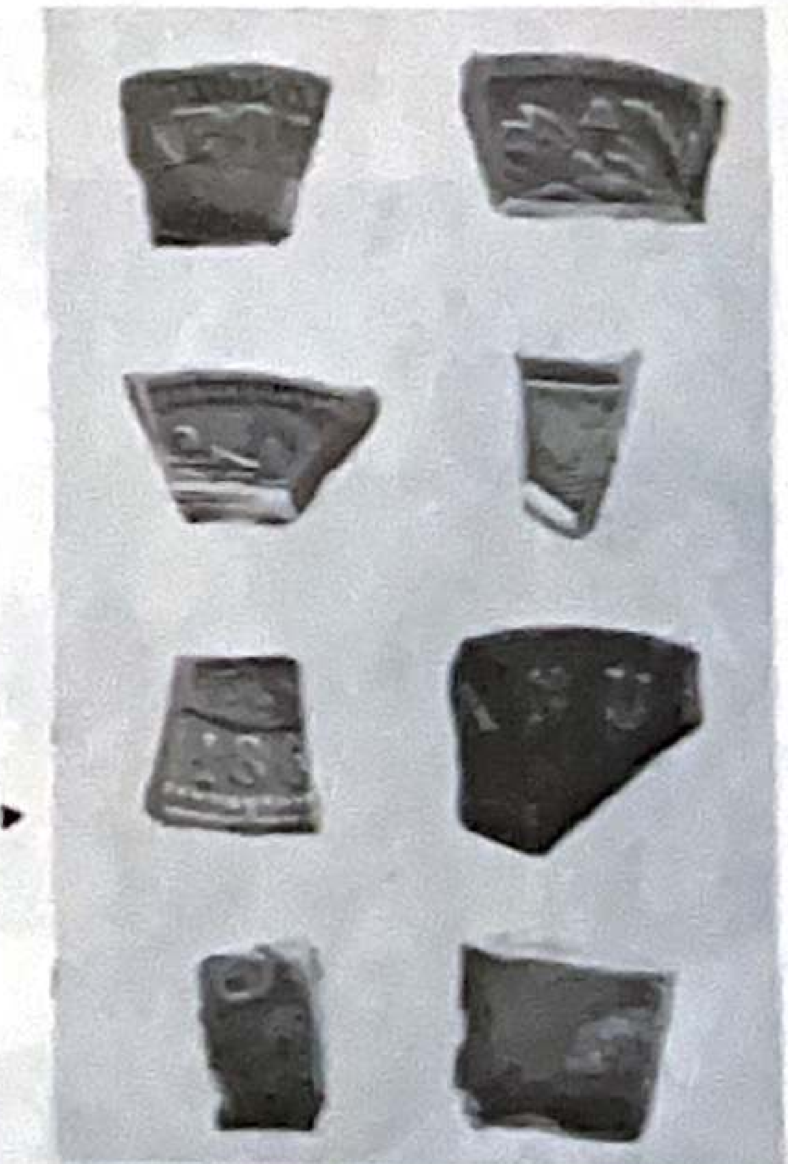
وأخيراً فإن الأرز يمثل محور كثير من الموضوعات التي يتطرق إليها السمر أثناء سهرات الشتاء حول نار المدفأة ، حيث تطرح فوازير مثل : «ما الشيء الذي يجب أن ننتزع منه الحياة لكي نضفي عليه حياة أفضل ؟» . وإن كنتم لا تعرفون الإجابة : «تلك هي شتلة الأرز التي ننتزعها من المشتل لنغرسها من جديد في حقل الأرز» ■

رَفرالاهي بيمانتجرا

رفرالاهي بيمانتجرا . مدغشقر . رئيس معهد علوم اللغات الملغشية . أجرى بحوثاً في مشكلات تدريس اللغة الأم في البلاد النامية ونُشرت له عدة مقالات عن تطوير اللغات الأفريقية .



جرن خشبي من ماجونجا ، مدغشقر ، يُستَخدم في ضرب الأرز .



تصوير : © متحف الإنسان ، باريس

مكيال أرز من الخيزران ارتفاعه ٣٫١٣ سنتيمتر ◄ ومُزيّن بصور محفورة لخيالٍ وقاربٍ وقصرٍ . وقد وجد في فيانارانتسوا ، مدينة زراعية وتجارية كبيرة تقع جنوبي أنتناريفو على الهضبة الوسطى في مدغشقر .

تصوير : م . دولابلانش © متحف الإنسان ، باريس

► قرب نهاية القرن الثامن عشر كان أهل مدغشقر يستخدمون نقوداً أجنبية مقسمة إلى قطع كالقطع التي نُرى في هذه الصورة والتي وُجدت في أنتناريفو . وتتوقف قيمة كل من هذه القطع على وزنها وكانت وحدة الوزن زنة حبة أرز . وكانت أصغر عملة نقدية تعرف باسم فاريفيتوفتي (أي زنة سبع حبات من الأرز) .

الأرز نبات عالمي

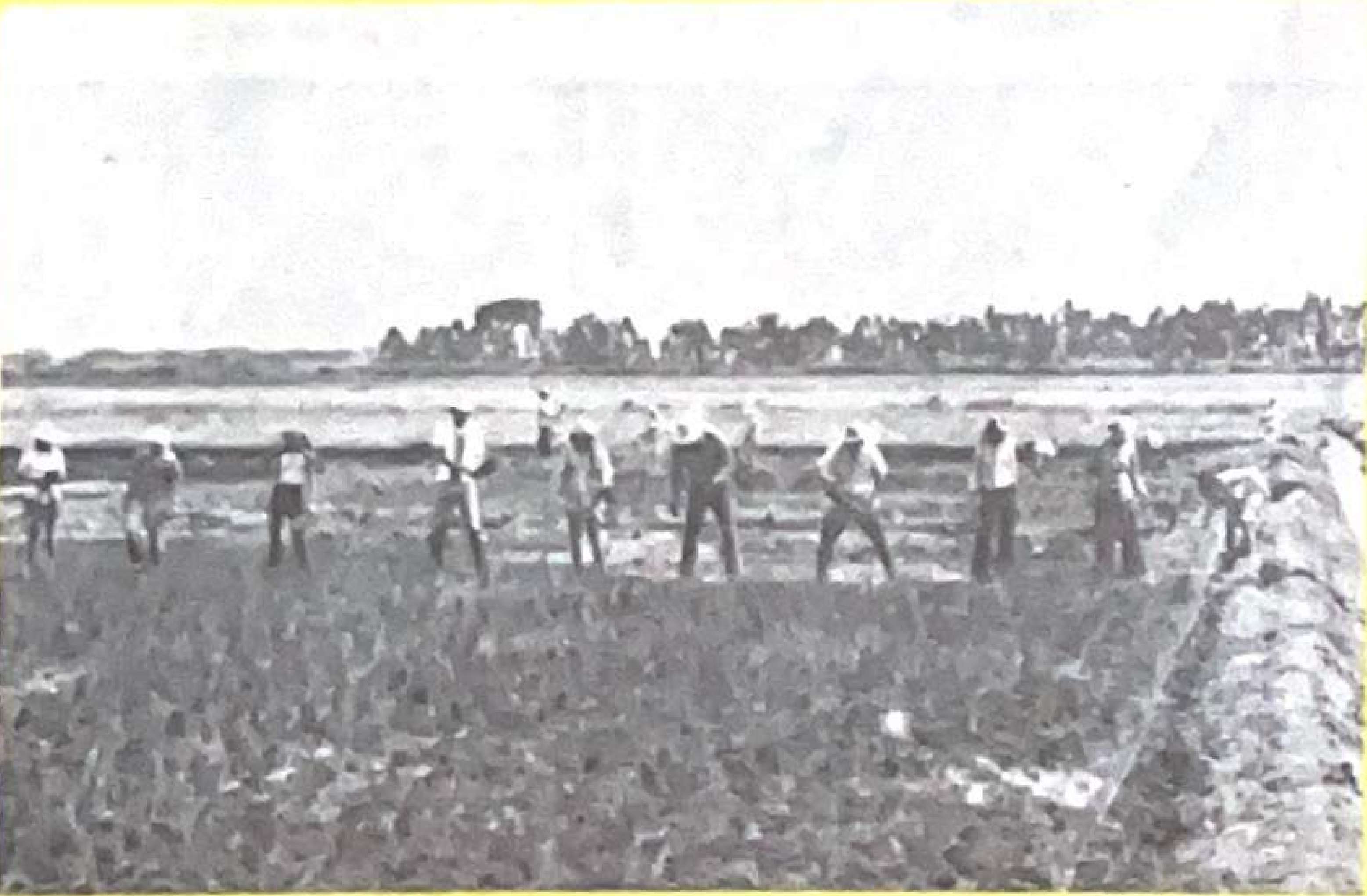
في مملكة النبات يُعدُ الأرز واحداً من أكثر النباتات قدرة على التكيف . فقد بدأ نموُه أصلا في بيئة استوائية رطبة وحارة ثم انتشر منها في كافة أرجاء العالم بفعل الطبيعة ونتيجة لتدخل الانسان على السواء . ففي الوقت الحاضر يُزرع الأرز في المناخ البارد على مرتفعات نيبال والهند وفي الصحراوات الحارة بمصر وإيران وباكستان . وفي أجزاء من آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية يُزرع الأرز في أراضٍ جافة على حين يترعرع في أجزاء من بنجلاديش وبورما وشرق الهند وتايلاند وفيتنام في مياه فيضية قد يصل عمقها إلى ثلاثة أمتار . والنوعان الرئيسيان من الأرز المزروع هما الأوريزا ساتيفا الذي يُزرع في آسيا و الأوريزا جلابّريما الذي يُزرع في غرب أفريقيا . ويبدو من البيانات الاركيولوجية أن الأوريزا ساتيفا استؤنس لأول مرة في آسيا منذ أكثر من سبعة آلاف عام على حين أن استئناس الأوريزا جلابّريما جاء بعد ذلك بفترة من الزمن . ومن المحتمل أن الأرز كان يُزرع في حوض النيجر زهاء سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد وفي غينيا بعد نحو أربعمائة سنة من ذلك التاريخ ، وهو الآن واحد من المحاصيل الرئيسية التي تُزرع في مناطق السهول الفيضية لحوضي السوكوتو والنيجر . من اليمين إلى اليسار : نقل غرسات الأرز في الكامارج (فرنسا) والسنغال وكولومبيا على التوالي .



تصوير : دومينيك روجيه ، اليونسكو



تصوير : جاك ونشبير © رافو ، باريس



تصوير : جان نانتل © A.A.A. ، باريس

أنباء مُتفرقة



اليونيسيف وبطاقات المعايدة

مرة أخرى يسهم الفنانون والهيئات القائمة على شؤون المتاحف في بلاد كثيرة في إنتاج مجموعة متنوعة ورائعة من الصور والرسوم التي تُحلّى بها بطاقات اليونيسيف للمعايدة. وهذه البطاقات معروضة منذ الآن في كل مراكز البيع الخاصة باليونيسيف والمنتشرة في أنحاء العالم. وتسهم الإيرادات المتأتية من بيع بطاقات اليونيسيف وهداياها في تمكين المنظمة (واسمها بالكامل: صندوق الأمم المتحدة للطفولة) من تمويل ما تُقدّمه من برامج تستهدف تحسين مرافق الرعاية الطبية والتعليم والتغذية والمرافق الصحية وإتاحة فرص الاستفادة منها أمام الملايين من الأطفال المحرومين في جميع البلاد النامية في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. ومن أمثلة ذلك أن ثمن بطاقة معايدة واحدة يكفي لتحصين أربعة أطفال ضد الدفتريا والسعال الديكي والتيتانوس أو لوقاية عشرة أطفال من فقدان البصر. ومعروض للبيع كذلك، فضلاً عن بطاقات المعايدة في حجمين ومجموعة فاخرة من أوراق الخطابات، تقويم في لسنة ١٩٨٥ – التي تشهد العام الدولي للشباب – يورد صوراً لأطفال وشباب ينتمون إلى سبعة وخمسين بلداً. وترد على البطاقة الواردة قرينه طيور الماء – لوحة ساهم بها فنان إندونيسي يدعى إيوان تِرْتا.

جائزة اليونسكو للتربية من أجل السلام

مُنحت جائزة اليونسكو للتربية من أجل السلام لعام ١٩٨٤ لفريق الفيزيائيين الدولي لمنع نشوب الحرب النووية. ويوجد مقرّ هذا الفريق بالولايات المتحدة الأمريكية ويرأسه اثنان من أطباء القلب أحدهما سوفيتي يدعى إفجيني تشازوف والآخر أمريكي يدعى برنارد لون. وقد قَبِل الفريق مِنْحَةً مبلغها ستون ألف دولار أمريكي قُدّمت إليه في حفل أقيم بمقر اليونسكو في باريس يوم ٣٠ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٨٤. وتستهدف هذه الجائزة السنوية، التي مُنحت لأول مرة عام ١٩٨١، تعزيز العمل الرامي إلى توطيد أركان السلام وبناء حصونه في عقول البشر على نحو ما جاء بالميثاق التأسيسي لليونسكو. ولتُموَّل الجائزة من هِبَة قدرها مليون دولار أمريكي قدّمتها المؤسسات اليابانية لبناء السفن.

مِدالية اليونسكو لاسطنبول وجوريم

أصدرت اليونسكو مِدالية تسهم إيرادات بيعها في الجهود التي تُبذَل من أجل إنقاذ الآثار والمواقع التاريخية في تركيا. ويظهر على أحد وجهي المدالية جامع السلطان سليم في اسطنبول حيث تعكف اليونسكو على صوْن الآثار القديمة والأحياء العتيقة، بينما نُقشت على الوجه الآخر (انظر الصورة الواردة أعلاه) صورة للعذراء والطفل في وسط منظر طبيعي وعر بوادي جوريم في آسيا الصغرى حيث تشترك اليونسكو في حملة لإنقاذ عدد من الكنائس التي نُحت في الصخر. وقد صَمّم هذه المِدالية فنان تركي يدعى هندان بروتيسن، وضُربت في دار سكّ النقود في باريس وتتوافر منها نسخ من الذهب أو الفضة أو البرونز. وللحصول على مزيد من المعلومات عن هذه المِدالية وغيرها من المِداليات التي تصدرها اليونسكو يُرْجَى الاتصال كتابة بالعنوان التالي:

Philatelic and Numismatic Programme, Unesco,
7 Place de Fontenoy, 75700 Paris, France.





طبعة جديدة من رسالة اليونسكو باللغة السنهالية

يُسْعِدُ هيْئَةَ التحرير أن تعلن عن صدور طبعة فصلية باللغة السنهالية من رسالة اليونسكو، تصدرها اللجنة الوطنية لليونسكو في سري لانكا، وزارة العدل، هولفسدورب، كولومبو ١٢. وبظهور العدد الأول من الطبعة السنهالية في أغسطس/آب الماضي، بلغ عدد الطبعات اللغوية من رسالة اليونسكو ٢٨ طبعة فضلاً عن طبعة برايل الفصلية التي تصدر باللغات الإنجليزية والفرنسية والأسبانية والكورية.

السعر الجديد لأعداد مجلة رسالة اليونسكو

بالنظر إلى الارتفاع المستمر في تكاليف الإنتاج والتوزيع سوف تقضي الضرورة – للأسف الشديد – برفع أسعار رسالة اليونسكو على النحو التالي لعام ١٩٨٥:

- الاشتراك السنوي : ٦٨ فرنكاً فرنسياً
- الاشتراك لعامين : ١٢٠ فرنكاً فرنسياً
- سعر العدد : ٧ فرنكات فرنسية
- تجليد أعداد السنة : ٥٢ فرنكاً فرنسياً

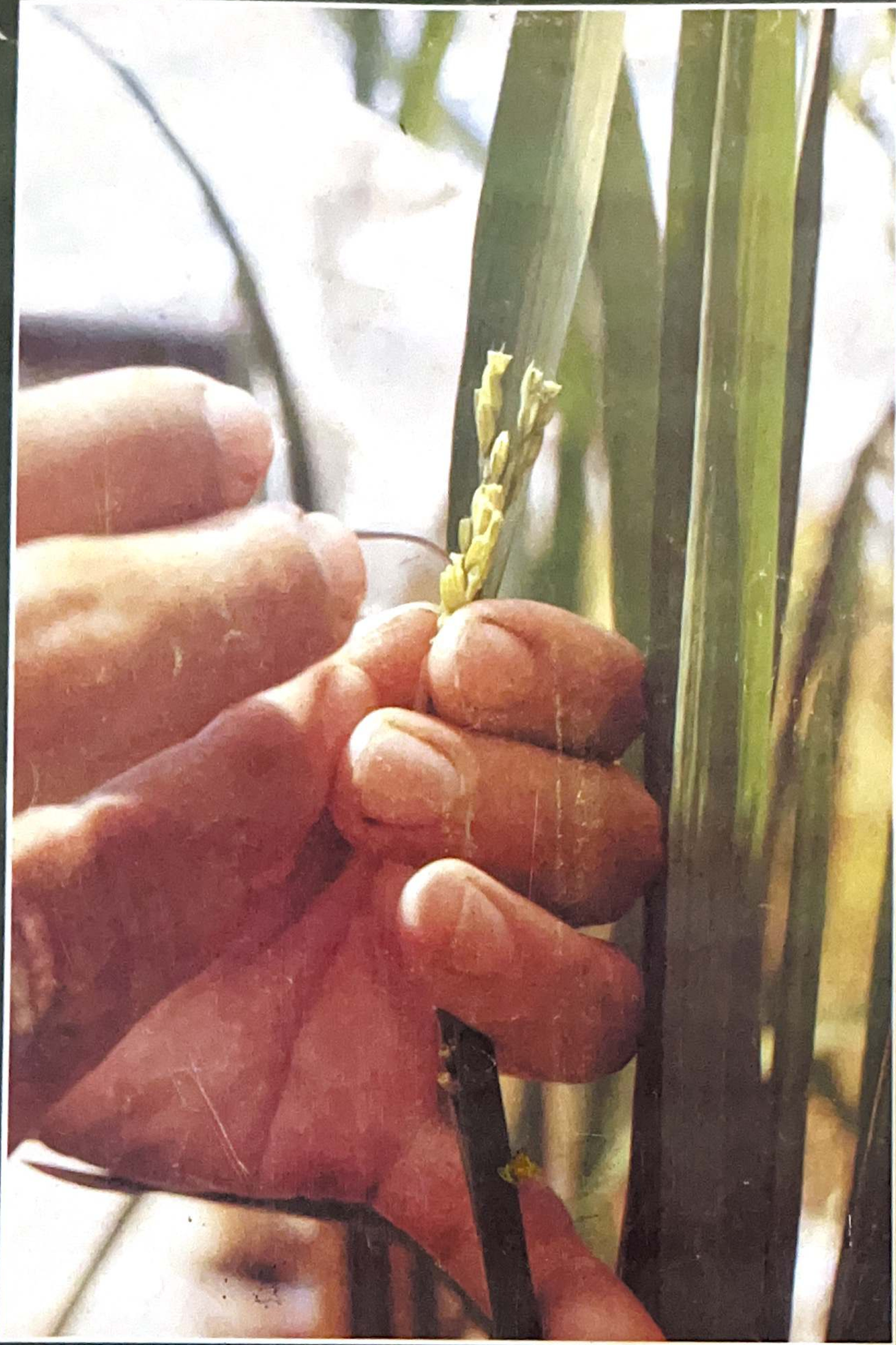
هذا ويُستعْلَم عن قيمة الاشتراك بالعملة المحلية لدى وكلاء مطبوعات اليونسكو الذين ترد قائمة بهم في صفحة الغلاف المقابلة.

الطبعة البلغارية : جورال سويف (صوفيا)
الطبعة اليونانية : نقولا باباجيورجيو (أثينا)
الطبعة السنهالية : س. ج. سوماناسكرا باندا (كولومبو)
محررون مساعدون :
الطبعة الفرنسية : [illegible]
الطبعة الانجليزية : روي مالكين
الطبعة الأسبانية : خورخي إنريك أدوم
الوثائق : كريستيان بوشيه
الصور : أريان بايلي
الاخراج والتصميم : جورج سرفا
الخط العربي : حسن المسعود
الترويج : فرناندو آينسا
مشروعات خاصة : يحيى جوليان
ترسل جميع المكاتبات إلى رئيس التحرير

تصدر الطبعة العربية في القاهرة في نفس الوقت الذي تصدر فيه عن مقر اليونسكو في باريس وذلك تحت اشراف مركز مطبوعات اليونسكو، ١ شارع طلعت حرب، القاهرة

BRODARD GRAPHIQUE, COULOMMIERS - Dépôt légal C 1
PHOTOCOMPOSITION-MONTAGE: ARAB CONSULTANT, 9 rue des Eperviers 75017 PARIS

فهرس أعداد رسالة اليونسكو الصادرة في ١٩٨٤



بذور الأمل

فيما بين عام ١٩٦٠ وعام ١٩٨٠ ارتفع متوسط غلة الارز في آسيا بنسبة ٤٠ في المائة وزاد إنتاجه بما يربو على ٦٠ في المائة . ويُعزى الجانب الأكبر من هذه الزيادة الهائلة إلى إدخال أصناف حديثة من الارز رُوعيت في تطويرها أهم التجديدات التكنولوجية التي توصّل إليها المعهد الدولي لبحوث الارز في لوس بانوس بالفلبين . ويُذكر مما أتاحته تلك التجديدات تطوير أصناف (أ) قادرة على الاستفادة بدرجة أكبر من مزيد من المخصّبات وعلى النمو في أي فصل من فصول العام أيا كان طول ساعات النهار ؛ (ب) لديها قدرة وراثية على مقاومة هجمات أمراض وحشرات معينة ؛ (ج) يحتاج نضجها مدة أقصر كثيراً مما يحتاجه نضج أصناف الارز التقليدية . أعلاه ، عالمٌ يختبر قدرة صنف جديد من الارز على مقاومة الحشرات .

تصوير : جورج جيرستر © رافو ، باريس

رسالة
اليونسكو
نافذة على العالم
العدد ١٦٣
اليونسكو
٧ قروش

تراث نيبال



التخطيط العلمى فى مجال التوسع الفندقى

فى الخطة العشرية لمؤسسة السياحة والفنادق

بقلم :
عبد الخالق أنور
مدير مؤسسة السياحة والفنادق

سالنا الأستاذ عبد الخالق انور مدير مؤسسة السياحة والفنادق عن التخطيط العلمى فى مجال التوسع الفندقى فى الخطة العشرية لمؤسسة السياحة والفنادق فقال :

لا شك ان مستوى المعيشة فى الدول النامية اصبح مشكلة من اهم المشاكل العالمية التى تواجه الحكومات والراى العام العالمى وذلك لأسباب سياسية واقتصادية واخلاقية •

وقد اعتبرت السياحة عاملا هاما من عوامل التطور الاقتصادى والتجارة العالمية وذلك للأسباب التالية :

١ ـ ان السياحة بحكم آنها من اهم العوامل المؤثرة فى الاقتصاد القومى ومن اقوى العوامل المغذية لميزان المدفوعات أصبحت جزء لا يتجزأ من الخطة الاقتصادية العامة التى تهدف الى ايجاد نمو واضح ومتوازن لرفع قيمة. التراث القومى وزيادة موارد العملات الحمرة •

٢ ـ ان السياحة مصدر هام ورئيسى لدفع اقتصاد لا يزال فى دور التنمية ، وهى الوسيلة الاكيدة والفعالة فى هذا المجال لأن النتائج المترتبة عليها ذات أثر بعيد فى الاقتصاد القومى لأنها تزيد من الانتاج وتكثر من الاستهلاك مما ياتى بايرادات تؤدى الى ادخار قومى لا غنى عنه فى المشروعات المتصلة بالتنمية ، كما تزداد بها الصادرات غير المنظورة التى يظهر أثرها فى ميزان المدفوعات فترفع من دائنية الدولة ويرتفع بذلك مستوى المعيشة بين المواطنين •

٣ ـ ان السياحة ميدان جديد لزيادة حجم العمالة التى تنتعش فيها وبالتالى فهى تستطيع أن تساهم فى دفع الحلول لمشاكل البطالة •

ولا شك أن أحد المزايا الهامة للاستثمار السياحى فى الدول النامية هى قصر المدة التى يبدأ المشروع السياحى بعدها فى آن يغل عائدا ، ولكن هذه الميزة الكبيرة يجب الا تغطى على حقيقة أخرى هى انه ما لم يتم استخدام الاستثمارات فى السياحة وفق خطة تتسم بالكفاية فان ذلك يكون سبيلا لضياع رؤوس الأموال ، ولذلك فان كفاءة الاستثمار يمكن آن يقاس بحجم راس المال اللازم لتحقيق انتاج معين ، ويجب لذلك أن يقارن بين المشروعات الانتاجية المختلفة وصولا الى تحديد المشروع المحقق انتاجا اكبر وعائدا أسرع فيوجه اليه راس المال المتسثمر بطريق الأولوية عن غيره من المشروعات الأخرى •

واخذا بهذا المعيار فانه يبدو من الدراسات التى اجريت فى عديد من الدول أن الاستثمار فى بناء الفنادق هو افضل أنواع الاستثمار وأكثرها فائدة •

انطلاقا من هذا المفهوم العلمى فقد وضعت المؤسسة المصرية العامة للسياحة والفنادق خطتها العشرية والتى تبدأ مرحلتها الأولى من عام ٧٢ ـ ٨٠ •

وهذه الخطة جزء لا يتجزأ من الخطة العامة السياحية فى الدولة ، وتهدف هذه الخطة اساسا الى المشاركة بنسبة ٤٠٪ من الخطة العامة بالوزارة وذلك باضافة ٦٧٤٠ غرفة جديدة فى هذه المرحلة منها ٢٦٠٠ غرفة من المستوى الممتاز و ٤١٤٠ غرفة من المستوى السياحى تستوعب حوالى ١٢٠٠٠ سرير يخص منها :

القاهرة	٣٥٧٠
الأقصر	١٢٤٠
الساحل الشمالى	١٢٠٠
اسكندرية	٣٠٠
البحر الأحمر	٣٥٠
القنال	٨٠

وكلها ممثلة فى فنادق وقرى سياحية ، وقد استند التخطيط لهذه المرحلة على دعامتين اساسيتين •

الأولى : مسح تفصيل لأوضاع المناطق المراد الانتفاع بها سياحيا مع التركيز على مقدماتها السياحية •

الثانية : دراسة شاملة عن السائحين المرتقبين وقد بنيت الدراسة على احصاءات وتنبؤات علمية •

إشرب ...

... واستمتع



برتقال

ليمون



عصير طبيعي غني بالفيتامينات

مرطب ومنعش في زجاجته الجديدة



إنتاج: **شركة النصر لتعبئة الزجاجات**

إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الغذائية

الشركة المصرية للأغذية

بسكو مصر

تقدم دائماً أفخر المنتجات من البسكويت والشيكولاتة والحلوى والكورن فليكس والأرز الفضي.

ويسرها أن تعلن عن إنتاجها الجديد من البسكويت الشعبي بعبواته ١٠ و ٥ مليمات

إنتاجها متوفر في كل مكان

معارض البيع :

القاهرة: ش طلعت حرب بجوار سينما راديو.

الإسكندرية : شارع مسجد العطارين .

الشركة العربية للأساسات «ڤيبرو»

كبرى شركات الأساسات بالشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

تعتبر الشركة أكبر بيت خبرة عربي في صناعة الأساسات الميكانيكية منذ عام ١٩٢٩ بما لديها من إمكانيات ضخمة وخبرة في هذا المجال لكافة أنواع الأساسات مثل ڤيبرو وبريستكور - استراوس - كالويلد - خوازيق سابقة الصب - آبار اسكندراني

المركز الرئيسي : ٦ شارع شامبليون - القاهرة ت ٥١٥٨٢
فرع القاهرة : ٥ شارع قصر النيل - القاهرة ت ٧١٩٢٧
فرع الإسكندرية: ١٦ شارع فوزي الجمزي - الإسكندرية ت ٢٤٧٨٦

الشركة المصرية لصناعة النشا والجلوكوز

نشا الذرة غذائي - صناعي

جلوكوز للحلوى والمربات

دكسترين . بريتش جم

علف . زيت جنين الذرة

مكرونة كليوباترة

المركز الرئيسي :

٢٦ شارع طلعت حرب - القاهرة
ت : ٧٩٥٨٣ - ٤٧٧٧٦

إدارة التوزيع :

٤١ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة
ت : ٩١٧٨٠٤ - ٩١٧٢٥٥

العنوان التلغرافي :

جلوكو مصر س ت ٢٤٩٩٢

كنوز
الفن
العالمى

٩٤
جواتيمالا

تصوير جورج هولتون

نقش تذكارى مايارى

صورة لشخص يرتدى الملابس الرسمية محاط بحروف هيروغلوفية وغيرها من الرسوم ، ماخوذة عن نقش تذكارى على حجر مايارى وجد فى ادغال جواتيما لا فى مقاطعة بيتن . ويتميز هذا النقش بالحيوية والنقوش السخية التى يتسم بها فن النحت المايارى . ويرجع تاريخه الى حوالى ٨٥٠ ميلادية . وقد اكتشف فى اطلال سيبال ، احدى المدن الشهيرة التى اقامها المايا فى امريكا الوسطى وجنوب المكسيك .

رسالة **اليونسكو**



تصدر شهريا عن :

هيئة اليونسكو

ميدان فونتنوا - باريس - ٧

تصدرها اليونسكو باللغات
الفرنسية والانجليزية والاسبانية

كما تصدر بها شعب قومية
باثنتى عشرة لغة أخرى

رئيس التحرير
ساندى كوفلر

الطبعة العربية لرسالة اليونسكو
١ شارع طلعت حرب - القاهرة
تليفون : ٢٢٤٠٢

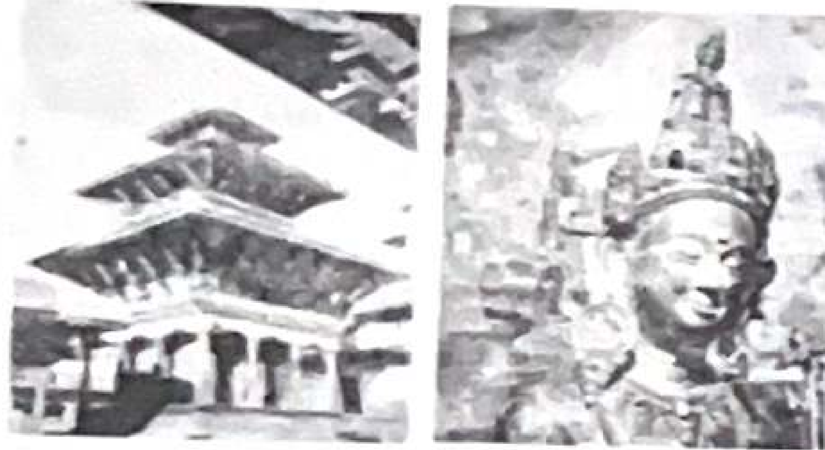
رئيس التحرير
عبد المنعم الصاوى

هيئة التحرير
د. مصطفى كمال طلبة
د. السيد محمود الشنيطى
د. عبد الفتاح اسماعيل
عثمان نوية
محمود فؤاد عمران

الاخراج والتصميم
روبرت جاكمين
عبد السلام الشريف
عبد العزيز عبد الصادق

فبراير ١٩٧٥

تصوير : فرانسس برونال ـ باريس

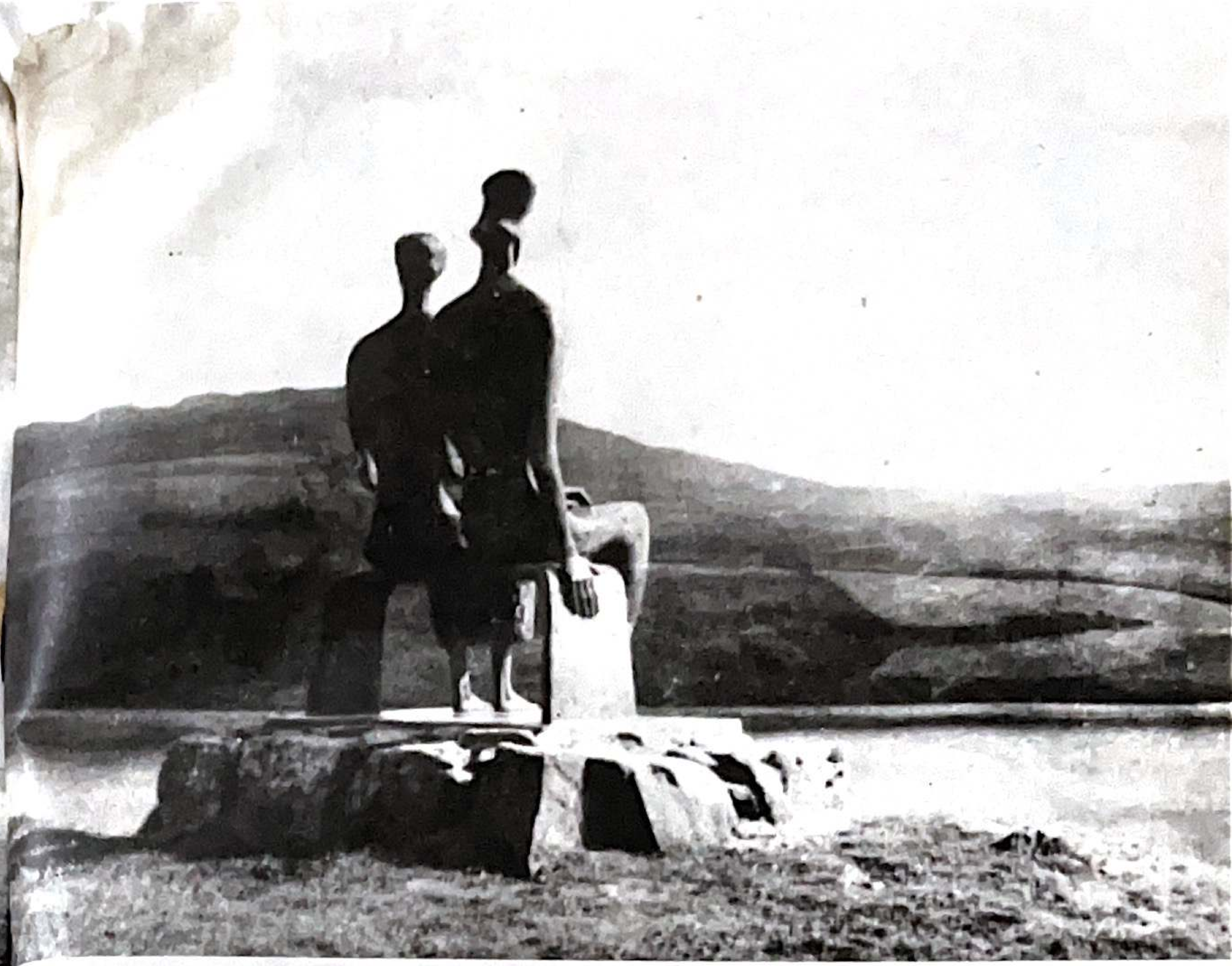


(الصورة لكارلن سالرستون ، هامبورج ، باريس)

خصصت « رسالة اليونسكو » القسم الاكبر من عددها هذا لنيبال التى تهتم حكومتها بحماية كل من الشواهد الأثرية القديمة ، والدلائل العالية التى تعبر عن حضارة وتوازن مادى وروحى مثال ، وتسهم اليونسكو من ناحيتها اسهاما كبيرا فى هذه المبادرة العظيمة .

تمثال صغير من البرونز المذهب ، يرجع الى القرن السابع عشر . يصور «بوذيساتفا» حاملا زهرة لوتس امام «تانكا» : والصورة على حرير من العصر نفسه .

معبد فى كاتماندو ، فى ميدان هانومان ذوكا . وقد احصى اكثر من ثمانمئة معبد وصرح اثرى هام فى وادى كاتماندو . ويرتفع هذا الرقم الى الفين وخمسمئة اذا ادخلنا فى حسابنا اجمالى دور العبادة الموجودة فى هذا الوادى .



يتهدد «التقدم» قلب المدن القديمة ، ان لم يدمرها بالفعل . وتمثل هذه المبانى قيما لابديل لها ، يجب الحفاظ عليها وتنسيقها حسب مقتضيات الحياة العصرية ، فلا تترك نهبا لعوامل الدمار . وتقوم اليونسكو منذ بضع سنوات بشن حملة دولية تستهدف حماية كنوز مدننا التاريخية . والى اليسار صورة زيتية بريشة الفنان البلجيكى رينيه ماجريت. والى اليمين صورة لشخصين يواجهان الطبيعة، من أعمال المثال البريطانى هنرى مور .

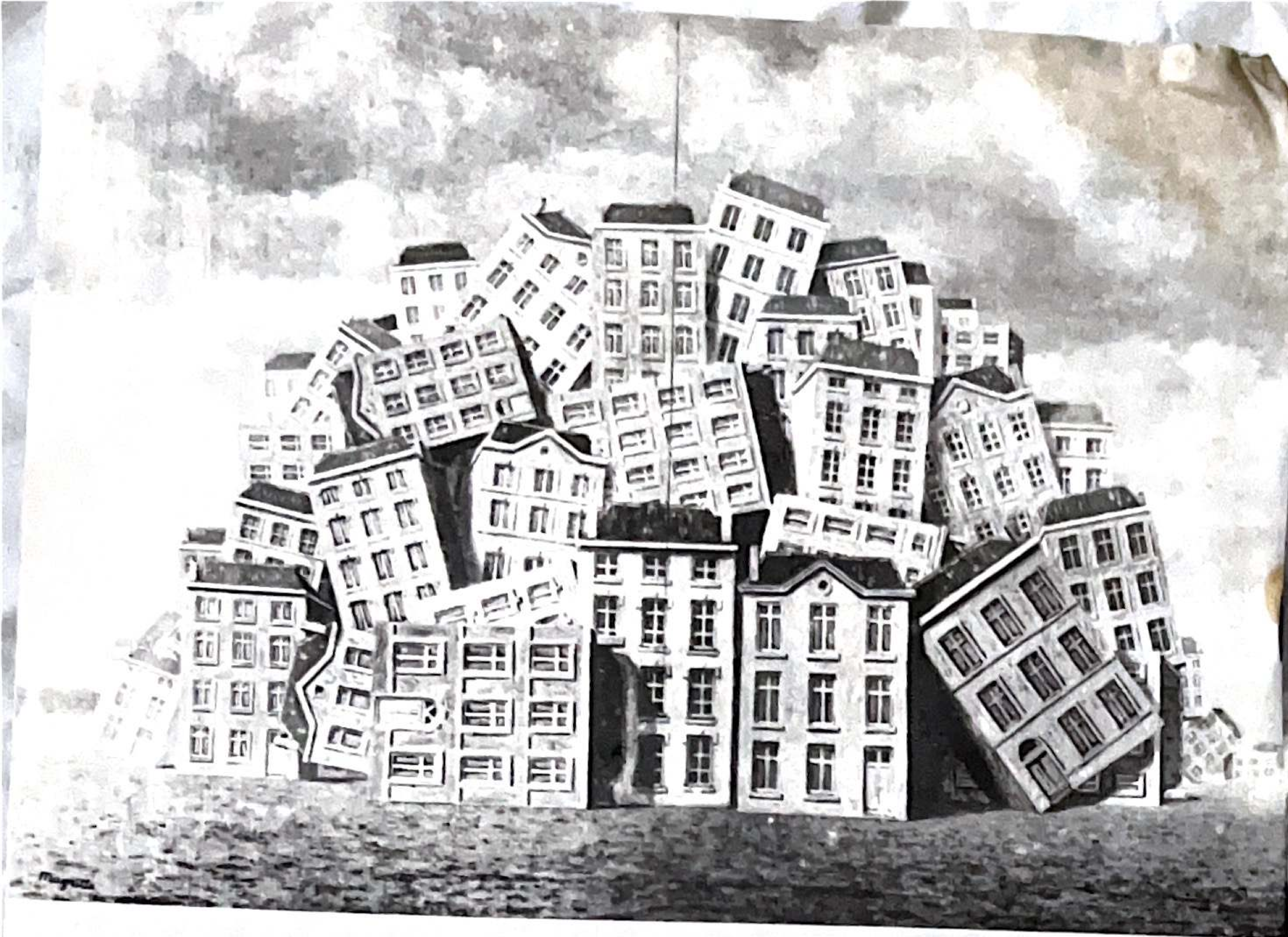
لهيئة الاذاعة البريطانية ، لندن

لجاكلين هايد ، باريس

مستقبل ينتظر المدائن القديمة

بقلم: جورج فراديبه

جورج فراديبه : يضطلع لدى منظمة اليونسكو بتنسيق الدراسات المتعلقة بالبيئة والمجموعات البشرية . ولما كان عضوا فى المنظمة منذ عام ١٩٤٩ فانه تولى ادارة قسم الصحافة ، ورياسة بعثة اليونسكو الى مالى وسيراليون . ثم عمل مديرا لمشروع استثمار منطقة قرطاجة بتونس تحت رعاية اليونسكو . الف العديد من القصص والرسائل منها . أعياد ولقاءات : ببعض النواحى التقديرية المتبادلة للقيم الثقافية فى الشرق والغرب » (اليونسكو ١٩٦٣) . وقد سبق ان نشرت « رسالة اليونسكو » الكثير من مقالاته .



١
كيف يتسنى رد اعتبار القديم باستخدام الأساليب الحديثة

لا تعترض فكرة المدينة التاريخية او الحى التاريخى ، لأول وهلة ، وفى ذهن الانسان اى صعوبة وتتجلى واضحة فى الدعاية التى تعرض على المسافرين عددا كبيرا من « مدن الفن والتاريخ » .

ومع ذلك فان الأماكن التى يعلن عنها على هذا النحو ، وتمتدح لجمال منظرها ، وعظمة تاريخها ، هى أكثر الأماكن القديمة حظا من الرعاية ، او على الأقل أكثرها تزودا بالمهمات التى تكفل بحمايتها . وهناك مدن أخرى كثيرة لا تقل فى قيمتها عن هذه الأماكن ، غير أنها تبقى مهملة . بسبب صعوبة الوصول الى مواقعها ، أو لعدم ادراك مزاياها المعمارية .

وهناك فضلا عن ذلك مدن فى أول ازدهارها، اشتهرت بحيويتها ونشاطها أكثر مما اشتهرت بآثارها القديمة ، نكتشف اليوم جمال أحيائها القديمة التى كانت تتبدى فيما قبل تافهة فى أعين السياح الذين لايلتفتون الا الى آثار العصور المجيدة .

وهناك أيضا مبان قد توصف بأنها تاريخية لأنها احتضنت طفولة شخصية أصبحت اليوم عظيمة مشهورة ، أو لأنها كانت مسرحا لبعض الأحداث الوطنية البارزة فى أزمان تاريخية قريبة. أما المجموعات الحضرية فانها ليست دائما فى حاجة الى تحدى عاديات الزمان لكى تثير التوقير والاعجاب ، وهذا بلاشك نتيجة لبعض الظواهر التى تتصل بموضوع « اسراع العجلة التاريخية » .

وتثور مسألة المدن والأحياء التاريخية أيضا فى مناطق لم يباشر بشأنها التنظيم الحضرى الا فى زمن قريب . وثمة بعض العواصم التى لم تكن سوى قرى فى أواخر القرن التاسع عشر ، تواجه اليوم مشاكل النمو التى يبدو أنها تفرض اختيارا عسيرا بين التطوير العصرى وبين الابقاء على النواة القديمة .

وتتوقع بالأحرى فى المدن التى تنمو باستمرار منذ قرون طويلة ، بل منذ آلاف السنين ، أن تثور آراء متناقضة تزيدها ضروب سوء الفهم وتشعب المصالح اثارة .

وثمة بعض مشروعات التجديد الحضرى فى بعض المراكز التاريخية تثير مشاعر شديدة التباين يعرضها البعض بصورة تعسفية على أنها صراعات جديدة بين القديم وبين الحديث .

وعلى ذلك فان مفهوم المدينة التاريخية أو الحى التاريخى يغطى عددا كبيرا من شتى الموضوعات ، فهنا أطياف مدن ، وهناك مدن ضاعت فى طيات النسيان ، يضرب بعض الأقوام الرحل خيامهم خلال اطلالها ، وفى جهات أخرى

مدن تضيق بسكانها وتموج بحياة صاخبة . وهناك مدن أسطورية ، ومدن مشهورة يحلم برؤيتها كل الناس ، وكفور اندثرت ، فلم يبق منها سوى حجارة تحكى تاريخها لقلة من العلماء .

وثمة مدن متماثلة تماثلا مدهشا ، شيدت فيما مضى في بضع سنين ، ثم بقيت على ما كانت عليه في زمانها ، ومدن تطورت باستمرار حتى أصبحت تبدو لغزا محيرا تمتزج فيه كل العصور والطرز .

ومع ذلك فهناك نسبة مشتركة تنسب الى كل هذه المجموعات التاريخية ، باعتبارها غير ملائمة للحياة العصرية . فحينما تنتقل ضروب النشاط السياسية والدينية والعسكرية والثقافية والاقتصادية التي كانت العلة الأساسية لوجودها الى مناطق أخرى ، أو تختفي هذه النشاطات مع العقائد والأساليب التقنية والممارسات الاجتماعية ، تفقد هذه المدن بعض وظائفها الأصلية ، ولا تؤدى الا بصعوبة تلك الوظائف التي احتفظت بها ، باعتبارها مراكز تجارية مثلا .

ويجرى على المناطق السكنية نفسها تعديلات كبيرة عندما ينتقل أكثر السكان ثراء أو نشاطا الى المدن الجديدة . فالقصور والفنادق ودور الاشراف والبطاركة تتحول الى عمائر سكنية يقطنها أناس من ذوى الدخول الصغيرة لا قدرة لهم على صيانتها ، بل انهم يسهمون حتما في خرابها . وفي الوقت نفسه تتغير طبيعة التجارة ، فبعد أن كانت تفي بحاجات مجتمع مزدهر متنوع السمات والطبقات أصبحت تتلاءم مع احتياجات جماعات بشرية أكثر بساطة وأقل ميسرة .

مثل هذه الحقيقة لا يمكن بالطبع أن تفسر اندثار المدن والاحياء التاريخية كلها ، فمن هذه الأحياء ما خلا من السكان ، ومنها ما يجيش بالحياة والحركة ، ومنها ما احتفظ بسكانته القديمة ، أو استردها . غير أنه اذا لم تعد المدينة التاريخية تؤدى الوظائف التي خصصها لها مشيدوها فهل لنا أن نستنتج من ذلك أنها أصبحت بلا وظيفة ، أو يجب على العكس من ذلك ان نجعل لها وظائف جديدة ؟ وأية وظائف ؟ .

وقد تغيرت مظاهر المدن في كل الأزمان ، فكانت أحيانا تعاني تقلبات شديدة بسبب الحروب والحرائق التي تعتبر من العناصر القوية المؤثرة في بناء المدن غير أن عمليات اعادة البناء التي كانت تجرى في أعقاب هذه الكوارث لم تكن تتعارض بصورة صارخة مع تصورات كبار البنائين في الزمان الماضي ، بل انها لم تعدل كثيرا في أحوال سكان المدن .

ولما كان الجديد يقوم عادة على أساس من التصميم القديم نفسه ، وفي الحيز المكاني نفسه ، فانه يحل بذلك محل القديم . وتشهد الأجيال من الناس مدينتهم تنمو أو تتضاءل ، تزداد جمالا ، أو قبحا ، تنفتح أو تنغلق ، أى انها تتغير على مهل .. ولكن المدينة تظل كما هي في عين كل انسان .

أما في الوقت الحاضر فان ضروب الانفصام (بين الماضي والحاضر) أصبحت جذرية ، ولأول مرة تتغير مدن العالم كلها بسرعة كبيرة وفي وقت واحد حسب خطوط متماثلة . ولا ريب في أن التوسع الحضرى يؤدى حتما الى زوال الأحياء القديمة ، والواقع أننا نشهد في كل مكان حدوث مثل هذا الزوال .

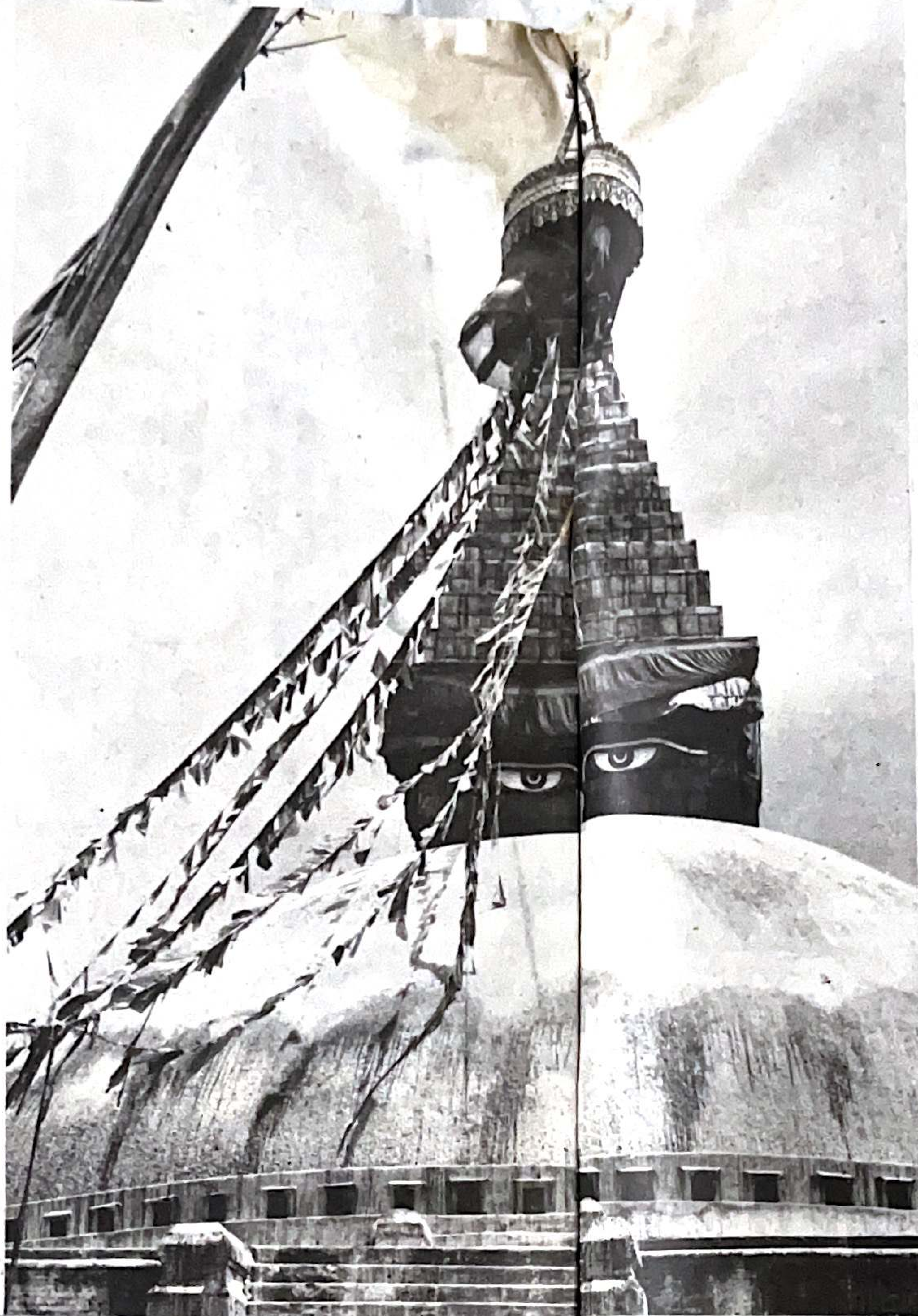
والحضارة الصناعية هي أول الحضارات التي تملك كلا من الموارد المالية والوسائل التقنية التي تتيح اجراء عمليات هدم ضخمة وكذلك عمليات اعادة البناء التي تتم على الفور تقريبا بمفهوم مختلف تمام الاختلاف . ومن ثم تبدو مشكلة المدينة التقليدية المهددة بالزوال بوجه عام مشوشة للغاية ، وتعتبر بما تفرضها من معرفة وادراك ، وما تتضمنها من متناقضات ، ظاهرة من ظواهر العصر الحاضر .

وبقيت المدينة القديمة بقاء لم ينكره أحد ، ولم يثر من الأحكام التقديرية ومن الآراء المؤيدة او المنكرة بأكثر مما أثاره بقاء الجبال أو الأنهار . غير أنه ما أن يطرح على بساط البحث مسألة وجودها الفعلي حتى تغدو هذه المدينة مدينة تاريخية جديرة بالتمجيد ، أو خليقة بالاهمال ، فهي ثروة في نظر البعض ، وعائق في نظر البعض الآخر . وتجرى أعمال الهدم الكبرى في المراكز والأحياء التاريخية عادة بحجة « التقدم » الذى تتذرع به السلطات العامة التي تأمر بذلك أو تصرح به ، وتدون مقتضيات التقدم ومزاياه في سجلات متنوعة .

ـ وثمة مدن تقليدية ، حكم ، أو لم يزل يحكم بضرورة ازالتها لأسباب جمالية . فقد تستثير التغيرات الثقافية والسياسية ردود فعل غريبة تتمثل في شعور بالعداء نحو أعمال الزمان الماضي ، شعور يعتبر هذه الأعمال عتيقة غير لائقة .

مثل هذا الاتجاه الذى لم يزل شائعا في بعض البلاد التي يود أهلها اخفاء الدلائل التي تشهد بعمارة وحضارة قديمتين ، يذكرنا بما كانت تكنه أوربا في العصر الكلاسي الجديد ، لفترة طويلة ، من ازدراء « لهمجية » القصور والكاتدرائيات القوطية . ويترتب على ذلك نتائج خطيرة حين يشعر بعض القادة الذين يعملون على تأكيد السمة العصرية لعواصم بلادهم بالخجل ازاء الدلائل المادية التي تشهد بالثقافة القومية التي يدافعون عن بقائها .

ـ وتؤدى الاعتبارات الاجتماعية أيضا دورا كبيرا في هذا الصدد . فالأحياء السكنية التاريخية التي لا تلقى ما تحتاج اليه من رعاية ، وتكتظ بساكنيها ، ولا تهتم بشأنها مرافق التنظيم والصحة ، تتخلف أمورها حتى تندرج في طائفة الأحياء « المضرة بالصحة » . بل لقد تعتبر المراكز القديمة في بعض الأحيان مواطن للأوبئة يجب أن يتخذ بشأنها اجراءات صحية مشددة ، وسيطة في طابعها ، وكأن الضرر الصحى لا يمكن علاجه الا بالهدم .



(تصوير يقيت فنسنت ـ اليوم ، باريس)

أضخم «ستوبا» او مزار بوذى في وادى كاتماندو هو مزار بوذنات (فوق) . وتتدرج آلاف المزارات في نيبال من روابٍ بسيطة نصف كروية من الطين الى صروح مغطاة بالجص نقطية في غاية الاتقان يعلوها برج مرسوم عليه اربعة ازواج من عيون مبصرة ، كما هو الحال في مزار بوذنات (اما عن مشهد آخر لمزار بوذنات فانظر صفحة الوسط الملونة ، واما عن منظر المزار نفسه من الجو فانظر ص ٣٤، وانظر أيضا قصة بالصور على صفحتي ٢٨ و ٢٩ عن مغزى العيون الموجودة على المزارات).

تراث نيبال

صاعدة كسلم عملاق من سهل « تيراى » المنخفض الى مرتفعات الهمالايا الشامخة ، هي مملكة نيبال التي هي ملتقى شعوب ولغات وثقافات وديانات ، وقلبها الثقافي والتاريخي ، وادى « كاتماندو » ، وبه حوالى اربعة اخماس الآثار التاريخية للبلاد بأسرها ، وهو أيضا أكثر مناطق نيبال تأثرا اليوم بالمدنية والتطور الحضرى

ومن ثم فان نيبال تواجه مشكلة معقدة هي مشكلة التنسيق بين التطور الاجتماعي والاقتصادى ، والحفاظ على التراث الثقافي الفني الفريد ، والبيئة الطبيعية ذات الجمال الخلاب .

ومنذ سنة ١٩٦٨ واليونسكو تتعاون مع نيبال في الحفاظ على آثارها التاريخية لقد ساعدت في ترميم قصر « هانومان ذوكا » في كاتماندو ، الذى سيتوج فيه ملك البلاد في فبراير ١٩٧٥ (انظر ص ٨) ، كما عاون نيبال ايضا في انشاء مختبر صيانة في المتحف الوطني في «كاتماندو» ، وتقوم بتدريب أخصائيين على فنون الترميم محليا، او بالخارج عن طريق منح دراسية .

ومساعدة منها لنيبال في الوصول الى تقارب تام من مشكلات الصيانة والنمو الاقتصادى ، تبدأ اليونسكو اليوم باول مشروع متكامل لها في الحفاظ على الثقافة والتنمية ، وستبعث اليونسكو ، في مايو القادم ، بفريق خاص من الخبراء الى نيبال ، بالتعاون مع برنامج التنمية التابع للامم المتحدة ، يضم اخصائيين في مجالات الاقتصاد والعمارة والتخطيط الحضرى والريفي، وعلم الاجتماع والآثار والصحة العامة ، وفن تنسيق المتاحف والمسائل التشريعية .

وسيتسفيد فريق اليونسكو من عمليات المسح السابقة التي قامت بها حكومة نيبال بالاشتراك مع اليونسكو والأمم المتحدة ، فيما يتصل بتخطيط المدن وصيانة الآثار والبيئة الطبيعية وخطط التنمية الاقتصادية ، كما سيستفيد أيضا من اول جرد تفصيلي لكافة الآثار واماكنها في وادى « كاتماندو » ، الذى تم اعداده مؤخرا (انظر ص ٣٠) .

وبالاستعانة بهذه المعلومات ، وبالقيام بعمليات مسح جديدة على الطبيعة ، سيعد فريق اليونسكو خطة اساسية للتطوير الثقافي لوادى « كاتماندو » ، وهو في الوقت الذى سيصون فيه آثاره سيراعى احتياجات الشعب وسيصون البيئة الطبيعية .

قصر كاثماندو العتيق الذى يتوج فيه ملوك نيبال

أول مرحلة من مراحل خطة اليونسكو لترميم آثار وادى كاثماندو بأسره

الى اليسار : جانب من قصر «هانومان ذوكا» الملكى العتيق فى كاتماندو ، وهو يرمم الآن بفضل تعاون اليونسكو ، وهو القصر الذى يتوج فيه ملوك نيبال طبقا للتقليد المتوارث المبجل . وسيتوج فى هذا القصر الملك بيرندرا فى فبراير ١٩٧٥ . وتوضح الصورة التفاصيل المعمارية لجزء من القصر الذى يطل على الساحة التى ستتم فيها مراسم التتويج وفى الصورة الوسطى برج كيرتيبور الذى بناه معمارى من مدينة كيرتيبور .

بقلم : راج موكاندا

في ٢٤ فبراير ١٩٧٥ سيتوج فى كاتماندو «بيرندرا بير بيكرام شاهديف» تتويجا رسميا ملكا على نيبال فى ساحة القصر الملكى العتيق فى «هانومان ذوكا» . وعلى شاكلة أجيال أسلافهم الذين سبقوهم سيتدفق النيباليون على العاصمة من كل ارجاء البلاد للمناداة بالملك الذى سيتوج حديثا ملكا عليهم . وبعد أداء المراسم المتوارثة ، وبعد تقديم الملك الى الشعب ، ستنبض كل التقاليد الدينية والثقافية والسياسية والتاريخية فى نيبال بالحياة فى ثورة ابتهاج وفرح .

(*) راج موكوندا (من نيبال) : محاضر فى تاريخ نيبال فى جامعة تريبوفان فى كاتماندو عاصمة نيبال .

وأثناء انشاد الأناشيد الفيدية العتيقة سيقوم الكهنة البراهمة بمسح جسد الملك بيرندرا بالزيت، وصب الماء عليه ، ثم بعد أن يرتقى العرش على مصطبة فى اتجاه الشرق سينصب فى خشوع ، نظرا لأنه سيوضع فوق راسه تاج نيبال النفيس الشبيه بالدرع ، المرصع باللآلىء والألماس والياقوت والزمرد ، والمزين بطائر متوج له ريش كريش طيور الجنة .

وفى مغادرة الملك للشباب للقصر ، ليحمل على ظهر فيل عملاق عبر شوارع احتشدت برعيته ، ستتبع عادة أخرى قديمة ، سيقدم الزهور والنقود الى الصور الهندية والبوذية . والقصر الذى سيتم فيه حفل التتويج يدعى قصر « هانومان ذوكا » لأن هناك صورة للاله الهندى « هانومان » موضوعة على البوابة الرئيسية .

وسيكون الاحتفال فى ساحة « هانومان ذوكا » علامة على قدسية « بيرندرا » الدينية . ويوم التتويج سيصبح بيرندرا فى نظر كافة النيباليين تجسيدا للاله « فيشنو » حامى الدين القويم ، نظرا لأن الواجب الرئيسى للملك هو حماية بلاده وأبناء بلاده .

وسيعبر عن هذه العلاقة تعبيرا رمزيا فى ساحة القصر ، حيث سيجلس الملك على عرش تسنده ظلة ذهبية نقشت فى صورة ثعبان الكوبرا له تسعة رؤوس ، يمثل « فيشنو » .

وقصر « هانومان ذوكا » مقام فى قلب « كاتماندو » ، وهى مدينة أنشئت فى سنة ٧٢٣ ، وكانت عاصمة لنيبال منذ منتصف القرن الثامن عشر .

وترتفع أسقف القصر طبقة فوق طبقة من ميدان « دوربار » ، وفى الداخل شبكة كاملة رائعة من الساحات المتصلة بصورة غير منتظمة ، قائمة بين المعابد والمزارات والأعمدة والتماثيل ، وكلها تشكل جانبا من القصر الواسع الفسيح .

هذه المبانى ذات جمال رائع وأهمية تاريخية ، ولكنها على شاكلة كثير من الآثار النيبالية قاست بصورة عنيفة من تخريبات الزمن . لقد هزتها الزلازل الأرضية التى أصابت وادى « كاتماندو » فى فترات متعاقبة . لقد اهتز برج من الأبراج بصورة خاصة من جراء زلزال فى سنة ١٩٣٤ ، وهو يميل اليوم بصورة مروعة نحو الشمال . وهذه المبانى عرضة للبلل السنوى بفعل الأمطار الموسمية . ويلاحظ أن الكثير من أعمال النجارة المنقوشة نقشا رقيقا بالألوان المتعددة ، والتى تسند سقوف ، متعفنة ، وفى حاجة ماسة للترميم .

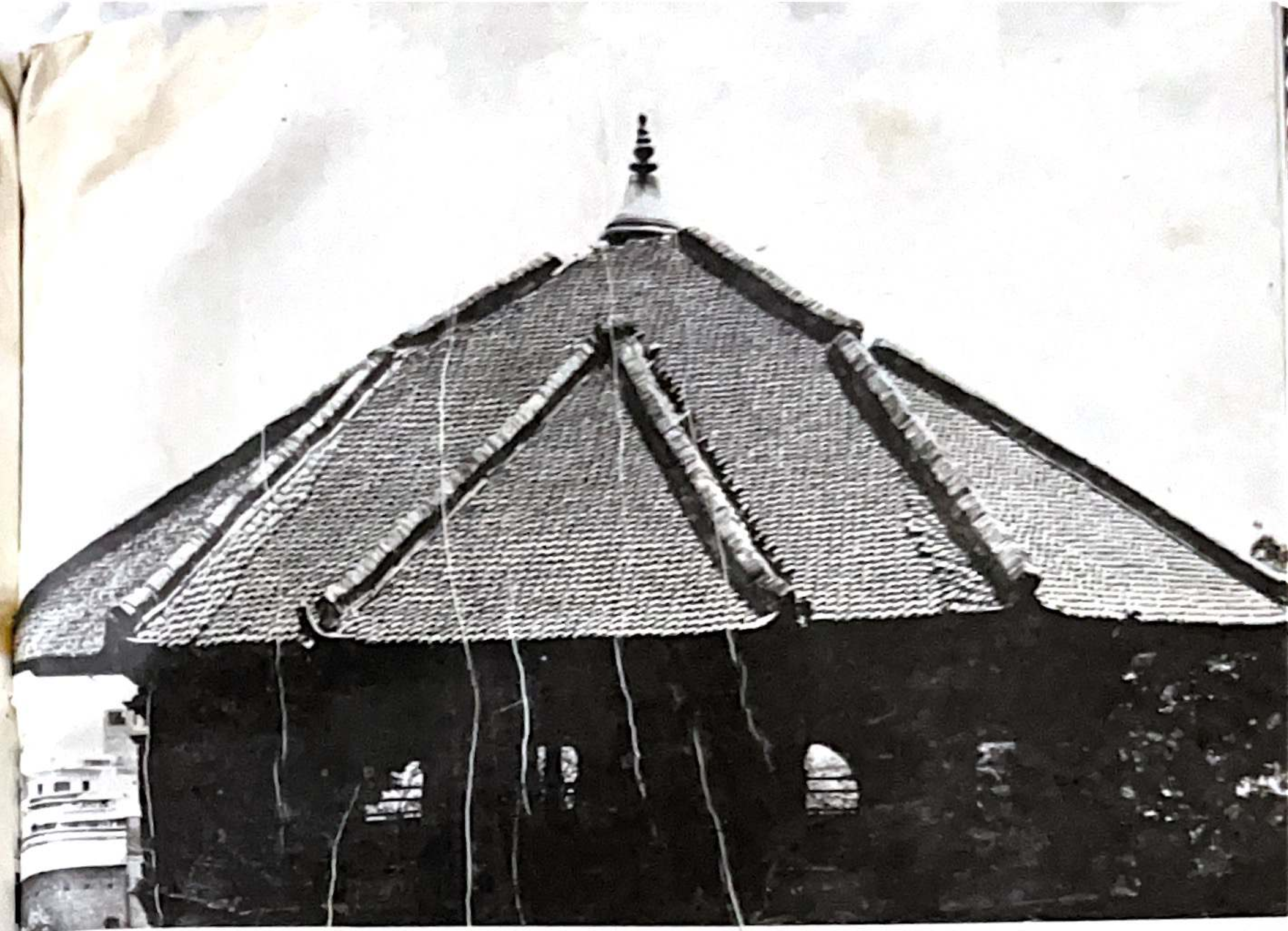
منذ عدة سنوات استغاثت حكومة نيبال باليونسكو للمعاونة فى ترميم واعادة بناء آثارها التاريخية العظيمة . وفى سنة ١٩٦٨ اوصت بعثة من اليونسكو بوجوب تخصيص أجزاء معينة فى وادى « كاتماندو » لتكون « مناطق تاريخية » . ثم فى سنة ١٩٧٠ أعلنت اليونسكو أنها على استعداد لأن تبدأ برنامجا لصيانة المعابد ومايحوطها فى هذا الوادى .

واول برنامج للصيانة نفذته اليونسكو بالاشتراك مع حكومة نيبال ومع برنامج التنمية التابع للأمم المتحدة الذى يمول بالخبراء والمعدات هو مشروع لصيانة « هانومان ذوكا » . وهدف المشروع ليس هو ترميم القصر فقط بل هو ايضا تدريب فريق الصيانة على العمل فى اى مكان آخر فى نيبال . لقد تقرر أن تكون أول مرحلة من المشروع صيانة « ناسال تشوك » . وهى الساحة التى ستتم فيها مراسم التتويج .

وكل ساحة من الساحات او التشوكات الأربعة عشر ، فى حوش القصر ، خصصت لاله ، فمثلا ساحة التتويج وقف على الاله « ناراتشفارا » اله نيبال للرقص . وهناك ساحة واحدة فقط مفتوحة بصورة عامة للجمهور ، أما الباقيات فهى مغلقة الا فى مناسبة الأعياد الدينية الكبرى المعروفة ، مثل عيد « دورجا بوجا » (عبادة دورجا) الذى يحتفل به كل خريف فى نيبال ، ودورجا بوجا » عيد هام عند كافة النيباليين

البقية ص ١٢

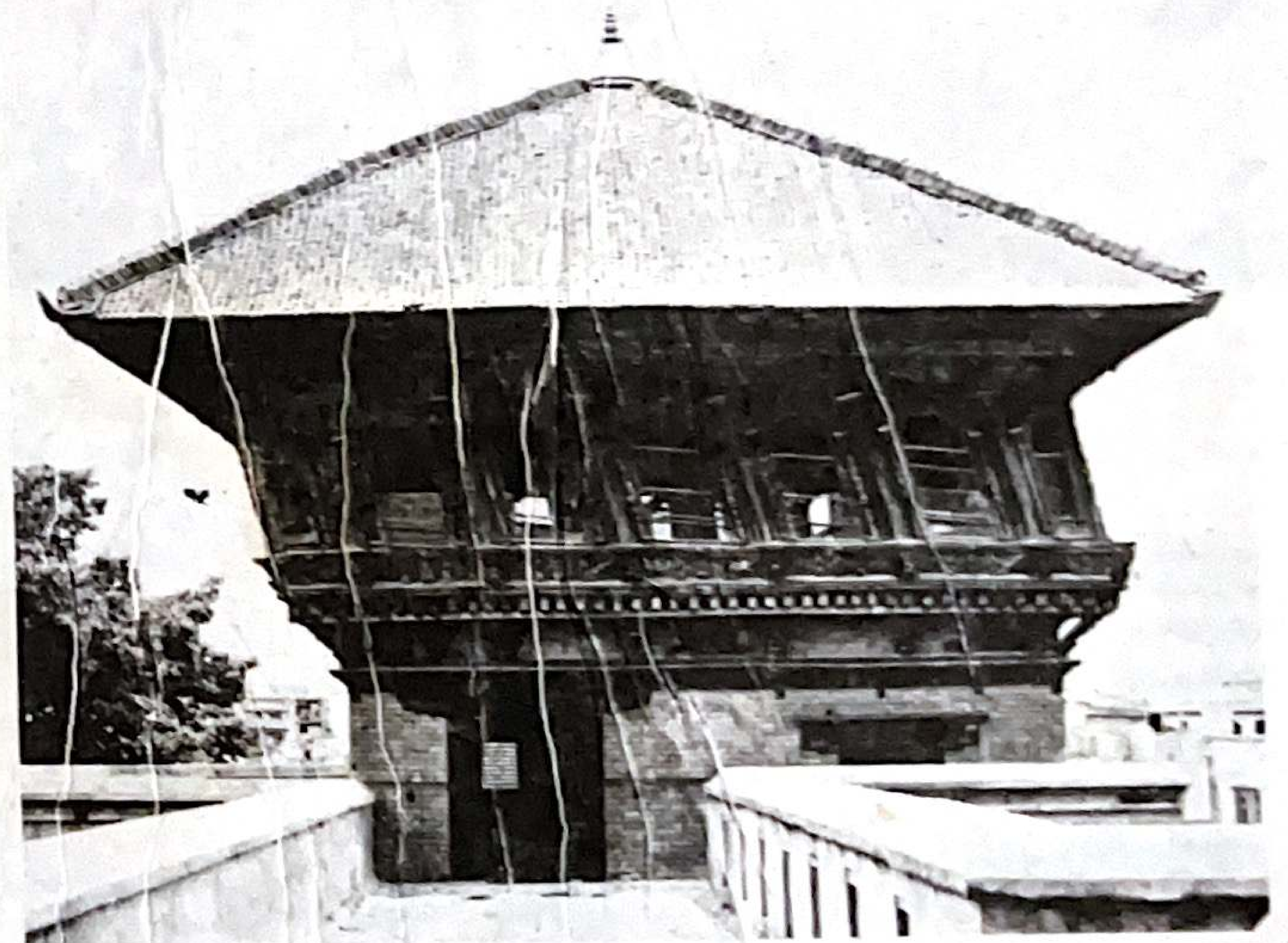
(تصوير مارك ريبو ، ماجنوم ، باريس)



(تصوير يفيت فنسنت ـ آليوم ، باريس)

البرج المائل فى لاليتبور

توضح الصفحة المقابلة منظرا خارج قصر «هانومان ذوكا» اثناء تتويج الملك السابق سنة ١٩٦٦ ، وهو يرى هنا هابطا من محفة فضية يحملها اطول فيل فى نيبال . والى اليمين برج لاليتبور الذى تصدع تصدعا بالغا من جراء زلزال فى سنة ١٩٣٤ . والصورة العليا لبرج «بهاكتابور» الذى يستكمل ترميمه اليوم بفضل تعاون اليونسكو .



غابة من السقالات تحوط برجين من الابراج الاربعة في قصر «هانومان ذوكا» (اسفل الصفحة) اثناء عمل الترميمات التي تسير اليوم على قدم وساق. من بين اجمل مظاهر القصر دعامات القصر ذات النقوش الخشبية المتعددة الألوان التي تحمل الأسقف الثالثة . وفي عمل ترميمي دوب (اسفل) تستغل مهارة الصناعة النيبالية على اوسع نطاق . ويرجع الفضل الى مشروع ترميم «هانومان ذوكا» في مساعدته على تدريب فريق سيقوم بتنفيذ اعمال الترميم على آثار اخرى في وادى كاتماندو .



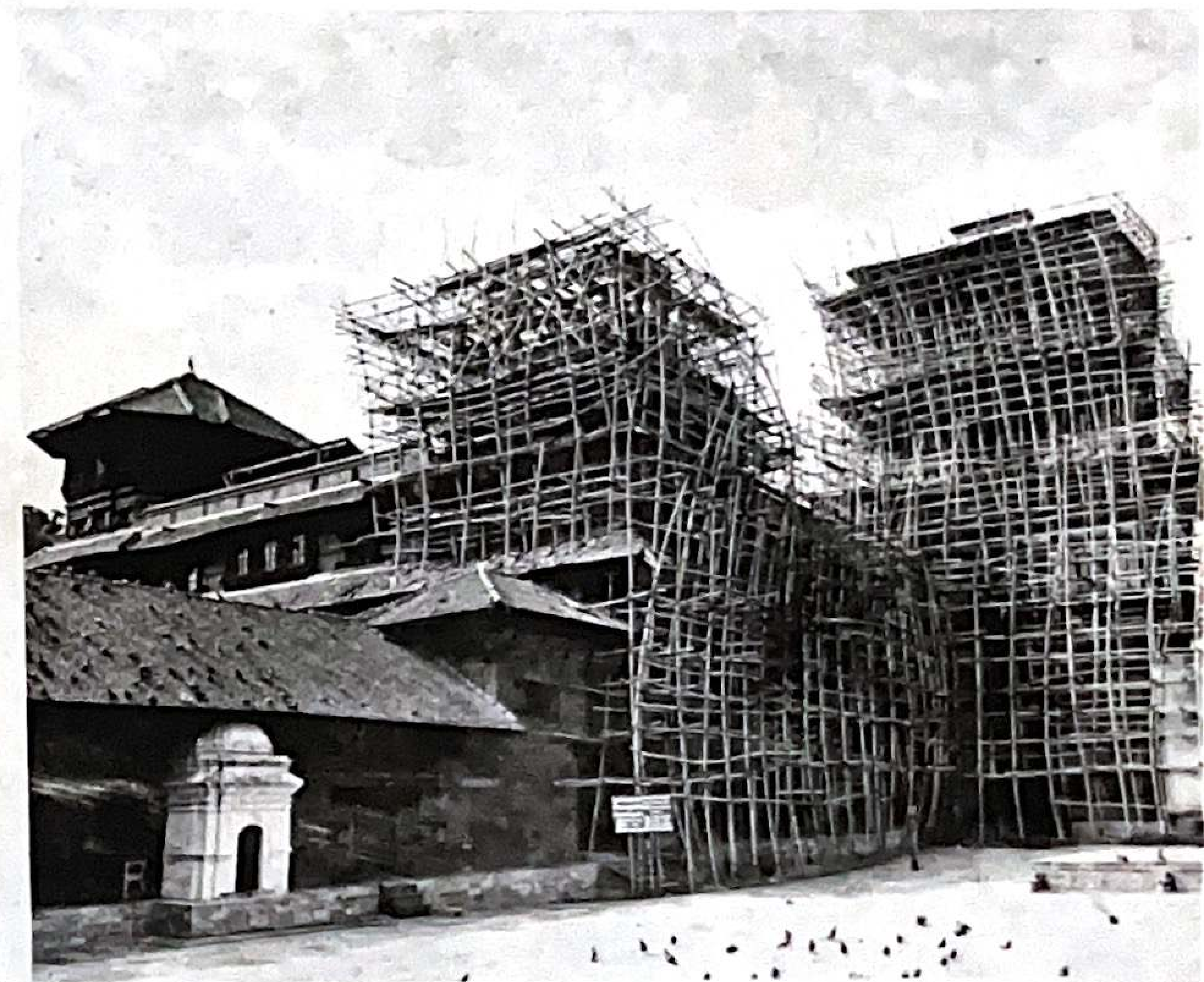


اذ هو بمثابة عيد رأس السنة عند العالم المسيحي .

والى الشمال من الفناء الرئيسي للقصر ترتفع ثلاثة اعمدة صخرية طويلة . وعلى قمة اثنين منها تمثالان من البرونز لملكين من ملوك نيبال ، اما الثالث فيحمل أسدا حارسا . وكلها تحرس معبد « تاليجو » المقدس .

والمعبد ، الذى يشكل جزءا من قصر « هانومان ذوكا » ، مفتوح اسميا فقط للكهنة ، ولكن اثناء عيد « دورجا بوجا » يصعد آلاف من الناس درجات السلم الطويلة ليبلغوه ليؤدوا فروض التكريم والتقدير « لدورجا » . ومعبد « تاليجو » ، وهو معبد لكثيرين من ملوك نيبال ، بناء ضخم له ثلاثة أسقف ، وكل سقف تحمله دعامات منقوشة ومذهبة تبدو واضحة فوق أرضية قاتمة من اللون الأحمر الداكن والبني والأسود . وتتدلى الأجراس من الأسقف وترتعد برقة مع الريح .

« وهانومان ذوكا » هو أيضا مشهد لعيد نيبال السنوى « لاندراجاترا » الذى يستمر ثمانية أيام . وعلى شاكلة غيره من الأعياد الدينية في نيبال يحتفل به كل من الهندوس والبوذيين . وفي اليوم الأول تقام قائمة خشبية أمام « هانومان ذوكا » لاسترضاء الاله « اندرا » ، ثم يتجمع



قباله خلفية معبد ملحب راقصون تقليديون يرتدون اقنعة واغطية راس مزركشة بصورة متسقة ، يتجمعون في ساحة القصر للاحتفال بزيارة الاله « اندرا » .

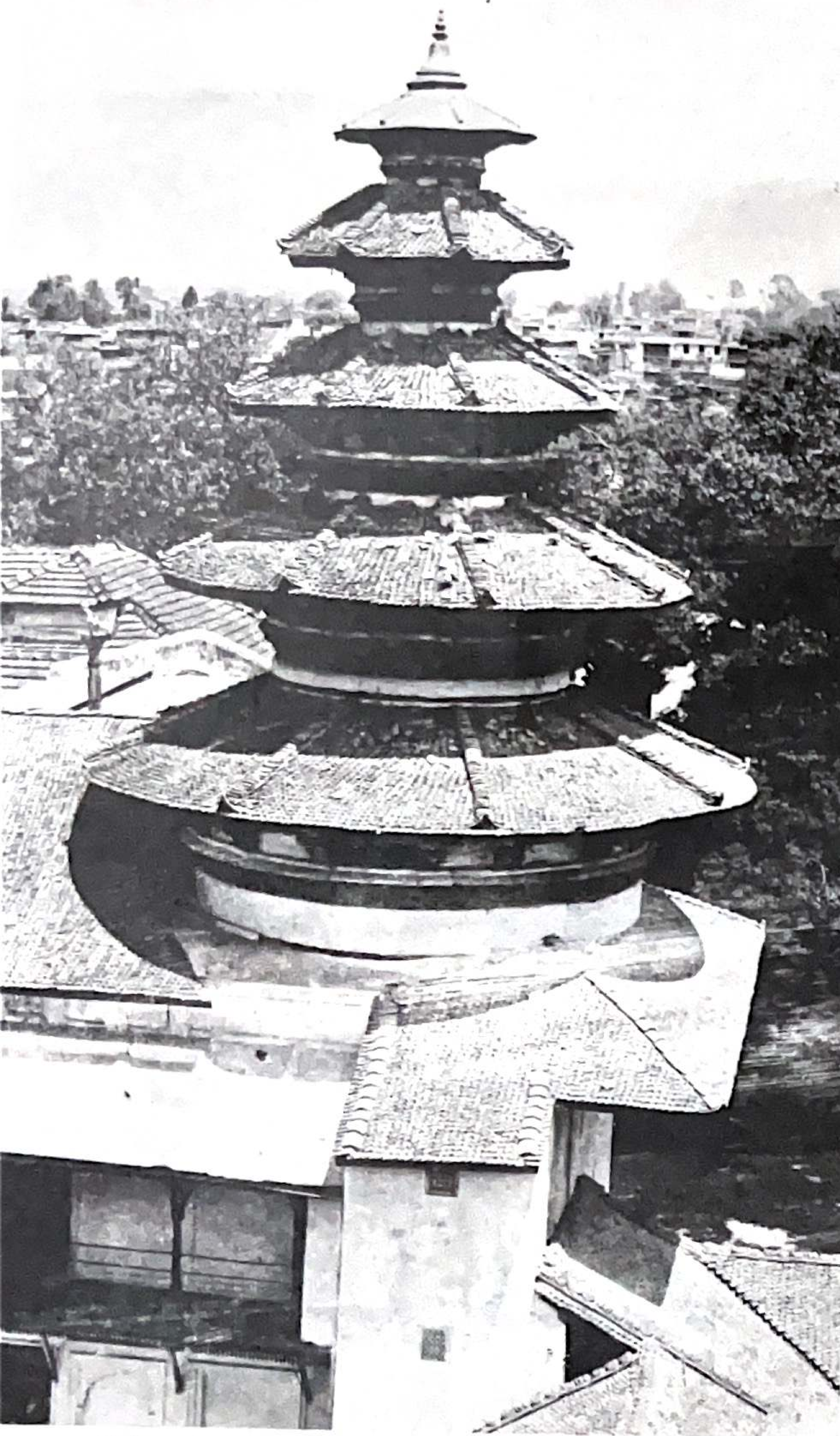
ولعل اجمل ساحة في « هانومان ذوكا » هي المعروفة باسم « لوهان تشوك » التي تكتنفها « دار الهناء » التي شيدها في القرن الثامن عشر الحاكم العظيم « برتفي نارايان » ، الذى وحد مملكة نيبال . « ودار الهناء » اليوم في حالة خطيرة من الانهيار ، وتحوى بعضا من النقوش الجميلة والتفاصيل المعمارية . وتتعاون اليونسكو في ترميمها . وهناك اقتراح باستخدامها كمتحف للتاريخ والفن والمعمار النيبالى .

وتتملك زوار ساحة «لوهان» الدهشة بصورة لا تتغير من الأبراج التي ترتفع عند كل ركن ، وكل واحد منها مبنى بأسلوب خاص ، فاحدها بناء فخم ذو تسعة طوابق ، له ثلاثة اسقف ناتئة ، وآخر له سقف ذو اسلوب بتفالى على هيئة « اذن الفيل » .

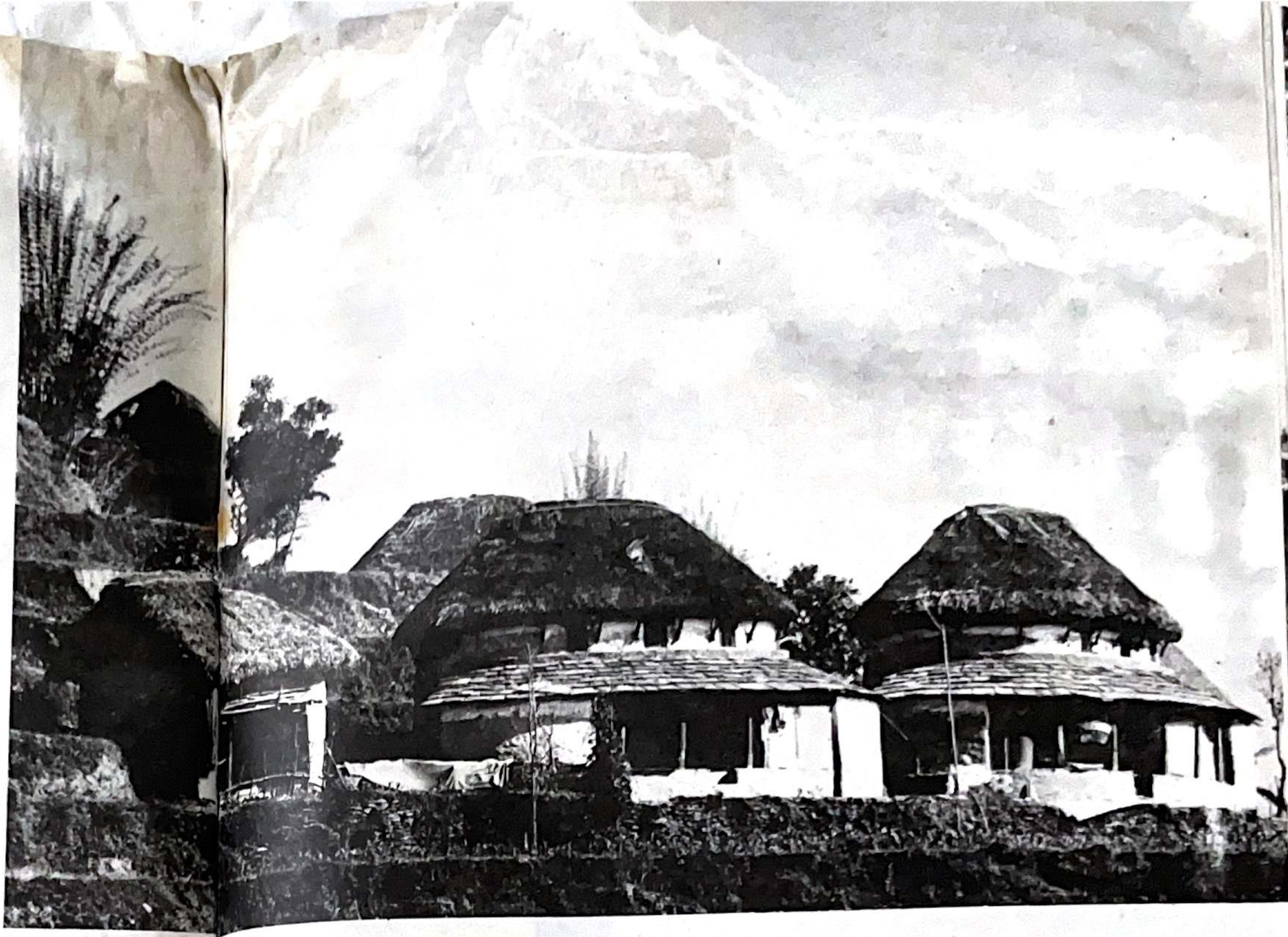
وتحوط بناء الأبراج الأربعة قصة غريبة : اذ يقال انه عند تخطيط قصره طلب الملك من اربع مدن في مملكته ان ترشح له اسماء احسن بنائيها ومعمارييها ، فشيدت كل مدينة برجا خلال هذه المنافسة التعاونية . وكانت اطولها واكثرها جدارة بالتقدير برج « بها سانتبور » الذى شيدته « كاتماندو » نفسها ، اما الأبراج الثلاثة الأخرى فقد سميت باسماء المدن التي شيدتها لا ليتبور (وتعرف ايضا باسم باتان) وبها كتابور (وتعرف ايضا باسم بها دجاءون) وكيرتيبور . وكل برج يطل ، عبر الوادى على المدينة التي شيدته . وكل الأبراج الأربعة ترمم الآن بمعاونة اليونسكو كجزء من مشروع «هانومان ذوكا» للصيانة .

وبرج « بها سانتبور » الذى يكاد يصل الى ١٠٠ قدم في الارتفاع مؤلف من تسعة طوابق متصلة بسلالم منحدرة وضيقة ، وعلى كل طابق باب ثقيل مسحور يتم اغلاقه من اعلى بمزلاج . ومن شرفاته يشرف المرء على منظر كان ينعم به فيما مضى حكام نيبال الذين اعتادوا أن يجلسوا هناك في أبهة الملك لمعاينة مملكتهم . ويكتظ ميدان « دوربار » تحته بتجار السوق ، وخلفه ترتفع اسقف القصر المدرجة . وداخل هذا البرج باكمله سيجدد كجزء من البرنامج الجارى العمل به .

وترميم « هانومان ذوكا » هو أول مرحلة من مراحل التعاون بين حكومة نيبال واليونسكو . وقد قامت اليونسكو بعمل مسح بأهم الآثار في وادى « كاتماندو » باسره (انظر المقال المنشور على ص ١٧) . وبهذه الطريقة سينقذ التراث الثقافي والفني الغنى لنيبال ، باعتبارها مفارق طرق لأعظم حضارتين آسيويتين .



هذا المعبد ذو الخمسة الأسقف يشرف على ساحات قصر «هانومان ذوكا» باسقفه المستديرة اللافتة للانظار ، وهو مقام على الجانب الشرقي من القصر . بالقرب من معبد من اكبر معابد كاتماندو ، الذى له من قدسيته مايجعله مغلقا طوال العام الا في الاحتفالات السنوية على شرف راعيته الالهة دورجا .



قرية جبلية تطل عليها قمة انابورنا المشهورة التى تكسوها الثلوج على الدوام ، وفى الصورة السفلى رسم نيبالى مزركش يمثل الثعبان الذى تروى الأساطير أنه عاصر نيبال فى مطلع وجودها . وتروى الأساطير ان بطلا من ابطال نيبال العملاقة شطر بسيفه الجبال التى تطوق بحيرة الثعابين فى وادى كاتمندو ، فلاذت الثعابين بالفرار .

ربوع نيبال الروحية فى ظل الهملايا

بقلم: بال شاندرا شارما

بال شاندرا شارما : يمثل نيبال سفيرا فى فرنسا ، ومندوبا سنويا لدى اليونسكو . وكان من قبل نائبا لرئيس الأكاديمية الملكية فى بلاده . كما كان وزيرا للتربية والتعليم ورئيسا للجمعية الوطنية . وقد اجرى دراسات عديدة عن تاريخ نيبال والف قاموسا عن لغة بلاده .

منذ أقدم العصور تطلع شعب نيبال الى السلام ، وجد فى البحث عنه حتى عثر عليه فى ربوع بلاده . وتحدثنا المخطوطات والمؤلفات الهندوسية والبوذية ومصنفات راعايانا ومنها بهاراتا وبوراناس وبودها كاريتا عن تاريخ القبائل والشعوب والأسر المالكة التى عاشت فى نيبال وحكمتها .

وفى ظلال الهيمالايا عكف النساك والفلاسفة والمفكرون على التأمل وامعان التفكير فى مصير الانسان وسبيله الى توفير السعادة لنفسه . فدعا القديس « ياجوانفاكيا » وزوجته القديسة « جارجى » فى وديان نيبال الشرقية الى سلوك طريق مؤدية الى الكرامة الانسانية ونبالة القلب ، وهى طريق ترشد الانسان وتقربه من الله . ووضع « جاناك ملك بيدها » الموصوف بالكمال والمثالية مبادىء أخلاقية خالدة . وتعتبر ابنته « سيتا » المثل الأعلى للمرأة الآسيوية . ولقد جعلها الشاعر القديس « فاليكى » ـ هى وزوجها « راما » ، يطلبان لقصيدته « رامايانا » التى نظمها على مقربة من نهر جانداك بجنوب نيبال ، وهى قصيدة يستوحيها الأدباء والفنانون على الدوام ، وتميل اليها القلوب فى معظم الأقطار الآسيوية . وكذلك عكف الفيلسوف القديس « كاميل » على التأمل والتفكير العميق فى شخصية بوذا الخالدة .. وكان بوذا المستنير الموصوف بالمقدرة والاستشفاف يردد على أتباعه ومريديه : ان رسالتى تنحصر فى شيئين جوهريين فقط : معرفة أسباب آلام الانسان ، والسبيل الى التخلص منها .

ومن ثم فان لنيبال وشعبها تراثا عظيما من نتاج مفكريها وشعرائها وفنانيها . وهى فضلا عن ذلك تحتوى على العديد من الأضرحة والمعابد المقامة تكريما للاله سيبا اله السلام والرخاء ، كما تنتشر بين ربوعها تماثيل بوذا التى تصوره مستغرقا فى التأمل والتفكير . وكانت هذه المعالم ولا تزال مصدرا غزيرا للايحاء فى الأعمال الأدبية والفنية ، من شعر ونثر وموسيقى ورقص ورسوم ولحت . ولقد فتحت نيبال أبوابها لمختلف الاتجاهات الفكرية والثقافية بفضل ميل شعبها الى التسامح وحسن الضيافة والتفاؤل ، وحرصهم على أن يظلوا بمنأى عن الاضطرابات التى تحدث فى البلاد المجاورة أحيانا . ولذلك يلقى المفكرون والفنانون السلام والترحيب والتكريم فى هذه البلاد البديعة ذات السماء الصافية الزرقاء ، حيث تشرف قمم الهملايا الفخمة العجيبة على غابات ومروج سندسية مترامية الأطراف ، تنص بالأزهار الجميلة ، وتسمع فيها الحان موسيقية من تغاريد الطيور وخرير الجداول والينابيع .

ومن الفنانين العباقرة النيباليين المهندس المعمارى « آر نيكو » الذى اتحفه الملك « كوبيلاى خان أمان » ببلاطه فى القرن الثالث عشر الميلادى .

وقد تولى هذا الفنان العظيم وزارة الفنون والشئون المعمارية فى عهد الامبراطورية بالصين . ويذكر له التاريخ التحفة البوذية المعروفة « بالداجوبا البيضاء » القائمة على رابية فى أكبر متنزهات بكين ، وهى أشهر أعماله الفنية البديعة ، ومن مميزاتها امتزاج الألوان بالمعادن وتناسقها .

ولقد زادت شهرة هذا الفنان النيبالى فى عهد الهانز والمغول ، واتسع مداها حتى بلغ منغوليا ، فاعجب به أهلها اعجابا عظيما ، وقدسوه حتى رفعوه الى مرتبة الآلهة .

وأهل نيبال يميلون الى السلام ، ويتحاشون الحرب ويتجنبونها ، وقد اضطروا الى خوض بعض المعارك الصغيرة المحدودة التى لم تتجاوز ضحاياهم فيها ألف نسمة خلال تاريخهم الطويل ، ولكنهم لم يخوضوا قط حربا طويلة أو كبيرة ولا حربا دينية . ومن الطريف انه ليس فى لغتهم كلمة واحدة تعنى الحرب الدينية . ولم يقع فى نيبال البتة أى نزاع لغوى أو أية مشاحنات بين الطوائف . واذا كان أبناء نيبال يجنحون الى السلم بفطرتهم فانهم مع ذلك يتحلون بالشجاعة التى أظهروها فى الحربين العالميتين لقهر الطغيان والقضاء على الاستبداد .

وليس هناك تناقض فى هذا ، وذلك لأن النيباليين يعتزون بتقاليدهم القديمة التى تدعوهم الى التمسك بالحرية والاستقلال ، فبقيت بلادهم بمنأى عن الاستعمار ، وسلمت من الاحتلال الأجنبى ، اذ اعتاد أبناؤها الشجعان الدفاع عنها باستبسال بلا عون من غيرهم . ولقد دافعوا أيضا عن شعوب أخرى استنجدت بهم . ولكنهم حريصون على الحياد ، ومعارضون لكل صنوف التمييز العنصرى والاستعمار والاستغلال ، كما أنهم يميلون الى التعايش السلمى وانشاء علاقات الود والصداقة مع سائر الشعوب ، وقد أقامت نيبال سياستها الخارجية على أساس هذه المبادىء الجوهرية السديدة .

ولكن نيبال عانت من حكم مطلق استبدادى قرنا من الزمان فى عهد أسرة « راناس » المالكة خلال القرن التاسع عشر الميلادى . وقبل استرداد الديمقراطية على يد الملك « تريبيفان » . ولقد تميز عهد ابنه الملك « ماهندرا » بالتقدم والتعمير . وفى عام ١٩٦٢ اقيم نظام جديد للحكم ، يعرف باسم « نظام بنشيات » .

وهذا النظام يستهدف اشراك أكبر عدد من المواطنين فى الادارات الحكومية ، الأمر الذى اقتضى تطوير المؤسسات الاقليمية ، ولا سيما المجالس القروية التى توجد فى البلاد منذ مدة طويلة ، ثم أدخلت عليها تعديلات هامة ، واعطيت اختصاصات جديدة . ومن بين هذه المؤسسات مجلسان سياسيان ، أحدهما مجلس يضم جميع الراشدين من سكان القرية ، والآخر هو المجلس التنفيذى الذى يعرف باسم « بنشيات » ، ويتكون من ١١ عضوا منتخبين من بين الراشدين .

وعاهل نيبال الآن هو الملك « بيرندرا بير بيكرم شاه ديف » خليفة الملك « ماهندرا » ، ويمتاز بأفكاره الجديدة والمامه بالشئون الدولية والمشكلات التى تواجه بلاده .

رسم تفصيل لتمثال حجرى من القرن السابع للاله فشنو ، الذى يقدسه الهندوكيون النيباليون . وهذا التمثال ـ الذى يبلغ طوله خمسة أمتار ـ يتوسد مياه بركة صناعية ضخمة فى « بوذا نلخانالا » قرب كاتمندو . ويبدو فى التمثال الاله فشنو اوق رمز الخلود ، وهو كعبة طيات الثعبان اناننا ، رمز الحجاج الهندوكيين الذين يقدمون اليه قرابين من الأزهار ، والأرز ، واوراق الريحان التى تعتبر مقدسة عندهم .

فن يصالح الآلهة مع البشر

ولكن روائع نيبالية لاحصر لها تتهددها غارات الزمن والسرقة والتجديد

بقلم : أرنست ا. كونالى

ظلت نيبال لغزا محيرا لمعظم العالم حتى فتحت للزوار الأجانب منذ أقل من عشرين عاما . وهذه المملكة التى يحدق بها اليابس من كل جانب ، والممتدة لمسافة خمسمئة ميل بحذاء السفوح الجنوبية للهملايا ، تحدها الصين (التبت) شمالا والهند جنوبا . وتتفاوت طبيعة الأرض فيها من غابات التراى الى قمة جبل افرست المكللة بالثلوج . وتقع العاصمة كاتمندو فى واد على ارتفاع ٥٤٠٠ قدم .

ونيبال هذه ، التى لم تتوحد كمملكة الا منذ قرنين فقط ، هى أخلاط جغرافية وسلالية وثقافية . وتمثل شعوبها التى يناهز مجموعها اثنى عشر مليون نسمة ، ست سلالات اوسبع سلالات كبرى . وهى بلد ذو خصائص اقليمية متميزة فى العادات الاجتماعية ، واللباس . ويتكلم أهلها ثلاث لغات واثنتى عشرة لهجة ، ويدينون بدينين رئيسيين ، ومع أن البلاد تدين بالهندوكية رسميا فانها تحفل بأتباع البوذية . ومعابد الديانتين كثيرا ما تقوم جنبا الى جنب ، وفيها تنحو بعض الممارسات الدينية الى الامتزاج بعضها ببعض .

وتكتب نقوش الآثار عادة بشكل من أشكال اللغة الكيرانية ، وهى اللغة الأدبية المشتقة من السنسكريتية . واللغتان الحديثتان الكبريان هما النيبالية والنوارية ، كما يتكلم الناس بعض اللهجات الهندية على الحدود مع الهند . ومع أن النيبالية هى اليوم اللغة المشتركة بين الجميع فان عمرها يقل عن ٢٠٠ سنة ، لأنها تطورت ـ بتوحيد المملكة ـ من اللغة الجوركالية ومن استعاراتها من الهندية . والنوارية هى اللغة القديمة لسكان وادى كاتمندو ، الذين سموا أنفسهم نيباليين ، وسموا لغتهم النيبالية . ولم يعم استعمال لفظ « النوارية » الا بعد أن استعمله المرسلون الدينيون فى أواخر القرن الثامن عشر . وهو مرادف للنيبالية ، ولكنه كان يهجى فقط وفقا لنطقة حسب احدى اللهجات .

اذن فاسم « نوارية » أو « نوارى » الجديد لا يدل على اللغة فحسب ، بل يدل كذلك على سكان وادى كاتمندو . وكان أجدادهم هم النيباليين الأصليين الذين أمدت زعامتهم الثقافية المملكة باسمها ، وبأهم طراز لها فى التصوير والعمارة وبأعظم آثارها .

ووادى كاتمندو هو قلب المملكة الثقافى والتاريخى . فمن هذا الوادى ينبع نهر بجماتى المقدس منحدرا الى الهند . وتقوم فى الوادى مدن هامة هى : كاتمندو ، وباتان ، وبادجاءون .

وتاريخ الوادى القديم غامض . على أنه من المؤكد أن سكانه الأقدمين امتصوا عدة موجات من الهجرات الهندية . والتأثير الهندى واضح وضوحا شديدا ويجوز ان الوادى خضع للامبراطور الهندى ازوكا فى القرن الثالث قبل الميلاد . ومع أن

ارنست ا . كونالى : رئيس مكتب الآثار والحقل التاريخى لهيئة ناشونال بارك الأمريكية بوشنطن . وقد اوفدته اليونسكو عام ١٩٦٨ الى نيبال للاسترشاد برايه فى صيانة آثارها التاريخية ودعم حركة السياحة الثقافية فيها . وقد كتب المؤلف عرضا اكثر تفصيلا للموضوع فى تقرير عن بعثة اعدته لليونسكو بعنوان « نيبال ، السياحة الثقافية » .

سيدارتا جاوتاما ، الذى عرف بعد ذلك باسم بوذا ، ولد (حوالى ٥٦٣ ق‌م) فى لومبينى على الحد الجنوبى لنيبال الحديثة ، فانه عاش واشتغل فى الهند ، ومن الهند جاءت آلهة الديانتين البوذية والهندوكية الى نيبال ، حيث تبادلت سماتهـا المميزة ، واتخذت تماثيل من العقيدة الحيوية القديمة ، على أن « الأصنام » التى عبدت فى الماضى مازالت تحظى بالتبجيل ، كما أن قرابين الدم مازالت تقدم الى يومنا هذا .

ويبدو أن الآلهة تسللت شيئا فشيئا فى الوادى عن طريق الاتصالات مع الهند سـواء بالتجارة أو الظاهرات الملكية . فمن منتصف القرن الرابع الى منتصف الثامن سيطرت على الوادى أسرة ليكافى وغيرها من الأسر المنتسبة لعشائر الأمراء الهندية المتأثرة بحضارة جوبتا . فى هذه القرون ، ودافع من هذا الحافز الثقافى ، انبعث الفن النيبالى .

واقدم تماثيل الأشخاص المنحوتة ترجع الى القرن الخامس . وقد لاحظ الرحالة الصينيون فى القـرن السـابع حذق الفنانين النيباليين ، وذكروا معابد الديانتين قائمة بعضها الى جوار بعض كما نراها اليوم . ووصفوا برجا ذا سبعة طوابق فى القصر الملكى بديوباتان وهياكل متعددة الطوابق على التلال .

ويجوز أن الرحالة الصينيين كانوا يصفون « الباجودات » التى رأوها بدعا طريفة . وأيا كان الأمر فمن المؤكد أن أشكالا أسـاسـية فى التصوير والعمارة كانت قد رسخت أقدامها قبيل منتصف القرن السابع . وهو التاريخ الذى تشر الطراز النوارى الشامخات تأثيره وراء الوادى الى التبت ، ثم الى الصين فى النهاية . ففى القرن الثـالث عشر دعى الفنـانون النواريون لخدمة قبلاى خان .

ومن الواضح أن مدن كاتمندو ، وباتان ، وبادجاون ، لم تكن موجـودة وقت الزيـارة الصينية فى القرن السـابع ، وان كان من الجائز أن كلا منها كان لها فى ذلك الحين نواة على شكل مزار دينى . ولم تبلغ هذه المدن أهميتها الا فى عهد أسرة ملا عام ١٢٠٠ م .

والدين فى نيبال ليس مجـرد ايمـان أو عقيدة ، انه أسلوب للحياة ، أسلوب متكامل مع كل الأعمال البشرية ، وواضح دائما للعيان . لا عجب اذن أن نرى رحالة انجليزيا قديما سافر الى هذا البلد الغامض النائى ، لا يملك الا أن يلاحظ أن به آلهة فى كثرة الناس ، ومعابد فى كثرة البيوت . ونستطيع أن نتبين بين المعابد الكثيرة ثلاثة أنماط يسـهـل التفريق بينها الباجودة ، والأسطبة ، والسيخارة .

أما معبد الباجودة فهو الى حد كبير أكثر الأنمـاط تميزا وأكبرها عـددا . ففى مختلف الأحجام التى يوجد بها المعبد يتألف بشـكل متميز من قاعة مربعة تحوى تمثال المعبود ، ومن فوقه تقوم سلسلة من الأسقف المسنمة المتناقصة العدد تدريجيا . وأدوار الأسقف تتفاوت من اثنين الى خمسة ، وأكثر ما تكون ثلاثة . وتبنى القاعة عادة بالطوب ، فى حين تكسى الأسقف ببلاط صغير أو برقائق معدنية أحيانا . وفى حالات استثنائية قليلة تكسى الصفائح المعدنية بقشرة من الذهب .

وتقوم الأسقف عادة فوق دعائم خشبية منقوشـة ، متعددة الألوان . وتزين الأفاريز بحاشية من الأجراس الصغيرة . وفى الباجودات الكبيرة يحيط بقاعة العبادة صف من الأعمدة المصنوعة من الخشب المنقوش . ويبنى المعبد فوق مصطبة مرصـوفة ، ويقع أحيانا داخـل حوش مسور ، كبير أو صغير ، وكثيرا ما يقوم أيضا على منصة عالية الدرجات تقع فى ساحة غير منتظمة الشكل داخل المدينة .

ويجوز أن الباجودة ، بوصفها طرازا معماريا ، تطورت قبل القرن السـابع ، على أنه من المشكوك فيه امكان رد أى معبد من معابد الباجودة الموجودة الآن الى تاريخ سابق لسنة ١٤٠٠ . وربما كان أقدمها معبد شانجو نارايان بشانجو ، الذى أرخ بناؤه بسنة ١٤٢٠ .

واذا كان الباجودة معبدا يؤمه الهندوكيون والبوذيون على السواء فان « الأسطبة » يختص به البوذيون دون غيرهم . ويتميز بأنه تل صناعى ذو شكل نصف كروى ومعنى رمزى . وتنتشر فى طول المملكة وعرضها أسـطبات لا تعدو أن تكون تلالا من التراب ذات أحجام مختلفة . والى هذه توجد أبنية معمارية منتظمة بالطوب أو الجص ، وهى متفاوتة الأحجام كذلك .

وأكبر أمثلته فى الوادى وأهمها معبدا بوذنات فى باودا ومعبد سوايامبو أو سوايامبونات فى سينجو غربى كاتمندو . ويتكون الثانى من التل الكبير الذى تتميز به هذه المعابد ، مصقولا بالجص ، وهو يطل دوريا باللون الأبيض . وعلى رأس التل برج مكعب رسمت على وجوهه الأربعة أزواج من العيون المبصرة لكل شىء . وتعلوه قمة مستدقة من حلقات متناقصة الحجم من معدن لامع تنتهى بمظلة مذهبة تذهيبا دقيقا . ويقع الأسطبة على منصة فوق تل ، وتحيط به طائفة من المعابد الصـغيرة والأبنية الأثرية الأصـغر منه ، بنى بعضها بالحجر المنحوت ، ثم عدد من الأبنية الديرية .

وزعموا أن الأسطبة أدخل الى نيبال فى القرن الثالث قبل الميلاد . وأيا كان تاريخ دخول هذا الطراز فان تواريخ الأسطبات الحالية غير مؤكدة على الاطلاق .

وأما « السخارة » فطراز من معابد شـمال الهند ، مستورد على مايبدو فى تاريخ حديث ، ومفصح عن أصله فى وضوح . ويتميز بقبة نحيلة طويلة توحى بشكل المظلة المطوية ، تقوم عادة فوق منصات ذات صفوف من الأعمدة . وتبنى القبة الشبيهة بالمظلة مجوفة ، ويشيد كساؤها ببناء مطلى من الحجر أو الطوب .

والمعابد المبنية بالطوب تطلى بالجص من الخارج . وهى شائعة الى حد معقول ، يجدها المرء منتشرة هنا وهناك بين الباجودات . وهناك معبد فذ غنى منها ، مبنى بالحجر المنحوت ، هو معبد كريشنا ماندير (ويرجع لحوالى عام ١٦٣٠) فى ميدان دوربار بباتان . ومع أن السـخارة مرتبط ارتباطا واضحا بالعبادة الهندوكية فان

اعتذار

تعتذر رياسة تحرير مجلة « رسالة اليونسكو » آسفة عن خلو هذا العدد من اللوحـات الملونة الخاصة به ، لعـدم وصولها من باريس الى الآن ، وستنشرها بمجرد وصولها فى عدد قادم انشاء الله .

طرازه يستعمله البوذيون أيضا . ومعبد ماهاباودا فى باتان (جنوبى كاتمندو) نسخة غير عادية من هـذا الطراز مبنية بقوالب الطين المنضج (التراكوتا) .

وتندر أن تقوم المعابد بمعزل عن بيئاتها . فهى تبنى كجزء من المناطق المجاورة للمدن الكبيرة والصغيرة ، وتوجد فى مجاميع القرية سواء فى الريف أو الحضر . والتآليف الدقيق بين هذه المجاميع ، التى هى تعبيرات خاصة عن حضارة عريقة فذة ، شاهد بين على العبقرية النوارية فى تنظيم البيئة .

ففى كل مكان تطالعنا الأدلة على النظرة المدبرة الى الأرض التى تلائم حاجات مجتمع راسخ الأسس . وفى كل مكان تطالعنا الحقول موجه للزراعة ، المدرجة الممتدة أسفل التلال المحيطة بها ، مكونة ذلك المشـهد الطبيعى البديع الذى يتميز به الوادى .

وفى وسعنا أن نرى هذا الاتجاه معبرا عنه فى المنصات التى تقام فوقها المعابد البالغة الأهمية فى حياة الجماعة ، وفى تماسك مجاميع المعابد واندماجها ، وفى هيكل بنيانها المصطبى الشامل .

ومعبد رد ما خندرا فى باتان ، الذى يقدسه البوذيون والهندوكيون على السواء ، بأجودة غنى يقوم على منصة منخفضة قرب مركز ساحة رباعية تحيط بها أبنية غير دينية . وتسـتخدم أرض المعبد ساحة عامة وملعبا يسـتخدم فى حياة الشعب اليومية . وعلى المنصة المحيطة بالمعبد أعمدة واطئة تستند اليها مجموعة من أبدع وأدق التماثيل البرونزية فى الوادى .

وتصميم أرض مجموعة معابد شانجو تظهر فيه معابد مختلفة الأحجام ، وأبنية أثرية أصغر على مصطبة ، تحيط بها أبنية ذات أعمدة منخفضة وسلالم تقترب من المصطبة وبركة ماء . وكثيرا ما تكون برك المياه معـالم بارزة فى مجمعـات المعابد ، وقد لاحظ الرحالة منذ القرن السـابع استعمال الماء فيها .

هذا وان احساس النواريين القوى بترابط الجماعة ، ومراعاتهم الدقيقة لاعتبارات المشـهد الطبيعى ، وقصدهم فى استعمال المساحة ، كل هذا أسفر عن توازن حافظ فى بناء المدن ، حققوه باستعمال الوسائل البدنية .

وتدل الصورة غير المنتظمة لحركة السكان بين المواقع على عملية نمو عضـوى ، وما ترتب عليها من تنوع فى المنظر وانتقال فى المكان . على أن تماثل تصميم المنازل يوفر الاتسـاق بينها ، كذلك نجد فى الصورة الشاملة توازنا متعادلا بين المناطق المبنية وغير المبنية .

وبين المناطق غير المبنية مسـاحات خضراء مسورة للاستعمال الشـخصى ، ومسـاحات عامة مباحة للنـاس كبيرة وصـغيرة لخدمة أغراض البيئة . وأخيرا هناك ميدان المعبد المستطيل ، بآثاره الفنية الملحقة به قرب مركزه . وعلى أطراف القرية نجد صهاريج الماء والمصاطب المألوفة .

ومن الظواهر البصريـة الهـامة فى التراث النوارى مشاهد المدن ، الناشئة عن طبيعة الأرض والطـرق الملائمة للبناء عليهـا . ومع أن المدن لا يعوزها التفرد بميزات خاصة بكل منها فان هناك خصائص مشتركة كثيرة ترى عند الاقتراب منها ـ كمدينة شـابا جاون مثلا ـ بدروب تقليدية لم يقصد بها قط أن تكون طرقا يسلكها غير المشاة .

على أن الاندفاع نحو أساليب الحياة العصرية يتهدد البلاد بخطر ذى بال ، وآثاره المباشرة ترى فعلا فى مدينة كاتمندو ووادى كاتمندو .

ذلك أن تطفلات خطيرة على الاتساق المحكم ، الذى اتسم به قلب كتمندو التاريخى ، عقبت زلزال عام ١٩٣٤ ، الذى أتاح الفرصة لشق عدة شوارع مستقيمة عريضة . ولاعادة تشييد المبانى بطراز أكاديمى سقيم يتناقض فيه الجص الأبيض تناقضا سافرا مع مبانى الطوب الطبيعى والخشب المشغول . وهـذه المبـانى الجديدة ، بحجمها المتزايد ، وبنائها الخرسانى ، وطلائها الجصى ، دخيلة على قلب المدينة التاريخى ، كأنها نغمة نشاز .

ثم ان التنمية الصناعية تهدد بحدوث صراع بينها وبين القيم الثقافية ، وكثيرا ما تشق الطرق دون مراعاة كافية للتوازن التقليدى القديم بين ما هو طبيعى وما هو مصنوع بيد الانسان فى الريف ، أو دون احترام كاف للمناطق المبنية القديمة .

ففى باودا مثلا وسع الشارع الرئيسى بازالة البيوت القـائمة على جانب من جانبى الطريـق القديم . وليس هناك انسجام بين البدائل الجديدة والبيوت القديمة على الجانب المقابل ، التى تركت قائمة دون أن تظفر بالترميم الذى هى فى حاجة اليه . أضف الى ذلك أن البوابة القديمة لمعبد بوذنات الهام قد دمرت . وكانت بحجمها الصغير ونطاقها المحدود كأنها ثقب مفتاح تتيح للداخل افتتاحا فجائيا ومثيرا على المعبد الأثرى وهو يدلف الى فنائه المقدس من الطريق . أما اليوم فهناك مدخل محورى مكشوف ، ولم يعد للضابط المكانى القديم وجود .

ومع أن بعض الترميم يجرى فى المعابد فان أكثرها يعانى من الانحلال المستمر . ويقدر أن بعض التركيبات الخشبية سيقضى عليها فى بحر ١٠ أو ١٥ سنة بسبب ضعف فى بنيانها . وفى وسعنا أن نرى فى كثير من المعابد وسائل مؤقتة لحمايتها متمثلة فى الأسـقف الحديدية المموجة الشـائعة ، والتصليبات المضافة الى الدعامات الخشبية المنقوشة التى تسند الأفاريز .

ويبدو أن ازدياد حركة السياحة شجع على سرقة الخشب المحفور والحديد المشغول والنقوش وغيرها من حليات المعابد ، وأغلب الظن أن هذه التحف سيستقر بها المطاف فى سـوق التحف المهربة . والمشكلة تتفاقم فيما يبدو ، وهى خطيرة لأسباب عدة .

ومن هذه الأسباب ضياع تلك الأطباق المعدنية الصغيرة ، الخفيفة الحمل ، التى تحمل كتابات متصلة ببناء المعبد ، وربما لم تكن مدونة فى غير هذه الأطباق . فبمجرد نزع هذا الطبق من معبده ينعدم السـبيل عمليا للتعرف على المعبد الذى ينتمى اليه الطبق .

والخسـارة الأخرى بالطبع هى الخسـارة الفنية . ومن أمثلتها أن معبد فشنو فى باتان قد سرق منه اطار بابه المصنوع من النحاس الأحمر البارز وغيره من المعدن المشغول . وأوذيت آثار أخرى من جراء هذا العبث بقدسيتها ، ومشكلة الرقابة الكافية عسيرة جدا .

وقد اتخذت الحكومة عدة تدابير هامة لحفظ وتطوير المواقع التاريخية والآثار . فشكلت لجنة للتخطيط القومى على مستوى الوزراء ، تتألف من خمسة أعضاء ، وكلهم من كبار المتخصصين ، وفيهم عضو للتنمية الاقليمية .

وتأليف لجنة التخطيط القومى يتيح أكثر الوسائل وعدا بضمان التنسيق بين الوزارات فى جميع جوانب التنمية الاقتصادية والطبيعية ، بما فى ذلك حفظ وتنمية تراث المملكة الفنى الفذ ، من مدن ومواقع وآثار تاريخية .



عيــون بــوذا اللوتسـية

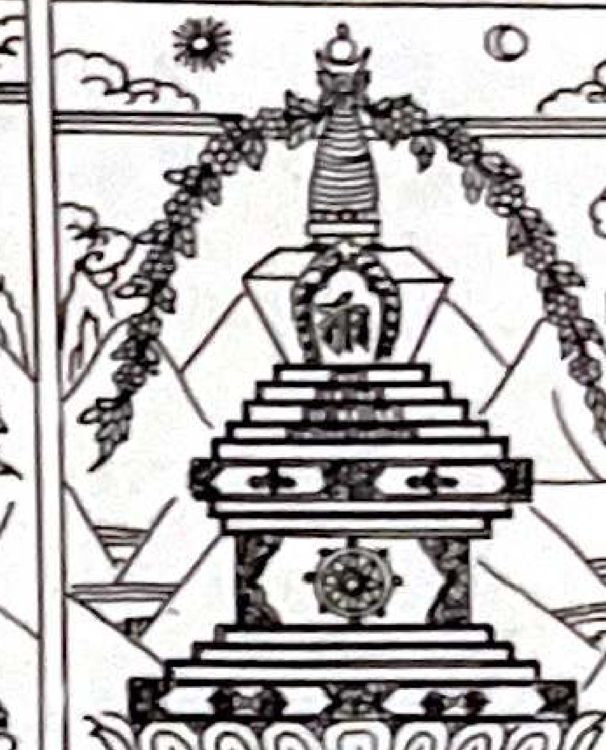
يروى التاريخ البوذى أن الأضرحة الكبيرة المعروفة باسم «ستوباء» قد أنشئت اول ما أنشئت فى عهد حكم الامبراطور الهندى «أسوكا» فى القرن الثالث قبل الميلاد . وكان انشاؤها آنذاك فى المنطقة التى تشغلها اليوم نيبال . وكلمة «ستوباء» كلمة هندية . وقد سميت أضرحة نيبال المقدسة باسم «ستوباء» لأن أصلها يرجع ال الأضرحة الهندية القديمة . ويدفن فى هذه المقابر المقدسة كبار النساك وعظماؤهم . فتوضع كل جثة فى وضع الجالس المتربع . ويهال عليهـا التراب .

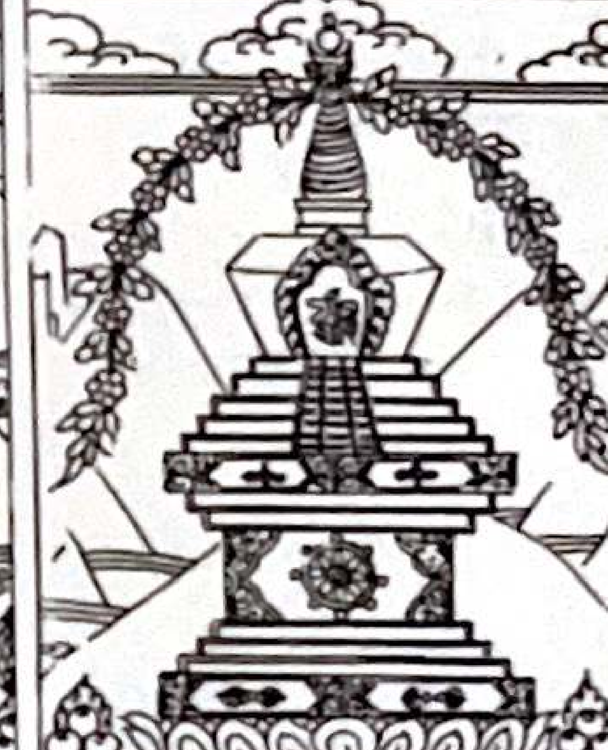
وتعتبر هذه الأضرحة من الآثار المقدسة ، وهى اليوم فى نيبال أكبر حجما مما كانت فى سالف الأزمان . وقد ضمت ال المعابد والحقت بها ونقشت عل قمتها عيون بوذا التى تبصر فى كل النواحى . وتوجد فى مناطق أخرى فى الشرق الاقصى لبوتان أضرحة مماثلة ولكنها اصغر حجما ، اقيمت فى نهاية القرن الثامن .

وترمز قاعدة الضريح المربعة ال الأرض ، وترمز قبته ال الماء ، ويرمز سلمه ال النار ، ويغطى هذا السلم ذو الدرجات الثلاث عشرة ال مظلة ترمز ال الرياح . وهى مظلة مؤدية ال السماء التى ترمز ال الشمس والقمر .

• اقتبست هذه الكلمة من كتاب « الفن الدينى فى التبت القديمة » ، بقلم بلانش كرستين اولشاك وجيشيه تبتن فانجيال ، الذى صدر عام ١٩٧٣ .

مراحل حياة بوذا : سبعة معابد تمثل المراحل الهامة فى حياة بوذا . وهـذه المراحل هى : (١) ميلاده (٢) زيارة المعلم الكبير ويمكن مشاهدة المعراج الذى عاد به ال الأرض امام هـذا الحرم المقدس لسموات الإله (٣) معركته ضد قوى الشر (٤) انتصاره فى المعركة (٥) طهارته ونقاؤه (٦) الطرق الثلاث المؤدية ال الخلاص الروحى (٧) بـوذا يصـل ال النرفانا اى الفناء .

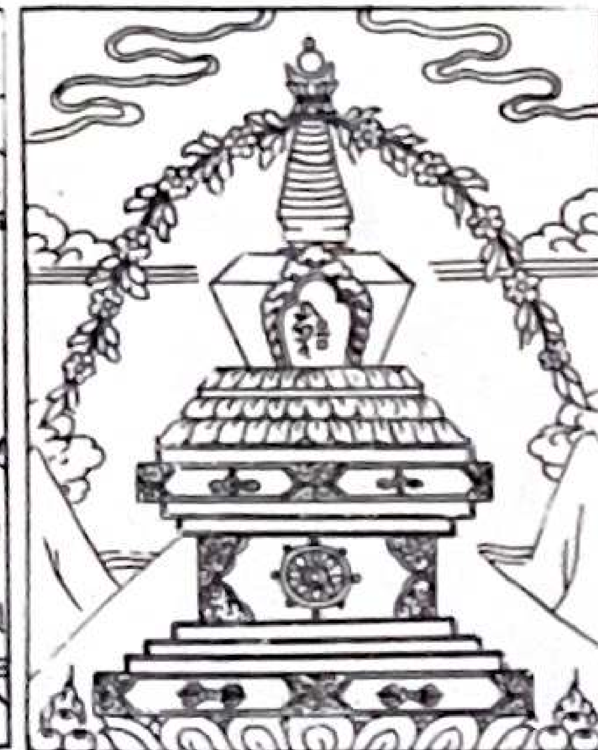

١


٢


٣

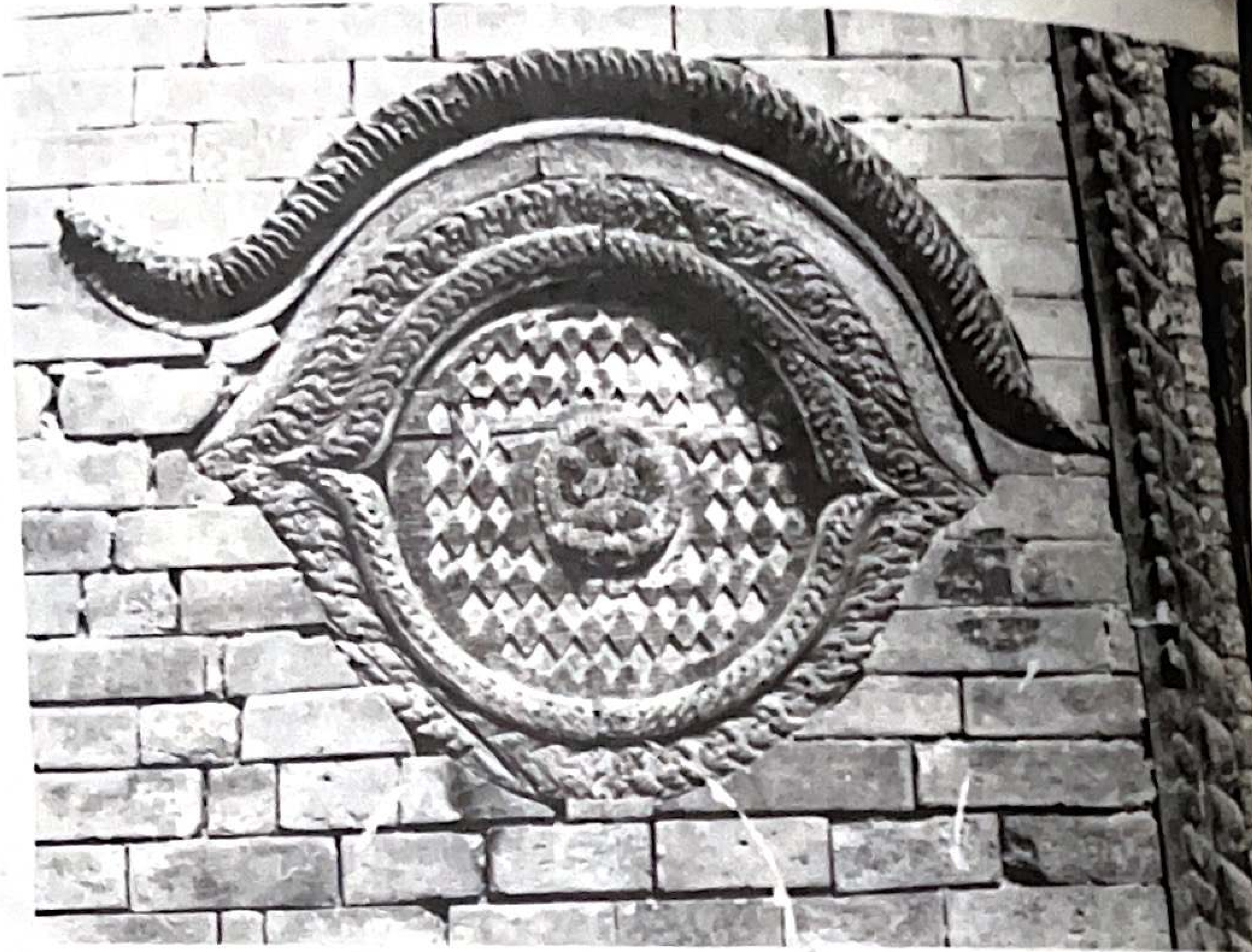

٤


٥


٦


٧





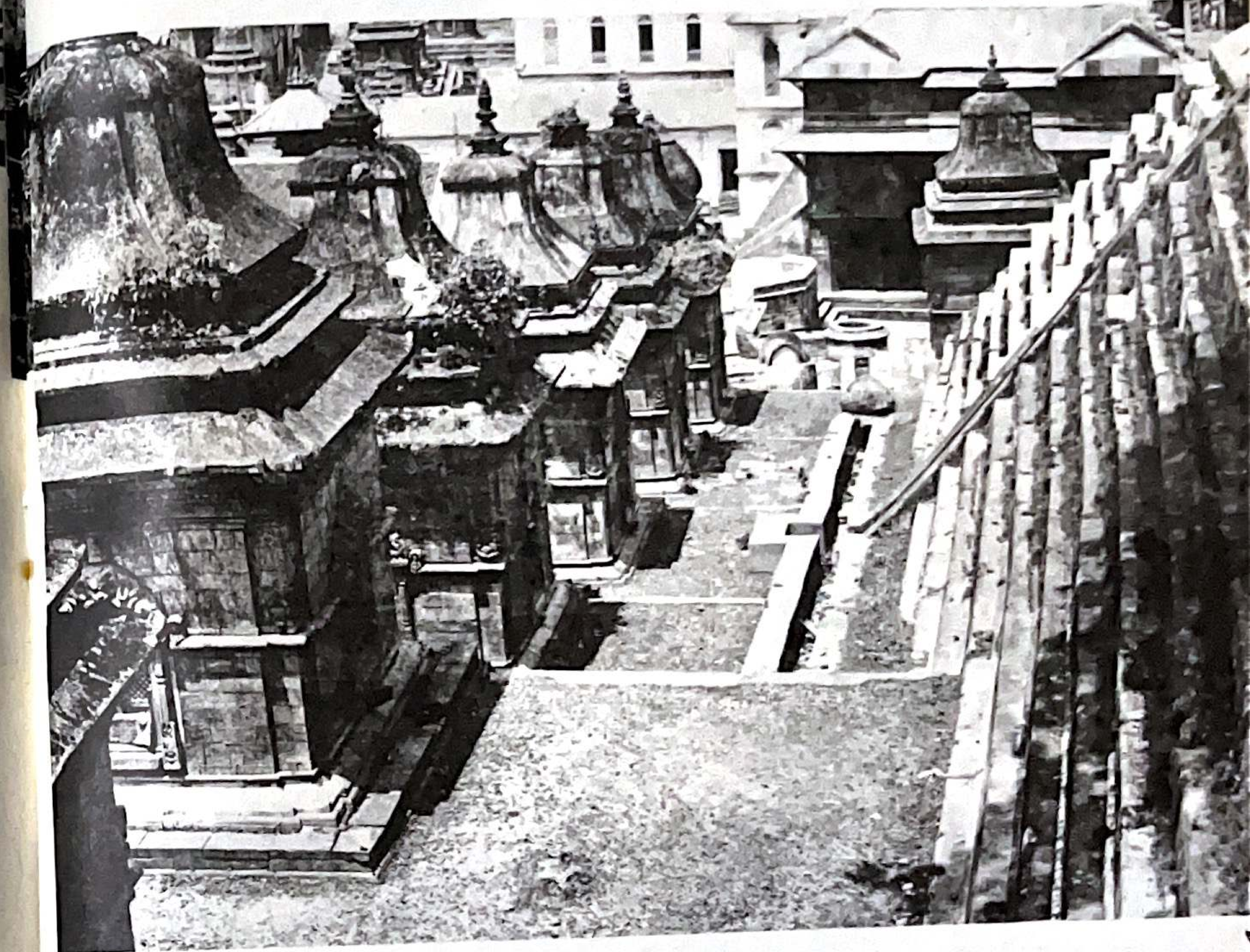
• ان العيون اللوتسية هى احدى مميزات الآثار النيبالية . وترى عيون بوذا وحواجبه مرسومة عل جوانب البناء الأربعة ، وفى الصفحة المقابلة عينان لوتسيان عل ستوبا سوايا مجونات عل التل المقدس الذى يقال ان بوذا ظهر عليه لأول مرة . وقد ظلت سوايا مبونات امدا طويلا مركزا كبيرا للحج يقصده الحجيج شيوخا وشبابا لتادية فريضة الحج (الصورةالعليا) . وترى هنا لذلك العين الهندوسية التى تتفحص كل القادمين عل باب من ابواب القصر الملكى فى باتان (التى تعرف كذلك باسم ليتبور) وهى من اجمل مدن نيبال .

وادى كاثماندو

ازدهرت حضارة عجيبة
فى انسجام مع الطبيعة، تمتد فى أراضى المعابد
إلى حقول الأرز المدرجة

تم اخيرا اجراء اول مسح شامل الآثار الثقافية والتاريخية فى وادى كاثمندو فى نيبال قام بهذا المسح كارل بروشا النمسوى ، اخصائى الأمم المتحدة فى تخطيط المدن ، بالاشتراك مع خبراء نيبال • وقد شمل المسح اكثر من ٨٠٠ من الآثار والمستوطنات والهياكل المقدسة والروابى الطبيعية • وسيكون هذا المسح اساسا لوضع خطة عامة فى نيبال للمحافظة على تراثها الثقافى والطبيعى الفنى • وستنشر هذه الخطة والبيان التفصيلى لآثار وادى كاثمندو فى مجلدين فى اوائل ١٩٧٥ ، وستتولى حكومة نيبال هذا العمل بمعونة مالية من اليونسكو ، وصندوق جون • روكفلر ٣ ، والحكومة النمسوية • وسينشر المجلدان تحت عنوان « وادى كاثمندو : صيانة البيئة الطبيعية والتراث الثقافى » (١) • اعد الدراسة كارل بروشا بالاشتراك مع زملائه النيباليين • ويصف لنا كارل بروشا فى المقال التالى الملامح الرئيسية لوادى كاثمندو وأماكنه التاريخية القائمة فى بيئة ذات جمال رائع •

(١) ستقوم بالنشر دار انطون شرول (فينا ، النمسا، وميونيخ ، ج• المانيا الاتحادية) • والمجلدان (٢٩٦ ، ٢٦٤ صفحة) مزينان بصور شمسية عددها ٨٧٣ ورسوم عددها ٨٣١ ، وبهما نص تفسيرى بالانجليزية ، وثمنها حوالى (٦٥) دولارا •





يتجلى سر الفن النيبالى فى تشكيل البيئة فى عمارة المعابد ، وفى الزراعة الكثيفة للمدرجات القائمة على جوانب التلال حيث يزرع الأرز وغيره من الغلات الزراعية • وتنسجم هذه المدرجات تمام الانسجام مع سلالم العديد من معابد نيبال مثل معبد باشوباتينات (الصفحة المقابلة) وهو معبد نيبال القومى الذى يقوم على ضفاف نهر باجماتى المقدس بالقرب من كاثمندو •

بقلم : كارل بروشا

يستطيع الانسان اليوم أن يفخر بأنه غزا جميع الكرة الأرضية وبسط نفوذه عليها ، ولكنه فى سبيل ذلك دمر الفردوس الأرضى • ذلك أن التلف والدمار أصاب كثيرا من الأماكن الأثرية النادرة التى كونتها الطبيعة أو صنعتها يد الانسان ، ومابقى بعد ذلك – وقليل ماهو – تعرض لضروب من المسخ والتشويه •

ولذلك كثيرا ما نتلفت الى الوراء بحثا عن الاماكن الاثرية المفقودة • وعندما يشتد بنا الظمأ الى مثل هذه الامكنة نلجأ الى سقف العالم المتوج بالثلوج ، نلجأ الى جبال هملايا ، لعلنا نلقى نظرة على شيفا – اله الهندوس – الثاوى على احدى قمم الجبال ، حيث تذوب الثلوج فى الوديان ، وتنساب فى روافد نهر الكنج العديدة•

وبين هذه الأنهار الجبلية الباردة التى تندفع الى الأعماق نرى جزيرة اهليلجية الشكل ، هى وادى كاثمندو • وعندما نشاهد هذا الوادى لايصعب علينا أن نصدق الأسطورة التى تقول انه كان فيما مضى بحيرة كبيرة فى وسطها جزيرة نشأ فيها بوذا الأزلى – المعروف باسم فيروكانا – من براعم اللوتس •

وعندما سافر منجوشرى – رمز الحكمة العظمى – من بلاد التبت ليعبد بوذا الأزلى استعمل السيف لأول مرة فى شق فجوات فى سلسلة التلال المحيطة بالوادى لتنصرف المياه منه •

وقد اقيم على هذه الجزيرة الغابرة – التى اصبحت الآن تلا – معبد من أقدم المعابد البوذية اسمه معبد سوايا مبوتات المندالا البوذية ، وهى رمز خفى للكون يجمع بين الشكل الهندسى للدائرة والمربع •

ويصعد الانسان الى المعبد على سلم وعر شديد الانحدار من جهة الشرق • وعلى قمة المعبد يقف أكشوبهيا (أحد البوذات الخمسة التى تقف وقفة التأمل) مشيرا بيده اليمنى الى الأرض وهو ازرق اللون وعنصره هو الهواء ورمزه هو الفجرة (انظر تفسير هذه الكلمة فى الصورة ص ٣٧) • والى الجنوب يوجد بوذا رتنا سمبهافا ، وهو يشير اشارة منح العطية، وهو أصفر اللون، وعنصره الأرض ، ورمزه الجوهرة • والى الغرب بوذا أميتابها يقف وقفة التأمل ، وهو أحمر

كارل بروشا (النمسوى) ، مهندس معمارى، ومخطط مدن ، وفنان مناظر طبيعية • عمل منذ ١٩٦٥ فى نيبال من قبل الأمم المتحدة • ساعد حكومة نيبال على انشاء ادارة للتخطيط الطبيعى، وعمل مستشارا لها من ١٩٦٧ الى ١٩٧٣ ، وساعد نيبال على اجراء مسح كبير لآثارها بوادى كاثمندو

اللون وعنصره النار ، ورمزه اللوتس . وإلى الشمال بوذا اموجها سدهى ـ خامس البوذات التأملية ـ وهو يتخذ وضع الحامى ، ولونه أخضر، وعنصره الماء ، ورمزه السيف . وفى وسط المعبد بوذا الأزلى نفسه ـ فيروكانا ـ يشير كما يشير المعلم . وهو أبيض اللون ، وعنصره الأثير ، ورمزه العجلة .

وعلى الرغم من أن هذا المعبد قد بنى فى غابر الأزمان فان وجوده فى هذا الوادى جعله مركزا ومهدا لحضارة غير عادية لاتزال مزدهرة حتى اليوم . ولايزال وادى كاتمندو الذى يخيم عليه الهدوء فياضا بالقوة الروحية التى ألهمت سكانه الأصليين أن يؤسسوا هذه الحضارة .

هذا والتربة العالية الخصوبة لقاع البحيرة القديمة تمد السكان المحليين بكل ما يحتاجون اليه . ورمز هذا الاعتماد على خيرات الطبيعة هو مسلوج الأرز الذى يقضى التاجه بتقرير عدد من القواعد الأساسية تهدف الى ربط الانسان بالبيئة . ولم يتم تدوين هذه القواعد قط ، ولكن الناس جميعا يرون أنها هى أساس بقاء الأمال والمحافظة على سلامة البيئة . وهذه القواعد تقرر أن الأنهار مقدسة ، وتحدد مساحة ما تبتغى زراعته من الأرض ، وتحافظ على سلامة الاحراج والغابات .

وقد أقيمت المستوطنات والمدن على السفوح المدرجة ، ولكن دائما بالقرب من الأنهار والاحراج، وغالبا بجوار الأنهار المقدسة التى يتم على ضفافها اجراء الطقوس الدينية الخاصة باحراق جثث الموتى .

والمستوطنات يلتصق بعضها ببعض بقدر الامكان ، وهى تقام على شكل حلقات متحدة المركز طبقا لسكانها من الكهنة والتجار والصناع والزراع الذين يقومون بأحط الاعمال فى المجتمع.

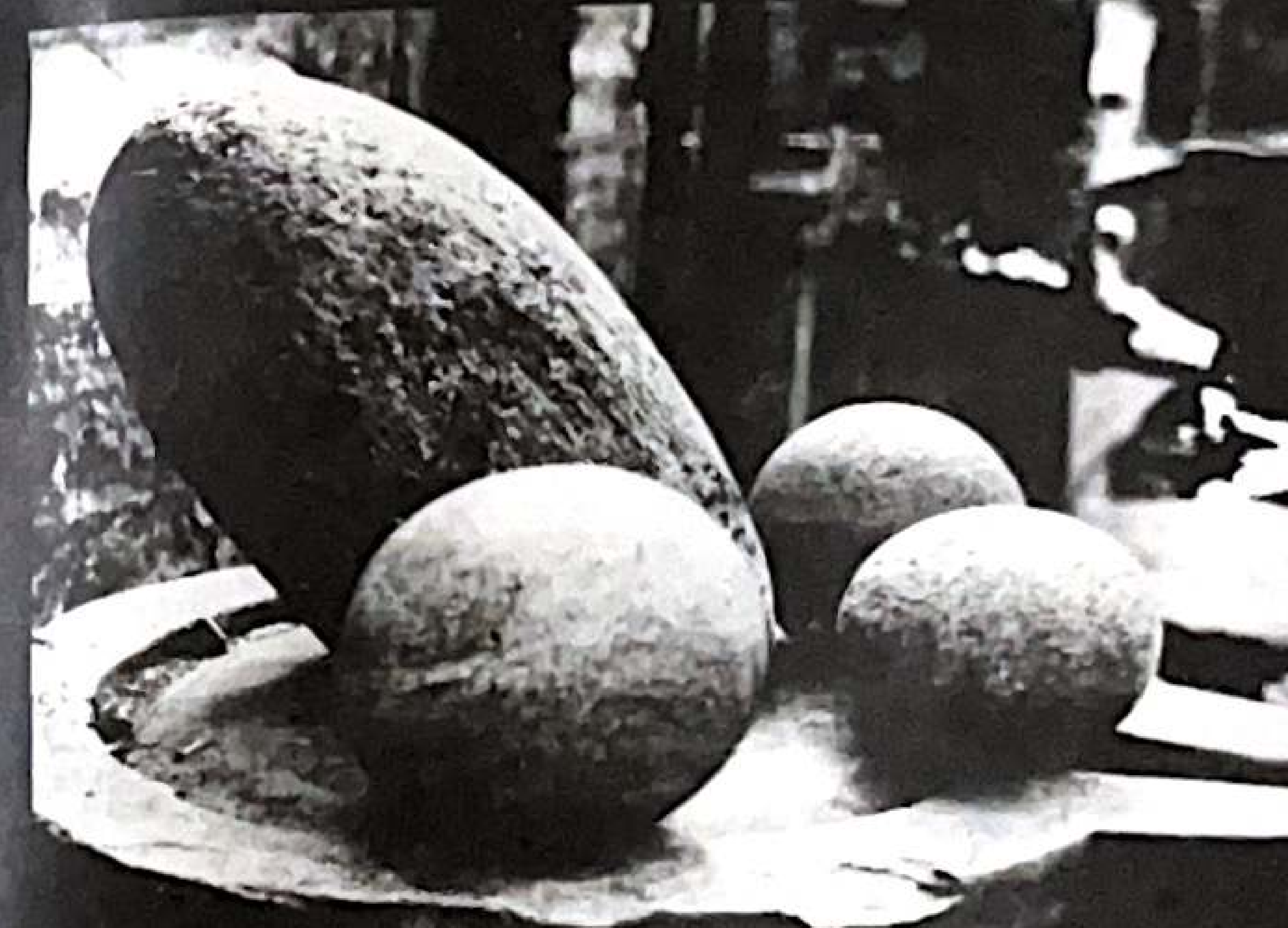
ولما كان سكان المستوطنات يتوارثون اعمالهم عبر الاجيال فان ذلك يحول دون أى توسع خارجى واقامة حلقات جديدة . ومتى زاد عدد السكان بنيت مستوطنات فرعية خارج الموقع الأصلى . وبهذه الطريقة تم بناء ٢٩ مستوطنة مختلفة الحجم حول المدن الملكية الثلاث: كاتمندو، وباتان ، وبادجيون .

والحرفة الاساسية للسكان هى زراعة الارز، ولكن بكل مستوطنة أيضا صناعتها الخاصة فمستوطنة تيمى تشتهر بصناعة الأوانى الخزفية، ومستوطنة سنخو بنسج القطن ، ومستوطنة خوكانا بعصر الزيوت ، وقرية بيانجيون بعمل السلال .

وتبنى المنازل فى قرية كاتمندو بالقرميد المحروق بالنار او المجفف فى الرياح . وتبنى السقوف بالخشب الثقيل ، وتزود بالميازيب الواسعة ، وتغطى بالقرميد الصغير الحجم والمستطيل الشكل ، والمحروق بالنار ، بحيث يخيل للرائى من بعيد ان كل منزل مسقوف ببطانية من الصوف الذى تم غزله باليد .



الصفحة المقابلة : معبد سيفا ـ بارفاتى فى قلب كاتمندو . يرى فى الصورة سيفا وزوجته مطلان على المارة من كوة فى الوسط اعلى الصورة . والى جانب كل منهما مظلة العياء المنحوتة فى الخشب . يعاد الآن تجديد المعبد . وقد اشتهر اهل وادى كاتمندو منذ زمن طويل بنقش الخشب . وفى نيبال امثلة لا تحصى من الأبواب والشرفات والنوافذ ذات النقوش الجميلة (اعلى) . وتتجلى هذه النقوش ايضا فى المنازل الخاصة . لأن انشاء المنازل فى نيبال يعد عملا مقدسا . الى اسفل لنجا كبيرة محاطة بعدد من اللنجات الصغيرة فى معبد نيبالى . واللنجا هى الرمز التناسلى لشيفا ، والرمز المقدس الرئيسى الذى يوضع فى وسط كل معبد هندوسى . وتوضع اللنجا عادة كما يبدو هنا على يونى اى الرمز التناسلى الأنثوى .



معبد «بوذنات» المبنى على هيئة المندالا

صورة اخذت من الجو لمعبد بوذنات الكبير بالقرب من كاتمندو ، وهو المعبد الذى يرتاده كثيرا الحجاج من اهل التبت . بنى المعبد على هيئة المندالا ، اى على هيئة شكل هندسى يجمع بين خصائص الدائرة والمربع . ويعتقد اصحاب المذهب البوذى الطنطرى ان هذا الشكل يرمز الى الكون والقوى الروحية . ويرى فى الصورة على الصفحة المقابلة شكل آخر من اشكال المندالا ، وهو يمثل مشهدا فى فناء احد المعابد بمدينة باتان اثناء مهرجان ماشتمراثات اله الفيض (الوفرة والكثرة) ، حيث تقدم النساء نذورهن . فى اسفل : عجلات الابتهال مصطفة على طول السور الخارجى لقاعدة معبد سوايا مبونات . والبوذيون يقلدون بوذا فى ادارة عجلات الابتهال ، ذلك ان بوذا عندما بدا دعوته فى سرنات الحد ، يدير عجلة العقيدة .





(تصوير يفيت فنسنت ، آليوم ، باريس)

معبد بوذنات البوذى الواقع شرقى كاتمندو يجب ان يشاهد اولا من الجو ، حتى تظهر بوضوح صورة المندالا ، او الرمز الخفى للكون . ويرى الانسان اولا ثلاث دوائر تكون الهالة الخارجية للمعبد ، وهى منازل الحجاج من اهل التبت ، والشارع الدائرى ، والسور الاول الذى يحيط بالمعبد ويمشى حوله المؤمنون الى اليسار، وهذه الدوائر الثلاث ترمز الى دورة التناسخ، والدورة اللانهائية للحياة والموت ، والعالم الدنيوى المؤقت المحفوف بالمتاعب والقلاقل التى تحاول التعاليم البوذية تخليص الانسان منها .

والمعبد يمثل اللانهائية الدائمة التى لاتتغير . وتطل منه «عيون بوذا التى ترى كل الاشياء» . وفى داخل السور الخارجى للمعبد كوة عظيمة تطيف بالمعبد وتحتوى على عجلات الابتهال التى اصابها البلى لكثرة استعمال الحجاج لها على مر الأجيال . ووراء هذه العجلات افريز تصطف عليه تماثيل البوذات ذات اللون الأزرق والبرتقال ، وتتجدد هذه الألوان بمناسبة كل موسم من مواسم الحج .

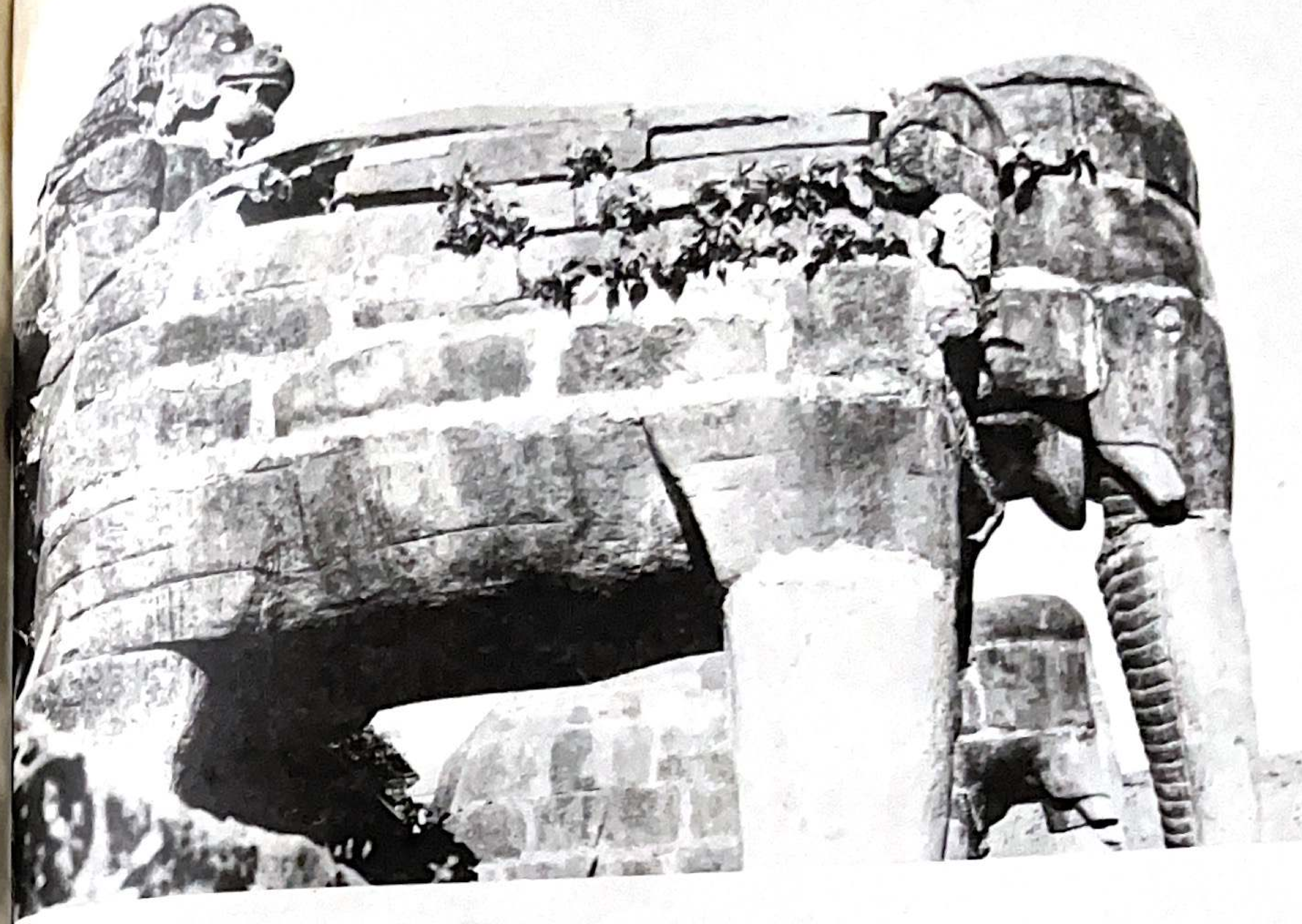
وفى داخل السور خمس شرفات او مصاطب تكون قاعدة المعبد ، وتمثل العناصر الخمسة (الأثير ، والهواء ، والأرض ، والنار ، والماء) والجهات الخمس (السمت، والشرق، والجنوب، والغرب، والشمال) . اما قبة المعبد فهى ترمز الى العالم السماوى الذى لايتغير ، الا أن لونها يتغير احيانا . وعندما شاهدتها لأول مرة بعد ان اصيبت بصاعقة من صواعق البرق رايتها داكنة رمادية اللون ، ورايت فى اسفلها اكواما من الخشب المتفحم ولكنهم فى موسم الحج يطلونها بالكلس او الجير ثم يجللونها بالزعفران الذى يقدمه الحجاج .

وعندما تقام الاحتفالات الدينية يختلط منظر هذه القبة الصفراء (ذات اللون الأصفر الحائل) بمنظر برج الجرس ذى اللون الذهبى ، ويزداد هذا المنظر روعة بالعديد من الأعلام التى ترتفع نحو قمة المعبد ، وتذهب فى السماء . ويقدم حجاج التبت هذه الأعلام هدية للمعبد ، ويكتبون عليها نصوص الدعوات والصلوات ، منها ماهو ابيض اللون يمثل السحاب ، ومنها ماهو ازرق اللون فى لون السماء، ومنها الأخضر الذى يمثل الماء ، ومنها الأصفر الذى يمثل الأرض ، والأحمر الذى يمثل النار

هجويت ايكول

نقلا عن كتاب «نيبال بين السماء والأرض» . نشرته الجمعية الأوربية للمطبوعات الحديثة المصورة، باريس)





وادى كاثماندو (بقية ص ٢٢)

ولما كانت المساكن تقام على رقعة صغيرة من الأرض فان الأدوات توضع فى الدور الأرضى . وغرف النوم تقام فى الدور الأول ، وغرفة المعيشة والمطبخ فى الدور الثانى ، وغرفة الطعام والمصلى فى الدور الأعلى . وتبنى البيوت عادة حول فناء داخلى ليتاح للسكان ان يعيشوا معا وكأنهم أبناء أسرة واحدة كبيرة .

ولما كانت المنازل أصغر من أن تتسع للاتصال الاجتماعى خارج نطاق الأسرة المباشرة فقد بنيت أرصفة مغطاة فى مفترق الطرق والميادين ليجتمع فيها أبناء البلدة ويتجاذبوا أطراف الحديث . أما النساء فانهن يلتقين عند ينابيع المياه حيث يذهبن يوميا للاستحمام ، أو لغسل الملابس ، أو لجلب مياه الشرب .

ويوجد فى وسط كل بلدة أماكن خاصة لاجتماع الناس ، مبنية حول الرمز الدينى للجماعة ، وهو باغودة (معبد هندى) مبنية على هرم ذى درج . ويقول أهالى كاثمندو أنهم هم الذين اخترعوا مثل هذه البواغيد . وفى وسع المرء أن يرى الآن كثيرا منها فى المنطقة ، صور مختلفة تبلغ المئة عدا .

وكثيرا ما يستخدم مئات المتفرجين هذه البواغيد كمكان ممتاز يشاهدون منه الاحتفالات الكثيرة التى تقام فى المنطقة . ومن مزاياها أيضا أن سقوفها الممتدة تتيح للناس ظلا يقيهم من حرارة الشمس ، كما تحميهم من المطر .

ولكن المعابد لاتوجد فى القرى والمستوطنات فقط ، بل توجد أيضا بعدد كبير فى الأرض الفضاء خارج هذه الاماكن . وهذه المعابد أصغر حجما ، ولكنها أحيانا تكون أكثر اهمية لانها بنيت فى عصور غابرة . وبعض هذه المعابد مبنى من أشجار السيال الباسقة ، أو من الاحجار العارية . وكثير من هذه الأماكن المقدسة لايعدو أن يكون غرفا محفورة فى الأرض ، ولعل السر فى ذلك هو أن تكون رمزا للاتصال الوثيق بالأرض الأم .

وكل هذه الأماكن المقدسة — بدون استثناء — منسجمة مع البيئة الطبيعية ، ومبنية فى أوضاع لها مغزاها ، اذ يوجد أغلبها بجوار الأنهار والمجارى المائية كمعبد باشوباتى ، وجوهشوارى ، وجوكارنا ، وسنخونول ، وشوبار . وكثير منها مقام بجانب الينابيع المائية والبرك ، وبعضها

الأخر مثل معبد شانجوربان مقام على قمم التلال وكذلك اختيرت الغابات والكهوف لتكون مكانا لاقامة المعابد لكثير من الآلهة .

وهذه الأماكن يرتادها بانتظام اهل القرية زرافات ووحدانا . وفى كل عام يخرج الوف من الأشخاص ويشقون طريقهم عبر الحقول للحج الى أشهر المعابد .

هذا وان مايبديه الأهالى من رعاية وتقديس لمستوطناتهم وقراهم ومعابدهم وأماكنهم المقدسة لايضارعه الا اهتمامهم بالبيئة الطبيعية فى زراعة وحصد الارز الذى يعد الغذاء الرئيسى لهم .

وهكذا تصبح الزراعة عندهم بمثابة عمل فنى . فعلى مر القرون تغير وجه الارض بهذه العملية فانشئت الوف المدرجات على جوانب الجبال للزراعة ، وشقت قنوات لاعد لها لرى الارز . وتم انجاز هذا العمل العظيم بآلات بسيطة هى المعازق .

ولم يترك القوم اى شبر من الارض دون أن يستغلوه . وهنا نجد الانسان قد غزا الارض بالفعل ، ولكن دون أن يلحق بها الدمار . وهنا نجد الانسان والطبيعة يتعانقان ويتفاعلان فى رباط وثيق .

وعندما يحين وقت الشتاء الجاف يختفى اللون الرمادى الذى يكسو المدرجات ، وتكتسى قمم الجبال بلون الثلوج البيضاء ، ويعمل الانسان أسابيع قليلة ثم لاتلبث الامطار الموسمية الغزيرة أن تنهمر ، فتحول الصورة كلها الى منظر طبيعى من المياه ، فتتكون مئات من البحيرات الصغيرة ترتفع فى طبقات بعضها فوق بعض ، ثم لا يلبث الأرز بعد ذلك أن ينمو ، فيبدو من بعيد على شكل طحلب خفيف ، ويملأ الأرض ظلال من الخضرة لاعد لها . واخيرا تأتى فترة النضج فيكتسى الارز بلون براق يتدرج من اللون الاصفر الى البرتقالى .

ولما كانت المستوطنات نفسها مبنية من مادة واحدة وأرض واحدة فانها تتغير أيضا بتغير الفصول محتفظة دائما بصلتها الاساسية بالتربة التى تقوم هى عليها .

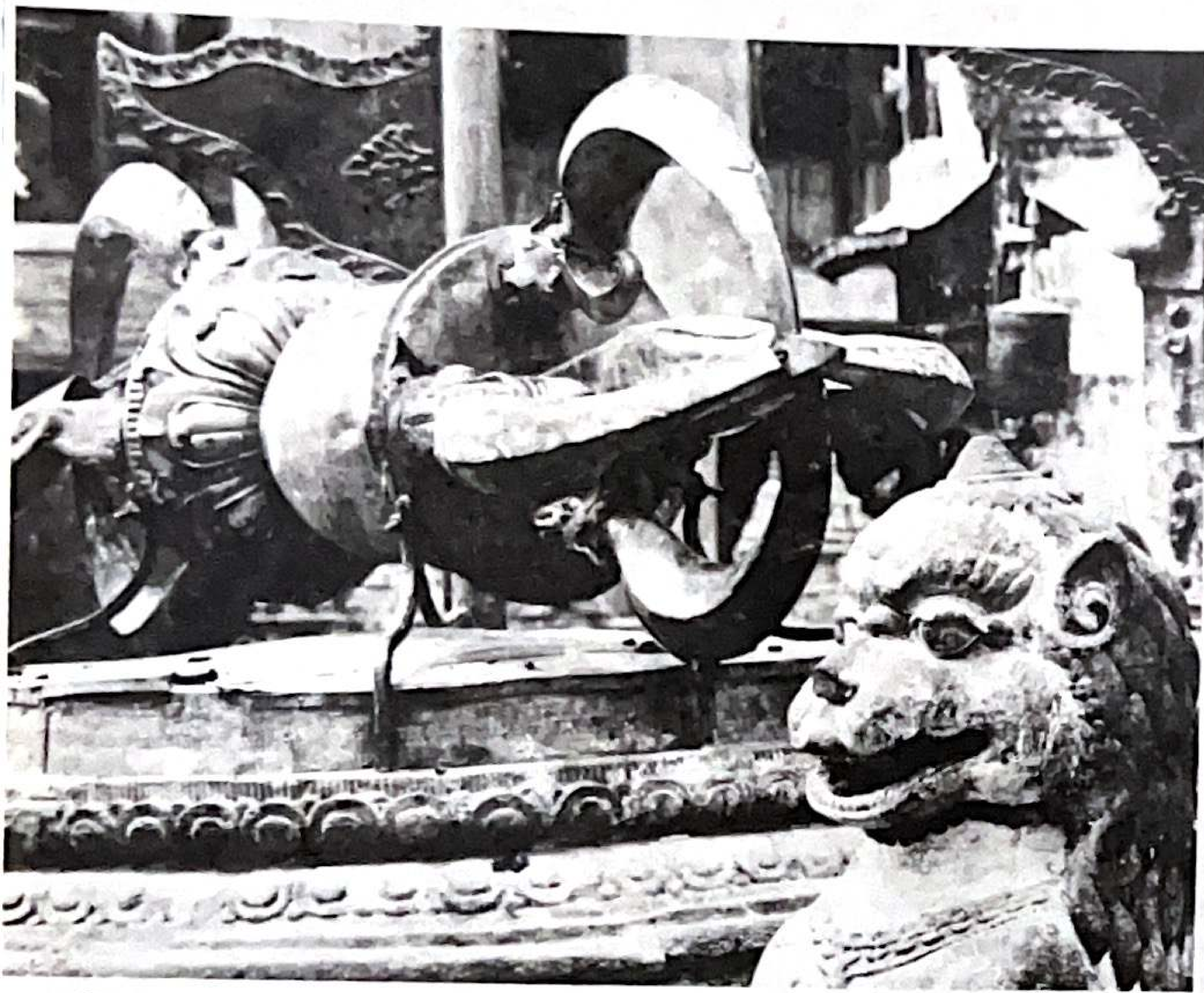
وقد ظل هذا الشعب حتى الآن يحافظ على سلامة بيئته ، وعلى أسلوبه التقليدى فى الحياة المبنى على نظام الأسرة الموسعة . كما ظل يواصل اتصاله بالعالم الروحى واللانهائى .

ولكن أهل وادى كاثمندو يواجهون اليوم اختيارا صعبا بين امرين : هل يبنون مستقبلهم فى هدوء على أساس الماضى ويواصلون العيش فى فردوسهم الخاص أم يؤثرون أسلوب الحياة فى القرن العشرين بكل ما يكتنف هذه الحياة من أساليب التعامل التجارى وما يرتكب فيها من أخطاء بسبب سوء استخدام التكنولوجيا .

أليس من واجب المجتمع الدولى أن يساعد هؤلاء القوم على الوصول الى حل لمشكلتهم ؟ .

حراس المقدسات

الى اليمين : تماثيل من الفيلة واسد تحرس السلالم الطويلة المؤدية الى اعلى باغودة فى نيبال . وهذه الباغودة هى معبد نياتابولا فى بدجيون المكون من خمسة طوابق . ولما كان اهل نيبال يشتهرون بالتسامح الدينى منذ زمن طويل فان هذه البواغيد مفتوحة للهندوس والبوذيين على السواء . ومن الفرق البوذية الواسعة الانتشار فى نيبال تلك الفرقة المعروفة باسم « الطنطرية » نسبة الى كتابها المقدس المعروف باسم « طنطرة » . ومن الطقوس الدينية الهامة عند الفرقة البوذية الطنطرية ما يطلق عليه اسم « فيجرة » اى الصاعقة ، وهى رمز للكائن المطلق . الى اليسار صورة تبين فيجرة كبيرة على شرفة معبد سوايامبونات بالقرب من كاثمندو . ومعظم الفيجرات اصغر من ذلك حجما بكثير ، ويمسكها الرهبان فى ايديهم باعتبارها صولجانا مقدسا .



تصوير : يفيت فانسان ، اليوم ، باريس

مستقبل ينتظر المدائن القديمة

بقية صفحة ٦

والواقع أن هذه المشاغل تصاحبها في أغلب الأحيان ضروب من القلق ، مختلفة بعض الشيء ، يغلب عليها الطابع السياسي أو البوليسي . فالمناطق السكنية المتخلفة قد تأوي جمهورا من العمال غير المهرة . كثيري التنسل والتنقل . يصعب السيطرة عليهم ، ولا يتقبلهم سكان المدن المستقرون في حياتهم والموسرون . ومن ثم تصبح هذه المناطق مشبوهة ، يجب أن يتخذ بشأنها اجراءات ردع صارمة . وهذا وجه آخر من وجوه الاصلاح والتطهير .

– يضاف الى كل ذلك شبح الانفجار السكاني . فنمو الكثير من المدن الكبيرة نموا سريعا للغاية يستوجب استخدام المساحات الفضاء استخداما صائبا . ولا يتردد بعض الخبراء في اقامة عمارات شاهقة بقدر الامكان في مكان المباني ذات الطابقين أو الثلاثة في المراكز الأثرية التاريخية . ويعتقدون انهم يزيدون بذلك من الكثافة السكانية ، رغم أن التجربة قد أثبتت أن مثل هذه الآراء ضرب من الأوهام . لأن عمليات التجديد في المراكز الحضرية انما تيسر عامة اقامة المكاتب والمصارف بدلا من انشاء مساكن جديدة .

– ومع ذلك تظهر تبريرات أكثر وضوحا ، تتجلى في بعض التقديرات الاقتصادية . فالمدينة التاريخية ، أو الحي التاريخي المكتظ أحيانا بسكان فقراء أو معدمين ، يبدو انه يشغل مساحات من الأرض بصورة غير ملائمة وغير مثمرة من الوجهة الاقتصادية ، ومن ثم فان الاقدام على صيانتها يعني – كما يقول البعض – الاضطلاع بترميم مئات المباني ، واصلاح كيلو مترات طويلة من الطرق وخطوط المواصلات ، مثل هذه المشروعات ، حتى اذا ترتب عليها ارتفاع اثمان العقارات ، تظل مع ذلك خاسرة ، وتبدو في الكثير من البلاد عبئا لا تحتمله الخزانة العامة .

وفي مقابل ذلك فان عمليات التجديد الحضري التي تعتبر في البداية وسائل لاحياء المناطق الحضرية بصورة جزئية وانما تصمم بحيث تمتد وتتسع بالتدريج ، هذه العمليات تبدو لبعض الناس مربحة للغاية .

– وأخيرا نجد السبب الأكثر شيوعا لعمليات الهدم ، يتمثل في مبادئ أسلوب لبناء المدن ، مبادئ تلقى بعض المعارضة في الوقت الحاضر ، ولو أنها مازالت قوية ، تعتبر مقتضيات المرور أهم من كل ماعداها من الشئون . فعندما تشق بعض المنافذ في مدينة تاريخية بقصد التخفيف من اختناقات المرور في مبدأ الأمر ، ثم تفتح شوارع تتيح اجتياز المدينة في جميع الاتجاهات . يظن البعض انه يمكن رغم كل شيء الحفاظ على الأشياء الجوهرية فيها ، كالمباني الأثرية ، والمناظر المشهورة ، والأحياء التي رممت .

ومع ذلك فان تخطيط المدينة الأصل سوف يتقلب ظهرا على عقب ، ويختل نظامها ، وتتشوه ، وتزول معالمها باعتبارها وحدة حضرية . وقد تكررت هذه العملية مرارا عديدة خلال الخمسين سنة الماضية ، فلم يعد ثمة جدوى من الاسهاب في وصفها . وفي كل مرة يعد تخطيط قصير المدى بحيث يجعل الأولوية المطلقة لانشاء الطرق الخاصة بالسيارات ، فان هذا التخطيط يعتبر المجموعات الحضرية التي ترجع الى عصر سابق لعصر الصناعات مجرد عقبات ، مهما كان اتساع نطاق المواقع الأثرية وتراثها .

– وتخضع بعض القرى التاريخية رغم شهرتها، أو بسبب شهرتها ، لهذه الضغوط نفسها . واذا كان بعض سكان المدن الذين يضعون أيديهم على هذه القرى ليقيموا بها مساكن لهم يستطيعون الابقاء على خطوطها وطرزها فان الأمر يختلف بالنسبة الى التجار وأصحاب الحرف والمقاولين وأصحاب المشروعات الذين ينشطون في أعقاب السكان الحضريين .

وكلما كانت القرية التاريخية متجانسة ومتسقة مع البيئة الريفية المحيطة بها كانت أكثر عرضة لمعاول الهدم ، ففي الامكان تشويه معالمها خلال سنوات قلائل بعمليات تطوير تبدأ بحجة استغلال عزلتها وطرافتها ومتنتها التاريخية أي « تخلفها » .

وقد تخطت السلطات المحلية والقومية التي تتولى صيانة حي أو مدينة أو موقع تاريخي ، بصورة عامة ، مرحلة الدفاع عن المصالح الثقافية ، ومع ذلك فانها كثيرا ما اضطرت الى مكافحة المبررات والممارسات للتي تعترضها في هذا الصدد . وعليها أن تعلم أن الحسابات ، في خصوص عمليات التجديد الحضري ، لا تثبت صحتها في جميع الأحوال ، اللهم الا عن طريق تقديرات كمية حرفة لا تأخذ في اعتبارها كل جوانب القيم الاجتماعية .

ولا يتسنى قياس طبيعة الحياة في مدينة ما من واقع كشف الميزانية . فأكثر الانقلابات الحضرية نصيبا من النجاح في نظر المحركين الأوائل لها ليست بالضرورة نافعة للمجتمع الانساني على المدى الطويل .

وفضلا عن ذلك لوحظ منذ بضع سنوات في البلاد المتقدمة صناعيا أن الملايين من المساكن القديمة يمكن اذا اعتنى بصيانتها وترميمها أن تظل باقية صالحة للاستعمال ، مثل غيرها من المباني الحديثة أو أحسن منها ، وتساوي في قيمتها رأس مال كبيرا ، لا ريب أنه يضيع معظمه اذا تهدمت .

وعلى ذلك فان السياسة الحكيمة للاسكان لابد تأخذ في اعتبارها شؤون الصيانة والترميم ضمن الادارة العامة الشاملة لمجموع العقارات ، نظرا لأن ترميم المساكن القديمة يظل امدا طويلا هو الوسيلة الرئيسية لسد حاجات السكان غير الموسرين . وقد أصبح احياء المناطق التاريخية بنوع خاص ضرورة اقتصادية واجتماعية وثقافية .

وفي زمن يحاول فيه البعض اعادة تعريف مظاهر التقدم بمقابلتها بحتميات النمو ، ويشيع فيه الدفاع عن البيئة مسائل خاصة بالكثير من صور الاستغلال الهدام ، يتبين بجلاء أن المدن القديمة موارد لا عوض عنها ، ولا يمكن لأي بلد أن يضحي بها دون خطورة .

والمدن القديمة ، شأنها شأن الأموال غير المنتجة بطبيعتها ، لا تتوقف قيمتها عن الازدياد بل يبدو أنها تتضمن ، الى حد ما ، أسرع علة الأموال زوالا : حيز الانسان ، وزمانه .

ومن شأن الحفاظ على المدن القديمة وماتتضمنه من مساكن متنوعة الأشكال ، ووظائف شتى ، أن يتيح فرصة توثيق الروابط الاجتماعية التي يصبو اليها سكان المدن . وهذا الحنين الى الروابط الاجتماعية لا ينصرف الى الماضي ، وانما الى فنون المعيشة ، ولا يجوز الازدراء به ، حين لا يجد الانسان الضائع في خضم المجتمع ، بدلا منه ، غير الغرام بالسيارة والصلب والخرسانة .

والمدن القديمة تجتذب اليها اليوم أبناء وأحفاد أولئك الذين أهملوها وتخلوا عنها . ذلك لأنها لا تريد على ما يبدو أن تظل مجهولة معزولة . ولهذه الأسباب نفسها ، الى جانب أسباب أخرى ، تجتذب هذه المدن بعض البنائين من ذوي الكفاءة والموهبة الخلاقة . فثمة الكثير من المهندسين المعماريين ومخططي المدن يرون أن المدن القديمة التي أقامها أسلافهم لا تمثل مخلفات مثيرة للمشاعر الرقيقة . وانما هي نماذج يحسن استلهامها .

وبالنسبة الى الشباب تشبه الحاجة الى صيانة هذه الأعمال ، في الكثير من الأحيان ، انعكاسا حيويا لا اراديا . فالشبان في بعض البلاد هم الذين يترددون كثيرا على الأوساط القديمة ، ويحاولون حمايتها كلما دعا الأمر . ولعلهم يدركون أن المدينة القديمة اذا بادت فان شوارعها اللطيفة المضيافة ليست هي الأشياء الوحيدة التي تزول من الوجود .

والمدينة القديمة ، بالنسبة الى السواد الأعظم من الناس الذين لا يتلقون الثقافة عن طريق الكتب ، هي الأثر الوحيد الملموس الذي يشهد على التاريخ ، فهي التي تخلد أعمال أولئك الذين حيوا على مهل هذا العالم الذي يعيش فيه اليوم ، كما تخلد أقدارهم السعيدة أو التعيسة ، وعاداتهم وآمالهم .

والمدينة القديمة ، كذكرى للمدينة الجديدة ، ولأمة تستطيع أن تجد فيها بوضوح لا تجده في الألفاظ اللغوية العناصر الأساسية لشخصيتها ، أصبحت في الوقت الحاضر ، بالنسبة الى أجيال انقطعت عن الماضي في مجموعة ، ذكرى للجنس البشري بأسره . انها الأجيال الحديثة التي يقدر لها – لو اندثرت هذه المدن القديمة – أن تعيش بنوع ما على سطح الأحداث ، تعاني الشك والعزلة ، كما يعيش أولئك الذين حرموا من الذكريات .

٢- الدروس المستفادة من تحقيق أجرته اليونسكو

في عام ١٩٧٣ قام المجلس الدولي للآثار والمواقع الأثرية « ايكوموس » بناء على طلب منظمة اليونسكو باجراء تحقيق عن طريق لجانها القومية الخمس والأربعين في شأن الاجراءات التشريعية التي تكفل حماية المجموعات العقارية الحضرية القديمة ، والأحياء والمدن التاريخية .

والأمر الذي يصدمنا أول كل شيء في الاجابات التي وردت للمجلس هو بوجه عام عدم كفاية الحماية المقصودة ، وتنوع الحلول المتبعة في هذا الصدد . والقليل من البلاد هي التي تملك نصوصا تشريعية ولوائح تنظيمية خاصة بصيانة الأحياء والمدن والمواقع التاريخية ، تضعها وتطبقها السلطات المختصتان عادة بهذا الموضوع ، وهما مرفقا الآثار التاريخية ، وبناء المدن وتخطيطها . ويبدو من التحقيق أن هذه البلاد هي فرنسا وبلجيكا فحسب . أما في سائر البلاد فان الأحياء القديمة تتمتع في نطاق التشريع الخاص بحماية الملكية الثقافية (في المجر والمكسيك وبولندة وتشيكوسلوفاكيا وتونس وفنزويلا والفاتيكان) أو في التشريع الذي ينظم البناء وتخطيط المدن (في الدانمرك وفنلندة ولوكسمبرج) .

والنظام في هذا الشأن . أكثر تعقدا في بلاد أخرى ، اذ تجري حماية الأحياء التاريخية بمقتضى أحكام تتضمنها قوانين ولوائح منوعة . تتعلق من جهة بحماية الملكية الثقافية ، ومن جهة أخرى بتخطيط المدن . ويتولى اعداد هذه للقوانين واللوائح كل من الادارات المختصة على حدة (أسبانيا ، ايطاليا ، المملكة المتحدة) .

وهناك بلاد أخرى لا تملك الى الآن أي نظام للحماية المشار اليها ، غير أن ثمة تشريعا جديدا يجري اعداده في الوقت الحاضر في بعض هذه البلاد .

وفي القليل من البلاد التي يشملها هذا التحقيق تفرض القوانين المتعلقة بحماية الأحياء والمواقع التاريخية اعداد قوائم تفصيلية بالمباني الموجودة في المنطقة التي تشملها الحماية ، وهو اجراء لا غنى عنه في الواقع لكل تطبيق فعال لهذه القوانين (بلغاريا وقبرص وأسبانيا وفرنسا وايطاليا والمكسيك وتشيكوسلوفاكيا) . ويجري اعداد هذه القوائم في معظم هذه البلاد .

ومن جهة أخرى يقدر عدد كبير نسبيا من لجان «الايكوموس» (لجان قبرص وفنلندة وايطاليا ولوكسمبرج والمكسيك وسويسرة وتونس وفنزويلا) أن الجهاز القانوني في بلادها غير كاف ، وبخاصة فيما يتعلق برقابة عمليات الترميم والتجديد ، وكذا التقديرات الخاصة بتمويل هذه الأعمال .

وأخيرا ، فانه حتى في البلاد التي يتضح أن الأحكام القانونية فيها ملائمة للغرض ، كما في بلغاريا والدانمرك وأسبانيا وفرنسا والمجر وبولندة وتشيكوسلوفاكيا ، فان تطبيق هذه الأحكام لا يخلو من المشاكل . وتتمثل المصاعب الرئيسية التي تصادف تطبيق القوانين في هذا الشأن في ضعف الرقابة ، وعدم كفاية العقوبات ، أو عدم تطبيقها ، وعدم اهتمام السلطات العامة والأفراد بها ، أو عدم فهمهم لها ، وعدم كفاية الامكانيات المالية .

وتدعو الحاجة في هذه الظروف الى اعداد تنظيم دولي يستفيد منه كل المسئولين عن حماية المدن والأحياء التاريخية .

وبالنسبة الى منظمة اليونسكو فان العمل الذي يقتضي القيام به لحماية المدن القديمة يرتبط بالاهتمامات التي يتميز بها عصرنا الحاضر الذي تختلط فيه مشاكل البقاء بالمشاكل الخاصة بنوعية الحياة . وتعرف التوصيات أو الاتفاقيات الدولية التي استلهمت هذا العمل تعريفا تدريجيا ، وطبقا لوجهات نظر منوعة ، أهداف حماية بيئة الانسان ، ومبادئ هذه الحماية .

اما « التوصية » الخاصة بحماية جمال المناظر الطبيعية والمواقع وسماتها (١٩٦٢) فانها تكشف عن الأخطار التي تنجم عن نمو المدن الكبرى نموا غير منتظم في بعض الأحيان .

وتنوه التوصية الخاصة بصيانة الملكيات الثقافية المعرضة للتلف بسبب تنفيذ المشروعات العامة او الخاصة (١٩٦٨) بضرورة الاسراع في « تنسيق صيانة التراث الثقافي والتعديلات التي يتطلبها التطور الاجتماعي والاقتصادي » .

وتقر التوصية الخاصة بحماية التراث الثقافي والطبيعي على المستوى القومي (١٩٧٢) بأنه « من الضروري للغاية ، لحفظ توازن الانسان وازدهاره ، أن يهيأ لحياته اطار على مقاسه ، يظل في نطاقه على اتصال بالطبيعة وبآيات الحضارة التي تركتها له الأجيال السالفة » .

وأخيرا تؤكد الاتفاقية الخاصة بحماية التراث العالمي ، الثقافي والطبيعي (١٩٧٢) أن « تلف أي مال ينتمي الى التراث الثقافي والطبيعي يشكل خسارة شديدة تصيب تراث الشعوب كلها » .

وبهذه الروح تتولى اليونسكو في الوقت الحاضر اعداد تنظيم بشأن حماية الأحياء والمدن والمواقع التاريخية ، وضمها في نطاق بيئة عصرية . ولا يمكن تصور مثل هذه الحماية الا في اطار تخطيط واسع شامل . ويجب أن لاتكون هذه الحماية عاملا على تجميد الأشياء ، وانما يجب أن تكون من عوامل التقدم الثقافي والاجتماعي وآية من آياته .

وسوف يصلنا هذا التنظيم الدولي في عام ١٩٧٦ ، بعد اتمام التوصيات العديدة التي تصدر في هذا الشأن .

وقد تجلى منذ الآن درسان : أولهما أن حماية المدن والأحياء التاريخية (باعتبارها مواقع طبيعية وأثرية) ومن باب أولى استغلالها ، لا يمكن تصورها الا باعتبارها جزءا من عمليات تنظيم المدينة أو المنطقة المعنية وتطويرها . ويجب أن يتولى أمر هذه الحماية وهذا الاستغلال أعلى المستويات المسئولة عن هذا التطوير (وهي الحكومة نفسها في بعض الحالات ، وكذا ، وبالاضافة الى وزارة الثقافة ، ووزارات الاقتصاد والتنظيم والخطة والمالية) وهي وحدها التي تستطيع أن تدرس ظروفه ، وتنظم سير العمل فيه ، وتتحمل في البداية أعباءه المالية .

وليس في الامكان أن تحل الكفاءة والاخلاص لدى الادارات التابعة للجهات السالفة الذكر ، بل كذلك لدى الجمعيات القديرة بعلمها والنشيطة بعملها ، محل تلك الارادة السياسية . ويعتبر استثمار هذه المناطق جزءا من اجراءات التخطيط الاجمالية ، وهو عنصر من عناصر تنظيم الاقليم .

ويصدر القرار الحكومي بحماية مدينة تاريخية أو أكثر واستثمارها في صورة أعمال تشريعية ، والتزامات مالية ، واجراءات تنظيمية .

أما الدرس الثاني فمضمونه أنه لا معنى لاستثمار أية مدينة أو قرية أو حي دون العمل على اثارة اهتمام السكان الذين يجب أن يسهموا في هذا العمل . وقد يرجع الفضل الأول في انعاش الأحياء القديمة الى مبادرة الأفراد الذين يكفي المجتمع بأن يقدم لهم المعونة القانونية والفنية اللازمة لهذا الغرض .

ومع ذلك فانه لا غنى عن اسهام جماهير السكان ، حتى ولو كان من الضروري تدخل السلطات العامة تدخلا قويا في هذا الشأن . ولابد من الحفاظ على المدن التاريخية – كما يقول البعض – من أجل الانسان والمستقبل . وهذا حقيقي ، غير أنه يجب الحفاظ عليها قبل كل شيء من أجل النساء والرجال الذين يعيشون فيها . وبفضل تعاونهم ، ولمصلحتهم .

١٥ مدينة
تبدأ عمليات الصيانة الكبرى

خلال الخمس عشرة سنة الماضية جندت اليونسكو معونة دولية صيانةوترميم الآثار وغيرها من الكنوز الثقافية فى اجزاء كثيرة من العالم . ولقد كانت بصورة خاصة مصحوبة بطريق مباشر بعمليات صيانة وتجديد المدن والأماكن التاريخية ، ويوضح البيان التالى الموجز عن مختلف هذه المشاريع كيف ان اليونسكو تتعاون مع بعض دول من دولها الأعضاء لصيانة اماكنها التاريخية وتعمل فى الوقت نفسه على استكمال انتقالها الى تمدن عصرى .

كيوتو (اليابان)

فى سبتمبر ١٩٧٠ نظمت الشعبة القومية اليابانية لليونسكو ووكالة الشئون الثقافية بوزارة التربية والتعليم اليابانية ندوة دولية عن صيانة الأماكن التاريخية ، وبصورة خاصة فى مدينة «كيوتو» القديمة التى كانت فيما مضى عاصمة لليابان .

وقد اوضحت هذه الندوة التى عقدت فى « كيوتو » أن مفهوم المكان التاريخى لم يكن معروفا لا تشريعيا ولا اداريا فى اليابان ، وان التنمية التجارية ومشاريع التجديد الحضرى والتغيرات فى الأنماط الاجتماعية والاقتصادية للحياة اليومية كانت لها خطورتها الجسيمةعلى نوع البيئة فى واحدة من أجمل المدن اليابانية .

وفى سنة ١٩٧٢ ، عقب الندوة الدولية ، قررت بلدية « كيوتو » .

أن تخصص فى المدينة سبع مناطق لتكون ذات مناظر خلابة . وداخل نطاق هذه المناطق تركت مساحات حول خمسة آثار تاريخية كبرى ، وحول مكانين تاريخيين يقعان الى الشرق من نهر « كامو » ، وترك للبلدية امر رعايتها ومراقبتها .

أن تحد من اقامة المنشآت العصرية الضخمة فى أكثر من نصف المدينة .

وقد حددت البلدية أيضا مناطق تاريخية فيها امثلة من المعمار التقليدى ، ليمكن صيانتها ، وفى هذه المناطق سيمنح الملوك الخصوصيون اعانات ليتمكنوا من اصلاح المبانى التى هى فى حالة سيئة ، وأى مبنى حديث فى هذه المناطق يجب أن يتناسق فى ارتفاعه وتصميمه مع المبانى القائمة .

اورو بريتو (البرازيل)

«فيلا ريكاء التى غيرت اسمها الى «اورو بريتو» (الذهب الأسود) فى سنة ١٨٢٣ بعد اعلان البرازيل استقلالها كانت مقر حكومة ولاية «ميناس جرايس» حتى سنة ١٨٩٧ . ولما كانت « اورو بريتو » مركزا لاقليم غنى جدا بما فيه من ذهب فقد أدت دورا رئيسيا فى التاريخ البرازيلى فى القرن الثامن عشر . ولما بدأت كأرض مخيم لـ «بانديرانتيس » الذين تدفقوا على « ميناس جرايس » عندما بدأ تدفق الذهب فى سنة ١٦٩٨ فقد صارت بسرعة مدينة انتعش فيها فن الباروك والمعمار ، وعليها ترك بصماتهم الفنانون الموهوبون امثال النحات المشهور فى القرن ١٨ ، « او اليجا دينهو » .

وقد كانت تهجر كلية فى نهاية القرن التاسع عشر ، عندما أخذ الذهب فى النفاد ، وصارت المدينة كواحدة من المزارات التاريخية والفنية فى البرازيل .

وكنتيجة للانفجار الاقتصادى الراهن فى البرازيل صارت « اورو بريتو » مرة أخرى مدينة قوية ومنتعشة الى جانب كونها مركزا بارزا من مراكز السياحة الثقافية . وكنتيجة لذلك فان التراث الثقافى ، الذى يضفى عليها سحره الخاص، تهدده موجة العصرية والتغير . ويتطلب الأمر برنامجا للمواءمة مع الاحتياجات المعاصرة .

ولقد ادركت السلطات البرازيلية الفيدرالية والاقليمية من أجل البرازيل الحديثة ضرورة الابقاء على هذا التصوير الباهر للفصل فى التاريخ الموجز الحافل بالأحداث لهذا البلد . ومنذ سنة ١٩٦٨ ، بناء على طلبها ، قامت بعثات عديدة من مستشارى وموظفى اليونسكو بدراسة أساليب المضى فى تطوير المدينة مع الابقاء على طابعها الفريد .

ولقد توصلت البعثات الى وضع خطة أساسية لصيانة « اورو بريتو » . والخطة تقترح تعليمات خاصة بتخطيط المدينة تتمثل فى وضع اسس بالنسبة للمنشآت الجديدة فى المدينة وعلى التلال المحيطة بها التى كان يهددها تكاثر المبانى الحديثة غير الملائمة للمناظر الخلوية الطبيعية والحضرية .

وتضع الخطة الرئيسية تخطيطا لحلول مشكلات المرور وأماكن الانتظار ، وتتضمن برنامجا لتجديد كافة المنشآت السفلية بما فى ذلك المجارى ونظم مياه الشرب وخدمات الكهرباء والتليفون ، فضلا عن خطة لصيانة الأماكن المكشوفة ، وترميم كثير من المبانى التاريخية . كما تقترح أيضا انشاء مؤسسة تكون مسئولة عن تنسيق هذه البرامج وتنفيذها .

اصفهان (ايران)

اصفهان التى يرجع تاريخها الى اكثر من ٢٫٠٠٠ سنة تتكون من جزءين واضحين تمام الوضوح : المدينة الصفوية بآثارها الباهرة ، ومبانيها التى يرجع تاريخها الى ما قبل العصر الصفوى ، بما فى ذلك واحد من أمجاد العمارة فى اصفهان هو مسجد الجمعة .

ومن وجهة نظر العالم الثقافية ، ومن وجهة نظر تخطيط المدينة والسياحة ، فان هذه المدينة الايرانية الأثرية تقف على قدم المساواة مع مدينة البندقية . ومثلما انتقل التاثير الثقافى لمدينة البندقية الى الغرب فكذلك كان لاصفهان اثرها على ثقافة وفن الشرق . واصفهان بسوقها الراهن الآن . وبخط افقها ، الذى مازال على حاله لم يمس ، تقدم لك مشهدا ساحرا .

ومع ذلك فان اصفهان فى خطر بالغ من جراء نموها المطرد : فلقد تضاعف تعداد سكانها خلال العشر السنوات الأخيرة نتيجة لدخول الصناعة وتدفق المهاجرين من المزارع المحيطة .

وبالرغم من ان المنشآت الصناعية قد لا يصرح ببنائها داخل مسافة ٥٠ كيلو مترا من اصفهان فان وجودها يخلق احتياجات جديدة داخل المدينة . ومن ثم فان التطور الحضرى على مقياس كبير قد اضحى ضروريا لتحسين الظروف المعيشية ولتسهيل تدفق البضائع والمرور فى المدينة ، وقد ادى هذا الى بناء مطار جديد وسكة حديد وجامعة ، والى ادخال تعديلات فى تخطيط شوارع معينة .

ومن ثم فان ايران ، مثل كثير غيرها من البلدان ، تواجه مشكلة خطيرة : كيف يمكن ان حسب حساب تدين مدينة ونموها الاقتصادى فى الوقت الذى يجب الحفاظ فيه على تراثها الثقافى . فى أصفهان وضعت الحكومة الايرانية لنفسها اربعة أهداف : ان تجدد ، وتصون ، وأن تمدن ، وتتوسع .

وقد شكلت لجنة خاصة تحت رعاية صاحبة الجلالة امبراطورة ايران لتنسيق عمل كافة الخدمات الحكومية المسئولة عن تنفيذ الخطة .

وقد عاونت اليونسكو فى الاعداد لمشروع أصفهان بالامداد بالخبراء اللازمين للتخطيط والتشاور . وفيما يتصل بهذه النقطة أرسلت خمس بعثات استشارية الى ايران تحت بند برنامج التنمية التابع للامم المتحدة ، وهناك جدول زمنى لبعثات اخرى ستتوجه الى ايران فى المستقبل القريب .

●●●

ولقد اشتركت اليونسكو ايضا ، او ستشترك فى القريب العاجل ، فى النشاطات القومية من اجل صيانة وترميم مدينة تونس ، وقصبة الجزائر ، ومدينة فاس (المغرب) ، ودير ومكان مدينة اشترناخ (لكسمبورج) ، ومدن هراة (افغانستان) ، ولا هور (باكستان) ، وسان سلفادور ، وباهيا (البرازيل) . وكوزكو (بيرو) ، وكارتاجينا ، وانديـاس (كولومبيا) ، وجوندار (أثيوبيا) ، بالاضافة الى قصر فومبان لـ الكميرون) والآثار التاريخية فى السنغال ، عند سنت لويس وعلى جزيرة جوريه . ولعل ابرز مثل على التعاون الذى قامت به اليونسكو لصيانة المدن القديمة هو ما يتمثل فى الحملة العالمية التى كانت هى اول من بدأ بها فى سنة ١٩٦٦ لصيانة مدينة البندقية .

مؤتمر اليونسكو العام ينتهى

انتهى

دور انعقاد مؤتمر اليونسكو العام الثامن عشر، الذى افتتح فى ١٧ اكتوبر ١٩٧٤ ، وفى ٢٣ نوفمبر بعد انتخاب مدير عامجديد هو السيد «امادو ماتهار م، باو » ، واقرار برنامج لليونسكو ، وميزانية بلغت ١٦٩٫٩٩٢٫٠٠٠ دولار لعامى ١٩٧٥ و ١٩٧٦، ويتكون مؤتمر اليونسكو العام من ممثلين حكوميين لجميع الدول اعضاء اليونسكو .

وفى اثناء هذه الدورة التى انتخبت فيها «ماجدا جابورو» المجرية رئيسة للمؤتمر العام ارتفع عدد الدول الأعضاء فى اليونسكو من ١٣٢ الى ١٣٥ ، مع الموافقة على دخول جمهورية كوريا الشعبية ، وغينيا بيساو ، وجمهورية سان مارينو . والموافقة على قبول ممثلين للاربع عشرة حركة من حركات التحرير الافريقية كمراقبين ، وكذلك لمنظمة تحرير فلسطين . وقد عبر المؤتمر عن «الأمل الوطيد فى ان تنضم فلسطين الى جماعة الدول فى نطاق المنظمات الدولية بما فيها اليونسكو » .

واتخذ المؤتمر ، عقب حوار حول السياسة العامة، قرارا يذكر بان «مئات الملايين ممن يتهددهم الفقر والجوع والمرض والجهل لم يصلوا بعد الى عتبة الكرامة الانسانية » . ويؤكد هذا القرار ان « الدفاع عن حقوق الانسان والحريات الأساسية ومكافحة التحريض على الحرب والاستعمار، والاستعمار الجديد، والتعصب للسلالة ، وسياسة التمييز العنصرى ، وكل صور الاضطهاد والتمييز الأخرى وتعزيزها ، هى واجب اليونسكو الأول » .

واقترح فى اثناء انعقاد المؤتمر العام بعد مناقشة طويلة على قرارات عدة تتعلق باسرائيل .

وكانت المنظمة منذ انعقاد مؤتمر اليونسكو العام فى سنة ١٩٦٨ قد ارسلت فى مناسبات متكررة مناشدات ملحة الى اسرائيل «للكف عن احداث اى تغيير فى المعالم الثقافية والتاريخية فى بيت المقدس وبخاصة فيما يتعلق بالاماكن الدينية المسيحية والاسلامية » . وفى مستهل هذا العام كان مجلس اليونسكو التنفيذى فى دور انعقاده الـ ٩٣ (من ٢٠ مايو الى ٢٨ يونيه ١٩٧٤) قد «ادان اسرائيل بانتهاك القرارات التى اتخذها المؤتمر العام والمجلس التنفيذى فيما يتعلق بهذا» وفى ٢٠ نوفمبر ١٩٧٤ اقترح المجلس التنفيذى لمؤتمر اليونسكو العام على قرار «يدين اسرائيل على موقفها المناقض لأهداف المنظمة المنصوص عليها فى دستورها «ويدعو القرار المدير العام «الى منع المعونة عن اسرائيل فى مجالات التعليم والثقافة الى ان تحترم بدقة الأحكام والقرارات الآنف ذكرها » .

واقترع المؤتمر العام – بالاضافة الى هذا – على قرار بدعوة اسرائيل للامتناع عن اى عمل يحرم السكان فى المناطق العربية المحتلة من ممارسة حقوقهم فى التعليم القومى والحياة الثقافية » .

واتخذ المؤتمر العام عددا من القرارات المتعلقة بالسلام العالمى وحقوق الانسان ومساواة النساء ، واقامة نظام اقتصادى دولى جديد ، .. الخ . كما اتخذ قرارا خاصا بشيلى يدعو الى التوقف مباشرة عن انتهاك حقوق الانسان والحريات الاساسية فى شيلى ، ويطلب الى المدير العام اتخاذ الاجراءات لضمان الاحترام الكامل لحقوق الانسان فى تلك الدولة .



الافريقى يعين لاول مرة مديرا عاما لليونسكو

ان اول افريقى يصبح مديرا عاما لليونسكو ، انتخبه مؤتمر اليونسكو العام فى ١٤ نوفمبر ١٩٧٤ ، هو «امادو ماهتار م، باو» السنغالى (الى اليمين فى الصورة العليا) الذى يمارس عمله لمدة ست سنوات خلفا للفرنسى رينيه ماهى (فى الصورة الى اليسار) الذى ظل مديرا عاما منذ سنة ١٩٦٢ .

بعد ان التسم السيد م، باو يمين الوظيفة اعلن انه «منذ الآن اعتبر مواطنا لكل بلد من بلادكم وخادما لجميع الدول الاعضاء فى جملتها .

وقال لمندوبى ١٣٥ دولة من الدول الاعضاء فى اليونسكو انه متأكد من ان ملايين الرجال والنساء سيعتبرون انتخابه « خطوة فى طريق القضاء على الاجحاف الذى كثيرا ما دفع التاريخ العالمى بصورة فاجعة ، ودليلا على الرغبة فى التعاون الدول على اسس اكثر مساواة .

«ومادام كل منا يتميز بالبيئة التى ولد فيها وكبر ففى روح الشعب الافريقى وفى حكمته قبل كل شىء ساجد مرشدا لأعمالى. واننى لأعتبر انتخابكم كعلامة لتقديركم واحترامكم لأقاليم وشعوب العالم الثالث التى كانت مقصورة امدا طويلا على دور هامشى فى اتخاذ القرارات وممارسة النفوذ على مستوى عالمى» .

وقال السيد م، باو : ان اليونسكو لاتستطيع اليوم اكثر من اى وقت مضى تعقب الأحداث العالمية ، » ولكنها يجب ان تاخذ مكانها باصرار فى طليعة الحركة المضاعفة لتحرير الشعوب التى يتسم بها عصرنا » .

اسرائيل واليونسكو — بيان السكرتير العام لليونسكو

فى ضوء سوء التفاهم الذى ظهر فى الصحافة الدورية ابان الاسابيع القليلة الماضية ، الخاص بالقرارات التى اقترع عليها فى الدورة الأخيرة لمؤتمر اليونسكو العام ، والتى اثرت فى اسرائيل ، ترغب سكرتيريةاليونسكوفىتاكيد الحقائق التالية :

١ – ان اسرائيل « لم تستبعد من اليونسكو ، وليس فى القرارات التى اتخذت ما يؤثر فى استمرار عضوية اسرائيل فى اليونسكو ، وبوصفها دولة عضوا يمكنها الاسهام فى جميع انشطة المنظمة كما كانت من قبل ، بما فى ذلك كل الاجتماعات والمؤتمرات. وسيستدعى العلماء والمربون الاسرائيليون لمساعدة المنظمة كما كانوا يفعلون فى الماضى ، والمأمول ان يستمروا فى عمل هذا .

٢ – لم تدرج اسرائيل كطلبها ضمن المجموعة الأوربية الاقليمية التابعة لليونسكو ، احدى المجموعات الاقليمية الخمس لأهداف البرنامج الذى انشاه المؤتمر العام ، ومع ذلك يمكنها المشاركة كمراقب فى المؤتمرات الأوربية الاقليمية او غيرها كما كان من قبل .

٣ – وفيما يتعلق ببيت المقدس دعا المؤتمر العام المدير العام « لمنع المعونة عن اسرائيل فى مجالات التعليم والعلم والثقافة الى ان تحترم بدقة . قرارات المؤتمر المقدم السابقة فيما يتعلق بالمبانى الأثرية والحفاظ على الطابع التاريخى لبيت المقدس . ويعتزم المدير العام تنفيذ هذا القرار بامانة ، وقد ابلغ المؤتمر العام بهذا فعلا . ويعنى هذا القرار فى الوقت الحاضر منع المساعدة التى تقدمها اليونسكو طبقا لبرنامج المعونة ، ومعلوم ان اسرائيل تلقت ٢٤٠٠٠ دولار عن عام ١٩٧٣/١٩٧٤) .

٤ – وفيما يتعلق بالمساعدة المحتملة لمنظمة تحرير فلسطين لم تتلق السكرتيرية مثل هذا الطلب الذى يجب ان ياتى عن طريق جامعة الدول العربية وفقا للقرار الوثيق الصلة بالموضوع . وهناك تفويض للمساعدة تحت برنامج بند المشاركة ، كان جزءا من قرارات اوسع لضم حركات التحرير الافريقية التى اعترفت بها منظمة الوحدة الافريقية ، وكذلك منظمة فلسطين التى اعترفت بها جامعة الدول العربية الدول العربية بالاضافة الى انشطة المنظمة .

وقد قدمت اليونسكو المعونة لحركات التحرير الافريقية فى مجال التعليم .

٥ – واخيرا هناك قرار اضافى للمؤتمر العام دعا المدير العام « لممارسة الاشراف الكامل على عمل المؤسسات التعليمية والثقافية بالأراضى المحتلة والتعاون مع الدول العربية المعنية ، ومنظمة تحرير فلسطين ، بهدف تزويد السكان فى الأراضى المحتلة بكل وسائل التمتع بحقوقهم فى التعليم والثقافة» .

ويدرس المدير العام وسائل تنفيذ هذا القرار . وقد نصح المؤتمر العام بضرورة جمع قدر كبير من المعلومات ، ويمكن اجراء استشارات تمهيدية قبل عرض مشكلات عملية معينة على مجلس اليونسكو التنفيذى للاستشارة قبل التنفيذ .

(توقيع)

البرتو اوبليجادو

السكرتير العام المساعد للاعلام

رسائل القراء

ان والدى ، اليزجليت ، سجية متحمسة «للرسالة» ، وهى تكتب عن العدد الخاص بالبيرونى (يوليه ١٩٧٤) : التى لم اسمع عنه مطلقا ، وقد مضنى الجزء الخاص بالفلسفة ولكن البقية كانت اشبه بالعثور على كنز .

ا. جيليت
باريس ، فرنسا

لقد استمتعت بعددكم الخاص بالبيرونى، حيث ان المرء لايجد غير فرص قليلة جدا للتعرف على الشخصيات العظيمة فى الثقافة الآسيوية .

ان قيام « رسالة اليونسكو » كحلقة اتصال بين ثقافات العالم ان هو الا انجاز مثال هام تقوم به اليونسكو . فتهانينا لكم بالعدد كله - ترجمات كتابات البيرونى ، والعرض الممتاز للنصوص والصور التى لاتوضح محتويات المواد وحسب ، بل توصل الآراء والافكار التى لايمكن ان تعبر عنها الكلمات .

لويز ماركو فاكوندى
ساوباولو البرازيل

ان سؤالكم القراء « هل تريدون عددا عن الموسيقى الشعبية ؟ » قد ادى الى حصيلة ساحرة من الاجابات على صفحة رسائل القراء (عدد مايو ١٩٧٤) مع بعض الجماعات موحية مع الموسيقى الشعبية وضدها .

ان هناك جدلا مستمرا يستحق فى الحقيقة تقويما . ولكنى اخشى ان يكون هذا النوع من «التحيز» وراء متناول «رسالة اليونسكو» ولربما كان الاقرب الى المنطق ترك العواطف لتخمد قبل محاولة البحث عن حكم غير متحيز .

لقد خصصت « رسالة اليونسكو » مساحة كبيرة للموسيقى ، ووجهت اهتماما ضئيلا الى الدراما والمسرح . وعرض المنوعات والتمثيل الصامت ، والسرك ، وهو فن قديم قدم التلال ومع ذلك فهو جديد دائما . انى احب رؤية السرك والمسرح اللذين تسحم لهما مكانا على صفحات مجلتكم .

الكسندر ستيانوف - طالب
موسكو . الاتحاد السوفيتى

انى بخلاف خصوم الموسيقى الشعبية سارحب بعدد فيه تحليل شامل لهذا الاتجاه فى الموسيقى . هل هى شئ جديد فى اللحن والايقاع واساليب اخرى من التعبير الموسيقى؟ ام انها ليست مبتكرة وثورية كالمعجبين بها الذين لايبدو من الصعب ان يصرحوا ان تصدقهم ؟ .

ان آراء المتحمسين للموسيقى الشعبية قلما تكون مقنعة . فهل الموسيقى الشعبية جذابة وحسب بسبب « عنفها وريائها واستخدامها الآلات العالية من كل قارة » ؟ لا يمكن لاحد ان يعترض على سعة استخدام مختلف الآلات الموسيقية الوطنية ، ولكنى اعتقد ان معظم الناس اليوم يصعب عليهم الاتفاق على فكرة ان المستقبل ينتمى الى اولئك الذين امتلأت قلوبهم « بالعنف واليأس » .

ا . جيلرونسكى
تولا . الاتحاد السوفيتى

لقد شهد هذا العام الاحتفال بذكرى القرن الثامن لمعتقدات وتعاليم «والدو» وقد قاسى الوولدويون الاضطهاد ابان القرون السبعة ولم تكن حركتهم فلسفية ودينية ، ولكنهم قدموا مثالا مبكرا للتحرر الاجتماعى الذى اسهمت فيه النساء بدور ايجابى فى حياة الجماعات الوولدوية .

ومن الأمور غير العادية ايضا فى القرون الوسطى ان معظم الوولدويين تعلموا القراءة والكتابة ، وهم الذين نشروا فى عام ١٥٣٢ اول انجيل طبع بالفرنسية . وهو يعرف بانجيل نيوشاتل ، ثم عرف فيما بعد « بانجيل ليون » وجمع فلاحو الجماعات الوولدوية فيما بينهم ١٥٠٠ ايكو (قطعة فضية من العملة الفرنسية) لدفع نفقات النشر . ان هذا المشروع الفريد يستحق التنويه به .

ج . جروليير
اميكال دى لوبيرون . فرنسا

ملاحظة رئيس التحرير : ان جانجروليير هو مؤلف كتاب عن تاريخ وفلسفة حركة وولدو التى تأسست فى فرنسا فى القرن الثانى عشر ، واسم هذا الكتاب هو «من هم الوالدوويون ؟» .

يقرر روجيه ريفيل فى مقالته « هل تستطيع الأرض اطعام الجماهير المتزايدة ؟ » (المنشورة فى عدد اغسطس/سبتمبر ١٩٧٤) ان هناك حاجة الى جزء كبير من الأرض الزراعية المتاحة لانتاج طعام للماشية .

لاشك ان هذا محض خرافة مادامت الماشية ليست ضرورية لغذاء الانسان او بقائه ، والواقع ان تربيتها يمكن ان تتناقص ، وتستخدم الأرض الخالية فى انتاج الاطعمة البروتينية للاستهلاك البشرى .

وهناك كتابات كثيرة فى هذا الموضوع . وآمل ان تظفر منكم بعناية كاملة فى الأعداد المقبلة .

ج. ايدل
رئيس مجموعة لندن لجماعة الثيوصوفية
للخدمة . لندن ، المملكة المتحدة

ملاحظة رئيس التحرير :

ربما يكون السيد «ايدل» نباتيا . ولكن عددا وافرا من سكان العالم ليس كذلك لسوء الحظ .

---

(١) فرقة نظرانية نشأت فى جنوب فرنسا بعد عام ١١٧٠ بزعامة بيير وولدو المترجم .

على خطوات كوبرنيق :

لقد فتنى عدد « رسالة اليونسكو» المنشور بعنوان « «كوبرنيق . رؤية جديدة للكون » (مايو ١٩٧٣) حتى اننى قررت دراسة الفلك، انى اعجب كثيرا جدا بكوبرنيق وغيره من رواد «الفلك الحديث» . جاليليو ، وتيخو براهى ، وكبلر ونيوتن .

جوان الفونسو سوسا
عمرى ١١ سنة بمدرسة جوزيه ا. اتشيفيريا
هافانا ، كوبا

اول كتاب روسى مدرسى مطبوع

فى هذا العام ١٩٧٤ يحتفل الشعب السوفيتى بالعيد الاربعمئة لأول كتاب روسى مدرسى مطبوع . وقد صنف الكتاب المدرسى وطبعه ايفان فيودوروف فى فبراير سنة ١٥٧٤ فى ليفوف ، وهى مركز ثقافى عظيم فى اوكرانيا الغربية ، ثم اصبحت جزءا من بولندة .

ويبنى الكتاب على مادة من اصل مسكوى، ولكنه يتضمن ايضا ترجمة عربية لكتاب بلغارى . ولم يستعمله الروسيون والاكرانيون والبيلوروسيون فقط ، بل استخدمه السلاف الجنوبيون ، ومن ثمة يمكننا القول بان اول كتاب مدرسى روسى مطبوع يرمز الى التعاون الثقافى بين الشعوب السلافية الستة .

ف. ا. سيتين
موسكو . الاتحاد السوفيتى

آفاق جديدة فى التعليم الخاص

تهانى الحارة للعدد الذى اصدرتموه فى ابريل ١٩٧٤ عن المعوقين ، وخاصة مقال « آفاق جديدة فى التعليم الخاص » . لأن مقال المنشور فى العدد لم يكن من المستطاع ان يتحسن .

كان من التوافق السعيد أن هذا العدد ظهر فى وقته لأن الاتحاد العالمى لمنظمات مهنة التدريس عقد مؤتمره السنوى فى دبلن فى شهر ابريل ، وكان الموضوع التعليم للتلاميذ ذوى المتطلبات الخاصة . وكانت « رسالة اليونسكو » متاحة بالانجليزية والفرنسية . وكانت المجلة برمتها مصدرا لتعليقات كثيرة مرضية من المشتركين فى هذا المؤتمر الدولى .

ويشكل العدد ايضا قراءة خلفية ممتازة للبحث الذى القيته انا فى مؤتمر عن تدريب هيئة الموظفين للمعوقين الكثيرين ، الذى عقد فى هذا العام فى ساوباولو بالبرازيل .

جون ماكينا
دبلن . جمهورية ايرلندا

الطاقة من الشمس

تهانى بعدد مجلتكم «الطاقة من الشمس» (فبراير ١٩٧٤) . فى رأيى ان هذا هو نوع الموضوع المثال «لرسالة اليونسكو» . فهو موضوعى وله اهمية اقتصادية (وانسانية اذن) ، ويمكن ان يساعد كثيرا على تحسين ظروف الحياة فى الدول التى لاتزال فى مرحلة النمو (ولاننسى الدول الأكثر حظا) .

ج. بيرا
ليون ، فرنسا



يزيل
رائحة
العرق

ليلاك لوريول

شركة القاهرة للزيوت والصابون

إنتاج

إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الغذائية

شركة مصر لتجارة السيارات

في خدمة عملائها

محطات الخدمة منتشرة

محطة خدمة الجلاء
١٠ شارع الجلاء تليفون: ٧٣١٢٣
لصيانة وإصلاح سيارات مرسيدس ركوب

محطة خدمة امبابة
٥٠ شارع النيل تليفون: ٨٠٩٨٤٩
لصيانة وإصلاح السيارات فولكس واجن

محطة خدمة مصر الجديدة
٤ شارع الأدريسي بمنشية البكري
ت ٦٠٤٠٦ لصيانة وإصلاح سيارات الفولكس واجن

محطة خدمة الإسكندرية
محطة الرمل - تليفون: ٢٣٣٨١
لصيانة وإصلاح سيارات الفولكس واجن



تغطية كاملة لاحتياجات القطاعات المختلفة في الدولة من السيارات والأتوبيسات واللوريات والمقطورات وقطع غيار السيارات بمختلف أنواعها

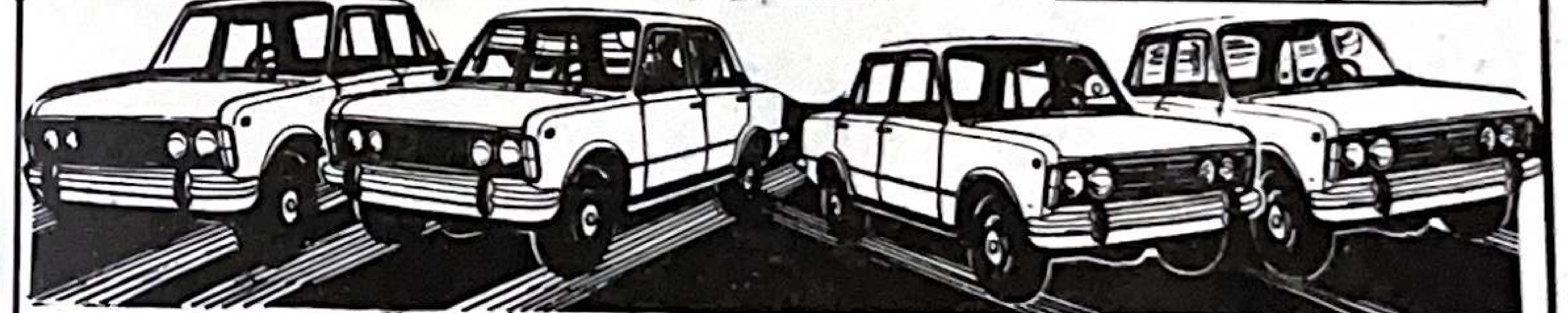
حائزي السيارات
بالقاهرة والإسكندرية

محطة خدمة نصر
١٢ شارع عبد الخالق ثروت تليفون: ٤٥٨٢٠
لصيانة وإصلاح سيارات نصر ركوب

محطة خدمة الجمهورية
١٠٥ شارع الجمهورية تليفون: ٩٠٥٠١١
لصيانة وإصلاح طلمبات حقن الوقود

محطة خدمة عمرة
١٢٠ شارع بورسعيد تليفون: ٨٣١٨٠٦
لصيانة وإصلاح سيارات المرسيدس نقل

محطة خدمة الإسكندرية
محطة الرمل تليفون: ٢٣٣٨١
لصيانة وإصلاح سيارات مرسيدس ركوب



إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للتجارة - ١٢ ش عبد الخالق ثروت - القاهرة - ت ٤٣٦٥٥ - ٤٥٥٩٨ / توكيلات: مرسيدس / فولكس / نصر / اوتوبيانكي

صفحات اضافية خاصة بالطبعة العربية

شركة النصر للأغذية المحفوظة

إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الغذائية

المركز ٤٣ شارع عبد الخالق ثروت / القاهرة

الإدارة التجارية ٢٥ شارع طلعت حرب / القاهرة

"قها"

كانت القرارات الإشتراكية في يوليو ١٩٦١ منطلقاً جديداً لتطور ثوري في قطاع الصناعات الغذائية، فقد بدأت شركة النصر للأغذية المحفوظة "قها" تترجم هذا التطور في مشاريع متعددة.

فتضم الآن الشركة ٧ مصانع في مناطق مختلفة بجمهورية مصر العربية وهي مصنع "قها" - مديرية التحرير - الطابية - أبوكبير، وفي عام ١٩٧٢ تم إدماج ثلاث مصانع أخرى للشركة وتختص بتجفيف البلح والزبيب وتوجد بالقرين ورشيد والبدرشين ويضاف لذلك مصنع قها الجديد ويعتبر أول مجمع لتصنيع المعلبات بالشرق الأوسط.

أما منتجات الشركة، فأهمها العصائر بجميع أنواعها (خوخ - مانجو - جوافة - برتقال - مشمش) المربات والخضروات والصلصة والخضروات باللحم - الخضروات بالخل - والكتشب صلصة باللحم المفروم (صوص بولونيز). فول مدمس - بقوليات - مخللات. شربات طبيعي وصناعي، العجوة بأنواعها - الزبيب.

وتقوم الشركة باستكمال هذا العمل الضخم فتصدر تلك المنتجات لجميع دول العالم وفي مقدمتها الدول العربية وبعض الدول الأوربية حتى وصل إنتاجها لأسواق أستراليا ودول أمريكا اللاتينية.

إن ما تقوم به شركة النصر للأغذية المحفوظة "قها" نموذج لما حققته حركة التصنيع الضخمة في جمهورية مصر العربية.

"مع تحيات شركة قها"

شركة مصر للتجارة الخارجية

إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للتجارة الخارجية



المركز الرئيسي: ١ شارع قصر النيل / القاهرة ت: ٧٠٠٧٥ / ٥٢٩٦٩ / ٧٤٨٢٣.

العنوان التلغرافي: مصركومكس تلكس ٢٢٣ مصركومكس.

الفروع الداخلية: ٧ شارع الفلكي / القاهرة ت: ٤٩٤٧٠.

١١ شارع سيزوستريس / إسكندرية ت: ٣٢٥٩٧ / ٣٢٣٩٢ / ٨٠٠٢١٨

المخازن: شارع عبد الحليم محمود / مسطرد بجوار مصانع بوليتكس ت: ٨٧٦٩٢٩

تنشط الشركة على توفير المواد الغذائية من قمح ودقيق وذرة وتقوم باستيراد الأسمدة والمبيدات والكيماويات والأصباغ والمواد المساعدة لتغطية احتياجات البلاد من هذه المواد، كما أنها تقوم بعمليات التصدير في كافة المنتجات الزراعية والصناعية إلى دول أوروبا وآسيا وأفريقيا وأمريكا.



شركة النصر للتصدير والإستيراد

٢٨ شارع طلعت حرب - القاهرة ت ٧٧٨٣٠ تلغرافيا: شنتام



• الدفع :
بالعملة الحرة .
• الإستلام :
بالإسكندرية .
• • •
• محطات خدمة
لصيانة السيارات
• قطع الغيار متوفرة
بالأسعار الرسمية

الوكلاء الوحيدون
لسيارات

PEUGEOT بيجو



هدية العام

تميد
TIMIDE

پارفان اسپراى

قسمة

شركة السكر والتقطير المصرية

الإدارة العامة للعطور
٥٠ شارع الجمهورية - القاهرة



شركة مصر للمستحضرات الطبية

إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للأدوية

تساهم الشركة بمستحضراتها الدوائية والتى حازت ثقة الأوساط الطبية بكافة الدول العربية لتغطية أغلب الأغراض العلاجية وذلك تحقيقاً لسياسة الاكتفاء الذاتى لتصنيع الدواء وجعله فى متناول كل مواطن فى كل ركن من الوطن العربي .

• تبذل كافة المجهودات من مختلف المستويات بالشركة لتحقيق أعلى قدرة من الجودة شكلاً ونوعاً وفاعلية وأنسب سعراً لتنافس بمستحضراتها مثيلاتها الأجنبية .


• إنتاجها يغطى أغلب المجموعات الدوائية.
تصدر إنتاجها المتنوع والذى حاز ثقة الأطباء والصيادلة العرب إلى كافة الدول العربية الشقيقة .

• لبنان • الأردن
• السودان • الكويت
• السعودية • سوريا
• العراق • اليمن

الإنتاج :

• مضادات الميكروبات • مركبات السلفا
• الهرمونات • المقويات والفيتامينات
• أدوية السعال • أدوية الربو الشعبى
• أدوية الروماتيزم • أدوية الدرن
• أدوية الإسهال • أدوية الدوسنطاريا
• أدوية الحموضة والهضم • أدوية الكبد والمرارة
• المليِّنات • أدوية الديدان المعوية
• أدوية المسالك البولية • أدوية المغص
• مضادات الحساسية • أدوية الملاريا
• أدوية العين • أدوية الأنف والأذن
• أدوية الجلد

• الإدارة العامة والمصانع : ٩٢ شارع المطرية العمومى - القاهرة
• العلاقات العامة والمكتب العلمى : ٣٤ شارع قصر النيل - القاهرة



وادي
كاتماندو

أنظر صفحة ٣

(الصورة لمارلين سلفرستون ، ماجنوم ، باريس)

نافذة على العالم

رسالة اليونسكو



١٠ قروش

العدد ٢٤٧ ١٩٨١

الكاريبي : ملتقى الثقافات



مقعد الشرف

هذا «الدوهو»، أو الكرسي الرسمي المحفور في جذع شجرة جوا يقوم على شكل وحش مخيف يعد مثلا طيبا على مهارات هنود تاينو في حفر الخشب. وهؤلاء الهنود هم من الشعوب الفطريين الذين سكنوا منطقة الكاريبي قبل وصول الأوربيين. وعندما نزل كريستوفر كولمبس إلى البرق سانتود ومينجو عام ١٤٩٢ دعاه الهنود الذين حيوه إلى أن يجلس على «دوهو»، أو مقعد الشرف المخصص لذوى الرتب العالية. ومن المعتقد أن هذا النموذج النادر المحفوظ الآن في متحف الإنسان بباريس واحد من مقاعد كثيرة عاد بها كولمبس إلى أوربا.

تصوير: جوزيه أوستر متحف الإنسان بباريس.

كنوز الفن العالمي

١٦٨

هايتي

رسالة اليونسكو

اليونسكو

تصدر شهريًا

في ٢٥ لغة

عن

هيئة اليونسكو

ميدان فونتنوا - باريس - ٧

رئيس التحرير

جان جودان

وتوجه إلى سيادته جميع الرسائل

في باريس

الطبعة العربية لرسالة اليونسكو

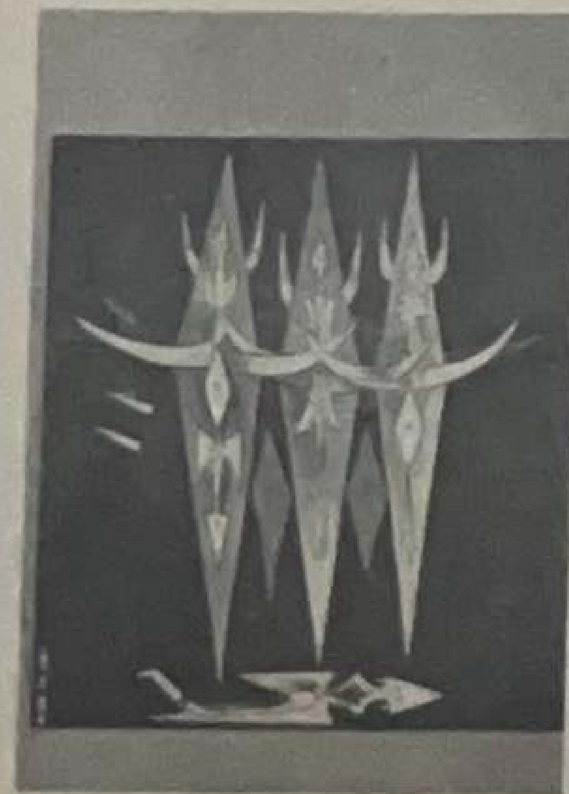
١ - شارع طلعت حرب - القاهرة

تليفون: ٧٤٢٥٠٢ / ٧٤٠١٧٥

رئيس التحرير

عبد المنعم الصاوى

في هذا العدد



صورة الغلاف

بوصول كريستوف كولمبس والأسبان عام ١٤٩٢ إلى جزر البحر الكاريبي، بين مآسى الاستعمار وتجارة الرقيق الأسود، بدأت عملية تهجين ثقافي لم يسبق لها مثيل. فقد راح الأوربي يختلط بالهندى، وخاصة بالأسود، فيكون معهم مجموعة تاريخية واقعية، متنوعة السمات، ولكنها مع ذلك موحدة في تكويناتها وأحوالها المعيشية الرئيسية. وقد خصص هذا العدد من «رسالة اليونسكو» لهذه البوتقة الفسيحة من الثقافات، وهي منطقة البحر الكاريبي. ولهذا الاندماج الذي يتأتى للجنس البشري أن يرى فيه لحظة من أعجب وأخصب اللحظات في تاريخه، وعلامة تبشر بمستقبله. ولضيق المجال لم يعالج العدد سوى موضوع جزر الأنتيل - أرخبيل البحر الكاريبي - تاركا مناطق القارة الأمريكية التي تنتمي هي أيضا بتاريخها وجغرافيتها إلى المنطقة الكاريبية. وعلى الغلاف صورة «أميرال»، (١٩٤٩ - ١٩٥٠)، وهي صورة زيتية على قماش بريشة المصور الكوبي ويفردو لام.

(تصوير: لوك جوبير - المتحف الأهلي للفن الحديث، باريس).

الكاريبي : ملتقى الثقافات

رحلة عبر التاريخ والأماكن في جزر الأنتيل .

لعبت جزر البحر الكاريبي دورا ممتازا في تاريخ القارة الأمريكية والعالم : فعن طريقها تكشف أول كل شئ منظر طبيعي آخر ، ونباتات وأراض أخرى . ومن خلال وصف رحلة كريستوف كولومبس ، والمذكرات اليومية التي بعث بها الى الملوك الكاثوليك ظهرت أمريكا على خريطة العالم وفي عقول ... ولأول مرة استطاع الإنسان أن يتصور الأرض ... أنها كروية ، وأصبح في مقدوره أن يستكشفها و... وجهته ، كما عرف لأول مرة في التاريخ العالم الذي ... فيه .

وإنه لحدث لا يمكن تقدير كل ما له من أهمية ... يمكن القول إنه يقسم تاريخ الجنس البشرى الى ... كبيرتين ، إحداهما قبل اكتشاف أمريكا ، والثانية بعد اكتشافها .

هاكم إذن أمريكا وقد اكتشفت . و... وسلسلة من الأحداث المتزامنة ، أمست تلك الأرض ... وبخاصة جزر الكاريبي ، مسرحا لأول لقاء وتعايش ... أجناس لم تتقابل من قبل : الجنس الأوروبي الأبيض ، والجنس الهندى الأمريكي غير المعروف في ذلك الحين ، والجنس الأفريقي الأسود المعروف في أوربا ، ولكنه ... في الجانب الآخر من المحيط الأطلسي . تعايش هائل ... بإمكانيات ثقافية غير مألوفة ، ويحمل حضارة أصيلة ... الأصالة .

وما أن تم هذا الكشف ، وثبتت معالم هذه ... الجديدة كما كانوا يسمونها ، حتى ظهر عنصر سلبي ... عنصر الخلاق . فما هو العنصر السلبي ؟ ذلك هو ... الاستعمار التي تولدت مع اكتشاف أمريكا . فمن قبل ... الإسبان ؟ وبخاصة البرتغاليون الذين برعوا في الملاحة ، وكذا الإنجليز والفرنسيون ، فقد ارتادوا ما كانوا يسمونه «جزر التوابل» ، ولكن لم يخطر لهم البتة أن ينشئوا في الهند وعلى طول السواحل الأفريقية مستعمرات حقيقية ، بل أنشأوا وكالات تجارية ، تمارس التجارة ، ويقيمون هم أحيانا في تلك الجهات في مجموعات من عشر أسر الى خمس عشرة أسرة في كل وكالة ، دون أن تتوطد بذلك فكرة الاستعمار .

أليخو كاربانتيه : من كوبا ، من أكبر كتاب القصص باللغة الإسبانية . من أعماله التي ترجمت إلى عدة لغات نذكر : «استطياد الإنسان» ، «عصر الأنوار» ، «استخدام المنهج» ، الخ ، كذلك ألف «تاريخ الموسيقى في كوبا» ، وكتب العديد من المقالات والأبحاث في الأدب والموسيقى الأمريكية اللاتينية . توفى عام ١٩٨٠ . ويتكون النص المنشور هنا من فقرات كبيرة من محاضرة ألقاها في التليفزيون الكوبي في الاحتفال بالعيد الكاريبي «الكاريفستا» عام ١٩٧٩





خريطة هولندية من عام ١٦٦٢ ، نتعرف فيها على القوس الذى ترسمه جزر البحر الكاريبي

جزر البحر الكاريبي	عدد السكان		عدد السكان
انتيجوا	٧٤٠٠٠	المارتينيك	٣٢٥٠٠٠
جزر الأنتيل الهولندية	٢٤٦٠٠٠	موسيرا	١٣٠٠٠
جزر بهاما	٢٢٥٠٠٠	بويرتوريكو	٣٣١٧٠٠٠
باربا دوس	٢٦٥٠٠٠	جمهورية الدومينيكان	٥١٢٤٠٠٠
جزر برمودا	٥٨٠٠٠	سان كريستوف ، نيفيس ، وانجويلا	٦٧٠٠٠
جزر كايمان	١٢٠٠٠		
كوبا	٩٧٢٨٠٠٠	سنت لوشيا	١١٣٠٠٠
دومينيكا	٨١٠٠٠	سان فنسان وجرينادين	٩٦٠٠٠
جرينادا	٩٧٠٠٠	ترينداد وتوباجو	١١٣٣٠٠٠
جوادلوب	٣٣٠٠٠٠	جزر تيرك وكايكوس	٦٠٠٠
هايتى	٤٨٣٣٠٠٠	جزر العذراء البريطانية	١٢٠٠٠
جامبكا	٢١٣٣٠٠٠	جزر العذراء الأمريكية	١٠٤٠٠٠

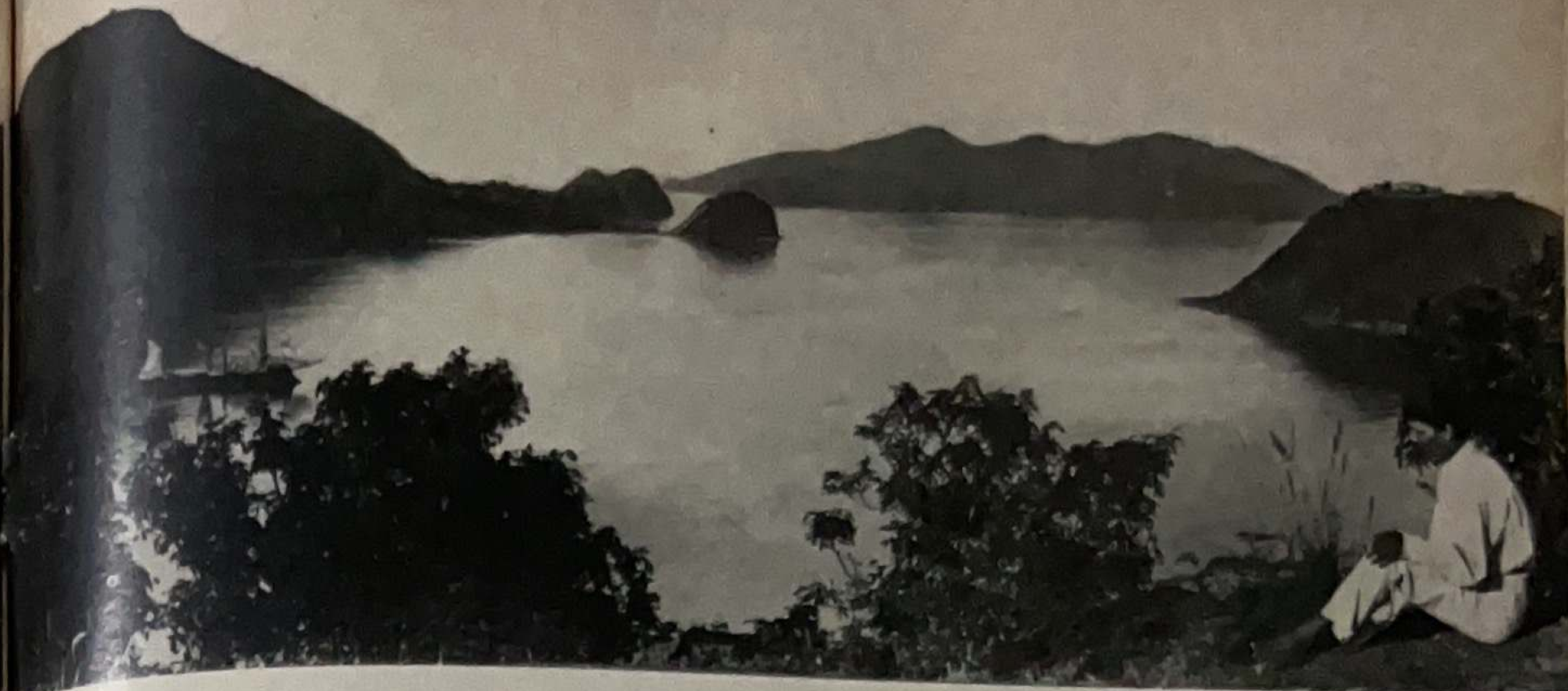
أما اسبانيا فإنها وصلت إلى أمريكا ومعها هذه الفكرة وكان أول مستعمر كبير استقر هناك بعد الاكتشاف هو دون دييجو ، الإبن الأكبر لكريستوف كولومبس ، فأقام هو وزوجته دونا ماريا توليدو ، ابنة أخى دون ألب ، بلاطا صغيرا على طراز عصر النهضة في سانتو دومينجو حيث عاش جونزالو فيرنانديز دى أوفيدو الذى أصبح أول مؤرخ لجزر الهند الغربية . وبعد قليل أنشئت المسارح والجامعات في المدينة .

وتبدو فكرة الاستعمار هذه وقد رسخت من ذلك الحين ، غير أن التاريخ يجئ دائما ببعض المفاجآت ، وكانت المفاجأة هي قدوم العبيد الأفريقيين . كان العبد الأسود ينتزع من صميم القارة الأفريقية ، ويصل إلى أمريكا مصفدا بالأغلال ، ومحشورا مع أمثاله في قاع السفن الموبوءة ، ويباع كأية سلعة ، ويعيش عيشة بشعة مخزية . هذا العبد الأسود يغدو فيما بعد خميرة لفكرة الاستقلال ، وهذا المنبوذ ، حثالة الجنس البشرى ، هو الذى يزودنا بمرور الزمن بما لا يقل عن فكرة الاستقلال .

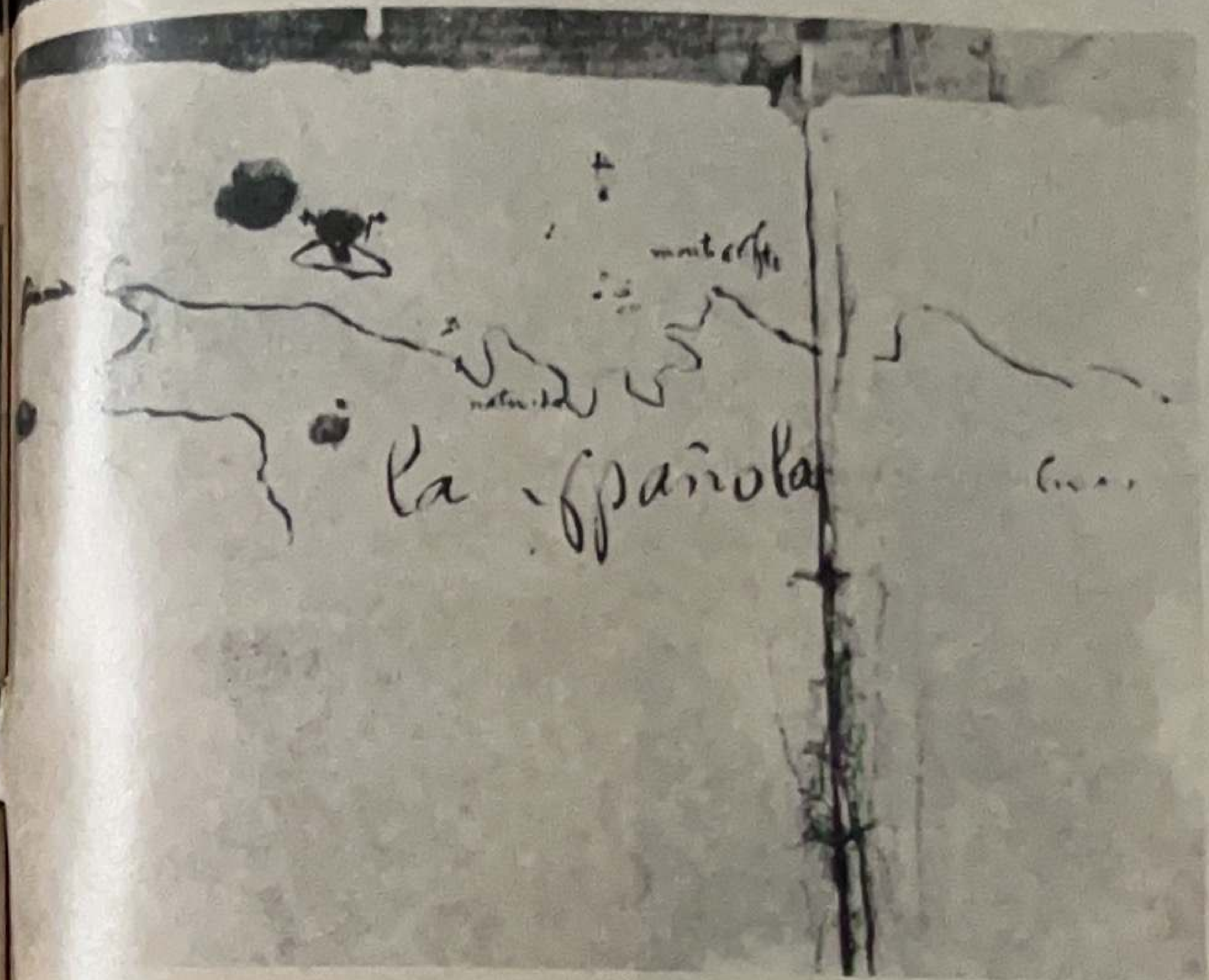
فإذا كان لدينا خريطة مزودة بعلامات حمراء تشير إلى ثورات العبيد السود كلها في القارة الأمريكية فسوف نرى أنه كان هناك دائما الى يومنا هذا ثورة تندلع في جهة أو أخرى . وحدث أول عصيان كبير في القرن السادس عشر في مناجم «بوريا» بفنزويلا ، ونجح «ميجويل» زعيم ثورة السود في إنشاء مملكة مستقلة بها بلاط ، وكنيسة منشقة يرأسها أسقف .

وبعد زمن قليل اندلعت في المكسيك ثورة «كانيادا دى لوس نيجروس» ، وكانت شديدة الخطورة على المستعمرين ، حتى لقد أصدر مارتن ازيك دى الماسا نائب الملك أمره بأن يخصى في الحال ودون محاكمة كل اسود يقبض عليه في الجبال . وكان هناك بعد ذلك «بالنك دى بالمارس» ، وفيها أنشأ العبيد السود بالبرازيل مملكة مستقلة قاومت العديد من الحملات البرتغالية ، ونجحت في المحافظة على استقلالها أكثر من ستين سنة .

وفي سورينام قام ، في أواخر القرن السابع عشر :



يعرض قوس البحر الكاريبي صورة لمجموعة من الأراضي التي تهب عليها برفق وعذوبة النسمات والرياح الشمالية الشرقية ، كما يوحى بذلك هذا المنظر البانورامي في ثلاث لوحات لجزر سانتس (١٨٩٩) وحين واجه كريستوف كولمبس تلال جزر الكاريبي صاح مفتونا «يا لها من روائع». وهذا الرسم (إلى الجانب) للساحل الشمالي الغربي لجزيرة اسبانيولا (أول تسمية لجزيرة هايتي وجمهورية الدومينكان) ، ويرجع إلى عام ١٤٩٣ ، رسمه الملاح بيده ، ويرمز صليب ونقطتان إلى الشمال.



فبدأت حروب الاستقلال ضد الاستعمار ، واستمرت بعد ذلك حتى عصرنا الحاضر.

في هذا المعنى أقول إننا إذا درسنا الانسيكلوبيديا (الموسوعة الفرنسية) المشهورة ، تلك التي ألفها بنوع خاص فولتير ، وديدرو ، وروسو ، والامبير ، في منتصف القرن الثامن عشر ، وكان لأفكارها تأثير كبير على قادة حروبنا الاستقلالية ، تبين لنا أن مفهوم الاستقلال لم يكن له فيها سوى قيمة فلسفية بحتة : فهناك فكرة استقلال الإنسان أمام الله ، والنظام الملكي ، وفيها كلام عن حرية الاختيار ، والحرية الشخصية ، لا عن الحرية السياسية. غير أن ما طالب به سود هايتي – وهم في هذا رواد حروبنا الاستقلالية كلها – هو بعينه الاستقلال السياسي ، والتحرر الكامل.

ويؤكد البعض أنه في عام ١٧٩١ ، تاريخ «قسم غابة كايمان» ، كانت الولايات المتحدة مستقلة منذ زمن بعيد. هذا صحيح ، ولكننا لا ننسى أنه حين تحررت مستعمرات أمريكا الشمالية الثلاث عشرة ، وأصبحت مستقلة عن التاج البريطاني ، لم يحدث أي تغيير في هياكلها ، لا في الملكية العقارية ، ولا في التجارة أو غيرها. ولم يكن أحد يتصور مثلا أنه يمكن تحرير العبيد ، فكان لابد لذلك من قيام الحرب الأهلية. بعبارة أخرى لم يغير استقلال الولايات المتحدة شيئا في هياكلها الداخلية.

ولم تجر الأمور على هذا المنوال في أمريكا اللاتينية

هذا المنظر الفردوسي للجزر ، صدى الحلم الرائع القديم ، تمحته الحقيقة الواقعة. ويمتلئ تاريخ بلاد منطقة البحر الكاريبي بالثورانات البركانية والزلازل والأعاصير. وقد أدى ثوران بركان بيليه في ٨ من مايو ١٩٠٢ في الساعة الثانية صباحا إلى القضاء على مقاتل مدينة سان بيير وهلاك سكانها كلهم في النيران في أقل من دقيقة (الصورة الجانبية) ، وبلغ عدد القتلى ٢٨٠٠٠ قتيل. أما بخصوص الأعاصير ، وهي عواصف هوجاء يغذيها غضب «هو – را – خان» إله الريح الكاريبي ، فقد أحصى منها على الأقل ١٣ في القرن السابع عشر ، و٣٣ في الثامن عشر ، و٢٨ في التاسع عشر. والأمر أسوأ من ذلك في القرن الحالي. وتحتفظ كل جزيرة بذكرى الجراح الدامية التي أصابتها من الأعاصير. ومن المستحيل أن نهمل «طريق الصليب الكوني» ، أي الإعصار ، في تاريخ شعوب البحر الكاريبي



(الصور من «ذكريات في الأرخبيل» ، الناشر هوزر – المطبعة الجغرافية ، باريس)

فابتداء من ثورات هايتي التي عقبتها سريعا حروب الاستقلال ، والنصر الحاسم لأياكوشو في عام ١٨٢٤ ، انقلبت أبنية المجتمع والحياة اليومية بظهور شخصية في صدر المسرح التاريخي ، شخصية لم يكن لها أي اعتبار في المجال السياسي حتى ذلك الحين ، تلك هي شخصية «الكريولي».

ترى من يكون هذا الكريولي؟ يشير هذا المصطلح الذي ظهر في السجلات الأمريكية ابتداء من العقد السابع من القرن السادس عشر بالإجمال إلى شخص ولد في الدنيا الجديدة ، سواء كان مولدا من اسباني وهندي ، أو من اسباني وأسود ، أو مجرد هندي أو أسود ولد في أمريكا ويعيش مع المستعمرين. هؤلاء الكريوليون كانوا يشعرون بالظلم

ويتحدث سيمون بوليفار (المحرر) في كتابه «رسالة جاميكا» ، وهو من أهم الوثائق التي نملكها في تاريخ أمريكا عن حالتهم قبل حروب الاستقلال فيقول : «لم نكن بالمرة نوابا للملك ، أو حكاما ، اللهم إلا في حالات استثنائية حقيقية ، أو دبلوماسيين. وقلما كنا أساقفة أو مطارنة ، ولم نكن عسكريين ، إلا في المراتب الدنيا ، ولم نكن نبلاء بمزايا حقيقية. وأخيرا لم نكن قضاة ، أو من رجال المال ، أو تجارا».

ويتجلى في تاريخ أمريكا كله خصيصة هامة : ذلك أنها لا تتطور إلا تبعا لصراع طبقي. ولم نعرف ، بعكس الأوربيين حروبا أهلية أو إقطاعية أو دينية بالمعنى الصحيح وصراعنا الدائم الذي استمر عدة قرون كان أولا صراع الغزاة ضد الأهالي الأصليين ، فتغلبوا عليهم وقهروهم. وعقب ذلك صراع المستعمرين ضد الغزاة. إذ حاول المستعمرون الذين وصلوا فيما بعد أن يقيموا حكما أو ليجارشيا (حكم القلة المستغلة) ، ويمارسوا سلطتهم. ونجحوا في القضاء على الغزاة الذين هلكوا كلهم تقريبا بؤساء ، أو اغتيلوا ، أو نفوا

وكان هناك أخيرا صراع الكريولي ضد المستعمر الذي ◀

أصبح أرستقراطيا وعضواً في الحكومة الأوليجارشية ومع حروب الاستقلال ، هب أبناء أمريكا للنضال ضد الإسبان . إلا أن الكريول المنتصر راح ينشئ طبقة حاكمة أوليجارشية جديدة ، كافحها العبيد والخلاسيون . وطبقة ناشئة تضم أغلبية الصفوة (من مفكرين ، والفنانين وأساتذة ، ومعلمى المدارس ، الخ) ، وكانت طبقة متوسطة مدهشة ظلت تنمو طوال القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا .

وفي هذا الكفاح الأخير ، الذي استطال حتى منتصف القرن الحالي ، والذي لم يزل قائما ، حيث الشعور الوطني في البلاد الأمريكية . وإذا انتصر الكريول على القارة كلها راح يبحث لنفسه عن هوية خاصة بعد ، ومع نمو حركات الاستقلال في جزر الأنتيل ، نما الشعور بالهوية الجمايكية ، والمارتينيكية ، والكوراساوية ، وباختصار هوية الجزر المختلفة التي تشكل عالما ... البحر الكاريبي ، التي اكتسبت سمات خاصة بها

الساطور (سكين كبير مستعمل في جزر البحر الكاريبي كفأس لقطع أشجار الغابات) موجود في الحياة الواقعية ، وفي خيال شعوب المنطقة ، وهو أداة للعمل في مزارع قصب السكر والموز (الصورة الى اليمين) والساطور كذلك من الأدوات المنزلية النافعة في الاستعمال اليومي ، يستعمل مثلا لقطع عنق جوزة الهند الطازجة ، ويستعمل أيضا كسلاح في معارك التحرير ، كما يستعمل كرمز في الرقصات الأنتيلية ، كما يبدو بالصورة أدناه .
(الصورة العليا : أ . ب . نيرات ـ رافو ، باريس)
(الصورة السفلى : روجيه فيوليه ، باريس)



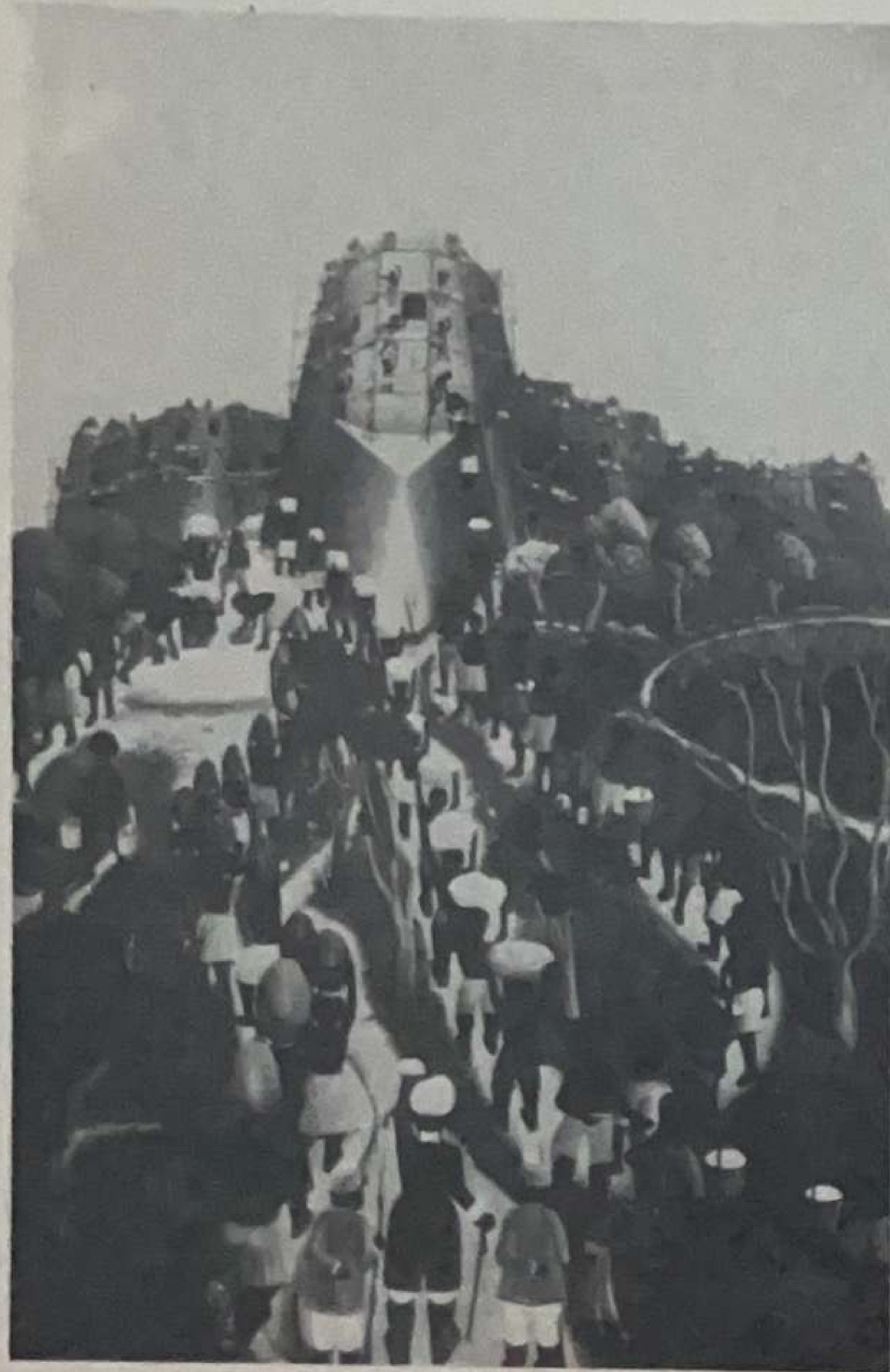
ويبرز في تاريخ منطقة الكاريبي أسماء عظيمة ، رجال صنعوا هذا التاريخ ، وأثبتوا لنا وجود ما يحق لنا أن نسميه «الإنسانية الكاريبية» . ولم يقصروا نشاطهم وتفكيرهم ومثلهم العليا على بيئتهم الخاصة ، فكان التداخل في الأفكار ، والمشاركة في الأفعال . وتطلعت شعوب البحر الكاريبي بحرارة الى أن تتفاهم ، يسنحها لذلك أمان مشتركة .

وقد أيد الأميرال بريون الكوراسي الأصل سيمون بوليفار في نضاله من أجل الاستقلال في فنزويلا وكولومبيا والإكوادور وبيرو وبوليفيا . وطلب بثيون الذي كان رئيسا لهايتي من بوليفار هذا أن يساعده أدبيا وماديا في كفاحه لإلغاء الرق في فنزويلا . وكان مكسيمو جوميز هو الذي حصل لكوبا على استقلالها من أهالي دومينيكا . كذلك اشترك أقرباء الإخوة ماسيو الذين حاربوا من أجل استقلال كوبا في حرب استقلال فنزويلا . وكان ذراع ماسيو اليمنى من فنزويلا . كما أن فرانسسكو جافييه بانس الكوفي هو الذي وقع وثيقة استقلال فنزويلا . أما هوسيه مارتي العظيم بطل استقلال كوبا الذي شمل كفاحه التاريخي والسياسي منطقة البحر الكاريبي كلها فإنه ترك لنا صفحات مؤثرة مليئة بالصدق والمحبة عن فنزويلا وجواتيمالا والمكسيك ، وبلاد البحر الكاريبي بوجه عام .

ومن خلال هذا التفاعل بين الناس ، وهذه المشاركة الفكرية ، صارت المناطق القارية في المكسيك ، وفي فنزويلا وكولومبيا التي عمّرها العبيد الأفريقيون في عهد الاستعمار ، وفي بيرو وجواياكيل والبرازيل ، صارت أخيرا جزءا من تلك الكتلة الكاريبية التي بدأنا نميزها ونفهم مجموعتها ، وذلك بأن نقابل ما يوحد بيننا بما يميزنا بعضنا عن بعض ، وما يجعلنا متشابهين بما يجعلنا متغايرين في الوقت نفسه ونميز ما يخص كلاً منا ، وما ينتمي إلينا جميعا

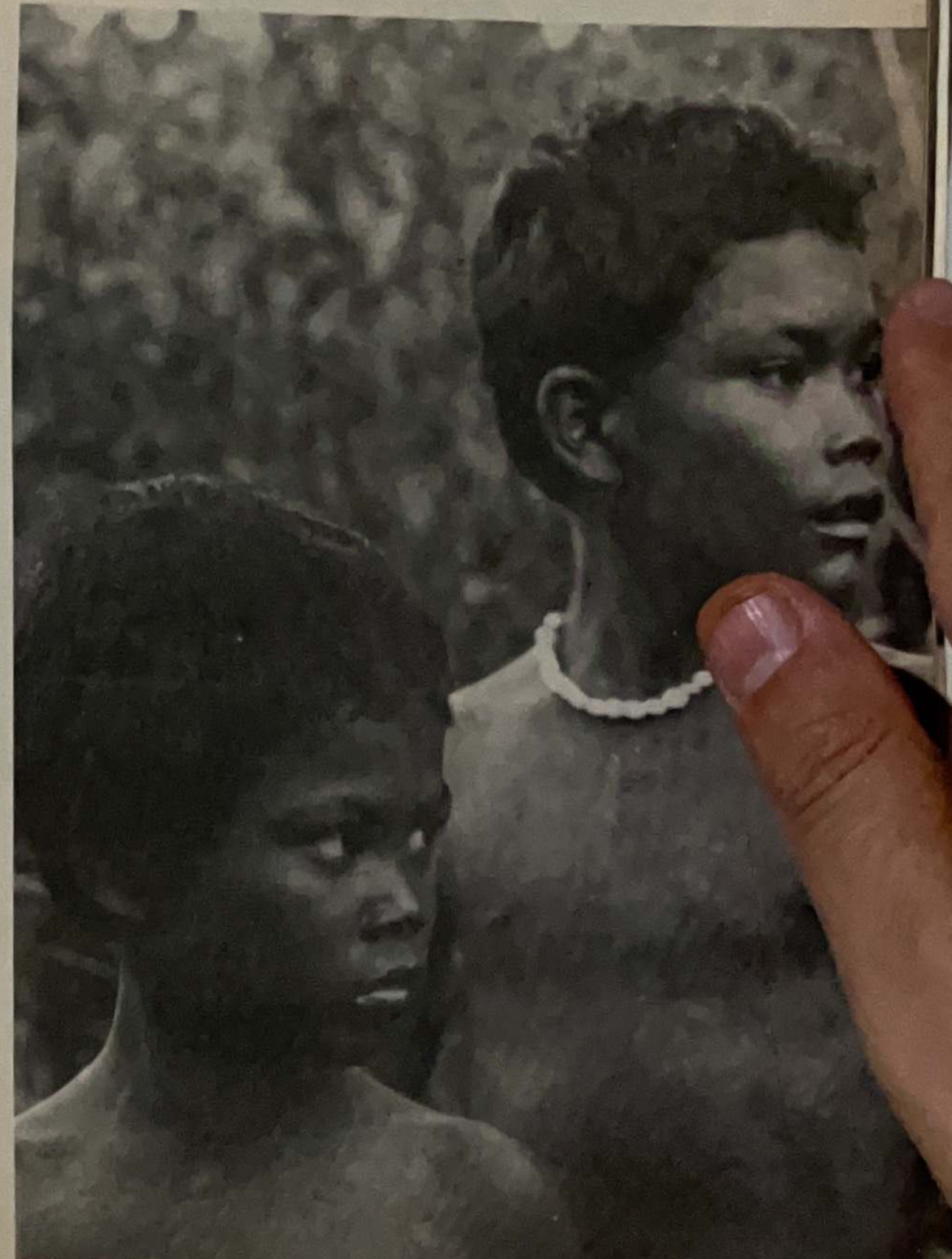


شيدت قلعة لافريير لحماية استقلال هايتي الشابة من عودة القوات الاستعمارية . وترتفع القلعة على قمة جبل في شمال الجزيرة على ارتفاع حوالى ألف متر عن سطح البحر الكاريبي . وقد شيد هذه القلعة في مستهل القرن التاسع عشر الجنرال هنري كريستوف أحد قادة الثورة الوطنية . ويقال إنه اشتغل في بناء هذه القلعة ـ التي يمثلها الرسم الساذج المبين أدناه ـ ٢٠٠٠٠ رجل لتسع سنين . وقد أصبح هذا الرمز لتحرير هايتي اليوم أنقاضا . وكانت القلعة وصروح أثرية أخرى ضحية للأجواء المتقلبة ، والرطوبة ، والنباتات الاستوائية الكثيفة . ثم أصابها ضرر شديد من زلزال وقع في عام ١٨٤٢ . وبناء على طلب تقدمت به حكومة جمهورية هايتي وجه السيد أحمد مختار مبو المدير العام لليونسكو ، في ١٠ مارس ١٩٨٠ ، نداء منه لإنقاذ التراث الثقافي الهايتي
(الصورة العليا : ميشيل كلود ، اليونسكو)
(الصورة السفلى : فيليب لوكلير ، اليونسكو)



المـزرعـة : المنـفى والممـلكة

بقلم : مانويل مورينو فراجيناس



هل توجد هوية كاريبية ؟ سؤال طرح مرارا ، وبغيا إثبات أننا لا نشعر بوجود هذه الهوية ، أو أننا نعبر والتقير من وجودها ، أو أن هناك قوى يهمها إنكارها . ف رأينا أن «الهوية الثقافية» هى المحصلة التاريخية للتطور المشترك لمجموعة مشتركة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية. ويشكل قوس الدائرة الكبيرة التى تضم جزر الأنتيل نظاما بيئيا جزيريا له خصائص مناخية وجغرافية متماثلة وبه فى الأصل حيوانات ونباتات متشابهة .

وبعد أن فتح الأوربيون أمريكا أصبحت هذه الجزر بموقعها الجغرافى ملتقى الطرق البرية المؤدية الى الأمبراطورية الإسبانية ، أى أنها «الحد الأمبراطورى» ، وصارت بهذا الوصف ميدانا للمعارك والحرب الاستعمارية والسلب والنهب . وهكذا كانت جزر الأنتيل فى البداية تابعة لهذه الأمبراطورية . ولما كانت جزرى أيضا ثروات صالحة للاستغلال فإنها اكتسبت أهمية داخلية بالنسبة الى الإمكانيات الاقتصادية .

وإذا كانت كوبا ، مثلا ، هى ، حصن الأمبراطورية الأسبانية فى القرن الثامن عشر فإنها كانت أيضا منتجا للسكر والتبغ . كذلك كان فى جاميكا القاعدة الاستراتيجية للبحرية الانجليزية العديد من مزارع قصب السكر .

وأتاح مناخ هذه الجزر ، وشكلها وموقعها الجغراف ، لأغلبها نظاما للرقيق فى مزارع قصب السكر. والواقع أن لهذا النوع من الزراعة ظروفا خاصة. فالأراضى يجب أن تكون قريبة من البحر ، وتحتاج إلى حرارة ومطر ، وتتزود بموارد الغابات ، والمواشى ، ويلزمها أيضا صلات بحرية ممتازة بين سوق المشترين (اوربا) والسوق التى تمونها باليد العاملة (افريقية) .

وكانت جزر الأنتيل آهلة بشعوب متماثلة انقرضت بظاهرة تاريخية واحدة . ويبدو أن ثقافات السكان الأصليين فى منطقة البحر الكاريبى ترجع الى أكثر من ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد . وجعل الاستعمار هذه الشعوب

مانويل مورينو فراجينالس . مؤرخ واستاذ جامعى كوبى ، ومستشار بمركز دراسات البحر الكاريبى التابع «لدار الأمريكتين» من أحدث مؤلفاته ! تفكك الرق . والفاوه فى البحر الكاريبى

ضحية لنظام من الإبادة ، عانت فيه من الاستغلال الهمجى ، والأوبئة ، وتدمير اقتصادها ، والصدمات النفسية الناجمة عن الغزو ، بل من الاستئصال العمدى . وكان انقراض هنود أمريكا فى الجزر التى استعمرها الإسبان موضوعا لتعليقات وفيرة أجراها الإنجليز والفرنسيون والهولنديون ، ولكن لم يذكر أحد كيف أن الاستعمار الإنجليزى والفرنسى والهولندى قد استأصل هو أيضا السكان الأصليين فى الجزر التى غزاها .

وفى هذه الجزر التى تعتمد على عمل الرقيق ، وهى من خصائص الرأسمالية الأوربية والحقيقة أنه ليس ثمة بلد استعمارى اوربى له وحده الفضل فى ابتداع هذا النظام الذى كان ثمرة التجارب الاستعمارية المتعاقبة . كان هناك أولا فى ساو تومى نموذج من المزارع البرتغالية نقله الاسبان الى أمريكا . هذا النموذج الإسبانى البرتغالى نقله الإنجليز والفرنسيون (وجامايكا وسان دو مينجو مثالان بارزان لهذا النموذج) ثم استخدمه الاستعمار الإسبانى الذى زاده تعقدا فى كوبا .

هذى نقطة ينبغى الإلحاح عليها ، ذلك أن بعض المؤرخين يميلون الى التمييز بين أنواع الرق تبعا لأصله الانجليزى أو الفرنسى أو البرتغالى أو الإسبانى فالرق واحد ، وغايته فى كل مكان واحدة : استغلال قوة العمل ، ولا أهمية لجنسية المستغل . ونحن نرفض فكرة التفرقة تبعا لاختلاف ديانة المستغل ، كما نرفض فكرة التفرقة بين الرق «الحميد» والرق «الخبيث» . كان الرق واحدا بالنسبة الى جموع الأرقاء . أما الفروق فى الدرجة فإنها ترجع الى أسباب اقتصادية ، لا الى الطبقة الاجتماعية العليا .

كذلك نرفض كل المفاهيم العنصرية فى هذا الشأن ، التى تقول إن أنصار الرق يفضلون الأفريقيين . كان العنصر الإفريقى يستعبد لأن أفريقيا فى ذاك الحين كانت سوقا لليد العاملة القريبة الرخيصة . ولما تغيرت هذه الأحوال فى القرن التاسع عشر استُجلب الصينيون والهنود ، بالإضافة الى محاولات أخرى بذلت للاسترقاق على نطاق أصغر .

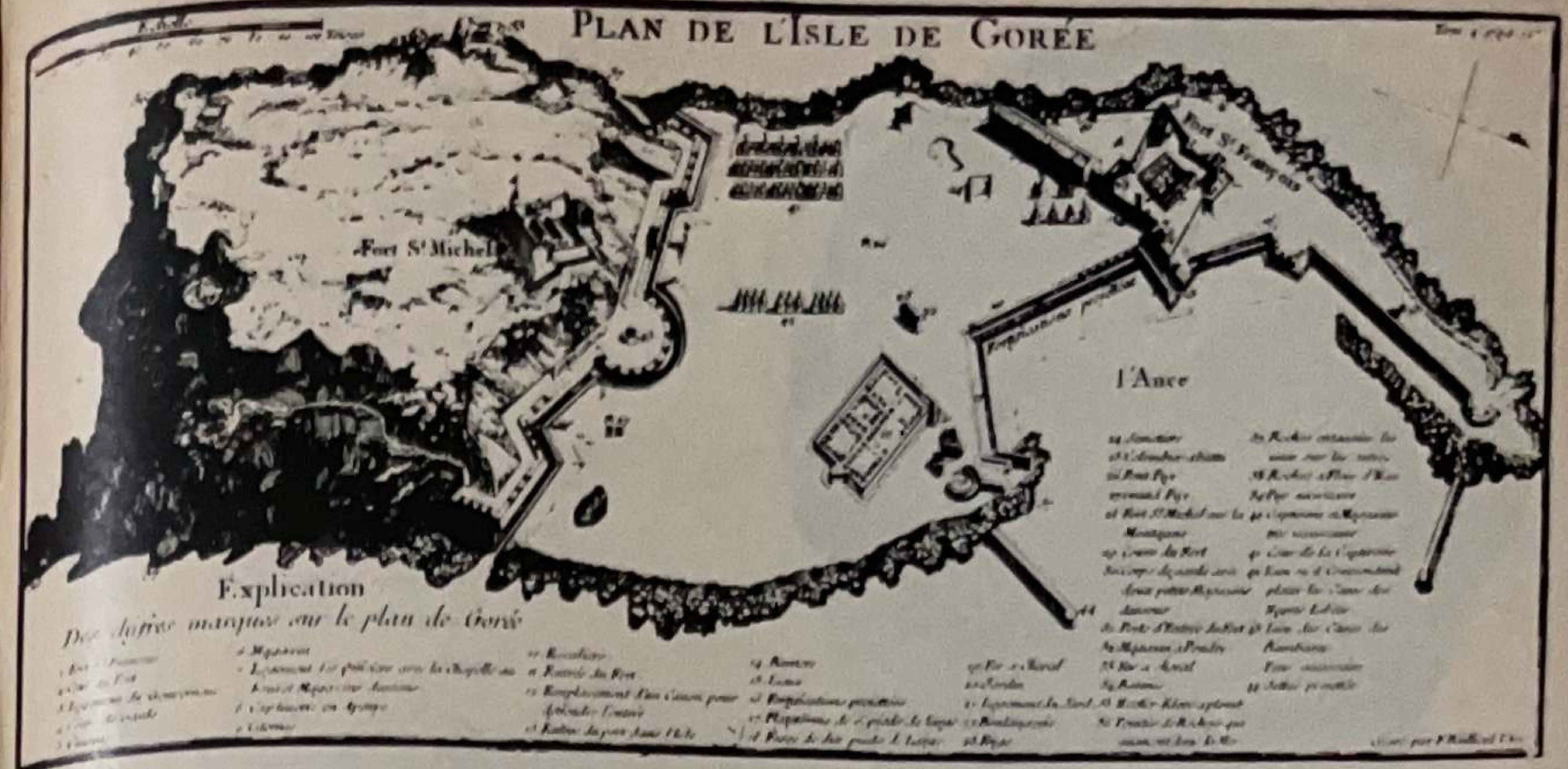
أما بخصوص السكان الأصليين فى جزر الأنتيل فقد بذلت أيضا محاولات لاسترقاقهم وبيعهم . وفى عام ١٤٩٤ اختار كريستوف كولومبس نفسه خمسين مواطنا من هسبانيولا (جزيرة هايتى) أرسلهم الى اسبانيا ليباعوا كالعبيد . ويقول لاس كازاس إن كولمبس كان يأمل بيع هنود الجزيرة ، بالاضافة الى سلع أخرى ، أن يحصل على ربح مبلغ قرابة أربعين مليونا من «المرابطى» (عملة اسبانية تساوى مليما) وفى عام ١٥٠٨ كان اصطياد الهنود لبيعهم عملا مشروعا فى منطقة الكاريبى . ويذكر بيدور مارتير دى انجليريا أن حوالى أربعين ألفا من العبيد الكاريبيين تم اقتناصهم وبيعوا ليعملوا فى مناجم الذهب بين عام ١٥٠٨ وعام ١٥١٣ . ولما كان الاستعمار قد أباد بقسوته السكان الأصليين فإن هؤلاء لم يشتركوا فى العمل فى المزارع .... وكان منهم جماعات مناضلة نجت من الابادة وصارت عائقا فى سبيل الإنتاج ، لذلك تم القضاء عليهم بعملية إبادة جماعية نجد مثلا نموذجيا لها عند الإنجليز والفرنسيين فى المارتينيك .

ومنذ القرن السادس عشر بدأ نظام المزارع يستقر فى الجزر الاسبانية بالبحر الكاريبى : فى سانتو دومينجو (جزيرة هايتى القديمة) ، وبويرتو ريكو ، وكوبا ، وامتد هذا الأسلوب من الاستغلال فى القرن السابع عشر الى جزر الأنتيل الصغرى ، ثم الى جامايكا . ومالبث نظام ◀



من السلالات الأصلية التى كانت تعمر جزر البحر الكاريبى قبل اكتشافها وقبل الاستعمار الاسبانى . وأهمها الكاريب ، والأرواك ، لم يبق الى الآن سوى القليل جدا من العناصر وكانت بضعة عقود من عهد الاستعمار الأوربى كافية لانقراض الأغلبية العظمى من هؤلاء السكان ، ولم يبق منهم الى اليوم سوى جماعات صغيرة متناثرة فى المنطقة كلها . كذلك لم يبق من ثقافتهم سوى شواهد قليلة ، صغيرة الحجم ، ولكنها بارعة الصنع . وبأعلى راس هيكل عظمى من البازلت الأسود المنحوت (ارتفاعه ٢٢ سم) ، وهو تحفة دينية أو احتفالية لشعب ذى ثقافة تاينو (الأرواك) فى بورتوريكو . وبأسفل حجر على شكل إنسان (ارتفاعه ١٢ سم ، وعرضه ١٧ سم) من جمهورية الدومينيكان ، وهو من تلك «الأحجار الثلاثية الأطراف» المشهورة فى جزر الأنتيل ، ورمز احيائى هام لحضارة التاينو .
(الصورة العليا . متحف الإنسان ، باريس)
(الصورة السفلى . متحف الهومبرو دومينيكانو ، سانتو دومنجو)





تقع جزيرة جوريا فى عرض البحر على بعد يقل عن اربعة كيلو مترات من مدينة دكار (بالسنغال) . وكانت للدول الأوروبية المختلفة ، ابتداء من القرن الخامس عشر بمثابة مرسى عبرى ، أو سوق للعبيد . وكان العبيد الأفريقيون ، رجالا ونساء ، وأغلبهم من صغار السن ، يكدسون محبوسين خلف أسوار حصونها ومبانيها ، ثم ينقلون فى السفن إلى مزارع العالم الجديد ومصانعه ، وبخاصة جزر الأنتيل ، فى رحلة بلا عودة ، تعبير من مآسى التاريخ الكبرى . ولكنها تغدو أيضا ذات اهمية جوهرية فى المستقبل الثقافى والسياسى للكثير من البلاد الأمريكية . وإزاء القيمة الثقافية والتاريخية للتراث المعمارى بالجزيرة وجه السيد أحمد مختار امبو المدير العام لليونسكو فى ديسمبر ١٩٨٠ نداء دوليا لانقاذ هذا التراث والاستعادة منه . وبأعلى تخطيط لجزيرة جوريا حسب نقش يرجع الى عام ١٧٧٩ .

المزرعة الاقتصادية أن ساد فى هذه الجزر ، وترتبط اهميته باتساع الجزر . فجزر الأنتيل الصغرى مغطاة بالمزارع ، ولم يبق بها أراض تصلح لأنواع أخرى من الزراعة ، أو أراض غير مزروعة يستطيع العبد الهارب أن يلوذ بها وكان بمنطقة المزارع بجزر الإنتيل الكبرى ضروب أخرى بديلة من الاستغلال أتاحت مزيدا من النهضة الأجتماعية . وكان النظام الاجتماعى الأقتصادى فى المزرعة مختلفا من حيث درجة تقدمه ، ولكنه لم يختلف أساسا من جزيرة الى أخرى .

والمزرعة منذ إنشائها مجموعة بشرية ، وليست مجتمعا . ويمكن أن تشبه فى هذه المرحلة بالسجن ، ويتميز الموجودون بها بأصلهم الأفريقى مع اختلاف سلالاتهم ، ومتوسط أعمارهم بين ١٨ و ٨٠ سنة ، ومع تفاوت كبير فى العدد بين الجنسين ، إذ لايمثل النساء الا نسبة مئوية ضئيلة (١٠٪ الى ٣٠٪) من السكان ، وقد لايكون لهن وجود .

وفى مثل هذا النظام الصارم تحدد أوقات العمل بدقة ، وتلغى أوقات الفراغ ، ويحدد السادة النظام الغذائى تبعا لمشيئتهم وحالتهم الاقتصادية ، ويخضع الإسكان لقواعد اقتصادية وأمنية دقيقة ، والثياب موحدة ومصنوعة بالجملة ، والحياة الجنسية خاضعة للحاجة الى الأنسال ، والعلاقات الأسرية مشلولة بسبب التفاوت بين عدد الرجال وعدد النساء .

هذا التخطيط الذى يميز الأغلبية العظمى من المزارع فى نشأتها يتعدل بمرور الزمن ، وما لبثت العلاقات بين العبيد أن أنشأت تدرجات (خفية فى الواقع) ، وانعقدت بينهم علاقات مصلحية وصلات أخوية . ومع مولد الأطفال تتكون خلايا أسرية أمومية بوجه عام ، لأن هذا النظام يمنع الأب من الاضطلاع بدوره . ويعوق التكامل الاجتماعى ارتفاع معدل الوفيات على المواليد (وهذى نتيجة منطقية لانعدام التوازن بين الجنسين ، ولنظام السجن ، ويبقى حجم اليد العاملة ثابتا بوصول دفعات جديدة من المهجرين . ومع ذلك تحدث ظاهرة ذات طابع اشتراكى على أساس من هوية مشتركة تتمثل فى وضع الرقيق ، فى حين يبقى الرجال الأحرار على هامش هذا المجتمع .

وتحتاج المزرعة الى مركز للاستيراد والتصدير يقدم فضلا عن ذلك خدمات ضرورية للقاعدة التجارية وهكذا يتولد نمط معين من المراكز الحضرية نجد فيه عبيدا وأحرارا فى آن واحد ، ولكن لاينطبق فيه نموذج السجن السائد فى المزرعة ، مما يخلق علاقات اجتماعية مختلفة .

وعلى هذا فإن المقابلة بين المدينة والريف ، [illegible] مقابلة تتسم بها كل المجتمعات ، تتخذ هنا معنى [illegible] غير أن المزارع تتطور تحت ضغط عوامل خارجية (أ[illegible] العبيد ، أسعار منتجات المزرعة ، الخ) وداخلية [illegible]رادية المشروع ، تطبيق التكنولوجيات المتقدمة [illegible] التربة ، الخ ، فتكتسب بعض الخصائص الا[illegible] التى نجدها فيما بعد فى الجزر كلها .

وخضع العبيد فى مزارع البحر الكاريبى على [illegible] أوضاعهم لظاهرة واحدة نسميها «محو الثقافة» [illegible] نعنى بهذه التسمية عملية مدبرة ، تمحو ثقافة مجموعة [illegible] ، لأغراض استغلالية اقتصادية ، لتسهيل نزع ملكية الثروات الطبيعية فى الاقليم الذى تقيم به المجموعة ، واستخدام هذه المجموعة كقوة عاملة غير مؤهلة وقليلة التكاليف ، بتحويل أفرادها الى عبيد أو شبه عبيد ، وفى المجتمعات الأمريكية الزراعية يظهر «محو الثقافة» على هذا النحو كوسيلة تكنولوجية لاستغلال اليد العاملة بأقصى قدر مستطاع .

و«محو الثقافة» جزء من عملية تستهدف تجريد العبيد من كل هوية ، فينتزع منهم كل شئ ، حتى اسمهم وبتجميع الألوف من الأخبار بشأن عبيد منطقة الكاريبى لم نجد الا قرابة العشرين منها ، ورد بها ذكر الاسم

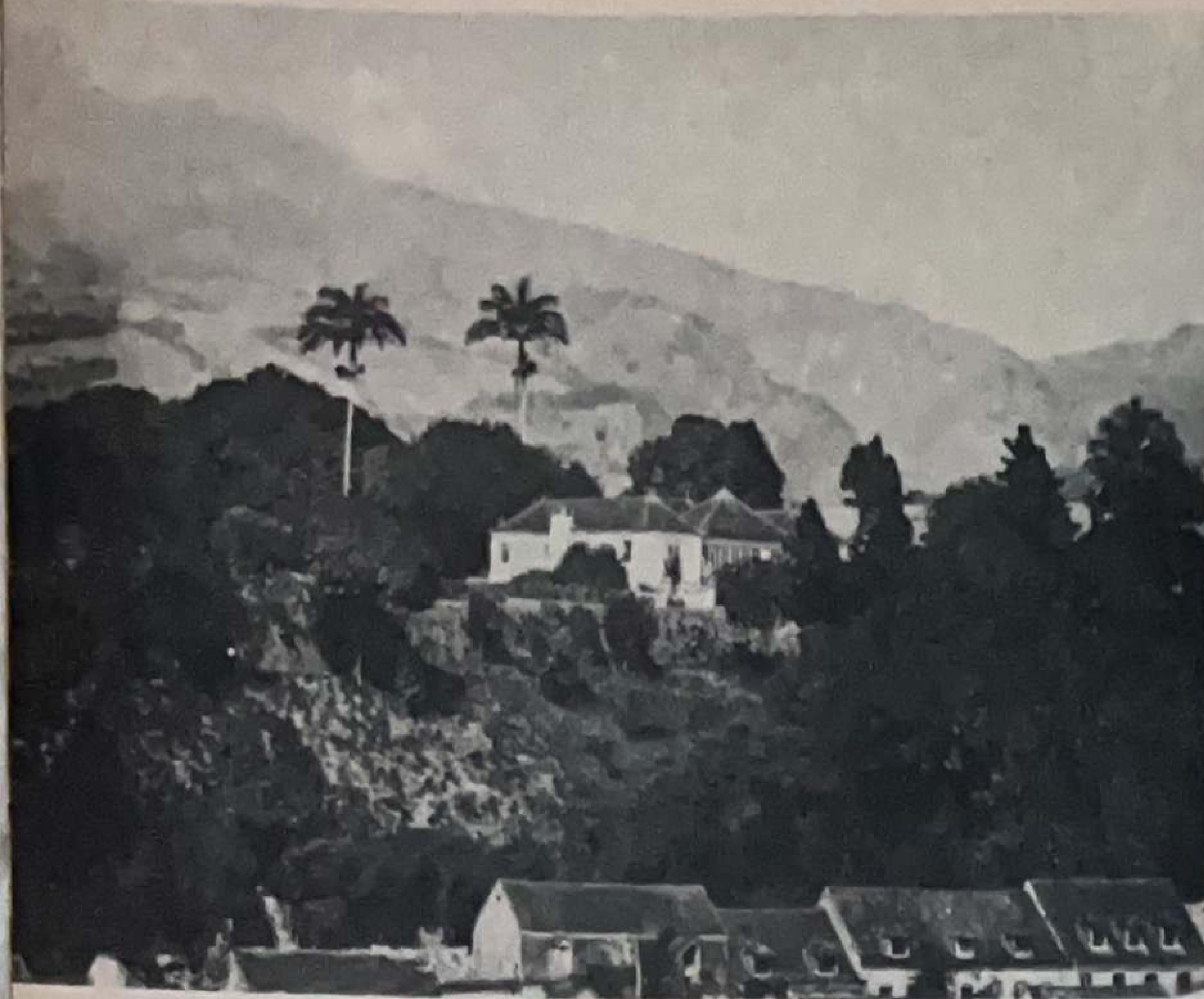
الأفريقى الأصلى للجماعة ولم ينزع من العبيد عاداتهم الغذائية ، والملبسية ، وأسلوبهم التقليدى فى السكنى فحسب ، ولكنهم منعوا أيضا من ممارسة دياناتهم وموسيقاهم ، وفرض عليهم فوق ذلك لغة السيد . على أن ثمة حياة خصبة للقيم الثقافية الأصلية كانت هى القادرة على التصدى لعملية «محو الثقافة» هذه . وعلى هذا النحو نشب الصراع بين الثقافة السائدة التى كانت بمثابة عامل للإدماج والإخضاع وبين الثقافة المقهورة التى أصبحت من طرق المقاومة . ويتحول هذا الصراع الجدلى فيما بعد الى مصدر من مصادر الثقافة الكاريبية .

بيد أنه لايتسنى فهم هذه العملية إذا بدأنا من الصورة الأنثروبولوجية التقليدية التى تبين أن القيم الثقافية الأفريقية تنتهى – بواسطة عملية «انتقال ثقافى» أو «اندماج» معتادة فى هذه الأحوال – الى الاندماج فى القوالب الأوربية . ذلك أن واقع جزر البحر الكاريبى يختلف عن هذا كل الاختلاف . فمنذ البداية ، كانت هناك مجتمعات «جديدة» يأتى اليها الأفريقيون والأوربيون فى وقت واحد . الإفريقيون كشعب يتحمل عبء حرب رأسمالية الجذور ، والأوربيون كمجتمع كجماعات من المستغلين . لم تكن المسألة إذن تتعلق بمجتمع موجود من قبل يلقح بعناصر أفريقية ، وإنما هو نظام استغلال اقتصادى تخلق فيه الطبقة المسيطرة ثقافة ، لاتستفيد بها فحسب ، ولكن تفرضها أيضا على الطبقة الخاضعة . وترتكز هذه الثقافة على قيم ونماذج أوربية ، أعيد تكييفها وتشكيلها تبعا لحالة المزارع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية . وفى وجه هذه الثقافة ، كانت هناك أولا ثقافة المقاومة النابعة فى الاصل من النماذج الأفريقية ، ثم اختفت هذه النماذج ، ثم عادت أو تحولت الى عملية صراع طبقى فى المعركة ضد «محو الثقافة» الإجبارى ونظام القمع .

وهكذا شهدنا فى وقت ما تفكك المزرعة التى تستخدم الدقيق . ونلاحظ هذه الظاهرة فى تواريخ متعددة ، وتتنوع خصائصها من جزيرة الى أخرى . فهنا تختفى المزرعة اختفاء تاما ، وهناك تتحول الى مزرعة حديثة تستمر فيها تجارة الرقيق . وجزر الأنتيل مجال لتيارات هجرة قوية ، فثمة أقوام آخرون يخضعون لظروف الحياة القاسية التى يتحملها العمال فى المزارع «غير أن تغير أصل الشعب المستغل لايغير جوهر الاستغلال نفسه .

لهذه الأسباب التاريخية شكلت سلالة العبيد القدامى ، وبخاصة السود والخلاسيين الطبقة الاجتماعية الأشد حرمانا ، والأيسر استغلالا . وعلى المستوى الثقافى تأثر هؤلاء بشدة بالآراء المسبقة والتفرقة الاجتماعية ، فقد عزلوا عمدا ، وجرت محاولات لتحطيم تماسكهم الطبقى ، باثاره منازعات داخلية بينهم . وعلى هذا فإن الأشكال الثقافية التى خلفت وأعيد خلقها فى هذه الفئات الاجتماعية وثيقة الصلة بالوضع الذى احتجزتهم فيه الطبقة المسيطرة (هامشية) اجتماعية ، استغلال اقتصادى ، إنكار ثقافى) ومن وجهة النظر هذه يجب على كل تحليل للهوية الثقافية عند هذه الجماعات أن يستعين بدراسة الأشكال التى تظهر من خلالها ثقافة المقاومة .

وتتحدث الدراسات التى أجرت تحليل سمات الثقافة الظاهرية ، لاهياكلها الحقيقية ، عن مجتمعات «ثنائية» او «جماعية» حقا تزودنا هذه النظريات بملاحظات مفيدة جدا ، ولكنها تتجاهل حقيقة فحواها أن الفروق الثقافية ليست مجرد مقابلة بين القيم الأوربية والأفريقية التى «تتبادل الثقافة» فى وسط مجرد ، إنما تخضع فى الواقع لمواجهات فعلية بين الطبقات .



كانت المزرعة ، قاعدة المجتمع الاستعمارى فى جزر البحر الكاريبى ، تشكل عالما مغلقا ، نتج عن المواجهة التى استمرت فيه عدة أجيال بين السيد الأبيض والعبيد السود مجموعة من السمات الثقافية المتميزة . وانتظم هذا العالم المتنازع حول قطبين متجاورين ، ولكنهما غريبان احدهما عن الآخر : دار السيد ، وأكواخ العبيد . وفى دار السيد يقيم هو واسرته والعبيد المكلفون بالمهام المنزلية . أما الأكواخ فإنها تشكل عالما آخر يعيش فيه العمال فى أحوال تعسة . وبأسفل أكواخ مزرعة فى كواراساو . وبأعلى منزل السيد ، صورة فوتغرافية أخذت فى المارتينيك عام ١٨٨٢ .

(الصورة : المكتبة الأهلية ، باريس . مأخوذة من «كارثة فى المارتينيك» ، الناشر هيرشر) الجمعية الجغرافية ، باريس)





يقترن السكر فى تاريخ البحر الكاريبى بفكرة الرق ، وكذا بفكرة الزراعة الأحادية . وكانت المزارع فى معظمها مزارع قصب السكر . وعقب ذلك زراعة التبغ . ولقد اكتسبت بعض بلاد البحر الكاريبى ، وبخاصة كوبا شهرة ، عالمية بزراعة التبغ ، وأطلق على سجار المشهور اسم هافانا ، عاصمة الجزيرة . والى اليسار صورة علبة سجار عليها زخارف ورسوم بديعة .

(الصورة الوسطى : المعهد الملكى للمنطقة الاستوائية ، امستردام)

(الصورة السفلى : تصوير لوك جوبير ، باريس ، مجموعة نيللى ورينيه ديسر)

ولمة أنصاليون آخرون أكثر تمسكا بالكتابة ، يميلون إلى البحث عن طموم أفريقية في جذع أوروبي. بل راح بعضهم يحصي الأفريقيات (صياغة خاصة بالكتاب الأفريقيين عندما يعبرون عن أفكارهم باللغات الأوروبية المترجم) لكي يحددوا درجة اندماج هذه الخصوصات في نماذج موجودة من قبل . وآخرون وضعوا نظرية الهامشية (أو الخفية) ، مع نوع من التعقد الأنثروبولوجي ، ولكن ربما لم يكن من المفيد كثيرا - كما أشار إلى ذلك البعض بحق - إثبات أن الكثير من هذه الشعوب ، ولو أنها منعت من الاشتراك بالكامل في المجتمع والاستفادة من المزايا الصغيرة التي تتيحها لها صفة المواطن ، لم تمنع قط من المساهمة في النظام الاقتصادي . والواقع أن هامشية أفراد هذه الشعوب ، باعتبارهم مواطنين ، هي من خصائص النظام الرأسمالي . هذا الدور ، دور موردي اليد العاملة الرخيصة بدرجة مخزية ، الذي تؤديه الشعوب الأفريقية الأمريكية اللاتينية في منطقة البحر الكاريبي (ونقصد بنوع خاص انتقالات أهالي هايتي وجامايكا) والدومينيكات ، وبورتوريكو ، وغيرهم ، إلى الولايات المتحدة والعواصم الأوروبية) ، أتاح نقص التكلفة المتوسطة لليد العاملة الأقل مهارة . لم تتضمن الهامشية قط استبعاد هؤلاء الرجال ، لا باعتبارهم قوى بشرية مستغلة ، أو مشتركين في زيادة القيمة . كذلك لا جدوى من البحث عن هوية قائمة على اللون (الشخصيات الزنجية) أو على الجذور الثقافية الأفريقية البعيدة ، حتى ولو نشأ هذا البحث في صميم الشعب المستغل . هذه النظريات تجهل أو تحجب حقيقة أن استغلال عمل الرقيق أو شبه الرقيق لم يكن مسألة لون . فثمة بيض وهنود أمريكيون ، وفيما بعد صينيون وهنود وبولينيزيون استغلواهم أيضا واستعبدوا كانت «الشخصية الزنجية» في البداية صيحة ثورية قوية ، صيحة جماعة تناضل ضد الآراء المتحيزة المسبقة . ولكنها أصبحت بعد ذلك قابلة لأن تتحول إلى أيديولوجية . ولم يفت الشاعر المارتينيكي إيمه سيزير نفسه أن ينبه إلى هذا الخطر . كما كرس الشاعر الهايتي رينيه ديبستر رسالة في هذا الموضوع وفي الرجوع إلى أفريقية وإلى جذور الشعب الكاريبي لتحقيق هوية هذا الشعب قيمة أكيدة : تتمثل في التضامن مع الشعوب المستغلة والمقهورة منذ عدة قرون . ولكن من الخطأ الاسترسال في هذا المعنى . لأن الثقافة الكاريبية ليست أفريقية ، فقد نشأت وتطورت انطلاقا من ظروف نوعية داخل البوتقة الكاريبية .

وأرادت المصالح الاستعمارية والاستعمارية الجديدة ، أن تدعم الشعور بتنوع الثقافة الكاريبية . وزاد على العقبة الحقيقية الناشئة من تنوع اللغات عقبة أخرى ناشئة من اتصال قيل إنه غير موجود أو انه غير صحيح ، بدعوى أن كل جزيرة تشعر وتتصرف باعتبار أنها عالم مختلف عن غيره ثقافيا وبالتالي سياسيا وأراد البعض أحيانا أن تبحث الجزر عن هويتها في حاضرة الدولة المستعمرة أو في بلاد أجنبية . الا أن التاريخ والواقع اللذين يعبر عنهما مختلف الأشكال الفنية يثبتان عكس ذلك . ويطالب البعض بإنكار الهوية الحقيقية لمنطقة الكاريبي ، وعموما على المدى البعيد وعلى الفنانين والمعلمين الكاريبيين في الوقت الحاضر أن يضطلعوا بمهمة أكثر إلحاحا من مجرد البحث عن عناصر أفريقية في ثقافتهم ، أو التحليل المقارن للثقافات الأفريقية الحالية : تلك هي دراسة ظواهر الاندماج الخاصة ، والأشكال الرمزية المشتركة التي نمت في جزر البحر الكاريبي ، مع رسوخ المجتمعات الجديدة التي نشأت في هذه الجزر .

توسان لوفيرتير : الفاتح


توسان لوفيرتير (١٧٤٣-١٨٠٣)

قدم توسان لوفيرتير نفسه في تاريخ الشعب الهايتي قال : «أيها الإخوة والأصدقاء ، أنا توسان لوفيرتير ؟ وربما كان اسمي هذا معروفا لديكم . لقد آليت على نفسي أن أنتقم . إنني أريد أن تسود الحرية والمساواة في سان دومينج ، وأعمل على تحقيقها .

اتحدوا معنا أيها الإخوة ، وقاتلوا معنا في سبيل هذه الغاية» .

والرجل الذي خاطب رفاقه في المحنة بهذه العبارات في عام ١٧٩٣ وهو في الخمسين من عمره كان قد وصل إلى فترة من حياته شعر عندها بالقدرة على أن يضحي بنفسه في سبيل تحقيق غاية أعظم من قدره الشخصي .

ولد «توسان بريدا» في ٢٠ من مايو ١٧٤٣ في البيت المعروف باسمه هذا في مكان يقال له «هو دي كاب» ، وهو من سلالة أمير أفريقي يدعى «جاوو جوينو» ، من عرق الأرادا . علمه أشينه بيير بابتست القراءة والكتابة ، وأتاحت له اللغة الفرنسية أن يقرأ كتبا مثل «تعليقات» لجول سيزار ، و «أحلام اليقظة» للمارشال دوساكس ، و«تاريخ الحروب» لهيرودوت ، وبنوع خاص المؤلف المشهور «تاريخ جزر الهند الغربية» للقس دينال ، وأتاح له هذا الكتاب انفتاحا قويا في مخيلته ، وأعطاه الاسم الذي اشتهر به هذا العبد «دو بريدا» (أوفيرتير بالفرنسية معناها : الفتاح : المترجم) . كذلك أتاحت له معرفته بالنباتات الطبية الموجودة في البلد ، ومبادئ الطب البيطري التي تعلمها في اسطبلات سيده «بايون ليبرتا» حين انضم إلى الزنوج الآبقين في الجبال ، أن يظهر تفوقه عليهم .

كانت قامته القصيرة ومظهره الصامت الهزيل يخفيان خلقا قويا ، وسيطرة على الجسم والروح ، سيطرة كان لها أثر قوي في توجيه الأحداث التي كانت سانتو دومينجو (هايتي) مسرحا لها من ١٧٩١ إلى ١٨٠٣

كان مجد توسان لوفيرتير التاريخي الرئيسي في أنه حول عصابات من الزنوج الآبقين إلى جيش تحرير مدرب ومنظم ، واستطاع بمهارة فائقة أن يقرن تكتيكات حرب العصابات بروح المصالحة الذكية ، ونجح بذلك في الاستفادة من التناقضات الاستعمارية الموجودة بين مختلف الأمبراطوريات في الساحة السياسية والعسكرية في منطقة البحر الكاريبي .

وفي السنين الأخيرة من القرن الثامن عشر كان ارتداد قوى الثورة الفرنسية ، والانطلاقة الترميدورية (نسبة إلى ترميدور ، الشهر الحادي عشر من السنة الجمهورية الفرنسية : المترجم) انذارا بوقوع أحداث رهيبة في مستعمرة سان دومينج التي عبأها توسان لوفيرتير في حركة تحرير لا رجعة فيها . وكان رئيس اليعاقبة السود يعرف أن السلطة الجديدة التي تدير شؤون فرنسا منذ انقلاب ١٨ بروميير سوف تتصدى للانتصارات المزيلة التي فازت بها الثورة في هايتي . والواقع أن بونابرت لم يتوان في اصدار مرسوم يفرض كتابة العبارة الآتية على كل علم في سان دومينج :

«أيها السود الطيبون ، اعلموا أن الشعب الفرنسي هو وحده الذي يعترف بحريتكم وبالمساواة في حقوقكم» . ورد توسان بقوة على هذا الإجراء الذي اتخذه القنصل الأول قائلا : «لسنا نريد حرية تمنح لنا دون غيرنا في ظرف خاص ، ولكنا نريد تطبيقا مطلقا لمبدأ أن كل إنسان ولد أحمر أو أسود أو أبيض لا يمكن أن يكون ملكا لأي إنسان آخر» .

ولم يكن مثل هذا التوسع الشامل في الحق من رأي نابليون بونابرت ، فبادر بارسال حملة الى سان دومينج بقيادة زوج أخته الجنرال لوكلير ليدعم بها قواعد الرق . وفي ليلة السابع إلى الثامن من يونية ١٨٠٢ وقع توسان لوفيرتير في كمين نصبه له الجنرال برونية ، واقتيد على ظهر السفينة «لوهيرو» (أي البطل) إلى الأسر في حصن «فور دو جو» في الجورا (سلسلة جبال بشرق فرنسا وغرب سويسرا : المترجم) حيث توفي من الجوع والبرد والحنين إلى الوطن في ٧ من أبريل عام ١٨٠٣ . وعند القبض عليه صرخ قائلا : «باسقاطي لم يقطعوا في سان دومينج سوى جذع شجرة حرية السود ، وسوف تنمو هذه الشجرة من جديد بفضل جذورها ، لأنها كثيرة وعميقة» .

• وبعد انقضاء بضعة شهور على هذه الكلمات النبوئية ، أعلن الجنرال جان جاك ديساليه ، الذراع اليمنى لتوسان لوفيرتير في «فور دوفان» استقلال هايتي .

تلك هي معركة توسان لوفيرتير : «معركة في سبيل تحويل الحق الشكلي إلى حق فعلي ، معركة في سبيل الاعتراف بالإنسان ، ومن ثم فهي تسجل تمرد العبيد السود في سان دومينج في تاريخ الحضارة العالمية» .

الرؤية النبوئية لسيمون بوليفار


سيمون بوليفار (١٧٨٣-١٨٣٠)

بقلم : مانويل مالدونادو - دنيس

كان علم الحرية سيمون بوليفار يؤمن دائما بأن حرية شعوب أمريكا لن تتحقق على نحو تام إذا لم تضم كوبا وبورتوريكو في عناق التحرر . فبدون تحرير كوبا وبورتوريكو ، جوهرتي التاج الأسباني الأخيرين ، فستظل جهود تخليص القارة من وباء الاستعمار قاصرة عاجزة ، هذا بالأضافة إلى أن استقلال شعوب أمريكا اللاتينية سيصبح بصفة دائمة واقعاً تحت تهديد ما وصفه مارتي في الأعوام الأخيرة بالنمر الذي يوغل على الدوام في الأراضي المغتصبة لشعوب ما اسماه ، برؤيته التاريخية الحادة ، وطننا أمريكا . لم يكن بوليفار واعياً بأية حال بآمال وتطلعات شعوب منطقة الكاريبي ، بل على العكس تماماً كانت حركته الثورية البعيدة المدى تتصف بتجربته الكاريبية .

نحن نعلم على سبيل المثال عن منفاه في جامايكا ، وعن رسالته الشهيرة «رسالة من جامايكا» عام ١٨١٥ ، التي فيها حدد المعالم الأولى لخطته التاريخية الخاصة بالقارة الأمريكية والتي ضمنها كوبا وبورتوريكو في برنامج خطته الشهيرة هذه . ونعلم أيضاً عن نشاطه كممثل لحركة هايتي الثورية ، وعن تعهده بتحرير العبيد الزنوج في الأراضي الفنزويلية . فقد كان رائد الحرية عازماً تماما على رؤية كل أمريكا اللاتينية محررة من الإستعمار الأسباني .

وفي هذا الشأن يجب إلقاء الضوء على رسالته الشهيرة هذه التي كتبها في كنغستون في السادس من سبتمبر (أيلول) عام ١٨١٥ . كتب فيها : «إن جزيرتي كوبا وبورتوريكو اللتين يصل تعداد سكانهما إلى عدد يتراوح بين سبعة آلاف وثمانية آلاف نسمة هما ممتلكتان خامدتان للأسبان ، لأنهما في معزل عن الشعوب المستقلة . ولكن هل ساكنو الجزر أولئك هم - على نحو مؤكد من الأمريكيين أيضاً ؟ أليسوا واقعين تحت وطأة الذل ؟ أليسوا يبحثون عن العيش الكريم ؟ في الواقع لم يكن بوليفار هنا يرى إلا الى الدعوة لتحرير كوبا وبورتوريكو مادامتا تنتميان إلى شعوب أمريكا اللاتينية . في مرحلة النضال التحريري الأولى . وفيما كان من العسير البدء في رؤية إنتصار للقوات المسلحة المتمردة ، كانت تطلعات بوليفار قد إزدادت حماسة . وتشير المصادر التاريخية الموثوق بها إلى أن بوليفار لم يحل بعزمه وتعهده برؤية كل من كوبا وبورتوريكو متحررتين من نير الدول المهيمنة .

كان رجل التحرير يفكر في إعداد إرسالية عسكرية لتحرير الجزيرتين ، ولم يمنعه من تنفيذ خطته هذه سوى الحالة القومية والدولية المتردية .

يجب أيضاً أن لا يغيب عنا أن علاقات الانتاج كانت في جميع أنحاء منطقة الكاريبي متسمة باستعبادية الزنوج عندما كانت ثورة بوليفار في طفولتها الأولى ، وكان الاستثناء الوحيد هو جمهورية هايتي التي بلغت ملحمتها الخالدة في التحرر من العبودية ذروتها بانجاز استقلالها . وكانت النتيجة الهامة لذلك ، كواحدة من الظروف التي اتفقت وسياسة رئيس هايتي في إرساله دعما من هايتي لتعضيد الكفاح الأمريكي اللاتيني من أجل الاستقلال ، أن حمل سيمون بوليفار على عاتقه تحرير كل العبيد الزنوج في أقاليم القارة المحررة .

راح بوليفار يفكر في عقد مؤتمر كبير قرر له أن يتم في بنما عام ١٨٢٦ ، لكن ذلك لم يحدث . كانت الغاية من هذا المؤتمر هي توحيد كل شعوب أمريكا اللاتينية في اتحاد ضخم يضم شعوباً حرة حاكمة . إلا أن الولايات المتحدة عارضت استقلال كوبا وبورتوريكو ، وبالتالي عملت على إحباط خطة بوليفار التاريخية .

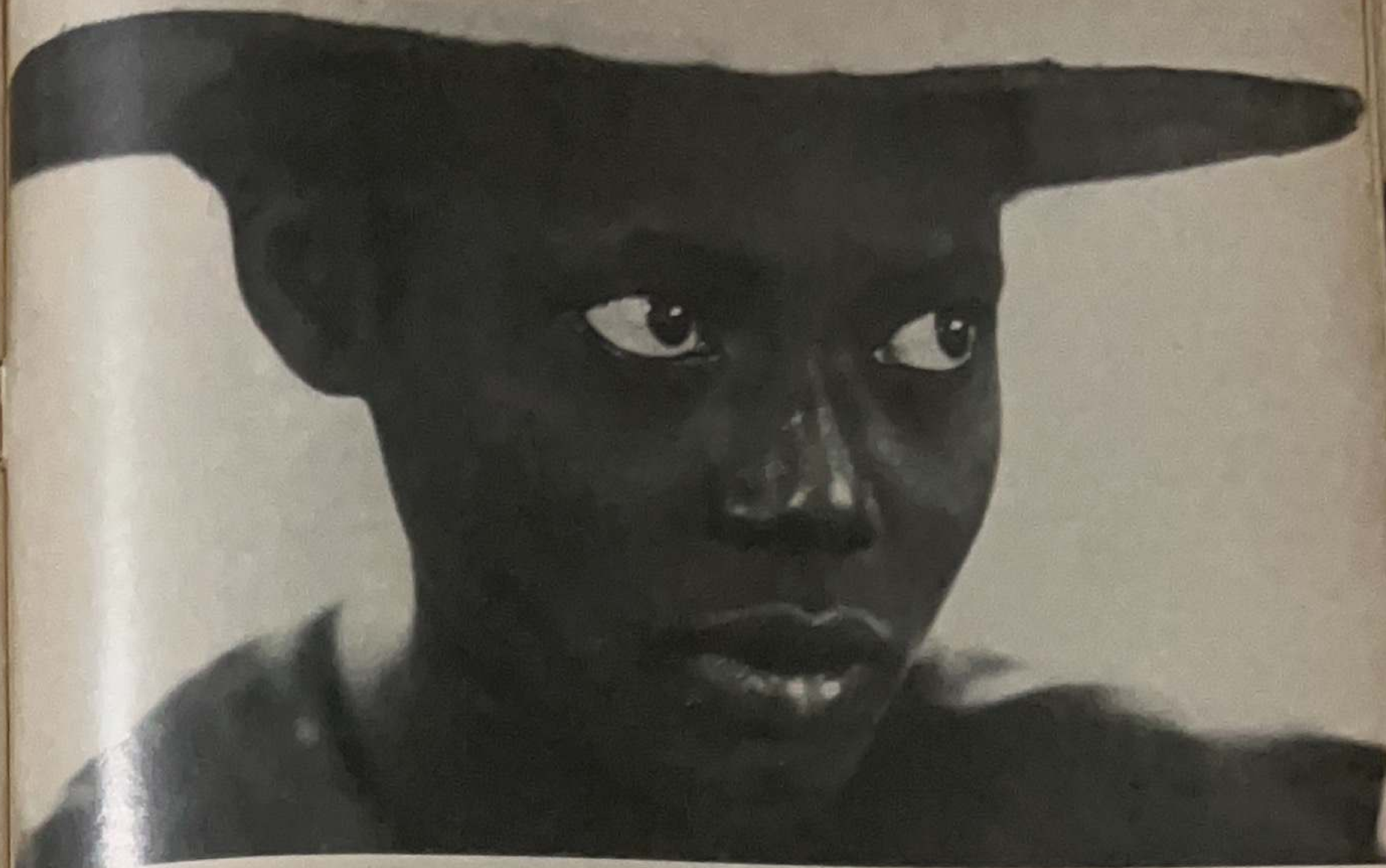
علينا أن لاننسى ، في غضون الأيام الحالية ، أن كوبا وبورتوريكو كانتا على نحو فعلي موضعي تجسس الولايات المتحدة منذ الوقت الذي أصبحتا فيه مستقلتين ، وخاصة كوبا لأنها بالأضافة إلى موقعها الجغرافي ، كانت مناسبة تماماً لأن تضم إلى اتحاد أمريكا الشمالية كدولة تابعة وعندما أحرزت جيوش التحرير المدججة بالسلاح النصر للشعوب الأمريكية الأسبانية أعلنت الولايات المتحدة عن معارضتها المتشددة ضد أي محاولة لتحرير كوبا وبورتوريكو . فكان جار الشمال القوي في صالح الوضع الراهن آنذاك .

ولأن بوليفار عدو لدود للاستعباد والرق نجده قد وضع أسس العمل على اجتثاث العبودية ونظام السخرة من القارة . فكانت قدوته في العمل الثوري قد مهدت الطريق لمستقبل كل من البلدان التي تحررت ، وتلك التي لاتزال تناضل من أجل الحرية .

ان تاريخ منطقة الكاريبي لا ينهض إلا على فكر وعمل سيمون بوليفار . إلا أنه ، حتى اليوم ، ما يزال هناك الكاريبيون الذين لم ينجحوا بعد في تحويل مثاليات بوليفار إلى واقع ملموس . وهذا هو السبب في أن أيديولوجية بوليفار لا تزال بعد مرور مئتي عام حية ووثيقة صلة بموضوعها .

ولم يخطئ مارتي عندما قال : «هناك مازال يوجد عمل لبوليفار في أمريكا» .

مانويل مالدونادو - دنيس أستاذ العلوم السياسية بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة بورتوريكو . ومؤلف لعدد كبير من المقالات عن بلده بورتوريكو



تصوير : شارل هار… ، باريس .

قوس وسهام

بقلم : رينيه ديبستر

لا يسع الإنسان إلا أن يسبح فى الخيال أمام خريطة للبحر الكاريبى . وفى ملتقى الطرق هذا استتار التاريخ مجالات حضارية معقدة تداخلت وتشابكت فيها – بقدر واحد من الحيوية المفرطة – طرز الباروك ، وقصص المغامرين ، وضروب السحر ، والملاحم ، والعجائب ، على المستويات السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية . مع ذلك فإن خمسة قرون من الوجود تمنحنا الفسحة اللازمة لنتعرف فى جزر الأنتيل على أسرة نشأت فى تاريخ من شعوب وثقافات ، شكلها تنوع ظروف الحياة المادية والروحية فى عهد الاستعمار ، وتوافقها ، وصراعات الضارية من أجل التحرير .

وبمرور زمن طويل اتضحت معالم جزرنا التى تمثل …ود بين خمس امبراطوريات متميزة . لا بواقعها الخاص . ولكن بالنسبة إلى أوربا وأفريقية والأمريكتين . وفى الإمكان فى العصر الحاضر أن تدرس ونفسر ونفهم «من الداخل» نظام القيم الخاصة بمجتمعاتنا . وتتمثل منطقة البحر الكاريبى بوضوح على المسرح العالمى بمشاكلها الغريبة ، وموسيقاها ، وفنونها ، وآدابها ، وأزماتها الخاصة بهويتها ، وديناميكية جهودها فى سبيل التطور .

كانت الشعوب التى اشتركت فى تجربة الاستعمار فى نصف الكرة الغربى يجهل بعضها بعضا قبل أن تتلاقى . وأتاح جهلها بخصائصها الروحية والمادية تيسير عملية استحقاقها الوجودى الذى ميز تاريخها كله . لم يكن أهالى الجزر يعرفون الأوربيين أو الأفريقيين ، وإذ كانوا من الأرواك ، والسيونى ، والتاينو ، والكارايب ، فإنهم ذهلوا ذات يوم حين سمعوا الناس ينادونهم بالهنود !

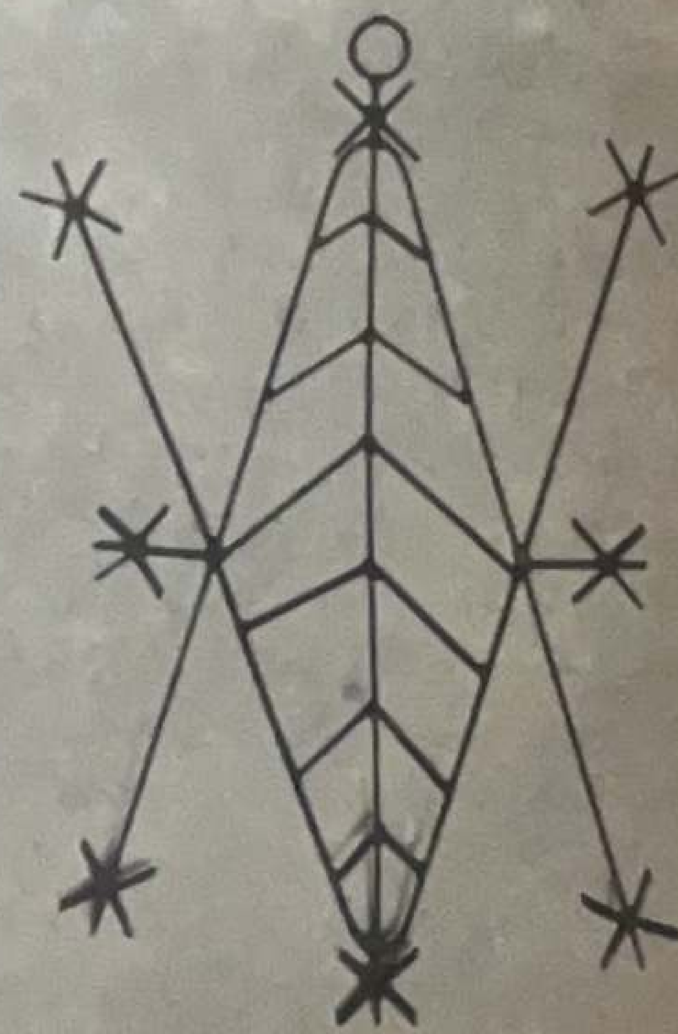
وبعد زمن قليل وقع حدث ذو دلالة مشابهة ، صدم الفكرة التى كانت لدى أفراد قبائل اليوروبا ، والبامبارا ، والماندانج ، من جنوب الصحراء الكبرى الأفريقية عن أنفسهم . إذ نقلوا من أوطانهم باعتبارهم سودا ، أو زنوجا ، أو ملونين . ثم إن هذا الأسلوب «العنصرى» فى تحديد هوية أفراد البشر قد أطلق نعت «أبيض» على شعوب كانت بنوعيتها العنصرية اسبانية وفرنسية وإنجليزية وهولندية وبرتغالية إلخ . وبدت الضرورة على صعيد المستعمرات الأمريكية تحت قناع أبيض ، وتحولت ظاهرة اللون إلى واقعية تاريخية استعمارية . وأضيف الخزى والعنف اللذان اتسم بهما هذا العداء «العنصرى» إلى الصراع العام بين السيد والعبد ، وبين المستعمر والوطنى ، بين بروسبيرو وكاليبان (من شخصيات رواية «العاصفة» لشكسبير : المترجم) . ومن ثم أصبحت السمات الرمزية والأشكال البدنية عند الأفريقيين والأوربيين والكاريبيين «علامات اجتماعية» تعرف علاقات من السيادة والتبعية بين الفاتحين وضحاياهم . وجرت العادة على إقامة علاقة العلة بالمعلول بين لون البشرة وشكل الوجه عند مختلف الجماعات البشرية وبين الأنماط المنوعة لتدخلهم فى الطبيعة والمجتمع . ونتيجة لإضفاء الطابع العنصرى على الصراعات الاجتماعية والثقافية المترتبة على الاستعمار هبط الجوهر البشرى للعمال الذين ينتمون إلى عناصر أفريقية مختلفة إلى جوهر خيالى ، جوهر الزنجى الخسيس ، فى حين

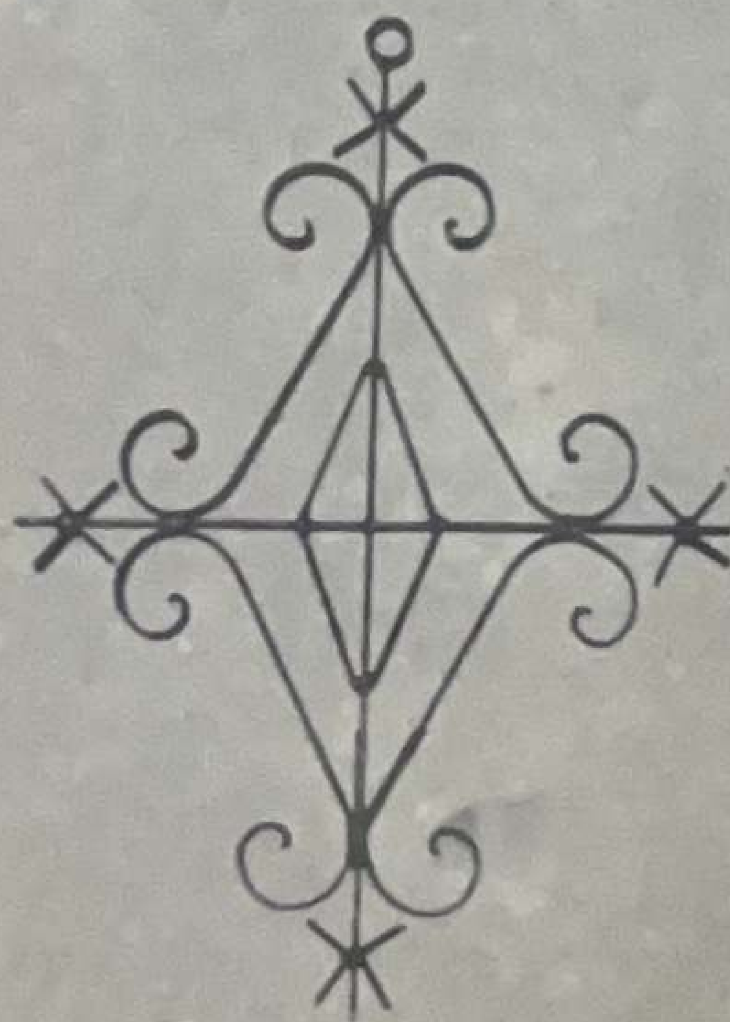
…ه ديبستر شاعر وباحث وكاتب هايتى وعضو فى أمانة …سكو ، ألف العديد من القصائد والحكايات والدراسات ، …من أحدثها قصائد «الليليا لامرأة جميلة» و«صباح الخير …داعا للشخصية الزنجية» ، اشترك فى عملية جامعين اليونسكو «أفريقيا فى أمريكا اللاتينية» ، و«أمريكا اللاتينية من خلال …ها» .

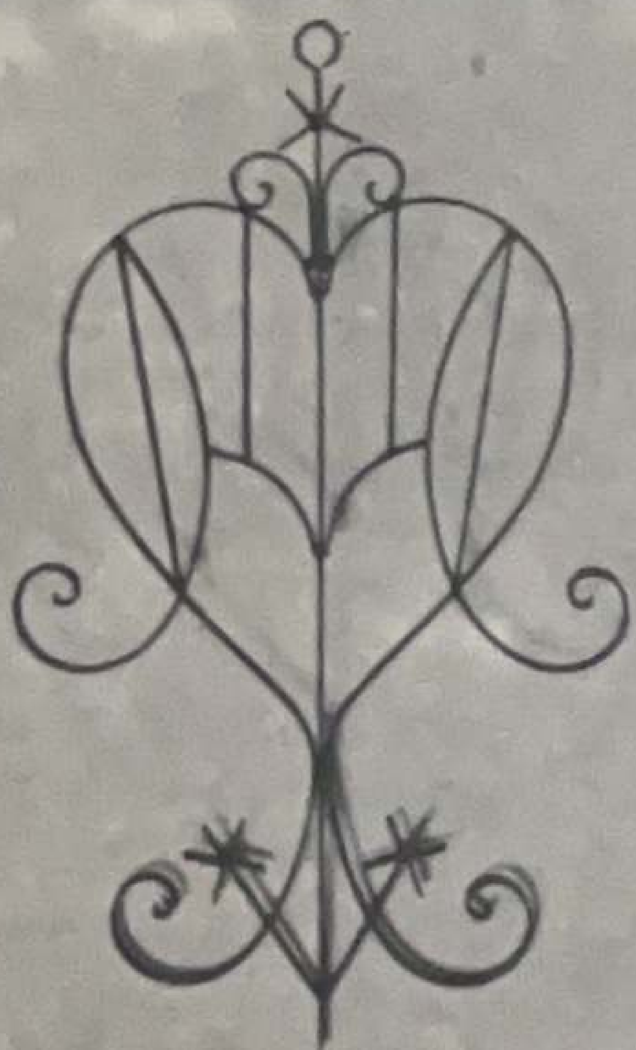


يتصل الرقص اتصالا وثيقا بشعائر ديانة الفودو ، وهى الديانة الشعبية الهايتية ، التى اعتبرها العالم الأنثولوجى الفريد متيرو من «الديانات الراقصة» . والهونسى (كلمة من أصل فونى ، معناها : زوجة الإله) يشتركن اشتراكا نشيطا مستمرا فى احتفالات الفودو (بأعلى) . ويشكلن حول الكهنة والكاهنات (هونجان ، أو مامبو) جمعية أخوية تمارس ديانة «اللوا» أى الأرواح . ولكل «لوا» طبوله ورقصاته . وهى من أصل أفريقى ، مثل اليوميا ، والجابيين ، والكالندا ، والناجور الكبير ، إلخ . وثمة حركة مألوفة عند النساء ، يؤديها أثناء الرقص ، فيمسكن أسفل ثوبهن بكلتا اليدين ، ويرفعنه ويخفضنه خفة وفقا للإيقاع . و«الفيفيه» رسم رمزى يمثل صفات «اللوا» ، وينقش باليد على الأرض ، باستعمال الدقيق ، أو الرماد ، أو القهوة ، أو الطوب المسحوق . ويبدو بأسفل ثلاثة من هذه «الفيفيه» منحوتة فى المعدن . فالقلب بلا خنجر (إلى اليسار) هو الشعار السحرى للآلهة «أرزولى دانتور» ملكة الجمال والحب ، وحامية المواقد والمياه العذبة . والآلهة «إيزان الكبرى» (بالوسط) يجب استدعاؤها فى بداية كل احتفال بقسمه الفودو . وإيزان الكبرى ، مثلها مثل زوجها «ابيون ـ لجبا» ، سيد مفارق الطرق فى هايتى ، تحرس الأبواب والمنازل والميادين العامة والأسواق . وآخر «فيفيه» (إلى اليمين) يخص «الماراسا» أو التوائم الذين يخصص لهم مكان ممتاز فى الفودو إلى جانب أهم «الأسرار» . وهناك صلة بين الماراسا والمطر . وتنتمى كسائر «اللوا» إلى العديد من «الأمم» الأفريقية : ناجو ، ايبو ، كونجو ، داهومى ، إلخ .

(الصورة العليا : الكسيس استروكوف ، فوج ، فرنسا)
(بأسفل : الصور ، أرشيف سارك ، باريس ، مجموعة خاصة)







ارتفع جوهر المستعمرين الذين ينتسبون إلى مختلف الأمم الأوروبية إلى جوهر لا يقل عن الأول غرابة، جوهر الأبيض المتفوق. والأمر في ذلك عملية تحويل مزدوجة، ميثولوجية ورمزية، صنعت المشاعر القوية لدى المستعمرين الذين قدموا باختيارهم من أوروبا، وأضعفت وفككت مشاعر العبيد الذين اقتيدوا عنوة إلى جزر البحر الكاريبي.

وجاء تحريف الجغرافيا سابقا على تمويه الأجسام والنفوس. فما لم يظهر «الشرق» الأسطوري الذي سعى إليه كولمبس أطلق اسم «جزر الهند الغربية» على الجزر التي استولى عليها. ولكن حين أريد إطلاق اسم على مجموع «الأراضي التي اكتشفت على الجانب الآخر من المحيط» لم تحظ أميريغو فيسبوتشي ببريق أقوى من بريق الأميرال الإسباني، ومن ثم سميت هذه الأراضي «أمريكا». وجرت الأمور كلها كما لو كانت أوروبا، في سبيل تنفيذ مشروعاتها العجيبة في نصف الكرة الغربي، في حاجة دائمة إلى إخفاء كل من مجال نشاطها الاستعماري والحقائق الخاصة بالرواد الذين شاركوا فيه.

وعلى ذلك دخلت منطقة البحر الكاريبي في التاريخ الحديث بهوية كاذبة، شأنها شأن سائر أراضي القارة. واكتسبت البشرية في منطقتنا، خلف العديد من الأقنعة، وعيا جديدا بأشكال الكوكب وحدوده وآفاقه، وشهدت أوروبا تجربتها تفتح خبرات مثمرة في المجالات الزراعية والعقائدية والفلكية والبحرية والعسكرية، واكتسبت سيطرة جديدة على الساحة البرية والبحرية. والتقت نظريات الملاحة، وفن رسم الخرائط، وحساب المسافات والتيارات والرياح، انطلاقة جديدة.

وكان نظام المزرعة هو المحور الاقتصادي لهذه الضروب من التقدم. وأجرى البرتغاليون تجاربهم في هذا النظام على نطاق متواضع في جزيرة ساو تومي. وخبر هذا النظام في جزر الأنتيل نهضة رائعة بفضل تجارة الرقيق، والدفعة التي أعطتها هذه التجارة في إنتاج السكر والتبغ والبن والقطن والكاكاو والنيلة والتوابل. وأتاح الوقود البيولوجي الأفريقي للتجارة الدولية والصناعة التي تستعمل الماكينات أن تستفيد الى أقصى حد من التجديدات التكنولوجية في الثورة الصناعية الأولى، وطبقت في اقتصاد المزرعة: كالآلة البخارية، ونقل الطاقة، وطرق التشحيم المبتكرة، وتطوير الطواحين، والخ. وإذ كانت مزارع جزر البحر الكاريبي على مدى ثلاثة قرون بمثابة الرئتين للسوق العالمية فإنها كانت من الأجهزة الرئيسية لتكديس رأس المال، ومن الأسباب التاريخية لنجاح الغرب في المجالين العلمي والثقافي.

وللحصول على هذا النجاح حاولت أوروبا أولا أن تقضي قضاء مبرما على ثقافة اليد العاملة الهندية والأفريقية. ولما كانت أوروبا خليطا مهجنا نابعا من ضروب التعايش الإغريقي اللاتيني، واليهودي المسيحي، فإنها كانت تخشى نتائج التهجين الثقافي في البلاد الأمريكية. وكانت أوروبا، في سبيل تقدم تجارتها وصناعتها، في حاجة إلى جيش من العمال الأجراء ذوي الأذرع الفولاذية، لا إلى «أوركسترا» من الملونين «الجريكو لاتينيين» المنهمكين في نفخ روح أجدادهم فوق تلال العالم الجديد...

ولما كان الاوروبيون رسل نظام سياسي واجتماعي وثقافي يعتقدون أنه ينتمي الى القانون الإلهي فإنهم لم يكن في نيتهم أن يضموا الى تراثهم نماذج «دخيلة من الخارج»،



بل توقعوا أن يروا آلهة شعوب يوروبا، وفون، وفانتي أشانتي، وكونجو، تنسحب بلا قيد ولاشرط أمام القديسين الكاثوليك، لأن كل ماليس «أبيض» يعتبر قبل كل شئ «همجيا» أو «متوحشا». كان المطلوب من سلالة الأفريقيين أن يمحوا ذكرى ماضيهم، ويشتتوا خيالهم، ويفقدوا هويتهم، ويخمدوا صوت ضمائرهم، وأحاسيسهم.

ولحسن الحظ اتخذ التطور الاجتماعي الثقافي الخاص بجزر البحر الكاريبي وجهة أخرى ذلك أن الشعوب الجديدة التي نشأت في البوتقة الكاريبية لم تلجأ الى الأمبراطوريات لكي تصطنع لنفسها هوية جديدة. ولما كان أفراد هذه الشعوب في حيرة من أنفسهم، محصورين في الاسطورة «العنصرية»، فقد بدا لهم أنهم ليسوا في حاجة الى محاكاة سلوكيات أوربا وفنونها وعاداتها لكي ينتقلوا من الهمجية الى المدنية.

وكثيرا ماتحدثت الأنثروبولوجيا الثقافية عن تكيف سلالة الأفريقيين مع النماذج والرموز الثقافية الأوربية، وقدمت بنوع خاص تفسيرا جديدا فحواه أن «العقلية الأفريقية» ثابتة في صلاتها بالعمل والقانون والدين والأسرة والحرية طوال عملية تهجين الثقافات في المنطقة الكاريبية.

والواقع أن ثمة ظاهرة من الإخصاب المتنوع تحت الجذور التاريخية والقوى الخلاقة لدى أبناء أفريقية وأوربا. وطبعت العناصر الثقافية التي أتى بها العبيد مدارك المستعمرين وأحاسيسهم وروحهم وبدنهم بالطابع الأفريقي. كذلك طبعت مبتكرات المستعمرين عقلية الأفريقي بالطابع الأوربي، وولدت هذه الحركة المزدوجة حركة الأخصاب المتنوع لسلم القيم قوة تعمل على تحول الهويات الشخصية، يعبر عنها مفهوم «الكريولية» في مجتمعات جزر الأنتيل.

وفكرة الكريولية هذه حاسمة في كل ما يتعلق بمعرفة الظواهر التاريخية الكاريبية وتفسيرها وفهمها إن التراث الأفريقي والأوربي الخاضع لعمليات التحول والبناء الاجتماعية في نظام المزرعة قد أدى إلى أساليب طريفة في التفكير والشعور والتصرف والتخليل. وعن طريق تهجين العناصر الثقافية الموروثة من القارتين والإسهامات السابقة على وصول كولمبس، أصبحت منطقة البحر الكاريبي ذلك (العالم الجديد) الذي تخيله ميكرا كولمبس، في



يشكل «أوجو» الفودو الهايتي (ويسمون «اوجن» في السانتريا الكوبية، والكاندوبلية البرازيلية) أسرة من الأرواح او الآلهة (لوا) أعضاؤها آلهة من الحدادين وكثير ما يقترن اسم «أوجو» بتسميات متنوعة تنتمي الى التوافق بين العقائد الأفريقية والعقائد الأوروبية. مثال ذلك أوجو سان جاك الكبير وعقائد العالم قبل اكتشاف كولمبس مثل أوجو الحجر الأبيض وفي عبد أوجن، في اندو (نيجيريا)، كاهن يلف حول عنقه حية، وهي من الحيوانات الأثيرة لدى الإله (الصفحة اليسرى). وثمة «لوا» آخر من الفودو الهايتي، ويدعى شانجو (وكذا في البرازيل وترينى)، وهو من أكثر الآلهة شعبية في الأساطير الكاريبية وهو إله العواصف وقاذف الصواعق، وهو أيضا حامي الخصوبة الأنثوية، وله قدرة على عبور الأنهار وقت الفيضان وهبوب الأعاصير وهذا الرجل (الصورة الخلفية) المشترك في عيد شانجو بايدى (نيجيريا) هو حامل النار (الصور ر. بيرجر، يورج)



تصور هذه اللوحة الهايتية الساذجة عيد «أجوية - تاروبو»، رب البحر وجزره. ويحكم هذا الرب الفودو المياه العذبة، من انهار، وبحيرات، ومستنقعات، وينابيع. وكثيرا ما يظهر للمؤمنين به في صورة سمكة. ومن رموزه أيضا مركب شراعي صغير كالذي نراه على هياكل «الهومفور» (معابد الفودو)، ويحمل في موكب فخم اثناء الاحتفال بعيده.

الوقت الذى كانت فيه أوروبا تضع بحب ونشاط الأقنعة على تاريخ القارات الأخرى. إن طرافة العالم الكاريبى - الأمريكى اللاتينى بوجه عام - هى نتيجة تهجين طويل الأمد أتاح للشعوب المقهورة فى المنطقة أن تكشف عن نفسها بأن تنزع شيئا فشيئا أقنعة الأستعمار كلها.

من هم إذن هؤلاء الكاريبيون الذين لم يتأثروا البتة بالطابع الخريكو لاتينى؟ ما الذى يميزهم بالنسبة إلى أوروبا وأفريقيا وسائر البلاد الأمريكية، وسائر أنحاء العالم؟

إن وصف حالة مجتمعاتنا اليوم أسهل من وصفها فى عام ١٨١٥ حين بدت هذه المجتمعات فى عينى سيمون بوليفار «صحية وشديدة التعقد فى آن واحد»، وتكشفت الشعوب من ذلك الحين بوضع حد للتقطيعات التى جرت فى تاريخهم بسيف المستعمر، وعثروا عن إجابات مناسبة للسارحات الخاصة بالهوية التى واجهتها بلاد البحر الكاريبى مواجهة بطولية منذ معارك التحرير التى شنها توسان لوفيتير، وسيمون بوليفار، وخوسيه مارتى، وماركس جارق، ولك. بيزال وغيرهم، ووجد البعض منهم هذه الأجابات.

وفى حوزتنا اليوم فى جزر البحر الكاريبى أدوات منهاجية تتيح لقوم تاريخ مجتمعاتنا. وتستبعد المفاهيم الجديدة النزعة العرقية (نزعة فى الأنسان تدفعه إلى رفع شأن قومه: المترجم) التى تنسب الفكر إلى المخططات التى رسمتها الأيديولوجيات الاستعمارية وتتراجع الآراء عن العنصرية القوية التى أثرت على مفاهيم الأنثروبولوجيا والسجلات التاريخية، وذلك بفضل الأعمال المتصلة بمختلف العلوم، التى تتيح معرفة شاملة للعمليات التاريخية الثقافية الشديدة التعقيد التى حددت التنوع المدهش الوحدة الأكيدة لثقافات العالم الكاريبى.

ونحن الآن قد تقدمت معلوماتنا عن تاريخ حركات مقاومة الأستعمار التى أثارها العديد من أجيال الزنوج الأفقين من عام ١٥١٩ الى أواخر القرن التاسع عشر. وقد هدمت الأعمال المكرسة لجمهوريات الزنوج الآبقين أسطورة «روح الاستسلام» التى زعم البعض أنها تميز العبيد الأفريقيين. وتبين أن الإباقة لم تكن فقط ظاهرة اجتماعية وسياسية، ولكنها كانت أيضا نشاطا روحيا أتاح لعمال المزارع الأمريكية أن يحصلوا على سلم جديد للقيم فى الدين والسحر والموسيقى، والرقص، والطب الشعبى، واللغات الكريولية، والطهو، والأدب الشفاهى، والحياة الجنسية، والأسرة، وسائر تعبيرات الحياة الاجتماعية.

واذ راح زنوج البحر الكاريبى يبحثون عن أسس وجودية جديدة لهويتهم فإنهم أخذوا من الكرب الذى كانوا يقاسونه من وضعهم «الزنجى» الذى اخترع لهم ديناميكية لتنعش فى نفوسهم إحساسا شاملا بالحرية. ووجد العبيد ردودا فكرية وحركية على أوضاع حرجة تهدد بصورة خطيرة بالقضاء على وعيهم الاجتماعى وحساسيتهم، وأحيلوا مثلما فعل أسلافهم فى الأمبراطورية الرومانية ديانات وطنية دفاعية مزودة بتكوينات رمزية وأسطورية توافق رغباتهم التى لم تشبع، رغبات أناس ذلوا وأهينوا بصورة فظيعة.

ولم يمارس هذا التهرب الثقافى بقوة واحدة فى كل مجالات الحياة والثقافة. فلغات السادة لم يمكن رفضها فى كل الجهات، ولو أنه تبين وجود تأثير فعلى للغات

الأفريقية على اللغتين الإسبانية والبرتغالية فى البلاد الأمريكية. وباستثناء اللغات الكريولية فى هايتى، والمرتينيك، وجوادلوب والبابيا منتو فى كوراساو وأوروبا والرطانة الانتيلية والجوبانية، لم يتم الفور من التعبيرات اللغوية الأوربية. كذلك تم القضاء على العرف القانونى الخاص بحزب أفريقية، وأساليب التفكير السياسى والاقتصادى فى المجتمعات الأفريقية السابقة على الأستعمار. أما التقنيات (كالنسيج وتشغيل الحديد) والفنون (كصنع التماثيل، والنحت على الخشب والعاج)، وسائر وسائل التعبير الأفريقية البارعة، فإنها اختفت تحت وطأة الحساسية الاجتماعية الاقتصادية البحتة، فى أمريكا الأستعمارية.

ولم يستطع حرحة الزنوج الآبقين التاريخية أن تقضى على المواقف المشهودة فى «قصة كوخ العم توم» على الخوف والعار اللذين يلحقان بشخص «الزنجى»، وعقدة النقص، وأعمال المحاكاة، وأنماط التناقض الوجدانى الاجتماعى التى تميز أحيانا الكاريبيين حقا قد اختفى، لجار الرقيق من مسرح الحياة الاقتصادية، ولكن لم يزل هناك مع الأسف، فى فترة التخلص من الأستعمار، بعض أفراد «الصفوة» العاملين على تقليد النماذج التنظيمية الأمبراطورية القديمة والجديدة، ومحاكاة عناصر عقلية مضادة تماما للطبائع والأمزجة الشائعة فى جزرنا.

والواقع مع ذلك هو أن التجديد العام فى الروح والشاعر يتغلب على الظواهر الأستعمارية الرجعية. فالذاكرة والخيلة تكفلان وظائف جديدة لأنماط التراث الثقافى التى أودعها شعوبنا بصبر ومودة فى حياتهم اليومية وأعمالهم، وكذا فى أحلامهم السرية والحوض الكاريبى - الذى تصوره رؤية مانوية تاريخية على أنه أرض مشتعلة محاطة ببحر حى عاصف - يمر بمرحلة جديدة فى مغامرته التاريخية. والأرخبيل فى مجموعه، وقد أمسى قادرا على تشكيل مصيره، يملك اليوم شيئا يستطيع أن يعبر عنه بقوة فى كل مجالات الفكر والعمل. وتتخذ المعطيات التاريخية، والبيئة، والاجتماعية، والترفيهية، والسياسية، والدينية، فى الكثير من الأحيان، ابعادا هائلة مثيرة فى حياة المنطقة وثقافتها.

أما بشأن المجموعة الأدبية والفنية فى جزر البحر الكاريبى فإنها تعبر عن وعى «ديونيسى» (نسبة الى ديونيسوس اله الخمر عند الاغريق، المترجم)، وشمسى وحشى، فى آن واحد وعى يجمع فى سجل واحد واقعية المغامرات، والسيريالية (فوق الواقعية) الشعبية. وبين الكائن البشرى والبيئة الطبيعية الكاريبية ينفتح خليج براق: ذلك أن فرحة الحياة (رغم الشدائد الاجتماعية المبرحة) ترافق المتع الماجنة التى يستثيرها تناسق الأصوات والألوان والأشكال. وفى هذا الخصوص، ودون الإقلال من قيمة الأدب والفنون التشكيلية، تشغل الموسيقى فى جزر البحر الكاريبى مقام الصدارة فى الوعى الاسطاطيقى (الجمالى) للخبرات الحية.

وعلى ذلك فإن القوس الكاريبى سوف ينتهى ذات يوم بتحطيم آخر ضلع فى المثلث الذى حبست التجارة الأستعمارية مصيره فيه، حتى يرمى فى كل الجاهات التضامن سهاما موسيقية وتشكيلية، وروائية، وشاعرية. وفى ذاك اليوم سوف ينطق العالم نبأ بأن أدواء التاريخ والجغرافيا يمكن أن تنقلب الى صحة تامة تتمثل فى واقع المجتمعات وتصوراتها

الصفحات الملونة

الصفحة المقابلة

أدت احتفالات الكرنفال الرائعة فى الكاريبى الى صنع الأقنعة الملونة، والصور وغيرها من الأشكال الفنية المماثلة التى تستلهم التراث الافريقى على نحو لامثيل له. فى أعلى الى اليسار وأسفل: صورتان من صور كرنفال ترينداد ذى الشهرة العالمية. فى أعلى اليمين: صورة ديابليط، من عمل المصور الكوبى ريلبيه بورنوكاريرو. وجدير بالذكر أن الديابليطات هم شخوص مقنعة ترقص فى جماعات خلال بعض احتفالات الديانة الشعبية فى كوبا المسماة «سنتريا»، وهم يشبهون شخوص الكرنفال كثيراً، وكلاهما من صنع الخيال.

تصوير: م. موزار. إكسبلورى، باريس
تصوير: ميشيل فريدل. رافو، باريس
تصوير: بيحويل روجاس رمكس، باريس
مجموعة خاصة - هافانا

ص ٢٢

السكر والطباق هما أهم منتجات المزارع القديمة ... عماد الاقتصاد الحديث فى إقليم الكاريبى. فى ... أحد مصانع السكر القديمة فى ترينيداد، وهى ... المزارع القديمة. تراكمت الساقات على ... استيراده من جلاسجو فى ١٨٥٧. تستخدم ... اليوم أساليب تكنولوجية حديثة ومتطورة. و ... من الطباق فى كوبا التى هى موطن سيجار ...

تصوير: ميشيل فريدل. رافو، با...

ص ٢٣

الملاحات ذات شكل هندسى فى جزيرة بونير. و... جانب جزيرتى أوروبا، وكيوراساو، من اكبر جزر الأ... ويتكلم أهلها البابيامنتو، وهى لغة نشأت فى عهد ... الأستعمار.

تصوير: ميشيل فريدل. رافو، باريس

صفحتا ٢٤ - ٢٥

سوق ميناء ميراجوان (هايتى). هذا المنظر الهايتى، بألوانه المتفجرة، وغزارته، وحيويته، يذكر بروعة الجزر الأخرى فى البحر الكاريبى. وتذكر المراكب الشراعية بوجود البحر فى كل مكان. البحر الكاريبى الذى له «تاريخ».

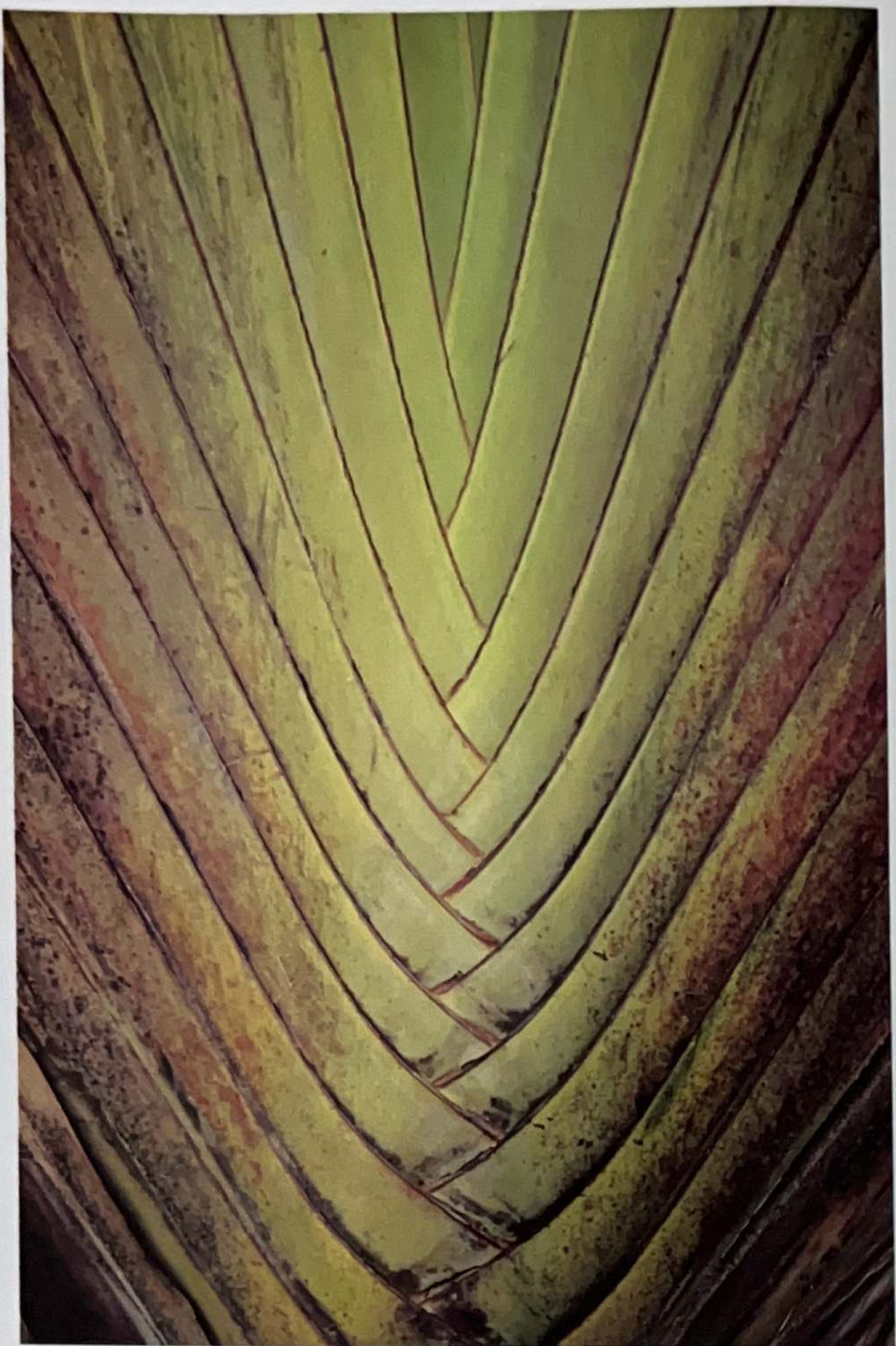
الصورة: ميخائيل فريدل - رافو، باريس.











بلادنا "نحن"

جزر الهند الغربية من الداخل

بقلم: ماريون باتريك جونز

تتلاطم الأمواج على الصخور الشاهقة على ساحل البحر، كما فعلت منذ مئات السنين، وذلك عند المكان المعروف باسم «سوترز» على ساحل جزيرة جريبادا، الذى قفز منه الهنود فى أعماق البحر عندما ضيقت قوات الغزو الأوربية الخناق عليهم.

ترى من ذا الذى سيحتفى بالمعارك اليائسة التى خاضها الكاريبيون والأرواك الذين أطلق عليهم اسم «الهنود»؟ لقد انهارت فى البحر نقوشهم الصخرية وأوانيهم الخزفية، التى لايعثر عليها إلا بمحض الصدفة. صحيح أن خليطا من الكاريبين والأرواك والاسبانيين الفقراء، قد بقى على قيد الحياة فى ترينداد، ليزودون بالذرة، وأطباق الميوق (نبات استوائى)، والقيثارة، وأغانى البارنج[1] ورقصة الكاسپاتى[2]. ولكن لم يبق سوى القليل من الشواهد التى تدل على رفض القوم للعبودية فى سوترز، والثورة على الغزاة فى ترينداد. والواقع أن معظم سكان ترينداد لايزالون يذكرون «القديسين» الذين استشهدوا فى هذه الثورة، مما يدل على القسوة والوحشية.

ولم تبق هذه الشواهد القليلة بمحض الصدفة. ذلك أن التاريخ يسجل سوى الحقائق المختارة التى لايراعى فى اختيارها مالها من أهمية تاريخية، وانما يراعى مايشغل الأذهان فى اللحظة الراهنة. غير أنه فى حالة الكاريبيين المتكلمين باللغة الانجليزية لم يفرض هذا الاختيار من الداخل، وانما فرض من الخارج فى أغلب الأحيان، حتى بعد عهد الاستقلال ولم يكن هذا الاختيار، وقفا على الإستعمار القديم أو الجديد. ذلك أن كلا من اليمين واليسار يرى فى الإقليم الكاريبى احتدادا للسياسات والأهداف العنصرية التى تتصارع بين البيض والسود.

هذا والأبطال المشاهير بين الكاريبين هم الذين أثروا ـ بصفة خاصة ـ فى السود الموجودين بالخارج. ذلك أن السبيل الوحيد لإحراز الشهرة الفنيه هى نشر الثقافة الفنية وعرضها بالخارج واجتذاب أنظار النقاد إليها. بيد أن أهل ترينداد لا يعجبهم فى فن الرقص سوى الفنانة «بريل» وزميلتها «ليتل كاريب»، ولايعجبهم فى الموسيقى سوى «ايلى مانيت» و «سبيرى سپموتر». وقل من أهل جامايكا من لم يتأثر فى النحت بفن إدنا مانلى، وفى الموسيقى بفن «لويز بنيت». ويعجب أهل بهاما بموسيقى «ميتا كمبريانتش». وقد كافح كل هؤلاء الفنانين بشدة فى داخل البلاد من أجل ابراز شخصية الكاريبى الحقيقية وحافظوا على ولائهم لبلادهم التى بدا أنه لامستقبل لها فى نفسها أو لنفسها.

وإذا استثنينا بعض المنازل الكبرى فى جامايكا وجيانا وجدنا أن المنازل الجميلة فى الجزر تتراعى وتنهار بكل ماتمتاز به من النقوش الخشبية الجميلة، والنوافذ ذات الألواح الزجاجية الصغيرة، لتحل محلها بيوت شيدت بالخراسانة ذات اللون الأصفر. ترى ما الذى يدفع الأهالى الفقراء الى بناء هذه المساكن، كما فعل ملاك المزارع فى أحد العصور حيث أرادوا إحياء الخرافة القائلة بأنهم ينتمون الى آباء من البيض؟ الواقع أن الدافع لاصلة له باللون الابيض أو الأسود، وكل مافى الأمر أن بعض الهنود الشرقيين الذين استقروا فى الكاريبى أرادوا أن يثبتوا ببناء هذه المساكن الجديدة أنهم ينتمون إلى طائفة البراهمة الأستقراطية فى الهند!

وقل من الناس من يعرف ج. ج توماس الذى وضع فى ١٨٦٩ أجرومية للهجة لغوية محلية شاعت بين القوم بتأثير اللغة الأنجليزية كما ألف كتاب «فرود اسفى» (١٨٨٩) الذى وضع أساسا لكتابة «تاريخ الكاريبى» سواء فى ذلك ما ألفه إيريل ويليامز، و س. ل. ر جيمس، وا. براثويت، ووالتر رودنى. ولد ج. ج. توماس فى ١٨٤٠، أى بعد سنتين من الغاء الرق فى جزر الهند الغربية البريطانية. وألف كتاب «فروداسفى: شرح القصص الخرافية فى جزر الهند الغربية» ردا على كتاب ألفه جيمس أنطونى فرود الانجليزى بعنوان «اللغة الانجليزية فى جزر الهند الغربية» فى ١٨٨٨. واذا كانت «نانى أوف ذى ماروز» تشتهر اليوم فى جامايكا بأنها قادت ثورة العبيد ضد المستعمرين الأنجليز دون أن تصيبها رصاصة واحدة فإنها لم تنل حتى الأن من الشهرة فى الخارج ما هو جدير بمواهبها العسكرية التى لاتقل عن مواهب جان دارك الفرنسية.

وهذا التاريخ وهذه الثقافة ـ تاريخنا وثقافتنا «نحن» ـ تم صنعهما فى بوتقة الكفاح الذى دار معظمه فى الداخل، وكان كفاحا شعبيا فى جوهره، جرى فى الاحياء الفقيرة، وداخل أفنية المنازل، وفى الحقول والمزارع الكبيرة. وكان ـ كما هو الشأن فى كل مكان ـ كفاحا معقدا، بسبب العوامل العنصرية، واختلاف الطبقات الاجتماعية، وتفاوت المركز الاجتماعى بالنسبة للأحرار والعبيد. واذا كان العبيد قد استطاعوا ـ بسبب الحروب التى نشبت بين ١٦٥٥ و ١٨٨٠ ـ فرض معاهدة على الانجليز تكفل لهم التحرر من الرق فإن الحاكم البريطانى ادوارد إير قد استخدمهم أيضا فى إخماد ثورة ١٨٦٥ التى اشترك فيها غردون وبول بوجل، للمطالبة بزيادة نسبة التمثيل النيابى فى جامايكا، وحكمت السلطات البريطانية عليهما بالاعدام بتهمه العمل على قلب نظام الحكم.

وكان الكفاح فى أواخر القرن ١٩ جزءاً من حركة عامة برز فيها ج. ج. توماس على المستوى الثقافى، وغوردون وبوجل، على المستوى السياسى وتكفلت الثقافة الشعبية بحفظ التاريخ والتعبير عن المظالم والشكاوى السياسية ونشأ عن ذلك مايسمى «ثقافة الصفوة». وكانت كلتا الثقافتين جزءاً من معركة سياسية فى سبيل الاستقلال الذاتى وتكوين نقابات العمال، ثم الحصول على الاستقلال التام فى النهاية. ولم يكن هذا الكفاح قط

(١) **البارنج**: احتفالات عيد الميلاد. تمتاز أغانى البارنج بإيقاع خاص. وهى تغنى بالإسبانية على القيثارة.

(٢) **رقصة الكاسپاتى**: رقصة أسبانية قديمة لا تزال شائعة فى ترينداد وفنزويلا.

صفحات ملونة

صفحتا ٢٦ ـ ٢٧

«الغابة» (١٩٤٣) لوحة للمصور الكوبى ويفريدو لام. ويعتبر هذا العمل المشهور تحقيقا تعبيرا صادقا عن الحساسية التشكيلية لجزر الأنتيل. ولام مصور وثيق الصلة بيكاسو وبالسريالية، وهو يعبر هنا، كما فعل كثيرا، عن رؤية إنسان كاريبى وتجربته. فى كثافة الأشكال النباتية يتبين بسهولة منظر نسى للمصور ان يتأمله فى عهد طفولته الكوبية: حقل قصب السكر. وهنا تبدو الصلة التى تربط عمله التصويرى بالطبيعة الاستوائية الأنتيلية فى التوافق بين الألوان والأشكال، والشبكة النباتية. هذا التوافق الذى نجده فى الكثير من جزر البحر الكاريبى (الصورة اليسرى). الا أن تصور لام تصوير ثقافى أكثر منه تصويرا طبيعيا: ثقافة مهجنة أساسا، ثقافة وطنه، وجزر الأنتيل بوجه عام. وفى «الغابة»، وبخاصة فى الشخوص الأربعة الغامضة، يبرز العالم الأسطورى فى الديانات الكوبية المتوافقة. وفى بهجة الحيوى، وفى لون الصدا الذى يحشى الأوراق والزهور، يلمع وجود الإله شانجو (انظر الشرح بصفحة ١٩). ولكن فيما وراء هذه التجربة الأنتيلية بنوع خاص يبدو هذا العمل كأول عرض تشكيلى لعالم ثالث أدرك الضرورة الملحة للجمع بين الثقافات.

الصورة ـ إيجيث فاسان اليوم، باريس

الصورة ـ متحف الفن الحديث، نيويورك



تمثل هذه اللوحة للمصور الهايتى ادوارد دوفال إلها من أسرة «الزاكا». ويلعب دورا هاما فى أساطير الفودو. وهذا الزاكا الفارس من زعماء الزراعة، وهو إله فلاح عظيم. وعلى صلة وثيقة بالأحداث المتعلقة بتاريخ الزراعة فى هايتى. والإله وحصانه فى هذه الصورة يبدوان محاطان بهالة رائعة، ولهما كليهما نظرة مهوسة ساخرة، ولهما هيئة المتحدى، الواثق من نفسه. ويعبر الرجل ومطية عن المغامرة الكبرى، مغامرة الأعماق، والحقائق، والأسرار التى تضئ الثقافة الهايتية التى تخصبها جذور البلد التاريخية، تضيئها من الداخل، من خلال التعبيرات الأدبية والتشكيلية لخيال حالم موضعى.

(الصورة: الكسيس سركوف، فوج، فرنسا)



نحو كفاح ضد السيادة الاستعمارية، برغم أن الاستعمارية كانت جزءا هاما من السيطرة الإستعمارية. وكل من يستوى الإرتباط بين الثقافة والسياسة يحصل في فهم طبيعة الشعب في منطقة البحر الكاريبي المتكلمة باللغة الانجليزية.

وامتاز العقدان الثالث والرابع بالصور الزيتية التي رسمها الفنان أنكل كاملو، وجمعت بين حقائق الحياة اليومية والأفكار الموجهة. وحفلت بتصوير الشاطئ وأبنية المنازل القديمة وأصبح الفقر الذي لازم الحكم الاستعماري هو الأرضية التي نبع منها الحوار الفني. ولكن في الوقت نفسه قاوم سيبرياني[3] صنوف الاستعمار على النقيض الباقية من الحكم الذاتي، وكون الفريق رانشارة[4] نقمًا من عمال الموانئ. وقدم في كل عام عروض السطالبة باستمرار «الكرنفال»، والمحافظة على الهياكل المصنوعة من الورق المقوى ليحتفل فيها المنشدون بذكرى استشهاد الإمام الحسين في شارع سنت جيمس.

ولم تحدث هذه المقاومة في فراغ، بل كانت مبنية على حوادث ماضية. إذ جرت حوادث شغب عرفت باسم «شغب البيت الأحمر» أحرق فيها مبنى «مبنى البلدية» سنة الإدارة المركزية احتجاجا على ضريبة المياه، وحلوا قوى العمال والعاطلين والمحتجين ضد الحكم البريطاني، وأثاروا مشكلة هامة هي المطالبة بتكوين نقابات للعمال.

وفي أواخر العقد الرابع الشعر سخط الطبقة العاملة في سلسلة من الثورات والاضرابات. فحدثت اضرابات في مصانع السكر في سنت كيتس في ١٩٣٥، وثورة ضد الرسوم الجمركية في سنت فنسان في العام نفسه، واضراب في مناجم الفحم في سنت لوسيا في ١٩٣٥، واضراب الانهيار الشامل مع العمال في بربادوس في ١٩٣٧، تحول إلى صراع حقيقي يتزعمه بتلر، وثورة في مزارع السكر في جيانا في ١٩٣٧، واضراب عمال الموانئ

ق جامايكا في ١٩٣٨. وتزعم «أوريا بوتلر» حركة عمالية في ترينيداد، واستطاعت أفكار هؤلاء أن تبعث الرعب في قلب «شارل كيج» أحد رجال الأمن العام، فخر صريعا. وتزعم الاضراب في جامايكا رجلان عظيمان هما «نورمان مانلي» والكسندر بوستامنتي» (تولى كل منهما رئاسة الوزارة في بلاده فيما بعد). وجدير بالذكر أن طائفة من النساء المخربات ساعدت المضربين، ولولاهن لفشل الاضراب.

ولم يحظ أحد من هؤلاء الزعماء المحليين بالشهرة في العالم الخارجي، إذ لم ير البورجوازيون في عودتهم بطلا من أبطال الثورة طبقا لمفهوم الثورة عندهم، ولم يؤيد اليساريون فكرة انشاء حزب اشتراكي، وتنظيم مسيرة عمالية بمناسبة أول مايو في ترينيداد، بزعامة رنشارد، والتشريح، وجوز.

وشهدت هذه الفترة أيضا ازدهار الثقافة، ففي أثناء سنوات الحرب ظهرت في الأحياء الفقيرة بميناء أسبانيا الفرقة الموسيقية المعروفة باسم «الفرقة الفولاذية»، على يد الفقراء الذين عزفوا أول الأمر على أغطية صناديق القمامة المسروقة، ثم بعث الرعب في [illegible] أبناء الطبقة المتوسطة في ترينيداد. وكانت هذه الموسيقى تصاحب حرب العصابات الضارية التي كانت العصي تستخدم فيها فيما مضى، ثم أصبحت بعد الحرب هي الموسيقى القومية.

وكانت هذه العملية أيضا جزءاً من تاريخ الثقافة في منطقة الكاريبي المتكلمة باللغة الانجليزية. ووضعت علية القوم (الصفوة) في البداية العناصر الثقافية القومية التي ابتدعها الفقراء، ولكنها عادت فاقتبستها، سواء في ذلك الرقص والغناء والموسيقى. فعرفت جامايكا موسيقى «ريجي» والقيس وكيس كالتورود الرقصات الشعبية، وألفت سقفيا وتر أروع تحليلاتها على أساس التحليل التقليدي المعاصرة حول كالو. ومن ذا الذي ينسى التمثيلية الرائعة التي ألفها ايرول جون بعنوان ؟

ولا يقتصر الأمر على الغناء والموسيقى والرقص، فقد اكتشف بوال دله الكتب في العقدين الثالث والرابع ولايكنا أن نفهم أعمال و. آرثر لويس في علم الاقتصاد، والأعمال م. ج. سميث في علم الاجتماع، دون الإشارة إلى الشكلات التي عاناها الشعب، أو إلى

الكفاح من أجل تحرير العبيد. ويرتبط تاريخ هذين الرجلين بالكفاح من أجل الاستقلال خلال العقدين الخامس والسادس، وفي هذا الكفاح تتمثل مواطن العظمة والضعف في شخصيتيهما.

وماذا عن الرجال الذين قادونا إلى الاستقلال؟ لقد واجه هؤلاء الرجال صعابا جمة. خذ مثلا إيريك ويليامز[5] مؤلف ذلك الكتاب القيم الرأسمالية والرق. لقد غصت قاعة المكتبة العامة في ترينيداد بالحاضرين الذين وفدوا لسماع محاضراته التاريخية في ١٩٤٩ و ١٩٥٠، وما فصل من «اللجنة الكاريبية» بسبب آرائه المتحررة، ومن الزوج في الكاريبي عبر عن آرائه في سلسلة محاضرات ألقاها في «ودفورد سكوير». ومن هنا قال أهل ترينيداد إن الحل الوحيد لسائر المشكلات والمنازعات التي واجهت كل النظم هو الاستقلال. صحيح أن الخزانة كانت خاوية الوفاض، وأن الناس في ذلك الذين كانوا أقل بكثير مما هم الآن (يبلغ عددهم الآن مليون نسمة)، ولكن معظمهم كان يجد مايكفيه.

وهذا الكفاح في سبيل الاستقلال، والقواعد الأمريكية التي صاحبته هو من المشكلات المعقدة، إذ عارضت قطاعات معينة من السكان فكرة الاستقلال خشية القضاء على بعض مايتمتعون به من امتيازات. وكان الكفاح في سبيل الاستقلال قويا في جامايكا بقيادة مانلي، وبوستامنتي حيث نبتت الفكرة مباشرة من حركة نقابات العمال، والاضرابات التي حدثت في ١٩٣٨، وفي جيانا بقيادة برنهام وجاجان، وفي بربادوس [illegible] وكانت هذه الحركة هي التي قضت على «أولاد شارع باى»[6] في جزر البهاما.

ومن التفاؤل أن يظن أن الكفاح في سبيل الاستقلال انتهى أمره، بل الأصح أن الكفاح في سبيل [illegible] تاريخنا طبقا لواقع حياتنا والاعتراف بحقنا في [illegible] لايزال مستمرا. ذلك أن المناداة بالاستقلال الذي [illegible] العقد السابع، ولايزال يعم الأقاليم ليست هي [illegible] العملية ولانهايتها.

إننا سنصنع تاريخنا، لأننا كاريبيون. إن [illegible] شجرة «بوي» الشعبية هي أزهارنا نحن. إننا نرقص [illegible] ونشرب القهوة السوداء في السهرة الجنائزية ([illegible] بجانب الميت قبل دفنه)، ونأكل الفطائر الصغيرة المحشوة باللحم. وكل ذلك من خصائصنا نحن. وقد خلقنا [illegible] لغة جامايكا، ولغة باجان[7] ولغة الهند الغربية [illegible] هذه اللغات هي لغاتنا «نحن».

ونحن نرجو أن تتدفق وينطلق معنا كل من [illegible] بعثنا إلى الأبد تحت الظلال الزرقاء والنجوم الثابتة التي [illegible] في ليالي البحر الكاريبي، لأن هذه الظلال والنجوم [illegible] البحر تضم أرواح أسلافنا الذين حاربوا وناضلوا، ومن [illegible] لنا «نحن».

(٣) سيبرياني: كان كابتن سيبرياني الترينيدادي من أصل كورسيكي. اشترك في حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨، ثم عاد إلى ترينيداد ليحارب من أجل الاستقلال الذاتي. ويعد [illegible] من أعظم أبطال ترينيداد.

(٤) [illegible]: يرتبط ارتباطا وثيقا بالكابتن سيبرياني. كافح من أجل تحسين أحوال العمال الذين يسمون [illegible]، ومن أجل تكوين نقابات العمال.

(٥) إيريك ويليامز: كان د. إيريك ويليامز مؤرخا [illegible]، حول العلاقة بين حرية التجارة وإلغاء الرق. [illegible] أستاذا بجامعة هوارد بواشنطن. انضم إلى لجنة الكاريبي التي كان مقرها في «ميناء أسبانيا». ويعد أن [illegible] أسس «الحركة القومية الشعبية»، وقاد ترينيداد وتوباجو إلى الاستقلال، توفي في ١٩٨١.

(٦) أولاد شارع باى: من أصل بريطاني يسموا بهذا الاسم لأنهم سيطروا على التجارة في شارع باى، كما سيطروا زمنا طويلا على السياسة في البهاما دون معظم السود.

(٧) باجان: اسم عامي يطلق على أهل بربادوس الذين يتكلمون بلهجة ذات نبرة مميزة.

تقويم البحيرة

بقلم: إيمي سيزير

أسكن جرحا مقدسا
أسكن جدودا وهميين
أسكن رغبة غامضة
أسكن سكوتا طويلا
أسكن ظمأ لايرتوي
أسكن رحلة ألف سنة
أسكن حرب الألف سنة
أسكن عبادة بلا غاية
أسكن الفضاء الخالي، بين البصلة وقشرتها
أسكن نسيفة، لا صبا (النسيفة، هي البازلت: حجر صلب بركاني الأصل: المترجم)

في صبا، كالموج العالي
يتدفق سريعا على الوادي الصغير
ويغرق كل المساجد
وأتوافق بقدر ماأستطيع مع هذه المحنة
مع هذه الصورة من الفردوس المفقود
ـ وإنه لأسوأ من الجحيم.
أسكن من وقت لآخر جرحا من جروحي
وأغير كل دقيقة يبقى
وكل سلام يخيفني
إعصار من نار
حيوان رقي لامثيل له في الغبار (الرقي: حيوان بحري يعيش ملتصقا بالصخور: المترجم)

في عوالم شاردة
قذفت بالبركان أحشائي مياها جارية
وأبقى مع قوتي من كلمات، وكنوزي من أسرار

أسكن اذن فكرا فسيحا
ولكني في أكثر الأحيان أفضل أن أبقى
في أبسط أفكاري
أو أسكن صيغة سحرية
في الكلمات الأولى وحدها
والباقي كله أشياء

أسكن السد المعترض
أسكن الجليد المقصف
أسكن ناحية من الطامة الكبرى
أسكن غالبا ضرعا شديد الجفاف
في شعفة شديدة الضمور ـ ذئبة الغمائم ـ (الشعفة، رأس الجبل: المترجم)
أسكن هالة الصبار
أسكن قطيعا من الماعز يغتذي
من ضرع شجرة لوز البرير المنعزلة
الحق أني لم أعد أعرف عنواني الصحيح
في «اتبال» أو «ايسال»
أسكن جحر الأخطبوط
وأصارع أخطبوطا من أجل جحر الأخطبوط

أخي، لا تلح
خليط مشوش من ضريع
تعلق بالكشوث
أو انتشر مثل «البورانا»
فالأمر سواء
لتدفع الموجة،
وتلهب الشمس،
وتعصف الريح،
بحديقتي المستديرة، حديقة العدم

الضغط الجوي، أو بالأحرى التاريخي
يزيد من قسوة آلامي
حتى وإن جعل بعض كلماتي فاخرة

(الضريع: نبات أخضر خفيف يلفظه البحر ـ الكشوث: جنس نباتات طفيلية مضرة من فصيلة العمموديات: المترجم)

ايمي سيزيرى: شاعر وكاتب مسرحي من المارتنيك، عمدة فوردوفرانس (بالمارتينيك)، ونائب بالجمعية الوطنية. نذكر من بين مؤلفاته: قصائد شعرية، وسجل لعودة إلى الوطن، والأسلحة الاعجازية. وله مؤلفات مسرحية منها: مأساة الملك كريستوف. ودراسات منها: توسان لوفيرتير. وهو من ألمع الشعراء في مجال الشعر العالمي الحديث. و«تقويم البحيرة» نشرناه هنا لأول مرة.

فيرناندو أورتيز "أبو الدراسات الكاريبية"

بقلم: ليساندرو أوتيرو

احتفل في ١٦ يولية من هذا العام بمرور مئة عام على مولد فرديناندو أورتيز، الذي يطلق عليه بحق «المكتشف الثالث لكوبا» (بعد كولومب، وهمبولدت)، لأن مؤلفه العظيم الذي يشهد بغزارة علمه، ودقته العلمية، كان من العوامل الرئيسية في تكوين الشخصية القومية الكوبية.

وفي ١٩٤٢ شغف أورتيز بالبحث في مسائل علم الإجتماع، وكان إذا ذاك علما جديداً نسبيا، كما شغف بالبحث في مشكلات كوبا. ويقول أورتيز في ذلك: «إن صورة الإنسان الأسود انطبعت في ذهني في الحال، وكان من الطبيعي أن ترتسم على صفحات عقلي، لأنه لولا السود ما أصبحت كوبا هي كوبا». وهكذا اشتغل أورتيز بدراسة السود باعتبارهم عاملاً في تكوين الشخصية القومية. ولكنه لم يلبث أن اصطدم بعقبات وأفكار خاطئة عديدة، إذا كانت الدراسات في هذا الموضوع قليلة، وكان البحث فيه يتطلب إثارة الماضي، مما يفضي إلى توجيه الاتهام للمسئولين، والإيحاء بالملائمة عليهم، وهو عمل لا يستحق التعب ولا عناء البحث، ولا يعود بفائدة على الباحثين.

وصرح أورتيز عقب اجتماع عقد في نادي أتيناس بقوله: «من الخطر التحدث عن السود. لم يكن هذا ممكنا إلا بطريقة ملتوية. ويبدو أن السود أنفسهم ـ ومعظمهم مولدون ـ يميلون إلى نسيان حقيقة أمرهم وإنكار أصلهم، لكي يخفوا شهداءهم، وما أصابهم من إحباط واخفاق، كما يخفي المجذوم قروحه». وكان يوجد في ذلك العصر الذي شهد مولد الجمهورية الكوبية في أوائل هذا القرن طبقة بورجوازية تهتم بإعلاء شأنها، قلدت أساليب التفكير وأنماط السلوك الأوربية. وكان أورتيز أول من اتبع الدقة العلمية في بحثه عن الجذور الحقيقية لأهل كوبا وفهم الطابع المولد لأصولهم القومية.

وألف أورتيز الأثنولوجي كتابه المعروف باسم «شعوذة الأجناس البشرية» الذي ظهر في ١٩٤٦ حين أفاق العالم ـ بشق الأنفس ـ من كابوس الفاشية ونظرياتها العلمية الزائفة القائلة بسمو الجنس الآري وانحطاط الجنس السامي، وأن الأول خلق للسيادة والآخر للعبودية. وفند أورتيز هذه المزاعم بالحجج القوية الموثقة.

ولم يكن فرديناندو أورتيز ذا باع طويل في العلم والبحث فحسب، بل لقد عمل أيضا على إحياء وتشجيع الثقافة، فأنشأ العديد من المعاهد والمجلات ودور النشر، في عصر لم تتهيأ فيه الوسائل لمثل هذه المشروعات.

وقاده اهتمامه بالبحث في تأثير أفريقية على أمريكا اللاتينية إلى إجراء تحليل عميق للأقليم الرئيسي الذي تركزت فيه العناصر الثقافية ذات الأصل الأفريقي، ألا وهو أقليم البحر الكاريبي. وكان أورتيز في هذا المجال رائداً للدراسات الكاريبية بوجه عام.

ولكل هذه الأسباب أشاد العديد من المفكرين في هذا العام بمؤلفات فردناندو أورتيز لما امتازت به من الوضوح والعمق. ولاشك أن الإلمام بهذه المؤلفات أمر ضروري بالنسبة لأمريكا اللاتينية بوجه عام، وبالنسبة لذلك الجزء من تلك القارة الذي تعرض للمؤثرات الافريقية، لما تلقيه هذه المؤلفات من ضوء على الوحدة الثقافية في تلك البلاد.

تناقضات خلاقة

العبقرية الكاريبية خلقت حضارة جديدة

بقلم : ادوارد جليسانت

يبدو من المستحيل لأول وهلة أن نرسم الحدود الجغرافية والثقافية ونحدد التكوين الداخلى للمنطقة المعروفة باسم منطقة البحر الكاريبى. فهل تتألف هذه المنطقة من الجزر فقط، أم تشمل مساحة أوسع تضم حوض شعبها الثلاث. كما تضم بها التى ينتمى بعض سكانها إلى أهالى جزر الأنتيل ؟ وكذلك نجد أن فنزويلا تنتمى إلى الكاريبى، وأن المكسيك شاركت بانتظام فى مهرجان «الكاريفستا» التقليدى الذى انعقد بجويانا فى ١٩٧٢، وجامايكا فى ١٩٧٦، وكوبا فى ١٩٧٩، وبربادوس فى ١٩٨١، ولاتزال التقاليد الكريولية فى ترينيداد تغذى كثيرا من مشاعر الحنين إلى الوطن ومن ناحية أخرى نجد أن بعض الجزر مثل جمهورية الدومينيكان وكوبا ظلت تظهر حتى الآن ميلها إلى أمريكا اللاتينية، كما نجد فى الإقليم أربع لغات أوربية (الانجليزية، والاسبانية، والفرنسية، والهولندية) وخمس لهجات كريولية على الأقل. فما هى إذن حقيقة هذا الإقليم الذى يطل على أمريكا الشمالية والجنوبية. ولا يندرج فى أى إطار لغوى أو سياسى أو عنصرى محدد ؟

إن الجواب الذى يظهر لنا بالتدريج هو أن صعوبة هذا الاقليم هى الدليل على غناه الحضارى العميق. أو بعبارة أصح إن هذه الصعوبة تتمثل فى أذهان الذين يحكمون على منطقة الكاريبى بالمعايير التى عفى عليها الزمن. أى المعايير العتيقة التى استخدمها الباحثون فى فهم الظاهرة التاريخية الخاصة بنشأة الأمم فى العصور القديمة سواء فى الغرب أو فى أى مكان آخر. وترجع هذه الصعوبة فى الواقع الى التناقضات التى يموج بها هذا الاقليم، وهى تناقضات مثمرة يجدر بنا أن نتأمل طبيعتها ونتائجها.

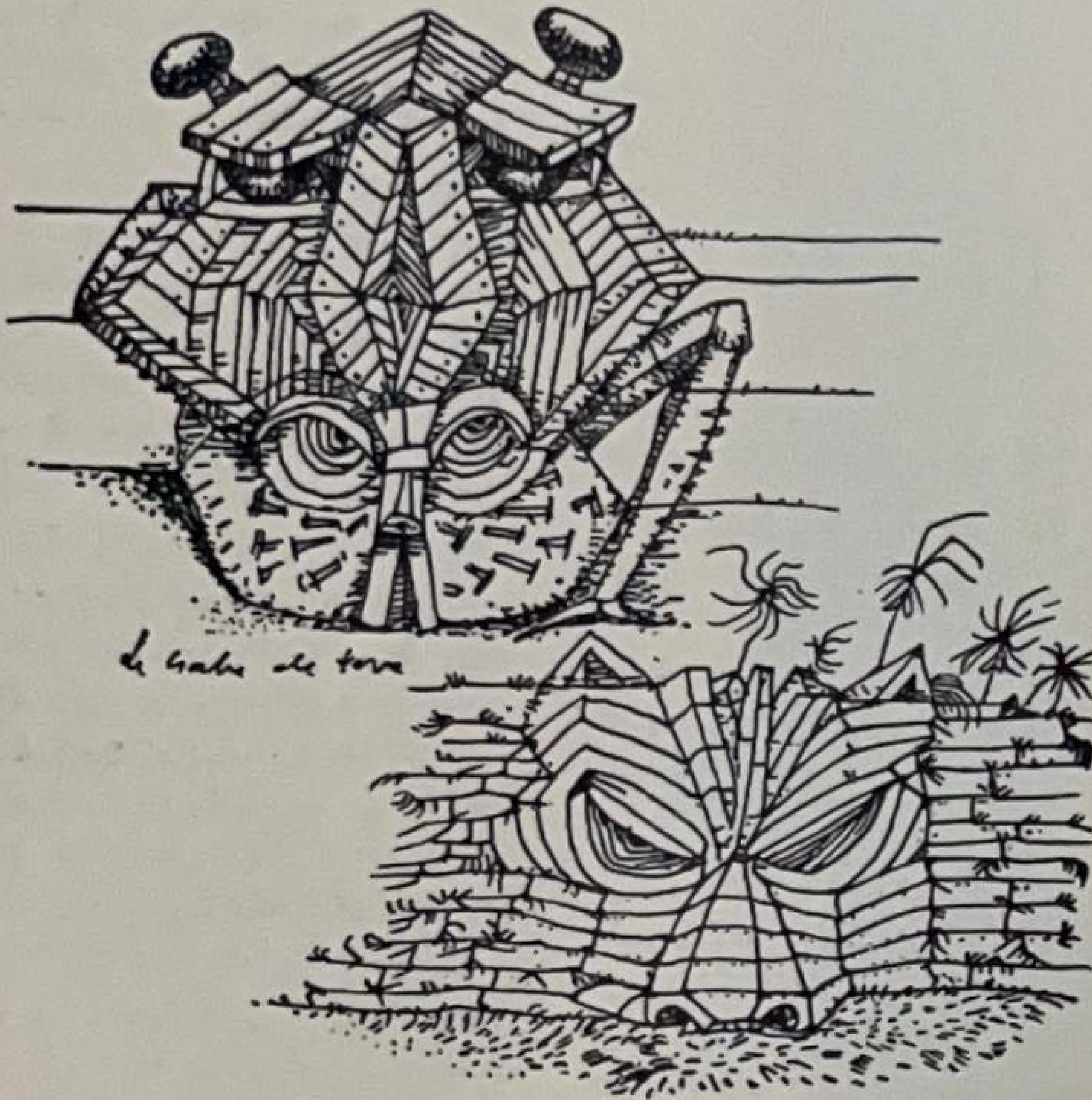
ومن السذاجة أن يقال مثلا إن كل شئ بدأ فى هذا الاقليم منذ أن اكتشفه كرستوف كولمبوس. وأن ذلك «الكشف» المزعوم ترك قاعدة صلبة أنشأ فيها الأرواك والكاريبيون أساليب جديدة من الحياة. وهم السكان الأصليون فى جزر الانتيل الذين أبادهم المستعمرون.

وكذلك من الخطأ أن ننكر الظروف التاريخية للمنطقة الثقافية الجديدة التى تكونت منذ عهد الاستعمار. تلك الظروف التى أدت بالطبع الى امتزاج العناصر الثقافية والشعوب المختلفة، واشتراكها فى تجربة انسانية واحدة، وان لم يضمن هذا الامتزاج الموافقة المطلقة على القيم المفروضة.



إدوارد جليسانت من المارتنيك. ألف عدة كتب تشتمل على قصائد شعرية، وروايات طويلة، ومقالات، منها «الملح الأسود» و «ثلمة فى الحائط» و «بيت الكوماندور» و «حديث الانتيل». نشر أيضا تمثيلية «سيزتوسان». وفى ١٩٦٧ أسس «المعهد المارتنيكى للدراسات» فى فوردى فرانس. وهو الآن عضو فى سكرتيريه اليونسكو.

عندما أستيقظ من النوم افكر فى الثمرة السوداء فى شجرة «غيبة»[١] ذات القشرة المقطوعة، والتآليل الكثيرة له. لقد إلهم سرطان البحر (أبو جلمبو) شجرة كاملة ذات ثمار غضة وهناك شجرة أخرى مليئة بالثقوب، وثمارها نامية وغضة على جذعها. وشجرة ثالثة لايستطيع الإنسان ان يمسها بيده، كما يمس يد الشاهد عندما يدعوه للإدلاء بشهادته، دون ان يصيبه وابل مفاجئ من ذلك الذباب



لايمكن التمييز بين الحياة الحيوانية والحياة النباتية فى هذا الصورة التى رسمها المصور الفرنسى أندريه ماسون، يعبر فيها عن رؤيته لجزر الأنتيل. فى عالم العلماء الذى يقع وراء عالم الجبال تزدهر بوفرة حجب كثيفة من النباتات المتسلقة فى غابة مليئة بالكائنات العجيبة، لايمكن اختراقها. يبدو أن «سرطان البحر وقلعته» فى الصورة التى رسمها ماسون (أعلى) قد برز من طينة بدائية مطوقا بدرع خشبية، ومثلما هو وقلعته فى الأرض بجذور جافة تتسلق إلى أفق السماء حيث تتحول إلى شجرة متموجة من أشجار جوز الهند. على أنه بالنسبة لأهل الانتيل يمكن تقشير سرطانا القلعة وتقديمة كوجبة شهية غضة فى الولائم التى تقام على ضفاف الأنهار النائية.

وقد انتهى هذا التصور إلى ماينسي بالكريولية التي يدل اسمها على أنها ظاهرة غامضة. فهل المراد بالإنسان الكريولي (المولد) هو الرجل الأبيض الذي يعيش في الأنتيل، أو الرجل الأبيض الذي ولد في الأنتيل، أو الرجل الأبيض الذي انحدر من صلب رجل أفريقي؟ الواقع أن كثيرا من الغموض والازدواج يكتنف مثل هذه الأسئلة. فالكريولية ليست عملية بسيطة من عمليات التآلف (التبادل الثقافي). إنما تعكس حالات أصيلة هي في بعض الحالات ثمرة تناقضات يصعب التوفيق بينها، أهمها يتركز في اللهجات اللغوية المختلفة، بصرف النظر عن اختلاف أساليب الحياة، والتوفيق بين الثقافات المختلفة.

وهذه الظاهرة تؤثر في اللغات التي وفدت على الإقليم من الخارج، ولكنها تتجلى بوضوح في وجود اللغة الكريولية، وهي لغة توفيقية (وسط بين اللغات المختلفة) نشأت داخل المزرعة، واستخدمها أهل الأنتيل في هايتي، والمارتينيك، وجوادلوب، وفي كايين، وسنت لوسيا، والدومينيكا.

واليوم تحل هذه اللغة الشعبية في ترينداد وجامايكا، ولم يتكلم بها أحد قط في جزر الأنتيل المتكلمة بالأسبانية. ولكن العشرة الملايين المتكلمين بالكريولية في العالم (ومنهم سكان ريونيون وموريشيوس في المحيط الهادي، وذلك نتيجة ظاهرة اجتماعية تاريخية، غريبة وهامة) يمكنهم الآن أن يفكروا في النهوض بلغتهم القومية التي تهددها اللغات السائدة في العالم، ذات الأهمية التكنولوجية.

وإذا كانت الشعوب المتكلمة بالانجليزية في جزر الأنتيل الصغرى تتكلم لغة كريولية واحدة فإن هذا يكفي للدلالة على أن لا صلة هذه اللغة باللهجات المحلية المكونة من اللغات الكبرى التي بذلت المحاولات لرد اللغات التوفيقية إليها. والكريولية ليست صورة محرفة عن الفرنسية، لأن تراكيبها تختلف عن الفرنسية تمام الاختلاف، إذ هي من أصل أفريقي بلا نزاع.

ومما تقدم يتبين أن الإقليم الكاريبي يبرز في صورة العالم الحالية ككيان خاصة ترتبط فيها الأمم والجماعات بعضها ببعض، وتشترك في مستقبل واحد، برغم أصالة كل منها. ويطل هذا الاقليم على الأمريكتين، ويتغلب بالتدريج على حواجز الوحدة اللغوية، وهو يشعر بقدرته الفريدة على ضم شتات العناصر المتناقضة التي تلتقي في تاريخ الشعوب القائمة في حوض الكاريبي، وهي مهمة نبيلة في عالم اليوم الذي تهدده الأخطار.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الكاريفسيا

٢ ١





٣ ٤

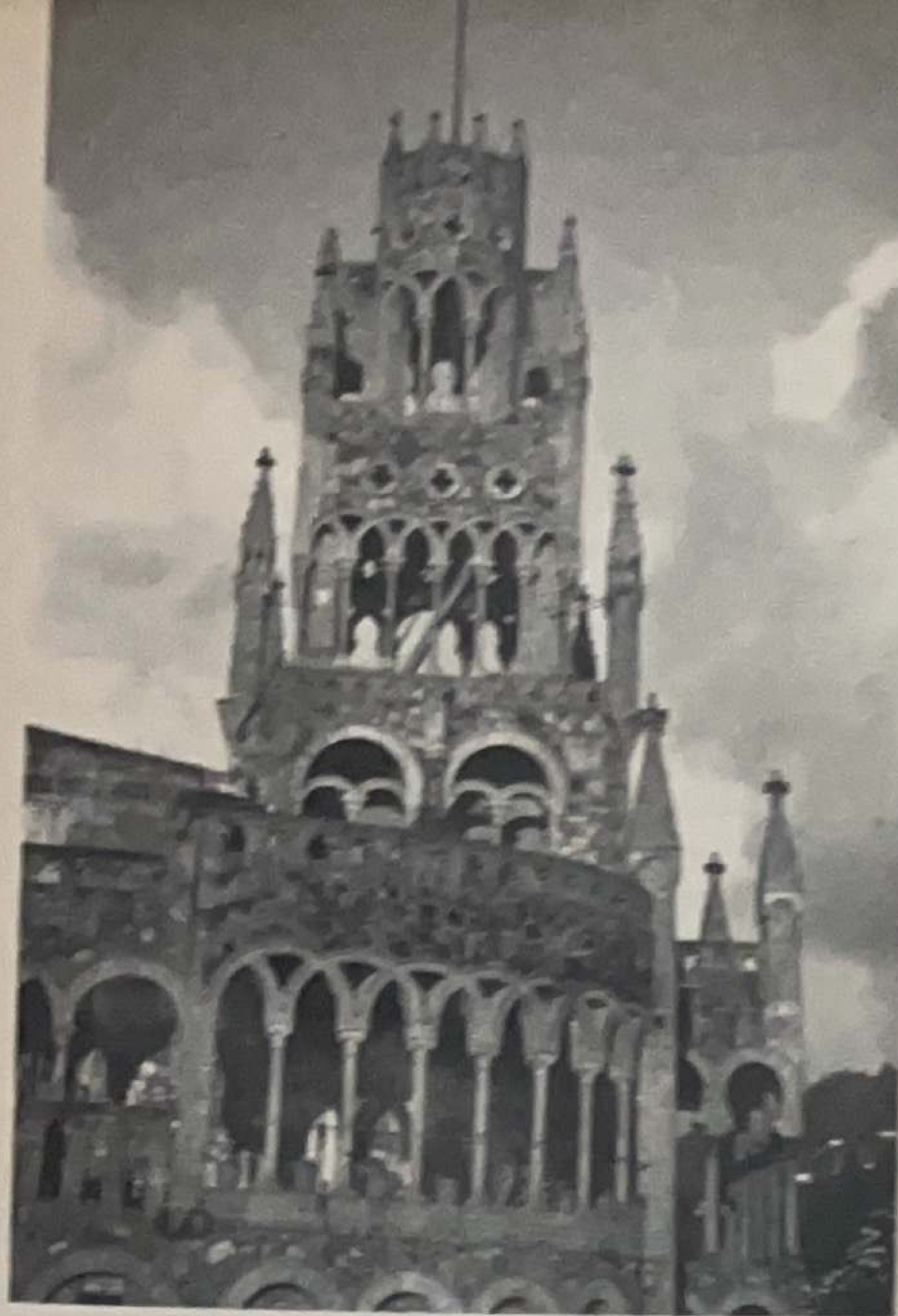
[illegible]

[illegible]

تراث الماضي..

ركن في مدينة كاب هايتي القديمة
تصوير : ... ، باريس





كنيسة سانت ماري للروم الكاثوليك في كينجستون ، عاصمة سانت فنسنت

منازل ساحلية في ويلمستاد ، عاصمة جزر الأنتيل الهولندية



بلدة ترينيداد بكوبا التي اسسها الاسبان في عام ١٥١٤
تصوير : ميشيل فريدل ، رافو ، باريس

إنتقـــام كاليـــبان

بقلم : روبرتو فرنانديز ريتمار

في مستهل القرن التاسع عشر قرر الثوار المتمردون في سان دومينجو – الجزء الفرنسي من جزيرة هسبانيولا – أن يعيدوا تسمية دولتهم الناشئة، فأطلقوا عليها اسم «هايتي»، وهو الاسم القديم الذي استخدمه سكانها الأصليون.

وبعد أكثر من قرن ونصف قرر الثوار المتمردون في كوبا (التي احتفظت باسمها القديم) تغيير اسم الضاحيتين المحيطتين بالعاصمة هافانا – وهما كنتري، وشيبو حيث يقيم أنصار النظام الاجتماعي الذي أطاح به الثوار – فأطلقوا عليهما الاسم القديم وهو كوبيناكان، وسيبوني.

وتكررت هذه العملية في جزر الأنتيل، أي تثبيت الكفاح من أجل التحرر، بحذف أسماء الأماكن الأوربية الأصل (أو الأمريكية والأوربية الأصل كما هو الحال في كوبا) وإعادة الأسماء القديمة المرتبطة بالسكان الحقيقيين للبلاد. إلا أنه من العجيب أنه لم يكن لسكان كوبا والأهالي الحاليين أي صلة عرقية (سلالية) بتلك الشعوب التي أبادوا أجدادها، ليعلنوا عزمهم على تحقيق الاستقلال التام.

وكان وصول الأوربيين إلى جزر الأنتيل، الذي أطلق عليه خطأ اسم «الكشف»، نذيراً بوصول ما وصفه جوسيه مارتي الكوبي في ١٨٧٧ «بالحضارة المبيرة»، وهما كلمتان متناقضتان لفظا، ولذلك كانتا اتهاماً موجهاً إلى تلك الحادثة التاريخية. والواقع أن السكان الأصليين أبيدوا بالفعل خلال عشرات السنين، نتيجة إجبارهم على السخرة، ومعاملتهم كالحيوانات المتوحشة، ودفاعهم عبثا عن أنفسهم ضد قوات شاكية السلاح، واضطرارهم إلى الانتحار أو تعرضهم للإصابة بالأمراض المعدية. ومع ذلك كله تركوا وراءهم بعض الكلمات (التي دخل الكثير منها في اللغات الأوربية) وأسماء النباتات، كما تركوا بعض المصنوعات، والعادات مثل عادة التدخين.

ولم يكن الهايتيون ولا الكوبيون يقصدون بإعادة هذه الأسماء إحياء التقاليد التي بادت بإبادة الشعوب الواضعة لهذه الأسماء، إلا أن إعادة استعمال هذه الكلمات والأسماء أثار القضية الجدلية القديمة حول الإنسان «المتوحش النبيل»، التي ترتبط بذلك الجزء من أمريكا، وخاصة بإقليم البحر الكاريبي. وجدير بالذكر أن هذه القضية تفجرت عندما وصل الى أوربا فجأة نبأ «العالم الجديد»، في وقت كان فيه النظام الرأسمالي لايزال في بدايته.

وكان سكان الأنتيل هم أول من عرف الأوربيون من شعوب هذا «العالم الجديد»، وأشار كرستوفر كولمبس إليهم في خطاب بتاريخ ١٥ فبراير ١٤٩٣ كتبه في سفينته قرب جزر كناريا، وأعلن فيه كشفه للأوربيين.



تكافح البلاد والشعوب الكاريبية اليوم ضد التبعية الاقتصادية الموروثة عن الماضي، والقائمة على اقتصاد المحصول الواحد المرتبط بنظام المزارع، كما تكافح ضد التبعية السياسية التي اعتبرت هذه البلاد ذيولا للدول الاستعمارية. الى اليمين: أحد مصانع السكر الحديثة في بربادوس

وتألف هؤلاء السكان من شعبين رئيسيين انتشرا في جزر الأنتيل من الجزء الشمالي من أمريكا الجنوبية – وهما الأرواك، والكاريب الذين أسبغوا اسمهم في النهاية على البحر الكاريبي. ويميل أولهما الى السلام والآخر إلى الحرب. وكان هذان الشعبان أساسا للصورتين الرئيسيتين للشعوب الأمريكية، اللتين احتدم حولهما الجدال بين المفكرين الأوربيين قرونا طوالاً.

ونشأ أول خيوط هذا الجدال بين الأسبانيين في القرن السادس عشر، ودارت حول الغزو، وحقوق ما أطلق عليه خطأ اسم «الهنود». ومن بين من دافع عنهم رجال من أمثال برتلومي ديلاس كاساس وهو أشهر وأقوى المدافعين عنهم، وفرنسيسكو دى فيتوريا، وأنطونيو مونتيسينو الذى أقنع فى موعظة دينية ألقاها فى ١٥١١ لاس كاساس بعدالة قضيتهم. ومن بين من عاداهم، ومن ثم دافع عن ضرورة استرقاقهم، رجال من أمثال جنزالو فرنانديز أوفيدو، وجينس دى سيبلفيدا. واحتدم الجدل على أشده بين سيبلفيدا ولاس كاساس الذى سماه سيمون بوليفار «رسول الأمريكيين» لدفاعه الجرئ عن السكان الأصليين.

ولم يقتصر صدى الأنباء الواردة عن وجود شعوب أخرى على اسبانيا، ففي وقت مبكر يرجع إلى سنة ١٥١٦ وضع توماس مور الانجليزي كتابا بعنوان «يوتوبيا» (عالم المثال أو الخيال) تحدث فيه عن عالم مثالي يشبه جزيرة كوبا، كما أشار الى ذلك الكاتب الأرجنتيني إزكيل مارتينز استرادا في ١٩٦٣. يضاف إلى ذلك أن الكاتب الفرنسي ميشيل دى مونتنى نشر في ١٥٨٠ مقالا بعنوان «دى كانيبال» (أي آكل لحوم البشر) كتب فيه ما نصه: «لايوجد مما قيل عن هؤلاء القوم أنهم يتصفون بالوحشية أو البربرية. ولكن الذي يحدث عادة هو أن الناس يصفون بالبربرية كل مايخالف عاداتهم».

وهذا الحكم ظل قائما كنظرية ظنية (افتراضية) عند من نسميهم الآن بالجناح اليساري من البورجوازية الغربية. ويبدو أن هذه النظرية الظنية بلغت ذروتها في ١٧٥٤ عندما كتب جان جاك روسو لأكاديمية ديجون مقالا يجيب فيه عن سؤال هذا نصه: «ما هو منشأ التفاوت (عدم المساواة) بين الناس؟ هل يتفق هذا التفاوت مع الناموس الطبيعي؟».

وقد اتهم روسو بالسذاجة في التفكير بسبب الصفات السامية المزعومة التي نسبها للإنسان «المتوحش النبيل». إلا أننا إذا قرأنا ماكتبه لم نجد فيه مايؤكد أنه اعتقد مثل هذه الأفكار. وكل مافي الأمر أنه ربما أكد أكثر من غيره الظن بوجود مثل هذه الصفات في هذا المخلوق، فهو يرى «أنه ليس من السهل أن نميز بين ماهو «أصيل» وماهو «اصطناعي» في الطبيعة الانسانية الحالية، أو أن نجزم بوجود حالة ليست موجودة في الوقت الحاضر، وربما لم توجد في الماضي، وربما لن توجد في المستقبل».

على أنه مما لاشك فيه أن روسو أشار كثيرا – عند وضعه هذه النظرية الظنية – إلى الشعوب الأمريكية التي رآها الأوربيون وبخاصة سكان الكاريبي، كما أشار أيضا – وهو أمر له مغزاه – الى الافريقي الأسود. والشعوب التي اتخذها روسو مثلا «للمتوحش النبيل» هي الشعوب السوداء أحيانا، والكاريبيون في فنزويلا والهوتنتوت في رأس الرجاء الصالح أحيانا. إلا أنه أشار في مناسبات أخرى الى متوحشي امريكا، وهم أكثر من استشهد بهم. وأشار روسو تكرارا إلى هذه الشعوب، وبخاصة الكاريبيون الذين هم في رأيه «أقرب الشعوب الحاضرة إلى الحالة الطبيعية».

هذا ورأي روسو معروف جيدا، وهو «أن الذين علموا الناس الحضارة هم الذين جنوا على الإنسانية»، وهو يستنكر كل ما وصف حتى ذلك الحين بالحضارة، وينادي ببداية جديدة تحافظ على صفات الخير في الإنسان الطبيعي (الذي لم تلوثه الحضارة) في مرحلة جديدة من التطور. ومادام التاريخ يسير على ماهو عليه فان هذه البداية في رأيه ليست سوى الثورة الفرنسية البورجوازية في سنة ١٧٨٩.

وجدير بالذكر أن فكرة الأوربيين الغامضة عن الشعوب التي رأوها عند وصولهم إلى الكاريبي قد استخدمها المفكرون – ابتداء من مور (الذي ذكر في «اليوتوبيا» أن الرق لايزال موجودا) إلى روسو – في الدفاع عن رأيهم في أن الإنسان مجبول على الخير، ولكن المجتمع كما عرفه الأوربيون هو الذي أفسده، كما استخدموها في وضع نظرية صالحة لإقامة مجتمع جديد. وفي الوقت نفسه ظهر رأي آخر بشأن الشعوب الأصلية في اقليم الكاريبي وكان هذا الرأي مشابها في البدية لرأي روسو، ثم اختلف عنه بعد ذلك، وانتشر خارج الكاريبي بل خارج الأمريكتين. ويرجع هذا الرأي – كما يرجع الرأي الأول – الى كريستوف كولمبس الذي ذكر، عندما ترجم إلى إحدى اللغات الأوربية ماسمع من السكان الأصليين وهم يتكلمون بلغة لايعرفها، أنه يوجد قوم اسمهم «كاريب» (Caribs)، وسماهم كولمبوس أيضا كانيباس (Canibas) أي شعب «كان»، وهي محرفة عن الخان الأعظم (الذي يحكم الهند). ويجب أن لايعزب عن البال أن كولمبوس ظن في رحلته الأولى أنه وصل الى آسيا، كما سماهم كانيبا (Cannibals) أي قوم متوحشون يقال إنهم يأكلون لحوم البشر.

وفي حين أن الرأي الأول يقول إن الأنتيلي البدائي كان «متوحشا نبيلاً»، إذ الرأي الثاني يقول إنه «متوحش وضيع». وعن هذا المتوحش الوضيع يقول جينس دى سيبلفيدا، الخصوم لاس كاساس، مرددا مقولة أرسطو الذي ذهب إلى أن الرق أمر طبيعي: «الاسبان على حق تام في بسط سيطرتهم على هؤلاء البرابرة الذين هم أقل منزلة من الاسبان من حيث الذكاء والفضائل والعواطف الإنسانية. والفرق بينهم وبين الاسبان كالفرق بين الطفل والراشد، وبين السفيه والحليم، وبين المسرف والمقتصد، وبين المفرط والمعتدل، وبين الفاحش والعفيف. وأكاد أقول باختصار إن الفرق بينهم وبين الاسبان كالفرق بين القرد والإنسان».

وقد تجسد هذا «المتوحش الوضيع» في شخصية «كاليبان» الذي ورد اسمه في مسرحية «العاصفة» للشاعر الانجليزي شكسبير. وجدير بالذكر أن كاليبان وحش مشوه الخلقة يقلد الإنسان، أخرجه الساحر الأوربي «بروسبيرو» من منزله في إحدى الجزر، وتتوقف حياته على أداء العمل الذي يطلبه سيده. وربما لم يوضح لنا أي عمل أدبي من قبل أو من بعد حقيقة الاستعمار المروعة كما وضحتها هذه المسرحية.

وجدير بالذكر أن كاليبان كانيبال هو المخلوق الافتراضي للجناح اليميني من البورجوازية الغربية الناشئة التي بثت رجالها، من أمثال بروسبيرو، لاستغلال أمثال كاليبان في جميع أنحاء الارض. وهنا يجب أن نتذكر أن نظرية روسو عن «المتوحش النبيل» تعتمد على الاستشهاد بالسكان الأصليين في جزر الأنتيل، والأفريقيين السود، ولكن كلمة كانيبال بمعنى آكل لحوم البشر لم تطلق على الكاريبيين فقط بل أطلقت على صور الأفريقيين الكاريكاتورية التي عرفها الناس في جميع انحاء العالم عن طريق أفلام طرزان.

ولقد شاء الحظ العاثر لسكان إقليمنا الأصليين أن يكونوا مصدر إلهام للبورجوازية الأوربية الناشئة في إبداع الأعمال الادبية المؤثرة، وإنتاج التحف الفنية الشهيرة، دون أن يسلم هؤلاء السكان من وحشية «الحضارة المدمرة» التي انتزعت ملايين الافريقيين من قارتهم الكبيرة، وساقتهم عبيداً إلى إقليمنا، كما ساقت عدداً غير قليل من الآسيويين ليلقوا هذا المصير نفسه، إذ كانت حاجة العمل تدعو الى جلب المزيد من أمثال «كاليبان».

وقد ولد سكان الكاريبي الحاليون من المزيج المستمر الذي تألف من سلالة الأوربيين الظالمين، والافريقيين والآسيويين المظلومين. وفي ضوء هذه الحقيقة الأليمة يمكننا أن نفهم لماذا عمدت أول دولة في الأنتيل تنال استقلالها، وأول دولة تقيم نظاما اجتماعيا جديدا، الى إعادة تراثها القديم قبل عهد السيطرة الأوربية؛ تراث كاليبان الذي أباده الأوربيون، والذي اكتشف البلاد التي نعيش فيها الآن، ونشر فيها الرخاء.

بيد أن التراث وحده لايمكن أن يفسر الشخصية الثقافية للكاريبي بعد وصول الأوربيين. ذلك أن الكاريبي الجديد هو واحد من ثلاثة أقاليم رئيسية تكون مانسميه «أمريكتنا»: أمريكا الهندية، وأمريكا الافريقية، وأمريكا الأوربية. وهذه الأقاليم الثلاث تطابق ما سماه الأنثروبولوجي البرازيلي دارسي ريبيرو «الشعوب الرائدة، والشعوب الجديدة، والشعوب المنقولة» (من أوربا إلى أمريكا).

روبرتو فرنانديز ريتمار شاعر وكاتب كوبي، أستاذ بجامعة هافانا، ومدير مجلة «كاسادى لاس أمريكا». ترجمت مقالاته وأشعاره إلى عدد من اللغات.

والرابطة المشتركة التى تجمع بين هذه الشعوب هى مقاساتها ويلات الاستعمار أولاً، ثم استغلالها لصالح النظام الرأسمالى العالمى. ومن الروابط المشتركة أيضا وجود عدد كبير من الخصائص والمميزات وإن اختلفت فى طابعها. وهذا هو السبب فى أن هذه الشعوب تؤلف وحدة كلية، ولكن هذه الوحدة لاتعنى التماثل أو التطابق الذى يمنع أن يكون لكل منطقة سماتها الخاصة.

إن منطقتنا التى نسمى أحيانا أمريكا الأفريقية (أفروأمريكا) هى الواقعة حول الكاريبى مكونة المجتمع المبنى على نظام المزارع المزودة بطاقات إنسانية كبيرة من أصل أفريقى كان لها تأثير حاسم على ثقافتنا وعلى حياتنا، ثم أضيف إليها بعد عناصر مختلفة من قارة آسيا.

ولذلك كان تاريخ الماضى القريب للكاريبى الحديث هو تاريخ البحر الكاريبى الذى شهد وصول الغزاة الأوربيين فى فجر النظام الرأسمالى، ورآهم وهم يتناحرون فيما بينهم على سلب البلاد ونهبها. وكان هذا البحر هو الذى شهد فى بداية القرن التاسع عشر أول ثورة ظافرة لنا، ثورة هايتى العظيمة التى نجحت (قبل اسبانيا وروسيا) فى هزيمة قوات نابليون، وألغت الرق، ومهدت الطريق لاستقلال أمريكا اللاتينية. وشهد هذا البحر نفسه فى نهاية ذلك القرن أول حركة ملموسة نظمها مارتى لكبح جماح الامبريالية الحديثة التى كانت فى مهدها حينذاك، ثم شهد فى هذا القرن انتصار الثورة الكوبية.

ولذلك فإن شخصيتنا الثقافية تنبع بالضرورة من تلك البيئة التاريخية الثورية، وتقترن بإدراك متزايد للروابط المشتركة التى تجمع بيننا برغم خضوعنا لقوى كبرى مختلفة، مما ترتب عليه تعدد اللغات التى نتكلم بها، فقد شاهدنا الاستعمار القديم والجديد، والامبريالية، والتخلف، والعنصرية، والملكية الاقطاعية، والمزارع الكبيرة، واقتصاد المحصول الواحد، والاسترقاق، وعبور المحيط الأطلنطى، وتجارة الرقيق، وملاك الأراضى، ونظام المشرفين، والأرقاء، والعبيد الآبقين، وقصب السكر، والبن، والموز، ومصانع السكر، ومنازل المزرعة، والأكواخ المتواضعة.

وعلى الرغم من أن نتائج محاولات التوفيق بين العناصر الثقافية المتباينة ليست متشابهة دائما فانها أحيانا يشبه بعضها بعضا، كما هو الحال فى موسيقى الفودو الهايتية، والبوكومانيا الجمايكية، من موسيقانا الكوبية. وليس أول على شخصيتنا المشتركة من موسيقانا التى تلقى الأعجاب فى العالم بأسره. فهذه الموسيقى الجديدة المرحة التى خرجت من جزر الهند الغربية كما قال أليجو كاربنتير بحق قد شنفت الآذان منذ سنوات الغزو الأولى، ولاتزال هذه الموسيقى تتجلى حتى اليوم فى الرومبا، والكونجا، والمامبو، والكاليبسو والريجى، الخ. ويجب أن لايعزب عن البال أن ثقافة أرقاء المزارع التى تطورت على مر القرون شملت أيضا جنوب الولايات المتحدة حيث التقت أفريقية وأوربا، فأنتجت الاغانى الزنجية وموسيقى الجاز القوية، وهما صنوان لموسيقانا الخاصة.

ولكن شخصيتنا لن تكتمل إلا فى اليوم الذى تزول فيه من إقليمنا آخر آثار الاستعمار القديم والجديد. وحينئذ، وحينئذ فقط، سوف نكون فى وضع يمكننا من أن نؤكد ـ بفضل جذورنا المتعددة التى ساعدت على جعلنا شعبا عالميا ـ دور بلادنا كملتقى جوهرى فى تاريخ البشرية. ولن نقف فى صنع هذا التاريخ موقفا سلبيا، بل سنسهم فيه بكل همة ونشاط. وقد بدأنا بالفعل السير فى هذا الطريق.

كلمة «كنا» وكالة الأنباء المستقلة التى أسستها دول الكاريبى الناطقة بالانجليزية عام ١٩٧٥ بعون من اليونسكو



اليونسكو ومنطقة الكاريبى

تمس أنشطة منظمة اليونسكو كل أوجه الحياة تقريبا. فى منطقة الكاريبى بدءا من إدخال التحسينات التربوية إلى جمهورية الدومينيكان إلى التعاون مع وكالة الأنباء الكاريبية (و. ا. ك) ودعم المعاهد العلمية للبحوث البيولوجية ودراسة ومراقبة تلوث البحار بالزيت فى المنطقة.

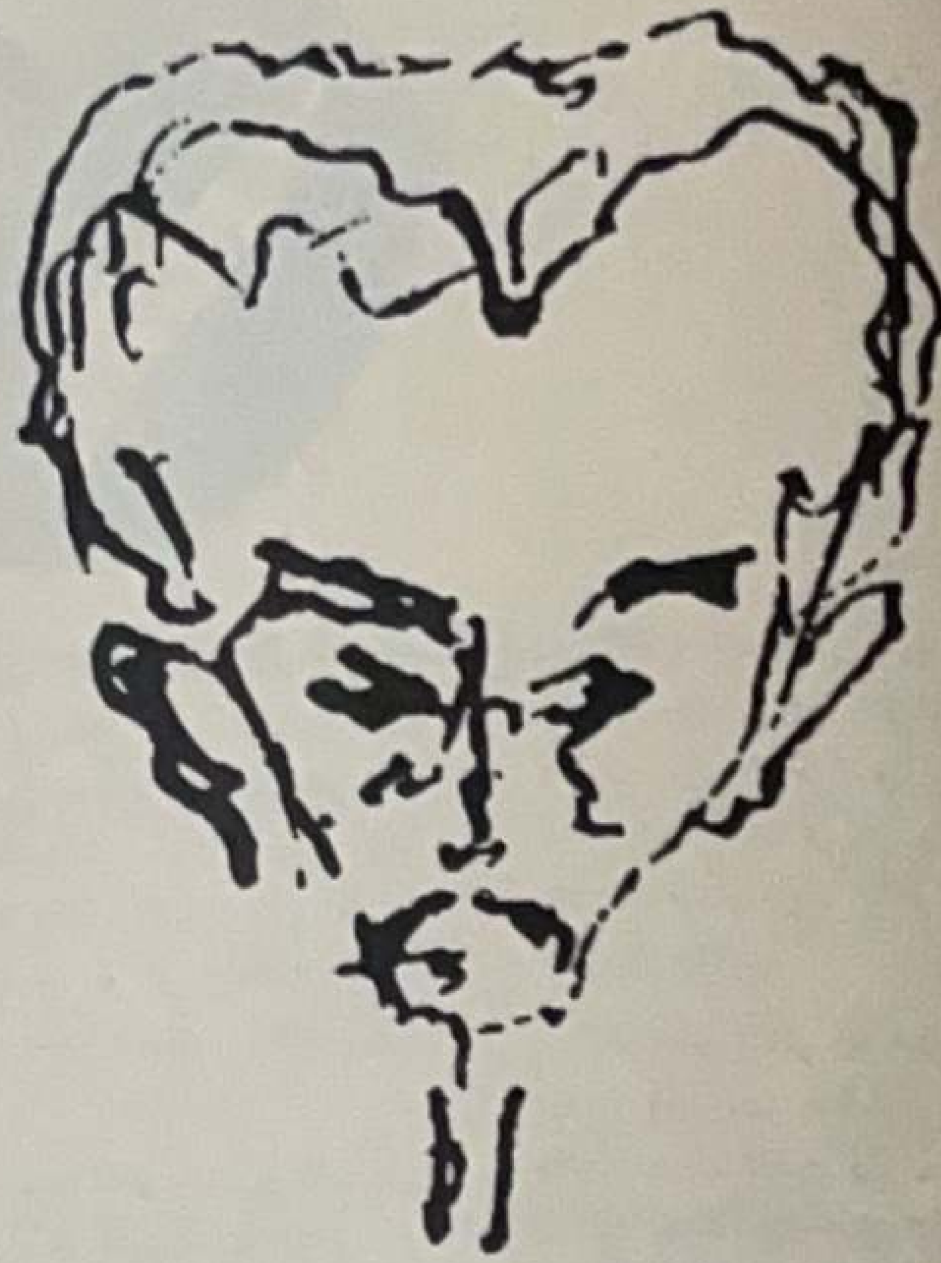
وفى ميدان التعليم قامت اليونسكو ـ بالتعاون مع البلاد المعنية ـ بوضع مشروع إقليمى رئيسى تتمثل أهدافه الرئيسية فى توفير الدراسة فى المدارس لكل الأطفال فى المنطقة من سن الثامنة إلى سن العاشرة، والقضاء على الأمية وتطوير نظم تعليم الكبار واصلاح وتحسين نوعية النظم التعليمية وكفاءتها. وتبنت اليونسكو اجتماعا إقليميا بين الحكومات عقد فى كيتو بأكوادور فى أبريل ١٩٨١. وتؤكد هذه الأهداف الإرادة السياسية للدول الأعضاء فى منطقة الكاريبى للمبادرة فى عملية تنمية اقتصادية واجتماعية تهدف إلى الإنسان وجوانب تعليمه كلها.

وفى ميدان العلوم الاجتماعية، ومن خلال إطار برنامج الأنسان والمحيط الحيوى، تشارك اليونسكو فى مشروع رئيسى للبحوث والتدريب والشرح والوصف عن طريق الاستعانة بالأمثلة والتجارب بغرض الوصول إلى الإدارة المتكاملة للمناطق الأستوائية الرطبة. وتختص المشروعات الرائدة فى أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبى بمشكلات استخدام الأرض فى المناطق الاستوائية الرطبة مثل تسوية الأرض المختارة، والزراعة المتنقلة، وإعادة تشجير الأرض وكذلك هجرة سكان الجبال إلى الأراضى المنخفضة الاستوائية. وفى علوم البحار يحدث تركيز الاهتمام على تقوية الأسس العلمية فيما يتعلق بمتطلبات الدول الأعضاء.

وفى ميدان العلوم الاجتماعية تجرى دراسات حول العوامل الاجتماعية والثقافية الخفية لتحديد الأشكال الأصلية للتنمية التى تستجيب للاحتياجات الإقليمية فى الوقت الذى يلزم فيه احترام الهوية الثقافية لكل دولة. وتتعاون اليونسكو كذلك مع عدد من المنظمات التى تعنى بتطوير العلوم الاجتماعية فى المنطقة وخاصة فى ميدانى البحث والتدريب.

وتقوم اليونسكو بمشروع بحث رئيسى عن الصلات الثقافية فى منطقة الكاريبى وتفرعها، وتجيد الترجمة من لغة الكريول وإليها. كما أن هناك خطة معدة لكتابة تاريخ عام لمنطقة الكاريبى. وبالأضافة إلى ذلك أن جائزة سيمون بوليفار الدولية، التى تقرر منحها تكريما للأشخاص أو المؤسسات على إسهامهم إسهاما قيما فى الحرية والاستقلال وكرامة الشعوب وتقوية أواصر التضامن بين الأمم، ستمنح للمرة الأولى يوم ٢٤ يولية عام ١٩٨٣ فى الذكرى المئوية لميلاد بوليفار «المحرر».

خوسيه مارتى
المواطن الأمريكى



صورة خوسيه مارتى رسمها بنفسه (١٨٥٣-١٨٩٥)

كان خوسيه مارتى من أنبل الشخصيات التاريخية، وأخلصها، وأغناها، وأعمقها، فى أمريكا اللاتينية. عاش حياته بطلاً، مثل بوليفار، وسان مارتن، وهيدالجو، وموريلوس، وسيكر وتوسان لوفرتير، الذين كانوا أبطال الاستقلال وفرسان النضال فى حلبة الصراع ضد سيطرة الاستعمار.

ولد خوسيه بهافانا فى ٢٨ يناير ١٨٥٣، وكان أبوه موظفا متواضعا فى الحكومة الأسبانية بجزيرة كوبا، ونشأ فقيراً، واشتغل فى احد المتاجر المملوكة للمستعمرين الأجانب، فكابد عناء العمل الشاق الذى نهك قواه، ولمس فى حياته اليومية مظاهر الفساد والاستبداد، فحمله ذلك على التمرد والثورة، حتى قبل أن يبلغ سن المراهقة، ونشر مسرحية سماها «أبدالا» تجيش بالعواطف الفياضة، والرغبة المتأججة فى الحرية، فقدم للمحاكمة بتهمة الخيانة، فحكمت عليه السلطات الاسبانية بالسجن مع الاشغال الشاقة. ولما ساءت صحته خفف عليه الحكم، فتقرر إبعاده فى ١٨٧١ الى جزيرة الصنوبر باسبانيا.

ومنذ ذلك الوقت ظل خوسيه مارتى يتنقل بين أوربا وأمريكا. وإذا كانت هذه الحياة الشاردة قد أذاقته آلام الغربة فإنها أكسبته الحيوية، والحنكة السياسية، والثقافة الواسعة.

وفى اسبانيا أتيحت لمارتى الفرصة لمعرفة النظام الفاسد الذى يحكم كوبا، ولكن أتيح له أيضا أن يلمس عن كثب الفضائل الأصيلة التى يتحلى بها شعب الجزيرة الاسبانية، وأن يتغلغل فى أصول اللغة الاسبانية. ثم رحل إلى المكسيك حيث قام بعمل عظيم بوصفه خطيبا وصحفيا، وأتاح له الاتصال بالمكسيك فى ذلك العصر التعرف على مشكلات أمريكا اللاتينية، التى وجه اليها أعظم جهوده السياسية والثقافية.

ثم عاد مارتى إلى كوبا عند التوقيع على صلح زانجون فى ١٨٧٨، ولكنه أكد فى مقالاته وأحاديثه الشهيرة اعتقاده بأن العمل المسلح هو الوسيلة الوحيدة لتحرير جزيرة كوبا، فحكم عليه بالنفى، فرحل إلى اسبانيا، ومر بباريس، ثم ألقى عصاه فى نيويورك فى ١٨٨٠ حيث قضى الأربع عشرة سنة الأخيرة من عمره.

وعندما دخل الولايات المتحدة قرر أن يهب نفسه قلبا وقالبا لتحرير كوبا. ولكن كان من الضرورى تسوية الخلافات والمنازعات بين قادة الكفاح، وتحديد مايمكن أن يسهم به المهاجرون الكوبيون فى تحرير البلاد، ودراسة النتائج المتصلة بالكفاح المسلح الذى كان يُعِدُّ له العدة، وإقناع الموطنين والأجانب بضرورة الكفاح من أجل تحرير البلاد. فاستحق بذلك ولاء مواطنيه الصادق، وأصبح قائد الكفاح غير منازع من أجل تحرير بلاده.

وفى ١٨٩١ أسس مارتى الحزب الكوبى الثورى الذى أصبح الأداة الرئيسية للحركة المسلحة. ومن ذلك الوقت حتى تفجير الثورة فى ١٨٩٥ حفلت حياة مارتى بالأحداث المثيرة، والتنقل الدائب فى أمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية، وقرر بدء عملياته الثورية بالاتفاق مع الزعيمين الانفصاليين مكسيمو جوميز (ولد بالدومينيكان) وانطونيو ماليو، ووضع ووقع مع جوميز عشية المعركة «بيان مونتكريستى» وهو عبارة عن وثيقة أساسية تحدد أهداف الثورة التى نظمها.

وفى ١١ أبريل ١٨٩٥ دخل مارتى كوبا، وانضم الى صفوف الثوار كجندى بسيط. ولكن فى ١٩ مايو ١٨٩٥ أطلق عليه الأسبان النار، فوضعوا حدا لحياته فى «دوس ديوس» بالجزء الشرقى من كوبا.

وعندما رحل ذلك القائد الثورى إلى بلاده، وهو يعلم أنه إنما يذهب اليها ليهب حياته لحريتها، ترك فى مكتبه بمدينة نيويورك مؤلفات متعددة الأشكال، كبيرة الحجم، اشتملت بعد جمعها على ٢٧ مجلدا كبيرا. وهكذا لم يعقه العمل الثورى الشاق لحظة واحدة عن العمل العلمى. وعلى الرغم من أنه ألف ديوانا من القصائد الشعرية التى عبر فيها عن همومه ومشاعره الثورية والإنسانية فإنه يبدو أن الصحافة هى الميدان الفسيح الذى ضرب فيه بسهم وافر، بالإضافة إلى تواريخه التى نشرها فى العديد من بلاد القارة الأمريكية، لتبصير أهل أمريكا اللاتينية بتاريخهم وأخبارهم. وألف مارتى أيضا كتبا لامثيل لها فى سير الرجال، أمثال دى إيمرسون، ووالت هويتمان، وثورو، ولونج فيلو، كما أنشأ بعض الصحف والمقالات التى تضمنت نقداً فى الفن والأدب يتسم بالجرأة فى التحليل والعرض. ولكن شغفه بشؤون أمريكا اللاتينية لم يفارقه لحظة واحدة، فكان اهتمامه بحاضر شعوب أمريكا اللاتينية ومستقبلها يستحوذ على كل تفكيره. ولذلك أطلق عليه بحق بدرو هنريكويز يورينا اسم «المواطن الأمريكى».

وكان نشاط مارتى كله يدور حول موطنه كوبا، ثم جزر الهند الغربية التى كتب عنها فى ١٨٩٤ ما نصه: «ان جزر الهند الغربية هى بمثابة ذراع الميزان فى الأمريكتين، فإذا استعبدت لم تكن سوى جسر فى الحرب التى تشنها الجمهورية الامبرالية العظمى فى أمريكا الشمالية، ضد عالم يمتاز بالغيرة على الوطن، ولكنه لا يزال يجهل قدر نفسه حتى الآن. أما إذا تحررت هذه الجزر فإنها تصبح ضمانا للتوازن والإستقلال فى أمريكا اللاتينية، وفخرا لتلك الدولة العظمى التى إذا عنيت بتنمية الأقليم نالت من العظمة ما لم تنله بغزو جيرانها الضعفاء» أ. هـ.

ولكن الواقع ـ كما كتب الشاعر والكاتب روبرتوفرنانديز ريتامار ـ «أن الذى كان يهم مارتى فى المقام الأول هو كوبا، ثم أمريكا الجنوبية فى النظرة ذات الأفق الأوسع، أى أمريكا المولده. وإذا كانت هذه الفكرة تسرى فى كل مؤلفاته فإنها تظهر بكل وضوح فى كتابه الكبير «نويسترو أمريكا»، وهو يعد بحق بمثابة «العهد الأعظم» حيث يؤكد مارتى الأصالة المطلقة لتلك القارة. ويكتسب هذا التأكيد أهمية كبرى لأنه هو حجر الزاوية فى نظرته إلى العالم. وحول هذا التأكيد الذى يقترن بالثقة والتحدى يدور كل تفكيره» أ. هـ.

هذا المقال مقتبس فى وجوهره من دراسة بقلم خوان ماريبولو ـ الكاتب الكوبى بعنوان «خوسيه مارتى»

ماركس جارفى والحلم الأفريقى



بقلم : كينيث رامتشاند

فى النصف الأول من القرن العشرين قام فى منطقة الكاريبى وأمريكا الشمالية عدد من الحركات التى كانت فيها الشعوب ذات الأصل الإفريقى تهدف إلى تدعيم ثرواتها وجذورها. لقد كان عملهم بعد الاقتصاديات بأسباب الحياة وحقهم فى الانتماء قد تم شراؤه بثمن غال. بيد أن زنوج العالم الجديد لم يكونوا على وفاق مع المجتمعات الغربية التى اضطر أجدادهم إلى العمل فى خدمتها. لقد قيل لهم إن التحرر قادم، ولكن بدا لجمهرة الزنوج أنه قد ذهب منذ وقت طويل. ومع أن من المفروض أنهم رجال أحرار فإن الظروف التى كانوا يعيشون فيها كانت تضعف معنوياتهم وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى التى تحمل أجدادهم أثناءها آلام القيود والسلاسل.

«فى القرون الخمسة الأخيرة من تاريخ العالم لم تحدث - ولو مرة - محاولة جادة لتحرير الزنوج. لقد خدعنا عندما صدقنا أن ابراهام لنكولن سيجعلنا أحرارا، وأن فيكتوريا ملكة انجلترة ستجعلنا أحرارا. إننا لانزال حتى الآن عبيدا. نحن عبيد صناع. إننا عبيد اجتماعيون. إننا عبيد سياسيون. وإن الزنجى الجديد ينشد حرية بلا حدود ولا قيود» (فلسفة وآراء ماركوس جارفى).

وكان ماركوس موسياه جارفى الجامايكى مؤسس الاتحاد العالمى لحركة تقدم الزنوج خضم تلك الحركات التى ثارت لتحقيق المؤازرة العاطفية والدعم العملى لضحايا الرق الذى يوهن العزيمة ويعد من أعظم المشاهد إثارة. لقد ولد جارفى مستعمرا فى مستعمرة فى ١٧ أغسطس ١٨٧٧ ومات منفيا فى العاصمة البريطانية عام ١٩٤٠. وبين هذين التاريخين استحوذ جارفى على مكانة مرموقة خيالية بين الزنوج فى أمريكا. لقد كان جارفى كأنه «النبى» موسى الأسود والقائد الروحى الذى أرسل ليقود شعبه إلى خارج العبودية. وكان كذلك صانع المملكة السياسية وصاحب الفخامة الرئيس المؤقت لإفريقية.

«لقد تساءلت: أين حكومة الرجل الأسود؟ وأين ملكه ومملكته؟ أين رئيسه وبلده وسفيره وجيشه وأسطوله ورجال أعماله الكبار؟ لم أستطع العثور عليهم، وعندئذ أعلنت أننى: سأساعد على صنعهم. ورأيت أمامى - كما أرى الآن - عالما جديدا من رجال السود، ليسوا بيونيين[1] ولارقيقا ولاكلابا ولاعبيدا، بل أمة من الرجال الأقوياء يتركون بصماتهم على الحضارة ويشعون نورا جديدا فى فجر الجنس البشرى» (فلسفة وآراء ماركوس جارفى).

وفى نهاية منتصف العقد الحادى والعشرين كان يقدر عدد اتحاد جارفى بما بين أربعة ملايين وخمسة ملايين، له فروع وأعضاء ومؤيدون فى كل البلاد التى بها أناس من أصل إفريقى. وتصور جارفى يوما فى المستقبل يعود فيه كل الزنوج إلى إفريقية المتحدة المستقلة وقد يسهم العالم الجديد مع ذلك فى خلق إفريقية حرة قد يبحثون عن حمايتها عندما يرحلون فى العالم، وقد يعودون عند الضرورة إلى: «أمتنا أقوياء بدرجة تكفل توفير الحماية لأعضاء جنسنا المشتتين فى كل انحاء العالم، وتجبر أمم وأجناس الأرض على احترامنا». وفى الوقت نفسه ينظمون أنفسهم «من أجل غرض نهائى هو تحسين أحوالنا صناعيا وتجاريا ودينيا وسياسيا».

ومع ذلك فنتيجة لسوء الإدارة وعدم الكفاءة والجشع والفساد بين نواب جارفى انهارت معظم مشروعاته الاقتصادية مثل شراء السفن المحطمة التى كان يبيعها الملاك البيض بأثمان السوق السوداء وذلك لغرض تأسيس تجارة زنجية.

وكانت أهدافه التربوية أكثر نجاحا ولكن ليس بالقدر الذى كان ينوى الوصول إليه. وبعد تأسيس الاتحاد العالمى للزنوج فى جامايكا عام ١٩١٤ اقترح جارفى إنشاء كليات للزنوج الجامايكيين على غرار «معهد بوكرت واشنطن توسكاجى». وكان جارفى يود استشارة واشنطن فى هذا المشروع الذى خططه عند زيارته لأمريكا عام ١٩١٦ التى أدت إلى نقل قاعدة عملياته إلى الولايات المتحدة. ومع ذلك فإن مشروعه التربوى كان تأسيس الجريدة الأسبوعية «عالم الزنوج» التى تولى إدارتها من عام ١٩١٨ إلى عام ١٩٣٣. وكانت صفحاتها حافلة بآراء جارفى بالتفصيل. وكان القراء يتعلمون منها أمجاد التاريخ الإفريقى وبطولة الثورات الزنجية ويعرفون مدى وحشية الشعوب الأوربية.

«عندما كان يسكن أوربا جنس الكانيبال، وهو جنس الهمجية والرجال المكروهين والوثنيين والهمجيين، كانت إفريقية مأهولة بجنس من الرجال السود المثقفين الذين كانوا أساتذة فى الفن والعلوم والآداب، رجال مثقفين وأتقياء، رجال كالآلهة كما يقال» (فلسفة وآراء ماركوس جارفى).

كان هناك تناقض واضطراب فى تفكير جارفى وفى أعماله. وقد يسهل استخدام هذا للحكم عليه بأنه متطرف وغريب الأطوار كما كان كثير من المفكرين الزنوج فى ذلك الوقت. وقد انتقل عداؤه العرق للطبقة ذات اللون البنى والأبيض إلى أهل الفكر من الزنوج الذين نظر إليهم على أنهم تابعون خانعون لأمريكا البيضاء.

وقد تعاون فترة ما مع الكوكلوكس كلان لانه كان يشاركهم فى النقاء العنصرى والهجرة الزنجية من الولايات المتحدة. وقد ناوش السلطة مرات عديدة فى تهور وبلا دبلوماسية إلى أن استطاعوا أخيرا إدانته لاستخدام بريد الولايات المتحدة لكى يسلبوه سلطانه فى خط ملاحة النجم الأسود. وقد نفى جارفى من الولايات المتحدة فى عام ١٩٢٨ وعاد إلى جامايكا حيث كان ينتظره أعداؤه ذو البشرة البيضاء. وبقى ذليلا فى وطنه حتى رحل النبى الفاشل إلى المنفى فى انجلترة حيث مات مهزوما محررا من الوهم.

وفى عام ١٩٦٤ أخرجت جثة جارفى من قبره فى لندن وأعيدت لتدفن فى تربة جامايكا. وبعد ذلك بعدة سنوات أعلن رسميا أنه بطل وطنى. وقبل هذا بدأ كل من معاصريه والذين لم يخوضوا تجربة حركته يفصلون بين حماقات ونقط الضعف فى هذا الرجل المغرور والمضطرب وبين انجازاته الباقية.

لم تكن تلك العناصر الصحيحة فى فلسفته أو آرائه جديدة، فكثير منها وضعه مفكرون وأدباء زنوج من المحتمل أن جارفى لم يسمع عن بعضهم مطلقا. وبعد فقد اتصل هذا الخطيب الماهر والداعية غير العادى بالزنوج العاديين ووصل إلى قلوبهم كما لم يفعل أحد من قبل. ولم يستطع أحد قبل جارفى من البروليتاريين على ضخامة عددهم أن ينظم حركة جماهيرية بمثل هذا الحجم والحماسة، كما لم يحرك أحد غيره خيالهم إلى هذا النحو. «سوف أعلم الرجل الأسود أن يرى الجمال فى نفسه». ولم يعطهم أحد غيره مثل هذا الاحترام النفسى.

كينيث رامتشاند (من ترينداد وتوباجو) قارئ فى الآداب الغربية فى جامعة جزر الهند الغربية. ومن بين أعماله ومؤلفاته «القصص الهندى الغربى» و «الرواية الهندية الغربية وخلفيتها». والشعر الهندى الغربى وطبعة لدراسة الآداب الغربية الهندية

فى أوائل الستينات برزت موسيقى الريجى الى حيز الوجود بين الفقراء من أهل الحضر فى جامايكا وسرعان ما نالت شهرة عالمية، وخاصة فى أوساط الشباب. وتقرع طبول فنانى الريجى وأعوادهم أصواتا نابضة تجمع بين الإيقاعات الافريقية، والأفروأمريكية. وتصاحب الاغانى التى تدور حول الأحداث المعاصرة، والموضوعات العاطفية الخالدة. كما تدور حول الذكريات الأليمة

عندما أتذكر ضربات السوط
يتجمد الدم فى عروق
وعندما أتذكر السفينة الحاملة للعبيد
أذكر كيف عاملوني بوحشية

ولا يعلم أحد على وجه اليقين من أين أتت كلمة «ريجى». ولكنها تتغلغل فى أعماق ماضى جامايكا. حيث حافظ العبيد، كما حافظوا فى كل مكان فى الكاريبى. على إيقاعات افريقية وأغانيها ورقصاتها

الريجى : ظاهرة موسيقية جمايكية

بقلم : سباستيان كلارك

فى ١٥٠٩ وصلت إلى جامايكا أول دفعة من الأفارقة شحنتهم سفن الأوربيين إلى مايسمى «بالعالم الجديد». وعلى الرغم من أن الأسبان جنوا فوائد جمة من الجزيرة فإنهم لم يستغلوها استغلالاً كاملا. وفى ١٦٥٥ وصلت قوات الغزو التى أرسلها أوليفر كرومويل لتبذل محاولات منظمة لانتزاع «كل الأراضى الشاسعة التى يملكها الاسبان فى الكاريبى»، وتغيير الأوضاع الاقتصادية تغييرا تاما. ولاحظ البريطانيون أن الجزيرة قليلة السكان ومتخلفة ولذلك غزوها بسهولة وانتزعوها من الاسبان بمساعدة الأفارقة.

وعلى الرغم من أن الأفارقة كانوا يرسفون فى أغلال الاستعباد فإن إرادة المقاومة والثورة لم تتحطم فى نفوسهم. ولذلك امتاز تاريخ جامايكا بالثورات، وهرب العبيد الآبقون إلى الجبال، وأقاموا النظم الاجتماعية، والثقافية، والسياسية، والدينية، التى اعتادوها فى افريقية.

وحارب هؤلاء العبيد الآبقون البريطانيين، وأشاعوا الفوضى والخراب فى أملاك أسيادهم، وبعثوا الرعب فى قلوبهم، وفشل البريطانيون فى غاراتهم على الآبقين والقضاء عليهم، برغم وجود أعداد غفيرة من الضباط البريطانيين العسكريين. فلجأوا أخيراً إلى مسالمتهم، وعقدوا معاهدات الصلح معهم، ومنحوهم الحق فى البقاء فى أراضيهم.

وفى أواخر القرن الثامن عشر انكسرت شوكة الآبقين نهائيا باعتبارهم قوة معارضة ومنشقة، إلا أن الافارقة - برغم استرقاقهم المهين - ظلوا يحتفظون بكثير من عناصر تاريخهم الثقافى، فاهتدوا إلى وسائل مناسبة لتيسير الاتصال والتخاطب بينهم، فاخترعوا مايسمى باللهجات اللغوية المكونة من مزيج من اللغة الانجليزية واللغات الأفريقية، وأنشدوا بعض الأغانى عن أحوالهم الاجتماعية، ومارسوا الألعاب فى مناسبات خاصة كمناسبة عيد الميلاد، وقرعوا الطبول، وارتدوا أزياء أنيقة مقتبسة من أفريقية، ومارسوا فن الرقص.

ولم يطرأ أى تغيير على كثير من طقوس عباداتهم الدينية. ويرجع ذلك إلى عدم اهتمام المبشرين بتحويل الأفارقة عن دينهم، بل قام القس بتعميدهم «بالجملة» فى نظير أجر معلوم. بيد أن إقامة كنيسة النوبية برياسة جورج ليلى، وهو واعظ أفروأمريكى، وعبد سابق، أثار اهتمام الافريقيين، لأن أسلوب العبادة كان مشابها لعبادتهم. [وفى العقد السابع من القرن التاسع عشر] حدثت نهضة دينية كبيرة فى جامايكا، تركزت فى أبرشيه القديس توما، وقام فيها بدور كبير كل من جورج وليم غردون - وهو واعظ بروتستانتى ملون، وعضو المجلس المحلى - وبول وموسى بوجل، ولم يقتصر هؤلاء على إذكاء الروح الدينية، بل نادوا بضرورة مراعاة العدالة فى معاملة الفقراء، مما أدى بصورة مباشرة إلى مايعرف الآن بثورة مورانت باى فى ١٨٦٥.

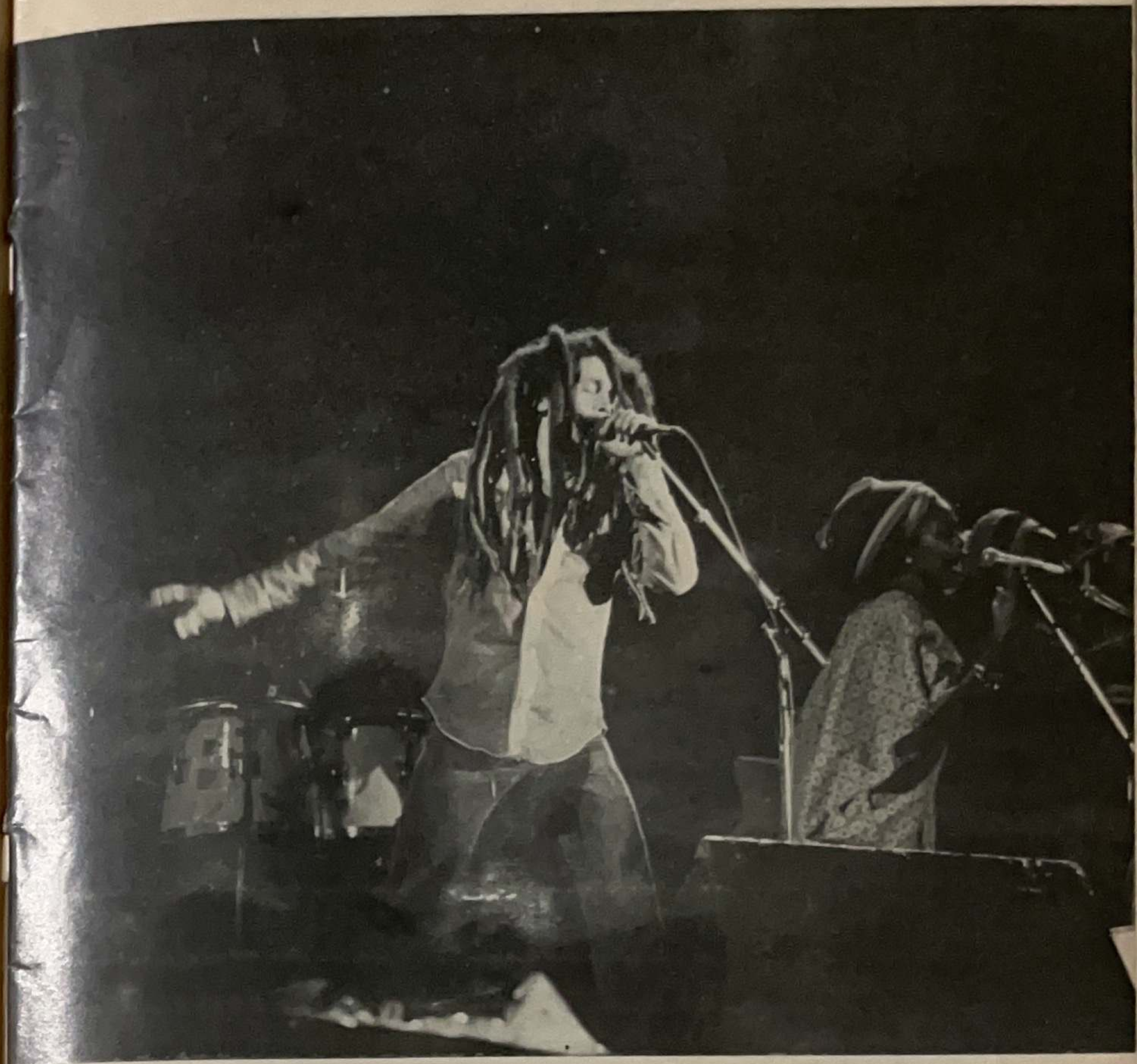
وللقضاء على الاحتجاج ضد معاملة الفقراء لجأ البريطانيون إلى استخدام قوة الميليشيا، وقتلوا كلا من غردون وبول بوجل. ومن المهم أن نعرف أهمية هذا الحادث فى حياة أهل هذه المنطقة، إذ انبعث من هذه الأبرشية الحركة المسماة «راستفرى» كظاهرة دينية، وهى مشتقة من اسم «الراس تفرى» الذى اشتهر به هيلا سيلاسى، امبراطور اثيوبيا، قبل تتويجه فى ١٩٣٠

ولا ينفصل تاريخ حركة «الرأس تفرى» عن تاريخ مرقص جارفى الذى ولد فى أبرشية سنت آن، وأظهر فى وقت مبكر اهتمامه بتحسين حال الفقراء (انظر الصفحة المقابلة). وبعد انتقاله إلى الولايات المتحدة فى ١٩١٦ أنشأ قاعدة تنظيمية هائلة حاول منها معالجة مشكلات السود فى العالم بأسره، لا فى الولايات المتحدة وحدها.

وعندما حاولت الولايات المتحدة تحطيم نفوذه، فبثت روح الحسد والخلاف فى حركته، وزجت به فى السجن، ثم أبعدته بتهمة الدجل والاحتيال، أعاد جارفى تنظيم حركته فى جامايكا. ويقال إنه صرح لاتباعه فى أحد اجتماعاته قائلا: «فلتتجه أنظاركم إلى افريقية، فسوف يتوج فيها ملك أسود. إن يوم الخلاص قد اقترب».

ورجع القوم إلى الكتاب المقدس لتأكيد صحة هذا القول، فوجدوه فى عبارات تشير إلى اثيوبيا، وفص الأختام السبعة وبخاصة «أسد يهوذا، وجذر داود.....» الخ. ولما توج الرأس تفرى (هيلا سيلاسى) فى ١٩٣٠ أعاد الألقاب القديمة «الأسد الظافر من قبيلة يهوذا، ملك الملوك، ورب الارباب...» الخ. ولكن مفهوم الأثيوبية أسهم - حتى قبل تتويج هيلا سيلاسى - فى اعتقاد السود بأن مازعمه الأوربيون من توحش الأفارقة قبل مجئ الأوربيين، وأنه لم يكن لهم نصيب فى الحضارة والثقافة العالمية، إنما هو محض افتراء وتزييف للتاريخ. وترتب على هذا الاعتقاد رفض السود اتخاذ الأوربيين الكتاب المقدس سلاحا للإبقاء على الرق العقلى بينهم، وأصروا على وضع نظم دينية جديدة مستمدة من دين آبائهم الافريقيين. فلا عجب أن ألفت كتب كثيرة،

سباستيان كلارك: كاتب وصحفى من مواليد ترينداد. كتب الكثير عن فنون الكاريبى الحديثة. محرر «الكوكب الجديد» الذى يضم مختارات من الأدب الكاريبى الحديث (١٩٧٩) ومؤلف «موسيقى جاه»، ويعمل الآن فى اعداد ترجمة لحياة بوب مارلى.



الريجي هي ظاهرة موسيقية جامايكية تصارع في ظهورها الأشكال الموسيقية الشعبية الأخرى كموسيقى الصول ، والروك ، والرول . كانت موسيقى الريجي وليدة عبقرية الفقراء من أهل الحضر «المعدمين» في كنجستون ، عاصمة جامايكا . تعبر هذه الموسيقى عن المعاني الروحية العميقة عند هؤلاء المعدمين ، وتمتاز بأن لها ضرباً وسحراً أخاذاً يستحوذ على الألباب وأجسام الناس في كل أنحاء العالم ، لأنها أصبحت ظاهرة دولية . أعلى : بوب مارلي المغنى الراحل ، وأشهر عازفي الريجي ، بمصاحبة ثلاثة من مرافقيه في أثناء حفلة موسيقية أقيمت في مدينة في بورجيه بفرنسا في يولية ١٩٨٠ ، وجذبت جمهوراً يقدر بعدة آلاف من مشجعي الريجي .

الموسيقى ذات الدور الهام في حياة المجتمع الأسود سواء في جامايكا (أعلى) أو الأمريكتين أو أوروبا .

وسعى الناس إلى اقتنائها ، وأفضى هذا إلى توسيع نطاق البحث فى الثقافة الافريقية ، وحث على أن السود قادرون على حكم أنفسهم وتنظيم حياتهم .

وكان تتويج هيلا سيلاسى بمثابة الموافقة على قبول الدين الجديد الذى وضع قواعده كل من ليونارد ب . هاول ، وجوزيف ناثانيل هيبرت ، وه . أرشيبالد دنكل . ولذلك صبت الهيئات الرسمية جام غضبها على هؤلاء القوم ، فاضطهدتهم ، وتعقبتهم ، وحبستهم ، وعذبتهم ، ونزعت من رؤوسهم جدائل الشعر التى ليسوها أحيانا . ولم تقتصر الرستفرية على جامايكا فى أيامها الأولى ، بل إن رجال الكنيسة السود من أفرو أمريكا ، وجنوب أفريقية ، وانيجيريا ، وجامايكا نفسها ، انتحلوا مفهوم الفلسفة الأثيوبية وفلسفة جارفى ، وكتبوا وثائق هامة ساعدت كثيرا على توضيح معنى الرستفرية .

وكانت الرستفرية فى فلسفتها معارضة للاستعمار ، ومؤكدة للتاريخ الثقافى والاجتماعى الأفريقى ، فضلا عن طرحها بدائل سياسية ودينية على السواء ، وقيامها على أساس أن هيلا سيلاسى رجل مقدس بسبب صلته – من جهة أسلافه – بزواج الملك سليمان من ملكة سبأ ، وما انحدر من صلبها من سلسلة الملوك الطويلة منذ ذلك العهد ، ولم تتأثر مكانة هيلاسى فى النفوس بما إذا كان مستبداً أو غير مستبد ، لأن القوم كانوا يرون أن تولية السلطة أمر ثورى لهدم الفكرة القائلة بوجوب أن يكون الملوك والملكات من البيض ، ومن أهل أوربا .

ولما كان الرستفريون يهدفون إلى الأصالة الثقافية رأوا من التناقض أن يغنوا الأغانى الأوربية بمصاحبة الموسيقى الأوربية . لذلك ألفوا أغانيهم الخاصة ، واقتبسوا المزامير من الكتاب المقدس ، كما وضعوا أغانى دينية جديدة مستمدة من تجربتهم الافريقية . وكان شعب « بورو » من قبيلة أشانتى بغانا من شعوب جامايكا التى احتفظت بفن الطبل الافريقى ، فأعطاهم الرستفريون دينهم الجديد فى مقابل اقتباس فن الطبل الأفريقى منهم . وحدث كل ذلك فى الأحياء الفقيرة فى « وست كنجستون » التى كانت ملجأ للفقراء والمنبوذين .

وفى العقد الخامس من هذا القرن كانت الموسيقى الأفرو أمريكية شائعة بين الجامايكيين ، واستمرت هذه الظاهرة خلال العقد السادس فيما يتعلق « بالموسيقى الايقاعية والأغانى الزرقاء » (ا . ز) وموسيقى « بوجى ووجى » . وكانت الموسيقى تعرف على أجهزة صوتية (الأسطوانات الحديثة) ، كما تعرف على جهاز المذياع . واستطاع الذين يملكون مذياعا ذا موجة قصيرة أن يلتقطوا المحطات الاذاعية فى جنوب أمريكا (تبعد جامايكا عن ميامى بنحو ١٦٠ كم) .

وكان المطربون الناشئون من أمثال أوين جرى ، وونستون جاكى ادوارد ، ولوريل آيتكين ، وألتون إليس ، يقلدون الموسيقى الأفرو أمريكية . وكان العنصر الغالب على موسيقى « بوجى ووجى » هو ايقاع البيان (البيانو) ، ولذلك كانت تعرف لونا ايقاعيا خاصا يحبه أهل جامايكا من رجال الموسيقى . ولما حلت موسيقى « الروك والرول » فى أوائل العقد السابع محل موسيقى « ا . ز » لم يشعر الجامايكيون نحوها بميل عاطفى شديد .

لذلك حافظوا على إيقاع البيان ، وأخذوا يبتكرون أفكارا جديدة لمزجها بهذا الإيقاع . واستمروا أولا فى عزف موسيقى « ا . ز » ، ثم تحولوا تدريجيا إلى ابتكار موسيقاهم الخاصة . وحدث هذا حوالى ١٩٦٢ ، وهى السنة التى نالت فيها جامايكا استقلالها .

وكان الموسيقيون على وعى سياسى وثقافى كبير ، لأنهم كانوا من فقراء أهل الحضر الذين نبعت منهم الفلسفة الرستفرية . ولذلك كانت الالحان تسمى بأسماء الأحداث التى تدور فى المجتمع الجامايكى وفى العالم .

وفى وقت مبكر يرجع إلى ١٩٥٨ سجل الأخوان فوكس الموسيقى الرستفرية – أى قرع الطبول – على أسطوانة شعبية اسمها « أوه كارولينا » (نغمة أفرو أمريكية) من إنتاج فنان جامايكى أسطورى يدعى برنس بوستر . وخلد الموسيقار الراحل كونت أوسى موسيقى قرع الطبول ، وهو أكبر مسئول عن شيوع هذا الصوت .

وبعد أن نالت جامايكا استقلالها ازدادت فرص الجامايكيين فى الحصول على السلطة والمكافآت المالية . وكانت المنافسة السياسية مظهراً من مظاهر المسرح السياسى ، وازدادت هذه المنافسة فى العقد السابع والثامن ، فجذبت الفقراء من أهل الحضر الذين عبر مطربوهم بالأغانى عن طبيعة بيئتهم الاجتماعية .

وللموسيقى الجامايكية الشعبية صلة عضوية بغيرها من موسيقى الكاريبى ، ففى العقد السادس كانت أعظم أنواع الموسيقى الشعبية المحلية شيوعا هى موسيقى « منتو » التى كانت مزيجا من الموسيقى (كاليسو) والإيقاع الموسيقى فى منطقة الكاريبى المتكلمة باللغة الاسبانية . وفى أواخر القرنين السابع والثامن أظهرت الموسيقى الجامايكية ميلاً الى موسيقى كاليسو التى تشتمل على الإيقاع الموسيقى الذى يمزجه الموسيقيون الجامايكيون مع الريجى . ولكن المهم فى الأمر هو أن موضوعات موسيقى كاليسو أثرت فى أغانى المطرب الجامايكى تأثيرا مباشرا . والواقع أنه تم تعديل موضوعات موسيقى كاليسو ونقلها إلى البيئة الجامايكية المحلية ، وذلك فى الاغانى الريجية الشائعة الآن

ولذلك نجد أن موسيقى الريجى – كما كانت فى بداية أمرها – لاتقتصر على مفهوم موسيقى واحد ، ولا تهتم بموضوع واحد فهى تتحدث عن الحب ، والموت ، والدمار ، والحرب ، وغيرها من الموضوعات المحلية . ومع ذلك فهى ترتبط ارتباطا وثيقا بالكفاح من أجل التحرر السياسى للشعوب السوداء فى العالم كله . وعندما تتحدث هذه الموسيقى عن التحرر فإنها لاتتحدث عن القيود اللونية فحسب .

وقد تقبل الشعب الأسود الذى يعيش فى العالم بأسره هذه الموسيقى على أنها موسيقاه الخاصة . ولذلك نرى الشعب الأسود فى أوربا – مثلا – يسهم فى تطويرها بدرجة كبيرة ، ويضيف إليها أفكارا جديدة ليضفى عليها لونا خاصا ، كما يمزجها بما يعرفه من الموسيقى الأخرى ليكسبها طابعا خاصا . ومن الواضح أن الموسيقى ذات أثر هام فى حياة المجتمع الأسود سواء فى جامايكا أو الأمريكتين أو أوربا وفى القارة الأخيرة أضفت هذه الموسيقى قوة وعزما على الذين يكابدون قسوة العنصرية الأوربية والاجحاف الأوربى ، وحفزتهم على مقاومة هذه المظالم

هذا والموسيقى الجامايكية تتغير كل يوم من حيث أساليبها . فهناك أساليب جديدة فى قرع الطبول ، وطرق مختلفة فى أداء الأغانى ، وأصبحت هذه الطرق من مميزات المطرب الجامايكى أو المطرب الأسود . ولا شك أن الموسيقار الراحل بوب مارلى ، أسهم كثيرا فى تقبل العالم الموسيقى الريجى ، ولكن الموسيقى نفسها تتجاوز مارلى ، اذ تعبر عن المعانى الروحية العميقة عند الشعب الأسود ، كما تعبر عن أمانيه فى الحرية والعدالة . ومادامت الآلام هى طابع التجربة التى يعانيها السود فإن موسيقى الريجى سوف تظل معبرة عن حالة الإنسان .

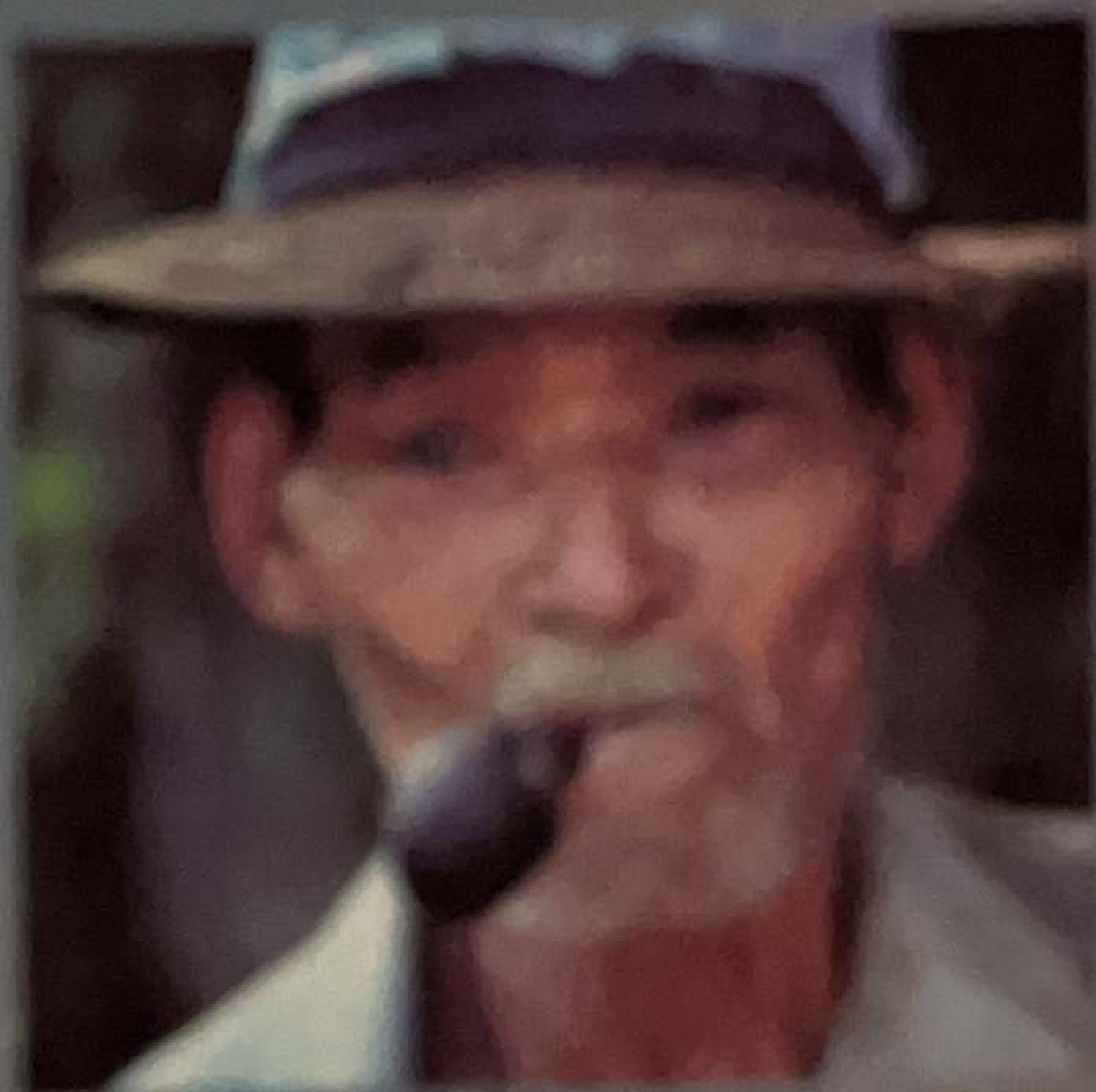


فهرس مجلة رسالة اليونسكو لعام ١٩٨١







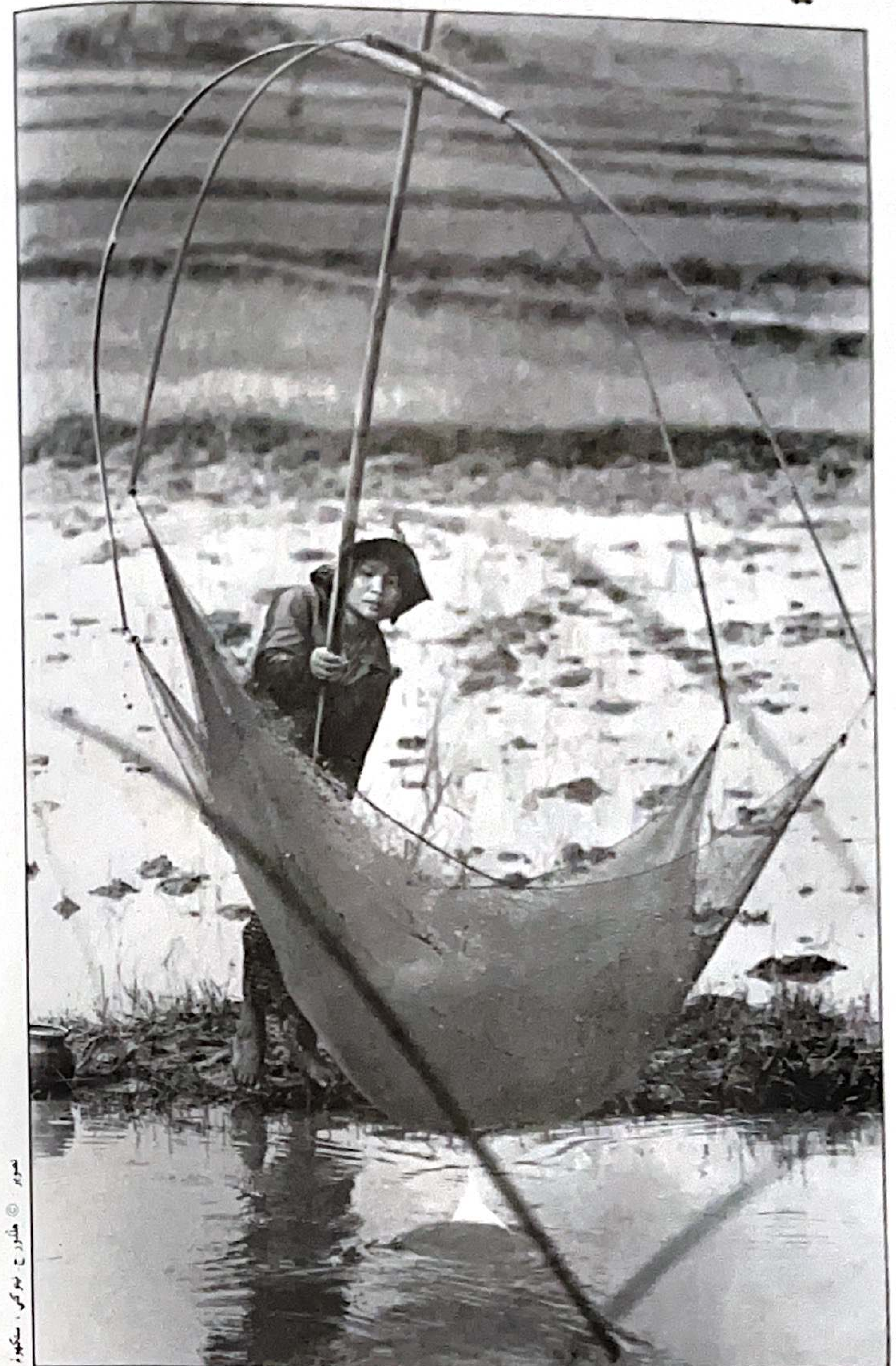


العدد ٢٧١ ديسمبر ١٩٨٣
• الثمن ١٠ قروش

رسالة اليونسكو



حضارات البحار



٢٠ جمهورية لاو الديمقراطية الشعبية : حصاد النهر

يمثل المصدر الرئيسي لغذاء الشعب اللاوي في حقول الأرز الرطبة في الأراضي المنخفضة حيث يعيش أكثر من نصف السكان وفي زراعة الأرز الجافة في المرتفعات. وفضلاً عن ذلك تقوم كل أسرة تقريباً بتربية عدد من الماشية والدواجن، كذلك يمثل القنص وصيد السمك مصدراً إضافياً يُستكمل منه غذاء الأسرة. تُرى أعلاه صائدة سمك لاوية من منطقة فِنْتيان.

أضواء على المشروع القومي لكهربة الريف المصري

أضواء على المشروع القومي لكهربة الريف المصري :

- انفتاح مصر على عصر الكهرباء أزال الكثير من الفوارق الحضارية بين الريف
(مهندس / محمد ماهر اباظة)
- حتى عام ١٩٨٣ اعتمدت الدولة ما يقرب من ٤٠٠ مليون جنيه نقد محلي للمشروع بالأضافة إلى التعاقدات الخارجية التي بلغت نحو ٥٠٠ مليون جنيه
- كهرباء السد العالي لعبت دورا هاما في القضاء على ظاهرة البطالة المقنعة في الريف
- مع نهاية العام المالي ٨٣/ ١٩٨٤ تصل الكهرباء إلى كل قرية رئيسية وتابع كبير (أكثر من ألف نسمة) بالجمهورية
- رئيس مجلس إدارة هيئة كهربة الريف يشرح أبعاد التوسع المنتظر في استغلال الطاقة الكهربائية
- مدن وقرى المحافظات الإقليمية يزداد استهلاكها للطاقة الكهربائية بمعدل سنوى يزيد على ١٤٪ وهو معدل مرتفع

كانت الطاقة الكهربائية - ولاتزال ركيزة التحول الأساسية الرامية إلى تحديث مصر ومنطلقا نحو رفاهية شعبها .

هذا التحقيق الإعلامي الذي تقدمه رسالة اليونسكو محاولة لتسليط الضوء على مسيرة وزارة الكهرباء والطاقة المسئولة عن هذا المشروع الحيوي ، ومتابعة نواحي الإنجاز في خططها وبرامجها خلال السنوات الأخيرة والمستقبلة .

الأهداف الاستراتيجية :

يقول المهندس محمد ماهر أباظة وزير الكهرباء والطاقة «مما لاشك فيه أن انفتاح مصر على عصر الكهرباء ونمو مصادرها وانتشارها في مختلف أنحاء البلاد كان له أبعد الأثر في إزالة كثير من الفوارق الحضارية والاقتصادية والاجتماعية بين الريف والحضر - وأنتشار

◄◄

التعليم وزيادة المدارس والمعاهد والجامعات ، وبناء القاعدة الصناعية ، ولم يعد للطاقة الكهربائية دورها الحيوى فى زيادة معدلات التنمية الاقتصادية فحسب وإنما لها أكبر الأثر على التنمية البشرية والارتقاء بالمستوى الاجتماعى والحضارى للإنسان المصرى باعتباره أثمن مكونات الثروة القومية .

فالطاقة الكهربائية تعتبر الدعامة الرئيسية لجميع خطط التنمية التى تتبناها الدولة والقطاع العام والقطاع الخاص .

أولا : لكونها القاسم المشترك فى مختلف مشروعات التنمية الزراعية والأمن الغذائى والصناعات البيئية والحرفية ومشروعات الرى والصرف

ثانيا : انها المحرك الأساسى للأنشطة الصناعية والاقتصادية وقطاعات الخدمات فى مصر وهى كذلك محور التغيير الهائل الذى تشهده البلاد سواء فى الفكر والثقافة والتوعيه التى تبثها أجهزة الاعلام

دراسات اجتماعية

فى حوار مع المهندس / محمد زهران رئيس مجلس إدارة هيئة كهربة الريف قال سيادته : إن عملية التخطيط للمشروع القومى لكهربة الريف المصرى كانت أصعب مراحله خاصة فيما يتعلق بالتعرف على التوزيع البشرى والعمرانى للسكان ، سواء من حيث تجمعاتهم وأعمالهم وطبيعة وظروف معيشتهم . فلم تكن هناك صعوبة فى تخطيط شبكات القرى الرئيسية ولكن واجه المسئولون بعض الصعوبات فى توابع هذه القرى التى تتقارب أو تتباعد كثيرا عنها وكذا فى شكلها الجغرافى من حيث تجمعها فى شكل دائرى أو على امتداد النيل والترع وقد ينخفض عدد سكان تلك التوابع بحيث يمكن حصرهم بالعشرات وقد يزداد العدد إلى ما يقرب من تعداد القرية .

بالإضافة إلى عدد السكان فى كل قرية كان يلزم التعرف أيضا على معدلات الزيادة السكانية المتوقعة ودراسة معدلات الهجرة من القرى إلى المدن ومن المحافظات الإقليمية إلى القاهرة والاسكندرية وإلى مراكز الإسكان القريبة من الصناعات الكبرى ومن حيث الاستخدام المتوقع للطاقة الكهربائية فى الريف تمت دراسات مستفيضة لمتوسط دخل الفرد والمستويات الثقافية والاجتماعية ، وموقع القرية الجغرافى وبعدها عن المدن الكبرى بالإضافة إلى أنواع الزراعات وتوفر مياه الرى ، وإمكانيات الصرف والصناعات الريفية والحرفية التى يتقنها أهل القرية مما يجب مراعاته عند تصميم الشبكات ووضع معدلات الاستهلاك .

ثم قال سيادته : عندما بدأ تنفيذ المشروع كان متوسط نصيب الفرد ٥ وات وكان مقدرا أن يتدرج هذا المعدل ليصل إلى ٤٠ وات للفرد فى اوائل الثمانينات ولكن الزيادة السريعة فى استهلاك الطاقة الكهربائية جعلت هذا المعدل حاليا يصل إلى ٦٠ وات للفرد . وعند وضع هذه المعدلات يؤخذ فى الاعتبار عدة عوامل مستقبلية منها التوسع فى استخدام الكهرباء فى الأغراض الإنتاجية مثل كهربة وسائل الرى والزراعة والدراس والطحين والنهوض بالصناعات الريفية الصغيرة والمتوسطة مثل تعبئة المنتجات الزراعية والفاكهة وحفظها وتجفيفها وصناعات الألبان ومعامل تربية الدواجن والثلاجات وحفظ اللحوم بالإضافة إلى الاستخدامات المنزلية للكهرباء وما يستتبع ذلك من الأخذ فى الاعتبار الزيادة المتوقعة فى تعداد السكان بالنسبة للمعدلات الطبيعية للنمو وما يتخذ للحد من الهجرة من الريف والارتقاء بشكل عام بمستوى معيشة الفلاح .

وعندما سئل عن أهداف هيئة كهربة الريف فى خطتها الخمسية وما بعد ذلك .

قال : الان قد مضى ما يزيد على ثلاثة عشر عاما على بدء مشروع كهربة الريف وسوف نكون فى نهاية العام المالى الحالى ٨٣ / ٨٤ قد أكملنا توصيل الكهرباء إلى جميع القرى الرئيسية والتوابع الكبيرة (التى يزيد عدد سكانها عن ألف نسمة) وبذلك يكون قد حظى بالكهرباء ما يزيد على ٨٠٪ من سكان المحافظات الإقليمية ونسبة أقل من ٢٠٪ الباقية هم سكان التوابع الصغيرة (التى يقل عدد سكانها عن ألف نسمة) المنتشرة فى أنحاء الجمهورية ويزيد تعدادها عن ٢٠٠٠٠ (عشرين ألف) تابع صغير منها ما يزيد عن حوالى ١٢٠٠٠ تابع صغير يزيد تعداد سكان كل منها عن مائة نسمة وسوف يتم كهربة هذه التوابع الصغيرة على مراحل حسب توافر مصادر التغذية .

الذى يهمنا فى المقام الأول فى السنوات القادمة هو تدعيم وتحسين أداء شبكات التوزيع بالمناطق الريفية وذلك ليتحقق استقرار واستمرار التغذية الكهربائية للمشروعات الإنتاجية فى الريف وهى كما ذكرنا كلها تخدم التمنية الزراعية والأمن الغذائى ووسائل الرى والصرف ومشروعات التعمير واستصلاح الأراضى وكلها مشروعات تؤدى إلى زيادة الدخل القومى ورفع مستوى معيشة أهل الريف ولذلك سنعمل على توفير مصادر جديدة للتغذية فى الجهات التى تحتاج لذلك حسب الدراسات الفنية التى تقوم بها وتدعيم محطات المحولات الحالية كما سيتم تزويد شبكات التوزيع بأجهزة ومعدات حديثة تعمل على الإقلال من فترات انقطاع التيار وخفض عدد مرات الانقطاع .

وسوف تتم هذه الأعمال على مراحل سنوية بحيث يتم تنفيذ وتشغيل عدد من محطات المحولات سنويا وتدعيم أجزاء من شبكات التوزيع حسب حالتها .

ذلك بالإضافة إلى تدعيم الشبكات الداخلية بالقرى والمدن لمواجهة الزيادة فى استهلاك الطاقة الكهربائية والتوسع فى المناطق السكانية والامتداد العمرانى .

وعلاوة على ذلك يتم توصيل الكهرباء للمشروعات الصناعية ومشروعات المصالح بالمحافظات الإقليمية - وتنفيذ توصيل الكهرباء لعمليات القوى المحركة التى يمتلكها الأفراد .

خلاصة القول أن شبكات التوزيع فى الريف أصبحت الآن فى مرتبة من الأهمية أعلا من مرتبة الأهمية التى كانت تعطى لها فى أوائل السبعينات ذلك لأن هذه الشبكات صارت تغذى مشروعات إنتاجية هامة تعود بالفائدة على الدخل القومى .

وقال سيادته عن ترشيد استهلاك الطاقة الكهربائية فى الريف أن الدراسات أظهرت ارتفاع نسبة استهلاك الطاقة الكهربائية التى يستفاد بها لأغراض الاستهلاك المنزلى فى الريف وأن نسبة استهلاك الطاقة الكهربائية فى الأغراض الإنتاجية فى الريف أقل بشكل ملحوظ .

لذلك فنحن نناشد المسئولين فى الريف أن يقوموا بالتوعية اللازمة للحد من استهلاك الكهرباء فى الأغراض المنزلية والتوسع فى استخدامها للأغراض الإنتاجية التى تساهم فى زيادة الدخل القومى .

وقال إن هيئة كهربة الريف فازت بتقدير من الحكومة فى عيد الأنتاج فحصلت للمرة الثانية - هذا العام - على كأس الإنتاج وهذا تقدير له دلالته على الجهود التى يبذلها العاملون بالهيأة فى سبيل إنجاز هذا المشروع القومى الكبير - وهو حافز لهم على الاستمرار فى الجد والاجتهاد .

المساعدات الخارجية :

ومما لاريب فيه أن حديث رئيس مجلس إدارة هيئة كهربة الريف يشير إلى أهمية الدراسات العملية والإحصائية الدقيقة التى توافرت لنجاح هذا المشروع القومى العظيم - فلم يكن من المهم فحسب دراسة الواقع الراهن لسكان الريف وتجمعاتهم ونمط حياتهم وأعمالهم . . ولكن استقراء المستقبل ومتغيراته المتوقعة كانت من الأسباب الحيوية التى كتبت له النجاح فى مراحله المختلفة ، ومن هنا يمكن القول أن مشروع كهربة الريف يتسم بصفة الاستمرارية فهو ليس موقوتا بتنفيذ برامج كهربة القرى والتوابع الكبيرة فقط ، ذلك لأن من أهداف المشروع الأخذ فى الاعتبار مقتضيات التطور مع ما يستلزمه ذلك من مضاعفة الشبكات لمواجهته ، خاصة وأن تجارب الدول التى سبقتنا فى مجال كهربة الريف تشير إلى أنها لاتزال تطور وتوسع شبكاتها الكهربائية منذ أن تمت كهربة ريفها حتى الآن .

وبالطبع لا يمكن لدولة - حتى الدول الكبرى - أن تقوم بتنفيذ مشروعاتها الكبرى من موازنتها دون أن تعتمد على مساعدات من حكومات الدول الصديقة أو البنوك الدولية وهو ما حدا بجمهورية مصر العربية فى صدد قيامها بتنفيذ المشروع القومى لكهربة الريف إلى الاستعانة بما قدمته دول صديقة أو بنوك دولية من قروض أومنح - وقد ساهمت هذه القروض فى توفير النقد الأجنبى اللازم لاستيراد المهمات من الشركات العالمية الصانعة مثل المحولات والكابلات والعازلات ، والموصلات بينما ساهمت الشركات الوطنية فى تصنيع باقى احتياجات مشروع كهربة الريف مثل الأعمدة الهيكلية والأعمدة الأنبوبية ، فى الوقت الذى يتم فيه الاستغناء تدريجيا عن كثير من احتياجات المشروع المستوردة من الخارج بتشجيع صناعاتها المحلية كالكابلات الأرضية والمحولات والموصلات اللألمنيوم .

الحاسبات الالكترونية :

لم يقتصر مشروع كهربة الريف على إقامة شبكات التوزيع ذات الجهد المتوسط فى المناطق الريفية وإقامة الشبكات الداخلية بالقرى والتوابع إنما كان من أهم أهداف الخطة هو توفير مصادر التغذية لشبكات التوزيع وذلك بإنشاء حوالى ١٠٠ محطة محولات جهد ٦٦ / ١١ أو ٣٣ / ١١ ك . ف بقدرة إجمالية حوالى ٣٠٠٠ م . ف . أ (ميجا فولت امبير) مع إقامة حوالى ١٥٠٠ كيلو متر خطوط هوائية جهد ٦٦ أو ٣٣ كيلو فولت لربطها بالشبكة الكهربائية الموحدة للجمهورية .

كذلك تضمنت خطة المشروع القومى لكهربة الريف تدعيم شبكات الكهرباء بمدن المحافظات الإقليمية التى يبلغ عددها ١٤٠ مدينة تدعيما شاملا .

ونظرا لأن التوسع الكبير والمتزايد فى هذا المشروع الكبير - يستلزم اتخاذ أنسب القرارات بدقة مع سرعة التنفيذ ومرونته فقد بدىء فى عام ١٩٨١ استخدام الحاسب الآلى فى تخطيط ومتابعة تنفيذ الخطة وفى أعمال الدراسات الفنية والاحصائية والتصميمات - وكذا فى ضبط ورقابة المخزون - كما تم إنشاء مركز للمعلومات لحفظ وتبويب وإخراج البيانات - وكذا الدراسات الاقتصادية اللازمة .

وواضح أن هذه النظم جميعا تمثل المدخلات إلى نظام موحد للتكليف يتم بموجبه حساب تكلفة المشروع الكلية تفصيلا أولا بأول ، مما يمكن من الرقابة على التنفيذ - ويضمن عدم الزيادة الفعلية عن الحدود المسموح بها .
ما عنيت الهيئة ببرامج تدريب شتى العاملين فى فروع المشروع المالية والادارية والفنية والهندسية سواء فى خارج الجمهورية أو داخلها للاستفادة بالخبرات المتطورة و، شتى التخصصات التى تهدف فى النهاية هدف الانجاز الأمثل كما وكيفا .

وقد أدى التوسع الكبير فى كهربة الريف إلى ارتفاع معدلات الاستثمار عاما بعد عام لإنجاح هذا المشروع القومى الحيوى حتى أنه قد بلغت جملة التعاقدات الخارجية حتى عام ١٩٨٣ حوالى ٥٠٠ مليون جنيه وجملة الإعتمادات من الموازنة العامة للدولة حتى العام الحالى حوالى ٤٠٠ مليون جنيه .
كل ذلك يوضح لنا مدى العناية والجهد والمتابعة التى وفرتها الدولة لإنجاح مشروع كهربة الريف الذى نفذته خبرات أبناء مصر وسواعدها لتنشر الحضارة والرفاهية فى أرجاء الريف والحضر .

رسالة اليونسكو

نافذة على العالم

ديسمبر/كانون الأول ١٩٨٣

تصدر في ٢٧ لغة

العربية، الألمانية، الفارسية، الاوردية، الكرواتو-صربية، الفرنسية، اليابانية، العبرية، الكاتالانية، المقدونية، الإنجليزية، الإيطالية، الهولندية، الماليزية، الصربو-كرواتية، الأسبانية، الهندية، البرتغالية، الكورية، السلوفينية، الروسية، التاميلية، التركية، السواحلية، الصينية، البلغارية، اليونانية

وتصدر من أجل المكفوفين طبعة فصلية بطريقة برايل، باللغات الفرنسية والإنجليزية والأسبانية والكورية

مجلة شهرية تصدرها منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة.

رئيس التحرير

إدوار جليسّان

تصدر الطبعة العربية فى القاهرة فى نفس الوقت الذى تصدر فيه عن مقر اليونسكو فى باريس وذلك تحت اشراف مركز مطبوعات اليونسكو بالقاهرة ١ شارع طلعت حرب القاهرة

رئيس المركز : عبد المنعم الصاوى

كيف تحصل على مطبوعات اليونسكو (ص ٤٧

صفحة

افتتاحية العدد

البحر أول منابع الحياة .. تلك حقيقة تنزع إلى إثباتها أحدث الاكتشافات العلمية . وبالمثل ، تتّجه أروع التطورات الأخيرة للتكنولوجيا الحديثة صوب إثبات حقيقة أخرى مؤدّاها أن موارد البحر ربما كانت عماد مستقبل الأرض .

وبين هاتين الملاحظتين .. بين هُوّة الماضي السحيقة وآفاق المستقبل الباهرة ، يتدفق مجرى تاريخ البشر الذي يربطه بحياة المحيطات رباط لا ينفصم . ومعنى ذلك أن أي محاولة لتناول هذه الظاهرة .. ظاهرة المحيطات ، لا بد وأن يكتنفها التعدُّد والتشعُّب والتشابك ، وأن إمكانيات البحث والدراسة في هذا المجال إمكانيات لا تنضب . لذلك فمن بين آلاف الموضوعات الممكنة كان علينا أن نقنع بحفنة نتناولها في هذا العدد من **الرسالة** الذي نكرسّه لـ **حضارات البحار** .

البحر مهد الحضارات ، وناقل الثقافات ، ومحطّ أنظار البشر في عشية الألف الثالث الميلادي .. تلك هي مجالات البحث التي طرقناها بصدد البيئة البحرية لكوكبنا . فمن ميلاد أشدّ التقنيات تواضعاً وبساطة إلى إزدهار أروع الأساطير خيالاً ، ومن المشاق التي عانى منها الإنسان عبر تاريخه الطويل إلى رتابة حياته اليومية في العالم المعاصر ، ومن شعوب الإسكيمو إلى شعوب ملانيزيا .. حاولنا أن نستثير شغف القراء بهذا الموضوع الهام في حياتنا بدلاً من أن نحاول رسم صورة شاملة كاملة تقصر دونها جهودنا . فلم نحاول إذن تلخيص المعارف الإنسانية عن المحيطات بقدر ما حاولنا تقديم عرض لِوَقع هذه المعارف على خيالنا .

ولا غرو إن كان هذا النهج قد افضى بنا إلى إمعان النظر في بعض المشكلات التي تواجه المحيطات اليوم : التلوث البحري ، المناطق الساحلية والجزرية ، قانون البحار الدولي الجديد ، البحر بوصفه التراث المشترك للإنسانية .. فكلّها مشكلات أساسية تعيرها اليونسكو قدراً كبيراً من اهتمامها وتعمل على تعزيز البحوث العلمية واتخاذ التدابير العملية في مجالها .

صورة الغلاف : تُرى في صورة الغلاف نوع من أنواع الدهو الكبيرة يعرف باسم الـ بوم ، يجري بناؤه في ساحة لصنع السفن بالدوحة عاصمة قطر . ومن السمات التي تتميز بها هذه المراكب طول سارية مقدّمها وانحدارها ، ومؤخّره المدبّب .

تصوير : © كارلوس سالدي ، باريس

على هدى الفينيقيين

بقلم : محمد فنطر

يمكن التأكيد ، دون الدخول في الجدل الذي يثيره السؤال عن أصل الفينيقيين ، بأنهم شعب من شعوب العالم القديم ينتمي إلى أسرة الساميين في الشمال العربي ولا يُعرف أصله على وجه التحديد . وكانت فينيقيا تشمل منطقة تناظر أرض لبنان الحديث مضافا إليها أجزاء من سوريا وإسرائيل في الوقت الراهن . ويبدو أن الفينيقيين كانوا قد استقروا هناك في نحو عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد .

وقد ربط علماء الآثار العالم الفينيقي بالحضارة الكنعانية (وكنعان هو الاسم الذي تطلقه التوراة على فلسطين قبل وصول العبرانيين إليها) . ويبدو أن هؤلاء القوم الأوائل أرلهم وحوّلهم عناصر إثنية وثقافية تُعزى إلى غزوات قيل إنها غزوات شنتها شعوب البحر قبل الميلاد بنحو ألف ومائتي عام .

واستُند في تأييد هذا الافتراض إلى حرص لوحظ لدى الفينيقيين على تأكيد شعورهم بالانتماء إلى بلاد كنعان . قيل أنّ تيار حضاري . في الواقع ، يمكن أن ننسب أرض كنعان التي ورد ذكرها في التوراة ، إن لم يكن إلى التيار الفينيقي ؟ ثم ألم يكن «البونيون» (القرطاجيون) الذين عاشوا في القرن الخامس الميلادي ويتحدث عنهم القديس أوغسطين الأفريقي ، يقولون أيضا إنهم كنعانيون ؟

ولنذكر أخيرا الحجة اللغوية : فكلمة Phoinikes (فوينيكيس) اليونانية التي جاءت منها كلمة فينيقي ليست إلا ترجمة لكلمة «كنعان» ، وكلتاهما تذكر بالأرجوان الذي اشتهرت فينيقيا بصناعته .

وأيا كان الأمر فقد ظهرت مع بزوغ العالم الفينيقي ظاهرة جديدة هي البحر . وسواء كان ذلك هو البحر المتوسط أو البحر الأحمر أو غيرهما ، فقد اتجه الفينيقيون إلى البحر عن قصد وكان البحر هو الذي حدّد مصيرهم وخطّط مستقبلهم .

كانوا يحتشدون على الساحل بين خليج أمّوص إلى الشمال وجبل كرْمل إلى الجنوب . وكانت صيدا وصور وبيلوس وأرواد هي بعضُ المدن الدول الفينيقية الرائعة التي كان لكل منها مؤسساتها وشعائرها وعاداتها وأعرافها .



نُقش على هذا القدح الفينيقي الذي يرجع تاريخه إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، في رأس شمرا ، موقع أثري في سوريا اكتُشفت فيه بقايا أوغاريت ، المدينة الفينيقية القديمة . وهو الآن محفوظ بمتحف اللوفر في باريس .

تصوير © جيروډون ، باريس

ويبدو أن بدايات التفوق البحري لدى الفينيقيين توافق بدايات عصر الحديد (نحو عام ١٢٠٠ قبل الميلاد) . وتدعّم هذا الافتراض النصوص اليونانية واللاتينية والكتاب المقدس ومعطيات علم الآثار . ولقد نشأت أوتيكا في تونس ولكسوس في المغرب وقادس في أسبانيا ــ وفقا لما جاء في الكتابات التاريخية القديمة ــ نحو عام ١١٠٠ قبل الميلاد أي في فترة كانت فيها اليونان القديمة في غمرة المخاض . وكان البحّارة الفينيقيون يُحضرون آنذاك إلى قاطني الجزر من اليونانيين جانبا كبيرا مما كانوا في حاجة إليه ، ألا وهو عناصر الحضارة المادية والأفكار الجديدة .

وربما كانت هناك فائدة عظيمة في حصر جميع النصوص والشواهد المتعلقة بتلك الاتصالات التي أقامها الفينيقيون منذ فجر تفوقهم البحري مع اليونان والتي حجبها لسوء الحظ ما ساد القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين من «رهاب

محمد فنطر . أخصائي تونسي في الآثار والنقوش البونية . مدير المعهد القومي للآثار والفنون في تونس وأستاذ الآثار في الجامعة التونسية . صدرت له عدة مؤلفات ودراسات نخصّ بالذكر منها Carthage, la prestigieuse cité d'Elissa (قرطاج ، مدينة إليسا الفريدة) و Eschatologie phénicienne-punique (الأخرويات الفينيقية البونية) و L'Afrique du Nord dans l'Antiquité (شمال أفريقيا في العصور القديمة) (بالتعاون مع ف . ديكريه) .

صورة سفينة تجارية فينيقية منقوشة على تابوت يرجع تاريخه إلى أوائل العصر المسيحي ومحفوظ بالمتحف الوطني في بيروت .

تصوير : جان مازل © مطبوعات روبير لافون ، باريس

الفينيقيين» . وليس ثمة ما يمنع من الرجوع إليها والانتفاع بما جاء فيها بروح الموضوعية واستخدامها عن وعي ودراية في إحقاق الحقيقة التاريخية .

والنصوص اليونانية واللاتينية التي تصوّر عظمة الفينيقيين البحرية كثيرة ويرجع تاريخها إلى عهود مختلفة . ونذكر منها بالإضافة إلى **أوديسة** هوميروس ، النص الذي يروي فيه هيرودوت قصة الرحلة البحرية التي كلّف بها نخاو الثاني فرعون مصر (توفي عام ٥٩٤ قبل الميلاد) البحرية الفينيقية . وقد أبحرت سفن الفينيقيين بحذاء السواحل الشرقية لأفريقيا ودارت حول رأس الرجا الصالح ثم عبرت المحيط الأطلسي لتصل منه إلى البحر المتوسط عائدة إلى مصر . وكانت مأثرة حقيقية وتُعدّ من أصدق البراهين على ما كان للفينيقيين من سلطان على البحار .

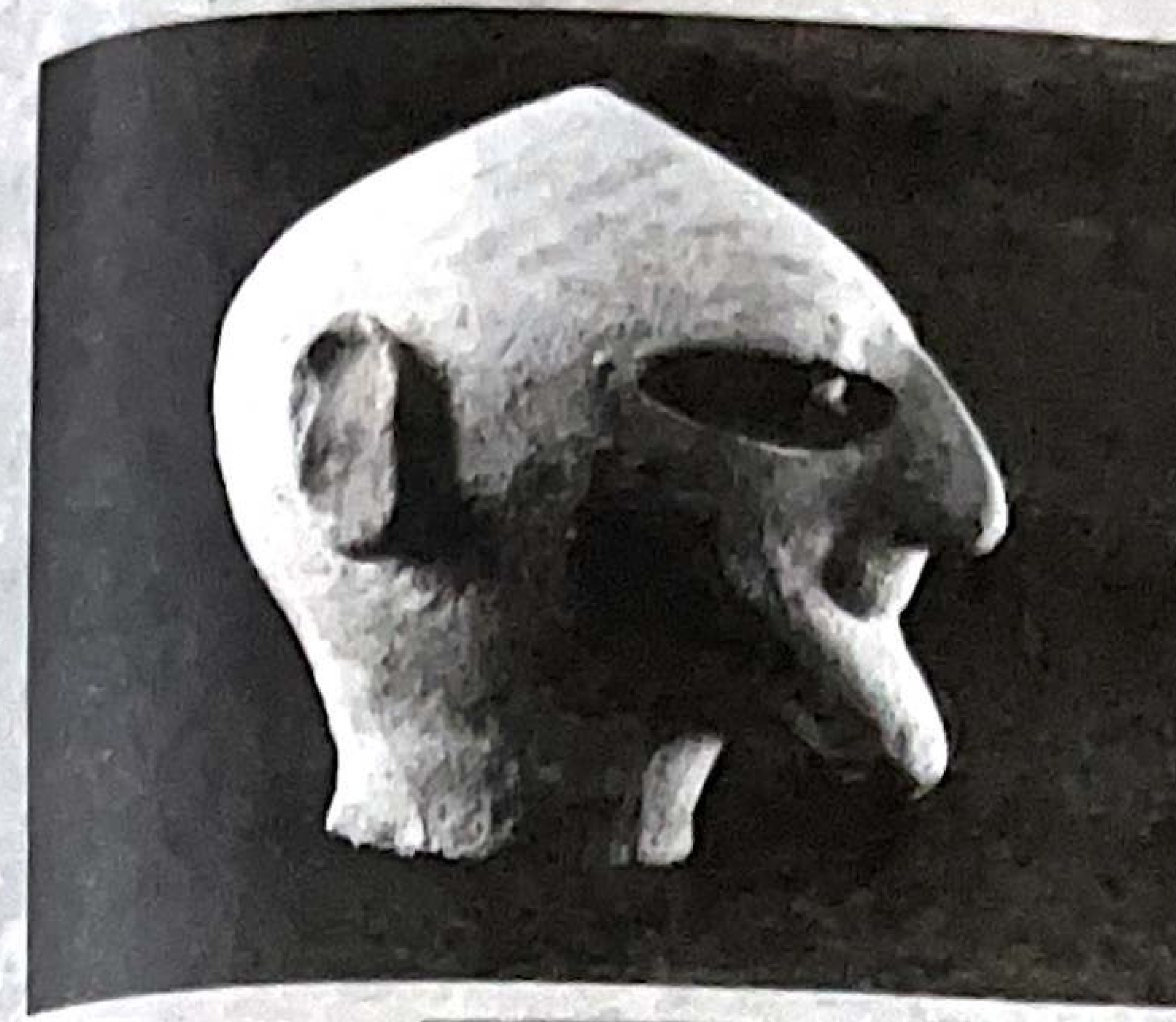
وقد نحتت سفنهم كاريبْدِس وسيلاً ، الغُوليْن اللذيْن يحرسان مضيق مسِّينا ، وخاضت غمار أمواج البحر حتى بلغت السواحل الجنوبية لشبه جزيرة أيبيريا ، هناك حيث يحدّد المؤرخون المعاصرون موقع مملكة ترْشيش (حيث توجد منطقة الأندلس اليوم) .

وفي مرثاته التي وجهها إلى مدينة صور يقول حزقيال النبي : «أيتها الساكنة عند مداخل البحر تاجرة الشعوب في جزائر كثيرة ... يا صور إنكِ قلتِ أنا كاملة الجمال . تخومُكِ في قلب البحار وبانوكِ أكملوا جمالكِ . بسرْوٍ من سَنير بَنوْا لكِ كل طِباقكِ وأخذوا أرْز لبنان ليصنعوا سوارى عليكِ . صنعوا مقاذيفكِ من بلوط باشان ومقاعدكِ من عاج مرصع في الشّربين من جزائر كِتّيم . البزّ المُوشّى من مصر كان ما تنشّريه شراعاً لكِ والسمنْجُوني والأرجوان من جزائر أليشةَ كانا غطاءكِ . سكان صيدون وأرْوادَ كانو قذّافين لكِ وحكماؤكِ ياصور الذين فيكِ هم مدبّروكِ ... جميع سفن البحر وملّاحيها كانوا فيكِ لِتَرويج مَوْسِيكِ ... وقد امتلأتِ وصرْتِ ذات مجد عظيم في قلب البحار (حزقيال ، الفصل السابع والعشرون) . وليس ثمة في رأيي ما هو أبلغ ولا أفصح من هذا النص من التوراة في التعبير عن القوة البحرية التي بلغها الفينيقيون في الوقت الذي كانت فيه صور ، وقد عُقِدَت لها السيادة ، تُشيّد المستعمرات في سواحل نائية تحف أراضيَ مجهولة .

وتأتي مكتشفات علم الآثار لتدعّم تلك الشواهد المكتوبة . فكثيرا ما يُذكَر ويُصوَّر حجر بيلوس الذي تُرْوي النقوشُ المحفورة عليه قصةَ حدثٍ جدير بالذكر هو العودة من بلاد أوفير (ولعلها إحدى أسواق جنوب شبه الجزيرة العربية يجرى التعامل فيها بالذهب) وهي منطقة غنية بالمعادن النفيسة وبالمنتجات الغريبة وكانت السفن الفينيقية تتردد عليها . وكان ملك بيلوس نفسه يتكبد طواعية عناء الذهاب إلى المرفأ لاستقبال هؤلاء المسافرين الجسورين .

وقد عُثِرَ في بريبستا (باليسترينا اليوم) بإيطاليا على مشجب من الفضة (من المنتجات التي اشتهر بها الفينيقيون) نُقشت عليه مجموعة من الصور تروي رحلة صيد لأحد الأمراء طغى فيها الخيال على الواقع التاريخي وظهر فيها أحد الأمراء وقد هاجمته غوريلا أو شمبانزي . وربما وجدنا في ذلك صدى للرحلات التي وصل فيها الفينيقيون إلى قلب أفريقيا الاستوائية .

ولكي يلبي هؤلاء المغامرون متطلبات تجارتهم ويؤمّنوا مبادلاتهم في ظروف مؤاتية فقد أسسوا في الخارج وكالات تجارية ثم مستعمرات وصلت حتى شواطئ المحيط الأطلسي ، دفعهم إلى ذلك قصد بالغ الوضوح هو احتلال الأراضي وامتلاكها والاستقرار فيها : وباختصار إنشاء أوطان جديدة لهم دون حرمان السكان الأصليين من حقوقهم . ويُخص بالذكر من تلك المستعمرات أشهرها : قرطاجة (بالقرب من تونس العاصمة حاليا) وحدرومِيت (بالقرب من سوس) ولِبْتيس الصغرى (لامْتة حاليا) في تونس ، ولكسوس (بالقرب من العرائش) في المغرب ، وقادس في أسبانيا ، ونورا في سردينيا ، وبانورمه (بالرمو) وموتيه في صقلية . ولم يكن من الممكن القيام بهذا التوسّع أو إتيان تلك المآثر البحرية التي أشير إليها دون الاستعانة بتقنيات متطورة في مجال صناعة السفن ، وخاصة استخدام الصالب (عارضة تمتد على طول قاع ◀





تصوير © لوك جوبر ـ باريس

تتجلى في هذه النماذج الثلاثة من الفن البوني بعض المؤثرات الخارجية على الثقافة الفينيقية . أعلاه إلى اليسار ، رأس تمثال صغير من الطين النضج يُرجّح أنه ، شأنه شأن تماثيل غيره عثر عليها في إحدى مقابر القرن السادس قبل الميلاد ، كان يُقتنى كتعويذة لدفع الشر وتخلف الحظ . وكان في اكتشاف هذه التماثيل دليل إضافي على قيام علاقات وثيقة وواسعة بين قبرص ، أصل هذه التماثيل على ما يبدو ، وبين العالم الفينيقي . كذلك فإن قنينة العطر الصغيرة (ارتفاعها تسعة سنتيمترات) الواردة إلى اليسار ـ شأنها شأن قطع أخرى وجدت في مقابر بونيّة ـ تقدّم دليلاً محتملاً على أن القرطاجيين ، وإن لم يعتنقوا ديانة سكان وادي النيل ولم يأخذوا بعاداتهم وأعرافهم ، كانوا على علم بالممارسات السحرية والجنائزية المصرية ويكنّون لها التقدير . والقنينة محفوظة الآن بمتحف باردو الوطني في تونس . أعلاه ، تمثال صغير من العاج ، ارتفاعه ثلاثة سنتيمترات ، وينمّ عن مؤثرات إيطالية قديمة على الفن البوني (متحف قرطاج)

◀ المركب) وقصص السفينة والمسمار ، أو دون امتلاك القدرة على الاستعانة بالنجوم في تحديد اتجاه السفينة .

وفضلاً عن ذلك فقد كانت الظروف التاريخية السائدة في البحر المتوسط ظروفاً مؤاتية على ما يبدو . من حيث أنه لم يكن يوجد آنذاك خصم قوي أو دولة منافسة . ففي فجر هذا التوسّع لم يكن الوجود اليوناني يُؤبَه له بعد . وكان لا بد من الانتظار حتى نهاية القرن التاسع والنصف الأول من القرن الثامن قبل الميلاد حتى نرى اليونانيين يشاركون في المغامرة الكبرى في البحر المتوسط ويؤسسون المستعمرات اليونانية في غربه . ويبدو أنه كان من بين الأهداف التي شُيّدت من أجلها مدينة قرطاجة مراقبة واحتواء هذا الوجود اليوناني الذي أصبح مصدر إزعاج مطّرد .

ولسوف تصبح قرطاجة التي أنشأها الفينيقيون في نحو ٨٢٥ ـ ٨١٩ قبل الميلاد لتكون في آن معاً قاعدة حربية ومركزاً تجارياً كبيراً ، عاصمة المدن الفينيقية في غرب البحر المتوسط تنهض بالدفاع عنها وتتولى حماية مصالحها . ومنذ ذلك الوقت كفّ المؤرخون عن الحديث عن الفينيقيين في هذه المنطقة من العالم القديم . وبفضل وجود قرطاجة وإشعاعها في كل المجالات ، وبفضل انفتاحها على السكان الأصليين وما ترتّب عليه من اتصالات مع إثنيات وثقافات أخرى ، نشأ من يُطلَق عليهم ذلك الاسم الغامض : «البونيون» ، وهم جماعة عرقية جديدة يغلب عليها طابع السكان الأصليين وهم حضارة جديدة يغلب عليها الطابع الفينيقي . وكثيراً ما كانت الوحدة البونية الظاهرة تخفي وراءها خصائص متفردة ومتميزة . غير أن بونيّي أفريقيا والجزر ظلّوا ، على غرار الفينيقيين ، يولّون وجوههم أساساً شطر البحر دون أن يتخلّوا مع ذلك عن منافع الأرض ومنتجات المزارع الكبيرة داخل الأراضي الأفريقية . وقد اقترن اسم قرطاجة دائماً بالأمجاد البحرية لهانون (الذي بلغ الجزر البريطانية) وهيميلكون (الذي وصل إلى سواحل أفريقيا الغربية) وبالبحث الذي ألّفه ماجون عن الزراعة .

ويرجع الفضل في إقامة الاتصال بين حوضَي البحر المتوسط إلى نشاط الفينيقيين وأهل قرطاجة . فقد وَجدت منطقة غرب البحر المتوسط نفسها مندمجة في العالم السياسي والاقتصادي والثقافي للشرق التاريخي . وتعلّمت أفريقيا البوليثية (العصر الحجري الحديث) الكتابة بتعلّمها اللغة وحروف الهجاء الفينيقية (وهي الأصل الذي اشتُقّت منه حروف الهجاء الآرامية واليونانية) دون أن نغفل أنه كان لديها في بعض الحالات كتابة خاصة بها هي التي نسميها «الكتابة الليبية» .

ومن النتائج الأخرى التي أسفر عنها ذلك التوسّع الفينيقي والقرطاجي التحوّل العميق الذي طرأ على الجغرافيا السياسية لمنطقة غرب البحر المتوسط . ذلك أن اليونانيين ـ وقد أفادوا بخبرات الفينيقيين ـ عمدوا إلى إقامة مستعمرات في جنوب إيطاليا وفي صقلية وفي بلاد الغال بل وفي أسبانيا . وقد غدت هذه المنافسة خطراً على الفينيقيين الذين كانوا من قبل سادة هذه المناطق النائية بلا منازع ، وتعيّن عليهم منذ ذلك الحين أن يحسبوا لليونانيين حسابهم .

غير أنه كان للفينيقيين منافسون آخرون من أهل البلاد الأصليين : أولئك هم الأفريقيون الذين كانت ممالكهم فيما يبدو تدين بالكثير لاتصالهم بالفينيقيين وبالحضارة التي كان هؤلاء حملة مشعلها مع ما جلبوه من سلع وأداروه من حوار . وأدخل الفينيقيون إلى شمال أفريقيا مفهوم الدولة أو المملكة أو المدينة الدولة . وعلى أثر ذلك سوف تشهد منطقة غرب البحر المتوسط نشوء صراعات حسبُنا أن نذكر منها الحروب بين قرطاجة واليونانيين في صقلية وفي كورسيكا ، أو الحروب بين روما وقرطاجة . وهي الحروب التي عُرفت في الكتابات التاريخية اللاتينية باسم «الحروب البونية» .

ومع ذلك ينبغي التنويه بوجه خاص بما أسهم به الفينيقيون وأهل قرطاجة في الميادين الاقتصادية والاجتماعية الثقافية . فمن بين النعم الكثيرة التي أغدقتها هذه الحضارة على منطقة غرب البحر المتوسط وعلى أفريقيا بنوع خاص ، يجدر ذكر التنمية الحضرية وتخطيط المدن . وكانت أغلب المدن المسماة بالبونية أو الرومانية تحمل عامة أسماء من أصل ليبي مما يدعّم افتراض وجود نواة ليبية أثرتها إسهامات فينيقيّة وقرطاجيّة تمكّن بفضلها عدد من البلدات ـ مثل كركوان برأس بون في تونس ـ أن يرقى إلى مستوى المدن .

لقد غرس الفينيقيون وأهل قرطاجة بذرة الشرق السامي في منطقة غرب البحر المتوسط وترعرع نبتها هناك وفي الأرض المغربية بنوع خاص ، ومن ثم يحق لحضارة البحر المتوسط أن تدلي بتلك الشهادة : «إن ما صِرْت إليه اليوم أدين به حقاً لصنّاع حضارة عديدين ، ولكنني أدين به يقيناً للفينيقيين وأهل قرطاجة» . ■

محمد فنتر

فلاحون تونسيّون في بلدة الدُّجة يرعون ماشيتهم في موقع تسوده بقايا آثار رومانية . والدُّجة أسسها الفينيقيون وكانت تعرف قديماً باسم الثُّجة وقد غدت مدينة هامة في عصر السيطرة الرومانية



تصوير ليونارد فريد © ماجنوم ـ باريس

علم الهيئة البحري عند العرب والمسلمين

بقلم : رجيس مورلون

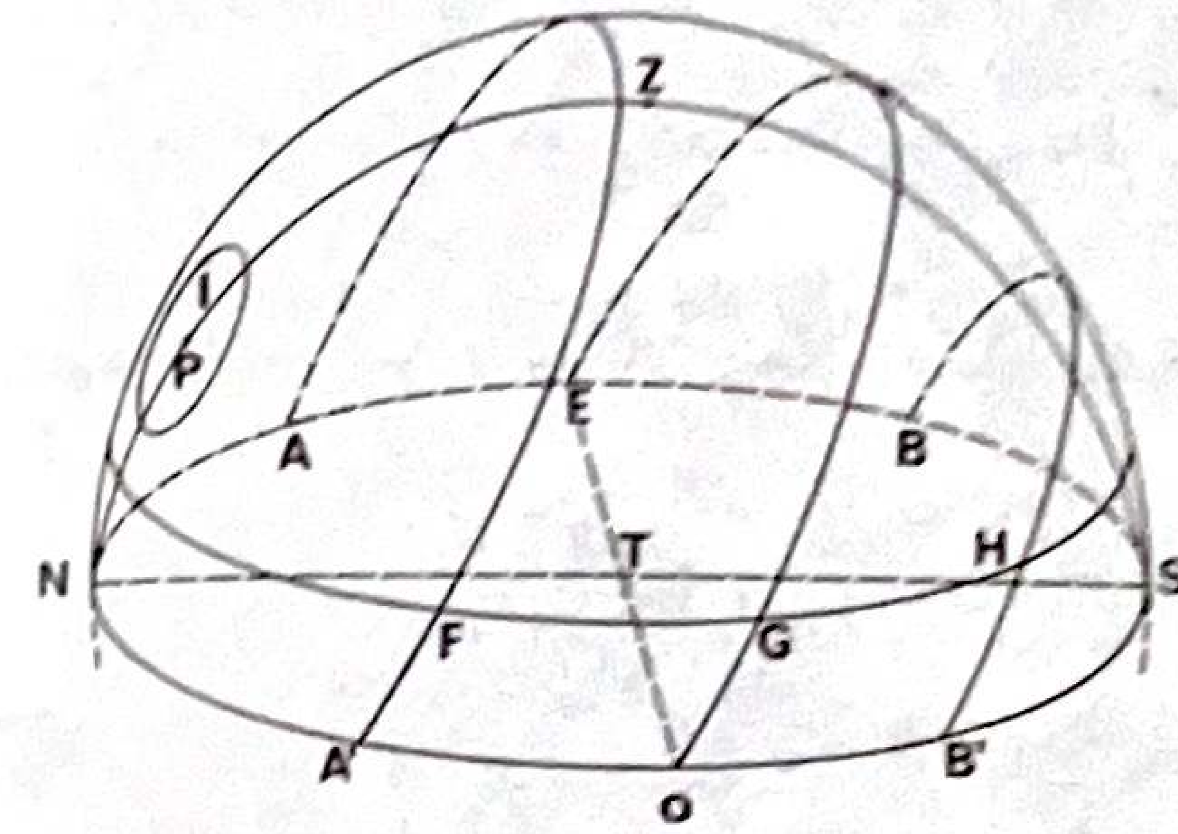
منذ بداية القرن الثامن ، وعلى أثر الفتوحات الإسلامية الكبرى ، شقّ العالم العربي طريقاً مباشراً إلى عدد من البحار : البحر الأحمر ، والبحر المتوسط ، والخليج العربي ، والمحيط الهندي ، والمحيط الأطلسي . وفي ذلك الحين كانت حركة التجارة والتبادل تخترق هذا العالم من أقصاه إلى أقصاه عابرة البحر في بعض مراحلها ، قرب الشاطئ في البداية ثم في أعالي البحار بعد ذلك . وكان الشغل الشاغل عندئذ هو الاهتداء إلى الطريق المفضية إلى الغاية المنشودة .

واستخدام البوصلة هو أول ما يتبادر إلى الذهن عند الحديث عن التوجّه في البحار ، ونحن نعرف الآن أن «الإبرة الممغنطة» كانت مستخدمة في الملاحة بالخليج العربي منذ القرن الحادي عشر ، غير أن الحاجة لم تكن تدعو إلى ذلك إلا عندما تتوارى النجوم عن الأنظار إذ كانت مراقبة السماء دائماً وسيلة التوجّه في أعالي البحار .

وكانت الكتابات في العلوم البحرية حينذاك تكرّس في معظمها لمشكلات المراقبة الفلكية : قياس ارتفاع النجوم فوق الأفق واستخدام جداول النجوم الرئيسية . وأهم الجداول المعروفة هو الجدول الذي أعدّه عبد الرحمن الصوفي في القرن العاشر وتوخّى فيه مقتضيات العلم والتطبيق في آن معاً إذ يعطي إحداثيّ كل نجم من ناحية ويرسم من ناحية أخرى كل كوكبة مرتين ، مرة كما تظهر في السماء وأخرى كما نراها على نحو ما يمكن قراءتها على كرة نحاسية تمثل القبة السماوية . وبالاستعانة بمثل هذا الجدول وبالكرة النحاسية التي تصاحبه كان من السهل العثور في السماء على الكوكبة التي يراد الاسترشاد بها في تحديد موقع الباخرة أو السفينة .

وفي أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر عمد اثنان من كبار قادة المحيط الهندي ، هما أحمد ابن ماجد وسليمان المهري ، إلى إحياء هذا الأسلوب ، وسوف نشدّ إليهما بعض النقاط الهامة في علم الهيئة البحري عند العرب .

فلنستعرض إذن وباختصار عدداً من المعطيات الأولية المتعلقة بالحركة الظاهرية للأجرام السماوية ، وذلك مع الاستعانة برسم تخطيطي بسيط (انظر الشكل رقم ١) . ولنبدأ بتصوّر نصف القبة السماوية كما تبدو لمراقب موجود عند النقطة T ، أي فوق أفق الموضع الذي يتقاطع فيه خطان يصلان بين الجهات الأربع الأصلية NSEO علماً بأن خط الزوال المحلي يتمثل في الدائرة NPSZ ، وأن القطب السماوي الشمالي يقع عند النقطة P وأن ارتفاعه فوق الأفق ، القوس NP ، يعطينا خط عرض مكان المراقبة ؛ وأن خط الاعتدال



الشكل رقم ١ - الحركة الظاهرية للنجوم في السماء (نظر المقال) الرسم : © رجيس مورلون

السماوي يتمثل في الدائرة EGO . والنجم الواقع شمال خط الاعتدال يبزغ عند النقطة A ويتمثل مساره الظاهر في السماء في الدائرة AFA' الموازية لخط الاعتدال ، ويأفل عند النقطة A' المقابلة للنقطة A بالنسبة إلى خط الزوال . كذلك فإن نجماً يقع جنوب خط الاعتدال يبزغ عند النقطة B ويتمثل مساره الظاهر في الدائرة BHB' ، ويأفل عند النقطة B' المقابلة للنقطة B بالنسبة إلى خط الزوال . والنجم الذي يقع عند النقطة I على مسافة أقرب إلى القطب منا إلى خط عرض المكان يظل في حركته اليومية دائماً فوق الأفق . فإذا عرفنا طول المسافة التي تفصل بينه وبين القطب ، فإن تحديد ارتفاعها عند مرورها دون خط الزوال أو فوقه يمكن أن يعطينا على الفور ارتفاع القطب فوق الأفق .

ويتحدد موضع بقعة ما على الأرض بخط عرضها وخط طولها . ويعرّف خط الطول بالقياس إلى خط زوال مرجعي استناداً إلى الفرق بين التوقيت المحلي وتوقيت مرجعي . غير أنه بالنظر إلى أن الكرونومتر الذي يمكن نقله ويتيح متابعة تغيّر التوقيت متابعة دقيقة لم يمض على اكتشافه سوى أكثر قليلاً من مائة عام ، فلم يكن لدى الملاحين العرب وسيلة تمكّنهم من تحديد خطوط الطول . على أنه كان باستطاعتهم من ناحية أخرى حساب خطوط العرض انطلاقاً من مراقبة النجوم ، أو بقياس ارتفاع القطب على نحو مباشر ، أو بأن يلاحظوا أن نجوماً معينة ، ولنكن F.G.H في الشكل ١ ، توجد على نفس الارتفاع فوق الأفق وبالتالي على خط عرض معيّن .

وكانت مراقبة السماء تعطي الملاحين العرب ، فضلاً عن خطوط العرض ، اتجاه مسارهم في البحر الذي كانت معالمه تتحدد بما نطلق عليه اليوم اسم «دوّارة الرياح» .

ودوّارة الرياح ، كما نراها اليوم على البوصلة وعلى الخرائط البحرية ، عبارة عن نجمة من اثنين وثلاثين فرعاً تعطينا ، عند تطبيقها على الأفق ، اتجاه الباخرة أو السفينة . والمعروف أن هذا التقسيم إلى اثنين وثلاثين اتجاهاً للرياح على الأفق أمر سابق على ابتكار البوصلة ومن المرجّح أن الملاحين العرب هم الذين وضعوه استناداً إلى مراقبتهم لبزوغ وأفول عدد من النجوم . وترى في الشكل ٢ دوّارة الرياح كما يرد وصفها في الكتابات العربية في العلوم البحرية ، مع اتجاهاتها المناظرة بالقياس إلى الجهات الأربع الأصلية .

ويتضح من هذا الرسم ما هناك من تناظر على جانبي خط «الشمال - الجنوب» . فإلى الشرق يمثل كل من التقسيمات الخمسة عشر بزوغ نجم ما يقابله إلى الغرب تقسيم يمثل أفول ذلك النجم . ومن هنا يتبيّن وجه التناظر بين كل من النقطتين A و A' و B

رجيس مورلون . فرنسا . باحث بالمعهد الدومينيكي للدراسات الشرقية بالقاهرة . أخصائي في تاريخ علم الهيئة العربي . ستنشر له قريباً دراسة عن عصور علم الفلك العربي التي حققها ثابت بن قرة .

و B' في الشكل ١ . وترد أسماء النجوم داخل الدائرة ، وقد غدت تلك الأسماء على مرّ السنين مجرد أسماء اصطلاحية إذ أن بعضها لا يزال يطرح مشكلات تتعلق بالربط بين الاسم والمسمّى ، مثلما هو الحال بالنسبة لما يعرف بـ **فلك البروج** حيث لم تعد الصور الواردة عليه تتطابق مع الكوكبات التي اقترنت بتلك التسميات . وتعطي كتب العلوم البحرية دوّارة الرياح هذه وعليها التسميات المذكورة وليس ، تبعاً لخطوط العرض ، أسماء النجوم التي يمكننا بزوغها وأفولها من أن نحدّد على الأفق مختلف الاتجاهات التي ينبغي اتخاذها .

ويمكننا ، بمساعدة إحداثيّ ما تمت معرفته من نجوم دوّارة الرياح أن نصل إلى نتيجة مؤداها أن من ابتكروا هذا التقسيم كانوا ملاحين يبحرون في المحيط الهندي على خط عرض يساوي ١٠ درجات شمالاً ويراقبون على الأفق مواضع بزوغ وأفول أبرز النجوم . وعلى ذلك فلدينا الآن ما يكفينا من العناصر لقراءة التعليمات الخاصة بطريق بحريّ ما .

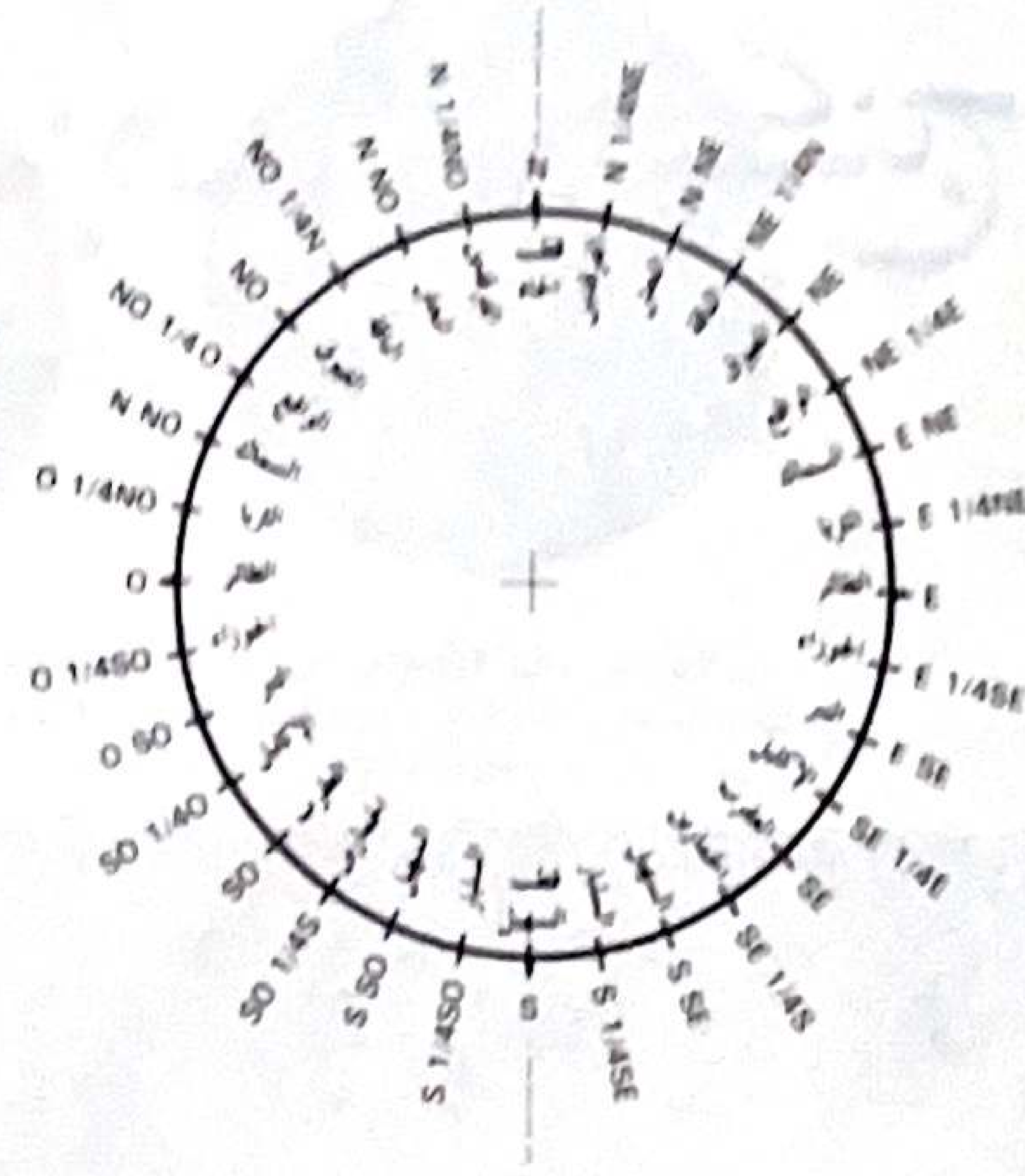
ويرد في كتاب **العمدة** لسليمان المهري (أواخر القرن الخامس عشر) وصف للطريق بين ديو (باكستان الحالية) وجنوب سيلان :

«فاخرج من الديو في مطلع سهيل إلى جاه خمسة* ومن خمسة مِلْ على البرّ حتى يكون بينك وبينه مقدار ستة أو خمسة أزوام** وارجِعْ لمطلع سهيل إلى أن يجيء الجاه منك ثلاثة ومِلْ قليلاً قليلاً على اليمين في قطب سهيل لأنّ كلما ضايقت برّ سيلان يكون البحر قوياً وكلما تنفّست عنه هان عليك البحر وميلك لا يكون إلّا قليلاً . فإذا جامعك الفرقدان ثمانية إلّا ربع فخُذْ مطلع العقرب إلى أن يجيء الفرقدان سبع وربع وارجِعْ للمطلع الأصلي مقدار ثمانية عشر زاما حتى تعرف أن جزيرة سيلان قد صارت في الشمال . وعلامة سيلان البرق قائم عليها بمطر وغير مطر ...»

وتضم الأسطر القليلة المقتبسة أعلاه كل ما كان قد عرف في زمن المهري من وسائل التوجّه في البحر : ارتفاع النجوم ، ودوّارة الرياح ، وطول المسافة التي قُطِعَت ، والدلائل التي يقدمها ظهور شاطئٍ ما .

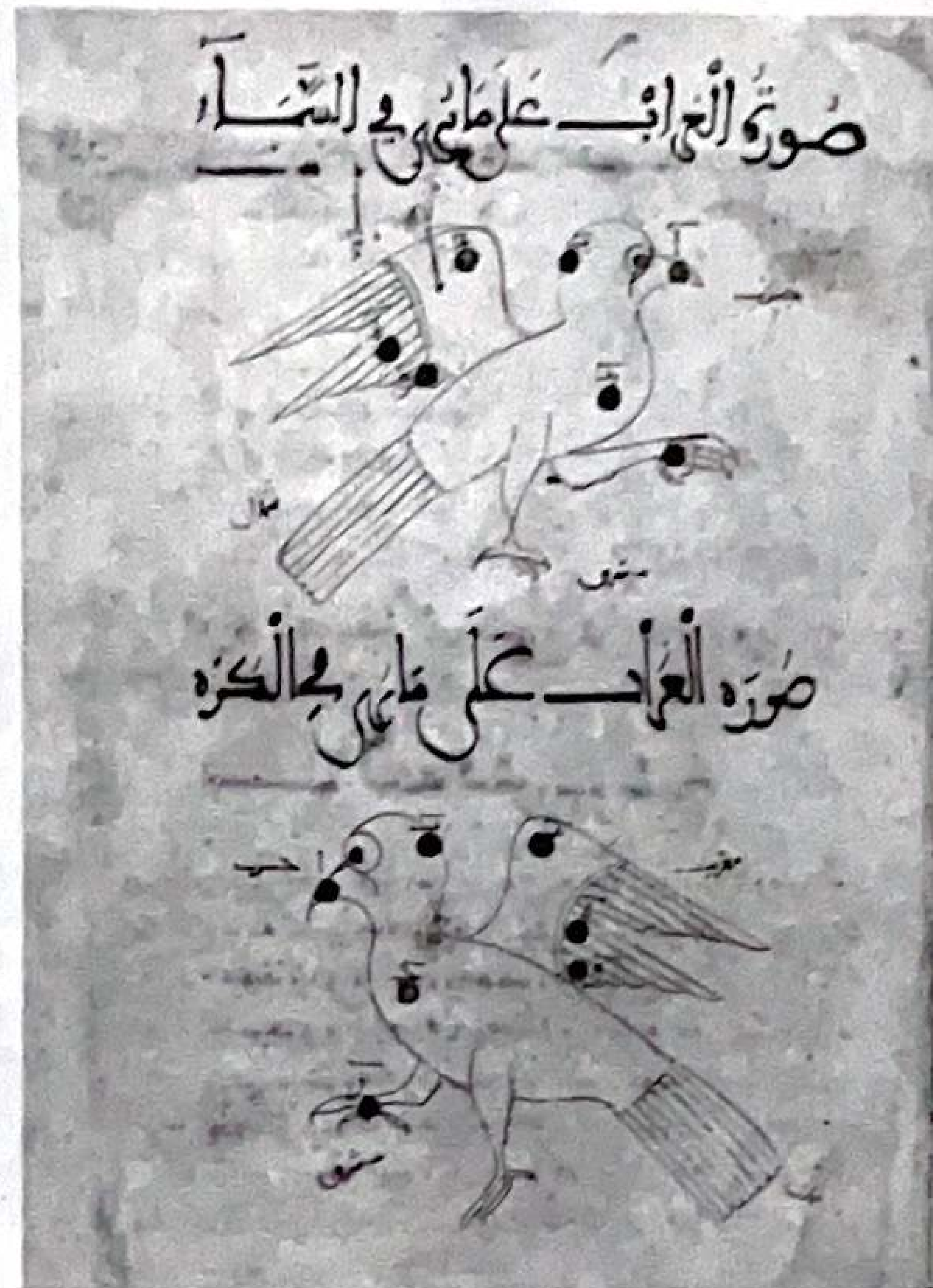
ولقد ساعد ذلك كله الملاحين العرب على أن يصبحوا سادة البحار في المحيط الهندي لدرجة أن فاسكو دي جاما اتخذ ابن ماجد قائداً لسفينته عام ١٤٩٨ بعد أن طاف حول سواحل القارة الأفريقية ، وذلك ليقودها من مَالِنْدِي على الساحل الشرقي للقارة إلى كاليكوت في الهند . غير أنه بعد تلك الرحلة الأولى وفدت البحرية البرتغالية إلى المحيط الهندي بكامل عَدَدِها وعُدَّتِها فسلبت الملاحين العرب تفوقهم البحري وفرضت سيطرتها على جميع أرجاء المنطقة ■

رجيس مورلون



الشكل رقم ٢ - دوّارة الرياح كما وصفتها الكتب العربية في العلوم البحرية

الرسم : © رجيس مورلون



صورتان متناظرتان لكوكبة الغراب ، رسمها العالم الفلكي العظيم عبد الرحمن الصوفي (٩٠٣ - ٩٨٦ ميلادية) .

* الوحدة المشار إليها هنا وحدة قياس للزوايا تقرأ على أجهزة يستخدمها الملاحون لقياس ارتفاع نجم ما فوق الأفق .

** الزام وحدة قياس للمسافات تستند إلى متوسط سرعة المراكب الشراعية في ذلك العهد : نحو ١٢٫٦ ميل بحري في ثلاث ساعات .

مَنْ هُم الفايكنج ؟

بقلم : ماجنُس ماجنُسون



وُجدت هذه الرأس التي تعلوها خوذة والمنحوتة من عظم الأيل ، في سجونا بالسويد .

تصوير : سون هاجرن © ATA ، ستكهولم

يدين الفايكنج بما حققوه من توسّع لتوصلهم في القرن الثامن إلى تطوير سفن تجمع بين المتانة والسرعة ويمكنهم تركيبها وقرب غورها من الرسوّ بها على شواطئ منحدرة وتسييرها في مياه ضحلة لا تصلح لسير معظم السفن الأوروبية التي كانت مستخدمة في تلك الأزمنة . ونرى إلى اليسار سفينة من سفن الفايكنج الطويلة عُثر عليها عام ١٨٨٠ في أحدى مقابر جوكستاد الواقعة على فيورد أسلو ، وهي لا تزال في حالة جيدة ومحفوظة بمتحف سفن الفايكنج في أسلو ويبلغ طولها ٢٣ متراً وعرضها عند الوسط ٥ر٢٥ من المتر . ومع ذلك فهي حتى عندما تكون محمّلة لأقصى طاقتها لا تزيح سوى متر واحد من الماء . وقاعها عبارة عن لوح واحد من الخشب طوله ١٧ متراً . وقد استطاعت سفينة من طراز سفينة جوكستاد أن تعبر المحيط الأطلسي عام ١٨٩٣ .

تصوير : لوك شنايدر © رافو ، باريس



تشهد النقود التي صكّها الفايكنج على أهمية معاملاتهم التجارية وانفتاحهم على ما اتصلوا به من ثقافات . أعلاه قطعتان فضيتان من مملكة يورك في القرن العاشر . إلى اليمين ، قطعة نقش عليها Anlaf Cununc (الملك أولاف) وزيّنت بصورة الغراب الذي يقترن بالإله الاسكندينافي أودين . وإلى اليسار قطعة تحمل اسم القديس بطرس ومزينة بسيف ومطرقة ثور التي تناظر أهميتها بالنسبة للفايكنج أهمية الصليب بالنسبة للمسيحي .

تطور معنى كلمة «فايكنج» فهي اليوم تشير إلى أي شخص اسكندينافي عاش في العصور الوسطى ، سواء كان بحارا أو مزارعاً أو تاجراً أو شاعراً أو مستكشفاً أو محارباً أو صانعاً أو مستوطناً أو قرصاناً . وقد استخدم المؤرخون عبارة «عصر الفايكنج» استخداماً يفتقر إلى قدر من الدقة إذ قصدوا بها فترة ثلاثة قرون من التوسّع الاسكندينافي النشيط بدأت نحو سنة ٨٠٠ ميلادية .

وقد اقترنت تلك الفترة في أذهان الناس بعهد إرهاب وقرصنة لا يُكبَح جماحها اندفع فيه القراصنة الاسكندينافيون بأعداد كبيرة من أوطانهم في الشمال تحملهم سفنهم الطويلة الخفيفة ليحرقوا ويغتصبوا وينهبوا على طول طريقهم إلى أوروبا المتحضّرة . وقد صُوّروا دائماً في صورة أناس لا يعرفون الرحمة ، برابرة ، لا يبالون بحياتهم أو بحياة الآخرين ولا همَّ لهم إلّا التخريب والتدمير . وكان يُنظر إليهم على أنهم أعداء المسيحية الألدّاء ، شعارهم مطرقة ثور (إله الرعد والبرق عند الاسكندينافيين) الرهيبة وغربان أودين المشؤومة - رمز ما تتسم به آلهتهم الوثنية من عنف وشر وبيل .

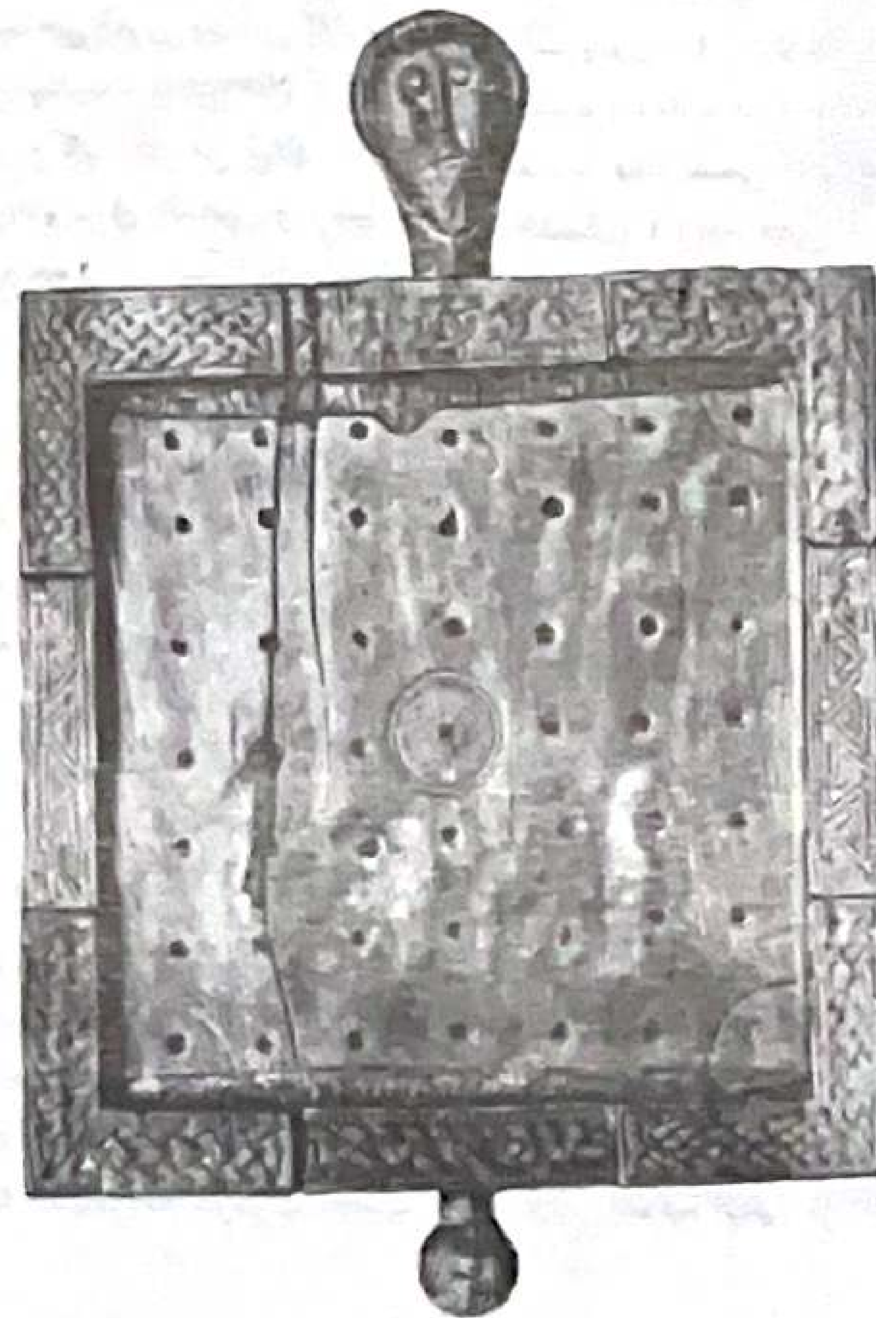
ويمكن عزو هذه الأفكار المتحيّزة والمتأصلة في نفوس العامة عن الفايكنج مباشرة إلى الإثارية المفرطة التي دُفع إليها كتاب كَنَسيّون أوقعهم سوء حظهم ضحايا لغارات التدمير والسلب التي كان يشنها الفايكنج . وفي ذلك العصر المضطرب ، عندما كانت القرصنة والغارات أمراً مألوفاً من أمور الحياة اليومية في كل أنحاء أوروبا ، كان الفايكنج أكثر نجاحاً في شنها من معظم الشعوب الأخرى وكانت السمعة البالغة السوء التي لصقت بهم هي الثمن الذي دفعوه لقاء ذلك .

بيد أنه من الغريب أن أحداً لا يعرف على وجه اليقين ما تعنيه كلمة «فايكنج» . ولعلها ترتبط بالكلمة الاسكندينافية القديمة vik ، ومعناها «خليج» أو «خليج صغير» مما يوحي بأن الفايكنج هو الشخص الذي يكمن بسفينته في خليج متوار عن الأنظار . ويرى البعض أنها قد تنحدر من الفعل الاسكندينافي القديم vikja الذي يعني «يحيد عن الطريق» بحيث يقصد بالفايكنج ذلك الشخص الذي ينحرف عن مساره بهدف شن الغارات . وهناك رأي ثالث يأخذ به بعض العلماء ويذهب إلى أن «فايكنج» مشتقة من كلمة wic الأنجلوسكسونية التي استعيرت بدورها من كلمة vicus اللاتينية ومعناها معسكر مُحصّن أو مركز تجاري بحيث يمكن تأويل كلمة «فايكنج» على أنها المُغير أو التاجر أو كلاهما .

غير أن الاسكندينافيين لم يكونوا جميعاً محاربين محترفين ، ولم يكن كل فايكنج قرصاناً . وقد بدأت الدراسات الحديثة اليوم تسلط الأضواء على الآثار الإيجابية الباقية أكثر من تسليطها على الآثار الهدامة لعصر الفايكنج . وقد أسفرت أعمال التنقيب الرائعة - كالأعمال التي أجريت في كوبرجيت بمقاطعة يورك في شمالي انجلترا وكشفت عن شارع بأكمله يرجع تاريخه إلى عصر الفايكنج - عن أن الشخص الفايكنج العادي إنما هو صانع ماهر ومجتهد... ذلك هو الفايكنج كإنسان لا كأسطورة .

وإذا كان أصل كلمة «فايكنج» يكتنفها الغموض ، فإن الغموض يكتنف أيضاً ◄

ماجنُس ماجنُسون . كاتب وصحفي وُلد في أيسلندا . اشتهر في بريطانيا في مجال التلفزيون والإذاعة المسموعة باعتباره متخصصا في البرامج الأثرية والتاريخية . في عام ١٩٨٠ كتب وقدّم سلسلة من البرامج التلفزيونية عن الفايكنج أذيعت في عدة بلاد وصدرت في مطبوع . نشرت له مؤلفات أخرى يذكر منها Introducing Archaeology (مدخل إلى علم الآثار) (١٩٧٢) ، Viking Expansion Westward (توسّع الفايكنج نحو الغرب) (١٩٧٣) ، Iceland (أيسلندا) (١٩٧٩) .



للتسلّي عن الملل أثناء ليالي الشتاء الطويلة في الشمال كان الفايكنج يعكفون على ممارسة كثير من ألعاب الرُّقع والنرد منها لعبة شبيهة بالشطرنج ، وكانت قطعها تصنع من العظم أو الزجاج أو الكهرمان . إلى اليمين رقعة لعب استخدمها الفايكنج في أيرلندا في القرن العاشر .

تصوير : © المتحف الوطني الأيرلندي ، دبلن

◄ما قد يكون هناك من أسباب أدّت إلى نشوء عصر الفايكنج نفسه . فليس هناك سبب واحد بسيط حدا بالاسكندينافيين إلى الاندفاع فجأة نحو الساحة الأوروبية في أواخر القرن الثامن . ووفقاً لكتب التاريخ على الأقل لم يكن هذا الاندفاع مفاجئاً بالدرجة التي زُعِم أنه بلغها . ومن المعروف أن جميع التحوّلات التاريخية الكبرى تكمن وراءها أسباب عميقة ومعقدة . فنحن نعلم أن الاسكندينافيين بدأوا في القرن السابع استغلال مصادر جديدة للحديد مما كان له عدة نتائج يذكر منها أن تحسّن إنتاج الحديد قد أسهم في صناعة أسلحة أفضل وأدوات زراعية أفضل . وساعدت هذه الأدوات بدورها على إدخال تحسينات في الزراعة أسفرت عن توفير غذاء أفضل وبالتالي عن انخفاض نسبة الوفيات بين الأطفال . وهناك من الأدلة عن تلك الحقبة ما يثبت أن الأراضي التي كانت من قبل تعدّ غير صالحة للزراعة قد أزيلت منها الغابات والأدغال لإقامة مزارع جديدة لأجيال ناشئة من الأبناء الأقوياء الذين أُحْسِنَت تغذيتهم وتوافرت لديهم الدوافع لأن يتبوّأوا مكاناً تحت الشمس .

ولعل النقص الحاد في الأراضي كان أحد الأسباب الرئيسية التي دفعت الاسكندينافيين بأعداد كبيرة إلى الاستيطان في خارج بلادهم . وهناك من الدلائل ما يشير إلى أنه كان هناك تعايش سلمي بين البكْتيين (سكان اسكتلندا القدامى غير السلتيين) في شمال اسكتلندا وبين المزارعين النرويجيين الذين هاجروا إليها قبل حلول عصر الفايكنج بزمن طويل .

غير أنه كانت هناك نتائج أخرى فضلاً عن ذلك . فقد وجدت اسكنديناقيا في فائض إنتاجها من الحديد منتجاً جديداً ذا قيمة كبيرة يمكن لها أن تبيعه إلى جيرانها ، وكان لدى التجار الاسكنديناقيين أسلحة حادة من الفولاذ الجيد يدافعون بها عن أنفسهم ضد القراصنة الذين كان يغصُّ بهم بحر البلطيق والشواطئ الشمالية للقارة الأوروبية . لكن الاسكنديناقيين كانوا في حاجة كذلك إلى سفن جيدة تمكّنهم من مزاولة تجارة رائجة فعمدوا إلى بناء السفن بكل أشكالها وأحجامها من الزوارق الصغيرة ذات الستة مجاذيف والمعدّة للملاحة في المياه القريبة من الشاطئ حتى السفن «الملكية» الضخمة وبينهما طائفة متنوعة من المراكب الشراعية الصغيرة وقوارب السفن وسفن الشحن الثقيلة ، وسفن الملاحة في المحيطات والسفن الشراعية الكبيرة ذات المجاذيف .

ولكن مفخرة الأسطول ، والسفينة التي أصبحت رمزاً عالمياً لعصر الفايكنج ، كانت السفينة الطويلة المهيبة سيدة البحار الشمالية بلا منازع . فلقد كانت هذه السفن نتاجاً لقرون من الابتكارات التكنولوجية ومن تطوّر أوضحت لنا معالمه اكتشافات أثرية جاءت مصادفة : تطوّر من قارب النبط الطويل مسطح القاع إلى السفن الطويلة الرائعة المتطورة وحيدة الصاري وذات الشراع رباعي الأضلاع . والواقع أنه لولا السفن لما كان عصر الفايكنج على الإطلاق .

إن عصر الفايكنج لم يكن جهداً مشتركاً لبناء إمبراطورية بالنظر إلى أن الفايكنج لم يكونوا قط شعباً واحداً متجانساً تحركه نفس الأهداف والطموحات . فلم تكن البلاد الثلاثة التي تضمها شبه جزيرة اسكنديناقيا على نحو ما تحددها الجغرافيا السياسية اليوم تضم أمماً حقيقية بالمعنى الحديث للكلمة . من ذلك مثلاً أن النرويج كانت عبارة عن عدد من المناطق المتفرقة على طول الساحل الغربي يسكن كلّاً منها أناس يخضعون لزعامة رئيس قبلي مستقل ، بل أن اسم البلد ذاته Norvegur لا يعني إلّا «الطريق الشمالي» أي طريقاً تجارياً أكثر منه أمة . وكان لكل من البلاد الثلاثة «مناطق نفوذ» متميزة وإن تداخلت أحياناً : السويديون في البلطيق وروسيا ، والداغركيون في القارة (أوروبا) وفي انجلترا ، والنرويجيون في اسكتلندا وأيرلندا وجزر شمالي المحيط الأطلسي .

وقد وقعت أول غارة دُوِّنت أنباؤها في عام ٧٩٣ ، شنتها على جزيرة ليندسفارنة المقدسة الواقعة أمام الطرف الشمالي الشرقي لانجلترا ـ جماعة من الفايكنج النرويجيين في صورة هجوم بحري على الجزيرة بقصد سلبها ونهبها . غير أن السويديين كانوا قد نشطوا قبل ذلك بوقت طويل في البلطيق حيث كوّنوا ثروات عن طريق التجارة . وفي بداية عصر الفايكنج بدأ المغامرون السويديون يتغلغلون في مناطق روسيا النائية (التي كانوا يطلقون عليها اسم «السويد الكبرى») سعياً وراء تجارة الفراء الفاخر وإلى التعامل مع أسواق الدولة العربية وأسواق الشرق الأقصى . واختطّ الرواد السويديون طريقهم داخل روسيا عبر الأنهار الكبرى مثل الفولجا والدنيبر بسحب سفنهم من البر بطريقة مضنية وصولاً إلى بحر قزوين والبحر الأسود واستطاعوا أن يؤسسوا أو يستولوا في طريقهم على مدن دول مثل كييف ونوفجورود .

وما أن حل القرن التاسع حتى كانوا قد بلغوا عاصمة أعظم دولة في العالم الغربي وخليفة روما ، وهي الإمبراطورية البيزنطية التي كانت القسطنطينية مركزها . وهناك ، كان المرتزقة الفايكنج يشكّلون القوات الممتازة التي يتألف منها الحرس الخاص للأباطرة البيزنطيين والمعروف باسم الـ Varangian Guard المرهوب الجانب وكان بمثابة فرقة أجنبية اسكنديناقية . غير أن السويديين لم يغزوا روسيا قط بمعنى الكلمة وإنما اكتفوا بالسيطرة على المراكز التجارية القائمة وإنشاء مراكز جديدة لحماية طرق التجارة ، ومع ذلك فلم يكد يمر عليهم جيلان أو ثلاثة أجيال حتى كانوا قد اندمجوا تماماً في الشعب السلافي وغدوا جزءاً منه .

وبينما يمّم السويديون أبصارهم شرقاً ، اتجه الداغركيون بأنظارهم صوب الجنوب الغربي نحو الشواطئ الشمالية لأوروبا ونحو انجلترا . وسرعان ما طرق



تصوير ATA © ستوكهولم

في عصر الفايكنج كانت الجوهرات الفضية التي عثر عليها في السويد ، كهذا القرط دقيق الصنع ، تُستَوْرَد إلى اسكنديناقيا من بلاد السلافيين القريبين في جنوب بحر البلطيق .

المغيرون الداغركيون أبواب مدن الإمبراطورية الكارولنجية التي تفتّت بعد وفاة شرلمان عام ٨١٤ وهي مدن هامبورج ودورستاد ورُوان وباريس ونانت وبوردو ـ وواضح أنها جميعاً مدن تقع على ضفاف الأنهار . وقد استطاعت سفن الفايكنج الطويلة ، بقدرتها الهائلة على السير في مياه ضحلة ، أن تتوغل في الأنهار لمسافات أبعد مما كان يُظَنُّ ممكناً من قبل ، وكان لذلك وقع هو أشبه بعمليات إسقاط المظليين خلف خطوط العدو .

وفي البداية تصرف الفايكنج الداغركيون تصرف القراصنة بمساندة ملكية رسمية أو غير رسمية . وفيما بعد غدت مقاصدهم تجاه أوروبا ونحو انجلترا بوجه خاص ، تتجه صراحة نحو الاستيلاء على الأراضي ، وجاءت الراية في أعقاب التجارة مثلما جاءت التجارة في أعقاب القرصنة . لكن هنا أيضاً اندمج الداغركيون ، شأنهم شأن السويديين ، في السكان المحليين أينما حلّوا . وفي عام ٩١١ عقد جيش من عصابات النهب والسلب معاهدة استولى بموجبها على مساحات شاسعة من الأراضي في شمال فرنسا فيما يسمى الآن بنورمانديا (في الأصل Northmandy وتعني أرض رجال الشمال) ؛ وبعد مضي ١٥٠ عاماً على ذلك قام أحفاد هؤلاء الشماليين الفرنسيين بغزو انجلترا بقيادة وليم الفاتح . وقبل ذلك كانت هناك لفترة قصيرة في القرن الحادي عشر إمبراطورية اسكنديناقية موحدة في بحر الشمال تحت حكم الملك كنوت وكانت تتألف من انجلترا والداغرك والنرويج ، ولكنها لم تلبث أن تفكّكت .

وتضافر المغامرون النرويجيون مع الفايكنج الداغركيين على إخضاع شمال انجلترا بأكمله (دانلو Danelaw كما كانت تسمى آنذاك) قبل ان يستقروا هناك للاشتغال بالزراعة والتجارة حيث أنشأوا مدناً تجارية كبرى يذكر منها مدينة يورك . كذلك استولوا على معظم أراضي اسكتلندا وجزر هبرديز إلى الغرب وشتلاند وأوركني إلى الشمال . وفي أيرلندا لعبوا دوراً هاماً في المعارك الضروس التي كانت دائرة إلى ما لا نهاية بين العشائر الأيرلندية المتنافسة ، وأنشأوا أولى المراكز التجارية في أيرلندا : ووترفورد ، ويكسفورد ، ويكلو ، ليمريك ، وبصفة أخص دَبْلن . لقد كانوا مستكشفين لا يُشْبَع نهمهم إلى اغتنام فرص تجارية جديدة أو إلى استصلاح أراض جديدة أو إلى بلوغ آفاق لم تُطْرَق من قبل . لقد اكتشفوا ستيربرجن وجزيرة يان ماين واكتشفوا واستعمروا جزر فاروس في أعالي مياه المحيط الأطلسي الخائنة ، واكتشفوا واستعمروا أيسلندا التي أقاموا فيها أول جمهورية برلمانية أوروبية ، أمة جديدة لا يزال يُنْظَر إليها على أنها أعرق ديمقراطية في أوروبا ، أمة خلّفت لنا أكثر الآثار الثقافية الباقية من عصر الفايكنج وهي الملاحم الأيسلندية .



منظر جوي لمقبرة الفايكنج في لندهولم هوبي بشمال الدغارك . وتميّز قبورها رواب على شكل زوارق وتصميمات حجرية مختلفة الأشكال . تصوير جورج جوستر © رافو ، باريس

وكان من أيسلندا أن اكتشفوا واستوطنوا جرونلند ، ومنها في نحو عام ألف بعد الميلاد ، قام الفايكنج بآخر حملاتهم وأشدها طموحاً ، ألا وهي اكتشاف الساحل الشرقي لأمريكا الشمالية ومحاولة الاستيطان فيه : Vinland أرض الكروم التربة كما دعتها الملحمتان الأيسلنديتان اللتان سجلتا أول اكتشاف أوروبي للعالم الجديد بلا منازع .

إن اكتشاف أمريكا الشمالية والمحاولات المبتورة لاستعمارها ووقوف السكان الأصليين من الهنود في وجه تلك المحاولات اعتبرت كلها مجرد أسطورة . ومع ذلك فإن عمليات التنقيب عن الآثار قد أسفرت عن أدلة قاطعة على استيطان الفايكنج لـ آنس أو ميدوز Anse aux Meadows في شمال نيوفوندلند . ومن ناحية أخرى فإن سائر «الاكتشافات» المزعومة بشأن الفايكنج مثل «حجر كنسينجتون للأبجدية الرونية» قد ثبت منذ وقت طويل أنها اكتشافات مزيّفة أو مجرد تعبير عن أمنيات كاذبة .

إن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن الآن هو : لماذا كان تأثير الفايكنج في آخر الأمر أقل بقاء مما كان متوقعاً ؟ لقد توافرت لهم الطاقة اللازمة وكانت لديهم نظمهم الإدارية والقضائية ونظام ملكي قوي كما أنهم اعتنقوا المسيحية وكانت لديهم عملة خاصة بهم ـ فبدوا وكأن لم يعوزهم شئ . لقد جابوا نصف العالم طولاً وعرضاً في سفنهم المفتوحة ووسّعوا إلى حد كبير آفاقه المعروفة . لقد ذهبوا إلى كل مكان كان يمكن أن يذهبوا إليه ، بل وإلى أبعد من ذلك ؛ وتجاسروا على كل ما كان يمكن أن يتجاسروا عليه ، ومنحوا أوروبا قوة تجارية جديدة وأشكالاً فنية حية وجديدة وعمّروها بمستوطنين جدد أقوياء .

ومع ذلك كله ، فلم تتوافر لديهم القوى العاملة ولا القدرة على الاستقرار ، ولم يمتلكوا الثروة المدّخرة ولا الخبرة السياسية ولم يتمتعوا بالتلاحم فيما بينهم داخل الوطن ولا بالثقة في أنفسهم خارجه ... لم يكن لديهم من ذلك ما يمكّنهم من السيطرة الفعلية على الدول التي حاولوا غزوها وكانت دولاً أقدم عهداً وأشد ثراء وأكثر استقراراً . وبدلاً من ذلك ، ولأنهم رحال بحر لا جذور لهم ، فإنهم كانوا يضربون بجذورهم حيثما يرسون ثم يندمجون في الطبيعة المحيطة بهم . وبطريقة أو بأخرى ، لا تلبث حيويتهم أن تتلاشى .

لكنهم خلّفوا لنا مع ذلك في سجلات التاريخ تركة من المحاولات الجريئة والأعمال البطولية وتراثاً من الجسارة البالغة نالت إعجاباً ممزوجاً بالحسد حتى من جانب أولئك الذين استهجنوا ما اقترفته أيديهم من عمليات نهب عارضة . ■

ماجنُس ماجنُسّون



إلى اليمين ، لوح من الخشب ظهرت عليه نقوش بديعة تصور حيوانات تقتتل ، وهو جزء من جدار كنيسة مشيدة على دعامات خشبية (stavkirke) في أرْنِسْ بغرب النرويج (القرن الثاني عشر) . وقد ثُبّت على جدار الكنيسة بعد أن كان يشكّل جزءاً من مبنى أقدم عهداً . ولعلّ كنيسة أرْنِسْ نموذجاً رائعاً لفن ومعمار شمال أوروبا في أواخر عصر الفايكنج . وقد أدرجت في قائمة اليونسكو للتراث العالمي من الممتلكات الثقافية والطبيعية ذات القيمة الفريدة .

الحضارات الأفريقية الجزرية والساحلية

بقلم : إبراهيما بابا كاكي

كتب العالم الأنثروبولوجي الألماني ليو فروبنيوس (١٨٧٣ - ١٩٣٦) يقول إنه «عندما وصل الملاحون الأوروبيون الأوائل إلى خليج غينيا ورسوا في قايدا تملكت الربابنة دهشة بالغة عندما وجدوا شوارعها منظمة ومعتّدة يحفّها صفّان من الأشجار لمسافة عدة أميال ، واجتازوا خلال أيام بأكملها ريفاً تزيّنه حقول رائعة ويقطنه أناس يرتدون حللاً باهرة نسجوا قماشها بأنفسهم . وفي مملكة الكونغو ، إلى الجنوب ، كانت أعداد كبيرة من الناس يرتدون «الحرير» و «المخمل» ، والحياة رغدة وجيدة التنظيم حتى في أدق تفاصيلها ، والحكام أقوياء والصناعات مزدهرة والحضارة متغلغلة في أدق تصرفات الناس . وكانت ظروف مماثلة تسود البلاد الواقعة على الساحل الشرقي للقارة ، ونذكر منها موزمبيق على سبيل المثال» .

وجميع الدراسات التي تناولت تاريخ وآثار السواحل الأفريقية تؤكد تأكيداً تاماً صحة هذه الحقائق . فلنعاين أولاً غرب القارة حيث يُسمّى الساحل الغربي في علم الجغرافيا «خليج غينيا» . وتمتد هذه المنطقة تقريباً من خط طول ١٥ درجة غرباً إلى خط طول ١٠ درجات شرقاً ، أي من غينيا بيساو إلى جمهورية الكمرون المتحدة ، ويسودها مناخ استوائي ودرجة رطوبة بالغة الارتفاع ، وترويها على التعاقب أمطار تحملها رياح تجارية تهب عليها من الجنوب الشرقي والأمطار الموسمية فتكسوها بغطاء نباتي كثيف .

وهذا الساحل في مجموعه يتعذر على السفن أن ترسو عليه بسبب الجرف الذي يحول دون دخوله ، كما أنه غير مؤاتٍ لاستقرار البشر وقد قيل عنه أنه «مقبرة الرجل الأبيض» ويمكن التعقيب على ذلك بأنه أيضاً «مقبرة الرجل الأسود» . ومع هذا فقد ازدهرت في هذه السواحل غير المضيافة قبل وصول الأوروبيين بزمن طويل حضارات بالغة الرقي ، أفضل مثال لها حضارة بنين .

وقد كشفت أعمال التنقيب التي أجراها ليو فروبنيوس في إيفي Ife في بداية هذا القرن عن أن جماعات اليوروبا كانت لديهم بالفعل حضارة راقية ، فهناك عثر فروبنيوس على تماثيل دقيقة الصنع من الطين الضخم لوجوه أناس سود ، وإلى جوارها بقايا حُليّ على هيئة بوم وتماسيح ، وصور لآلهة وشخصيات ترتدي ثياباً فاخرة ، وزهريات منحوتة من الحجر ومزجَّجة من الداخل ، وخرز يشهد بوجود صناعة زجاج وكرات من البلور وتماثيل ضخمة منحوتة وما إلى ذلك .

وتقف كل هذه الآثار شاهداً قوياً على حضارة راقية لم يكن وجودها يخطر على بال أحد من قبل . وتعدّ التماثيل والقطع البرونزية التي عثر عليها فروبنيوس تحفاً رائعة هي التي مهّدت الطريق لبرونزيات بنين . وقد حققت تلك الحضارة البعيدة منذ بداية العصر الحديدي وتطوراتها في الغرب إنجازات تقنية أتاحت للشعوب التي جاءت بعدها إقامة دول وإمبراطوريات منطقة الغابات الاستوائية : أويو وبنين وأداتسي ودنكيرا وأشانتي وغيرها . وكانت دول غينيا الرئيسية ومناطقها الداخلية قد توطدت أركانها عند وصول الأوروبيين ولكنها لا تدين بشيءٍ للبحر إذ ولّت وجهها نحو الداخل .

صيادو سمك من كيار إلى الشمال من داكار (السنغال) يشاهدون كوخاً تلتهمه النيران وكان لزميل لهم طوته مياه البحر . لقد أشعلوا النار في الكوخ تلبية لاعتقاد قديم يؤمن به شعب الإيبو ويقضي بأنه نظراً لأن «شيطان البحر» هو الذي تسبب في غرق الصياد بدخوله كوخه فلا بد من حرق الكوخ للحيلولة دون انتقال عدوى الشر إلى المساكن المجاورة ولإجبار الشيطان على العودة إلى أعماق المحيط من حيث استدعته إلى هذا المكان أرواح شريرة .

تصوير : © فولكو كليتي ، روما

ولنتطرق الآن إلى تلك الحضارات التي نشأت على السواحل الشرقية المطلة على المحيط الهندي حيث نمت وتطورت حضارة السواحليين ، وهي مزيج من حضارة البانتو والحضارة الإسلامية .

وفي تلك المنطقة توطدت أواصر العلاقات مع حضارات الشرق وخاصة الحضارة الهندية . وكان مما أثار دهشة البرتغاليين عندما بلغوها أنهم وجدوا هناك مدناً دولاً وحكومات لا تقل ثراء ولا تشعباً عن الحكومات التي عرفوها في أوروبا ، ومدناً مزدهرة شيّدت مبانيها بالحجارة ، وموانئ غاصّة بالسفن التجارية . والتقوا بأناس ألفوا السفر في البحار الشرقية ولديهم من المعرفة بشؤون الملاحة ما يفوق معرفتهم .

وقد دُمّر الجانب الأكبر من هذه الحضارة التي ازدهرت على الساحل الشرقي . وفيما عدا الشمال ، لم يبق من معالم ازدهارها المادي شيءٌ يذكر . ويرجع تاريخ معظم المدن التي نعثر على بقاياها على الشواطئ العربية للمحيط الهندي إلى القرن السابع عشر أو الثامن عشر .

ومما يروى أن السواحليين نقلوا بحراً في القرن الثالث عشر فيلاً قدموه هدية إلى إمبراطور الصين ، واستخدمت سفنهم التي تسمى متيبي (mtepe) لعدة قرون في المحيط الهندي وكان منها ما يبلغ وزنه ٧٠ طناً . كما كان لديهم طائفة بالغة التنوع من السفن الشراعية التي كانوا يستخدمونها في أغراض التجارة والصيد ونقل المحاصيل الزراعية على الساحل الشرقي لأفريقيا . ووفقاً لما توصل إليه بعض الباحثين كانت مئات من زوارق السواحليين (فضلاً عن زوارق الدهو العربية التي كانت تأتي من الخليج) تذرع الطريق جيئة وذهاباً بين مباني تنجا وكلوا (في تنزانيا الحالية) .

وقد تعدّدت وتنوّعت الحضارات والثقافات التي أسهمت في تشييد حضارة في شرق أفريقيا عمّرت طويلاً . ومما يثبت ثراء وتنوع الاتصالات التجارية مع الشرق وثيقة أصلية يرجع عهدها إلى نحو سنة ١٠٠ ميلادية ، ويرجّح أن يكون كاتبها يونانياً من مصر وأن ◄



هذا النُّصُب القائم في كمونيني على بُعد خمسة وعشرين كيلومتراً إلى الشمال من دار السلام في تنزانيا تزينه صحون صينية تنتمي إلى عهود أسرة منج الفاخرة . وفي ذلك واحد من الدلائل الأثرية الكثيرة التي اكتشفت في هذه المنطقة وتقف شاهداً على أنه كانت توجد في ماضٍ بعيد علاقات ومبادلات تجارية بين الساحل الشرقي لأفريقيا وبين الصين عبر طريق الحرير

إبراهيما بابا كاكي ، مؤرخ غيني ، أستاذ التاريخ بإحدى ليسيات باريس ، درّس بمعهد الدراسات الأفريقية بالسوربون . صدرت له عدة مؤلفات ومقالات في مجال تخصصه نذكر منها تاريخ عام لأفريقيا كتبه بالاشتراك مع إلبكا مبوكولو ، (باريس ١٩٧٩)

الزوارق الجذعية : محور حياة الدوالا

بقلم : فرانسيس مبولي

يعدّ الزورق الجذعي محوراً من محاور حياة شعب الدوالا ، الذي يعيش بالمنطقة الساحلية للكمرون على ضفاف شبكة من الأنهار التي تلتقي في مصب سويلابا قبل أن تصبّ في المحيط الأطلسي .

ذلك أن الزورق الجذعي يتيح تكوين فكرة شاملة عن حضارة هذا الشعب . فهو أداة نافعة تستخدم في نقل السلع والناس وفي صيد الأسماك . وهو أداة رمزية تنبثق منها الأساطير وتؤكد سموّ إله الماء . وهو يوطّد الصلة بين الناس لأنهم ما أن يستقروا في مكان ما حتى تغدو بقعة الماء التي يعيشون عليها الوشيجة التي توحّد بينهم كصيادين أكثر مما يفعل ذلك الانتساب إلى جد واحد تشحب ذكراه على مرّ الأيام .

والزورق الجذعي ييسّر الاتصالات ويوسّع نطاق الوشائج الأسرية . وهو وسيلة ناجعة لفض ما ينشأ من نزاعات كما يتّخذ دعامة لإحياء الطقوس والمناسبات (تنصيب زعيم أو تنظيم سباق للزوارق) ووسيلة للتعبير الفني (أشكال مقدّم الزورق) . وهو يؤكد التلاحم الثقافي ووحدة المجتمع عبر الأغاني التي ينشدها ملاحو الزوارق (الزورق الجدّ ، الزورق الأم ، البطل ، الزورق ابن الأم ..) .

واليوم لا يزال ينظم سباق الزوارق . وقبل تسعة أيام من إجراء السباق ، يُحشد جميع الرجال القادرين على احتلال أماكنهم في زوارق السباق ويجري إحياء السهرات بإنشاد الأغاني التي تروي المآثر العظيمة التي أتاها أبطال الزوارق القدماء .

وتحفل أغانيهم بكل جوانب حياة الجماعة ، السياسية والاقتصادية والوجدانية ، ويرتجلها المغني ثم يردّدها من بعده مستمعوه فتدعّم وحدة الجماعة وتؤلف بين قلوب أعضائها .

ويتجلى تاريخ الجماعة أيضاً في الصور البديعة التي تزيّن بها مقدّم الزورق حيث ترمز الشخصية البارزة أو الحيوان الأقوى لرابطة القربى أو النسب التي تضم أعضاء الفريق المباري .

ويمثّل مقدّم الزورق تحدّياً لسائر الأفرقة المتنافسة ، وهي تردُّ على هذا التحدّي بابتكار صور وأشكال من نفس الطراز يؤمّل أن تبزّ أشكال الخصم بأصالتها .

وبهذا يكون الزورق بالنسبة للفرد من شعب الدوالا امتداداً لذاته نفسها .

وقبل بدء السباق ينشد كل فريق من الأفرقة المتبارية أغنية يحاول بها إرهاب الخصوم وتخويفهم . وفيما يلي اثنتان من هذه الأغاني :

يو يو يو
ـ الفوز لنكوندو (١)
على سائر «البلاد» !

هلمّوا اشهدوا
فوز نكوندو
على سائر «البلاد» .

أحب نكوندو
الزورق الصغير ، الفريد
الخيِّر لكل بلاد الدوالا .

النصر لنكوندو
يا أبناء دوالا ، وأحفاد بيدي
إنني أتحدّاكم

الفوز لنكوندو
على سائر «البلاد» .

لا تهن عزيمتنا
فمعنا الزورق الوحيد
الذي يفعم القلوب الأخرى
غيرة وهلعاً .

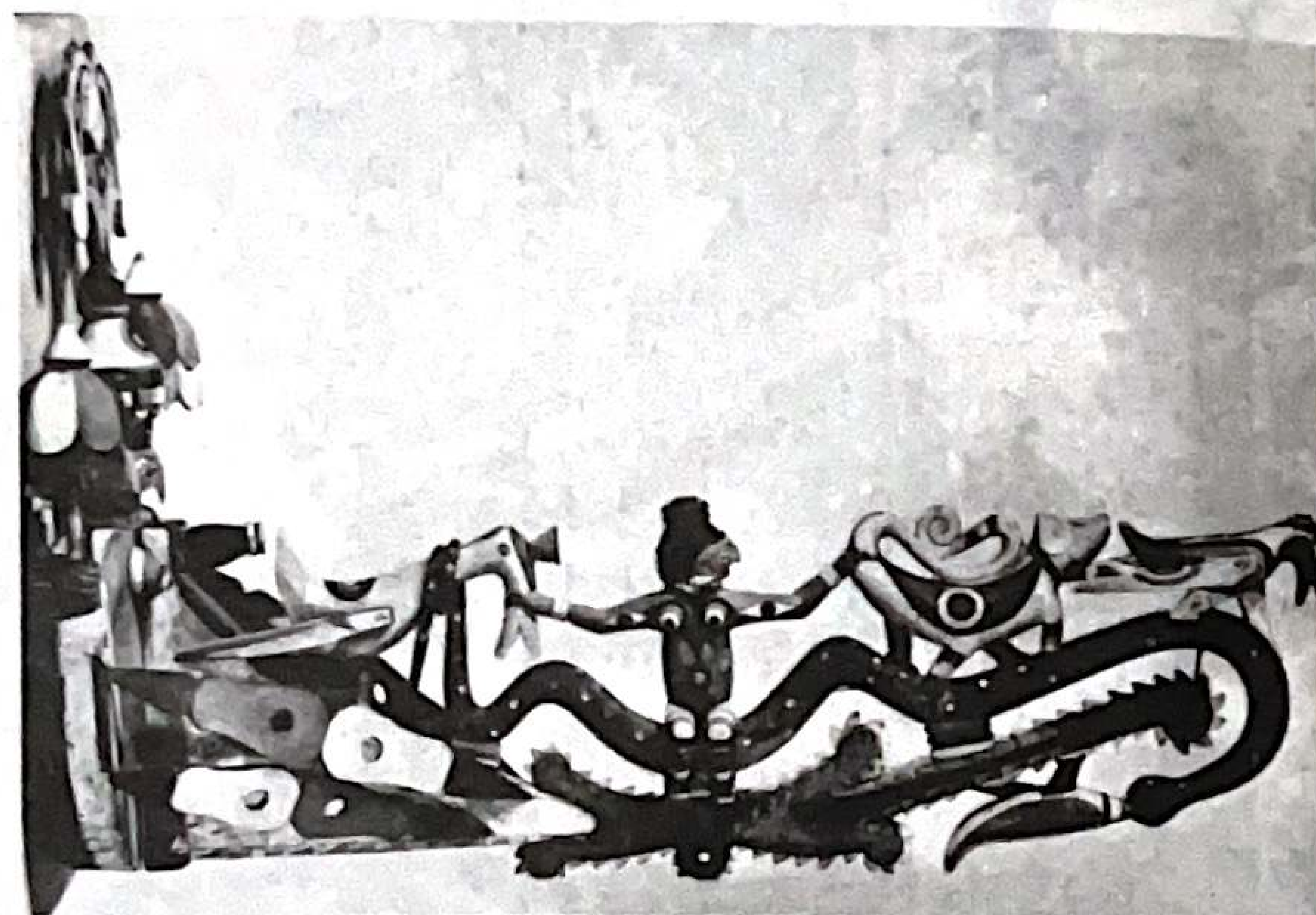
***

إيبسي مون آنجو
آ ما يوموا وينجي
كانا ميلا نا
آ ما لونجو وينجي
كانا نجوسو (٢) نا ...

ولدك يا إيبسي
خلق اليوم
كما يحلق النسر
وعلى غرار العندليب (٣)
اليوم غرّد ...

ويشير المغني في هذه الأغنية إلى زورق السباق ، وإيبسي هي أم دوهي المسؤول الكبير عن هذا الزورق ، ويشبّه الزورق بالإبن ، وقوة المجدِّفين بتحليق النسر ، و«نجوسو» بتغريد العندليب . ■

فرانسيس مبولي



تصوير : © متحف فور فلكركنده ، برلين الغربية

تمتزج الطيور والأفاعي الأفريقية مع الرسوم الأوروبية في هذه الزخرفة البديعة التي يُزيّن بها مقدّم زورق من زوارق الدوالا . ويقترن الطائر في أذهان الناس بآلهة الجو بينما يقترن الثعبان بآلهة الماء . وقد نُقِل رسم الشخصية المركزية ، امرأة ذات صدر متعدد الألوان ، من رسم شجرة سلالية . وربما كان للحيوانات التي تُمسك بها في يديها مغزى طوطمي .

فرانسيس مبولي ، الكمرون ، أستاذ في علم الاجتماع وعلم النفس ، عمل أستاذاً مساعداً في جامعة ولاية نيويورك وباحثاً زائراً في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا . كذلك اشتغل بالبحث في جامعة باريس ٦ حيث تخصص في الذاكرة الترابطية والذاكرة الاصطناعية والذاكرة البيولوجية .

(١) اسم الزورق
(٢) نجوسو : (السعاء) ، أسلوب أدبي يمكن أن يُشبّه بالأسلوب الملحمي في الأدب الغربي ، والفقرة كلها بلغة الدوالا .
(٣) «السعاء» في النص الأصلي بلغة الدوالا .

▶ يكون قد وضعها ليرشد بها التجار والملاحون إذ يصف فيها موانئ شرق أفريقيا ونشاطها التجاري وذلك حتى ميناء جنوبي يدعى رهانتا يبدو أنه كان على مقربة من بانجالي في جمهورية تنزانيا المتحدة. وعلى هذا يكون سكان الساحل الشرقي قد مارسوا، قبل مجيء الأوروبيين بنحو ألف وخمسمائة عام، تجارة منتظمة وسلمية مع مدن البحر الأحمر وجنوب شبه الجزيرة العربية والخليج والهند وسيلان (سري لانكا) وفيما وراء ذلك.

وقد درجت أوروبا في الفترة الاستعمارية على النظر إلى هذه الحضارة بوجه عام على أنها حضارة عربية. فلم ير البرتغاليون في القرن السادس عشر أيّ فضل فيها للأفريقيين ووصفوا سكان كِلوا وممباسا ومالِنْدي وغيرها من المدن على الدوام بأنهم مور أو مغاربة. ويلاحظ الآن أن المدن الدولَ الواقعة على هذا الساحل قد غلب عليها طابع الحضارة الأفريقية في وقت مبكر نسبياً حتى وإن كانت الحضارة العربية والديانة الإسلامية قد تركتا فيها آثاراً واضحة. وما من شك في أن الحضارة السواحلية أو حضارة الساحل تدين بالكثير للمحيط الهندي إذ عن طريق التجارة البحرية استطاعت هذه الحضارة الباهرة أن تنشأ وتزدهر.

وإذا ابتعدنا عن السواحل الأفريقية وعاينّا الجزر المواجهة لها وجدنا أنها تنقسم إلى مجموعتين: أولاهما أرخبيل جنوب الأطلسي الذي يقصد به عادة جزر الرأس الأخضر وساوتومي وبرنسيبي وفرناندو بو التي تدعى اليوم بيوكو. وعندما وصل البرتغاليون إلى جزر الرأس الأخضر في منتصف القرن الخامس عشر كان العرب يعرفونها ولكنها كانت خالية من السكان. وقد استقر فيها الملاحون البرتغاليون وبدأوا تجارة مربحة مع أفريقيا وأوروبا. وخلال فترة من الوقت أصبحت جزر الرأس الأخضر أحد المراكز الهامة لتجارة الرقيق في المحيط الأطلسي.

وإلى الجنوب في خليج غينيا توجد جزر بركانية الأصل هي جزر فرناندو بو وساوتومي وبرنسيبي. وكان سكانها سوداً من سلالة البحارة الذين لاذوا بها بعد أن غرقت سفنهم أو أحفاد العبيد الذين كانوا برفقة المحتلين البرتغاليين الأوائل.

وطوال الثلاثة القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر كانت جزر الرأس الأخضر وساوتومي وبرنسيبي مع أجزاء أخرى من القارة الأفريقية لم يدم فيها الوجود البرتغالي طويلاً - تشكّل مع البرازيل



تمثالان من الخشب لرجل وامرأة يُزيّن بهما قبرُ فيزوي بالقرب من مورُنداڤا على الساحل الغربي لمدغشقر، والفيزو هم جماعة من صيادي السمك تربطهم بالبحر وشائج قوية. والبحر من الموضوعات التي يتغنى بها دائماً شعراء مدغشقر كما نرى في الأبيات التالية التي أنشدها جان رابيارِفيلو:
إليكم تلك التي انغمست قدماها في مياه البحر
وخرجت من مياه البحر راحتاها لزجتين
مكسوتين بالمرجان وبلورات الملح البراقة.

تصوير: © سحفرية سامر، بولين القرية

ولشبونة عناصر شبكة واحدة لحركة ملاحية اعتمدت على حقيقة جغرافية هي التيارات البحرية التي كانت لها آنذاك أهميتها بالنسبة لطرق الملاحة، حركة تغذيها تجارة العبيد في أسواق القارة الأمريكية.

وقد ظلت حيّةً كافةُ المنجزات الحضارية التي تحققت في هذه الجزر الكريولية. وتذكّر كلمة كريول في أرخبيل جنوب الأطلسي بأنجح تمازج بيولوجي اجتماعي حققه البرتغاليون في المناطق المدارية حيث نشأ وتطور إنسان من نوع جديد، وعقلية بل ولغة جديدة هي عقلية ولغة الإنسان المولّد الذي تمخض عنه الامتزاج المتناسق بين أناس بيض وعبيد سود. وقد غدت هذه الجزر - إذ تقع على الطريق بين جنوب أوروبا وأمريكا الجنوبية وتقطنها مجتمعات مولّدة من عناصر شتى - حلقة الوصل ومرحلة الانتقال بين أفريقيا والعالم الأطلسي.

ونجد نفس السيناريو تقريباً في المحيط الهندي في جزر موريشيوس والريونيون ومدغشقر. فمنذ نهاية القرن الثامن عشر اعتمد تعمير جزيرة موريشيوس على الهجرة الفرنسية، واللغة الفرنسية مستخدمة فيها إلى جانب الإنجليزية وسبع عشرة لغة أخرى بحيث تبدو الجزيرة اليوم نموذجاً حقيقياً لبرج بابل. غير أن الكريول هي لغة الحديث الشائعة ويقيم بالجزيرة هنود وصينيون وأفريقيون من الساحل الشرقي للقارة يشتغل كثيرون منهم بزراعة قصب السكر واستغلال الملّاحات وبناء أفران ضخمة لحرق المرجان.

ومما يُرْوَى أن جزيرة الريونيون كانت وليدة فكرة لجان باتِسْت كولبير (١٦١٩ - ١٦٨٣) نفّذتها شركة الهند. ففي عام ١٦٤٤، كانت «جزيرة بوربون» (الاسم الذي كانت تعرف به آنذاك) تضم ألفاً ومائتين من السكان يتألفون من ملاحين هولنديين غرقت سفنهم ومن قراصنة ومن نساء استُحْضِرن لتلبية حاجات مستوطني فور دوفان في مدغشقر. وكانت تجارة الرقيق أول مصدر للأيدي العاملة. وأدت زيادة الطلب على البن وازدهار تجارته في القرن الثامن عشر إلى الإسراع بحركة استيطان غذّاها استيراد السود من مدغشقر وموزمبيق. وإذا وضعنا في الاعتبار الإسهامات الصينية والإسلامية أمكن القول بأن جزيرة الريونيون هي أيضاً ملتقى عدة حضارات وبوتقة امتزاجها.

ولقد طُرِحَت أكثر الافتراضات خيالاً حول أصل الملجاشيين. غير أن لويس ماريانو اليسوعي البرتغالي كتب عام ١٦١٤ يقول: «جاء بعض السكان الأوائل من ملقّة وبعضهم الآخر من كافراريا» (وهو اسم كان يطلقه البرتغاليون آنذاك على جميع الأراضي الواقعة على الساحل الجنوبي الشرقي لأفريقيا):

وينتمي أغلب الملجاشيين إلى أنواع عرقية ممتزجة. ولا تعدّ القبائل الثماني عشرة التي تقطن الجزيرة كتلاً عرقية موحدة الأصول بينما تكشف اللغة عن وحدة مثيرة للدهشة؛ وهي لغة إندونيسية وإن كان نطقها وتنغيمها ينمّان عن التأثير الأفريقي فيها.

وتكشف السمات الثقافية والحضارية عن نسب من التأثير مماثلة لما تكشف عنه اللغة. فشكل المنازل، ومنفاخ الحداد، والمجليتات (وهي أحجار غير منحوتة مستخدمة في الآثار التي يرجع عهدها إلى ما قبل التاريخ)، وتقديس الأجداد، وأساليب التأدُّب في

(يتبع في صفحة ١٨)

غينيا الاستوائية: أُمّةٌ شكّلها البحر

بقلم: كاترين جيّار

يشهد الماضي التاريخي لغينيا الاستوائية على أنه يمكن اعتبارها ملتقى طرق ونقطة التقاء في آن معاً، بل ويمكن اعتبارها على الأخص قاعدة رصد ومنطقة عمليات ومشروعات. وهي إذ تتألف من جزر وسواحل قارّية تعدّ نموذجاً للبلد البحري من حيث شكلها وتاريخها على السواء.

وتضم أفريقيا ثلاث دول تحمل اسم غينيا: عاصمة أولاها كوناكري، والثانية هي غينيا بيساو، والثالثة غينيا الاستوائية. وتقع هذه الأخيرة، وهي أقل الثلاثة شهرة، في خليج غينيا وقد سُمّيت بهذا الاسم لأن أراضيها تقع على جانبي خط الاستواء. ومساحتها صغيرة تبلغ ٢٨٠٥١ كيلومتراً مربعاً وتنقسم إلى شطرين أحدهما قارّي والآخر جزري. ويسمى الشطر القارّي ريو موني Rio Muni وتحدّه الكمرون شمالاً وجابون شرقاً وجنوباً. ومن ثم فإن له واجهة بحرية طويلة (إذ يبلغ طولها نحو ١٨٠ كيلومتراً) بالقياس إلى أقصى مسافة بين غربها وشرقها (٢٢٠ كيلومتراً) وإلى مساحتها (التي تبلغ ٢٦٠٠٠ كيلومتر مربع).

ويتسم الشطر الجزري بتشعبه إذ يتألف من خمس جزر ذات مساحات غير متكافئة ومتفرقة في خليج غينيا وهي جزر بيوكو (فرناندو بو سابقا) ومساحتها ٢٠١٧ كيلومتراً مربعاً، وأنوبون ومساحتها ١٧ كيلومتراً مربعاً، وكوريسكو ومساحتها ١٥ كيلومتراً مربعاً، وإيلوبي جراندي ومساحتها ٢٫٢٧ من الكيلومترات المربعة، وإيلوبي تشيكو ومساحتها ٠٫١٩ من الكيلومتر المربع.

ويعطينا هذا العرض الموجز فكرة عن تشكّل غينيا الاستوائية من كيان بحري تواجهه كتلة أرضية. ولئن كان الشطر الجزري يتضاءل من حيث مساحته بالمقارنة مع الشطر القارّي، فإنه مع ذلك يفوقه من الوجهة الاستراتيجية. فبيوكو هي نقطة رُسُوّ في خليج غينيا بمواجهة سواحل الكمرون وتتيح أنوبون إمكانيات مماثلة بالنسبة لسواحل جابون. وعلى ذلك فليس من المستغرب أن يكون كبار المستكشفين قد أوْلوا هذه الجزر اهتمامهم في عهود الفتح الاستعماري.

وكان من شأن البحث عن طريق جديد يكفل سرعة الوصول إلى الهند أن أدّى بالأسبان والبرتغاليين إلى اكتشاف أراض جديدة. وقد آثر الملّاحون البرتغاليون الإبحار بحذاء السواحل الأفريقية. وعلى هذا النحو فإن بيدْرو دي إسكوبار وجوان دي سانتاريم، وقد انطلقا من ساوتومي، اكتشفا في أول يناير/كانون الثاني ١٤٧١ جزيرة كانت مجهولة حتى ذلك التاريخ فأطلقا عليها اسم أنوبون (أي العام الجديد بالبرتغالية). وفي عام ١٤٧٢ أطلق مغامر برتغالي يدعى فرناو دو بو اسم «فرموزا» (الرائعة) على الجزيرة التي رسا عليها، وكان الأسبان هم الذين أطلقوا فيما بعد اسم هذا الملّاح على أكبر جزر غينيا الاستوائية. ومن خلال هذا البحث عن طرق تُفضي إلى الهند تولّدت منافسات بين أسبانيا والبرتغال.

وبموجب معاهدتَيْ سان إلدفونسو (١٧٧٧) وإلبرادور (١٧٧٨)، تخلّت البرتغال لأسبانيا عن جزيرتَيْ أنوبون وفرناندو بو وكذلك عن حق المتاجرة في الموانئ والسواحل المواجهة لجزيرة فرناندو بو. وكانت أسبانيا تأمل أن تغدو هي مصدر تزوُّدها بمن تحتاجهم من العبيد وأن تثرى باقتناء المزيد من الذهب والعاج. غير أنه اتضح أن التغلغل في هذه الأراضي الجديدة لم يكن بالأمر اليسير.

وترجع بداية الوجود الأسباني الحقيقي في الجزر وعلى سواحل غينيا الاستوائية إلى عام ١٨٥٨ فحسب، على حين أن استكشاف القسم القارّي منها قد تأخر إلى ما بعد هذا التاريخ. ومع ذلك فقد كانت غينيا الاستوائية، تلك الأراضي الجزرية المتواضعة، مسرحاً لعمليات كبار الملّاحين وتجار الرقيق والباحثين عن الثروة وبوتقة تفاعلت فيها كل الحوافز الكبرى لغزو البحار. وذلك هو السبب الذي يحدونا إلى أن نقول إنها منطقة نموذجية إذ استوعب تاريخها خلاصة الدوافع التي أدّت بشعوب طوال قرون إلى خوض غمار ملاحم بحرية هي أقرب إلى عالم الخيال. فقد اجتذب خليج غينيا بسحره كلاً من البرتغاليين والهولنديين والأسبان والإنجليز بل والفرنسيين ممن كانوا قد عقدوا العزم على غزو العالم والظفر بثرواته عن طريق البحار. وعلى ذلك فقد كان منذ أمد بعيد أن بدأ يُنظر إلى هذه الجزر على أنها قصب السبق والطريق إلى بلوغ القوة والنفوذ.

واليوم بدأت تبرز اعتبارات تجارية جديدة. ففي الوقت الذي تحاول فيه مختلف القوى العالمية أن تتوصل إلى أسس مشتركة للاتفاق حول استغلال البحار تغدو جزر غينيا الاستوائية من جديد مثاراً لأهواء الطامعين. فمياهها الإقليمية ورصيفها القاري يبشران بوعود وثروات يرجّح وجودها أن البلاد المجاورة اكتشفت حقول بترول بالقرب من سواحلها. وقد قدمت شركات التنقيب عن البترول وشركات التعدين عروض تعاونها على حكومات غينيا الاستوائية. وكل هذه الموارد الجزرية والبحرية يمكن أن تصبح مصدر قوة لا جدال فيها في الحياة السياسية والاقتصادية لغينيا الاستوائية.

ويختلف الشطر الجزري لغينيا الاستوائية عن شطرها القارّي ويكمّله. وإن الطابع الجزري لهذا البلد الصغير الذي قلّ للأسف من يعرفون تاريخه، هو الذي يترك بصماته على تاريخ البشر منذ عهد الاستكشافات الكبرى وحتى آخر مفاوضات دارت بشأن قانون البحار. ■

كاترين جيّار. باحثة فرنسية في علم الاجتماع. تُعدّ حاليا رسالة في المعهد العالي للدراسات العلوم الاجتماعية في باريس بإشراف الأستاذ جورج بالانديه. تخصصت في دراسة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية لغينيا الاستوائية.



يعيش صغار الفتيات هؤلاء في جزيرة موريشيوس بالمحيط الهندي حيث التقت وامتزجت شعوب وثقافات أوروبية وأفريقية وصينية وهندية ، وحيث يتحدث الناس بلهجات إنجليزية وفرنسية وكريولية وهندية وصينية ، وحيث تشاهد معابد الهندوس إلى جانب مساجد المسلمين وهياكل البوذيين وكنائس المسيحيين .

تصوير : © بيير آرجو . باريس

الخطاب ، والتراث الأدبي المنقول وما إلى ذلك - تعود كلها بالأذهان إلى نظيراتها في إندونيسيا .

وهناك من جوانب الحياة ، مثل أهمية قطعان البقر ، ما يذكّر بشرق أفريقيا على حين أن الرقصات والآلات الموسيقية مقتبسة من المنطقتين . ويلاحظ هذا الانتماء المزدوج في كل شيْ تقريباً وإن كانت تلاحظ غلبة السمات الحضارية الإندونيسية . ويمكن تفسير ذلك على أساس افتراض أن الإندونيسيين قدموا عن طريق شمال المحيط الهندي والساحل الأفريقي مغتنمين فرصة الرياح الموسمية .

ومن ثم يبدو واضحاً أن حضارات السواحل الأفريقية ، باستثناء الجزر ، قلما استفادت من البحر غرباً ، أي من ناحية المحيط الأطلسي ، على حين أنها على العكس من ذلك عرفت كيف تستفيد من الفرص التي أتاحها المحيط الهندي . لقد كانت الدولُ المدن الساحلية دولاً بحرية يحكمها رجال البحر . وإن عدم وجود دول بحرية على الجانب الغربي للقارة لم يكن يرجع إلى أسباب جغرافية فحسب وإنما يعود كذلك إلى عدم وجود برجوازية تجارية تحرص على الإثراء عن طريق التجارة البحرية . ويبدو من ناحية أخرى أن الشعوب التي عاشت على السواحل الغربية لم تكن قد أتقنت فنون الملاحة .

ومع ذلك فإن البحر لعب دوراً هاماً في نشر حضارات هذه الأمم الساحلية وخاصة في عصر تجارة الرقيق بين السواحل الأفريقية والعالم الجديد .

ولئن كانت البرازيل هي البلد الذي تحل فيه وجود الحضارات الأفريقية في أوضح صورها فإنه ينبغي ألا يعزب عن بالنا أن هذه الحضارات قد تركت بصمات قوية على جنوب الولايات المتحدة ، وعلى منطقة الكاريبي ، وعلى قارة أمريكا الجنوبية بأسرها . ■

إبراهيما بابا كاكي

جُزر الرأس الأخضر

بقلم : إليزا أندراد

إن الجزر والجُزيْرات التي يتكوّن منها أرخبيل الرأس الأخضر والمبعثرة في شكل هلال في المحيط الأطلسي على بعد قرابة ستمائة كيلومتر من سواحل السنغال وموريتانيا تشكّل مجموعتين مُتَميزتين حسب موقعهما بالنسبة للرياح الشمالية الشرقية السائدة : مجموعة جزر «بارلافنتو» (الجزر الواقعة في مهب الريح) : سانتو أنتاو ، ساو فيسنته ، سانتا لوسيا ، ساو نيكولاو ، سال ، بوافيستا ، وجُزَيْرتا بارنكو وراسو ؛ ومجموعة جزر «سوتافنتو» (الجزر المجانبة لمهب الريح) ، مايو ، ساو تياجو ، فوجو ، برافا ، وجُزَيْرات رومبو الثلاث .

ويرتبط تاريخ الرأس الأخضر ارتباطا وثيقا بتاريخ التوسع الاستعماري البرتغالي . فكثير من المؤرخين ومدوّني الأحداث البرتغاليين يرون أن جزر الرأس الأخضر قد اكتُشِفت أثناء رحلتين متتاليتين بين عامي ١٤٦٠ و ١٤٦٢ . ووفقا للتراث المنقول يؤيده ما جاء في عدد من المصادر البرتغالية ، كان سكان ساو تياجو يتألفون من الوولوف الذين استقروا فيها في أعقاب الحروب الأهلية التي شهدتها مملكتهم على أرض القارة ، وكان الليبو والسيرير والفيلوب يقطنون جزيرة الملح وقد اجتذبتهم إليها ملّاحاتها المكشوفة . غير أن أعدادهم لم تكن تكفي للحؤول دون توغل البرتغاليين في أوطانهم .

ومع ذلك فإن استيطان الأوروبيين في الرأس الأخضر قد حدّت منه صعوبة زراعة الغلال التي كان يألفها البرتغاليون في تلك الجزر الفقيرة التربة والقاسية المناخ فضلا عن قلّة عدد سكان البرتغال ذاتها . وعلى ذلك فقد عمد ألفونسو الخامس ملك البرتغال (١٤٣٢ ــ ١٤٨١) ، حرصا منه على تشجيع الاستيطان ، إلى منح سكانها «ميثاق الامتيازات» في ١٢ يونيو/حزيران ١٤٦٦ . كما وهب الملكُ أخاه فرناندو هذه الجزر ، وذلك لإدراكهما معا مدى الأرباح الطائلة التي يمكن جنيها من إعمار الأرخبيل . وكان هذا الميثاق بمثابة ميثاق عضوى للجزر مُنِحَ فرناندو بموجبه سلطات قضائية مدنية وجنائية على جميع «المور والسود والبيض» ، أحرارا كانوا أم عبيدا شريطة أن يكونوا مسيحيين . ومُنِح المستوطنون في الوقت نفسه حقا أبديا في الاتجار بالرقيق في كافة أنحاء المنطقة الممتدة من نهر السنغال حتى سيراليون باستثناء منطقة خليج أرجوين التي كان استغلالها وقفا على الأسرة المالكة .

وقد أتاح هذا الميثاق للمستوطنين تنظيم الاتجار بالزنوج ، الأمر الذي وفّر لهم الأيدي العاملة التي يقتضيها الاستصلاح الاستعماري للجزر من ناحية ، كما وفّر الأيدي العاملة المعدّة للتصدير إلى أسواق الرقيق في جزر الهند الغربية والبرازيل من ناحية أخرى وساعد بُعْدُ الشُقّة بين الجزر وبين الدولة المستعمرة ، وصعوبة الاتصال فيما بين الجزر ذاتها في ذلك الوقت ، والانعدام شبه التام للنساء بين المهاجرين الأوروبيين إلى الرأس الأخضر ، على بدء عملية تهجين تتضح آثارها اليوم في زهاء تسعين في المائة من سكانها .

وقد ظل الرأس الأخضر على مرّ السنين وحتى عشية الاستقلال عام ١٩٧٥ مسرحا للتوسع البرتغالي في كافة أشكاله . وعلى ذلك فإنه بعد إلغاء الاسترقاق عام ١٨٧٦ حلّ تصدير العمال المتعاقدين محل تصدير العبيد . وعلى أثر مؤتمر برلين الذي انعقد عام ١٨٨٥ وكرّس تقسيم القارة الأفريقية بين مختلف الدول الاستعمارية في أوروبا الغربية ، حل موظفو الإدارات الاستعمارية بالتدريج محل المستوطنين الأوائل وتجار الرقيق وغيرهم من رجال الأعمال .

ومن المعروف أنه قبل ظهور السفن البخارية واستخدام وسائل الاتصال اللاسلكي ، لعبت الجزر المبعثرة على طول سواحل القارة دورا رئيسيا في تنمية التجارة والملاحة البعيدة المدى . وكان الرأس الأخضر منذ البداية ، بفضل موقعه الجغرافي على منتصف الطريق بين القارة الأفريقية وأوروبا وأمريكا والشرق ، مؤهلا لان يكون ملتقى طرق للمبادلات التجارية والاتجار بالرقيق ولتزويد السفن بالمواد الغذائية وبالماء ، وعلى ذلك فقد نهضت السياسة التنموية الاستعمارية للجزر على أساس مركزها الجغرافي السياسي وموقعها الاستراتيجي .

وبإدخال الأيدي العاملة المسترقّة إلى الرأس الأخضر استطاع المستوطنون أن يطبقوا نظامين للزراعة : نظاما لإنتاج المحاصيل الغذائية من غلال وخضروات وفواكه للاستهلاك الداخلي وللبيع للسفن التي تتوقف في الرأس الأخضر ، ونظاما لإنتاج المحاصيل التسويقية (القطن ، ثم قصب السكر والكروم) بقصد تصديرها .

وقرب منتصف القرن السادس عشر بدأ استخدام العبيد في إنتاج أنسجة وأقمشة كان الطلب عليها شديدا من قِبَل تجار الرقيق وكانت تُدْفَع بالتالي ثمنا لاقتناء مزيد من العبيد . وأطلقت في الجزر حيوانات (خيول وماعز وبقر وحمير وخنازير) من أجل إنتاج اللحوم الطازجة والمملحة وصنع الجلود ودبغها لأغراض بيعها للسفن العابرة ثم لتصديرها فيما بعد . وكانت ساو تياجو المستودع الرئيسي للرقيق ومنها كانوا يصدِّرون إلى جزر الكناري وإلى البرتغال وأسبانيا ، وفي وقت لاحق إلى جزر الهند الغربية والبرازيل . وكانت السفن التي تجوب أنهار غينيا بحثا عن العبيد ملزمة بالتوقف عند الرأس الأخضر لدفع الرسوم التي تعود إلى التاج البرتغالي .

وكان الرأس الأخضر أيضا بمثابة محطة الزامية تتوقف عندها السفن التي تقوم برحلات طويلة لكي تتزود بالماء وغيره من المؤن . وفي عام ١٤٩٧ ، رسا «أسطول» فاسكو دي جاما ، وكان في طريقه إلى الهند ، في مدينة ريبيرا جراندي - وهي أول مدينة شُيِّدت في ساو تياجو وتدعى حاليا سيدادي فيلها - لكي يتزود بالغذاء والماء . وبعدها بثلاث سنوات جاء دور بيدرو ألفاريس كابرال لكي يتوقف عندها وهو في طريقه إلى البرازيل مثلما توقفت عام ١٥٢٢ سفن فرناو دي ماجالهاليس (ماجلّان) ، وهي عائدة من طوافها التاريخي حول العالم .

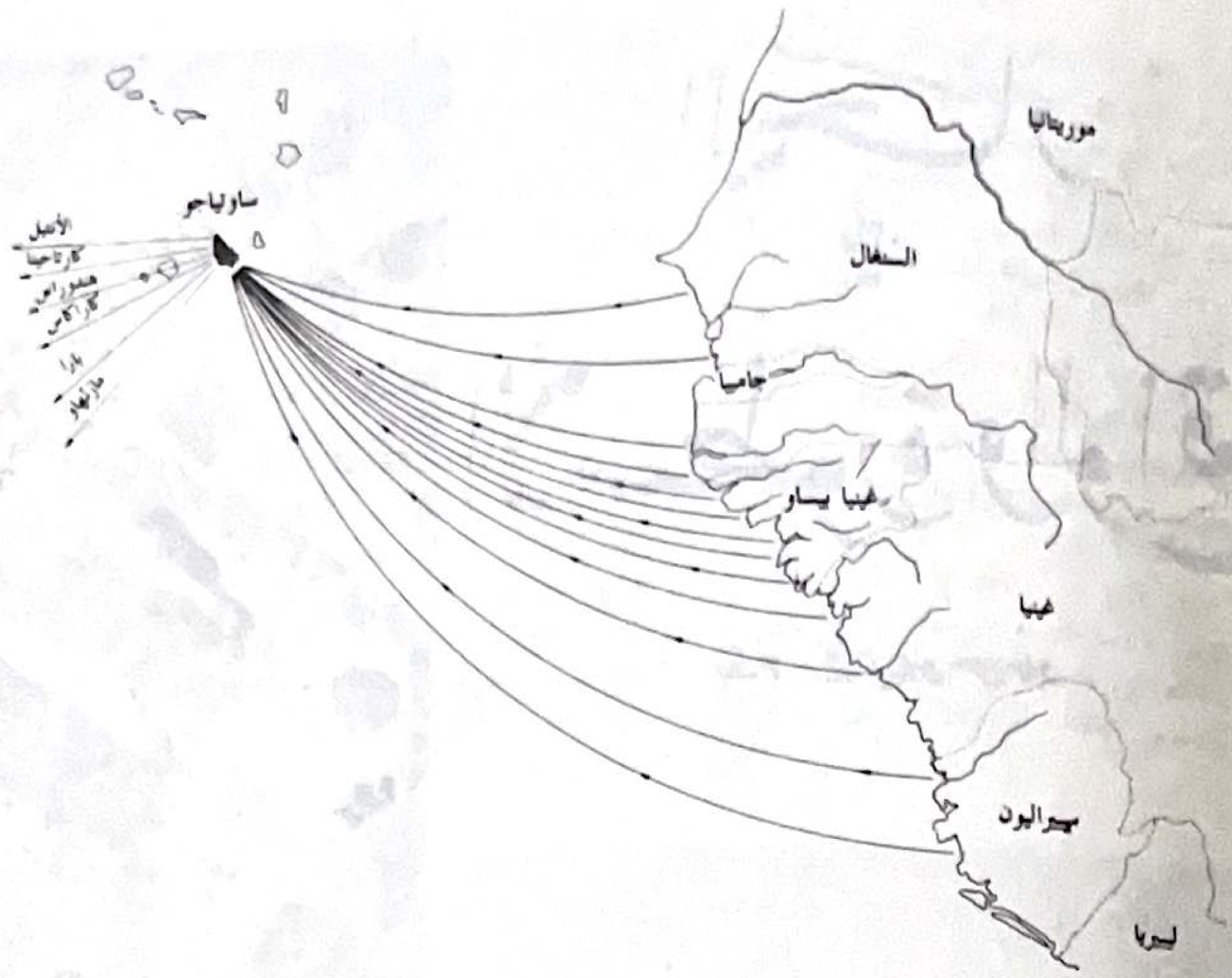
وابتداء من منتصف القرن السادس عشر ، كانت بعض السفن الفرنسية تبحر من أنهار السنغال وجزيرة جوريه وبنين لشراء الأغذية والمواشي من الرأس الأخضر ، وكذلك لشراء الرقيق الذين كانت تبيعهم فيما بعد في المستعمرات الفرنسية في أمريكا ؛ كما كانت السفن الإنجليزية والهولندية والأسبانية تتوقف عند الرأس الأخضر في طريقها إلى الهند للتزود بما تحتاجه من مؤن . وشهد الرأس الأخضر في ذلك العهد فترة ازدهار أدّت ، نتيجة لنمو التجارة والملاحة والاتجار في العبيد ، إلى إثراء الطبقة الغنية . غير أن ذلك لم يلبث أن أعقبه عهد انحطاط المجتمع الاسترقاقي .

ففي أثناء الحقبة التي اضطرت فيها البرتغال إلى أن تتحد مع أسرة فيليب الملكية في أسبانيا (١٥٨٠ - ١٦٤٠) استغل الأسبانيون السياسة الاستعمارية البرتغالية في تحقيق مصالحهم . ذلك أنهم جعلوا من جزر الهند الغربية محوراً لشبكة تجارة الرقيق فلم تعد السفن المستخدمة في تجارة الرقيق مضطرة إلى التوقف في ساو تياجو لدفع الرسوم واجبة الأداء للتاج البرتغالي ، وبذلك فقدت جزر الرأس الأخضر واحدا من أهم مصادر دخلها وثرائها .

وكان من شأن بعض التدابير الأخرى التي اتخذت ضد مصالح طبقة الأثرياء في الرأس الأخضر ومن شأن بعض الأحداث الأخرى أن عجلت بهذا التطور التاريخي . ويُخصّ بالذكر من هذه التدابير والأحداث ما فرض على سكان الرأس الأخضر من حظر على تسويق بعض المنتجات الضرورية لشراء العبيد ، وتحديد المناطق التي يُرَخّص فيها بتجارة الرقيق ، والغزوات المتكررة التي كان القراصنة ، ولا سيما الفرنسيون والإنجليز ، يشنونها على الملاحين والتجار ، وتحجيم الإمبراطورية البرتغالية وحصرها بالمنطقة التي تشكل اليوم غينيا بيساو ، والإجراءات الاحتكارية التي شرعت الشركات الكبرى في اتخاذها منذ إنشائها ابتداء من عام ١٦٦٤ ، وأخيراً تمثلت الضربة القاصمة في التحريم التام لتجارة الرقيق . ■

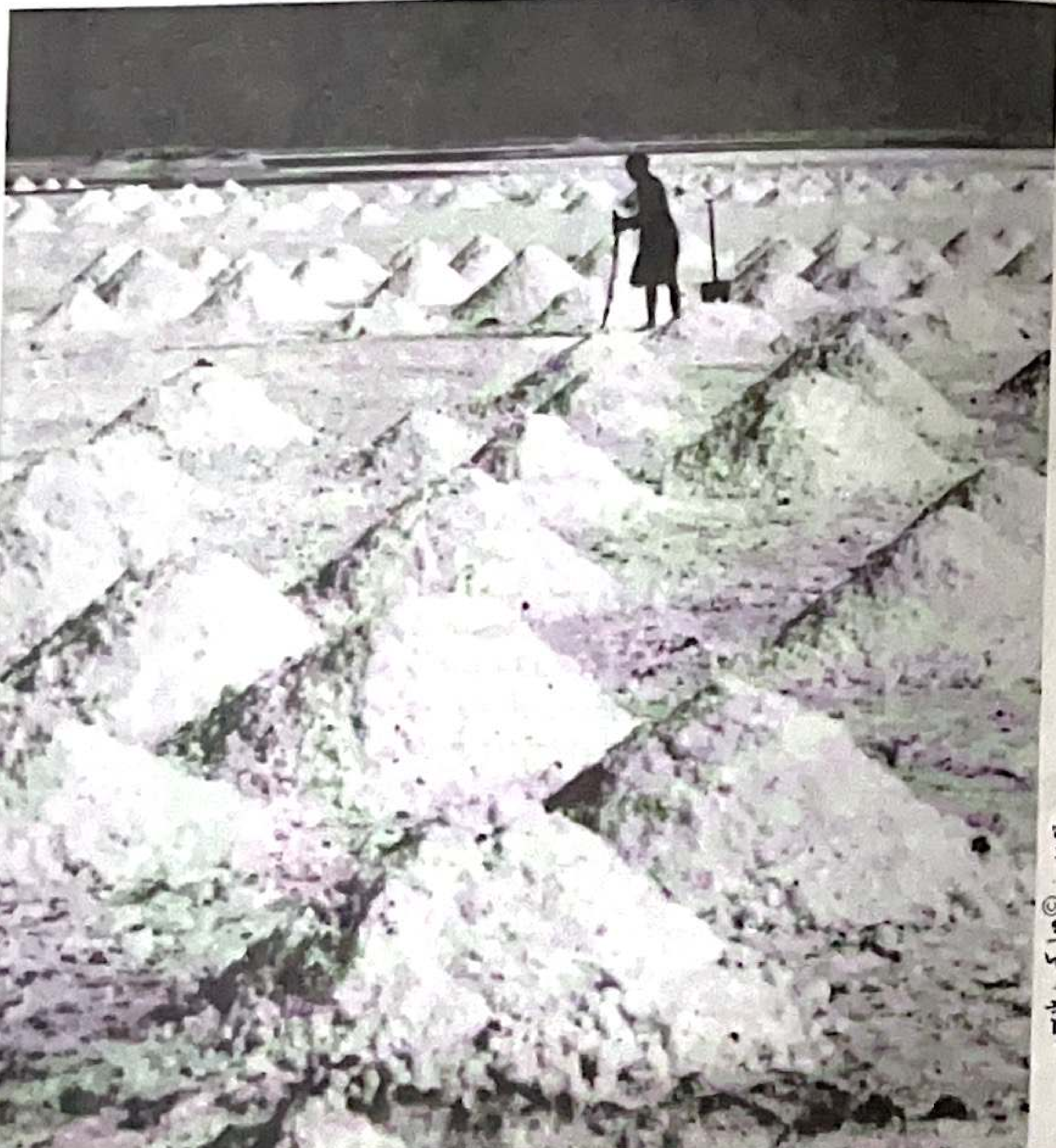
إليزا أندراد

إليزا أندراد . الرأس الأخضر . اضطلعت بدراسات عليا في الاقتصاد بالجزائر ودكار . تُعِدّ الآن رسالة دكتوراه بجامعة باريس ٧ . نُشِرَت لها مقالات ودراسات في دوريات مختلفة يصدر معظمها في باريس .



طرق تجارة الرقيق
توضح هذه الخريطة الطرق التي كانت تسير فيها ناقلات العبيد من الساحل الغربي لأفريقيا إلى الأمريكتين مارة بساو تياجو في أرخبيل الرأس الأخضر

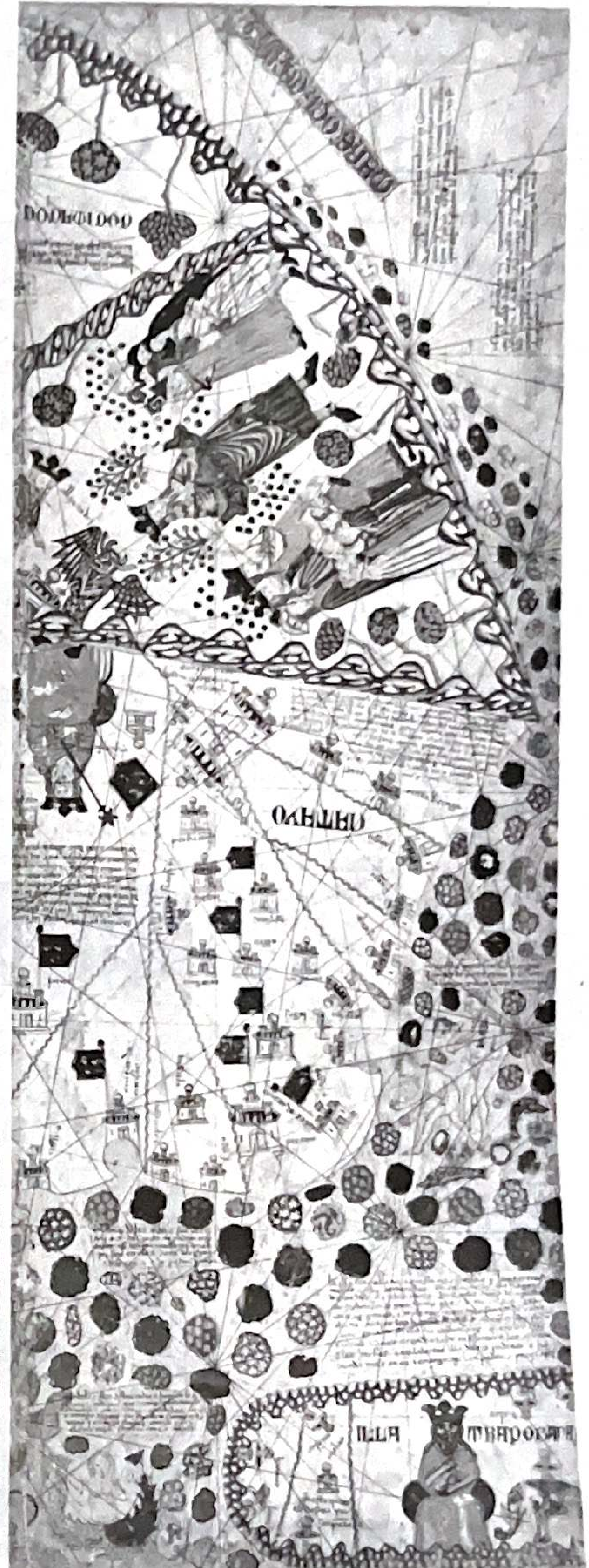
الخريطة : © جميع حقوق النقل محفوظة
الحدود المبينة على هذه الخريطة لا تعني الاعتراف بها أو الموافقة عليها رسمياً من جانب الأمم المتحدة أو اليونسكو .



يُعَدّ الملح (إلى اليمين) مُنتجاً هاماً من منتجات جزيرة سال ، إحدى جزر أرخبيل الرأس الأخضر .

البحار بين الأسطورة والواقع

بقلم : فيتورينو جودنْهو



من المعتقد أن «الأطلسي القطالوني» (١٣٧٥) هو من إعداد إبراهام كرسْكس ، رسّام خرائط يهودي مشهور من مايوركا . وهو يتألف من ست صحائف خشبية مكسوّة بالرّق ويصوّر العالم من غرب أوروبا إلى الشرق الأقصى حسبما عرّفته الروايات المنقولة وكتابات الرحّالة . وتورد الصحيفتان الأوليان رسوماً بيانية تنجيمية وفلكية وكونية . ويمثّل الجزء المصوّر هنا نصف الصحيفة السادسة . والنص الوارد في الركن الأسفل إلى اليسار ، فوق صورة حورية الماء يقول : «بحر جزر الهند حيث توجد التوابل ، وتجوب هذا البحر سفن كثيرة تنتمي إلى أمم شتى وفيه عدد من أنواع السمك يعرف باسم حوريات الماء ، نوع منها نصفه امرأة ونصفه الآخر سمكة ونوع ثان نصفه امرأة ونصفه الآخر طائر» .

تصوير : © أرس جراف ، ديكود ، زيورخ

في العصور الوسطى كان تصوّر الناس لجغرافية الأرض أقرب إلى الخرافة منه إلى الواقع . وقد فتحت التغيرات التي طرأت في القرن الثالث عشر وما بعده أول ثغرة بدأ الواقع ينفذ منها ببطء وحذر . فلم يكن هناك حتى ذلك الوقت تصوّر شامل للكرة الأرضية ، ولم يكن ما يسمى خريطة نصف الكرة الأرضية ، أو الكرة الأرضية ، يمثل أكثر من أراضٍ يابسة رُصّت جنباً إلى جنب ، تفصل بينها بحار وتتخللها أنهار تجري في مسارات من صنع الخيال (تبعاً لمنطق الخرافة) دون أي قانون علمي للتناظر في الأشكال أو في الأبعاد ولا حتى في المواقع النسبية ؛ ولم تكن هذه جميعاً تعدو أن تكون أشكالاً رمزية .

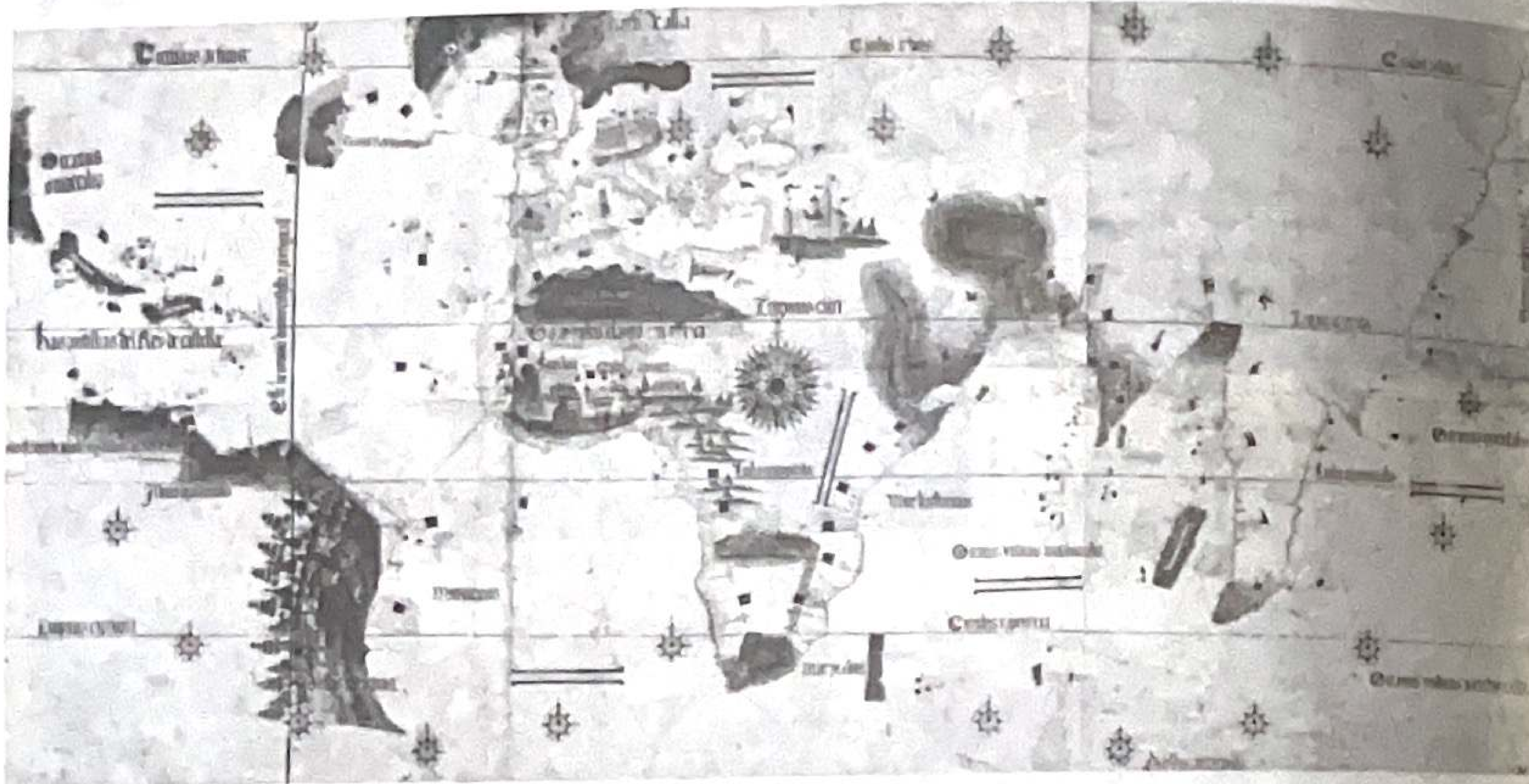
وفي الفترة من ١٢٧٠ إلى ١٣٢٠ عادت إلى الظهور هندسة إقليدس التي تمكّن العلم بفضلها من بناء الفراغ ، كما ظهر علم الفلك الذي أرسى أسسه بطليموس ونقله المسلمون ، وعلم البصريات لأبولونيوس وبطليموس ، وعلم الطب لأبقراط وجالينوس وابن سينا . كذلك بدأت تظهر علوم الحساب والجبر الهنديّة الإسلامية بينما جاء من الصين «مؤشر القطب الحجري» الذي غدا في البحر المتوسط بوصلة حقيقية . وفضلاً عن ذلك اكتشف المبشرون والتّجار قارة آسيا بمساحاتها الشاسعة كما عرف الناس وجود طرق القوافل عبر الصحراء .

وعلى أساس هذه المعارف وُضع أول نظام لرسم الخرائط بمساعدة اتجاهات الرياح وتقدير المسافات .

فيتورينو ماجالهايس جودنهو . مؤرخ برتغالي . تقلّد منصب وزير التربية والثقافة ودرّس في جامعة العلوم الإنسانية والاجتماعية في لشبونة . رئيس الرابطة البرتغالية للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي . صدرت له عدة مؤلفات يُذكر منها : (اقتصاد أوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر) ، معهد البحوث التاريخية ، باريس ؛ و (الذاتية الثقافية والنزعة الإنسانية العالمية) المعهد البرتغالي للتعليم عن بُعد .

وأمكن آنذاك تكوين تصوّر سليم عن البحر الداخلي (فيما عدا قدْر من المبالغة في طوله) الذي أصبح محور التصوّر العلمي للأرض المسكونة التي كانت تمتد حتى كاثي (الاسم الذي كان يطلق على الصين في العصور الوسطى) طبقاً للمعلومات التي نقلها رحال القوافل الذين جابوا الدروب الآسيوية .

وإذا شئنا أن نكوّن فكرة عن العالم كما كان يُتصوّر بين عامي ١٣٧٥ و ١٣٨١ ، فما علينا إلا أن نقلّب صفحات الأطلس القطالوني الذي وضعه الأخوان كرسْكس من مايوركا ، فسنرى بين زخارفه الرائعة الخلفاء وهم على ظهور الإبل في أفريقيا ، وفي الشرق ملوك الذهب ، ومدن آسيا الغنية ، وسفن المحيط الهندي الشراعية والسفن الحربية الشراعية في اتجاه ماديرا وجزر الكناري . غير أن الجزر البريطانية رُسِمت فيه بصورة غير متقنة ، وكلما ابتعدنا عن محور المعرفة العلمية وأصول القياس ، تشوّشت



الخريطة المعروفة باسم «خريطة دي كانتينو» والتي يرجع تاريخها إلى عام ١٥٠٢ . وفيها تظهر لأول مرّة في تاريخ رسم الخرائط قارة أفريقيا كاملة بحدودها الحقيقية كما تظهر الهند كشبه جزيرة مُثلّثة وكذلك جنوب شرقي آسيا وإن كانا مشوهين قليلاً في اتجاه الطول أو اتجاه العرض . وقد مُثّلت فيها أيضاً المساحات الشاسعة لكل من المحيط الهندي والمحيط الأطلسي .

تصوير © زنكاجليا ، مودينا/مكتبة استنسه ، مودينا

الدلائل واختلطت الإشارات مثلما هو الحال بالنسبة لجنوب شرقي آسيا على سبيل المثال . ومع ذلك فإن التصوّرات الخرافية تبرز دائماً في خرائط هذا الأطلس كما في غيرها من خرائط القرنين الثالث عشر والرابع عشر .

ولعله كان ابتداء من القرن الحادي عشر وحتى منتصف القرن الثاني عشر على أكثر تقدير ، أن أخذت الشعوب تستقر على شواطئ البحار من الوادي الكبير إلى سواحل المانش وأيرلندا الشمالية ، مُنشِئة مرافئ للملاحة أخذت - انطلاقاً من أنشطة متواضعة في مجال الصيد وغيره ومن المجال التجارية التي كان يديرها مسلمون - تكوّن حتى القرن الرابع عشر شبكة من الطرق والمبادلات في سلع يذكر منها حديد بسْكاي وقصدير كرنوول ، وملح الأندلس وسيتوبال وتيخو وأفيرو وبرواج وساحل بريتانيا ، والأنبذة الأندلسية والبرتغالية وأنبذة بوردو ، وأصواف قشتالة وبلاد ويلز والمِدلاند البريطانية ، وكتان أيرلندا ومينهو ، والأسماك من جميع المناطق ، كما ظلت صناعة بناء السفن نشطة بفضل أخشاب جبال كانتابريك واللاند وغيرهما من الأماكن .

وكثيراً ما يقال أن هذا النشاط البحري مردّه إلى الأخذ بأساليب صناعة بناء السفن الشراعية الحربية التي كان يمارسها أهل جنوة في البحر المتوسط ، ومع ذلك فإن السفن المذكورة لم تكن مجدية إلا في المعارك البحرية وكانت سفن المحيط الأطلسي من تصميم وصناعة سكان البلاد المشاطئة لذلك المحيط . فمن خليج بسْكاي جاءت سفن الكوج Cog (وهي من سفن العصور الوسطى قصيرة ومستديرة) التي استُخدمت كنموذج للسفن الشراعية التجارية الإيطالية والقطالونية . وربما كان في مرافئ الساحل الشمالي لأسبانيا أن اختُرِعت الدفة ذات المفصلة لتحلّ في توجيه السفينة محل المجاديف الخلفيين . غير أنه من المؤكد أن الشراع المثلث جاء من البحر المتوسط بينما أسهمت البلاد الاسكندينافية وبحر الشمال بإدخال تحسينات على بدن السفينة وأجزاء أخرى منها .

كذلك لم يكن مجيء التجار الإيطاليين أو القطالونيين هو الذي نشّط التجارة بمنطقة المحيط الأطلسي ، وإنما كانت شبه الجزيرة الأيبيرية هي التي أرست من القرن الحادي عشر إلى القرن الخامس عشر - بفضل تطوّر نشأ في داخلها - كل أسس التوسّع البحري والتجاري .

ولئن كان ضم جزر الكناري في القرنين الرابع عشر والخامس عشر قد تم أساساً على أيدي مجموعات من قطالونيا وفالنسيا والأندلس والبرتغال بهدف أسْر العبيد لاستخدامهم في مزارع قصب السكر والحصول على جلود الفقم لصناعة الأحذية وغيرها من الصناعات ، وكان النورمنديون قد استعمروا الأرخبيل في بداية القرن الخامس عشر ، فإنه لا ينبغي اعتبار تلك الفترة ◄

الصفحات الملوّنة

الصفحة المقابلة (أعلى)
واحد من سكان أستراليا الأصليين يصطاد سمكاً بخطاف بشبه جزيرة جُوف في خليج كارينتاريا . وهو يتربص فريسته في حركة الجزْر ويسدد إليها خطافه بمهارة ودقة بالغة .

تصوير : © فولكو كليتشي ، روما

الصفحةالمقابلة (أدنى)
صيادو سمك على بحيرة بتسكوارو بالمكسيك يصطادون بشباك على شكل الفراشة يطرحونها عبر مقدّم الزورق .

تصوير : جورج جوستر © رافو ، باريس

صفحة الوسط اليمنى

أعلى ، سباق يُجريه سكان ساموا في زوارقهم الطويلة السريعة وقد ساهمت في صنعها المهارات التي مكّنت شعوب منطقة المحيط الهادي من أن يستكشفوا في الأزمنة الغابرة أعظم محيطات الأرض اتساعاً .
أدنى ، مباريات سباق تقليدي بين أطقم زوارق صيد ترعى إقامتها على نحو متزايد في الوقت الحاضر شركات ومؤسسات تجارية .

تصوير : حاك فيلدز © رافو ، باريس

تصوير : ريفيرا © أطلس فوتو ، باريس



تصوير : © إدفيتا ، باريس

«النزول في الآسور» لوحة جدارية رسمها عام ١٥٨٠ الفنانان الإيطاليان فابريسيو كاستيلو ونيقولا جرانيل . وهي توجد الآن في «قاعة المعارك» بدير سان لورنسو دي الإسكوريال في أسبانيا . وفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر كانت الكرافيل أقدر أنواع السفن على القيام بالحملات الاستكشافية الكبرى .

نقطة انطلاق حركة الاكتشافات أو بدء اقتراب محور النشاط من المحيط الأطلسي . ذلك أنه سوف تمرّ عشرات السنين قبل أن تترك قشتالة سفنها تبحر من موانئ الوادي الكبير بحثاً عن الذهب في ساحل مينا (في غانا الحالية) أو تكتشف طريق الغرب إلى زيبانجو (اليابان) وكاثي (الصين) . وفضلاً عن ذلك فإن الفرنسيين والإنجليز لن يوجّهوا كل اهتمامهم نحو المحيط إلا قرب نهاية القرن السادس عشر . وبذلك تكون الاكتشافات الكبرى هي الاستجابة التي صدرت عن البرتغاليين أساساً في ظروف الكساد الذي عانى منه العالم المسيحي (وغيره) طويلاً في القرنين الثالث عشر والرابع عشر .

وكان في حوالي منتصف القرن الخامس عشر أن بدأت تنحسر موجة الكساد الذي طال أمده ، وعندئذ بدأ البرتغاليون يهتمون بتوابل أفريقيا فضلاً عن العاج الذي كانوا يسعون إلى الحصول عليه من قبل . غير أنه لم يكن قبل عهد يوحنا الثاني ملك البرتغال في ثمانينات القرن الخامس عشر أن بدأوا يوجّهون أبصارهم نحو التوابل والعقاقير الآسيوية ويعملون على ربط مجموعة بلاد وجزر الشمال الغربي الأفريقي بطريق رأس الرجاء الصالح ؛ وقد حدث ذلك في نفس الوقت الذي جرت فيه رحلات كرستوفر كولُمْبس والأخوين كورتريال ـ البحّارين البرتغاليين اللذيْن اكتشفا لبرادور ونيوفوندلند وجرينْلند .

وسوف تتحقق عندئذ ثلاثة تحديدات يترتب عليها فتح أبواب المحيطات . أولها التخلي ، لأغراض هذا النوع من الإبحار ، عن السفينة الحربية الشراعية التي لم تكن أصلح للحملات الاستكشافية من القرقور الثقيل أو السفن التي تجمع بين الأشرعة والمجاذيف . ففي الفترة من ١٤٤٠ إلى ١٤٥٠ صنع البرتغاليون الكرافيل (وهي سفينة سريعة بثلاثة صوار أو أربع) المقتبسة مما سبقها من أنواع السفن الإسلامية والنوردية والأطلسية . وكانت بالغة الطول بالقياس إلى عرضها مزوّدة بدفة محورية مِفصلية وأشرعة مُثلّثة تتيح لها الملاحة بمحاذاة الريح وكانت خفيفة وصلدة وسهلة القيادة .

وتمثّل التحديد الثاني في أنه إذا كانت الكرافيل قد أتاحت غزو المحيط ، فذلك لأنها اقترنت بأسلوب جديد في الملاحة . ولم يكن الأمر آنذاك أمر تجريب علميّ ، إذ أن اتخاذ الموقف العلمي لم يتحقق إلا بالتدريج . ومع ذلك فقد بدأ نوع من الاستكشاف المنظم وبدأت المواجهة بين الخرافات والظواهر المشاهدة وتسجيل حركة الرياح والتيّارات ومعالم الطريق والأعماق وإيجاد الوسائل الكفيلة بتحديد مواقع السفن ومسارها في أعالي البحار وربما على مسافة مئات الأميال من الشاطئ . وأتاحت المراقبة الليلية المنتظمة لارتفاع النجم القطبي مقترنة بأجهزة وأدوات وعمليات رصد أخرى ، تحديد المسارات في عرض البحر ولاسيما طرق العودة أو الطرق المفضية إلى جزر نائية في المحيط . وفي ثمانينات القرن الخامس عشر تطورت هذه الممارسات البحرية المنظّمة إلى الاعتماد على الأفلاك والنجوم في الملاحة مع الاسترشاد في ذلك بالمصادر العلمية اليهودية والإسلامية . وأُعيد اكتشاف أعمال بطليموس وغيره من العلماء الأقدمين التي ستتيح الطباعة نشرها في أواخر القرن الخامس عشر . وأصبح خط العرض الذي يُحْسب انطلاقاً من ارتفاع خط الزوال براً وبحراً أساس الأسلوب العلمي لرسم الخرائط .

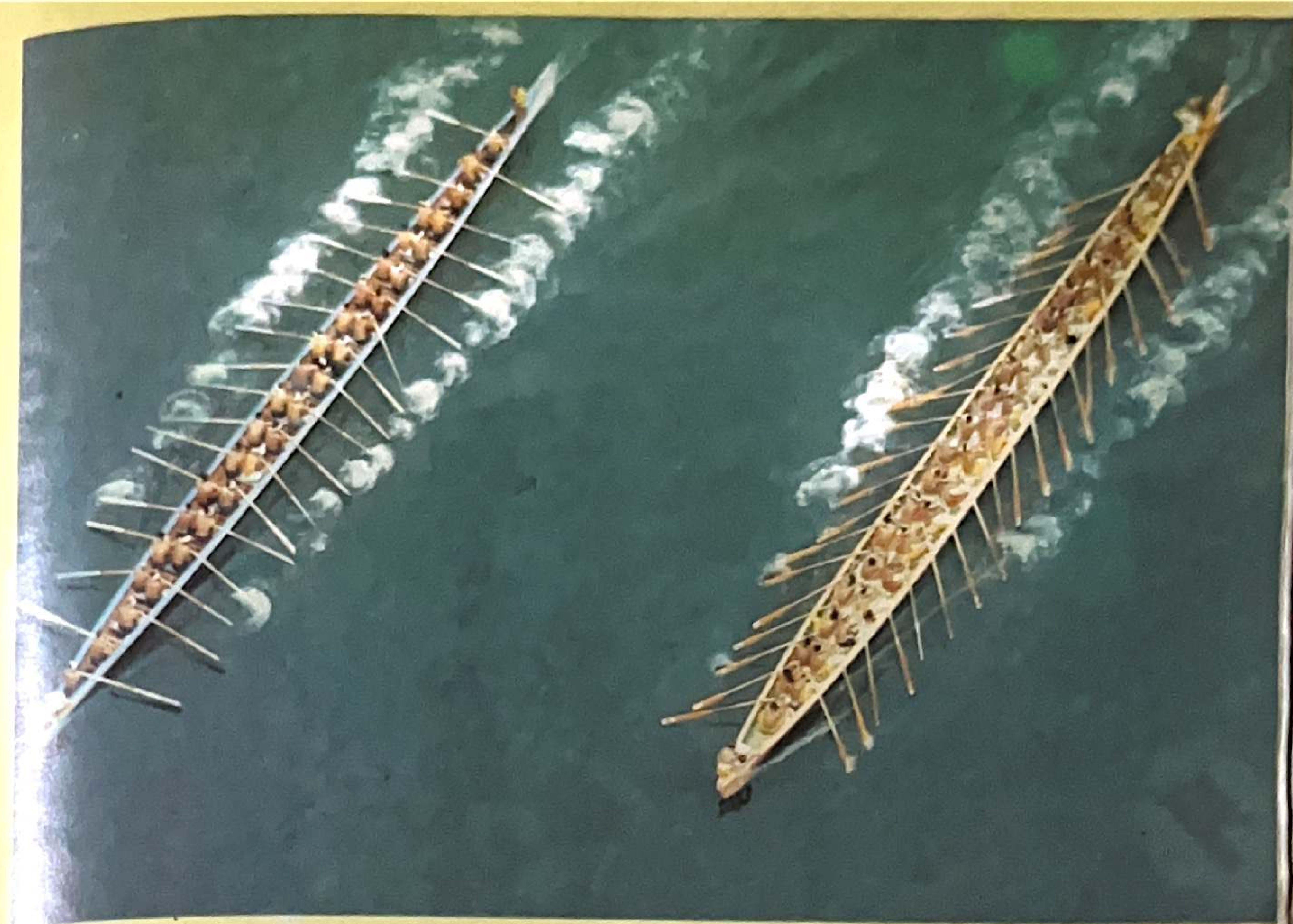
ويتمثل «التحديد» الثالث في أنّ تقدُّم فنون المدفعية وإمكانية حمل المدافع على ظهور السفن مكّنا السفن الكرافيل والبوارج المسلحة تسليحاً قوياً من السيطرة على المحيطات وفرص الاتصال بحضارات أخرى .

وكان الدافع إلى هذه الاكتشافات هو الوضع

البقية في الصفحة ٢٧







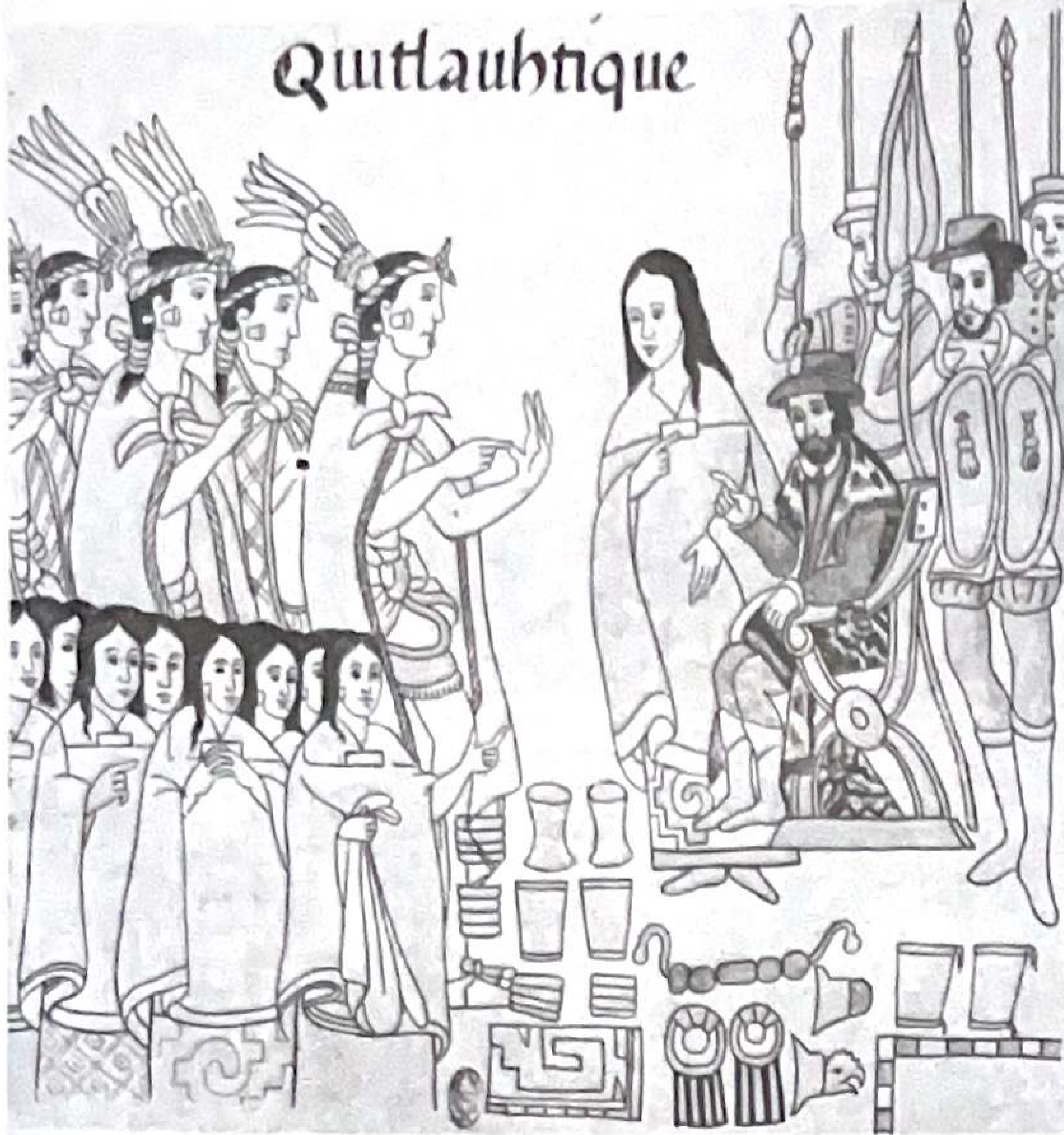
الصفحات الملونة

صفحة الوسط اليسرى

أعلى ، فرد من الإسكيمو على زورقه المعروف باسم الكاياك . وقد جرت العادة بصنع الكاياك من الخشب المكسو بجلد الفقمة أو بجلد حيوان آخر ، ويفضله الصيادون لأنه يمكّنهم من الاقتراب من فرائسهم في سكون . أدنى ، زوارق صيادين على أحد شواطئ السنغال على المحيط الأطلسي .

تصوير لبارو © أطلس فوتو ، باريس

تصوير دومينيك روجيه ، اليونسكو



تصوير © جان ـ لو شارميه ، باريس صورة بالفاكسيميل لمخطوط مكسيكي عنوانه **Lienzo de Tlaxcala** ويرجع تاريخه إلى القرن السادس عشر مكتبة جامعة السُّربون ، باريس

«لامالنشه» بين مُنتزوما إمبراطور الآزتك وهرناندو كورتيس الفاتح الأسباني . وكانت لامالنشه من أصل أزتكي وبيعت للمايا كأَمَة ثم وهبت للأسبان فاتخذها كورتيس ترجماناً ومستشاراً وعشيقة فحملت منه ولداً . وطالما عدّها أهل المكسيك مثالاً لخيانة القيم الأصيلة والخضوع للنفوذ الأوروبي والثقافة الأوروبية . ولكن البعض يرون فيها اليوم رمزاً لتمازج الثقافات وبشير مستقبل بلادها التي لم يكن لها أن تكون أسبانية أو أزتكية وإنما مكسيكية . ويذهب الكاتب البلغاري تيفيتان تودوروف إلى أبعد من ذلك فيقول إنها ترمز لبشر جميعاً في الوقت الراهن نظراً لأننا ، وإن لم نكن جميعاً مزدوجي اللغة ، ننتمي لا محالة إلى ثقافتين إن لم يكن إلى ثلاث .

الصفحة المقابلة

فسيفساء من سمك يلهو يُحلّى بها حوض رومالي للزينة في أوتيكا بتونس . وكانت أوتيكا مستوطنة أنشأها بحارة فينيقيون في القرن الثامن أو السابع قبل الميلاد فغدت فيما بعد المركز الإداري للقسم الأفريقي من الإمبراطورية الرومانية .

تصوير لاروس © رافو ، باريس

تابع الصفحة ٢٢

الاقتصادي الذي تمخض عنه الكساد الكبير وكذلك ما اقترن بمجموعة الابتكارات التي حدثت في خمسينات القرن الخامس عشر من عكس للاتجاه . وسوف تظهر مجموعات أخرى من الاختراعات أثناء الفترة الممتدة من أواخر القرن الخامس عشر حتى مطلع القرن السابع عشر . وكان اكتشاف أشياء لم تكن معروفة وجمع ما نشأ من معارف ومعلومات يتطلبان أساليب جديدة في التفكير والبحث اندرجت كلها تحت كلمة «التجربة»* التي طالما استُخدمت من قبل ولكنها تكتسب من الآن فصاعداً معنى جديداً .

وبطبيعة الحال ، لا ينبغي الغض من شأن الثورات الفكرية السابقة . من ذلك مثلاً أن العرب الذين كانوا يسيطرون على المحيط الهندي كله وعلى الاتصالات مع الشرق الأقصى كانوا يمتلكون ، كما شرح ابن خلدون في ١٣٧٤ ـ ١٣٧٨ ، صحيفة رسمت عليها الأجزاء اليابسة من الأرض بصورتها الصحيحة وبحدود سواحلها . وأطلق على هذه الصحيفة اسم **القنباص** Compass (البوصلة) نظراً لأن الإبرة الممغنطة استخدمت في رسمها . وقد حددت عليها مواضع هبوب الرياح واتجاهاتها مما أتاح للملاحين معرفة وجهتهم أثناء رحلاتهم . ولكن ابن خلدون يردف قائلاً إن شيئاً من هذا لم يكن متوافراً بصدد البحار المحيطة باليابسة ، الأمر الذي كان يمنع الملاحين من خوض غمارها . ذلك أنه إذا غابت الشواطئ عن أنظارهم لم يعرفوا كيف يعودون ، لا سيما وأن الأبخرة الطافية في الجو كانت تحول بينهم وبين الإبحار .

وإذا أردنا أن نقيس مدى التقدم الذي تحقق في ١٢٥ عاماً بفضل الكرافيل وغيرها من الاكتشافات الكبرى فحسْبنا أن نقارن الأطلس القطالوني بالخريطة البرتغالية التي تُعرف باسم دي كانتينو وتحمل تاريخ عام ١٥٠٢ . وسنجد لأول مرة القارة الأفريقية كلها مرسومة بصورتها في الواقع (وإن كانت أطول قليلاً) كما صُوّرت الهند على هيئة شبه جزيرة مثلثة وإن كانت أقصر وأبسط من الواقع . ولئن كانت الهند الصينية قد بُولغ في تضخيمها وامتدت جنوباً إلى أبعد مما ينبغي ، ولئن لم تكن سومطرة قد رسمت في مكانها الصحيح (فالبرتغاليون لم يكونوا قد تجاوزوا بعد رأس ملابار شرقاً) فإن المساحات الشاسعة للمحيطين الهندي والأطلسي قد صُوّرت على نحو مرضٍ ، حيث توسطت المحيط الأطلسي جزرُ الأنتيل ، وجاءت في شماله أرض ملك البرتغال (لبرادور ونيوفوندلند) وفي جنوبه البرازيل التي لم تكتمل بعد حدودها الساحلية كذلك تمتد آسيا شمالاً حتى اسكنديناڤيا . ولم يحدث إلا ببطء شديد أن تميّزت الأمريكتان ككتلة واحدة يفصلها عن القارة الآسيوية والقارات الجنوبية المحيط الهادي بمساحاته الشاسعة .

وكانت خريطة نصف الكرة الأرضية التي رسمها روييش عام ١٥٠٨ والكرة الأرضية لشونر في ١٥١٣ وخريطة العالم لأبيانوس في ١٥٢٠ والخريطة التي أعدّها فرانشيسكو روزيللي عام ١٥٣٠ ـ لا تزال كلها تُظهر جرويلند ونيوفوندلند متصلتين بآسيا على حين يتصل المحيط الأطلسي بالمحيط المتاخم للشواطئ الآسيوية سواء بين نيوفوندلند وجزر الأنتيل أو بين جزر الأنتيل والبرازيل . البرازيل التي تعدّ القارة الجنوبية في الجغرافية التقليدية وتعدّ أحياناً مجرد جزيرة . وعلى الـ Globo Dourado (الكرة الأرضية الذهبية) التي ظهرت عام ١٥٢٨ تُصوَّر الأمريكتان على أنهما كتلة أرضية متماسكة تمتد من الشمال إلى الجنوب ولا تنفصل عن القارة الجنوبية إلا في طرفها الجنوبي ، على حين تبدو الكتلة اليابسة كلها مُدمجة في الكتلة الآسيوية الضخمة . وتأتي أسبانيا الجديدة في مانجي (جنوب الصين) بينما تحاذي كاثي خليج المكسيك وفلوريدا ، إلا أن البحر يفصل جرويلند عن أرض القد ◀

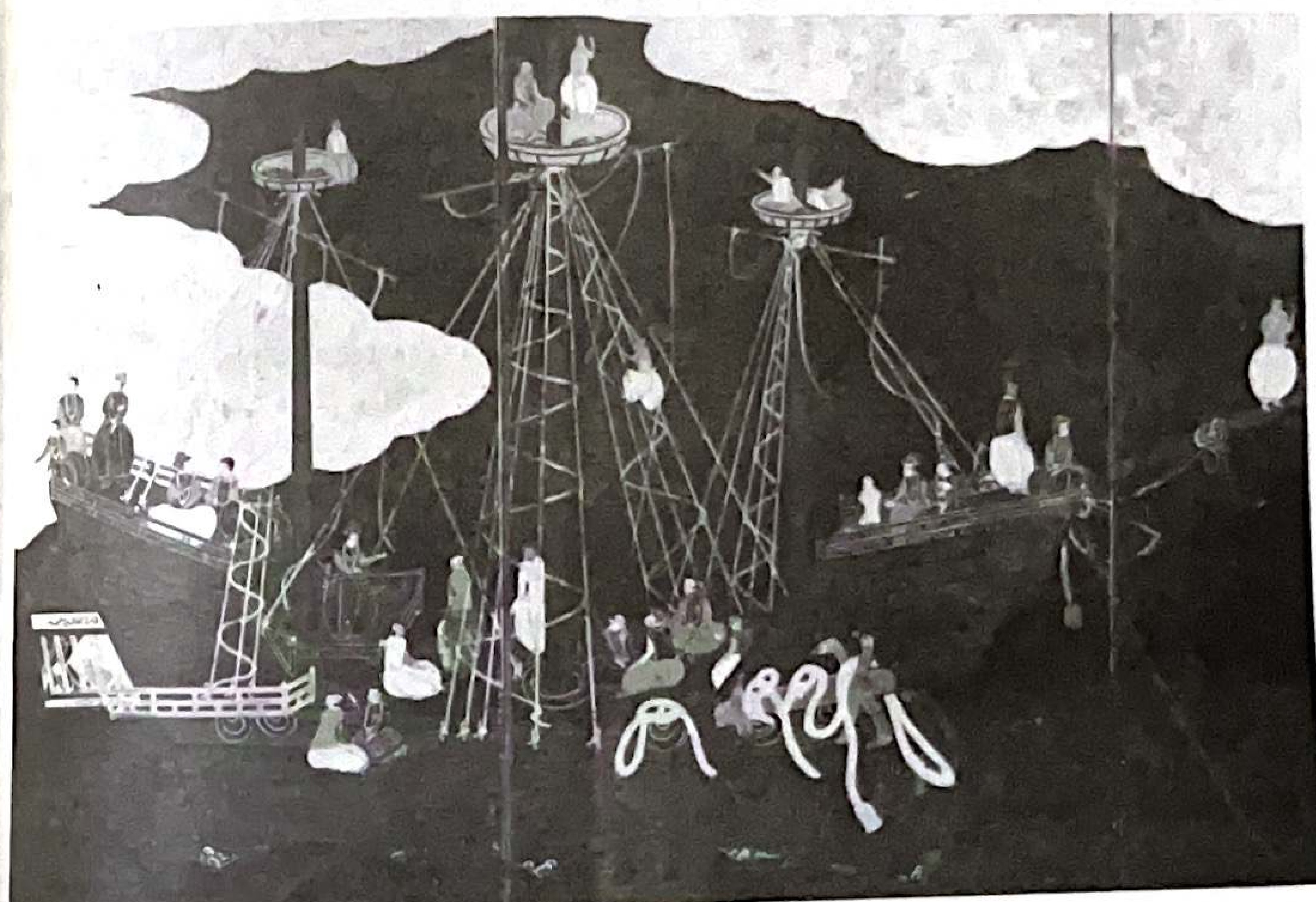


مقطع من بساط يرجع تاريخه إلى القرن السادس عشر ويوضّح وصول الملاح البرتغالي فاسكو دي جاما إلى كاليكوت (الهند) عام ١٤٩٨ .

(نيوفوندلند) . ومنذ عام ١٥٠١ غدا مفهوم الأمريكتين بوصفهما قارتين ، على نحو ما يظهر في النسخة المعدلة من خريطة كانتينو ، هو المفهوم المعتمد في البرتغال .

وتمثلت ثورة هامة أخرى في أسلوب التفكير (بعد ثورة القرن الثالث عشر) في رسم خريطة عامة للكرة الأرضية استناداً إلى خطوط عرض حددت على أسس علمية وتظهر عليها شبكة الطرق العالمية وتوزّع البشر فيها على كافة أنحاء الكوكب . وهكذا نشأ نظام لجمع وتنظيم المعلومات تضافرت على بنائه ملاحظات رجال القوافل ومشاهدات ربابنة السفن في ظروف هيأتها دوافع التوسّع والتجارة .

ولأول مرة يعمل الناس استناداً إلى أسس مادية لا إلى أسس رمزية أو خرافية ، إلى شيئ أنشأوه هم وحدّدوه - الفراغ والمسافات - ويمكّنهم من إرساء تصرفاتهم على أساس من التفكير المنطقي . لقد ظلت الأرض خلال آلاف السنين بمثابة شريط لا يلتقي طرفاه ولم تكن الأمريكتان حينذاك معروفتين كما لم يكن المحيط الهادي ؛ ولم تكن هناك اتصالات إلا بين أوروبا وأوراسيا وأفريقيا شمالي خط الاستواء أو بين شرق أفريقيا والشرق الأقصى . وكان العالم وقتئذ مرصّعاً بعدد من الثقافات والحضارات التي كانت تجهل بعضها بعضاً وليس بينها إلا اتصال ضئيل إن وجد . وكانت الوسائل الفكرية والتقنية المتوافرة في ذلك الحين تقصر دون تقديم تصوُّر شامل للكرة الأرضية في تنوعها وتقسيماتها ووحداتها ، ولم يكن ثمّة ما يضمن عودة المسافر إلى الميناء الذي بارح منه وطنه . وكانت الحقائق الواقعية متفرقة متناثرة في عالم تسوده الجغرافيا الخرافية والكائنات الخيالية . ثم توافر للإنسان نظام يمكّنه من تصوير هذا العالم بطريقة يمكن التحقّق من صحتها والاطمئنان إليها في الانتقال والاتصال ، وسقطت كثير من الحواجز التي كانت تفصل بين الأمم واختفت فراديس الأرض Eldorados والجزر الخرافية ذات النضرة الخالدة والممالك المزدهرة المشيّدة كلها بالذهب والأحجار الكريمة ، كما اختفت العوالم



تصوير © جيرودون ، باريس . متحف جيميه ، باريس

وصول البرتغاليين إلى اليابان . يقف هذا المقطع من ستار ياباني زيّنه في القرن السادس عشر فنانون ينتمون إلى مدرسة كانو ، شاهداً على الأثر الذي تركه الأوروبيون على الفن الياباني بالرغم من قصر فترات الاتصال . فبعد وصول البرتغاليين إلى اليابان وفي أعقاب فترة السنتين التي قضاها القديس فرانسيس كسفاريوس مبشراً في اليابان ، أجرى اليابانيون عدة محاولات تجريبية لاستيعاب بعض جوانب الفن الغربي . وهذا النموذج من الفن الآسيوي الأوروبي ياباني محض في أسلوبه ولكنه يتناول موضوعات وأحداثاً ذات صلة مباشرة بالأوروبيين .

المسيحية المفقودة والصحاري التي لا يمكن اجتيازها لأن حرارتها نار موقدة والبحار التي تغلي مياهها والعمالقة الذين يثيرون الرعب في القلوب والأقزام الذين تنطوي عليهم بطون غابات لا سبيل إلى اختراقها .

وساد مفهوم كُرَوِيّة الأرض وإن ظلت بعض الأوساط تتمسك بأهداب ما انطوت عليه الكتب من أساطير وخرافات . وظل كتاب Sphaera Mundi (للرياضي والفلكي الإنجليزي جون هوليوود المعروف أيضاً باسم Sacro Bosco - القرن الثالث عشر) أساسَ جانب كبير من التعليم بل والتدريب العملي . وقد ظهرت منه ثلاثون طبعة في الفترة من ١٤٧٢ إلى ١٥٠٠ وأكثر من أربعين طبعة من ذلك التاريخ وحتى عام ١٦٤٧ . كذلك نُشِرَ على نطاق واسع كتاب Imago Mundi وظل طويلاً حُجّة في بابه ؛ مثلما طُبِعَ كتاب Auto das Sete Partidas في عدد كبير من النسخ ، والمعروف أنه الكتاب الذي يتضمن الخطاب الذي يُزعَم أن يوحنا القس Prester Johan قد كتبه لملوك الغرب يصف لهم فيه مملكته .

والواقع أنه كان انطلاقاً من الملاحة أن عمد الناس إلى تنحية الجغرافيا الخيالية جانباً وردّها إلى بطون الكتب بعيداً عن الممارسات التجارية والبحرية . وقد رُسّخت وحُلّلت فكرة كُرَوِية الأرض وسيقت لها البراهين العلمية - الظل أثناء كسوف الشمس والطريقة التي تختفي بها السفن في الأفق والطواف البحري الذي قام به ماجلّان ونائبه إلكانو . وستمهِّد المناقشات التي دارت حول طول درجات خطوط العرض وخطوط الطول - من ٢/٣ ١٦ فرسخ إلى ١٨ فرسخاً مروراً بـ ١٧ فرسخاً و ١/٢ ١٧ فرسخ - لإقدام الأكاديميات العلمية (وخاصة الفرنسية) على إنشاء المقاييس الموحّدة في القرن السابع عشر . ومن الأمور التي أكّدت الطابع العلمي لرسم الخرائط تزويد ظهور السفن بساعة بحرية مثبتة على مِفصل متحوّل (Cadran : باسم مخترعه الإيطالي) واستخدامها في أغراض حساب خطوط الطول . وقد أثبتت التجربة والحجج المنطقية السديدة وجود المتناظرات (كل مكانين يقعان في جهتين متناظرتين من الكرة الأرضية) كما أثبتت خطأ الفكرة القائلة بأن المناطق الشديدة الحرارة والمناطق القطبية غير صالحة للسكنَى . ويتجلى هذا الأسلوب الجديد في التفكير القائم على التجربة والبرهان العقلي بوضوح في



تصوير © المتحف الوطني للفن القديم ، لشبونة

هنري الملاح (١٣٩٤ - ١٤٦٠) . مقطع من مُصرَّعة سان فينسنه التي رسمها الفنان البرتغالي نونيو جونثالفيس وتحفظ الآن بمتحف الفن القديم في لشبونة . وكان هنري أمير البرتغال قد قرر ، على أثر انتهاء حملته التبشيرية في المغرب «أن يبسط نفوذ المسيحية إلى أقصى أطراف المعمورة» ، فدعا إلى قصره في ساجْرِس جميع المغامرين الذين طافوا أرجاء البحار ، ودعا معهم تجاراً عرباً ، ورسامي خرائط يهوداً ، وربابنة سفن من البندقية وجنوة ، ورهباناً إيبيريين وعلماء فلك ألمانيين . وفي حوض بناء السفن الذي كان يمتلكه في رأس سان فينسنه صُنع نوع جديد من السفن - الكرافيل - يجمع بين أفضل مزايا وسائل النقل البحري المتوافرة آنذاك . وأمر هنري الملاح ربابنة سفنه بأن يولّوا البحر المتوسط ظهورهم ويتجهوا بسفنهم عبر المحيط الأطلسي نحو الجنوب مباشرة . وكانت ثمرة ذلك المشروع أن تمكنت كرافيلات الأمير البرتغالي من استكشاف السواحل الغربية لأفريقيا فوصلت إلى السنغال وبلغت ، قُبيل موت الأمير ، خليج غينيا .

كتاب Tratado de Esfera لجوا دي كاسترو (ربما يرجع تاريخه إلى ١٥٣٦) مخترع رحلات الاستكشاف العلمي ورائد علم المحيطات .

وعلى هذا النحو ستؤدي رحلات الملاحين ورجال القوافل وعمليات البحث عن سلع وأسواق جديدة إلى تحصيل المعارف (بفضل الخرائط المرسومة على أسس علمية) عن دول وأمم ومنتجات ومواقع ومناظر طبيعية وأناس ذوي عادات متباينة في قارات أوروبا وأفريقيا وآسيا وأمريكا . وقد توافرت فيما بين عامي ١٥٦٠ و ١٥٧٠ كتابات تتناول جانباً كبيراً من الأرض - من الصين واليابان إلى البرازيل وغينيا ، ومن كندا حتى رأس الرجاء الصالح . كذلك اشتملت سجلات السفن وكتب الموازين والمقاييس والجغرافيا والمدوّنات بكافة أنواعها ، على معارف تتسم بقدر معقول من الدقة وتتناول الكوكب كله : أرضه وبحاره ، شعوبه ومناظره الطبيعية .

وقد أوجزت ملحمة Lusiads (١٥٧٢) التي كتبها الشاعر البرتغالي كاموينس ، حصيلة هذه المعارف الجديدة ، فأثبتت أن الإبداع لم يعد يقتصر على المعجزات والأساطير التي ليست سوى أسلوب شاعري للتعبير عن الواقع ولإقامة جسر - إنطلاقاً من هذا الواقع - إلى عالم اليوطوبيا والحب والخيال . وحتى قبل كاموينس كان دييجو فيلهو قد أنشد عام ١٥١٦ قصيدته التي جاء فيها :

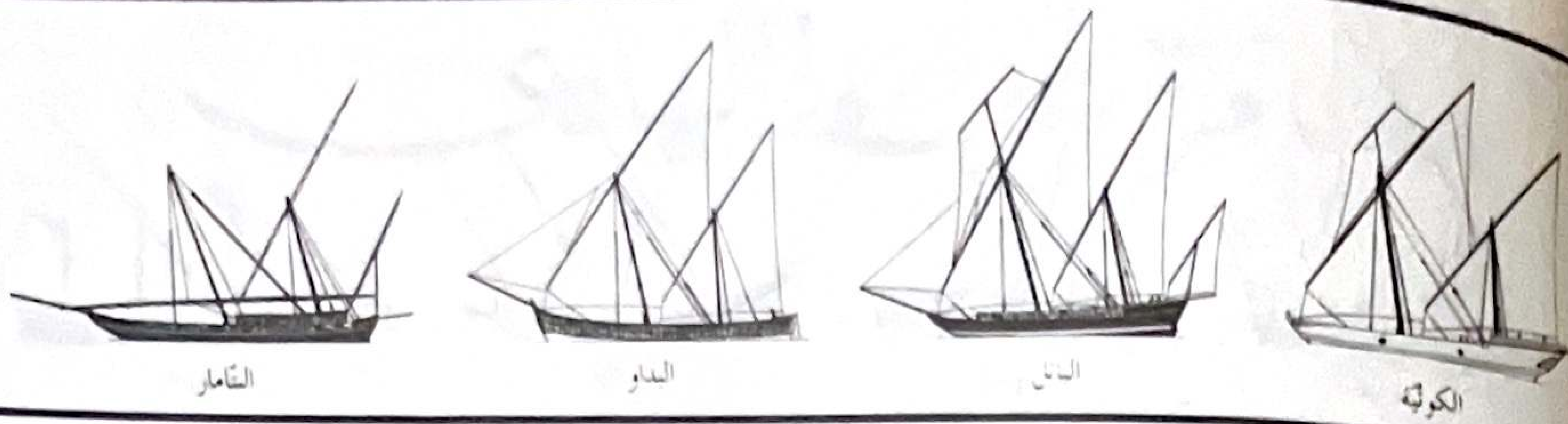
الأشياء الجديدة ماثلة ،
بادية الوضوح أمام أعيننا .
وإن عالماً كهذا العالم
لم يخطر على بال أحد قط . ■

فيتورينو م. جودينهو



هذا الصحن الفضي الذي يرجع تاريخه إلى القرن السادس عشر تزيّنه نقوش تمثل فيلة وأشجار نخيل ومناظر أخرى غريبة مستوحاة من أفريقيا . ويرى في وسطه الشعار الملكي للبرتغال في ذلك العهد .

تصوير : © المتحف الوطني للفن القديم ، لشبونة



الدّهو: سيّد المحيط الهندي

بقلم : كليف هوكنز

قبل مولد النبي محمد (صلعم) (٥٧٠ ميلادية) بألف سنة ، كان البحّارة العرب يسافرون في مياه الخليج على متن نوع جديد من المراكب ، عريض قليل الغور ومزوّد بشراع ثلاثي الجوانب ، يُعْرَف اليوم باسم عام هو الدّهو . وسرعان ما أصبح هذا الدهو بشتّى أشكاله المحلية سيد المحيط الهندي دون منازع بالنظر إلى سهولة قيادته وقت هبوب الرياح الموسمية .

يحق للدّهو أن يفخر بأنه المركب التاريخي للمحيط الهندي . ويُعْتَقَد أن أول من استخدموا الدهو كانوا يزاولون نشاطهم انطلاقاً من مينائَيْ كامبي وغوغا بولاية غوجارات في الهند حتى بلاد فارس (إيران) والعراق بين عامي ٢٥٠٠ و ١٥٠٠ قبل ميلاد المسيح . وقبل أن يصل البرتغاليون إلى المحيط الهندي بوقت طويل ، كانت الأدهاء العربية تزاول نشاطها التجاري مع مَلَقَة والصين وبلاد الهند انطلاقاً من موانئ كاليكوت وكوشين وكيلون على ساحل مالابار . وقد انتشرت ديانتان كبيرتان حتى إندونيسيا الحالية وفيما وراءها نتيجة للتجارة العربية والهندية مع الشرق ، إذ أدخل المسلمون الدين الإسلامي قرابة القرن الثاني عشر وكان الهندوسيون قد أدخلوا ديانتهم قبل ذلك التاريخ .

وفي أثناء القرن الثاني عشر استوطن العُمانيون زنجبار بحيث أن الإمبراطورية العُمانية هي التي كان على البرتغاليين أن يقهروها عندما أبحر ألفونسو دي ألبوكيرك في المحيط الهندي . وفي تلك الأثناء كانت الأدهاء السريعة تلعب دورها في تجارة الرقيق المزدهرة وكان الخليج يؤوي أساطيل من الأدهاء العُمانية المجهّزة لخوض المعارك .

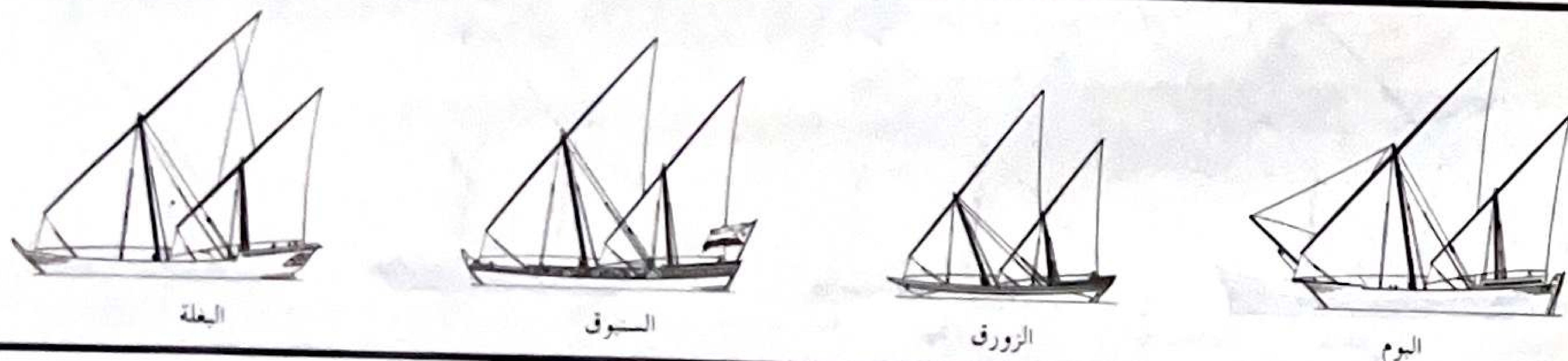
ويشكّل ساحل مالابار الهندي آخر معقل للأدهاء البحرية من الطراز القديم . وبالنظر إلى تقلّبات الطقس فإن نشاطها موسمي وكان كذلك دائماً . ولكن بين شهري نوفمبر/تشرين الثاني وإبريل/نيسان ، يعود البحر إلى الحياة إذ نُشاهد أشرعة بيضاء في لون القطن تُرقّط الأفق كما لو كان هناك سباق زوارق .

ولم يحدث إلّا مؤخراً ومع إدخال محرك الديزل أن أصبح الدهو في رحلاته أقل تأثّراً بتغيّرات الرياح الموسمية ، غير أنه حتى بعد تزويده بالمحركات لا يزال يُضطر إلى التوقّف عن العمل في الفترات التي يحتمل فيها أن تهبّ عواصف شديدة بدون سابق إنذار . وعلى ذلك فإن المرافئ الواقعة على الساحل العربي للهند تُغلَق كلها تقريباً في وجه الملاحة خلال موسم هبوب الرياح الجنوبية الغربية . ولكن أيّاً كان الموسم ، يظل عالم الدهو يرتسم كما لو كان هلالاً فوق بحر العرب من جزر القمر حتى شرقي أفريقيا والبحر الأحمر وجنوبي شبه الجزيرة العربية والخليج ، هابطاً نحو شبه القارة الهندية مروراً بلاكشادويب (جزر لاكاديف ومينيكوي وأمنديفي) وجزر المالديف وأندامان .

ومع الوقت يتعرّف المرء على الفرق بين التّامار pattamar **والبداو** padao **والباتل** batel ويعرف ما إذا كان الدهو يأتي من كوتش إلى الشمال من بومباي أو من مانجالور إلى الجنوب منها . ولكن للأسف لم يَعُدْ يتسنّى للمرء أن يميز بين **الكوتيه** kotia الهندية **والبغلة** baghla العربية بروافدها ذات النقوش المعقدة ، نظرا لأن الأخيرة لم تَعُدْ تستخدم منذ أربعين سنة أو أكثر . ومما يؤسف له أيضا أنه لم يبق إلا عدد ضئيل جدا من أنواع **الكوتيه** القديمة ذات الروافد المنقوشة . فقد حلّ محلها مركب ذو سرعة مدهشة ، يختلف عنها كثيرا في طابعه وإن كان يحمل الاسم نفسه ــ **كوتيه** . وهو يشترك معها أيضا في أنه يحمل في مُقَدَّمِه صورة رأس ببغاء ينظر إلى الداخل . وتحمل أيضا هذا الرسم ، وإن كان الببغاء ينظر إلى الخارج لا إلى الداخل ، **البداو** التي ترتاد منطقة بومباي ولا سيما خليج ماهم Mahim Bay حيث تُفرّغ الحصى المعدة للبناء تحت ظل حصن مغولي قديم .

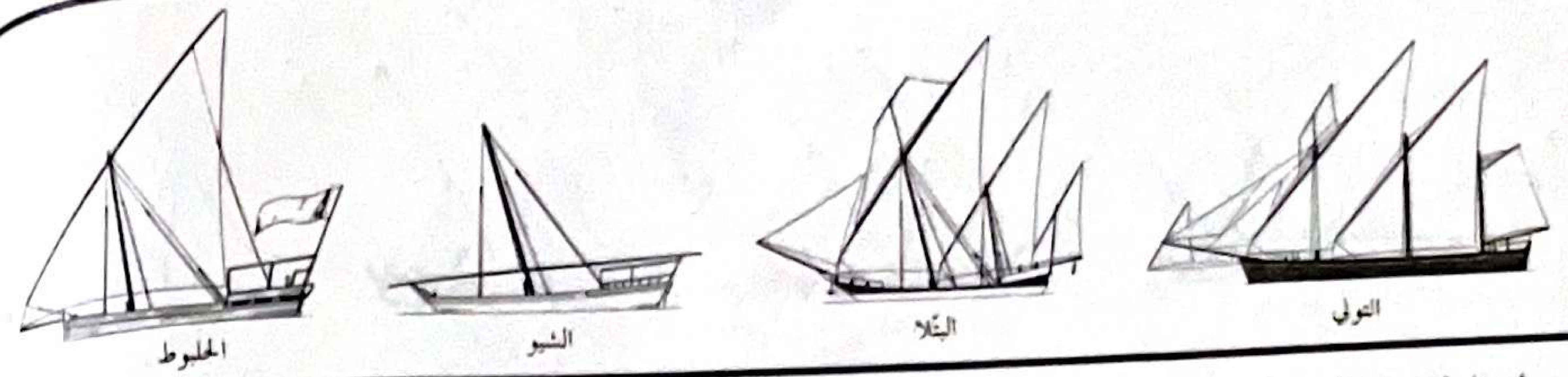
وأكثر أنواع الأدهاء انتشارا هي **السُّبوق والزورق** في منطقة البحر الأحمر **والبوم** boom **والجلبوط** jalbaut **والشيو** shewe في الخليج **والباتل والبتلا** battela **والتوني** thoni في الساحل العربي للهند . وثمة أيضا كثير من الأدهاء المزوّدة بمحرك◀

كليف هوكنز . نيوزيلندا . حجة في موضوع الأدهاء وله كتابات كثيرة في التاريخ البحري وتاريخ الملاحة . نُشر له علاوة على كتابه The Dhow (الدهو) ، Argosy of Sail: A Photographic History (أسطول شراعي : تاريخ مصوّر) (١٩٨١)، Praus of Indonesia (المراكب الشراعية الإندونيسية) (١٩٨٢) .



تصوير : © كليف هوكنز . نيوزيلندا

التوني «ماريا أنتوراخ» ، وقد بسطت كل أشرعتها ، تبرح ميناء فيرافال بولاية كوجارات في الهند



◀ وبخاصة من نوع **البوم والدانجي** dhangi . ويجب ألا يعزب عن بالنا شتّى أنواع المراكب المحلية التي تظهر كما لو كانت تكشف عن صفحة من صفحات الماضي مثل **الجهازي** jahazi في شرق أفريقيا **والأدام** odam في لاكشادويب .

وحتى السنوات القليلة الماضية ، كانت جزر المالديف ــ كما كانت كولومبو ــ تمتلك أسطولها الخاص من **الكوتيات** الرائعة . ولا يزال بحّارة لاكشادويب يبحرون على متن **الأدام** ، وهي مراكب شُدّت ألواحها الخشبية بعضها إلى بعض بألياف جوز الهند على الطريقة التقليدية . والأدهاء الوحيدة التي شوهدت مؤخرا في سري لانكا هي **التونيات** القادمة من توتيكورين عبر مضيق بولك ، وكذلك **القطمرانات** ــ مراكب الصيد التي تجوب المنطقة بأعداد كبيرة .

وكانت أبدان المراكب المبنية في جميع أنحاء منطقة المحيط الهندي مصنوعة من ألواح خشبية وُلّدت وشُدّت بعضها الى بعض بالألياف نظرا لأن مسامير البرشام الحديدية لم تكن معروفة قبل استيرادها من أوروبا في القرن العاشر ولا يزال أسلوب شدّ الألواح الخشبية لأبدان السفن بألياف جوز الهند يشاهد في **البدان** bedan العُماني على ندرته اليوم ، وفي عدد من **الباتلات والبتّامارات** الهندية وفي **الأدام** اللاكشادويبي . وتعدّ **البتّامارات** مراكب نافعة وعملية للغاية إذ بوسعها ، نظرا لخلوّها من الظهر ، أن تنقل حمولات ضخمة من الخشب من ساحل مالابار حتى بومباي . وهي تُعتبر من أكبر الأدهاء التي تعمل بالأشرعة وحدها في الوقت الحاضر .

لقد توقفت الأدهاء منذ زمن طويل عن العمل في الساحل الشرقي للهند حيث حلّت وسائل النقل البري محلّها تماماً . إلا أن شكل الساحل الغربي يختلف في معظمه اختلافاً كبيراً عن شكل الساحل الشرقي ، ومما لا شك فيه أن ساحل مالابار سوف يسهم بتضاريسه الوعرة في مواصلة استخدام الدّهو في المنطقة لعدة سنوات قادمة على الرغم من عمليات إقامة الجسور فوق الأنهار . ذلك أن الحمولات غير المعبأة في صناديق أو أوعية ـ ولا سيما رمال الصّوان التي تنقل إلى بومباي لصناعة الزجاج والقرميد والخشب ـ أيسر نقلاً على الدهو منها على غيره . وينطبق مثل ذلك على حمولات أخرى كثيرة : من الأسمنت إلى جوز الهند مروراً بثمار المنجا .

وتعد **التونيات** القادمة من توتيكورين من أكبر الأدهاء الهندية التي تقوم برحلات ساحلية طويلة . وقد تطورت كثيراً عن ذي قبل إذ كانت في البداية مجرد صنادل تستخدم في ذلك المرفأ الجنوبي منذ سنوات عديدة لنقل البضائع بين السفن والشاطئ نظراً لعدم وجود المراسي العميقة في ذلك الوقت واضطرار السفن عابرة المحيطات إلى أن ترسو بعيداً عن الشاطئ .

ويبدو **التوني** حاد الطرفين ومقدّمها مستقيم وقوائمها الخلفية مُزوّاة بعض الشيء . وهي مطليّة كلها باللون الأسود باستثناء ضمامة بيضاء تحت خط الظهر وأرقام تسجيل عريضة في المقدّم والمؤخّر . ومن سماتها غير المألوفة أن عارضات الصاري والأشرعة مرتبة بطريقة تمكّن المركب من مواصلة سيره أثناء تعديل وجهته بتغيير زاوية الشراع بدلاً من إبعاد مقدّمه عن الريح كما تفعل الأدهاء الأخرى . وثمة عدد منها مزود بثلاثة صوار ويحمل الصاري الخلفي دائماً شراعاً مشدوداً على قرية على غرار الأشرعة الأوروبية .

ولطاقم **التوني** سمة ينفرد بها هي أن أعضاءه ينتمون بلا استثناء تقريباً إلى المذهب الكاثوليكي الروماني ، وفي مقصورتهم حيث ينامون عند مقدّم السفينة يمكن مشاهدة قنديل مضاء باستمرار أمام صورة مريم العذراء ؛ وفي ذلك دليل ساطع على ديانة أدخلها البرتغاليون إلى الهند في القرن السابع عشر . أما طواقم معظم الأدهاء الهندية الأخرى فتتألف من هندوسيين أو من مسلمين . ويعرف الربان الهندي للدهو باسم التّندل tindel ويُسمّى رجال طاقمه الخلاصيين khalasis على حين يُطلَق على الربان المسلم اسم النّخودة nakhoda وهو الاسم الذي يُعرَف به أيضاً في جميع المراكب العربية ، وتطلق على طاقمه أسماء تختلف باختلاف المناطق التي يأتون منها .

وتختلف الساحة العربية عن ذلك اختلافاً كبيراً إذ قلّما يُشاهَد فيها دهو يحمل شراعاً أكبر من منديل الجيب بكثير . ومع ذلك فإن تصميم بدن المراكب العربية يشبه عن كثب تصميم الأدهاء التي كانت تعمل منذ أكثر من قرن مضى مما يدل على أن التكنولوجيا الحديثة تسير في المياه العربية جنباً إلى جنب مع الحِرَف اليدوية التقليدية ولا تتعارض معها .

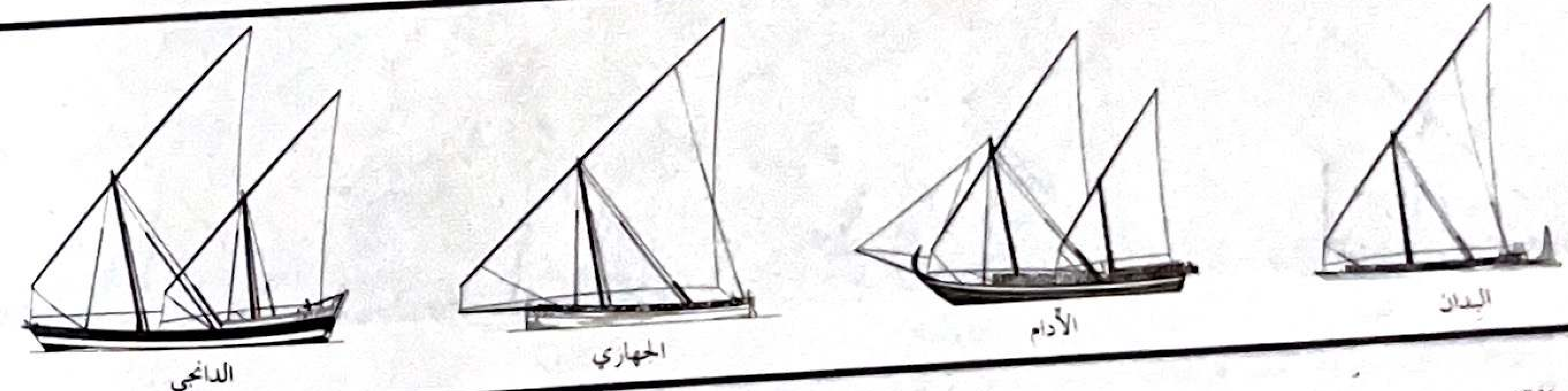
ويمكننا أن نرى في الأدهاء نماذج من الفن البحري رائعة الجمال ، نماذج تمثّلت في وقت من الأوقات في النقوش المعقدة التي كانت تُزيَّن بها رافدة **الكوتية** الهندية **والبغلة** العربية . غير أنه مع اختفاء هذين النوعين من الأدهاء غدت الرسوم والصور أكثر شيوعاً . فصفيفة الألواح الطولية في الجزء العلوي من بدن **الكوتية** الأحدث عهداً كثيراً ما تكون مطلية بألوان زاهية ، على حين أن الرافدة في مؤخّر السفينة قد تحوّلت إلى معرض للرسوم أو زُيّنت برسوم أزهار ونباتات رائعة الجمال . وفي شبه الجزيرة العربية ، ولا سيما في الزوارق والسنابيك تكون الزخرفة أشد اتساماً بالطابع الهندسي . إن مثل هذه الزخرفة يمكن أن تُتّخذ وسيلة لتحديد أصل الدهو أو ملكيته ، وذلك فضلاً عن شكل بدن الدهو وعن الطاقم الذي يعمل فيه .

ولأن الدهو كمركب شراعي كان ولا يزال شيئاً رائع الجمال ، فقلما يتطرق تفكير الناس إلى العمل الشاق الذي يقترن بتسييره . لقد كان بحارو الدهو من العرب يلجأون إلى الموسيقى لتسلية أنفسهم وإلهائها عن حياتهم الصعبة ؛ وعندما كانوا يدخلون مرفأ أو يغادرونه كانوا يعبّرون عن ابتهاجهم بنغمات موسيقية مفعمة بالضجيج تستخدم فيها الطبول والأبواق الصدفية ولم يعد يسمع مثلها اليوم . ومع ذلك فلا تزال طواقم البحّارة تردد الأغاني والأناشيد كلما أقدمت على عمل مجهد أو ممل ربما كان طلاء بدن المركب بالشحم حماية له من دودة السفن أو تغيير اتجاه السفينة .

وربما سيأتي اليوم الذي نشاهد فيه سباق الأدهاء أو مهرجانات بحرية تقام إحياء لذكرى ماض بحري . وقد يكون ذلك امتداداً لما يقام من معارض بحرية في الوقت الحاضر . ولعل مومباسا أو الكويت أو الدوحة أن تكون خير من ينهض بمثل هذا المشروع .

■

كليف هوكنز



رسم : © هوكنز إديتا ، لوزان ، سويسرا

مُغامرة المحيط الهادي

بقلم : بيتر جاذركول

كثيرا ما ينظر الغرباء إلى عالم المحيط الهادي على أنه لا يعدو أن يكون صورا للجمال المداري : قمما تكسوها السحب ، والبحر وغروب الشمس ، ونخيلا ، وشواطئ لا نهاية لها . غير أن الحقيقة تختلف عن ذلك .

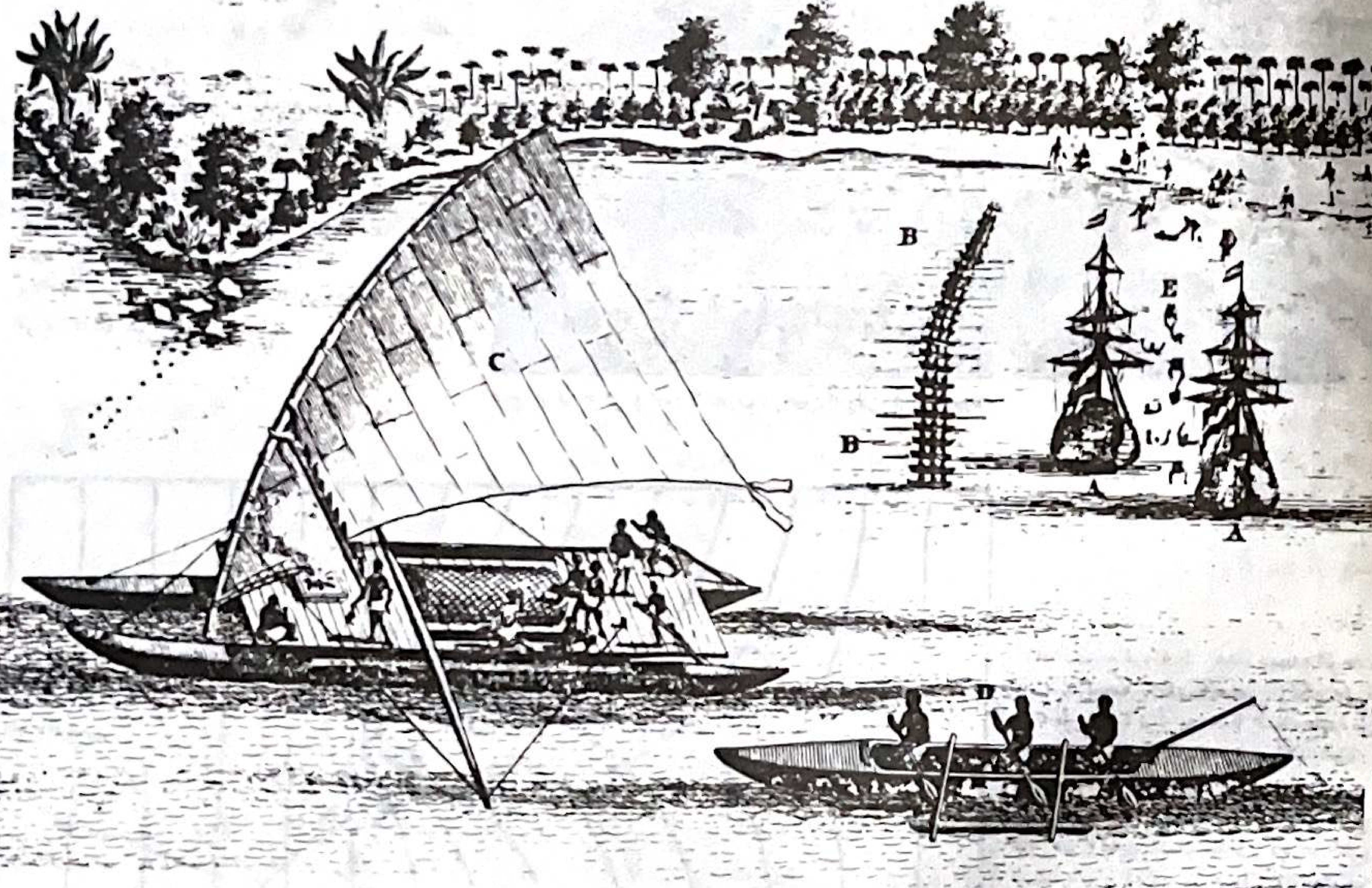
لننظر أولا إلى مساحته . إننا نعرف أن المحيط الهادي يحتل ثلث مساحة كوكبنا ، وأنه بطبيعة الحال عالم من الجزر باستثناء استراليا ، أصغر قارات العالم التي تقع وحيدة في جنوبه الغربي . ويضم هذا المحيط نحو ٢٥٠٠٠ جزيرة ، تتراوح في مساحتها من غينيا الجديدة ـ أكبر جزر العالم ـ حتى أضأل الجزر المرجانية . وداخل هذا المجموع ، توجد ١٥٠٠ جزيرة مأهولة بالسكان .

وثانيا ، إن المحيط الهادي عالم يضم أناسا يعيش خمسة ملايين منهم بين المدارين ، يقطنون بيئات تختلف فيما بينها اختلافا شديدا . وتصطف الجزر المرجانية والبركانية العالية في الحوض الأوسط ولكنها تقل وتغدو أشد تفرّقا كلما اتجهنا صوب ساحله الشرقي . وتقع إلى الغرب في مواجهة آسيا سلاسل جبلية على هيئة أقواس وتتسم بالتنوع من الوجهتين الجيولوجية والبيئية وتمتد جنوبا حتى نيوزيلندا . وعلى ذلك فإن المحيط الهادي يتألف من أكثر من مجرد جزر قفر أو نتوءات بركانية إذ يضم جبالا سامقة ، وفوهات براكين خامدة جرداء ، وغابات مطيرة كثيفة ورطبة ، وفي نيوزيلندا مجموعات مهيبة من أشجار الكوري الصنوبرية وأشجار التوتارا ؛ ذلك أنه في هذه البقعة المعتدلة توجد شتّى أنواع المناظر الطبيعية .

والسكان أنفسهم على نفس هذا القدر من التنوع وينتمون إلى أصول متباينة . وبعد عصر الجليد عندما كانت استراليا وغينيا الجديدة لا تزالان ملتصقتين ، وفد القناصون من جنوب شرقي آسيا منذ زهاء أربعين ألف عام مضت ، ووصل بعضهم فيما يُرجّح إلى الجزر الصغرى التي تقع إلى الشرق من غينيا الجديدة مباشرة . وممن يندرجون في عداد سلالتهم اليوم سكان استراليا الأصليون الذين تعدّ حضارتهم أكثر الحضارات تواصلا في تاريخ البشر . أما باقي منطقة جنوب المحيط الهادي فقد استوطنها بعد ذلك بكثير أناس يسميهم علماء الأنثروبولوجيا «الأسترونيزيين» لأنهم كانوا يتحدثون لغات متقاربة انحدرت منها معظم اللغات المستخدمة بالمنطقة في الوقت الحاضر . ويعدّ الأسترونيزيون من أعظم مستعمري العالم إذ انتشروا في آخر الأمر من مدغشقر غربا إلى جزيرة الفصح شرقا ومن هاواي شمالا إلى نيوزيلندا جنوبا .

وقد عمّروا جزر المحيط الهادي بما فيها الجزر الواقعة شرقي غينيا الجديدة والتي تدعى اليوم ميلانيزيا ، والجزر ◀

بيتر جاذركول . عالم أنثروبولوجي بريطاني . عميد كلية داروين بجامعة كيمبردج . درّس بجامعة أوتاجو في نيوزيلندا وفي جامعتي أكسفورد وكيمبردج . له قرابة خمسين مؤلفا عن آثار منطقة المحيط الهادي وخصائصها الأنثروبولوجية .



أعلاه . رسم لسفينة تونجاوية التونجياكي مزدوجة الهيكل عابرة المحيطات ومعها ، في صدر الصورة إلى اليمين ، زورق صيد صغير وفي خلفيتها سفن أوروبية زائرة ، راسية في مرفأ جزيرة أمستردام (مرفأ تونجاتابو اليوم) ، تونجا ؛ نفّذ هذا الرسم المستكشف الهولندي آبل تاسمان عام ١٦٤٣ . وفي وقت لاحق وصف المستكشف الإنجليزي الكابتن كوك تونجياكياً ضخماً يحمل مائة وخمسين بحارياً وبحاراً : «سرعته ثلاث عقد (العقدة : وحدة للسرعة تساوي ميلاً بحرياً في الساعة) بينما سرعتنا عقدتان ، ويختفي عن أنظارنا متجهاً ضد الريح قبل أن يُخيّم الظلام» .

القبيلة المبعثرة (ومعظمها جزر مرجانية) الواقعة إلى الشمال والتي تعرف باسم ميكرونيزيا ومجموع المثلث الواقع في وسط المحيط الهادي والمعروف باسم بولينيزيا ، بما في ذلك ساموا وتونجا وتاهيتي وهاواي وجزيرة الفصح ونيوزيلندا . ويقف علم الآثار اليوم شاهدا من أهم الشواهد على ما اكتشف من حقائق رائعة على مرّ الأيام والسنين ، يذكر منها أن الاستيطان قد بدأ هناك قبل عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد واستكمل قبل نهاية الألف الأول بعد الميلاد .

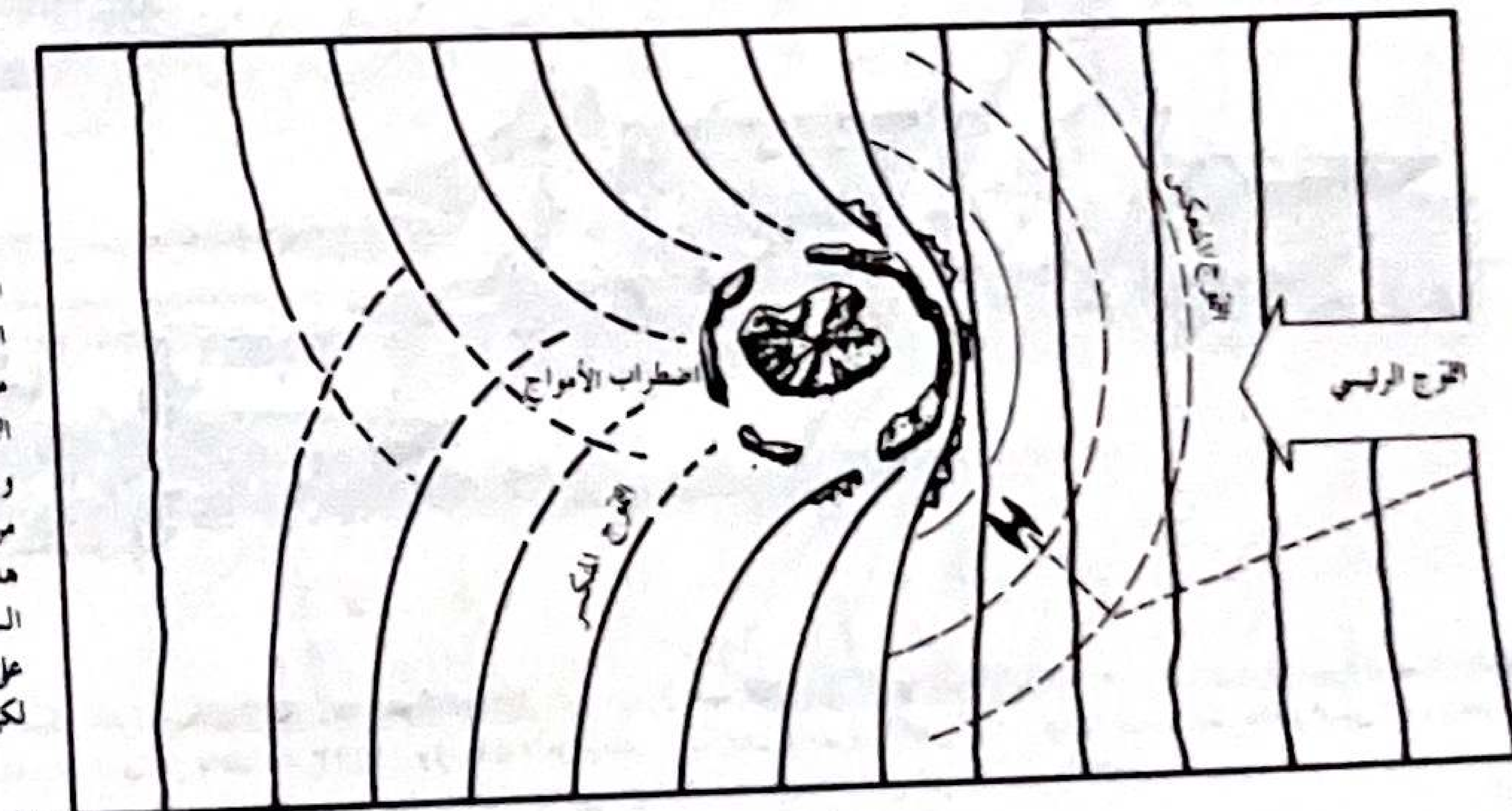
وكان البولينيزيون ملاّحي محيطات مهرة على ما تبيّن من المدى الذي بلغوه في رحلاتهم عبر أطراف المحيط الهادي الخالية من السكان . وكانت زوارقهم المزدوجة التي يبلغ طولها ٦٠ قدما قد صُنعت أساسا من ألواح خشبية مثبّتة في أطر بجدائل من ألياف جوز الهند ، ومقلّفة بنُسُغ ثمار الخبز . وكان بوسعهم ، بفضل الأشرعة المجدولة ، أن يقطعوا ما يتراوح بين ١٠٠ و ١٥٠ ميلا في اليوم . كما أتقنوا فنّ حفظ الطعام وكان باستطاعتهم أن يقطعوا مسافة ٥٠٠٠ ميل في رحلة واحدة متواصلة . وربما كانت أساليب الملاحة مماثلة للأساليب التي شوهدت في ميكرونيزيا ولا بد أن تكون قد استخدمت في استيطان الجزر المنعزلة القاصية في «المثلث البولينيزي» .

ومما تجدر ملاحظته أن ربابنة الزوارق الميكرونيزية لا يزالون يستخدمون الوسائل التقليدية في الإبحار مئات الأميال في المحيط . فهم يتخذون النجوم - وخاصة عندما تكون في سَمْت الرأس - أداة لتحديد اتجاههم نحو غايتهم ؛ كما يهتدون بالمسارات التي تسلكها الطيور في انتقالها ، وبتغيّرات لون المياه ، (فاللون الأخضر ينمّ عن وجود شُعب مرجانية قرب سطح الماء) ، وبأنساق تموّج المياه التي تحدد اتجاه الطريق إلى الجزيرة .

ولعل الزورق التونغي المزدوج (واسمه تونجياكي Tongiaki) أن يكون نموذجا للزوارق الكبيرة في بولينيزيا الغربية . وكان يتسم بقدرة رائعة على الإبحار في المحيط أهّلته لإعجاب مستكشفين أوروبيين يُذكر منهم تاسمان (١٦٤٣) وكوك (١٧٧٣ و١٧٧٤ و١٧٧٧) . وكان أحد الزوارق التي شهدها تاسمان مزوّدا بمدفأة على ظهره .

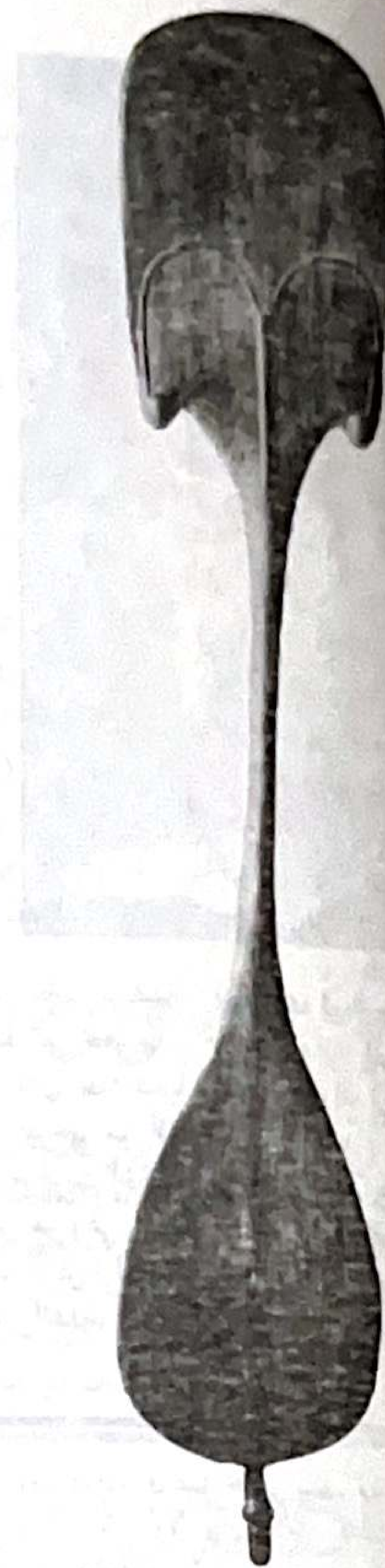


صنع زورق جذعي في جزيرة ستاوال (أرخبيل كارولين) في ميكرونيزيا .



الاهتداء بتموّج مياه المحيط . عندما تصطدم التموّجات الرئيسية للمحيط بإحدى العقبات ، ولتكن جزيرة من الجزر ، فإنها ترتدّ عنها محدثة أنساقاً جديدة من التموّج تدل على الاتجاه المفضي إلى تلك العقبة . وبوسع الملاحين البولينيزيين ، بفضل سنوات طويلة من الخبرة والمراس ، أن يدركوا تغيّر أنساق التموّج هذه عند ارتطامها بأبدان سفنهم . فإذا ما التقت السفينة بالتموّج المنعكس من جزيرة بزاوية معينة فما على البحارة عندئذ إلا أن يمخروا عبابها دون عائق لكي يبلغوا اليابسة المتوارية عن أنظارهم .

رسم : © بإذن من الجمعية الجغرافية الوطنية ، واشنطن العاصمة



مجداف طقسي بولينيزي (٦١٫٥ سنتيمتر) على شكل وجه بشري لم تحدّد إلا معالمه الرئيسية ويستخدم لتوقيت الإيقاع أثناء الغناء أو الرقص الشعائري أو يدوّره الراقصون في حركات سريعة ومعقدة .

فلتوجّه حركات مجدافي ورائدي
مجدافي كاوتو - كي - تي - رانجي
قبضته تصعد عالية في السماء
في سماءٍ لا تكف عن التراجع
في سماءٍ لا تكف عن الاقتراب
في سماءٍ تؤوي قوى الآلهة

نشيد بحارة ماوريين

تصوير : © متحف الإنسان ، باريس

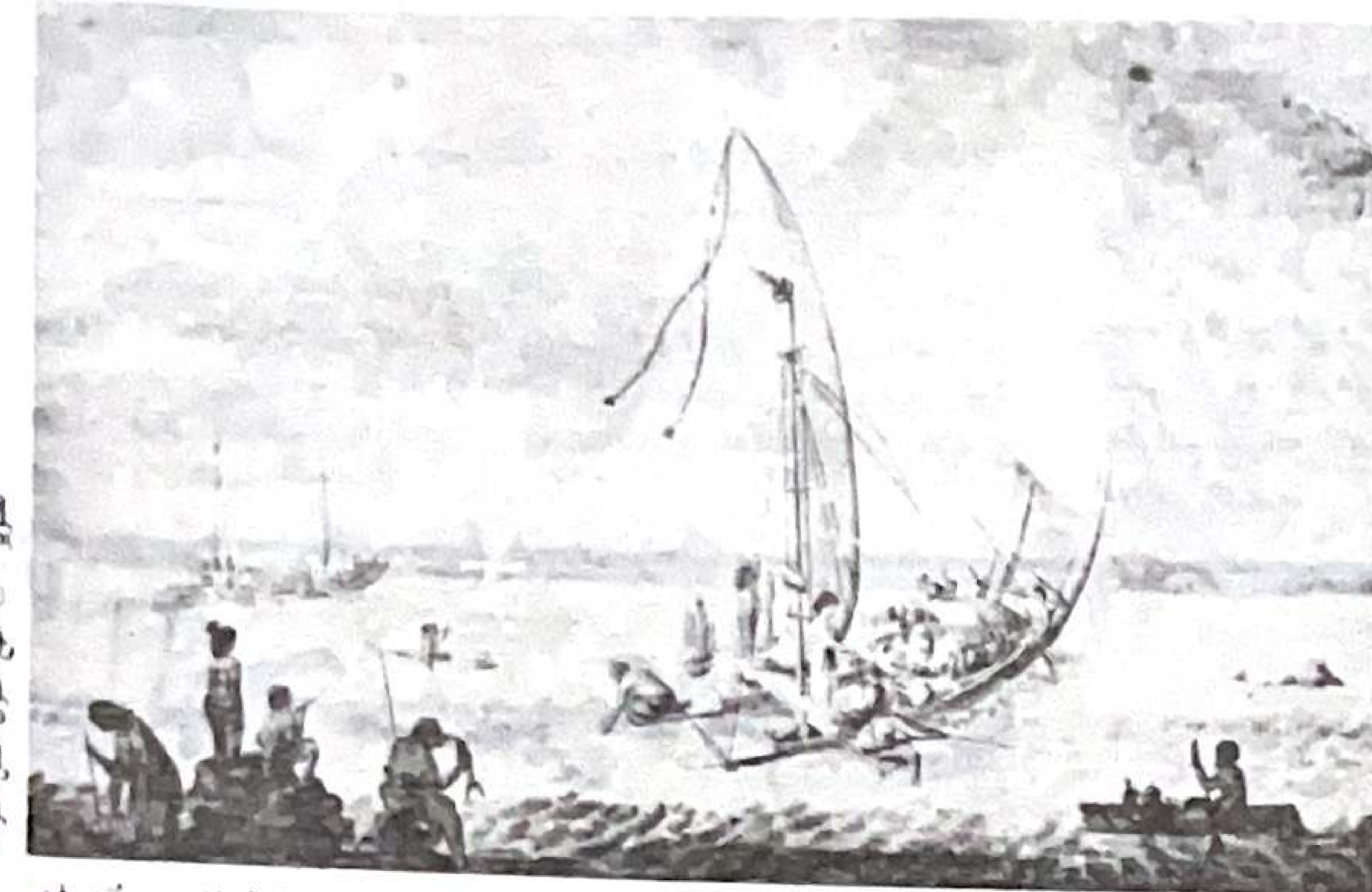
إن للبحر جوانب متعددة ، فهو طريق عام ومصدر خطر ولكنه قبل كل شيء مصدر للغذاء . ويضم المحيط الهادي أغنى مجموعة من الحيوانات البحرية في العالم وليس من الغريب في شيء أن يكون سكان جزر المحيط الهادي صيادين مهرة يستخدمون الصنانير أو الشباك أو الشُرُك لصيد أنواع قد يكون منها سمك القرش والسلاحف وأحيانا الحيتان . ويحصل سكان الجزر المرجانية على ما لا يقل عن نصف احتياجاتهم من الغذاء من البحر ؛ أي من البحيرات الضحلة ومن الشُعَب المرجانية بل ومن عرض المحيط نفسه .

ويورد جوزيف بانكس - عالم التاريخ الطبيعي وعضو أول حملة قام بها المستكشف البريطاني الكابتن كوك في المحيط الهادي وبلغت تاهيتي عام ١٧٦٩ - الوصف التالي للأساليب التي كان أهل تاهيتي ينتهجونها في صيد الأسماك :

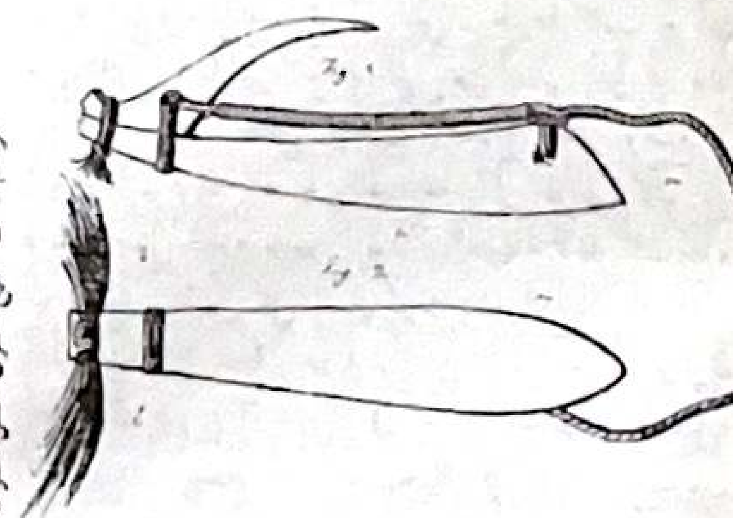
«لقد تجلّت براعتهم في كل الحيل التي استخدموها لصيد الأسماك . وكانت شباكهم التي يسحبونها بأنفسهم تشبه شباكنا تماما ، وكانوا يطعنون الأسماك بالرماح المصنوعة من الخيزران المزوّد بطرف دقيق من الخشب الصلب ، بأسلوب أبرع من أسلوبنا في استخدام رماحنا المزودة برؤوس من الحديد إذ أن كل ما نحتاجه نحن ، وقد ثبّتناها في صنانير ، هو أن نغرزها في السمكة لكي نضمن صيدها ، بينما هم ... يسدّدون رماحهم إلى الأسماك فإما أن يصيبوها إصابة قاتلة أو يفقدوها . وصنانيرهم ... نوعان : نوع ... يستخدم للسحب ... وساقه من عروق اللؤلؤ الصلبة البالغة الصقل ، وهو مزوّد بخصلة من شعر الكلاب أو الخنازير البيضاء لعل المقصود منها محاكاة ذيل السمكة . وهذه الصنانير لا تحتاج إلى طُعم ... ؛ ذلك أن الصيادين الذين كانوا يستخدمونها وجدوا أن أسراب الطيور تحلّق دائما فوق قطعان سمك البينيت حيثما ذهبت ولذا كانوا يتحركون بزوارقهم بأسرع ما في استطاعتهم نحو هذه القطعان ونادرا ما كانوا يعجزون عن اصطياد بعضها . ويبدو أن هذا الاختراع الهندي يفوق إلى حد كبير أي شيء يناظره لدى الأوروبيين ....

والنوع الآخر من الصنانير التي يستخدمونها مصنوع كذلك من عرق اللؤلؤ أو من بعض القواقع الصلبة ، ونظرا لأنه لم يكن باستطاعتهم أن يصنعوا لها نصالا مثل صنانيرنا فإنهم عوّضوا هذا النقص بثني الأطراف نحو الداخل ... وقد صنعوا صنانير من كل الأحجام واصطادوا بها كل أنواع السمك بنجاح بالغ» .

ومع ذلك فالأرض تعتبر بالنسبة للكثيرين منهم مصدرا أعظم للغذاء ، فحتى الحياة النباتية الهزيلة التي توجد على الجزر المرجانية تضم نخيل جوز الهند في كل مكان ، وكذلك الكاذيّ الذي تُعدّ أوراقه هي وأوراق قصب السكر ونخيل الساجو موادّ لا غنى عنها في تسقيف البيوت كما تستخدم في صنع كافة الأدوات المنسوجة ، هذا فضلا عن القيمة الغذائية لثمار هذه النباتات .



مراكب من جزيرة أوتاها : رسم مائي غير موقّع ، صُوّر عام ١٧٦٩ أثناء أولى رحلات الكابتن كوك في المحيط الهادي . ويُرى فيه سكان جزر أرخبيل سوسايتي يصطادون في أزماث ومراكب مزدوجة الهياكل وزوارق ذات ركائز .



صنارات بولينيزية لصيد الأسماك رسمها جوزيف بانكس عضو أولى رحلات الكابتن كوك الاستكشافية في المحيط الهادي .

وكان أسلاف سكان هذه الجزر قد أحضروا إليها عددا من النباتات الهامة لمعيشة الإنسان ، بما في ذلك ثمار الخبز والمنيهوت والقلقاس واليام . وفيما بعد أدخلت زراعة البطاطا الحلوة وقد أُتي بها من الأمريكتين بوسيلة لا نزال نجهلها ، وهي إذ تطهى في أفران من الطين ، مخلوطة بلحم الخنزير تعدّ أساس الولائم لدى الأهالي الذين يقترن تناول الطعام في أذهانهم دائما ببعض أشكال الاحتفال والطقوس . وقد عرفوا على الدوام أساليب حفظ القلقاس وثمار الخبز والأسماك واللحوم لفترة من الوقت ؛ وكانت تلك المعرفة هي التي أتاحت للأستروبيزيين القيام برحلات بحرية تستغرق شهرين فكانت كلمة السر التي رافقتهم في مغامرتهم الكبرى في المحيط الهادي . ■

بيتر جادزكول

شعب الإنويت في جرويِنْلَنْد

جذور المستقبل

بقلم : جـان مالوري

بدأت جرويتلند ، شأنها شأن سائر أجزاء المنطقة القطبية الشمالية ، تشهد تطوّراً سريعاً واستخدمت في سبيل استغلال أرجائها الفسيحة كل الوسائل التقنية التي تملكها البلاد الصناعية : الحفّارات العملاقة ، وكاسحات الجليد ، والغواصات النووية ، وطائرات الشحن ، والمدن القُطْرية التي لا تلبث أن تنشأ وتنمو حتى تختفي ، وشبكات التلفزيون وما إلى ذلك .

ويقال إن منجم اليورانيوم الواقع في جنوب غربي الجزيرة هو أكبر منجم تملكه الرابطة الاقتصادية الأوروبية التي لا تزال جرويتلند عضواً فيها بشكل ما زال يتعين التفاوض بشأنه . وقد اكتُشِفت فيها أيضاً موارد بترولية هامة . وفضلاً عن ذلك يمكن أن يغدو طريق الغاز القطبي الكندي (المشروع القطبي الرائد) ، إذا أُقِرّ على الرغم من معارضة جرويتلند التي تخشى مخاطر التلوث ، واحداً من أهم طرق الطاقة بالنسبة للغرب ، إذ سوف تعبره ناقلات غاز الميثان العملاقة ليل نهار .

وإن جرويتلند الحديثة ، إذ تُيمّم بصرها بحزم صوب المستقبل ، تؤكد ذاتها بتحفظ وحكمة إزاء هذه المشروعات المستقبلية . فهي ترى في نفسها ، وسط المياه المتجمدة والبالغة الهشاشة التي تحيط بها ، حارسة للتوازن البيئي فتصون بذلك أواصر التحالف العريق الذي عقده شعبها مع البحر . وإن تراثها المنقول ـ الذي كانت ترويه أصوات شيوخها منذ أقل من ثلاثين عاماً ، في أمسيات أكواخ الجليد على ضوء مصابيح الزيت الخافت ، والذي لا يزال يتخلل عقول شبابها وقلوبهم عن وعي أو عن غير وعي ـ لا يعدّ بالنسبة لأهلها مجرد فولكلور شعبي إذ هو يحفزهم على أن يُذكّروا أثناء المؤتمرات الدولية الحكومية أوّلاً بحقوقهم التاريخية الثابتة ثم بالحذر الشديد الذي ينبغي أن يكون رائد تطوير أرجاء بلادهم الشاسعة .



هذا القناع العاجي الصغير (ارتفاعه : ٥ر٣ سم) واحد من أقدم نماذج الفن الإنويتي (فن الإسكيمو) إذ يرجع عهده إلى عام ٧٠٠ قبل الميلاد (حضارة دورست) وقد وجد في موقع تيارا بجزيرة سُخلوك في مضيق هدسون (كندا)

تصوير © متحف الإنسان ، باريس

جان مالوري : جغرافي ومستكشف فرنسي . مدير للبحوث بالمركز القومي الفرنسي للبحوث العلمية وبالمعهد العالي لدراسات العلوم الاجتماعية في باريس ، ومدير مركز بحوث المنطقة القطبية الشمالية . له عدة دراسات علمية وصدرت له مؤلفات شتى يُذكر منها كتاب لقي رواجا واسعا وتُرجم إلى نحو عشرين لغة وعنوانه Les derniers rois de Thulé (آخر ملوك توله) ، Les civilisations esquimaudes et anthrogéographie esquimaude (حضارات الإسكيمو وخصائصهم الأنثروجغرافية) .

ولا يكف قادة جرويتلند عن القول شفاهةً وكتابةً بأننا «لا نستطيع أن نُحدث الاضطراب في نظام طبيعي ثم نُفلت من عواقبه الوخيمة ، إن الثلوج تحتفظ في ثناياها بقوى تُفجّرها بين الحين والحين» . ويخشى الجرويتلنديون منذ الأزل بأس هذه القوى المعادية التي عرف كبار كهنتهم الشامان والأنجاكوك كيف يهدئون ثائرتها . وعلى الرغم من ضآلة مواردهم المالية بل وفي الوقت الذي لا يوفر فيه القنص أكثر من ١٠٪ من تلك الموارد ، فإنهم يأبون الموافقة على أن تُستغَلّ هذه الثروات الصناعية الطائلة الكامنة في باطن أرض جزيرتهم بصورة منافية لمصالح شعب جرويتلند .

وتريد هذه الأمة الفتية التي ينتظم تفكيرها حول مذاهب مرتبطة ومنفصلة في آن معاً ـ الشامانية والمسيحية والاستقلالية ـ أن يتاح لها الوقت الكافي للتفكير حتى تتوافق خطواتها إلى الأمام مع إيقاعات تاريخها الخاص وتستطيع تأمّل ذلك التاريخ الذي تقوم الصفوة الجديدة بتدريسه مع تعبئة كل قواها الروحية والفكرية التي طمرها قرنان ونصف قرن من الاستعمار الفكري المسيحي ... ذلك الاستعمار المتسلط حتى وإن لم تعوزه الجوانب الإيجابية المستنيرة،الاستعمار الذي حارب ديانة الأجداد فقوّض أركانها وكانت بمثابة العمود الفقري لأهل الجزيرة .

وتريد جرويتلند في ثمانينات هذا القرن العشرين ـ بفضل ثورة فكرية تتيح لها تأكيد ذاتيتها أكثر من ذي قبل ـ أن توطد مكانها في عالم اليوم . ومن يدري ، فربما كان الارتباط العميق بين الإسكيمو والطبيعة وتوازناتها نابعاً مباشرة من معتقداتهم الغابرة .

وإن العبارات الجميلة التي أدلى بها صديقي جابا برويرج الشاب الجرويتلندي المتطلع لمعرفة كل شيْ لتنمّ عن ذلك الحذر الذى عُرِف به القناص والصائد الجرويتلندي : إيمرا ! ربما !

فهو يذكّرنا مرة أخرى بأنه لا ينبغي تنمية أي بلد إلا بما يتفق والمصالح البعيدة المدى لشعبه ، وفي إطار احترام تراثه وأساطيره .

«إن كثيراً من جوانب التقدم التي نفرضها على المجتمع هي أحياناً من الجدّة أو السرعة بحيث لا تعود عليه دائماً بالنفع أو الفائدة . لذا يتعين أن نعيد التفكير فيها بأنفسنا على ضوء تاريخنا الذي نعيد اليوم كتابته . إننا نحتاج إلى الوقت والوقت هو ما يلزمنا ...» . تلك هي الملاحظات التي نقرأها في صحف جرويتلند وفي كتابات أهلها ، وهل لنا إلا أن نؤيد هذا الموقف الحذر كل التأييد ؟ ■

جان مالوري

إلهة البحر

يقول الإنويت (أو الإسكيمو) إنهم ولدوا من البحر . والواقع أن هذا الشعب من القناصين والصيادين قد درجوا عبر تاريخهم على الاعتماد على البحر في كسب قوتهم . ومن الشخصيات البارزة في ميثولوجيا الإنويت وأساطيرهم إلهة البحر ـ مصدر الغذاء وحامية الحيوان في آن معاً . وتتناقل أسطورة البحر في صيغ شتّى ولكنها تشترك جميعاً في الحديث عن امرأة شابة يحتمي بها المطاف ، وقد قطعت أصابعها ، بأن تغوص في قاع البحر حيث تتربع على عرشه . وهي كثيرة التوارد في فن الإنويت نحتاً كان أو حفراً أو رسماً . وهذا النقش على الحجر عنوانه سيدة البحر (١٩٧٦) وقد نفذه سوروسيلوت (فنان إنويتي من كاب دورْسِت في كندا) وهو يُبرز فيه فكرة الأصابع التي تلد كائنات بحرية .

رسم © المتحف الوطني للإنسان ، أتوا ، كندا



"البحر عالمنا"

جابا برويرج

فيما يلي الردّ الذي أدلى به جرابا برويرج ، الإسكيمو من جرويتلند ، إجابة عن السؤال الذي وُجّه إليه حول المستقبل الذي ينتظره :

جرويتلند هي عالمنا ، العالم الذي يحيا فيه الإنويت . وكلمة الإنويت تعني أناسَ أقصى الشمال ، أو ببساطة البشر . لقد ضاع تاريخ شعبنا في سديم الأيام . ولعلنا نكون قد قدِمْنا من منغوليا لأننا شديدو الشبه بالآسيويين ، وربما كان أسلافنا قد عبروا بالمزلجات أصقاع منغوليا وسيبريا وألاسكا والمنطقة القطبية من كندا إلى أن بلغوا جرويتلند . وفي وقت لاحق ، في القرن العاشر ، وصل الفايكنج إلى فيوردات جنوب جرويتلند ، في يوم من أيام الصيف على الأرجح إذ أنهم أطلقوا على هذا البلد اسم «جرويتلند» ومعناه «البلد الأخضر» .

إننا أسرة كبيرة على الرغم من أن تاريخنا غير موغل في القدم . وتنتمي لغتنا إلى نفس الأصل الذي تنتمي إليه سائر لغات المنطقة القطبية الشمالية ، ولنا نفس التقاليد ونفس تقاطيع الوجه ، وفي كلمة إنويت التي تطلق علينا جميعا شاهد على أننا نرجع إلى أصل واحد .

البحر بالنسبة للإنويت هو الحياة . وعلى حين ان الأرض مكان على حدة ... المكان الآخر ، فإن البحر (إكوج) ، بحيتانه وفقماته وأسماكه ، يقدّم لنا المأكل والملبس وما نصنع به قواربنا وأدواتنا المصنوعة من أسنان الفظ (حيوان بحري شبيه بالفقمة) ومن الأحجار التي صقلها البحر . إن البحر هو خبزنا اليومي ، وذلك أمر يدركه حتى الأطفال . وحياة الصيادين معناها الحياة في جماعة ، وقبل كل شيْ ، حياة المشاركة ، العيش مع الأسرة ومع سائر أسر القرية . إن البحر يعني الحياة في مجتمع ، فحياتنا مرهونة به ، إذ نعيش جميعا على طول السواحل وقد نمّى ذلك لدينا حضارة متسقة مع الطبيعة .

البحر هو المجال الذي نتحرك فيه ونتنقل ونقوم بعمليات الصيد والقنص والارتحال لجمع محصول الصيد والقنص واسترداد اللحوم التي نكون قد خزنّاها من قبل . كما نقوم برحلات لزيارة الأقارب . وليست هناك طرق تربط بين المدن ، ونحن اليوم في عصر الطائرات ولكننا لا نزال نستخدم الزوارق . وكنا في الماضي نستعمل **الكاياك** .

ويستخدم **الكاياك** هذه الأيام للصيد فقط ، وهو مركب يسيّره رجل واحد وهو يرمز لعمله . وهناك زورق آخر يدعى **الأومياك** مخصص للنساء ، وهو يشبه بيتا يحمل النساء والأطفال والعجائز وتتجمع فيه كل نساء القرية .

وصناعة الزورق عمل جماعي يسهم فيه كل فرد من أفراد الجماعة . ولا يزال الأمر كذلك في شمال جرويتلند وشرقها .

وعلى الرغم من قسوة الطقس ، فإنه لا ينبغي الظن بأن البلد غير صالح للسكنى حتى وإن كنا لا نستطيع أن نقضي عطلة كل عام في جزر الكناري أو في المكسيك . فالشمس ليست كل شيْ وبلدنا هو بلد البرد والجليد ونوع خاص من الضوء . ويستمر الفصل المظلم لدينا من نهاية نوفمبر/تشرين الثاني حتى العاشر من يناير/كانون الثاني ، ولا نرى الشمس أثناءه قط وإن كانت هناك أربع أو خمس ساعات مضيئة في اليوم . وفي الماضي كنا نمارس صيد الأسماك حتى خلال هذه الفترة . أما اليوم فإن كثيرا من الناس ، وخاصة الشباب ، يذهبون أثناء فصل الظلام إلى المدن بحثا عن عمل . لكن أهل القرى أسعد حالا من أهل المدن .

وفي القرى يعيش الناس معا على الدوام شأنهم شأن أسرة كبيرة ، يقتسمون كل شيْ ، لحوما كانت أو أي شيْ آخر . وما من أحد يتخلّى عن أحد . غير أن هذا التوازن معرّض لخطر الزوال لإفساح المجال لوضع لا يأبه فيه المرء إلا بنفسه ومصالحه . في الماضي كان كل فرد يتحمل ظلام شهور الشتاء الطويلة لأنه كان يعلم أن هناك آخرين ممن يشاركونه هذا العناء . أما الآن فقد بدأ الهدم يُعْمل معوله . ولئن كان الناس لا يزالون يحتفظون بروح المشاركة في المدن الصغيرة والقرى ، فإن ذلك أصبح أمرا مستحيلا في المدن الكبيرة فأولئك الذين يعملون في المدن ولا يمارسون الصيد أو القنص مضطرون إلى شراء ما يحتاجونه من لحوم ولم تعد تتاح لهم فرص المشاركة .

ومع ذلك يتمتع الإنويت برؤية سويّة للمستقبل لأن الروح الجماعية تشكّل جزءا من تاريخهم الحضاري والبيولوجي ومن إدراكهم للعالم . ولسوف يحتفظ الإنويت دائما بجذوره ولغته ولهجاته بسبب الروابط الوجدانية الوثيقة التي تربطه بأسرته .

إليكم حالة والدي على سبيل المثال : كان عندما يعود من القنص بكمية وافرة من اللحوم يقدّم منها أولا لتلك الأسر التي لا يرعى شؤونها رجل ، ثم إلى العجائز ، وأخيرا إلى أسرته مع الاحتفاظ دائما بقطعة جيدة من اللحم لأصدقائه . وتلك عادة يشترك فيها كل الإنويت سواء كانوا من سيبريا أو ألاسكا أو جرويتلند أو كندا .

وإذا كان الحديث عن الفقر يكاد يقترن دائما بالمال ، فإننا بهذا المعنى نعدّ حقا فقراء ، غير أن رصيدنا من مشاعر التعاطف الإنساني رصيد بالغ الثراء .

إن الإنويت قوم يحرصون على صحة البيئة وصونها منذ أن بدأ الزمان ، فالطبيعة هي الأهم ونحن نحسب لها حسابها ، ونحن لا نخشى الحضارة إذ نرى أن في قدرتها إن تجلب الخير بقدر ما في استطاعتها أن تجلب الشر . من ذلك مثلا أن التلوث لم يكن معروفا لدينا منذ بضع سنوات ، ولكنه اليوم يجيء عن طريق البحر مع سفن الشحن الضخمة التي تحمل المعادن والتي لا تكف عن المرور بسواحلنا ذهابا وجيئة . وقد اضطر القناصون وصيادو الأسماك من بيننا إلى تغيير عاداتهم . فالحيوانات تهجر منطقتنا كما تفرّ منها الاسماك واخذ غذاؤنا في التناقص والاختفاء ؛ غير أن التلوث لم يبلغ بعد حدّ الإفراط والمشكلات التي تواجهنا مشكلات من نوع آخر .

إن من يفدون إلينا من الخارج ـــ البيض ـــ أناس يجمعون بين الصفات الحسنة والصفات السيئة . وفي الماضي كانوا هم الذين يقررون كل شيْ ، لكن ذلك قد انتهى الآن إذ جاء الوقت الذي أصبحت فيه المساواة حقا من الحقوق . وكانت المساواة دائما جزءا من الحياة اليومية للإنويت ، غير أن الأنشطة السياسية التي تستهدف تحقيق المساواة اليوم يُحتذى فيها بنماذج مستوردة من أوروبا . فالنشْ والشباب ينزعون إلى اتخاذ مواقف ثورية ـــ بل ومفرطة في عدوانيّتها أحيانا . ولكن العدوان سلوك سيْ لا يحق للمرء أن يمارسه مع إخوة له ولدوا ونشأوا بين الإنويت سواء كان هؤلاء الإخوة أخيارا أم أشرارا . وليس بوسع الإنسان أن يفاجئ أخاه بقوله «اغرب عن وجهي فقد انتهى كل ما بيننا» ؛ فليس هذا هو أسلوب الإنويت في التصرف . لقد منحت الدانمرك جرويتلند قدرا من الحكم الذاتي في أول مايو/أيار عام ١٩٧٩ ، لكن بلدنا لا يزال يعيش في ظل الحماية الدانمركية .

وإذا كان لي أن أعبر عن أمنية ، فإن أول ما أتمناه هو أن أظل على ما أنا عليه وأواصل حياتي كفرد من شعب الإنويت أتحدث لغتهم وأمارس تقاليدهم التي بدونها أفقد شخصيتي فلا أساوي شيئا . لا أريد أن يأتي أحد ويدمّرني مثلما دُمّر آخرون في بلاد أخرى . إنني أخشى أولئك الذين يريدون القضاء على ثقافتي . إن مجموع عدد الإنويت في العالم يبلغ ٤٥٠٠٠ نسمة ولعل ذلك هو السبب في أنني لا أريد لأحد أن يمحو شخصيتي إذ يجب أن أعيش روحا ودما .

لقد توافر الوقت للإنويت في الماضي كي يبدعوا وقد أنتجوا تماثيل بالغة الإتقان . أما اليوم فإنتاجهم أقل جودة شأنهم في ذلك شأن غيرهم من الأمم . كان للأشياء التي نصنعها من قبل مغزى ديني تفتقده اليوم . فقد كنا نصنع تماثيل لتوپيلاك ، الملاك الحارس للإنويت ، على حين تُصنع تماثيله الآن بالجملة . إنه لا يزال بيننا ، لكن تأثيره ونفوذه قد اختفيا ؛ ومع ذلك فشيْ أفضل من لا شيْ . وأيا كان الأمر فلا مناص لنا من أن نواصل صنع تماثيل توپيلاك .

كان الإنويت يغنّون من قبل على إيقاع الطبول . والآن ، فإن النشْ والشباب ، فيما عدا سكان شمال جرويتلند وشرقها ، يستخدمون القيثارة الكهربائية ، وفي الوقت نفسه لا يزال من يكبرونهم سنا يكتبون لهم القصائد التي يلحنونها : فالتقدم يجب أن يُقبل كما يُتَقبّل ضوء النهار .

وجرويتلند لا يفد إليها السياح حتى الآن ، ولا شك أنها سوف تتغير عندما يأتون إليها ، ولكنه سيكون تغيّرا إلى أسوأ ؛ إذ سينصبّ اهتمام الإنويت عندئذ على جمع المال . ونحن إذا أردنا أن نظل «إنويت» تعيّن علينا أن نظل بشرا . والإنسانية ليست أن نقايض نفسك بالمال . إن رسالتنا هي أن نعيش كمجموعة تسودها روح المشاركة . صحيح أننا لا نستطيع أن نعود أدراجنا إلى حياتنا التقليدية القائمة على القنص وصيد سمك الإربيان على قوارب الكاياك . لكن الأمل يحدوني أن يواصل أطفالنا الاحتفاظ بالودّ في قلوبهم ، وبروح التعاطف الإنساني والشعور بأننا لا نزال أسرة كبيرة . ■

إعمار الأمريكتين

بقلم : وِجبرتو خِمينِس مورينو

بينما أصبح من المتفق عليه أن السكان الأوائل لأمريكا قد أتوا إلى القارة عبر مضيق بيرنغ (مضيق بين آسيا وألاسكا ويصل المحيط الهادي بالمحيط المتجمّد الشمالي) فما زال الجدل ثائراً حول الافتراض الذي قدمه العالم الإثنولوجي الفرنسي بول ريفيه (١٨٧٦ ـ ١٩٥٨) ومؤدّاه أن أناساً من أستراليا عبروا المنطقة القطبية الجنوبية حتى وصلوا إلى جنوب شيلي وبتاجونيا في جنوب الأرجنتين قبل ميلاد المسيح بستة آلاف عام ، وبأن أناساً من مِلانيزيا وبولينيزيا بلغوا ساحل المحيط الهادي بمحاذاة الأمريكتين الشمالية والجنوبية .

لقد قيل بأنه كانت هناك في الأزمنة السابقة على كولُمبس ، اتصالات عبر المحيطين الأطلسي والهادي ؛ بل وهناك من يزعمون بأن الفينيقيين أو القرطاجيين أو غيرهم من سكان الشرق الأدنى والبحر المتوسط وحتى أفريقيا قد وصلوا إلى سواحل خليج المكسيك أو البحر الكاريبي أو الساحل الأطلسي للبرازيل .

وقد أُلقِيَت ظلال من الشك على قيام كثير من هذه الرحلات عبر المحيط في أزمنة ما قبل كولُمبس . أما الافتراضات التي قدّمها بول ريفيه حول الهجرات الأسترالية والمِلانيزية والبولينيزية ، فقد قوبلت بالشك أول الأمر ولا سيما فيما يتعلق بالأستراليين ، غير أنه أمكن أخيراً قبول الفكرة القائلة بوجود تأثير بولينيزي محدود وقريب العهد .

كذلك يبدو أن الأمريكتين قد تعرضتا لتأثير قدم عبر البحار من مِنْدَناو ومَلَقّة وغينيا الجديدة ، وذلك عن طريق مِكرونيزيا ومِلانيزيا وخلال جزر مارشال وجلبرت ، حتى بلغ نيكاراجوا وخليج فونسيكا . وفي عام ١٩٥٢ ، وبعد حملة كون تيكي Kon Tiki ، ناصَرَ ثور هيردال Thor Heyerdahl فكرة مضادّة مؤداها أن هذه المؤثرات قد انتقلت من الساحل الإكوادوري وساحل بيرو إلى بولينيزيا وإلى جزيرة الفصح بوجه خاص . وربما كان من الممكن القول بوجود أصل بولينيزي للرجل الأمريكي (من ماليزيا والفلبين وإندونيسيا ومِلانيزيا) مع وصول نخبة قبَل إنكيَّة في فترة لاحقة ، وذلك بالنظر إلى وجود تشابه حضاري لا شك فيه بين بناما وكولومبيا وإكوادور وبيرو من جهة ، وبين جزيرة الفصح من جهة أخرى .

وهناك أيضاً الافتراض القائل بأن اليابانيين قدِمُوا إلى هذه المنطقة وكانوا عاملاً من عوامل ظهور الأواني الفخارية للحضارة الفالديفية على ساحل إكوادورمنذ خمسة آلاف عام . غير أن هذا الزعم بوصول بحّارة يابانيين غرِقت سفنهم أو وفدوا من اليابان في حملة استكشافية منظمة يصطدم باعتراضات كثيرة يُخصُّ بالذكر منها أن الأواني الفخارية الجومونية اليابانية (أي التي يرجع عهدها إلى ما قبل التاريخ) ، القريبة الشبه بنظائرها في فالديفيا ، لم تظهر في اليابان إلا بعد خمسمائة عام من التاريخ المذكور . ومع هذا فإن أكثر ثِقَات علماء الآثار تحفظاً وحذراً يرون أن هذا الافتراض يظل أكثر الافتراضات جدارة بالتصديق .

ومن الممكن أن تكون المؤثرات الحضارية قد انتقلت برًّا منذ ما يقارب ثلاثة آلاف عام على طول المنطقة الساحلية لكولومبيا على المحيط الهادي والبحر الكاريبي ، وذلك من فالديفيا حتى بويرتو هورميجا (انظر الخريطة) . كما قد تكون هذه المؤثرات ذاتها قد انتشرت عن طريق البحر ، أولاً من الشرق نحو الغرب بامتداد الساحل الشمالي لبناما ، ثم من الجنوب إلى الشمال على امتداد الساحل الشرقي لكوستاريكا ونيكاراجوا وجزء من هندوراس ، وربما واصلت مسارها عبر قناة يوكاتان ومضيق فلوريدا ، وبذلك تكون قد بلغت الساحل الأطلسي لما يعرف الآن باسم فلوريدا ، حيث كان قد ظهر في مكان يُطلَق عليه أورانج نوع من الأواني الفخارية يرجع عهده إلى ألفيْ عام قبل ميلاد المسيح ، وهو قريب الشبه إلى حد بعيد من فخار ماتشاليلا Machalilla على ساحل إكوادور الذي يتزامن مع نفس الفترة ويعقب في ظهوره أواني فالديفيا الفخارية .

لقد ميّز الدكتور ج. أ. فورد في دراسته المقارنة للحضارات الأولى للأمريكتين عدّة موجات بشرية وفدت عن طريق البحر واستقرت على ساحل المحيط الهادي ما بين أكابولكو (المكسيك) وخليج بايتا (شمال بيرو) . كما نوّه بوجود مستوطنات سنشورا ساحلية ما بين بويرتو هورميجا (على الساحل الكاريبي لكولومبيا) وأورانج ، وعلى جزيرة ستولنجز عند مصب نهر السافانا .

ونوّه العالم الأنثروبولوجي الأمريكي ميشيل كو بأوجه الشبه بين أواني لاس كونشاس الفخارية (٨٠٠ ـ ٢٠٠ قبل الميلاد) من منطقة لافكتوريا بالقرب من ميناء أوكوس الجواتيمالي ، وبين أواني تشوريرا (١٨٠٠ ـ ١٥٠٠ قبل الميلاد) في حوض الريو جواياس بإكوادور . وبالمثل فإنه كان خلال الفترة من ١٠٠٠ إلى ٥٠٠ قبل الميلاد ، ومع ازدهار حضارة تلاتلكو في وادي المكسيك ، أن ظهرت أوجه شبه هامة بين حضارة تلاتلكو وحضارة شافين . كما أشار كو إلى قيام اتصالات بين بيرو ولافِكتوريا خلال هذه الفترة بل وأثناء الخمسمائة عام السابقة عليها مما قد يدل على أن لافكتوريا كانت مرفأ تتوقف فيه السفن أثناء رحلاتها بين ميناء مكسيكي وأحد موانئ إكوادور أو بيرو (وذلك دون إغفال ميناء توماكو في جنوب كولومبيا) . وعلى ذلك فمن الممكن أن تكون المؤثرات الحضارية في أمريكا الوسطى ومنطقة الانديز ، كما تتجلى في الأواني الفخارية ، قد انتقلت بحراً في كِلا الاتجاهين .

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن الآن يتعلق بوسيلة القيام بهذه الرحلات في المحيط الهادي . لقد أصرَّ كثير من الكُتّاب على أن الأرماث ذات الشراع كانت أكثر وسائل الانتقال شيوعا في كافة أنحاء المحيط الهادي وعلى طول سواحل إكوادور وشمال بيرو ، وأنها ظلت تستخدم أثناء العصر الاستعماري وكذلك في خليج جواياكويل في بداية القرن التاسع عشر ، وكانت أعظم أوجه التشابه تتجلّى بين الأرماث التي كانت تبحر على طول الساحل الأمريكي وكانت مزوّدة في العادة بشراع مثلّث وبين الأرماث المستخدمة في بولينيزيا وجزر فيجي . وقد غدا واضحا بعد حملة كون تيكي الاستكشافية أن مراكب ما قبل كولمبس كانت قادرة على القيام برحلات طويلة ، وأثبت ثور هيردال أن الأهالي الأصليين في ذلك العصر قد بلغوا جزر جالاباجوس وهبطوا فيها انطلاقا من ساحل إكوادور .

غير أن سكان أمريكا الأصليين استخدموا أيضا قوارب طويلة عُرِفت أحيانا باسم البَراجواس ، وذلك لأغراض الملاحة الساحلية بوجه خاص ؛ وكانت مراكب سريعة يمكنها أن تحمل على متنها سبعين شخصا وقد ورد ذكرها في وثيقة يرجع تاريخها إلى عام ١٥٢٥ وجاء فيها أنه في أزمنة ما قبل كولُمْبس ، ربما كانت هذه القوارب تنطلق من الساحل الجنوبي لكولومبيا ومن إكوادور وشمال بيرو فتبلغ مصب الريو بالساس عند المدينة التولتكية القديمة زاكاتولا .

لقد ورد ذكر تلك الروابط الملاحية فيما بين هذه المناطق وبينها وبين نيكاراجوا وكوستاريكا وأرويرو في بناما . ولعل قيام هذه الروابط بين منطقة الانديز وأمريكا الوسطى كان هو السبب في انتقال فن تعدين النحاس من بيرو إلى زاكاتولا ، وإن لم يكن بشكل مباشر ، حوالي ٧٥٠ ــ ٨٠٠ ميلادية .

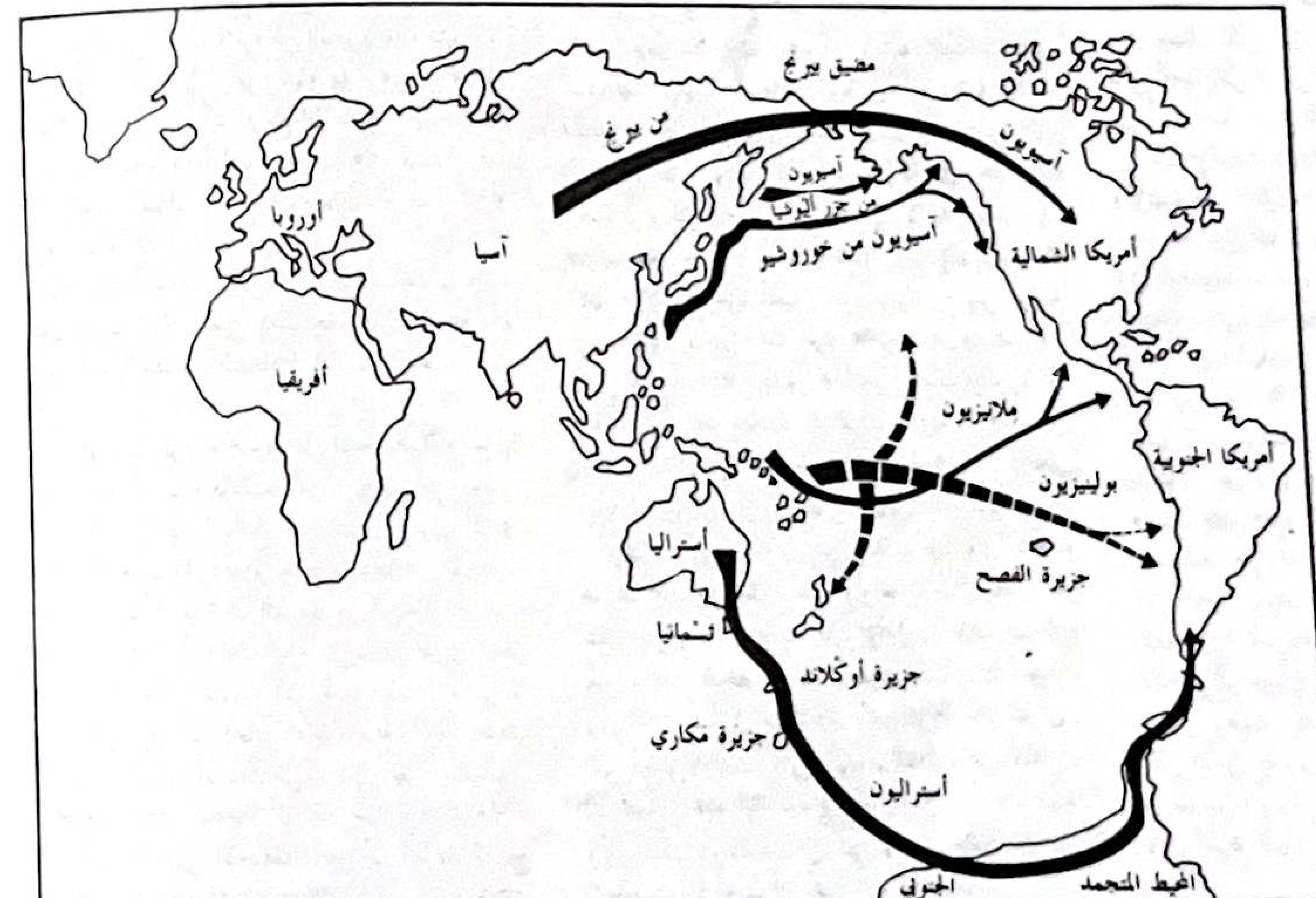
ومن الجدير بالذكر أيضا أن الأسبان الذين قاموا برحلات عبر المحيط الهادي سرعان ما شرعوا في اللجوء إلى مينائيْ المكسيك : نافيداد Navidad (بالقرب من تشيواتلان Chihuatlan على الحدود ما بين ولايتي تشيواتلان وخاليسكو) وزِهواتانيخو Zihuatanejo ، وقد يرجع ذلك إلى أن هذين الميناءين قد اتسما بأهمية خاصة في أزمنة ما قبل كولُمْبس . أما أكابولكو إلى الجنوب فربما ترجع أهميتها إلى ما قبل ذلك . وكان في بلدة بويرتو ماركيس القريبة منها أن اكتشفت أقدم الأواني الفخارية المكسيكية التي يرجع تاريخها إلى عام ألفيْن قبل الميلاد ويرجّح أن تكون قد أتت إليها عن طريق البحر . كذلك فإن الأواني الفخارية القديمة التي يرجع تاريخها إلى عام ١٧٠٠ قبل الميلاد لا بد أن تكون قد وصلت إلى أوكوس ولافِكتوريا عن طريق البحر ، إذ توجد أوجه شبه قوية بينها وبين الأواني الفخارية في حوض الريو جواياس في إكوادور .

وأخيرا فإن سالينا كروز التي تقع بين أوكوس ولافِكتوريا هي الميناء القديم الذي استخدمه الفاتح الأسباني هرنان كورتيس في بناء السفن والذي انطلقت منه حملة استكشاف خليج المسكيك ، وبالقرب منه يعيش هنود الهوافي Huave الذين يزعمون بأنهم قدموا من الجنوب عن طريق البحر ، مما يُفضي إلى احتمال وجود صلة بين لغتهم ولغة اليونجاس Yungas على الساحل الشمالي لبيرو حيث ازدهرت إمبراطورية تشيمو Chimu وحضارتها . كذلك فإن بعض الرسوم الزخرفية التي شوهدت على الأواني الخزفية متعددة الألوان تشابه تلك الرسوم التي يرجع أصلها إلى منطقة الأنديز ، الأمر الذي قد يُستَنتَج منه أن المؤثرات الوافدة عبر البحار قد نفذت إلى داخل المكسيك عن طريق نهر أتوياك الذي ينبع في وادي واخاكا .

لقد تعمّدنا ألّا نعرض للنظريات المتعلقة بالمؤثرات الصينية ــ التي قيل إن بعضها موغل في القدم وبعضها الآخر يرجع إلى عصر الهان ــ في الأواني الفخارية والرسوم الزخرفية لتيوتيهواكان Teotihuacan والتاجين El Tajin ، ولا للمؤثرات الهندوكية والبوذية في فنون المايا ، وذلك بالنظر إلى أن هذه النظريات قد دحضت تماما . ■

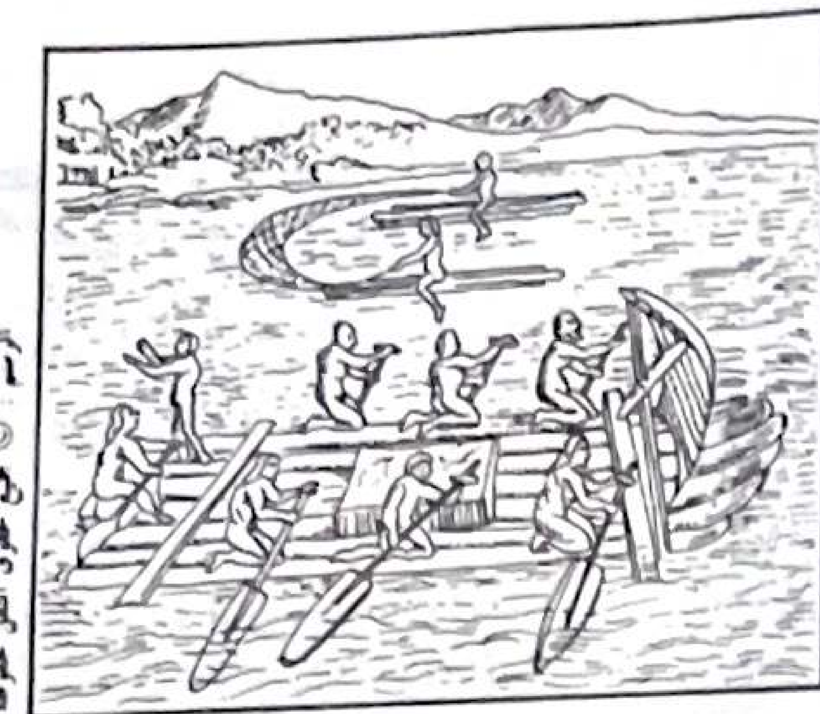
وِجبرتو خمينس مورينو

وجبرتو خمينس مورينو . إثنولوجي مكسيكي . أستاذ بالمعهد القومي للأنثروبولوجيا والتاريخ وعميد المعهد . عضو في الأكاديمية المكسيكية للتاريخ وفي عدة مؤسسات أخرى في بلاده وفي الخارج . يُذكَر من مؤلفاته الكثيرة مؤلف بعنوان (تاريخ المكسيك) كتبه بالاشتراك مع خوسيه ميراندا و م . ت . فرنانديس ، وعدد من الدراسات والمقالات حول موضوع تاريخ المكسيك وخصائصها الإثنولوجية .



خريطة إعمار الأمريكتين وفقاً لأكثر النظريات شيوعاً . وهي تبيّن وصول شعوب آسيوية إلى أمريكا الشمالية عبر مضيق بيرنغ ، ووصول مِلانيزيين وبولينيزيين إلى سواحل أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية عبر المحيط الهادي ، ووصول أناس من أستراليا إلى جنوب شيلي وبتاجونيا عبر المحيط المتجمد الجنوبي .

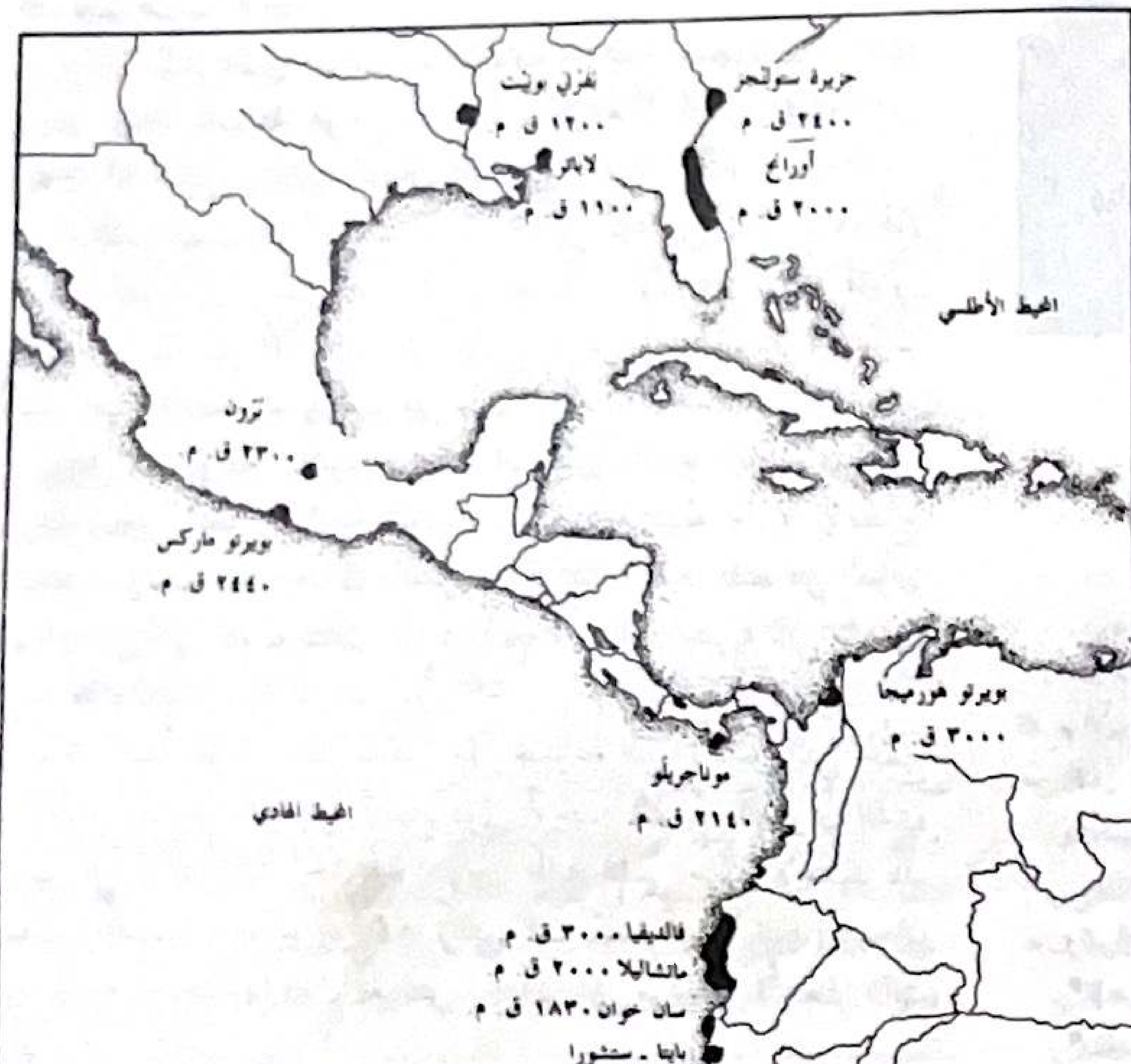
الخريطة : ج . ا . دِلْسُو © جميع حقوق النقل محفوظة



أرماث شراعية في بويرتو فيخو (بورتوفيخو اليوم) بولاية مَنابي في إكوادور ، نقلاً عن Storia dll Mondo Nuevo (تاريخ العالم الجديد) الذي كتبه بنزوني ويرجع تاريخه إلى عام ١٥٧٢ .

© جميع حقوق النقل محفوظة

خريطة لأقدم حضارات الأنديز وأمريكا الوسطى وفقاً لتصوّر تاريخي لما أورده ج. ا. فورد في دراسة له بعنوان Formative Cultures of the Americas (١٩٦٩) .



الخريطة © جميع حقوق النقل محفوظة

قانون البحار الجديد

بقلم : ماريا إدواردا جونثالفيس

لقد كان إقرار اتفاقية الأمم المتحدة الخاصة بقانون البحار واحدا من أهم الأحداث على مسرح السياسة الدولية في عام ١٩٨٢ . ولم يكن من قبيل المصادفة أن يتم ذلك في الوقت الذي يتزايد فيه الاهتمام بالمحيطات وتغدو فيه ندرة المواد الخام على الأرض والبحث عن مصادر جديدة دافعا للدول كل على حدة وللمجتمع الدولي في مجموعه لكي يحولوا انتباههم صوب البحار .

وكان المؤتمر الذي صيغت فيه الاتفاقية قد عُقِد استجابة لهذا الاهتمام وجاء نتيجة لمجموعة عوامل مترابطة يذكر منها التقدم التكنولوجي (الذي أتاح اليوم إمكانية استكشاف موارد بحرية لم تكن معروفة من بضعة عقود مضت) والتغيّرات السياسية (نَيْل كثير من البلاد استقلالها) التي انعكست في حرص البلاد النامية على أن يكون هناك إطار قانوني يشجّع المزيد من الإنصاف في توزيع فرص استكشاف المحيطات ومواردها والانتفاع بما يترتب على ذلك من مزايا اقتصادية واجتماعية .

ويحلّ هذا الإطار القانوني الجديد محل المبدأ القديم الذي ينص على حرية البحار ، فمن الناحية النظرية كانت لأية دولة حرية الانتفاع بالبحار ، ولكنّ الذي حدث بالفعل هو أن عددا قليلا فقط من الدول البحرية هي التي كانت تمتلك الموارد المادية والمالية والبشرية التي تؤهلها للملاحة والصيد ، إن لم يكن لشَنّ الحروب بعضها ضد بعض .

وكان مبدأ حرية البحار ينهض على مجموعة من الأسس التي تجمع بين طابع سياسي ناشئ عن مجتمع دولي أوجده التوسّع البحري الذي ترتب على الاكتشافات الجغرافية ، وبين طابع علمي مردّه الاعتقاد بأن ضخامة المحيطات وحجم مواردها (التي كان يُعْتَقد أنها لا تنفد) يتيحان كافة أوجه استخدامها دون تعريض الحفاظ على مواردها لأخطار ذات شأن .

بيد أنه عندما تغيّرت الحقائق الأساسية لهذا الوضع ، بدأت البلاد النامية تطالب بمزيد من العدالة في تقاسم المساحات البحرية وبمزيد من الإنصاف في العلاقات بين الدول . وتقدِّم الاتفاقية حلا لتحقيق هذه الأغراض من خلال منح حقوق السيادة على مناطق مختلفة ، واتخذ هذا المنح شكلين رئيسيين .

فمن جانب ، تُقِر الاتفاقية بأن للدول الساحلية حق السيادة الإقليمية على «البحار الإقليمية» لمسافة اثني عشر ميلا بحريا عرضاً ، كما لها حق ممارسة السيادة الوظيفية والعملية على «منطقة اقتصادية خالصة» تمتد لمسافة مائتي ميل وتكون وقفا عليها ، وعلى رصيف قاري يتوقف مداه على البنية الجيولوجية للمنطقة المعنية . وفضلا عن حقوق السيادة لأغراض البحوث والاستكشاف ولإدارة وصون الموارد الطبيعية المتجددة وغير المتجددة في هذه المناطق ، فإن الدول الساحلية تتمتع أيضا بالولاية القضائية والتشريعية فيما يتعلق بالبحوث العلمية البحرية وحماية البيئة البحرية من التلوّث .

(يتبع في صفحة ٤٢)

ماريا إدواردا جونثالفيس . البرتغال . عضو المجلس القومي للبحوث العلمية والتكنولوجية في بلادها . أستاذة بجامعة لشبونة الجديدة . كانت عضوا في وفد البرتغال إلى مؤتمر الأمم المتحدة الثالث لقانون البحار ولها عدة مؤلفات عن القانون الدولي العام مع إيلاء اهتمام خاص لقانون البحار .


فرز عينات من مياه البحر تمهيداً لتحليلها أثناء حلقة تدريبية عن مراقبة التلوث البحري عُقِدت في برمودا .

اللجنة الدولية الحكومية لعلوم المحيطات

أنشأت اليونسكو اللجنة الدولية الحكومية لعلوم المحيطات عام ١٩٦٠ . وهي تضم الآن مائة وأربعين دولة عضوا وتشرف عليها جمعية يعاونها مجلس تنفيذي يتألف من اثنين وثلاثين عضوا منهم الرئيس ونائب الرئيس .

ويمكن إيجاز المهام التي تضطلع بها اللجنة بأنها تتمثّل في تحديد تلك المشكلات التي يتطلب حلّها تعاونا دوليا في مجال علوم المحيطات وفي تطوير برامج دولية توصي بها وتتولى تنسيقها من أجل :

- إجراء البحوث والتحقيقات العلمية في مجال المحيطات ؛
- تقديم الخدمات في هذا المجال ؛
- دعم التعليم والتدريب والمساعدة في علوم وتكنولوجيا البحار ، الأمر الذي يقتضي تعاوناً وثيقاً مع الدول الأعضاء في كوي ومع المنظمات الدولية التي يعنيها الأمر .

علوم المحيطات

للجنة خمسة برامج رئيسية في مجال علوم المحيطات :

برنامج علوم المحيطات من حيث علاقتها بالموارد الحية (OSLR) الذي دُعيت الفاو (منظمة الأغذية والزراعة) إلى الاشتراك في الإشراف عليه ؛ وهو يستهدف تحديد ميادين علوم البحار التي يمكن أن تؤدي إلى تعميق فهم العلاقة بين رصيد السمك وما يطرأ على بيئة المحيطات من تغيّرات ، وإلى إرساء الأسس العلمية لتنمية مصايد الأسماك وإدارتها .

برنامج علوم المحيطات من حيث علاقتها بالموارد غير الحية (OSNLR) الذي تشترك في الإشراف عليه منظمة الأمم المتحدة من خلال مكتب الشؤون الاقتصادية والتكنولوجية للمحيطات (OETO) التابع لها ؛ وهو يستهدف دراسة المشكلات الإقليمية في مجالي الجيولوجيا والجيوفيزيقا بغية إرساء الأسس العلمية لاستكشاف الموارد المعدنية واستغلالها .

وفي مجال رسم الخرائط المحيطية اشتركت كوي ومهد (المنظمة الهيدروغرافية الدولية) عام ١٩٨٢ في نشر الطبعة الخامسة من الخريطة العامة لقياس أعماق المحيطات (جيبكو) . وقد انتهى إعداد الخريطة الدولية لقياس أعماق البحر المتوسط (إيبكم) وطبعت عام ١٩٨١ ، ويتولى فريق أخصائيي إيبكم المختص بالصحائف الفوقية في الجيولوجيا والجيوفيزيقا إعداد ست صحائف فوقية جيوفيزيقية . كذلك يجري الآن إعداد الأطالس الجيولوجية والجيوفيزيقية للمحيط الهادي والمحيط الأطلسي .

ويشتمل برنامج التحقيق العالمي عن التلوث في البيئة البحرية (جيبمي) على بحوث في التلوث البحري وعلى دراسات قاعدية وإقامة شبكة عالمية لمراقبة التلوث البحري بهدف إرساء أساس علمي سليم لاتخاذ تدابير تنظيمية لوقاية البيئة البحرية .

وتضطلع كوي بمسؤولية تنسيق العناصر المحيطية في برنامج بحوث المناخ العالمي (WCRP) بهدف تعميق فهم دوْر المحيطات في تقلبات المناخ وتغيّراته . ويجري تصميم نظام لمراقبة المحيطات بالتعاون الوثيق مع لجنة العمل المشتركة بين كوي ومعارج (المنظمة العالمية للأرصاد الجوية) والمختصة بإيجوس (الشبكة العالمية المتكاملة لمحطات المحيطات) ولجنة العمل التابعة لكوي والمختصة بالتبادل الدولي للبيانات الأقيانوغرافية (يودي) واللجنة العلمية التابعة لإيكسو (المجلس الدولي للاتحادات العلمية) والمختصة ببحوث المحيطات (سكور) .

خدمات المحيطات

تقدّم كوي لدولها الأعضاء ثلاث خدمات محيطية رئيسية .

فالشبكة العالمية المتكاملة لمحطات المحيطات (إيجوس) عبارة عن شبكة مشتركة بين كوي ومعارج عالمية النطاق ، لتقديم خدمات عملية تتمثل في بيانات ومعلومات عن حالة المحيطات يُزوَّد بها مختلف فئات المنتفعين بالبحار . ومن الأمور التي يهتم بها هؤلاء المنتفعون استكشاف واستغلال الموارد البيولوجية والمعدنية للمحيطات ، والملاحة ، والطقس والمناخ ، والترويح والترفيه ، وعمليات البحث والإنقاذ ، والهندسة المحيطية والشاطئية ، ومراقبة الموانئ والمرافئ ، ومراقبة التلوث والتخفيف من حدّته .

والهدف الرئيسي لبرنامج التبادل الدولي للبيانات الأقيانوغرافية (يودي) هو جمع البيانات الأقيانوغرافية ومعالجتها وحفظها واسترجاعها وتبادلها على الصعيد العالمي . وتدعو الحاجة إلى هذه الخدمات بغية الإقلال إلى أدنى حد من مخاطر المحيطات والجو ، وحماية المناطق الساحلية وتنميتها ، والنهوض بمستوى دقة التنبّؤات الجوية ومستوى أداء وسائل النقل البحري ، وصوْن البيئة البحرية ، وحسن استغلال الموارد المحيطية الحية وغير الحية .

هذا وقد أنشئت شبكة عالمية ، هي الآن بسبيلها إلى توسّع تدريجي ، من المراكز الوطنية للبيانات الأقيانوغرافية (نودك) تنهض اللجنة بمسؤولية التنسيق فيما بينها .

كذلك تتولى اللجنة أمر تنسيق نظام الإحالة إلى البيانات والمعلومات الخاصة بالبيئة البحرية (ميدي) وتشترك اشتراكا إيجابيا في شبكة المعلومات الخاصة بالعلوم المائية ومصايد الأسماك (أسفيس) المشتركة بين الفاو وكوي ومكتب الشؤون الاقتصادية والتكنولوجية للمحيطات التابع للأمم المتحدة .

وفي المناطق الساحلية للمحيط الهادي وعلى شواطئ جزر ذلك المحيط توجد اثنتان وعشرون دولة عضوا في فريق التنسيق الدولي التابع لكوي والمختص بشبكة إنذارات الموجات السامية في المحيط الهادي . وقد نُشِرت بمعرفة الفريق المذكور مواد تعليمية وإعلامية ويجري حساب وإعداد جداول زمنية إضافية وجديدة لحركة الموجات السامية .

التدريب والتعليم والمساعدة المتبادلة (تيما)

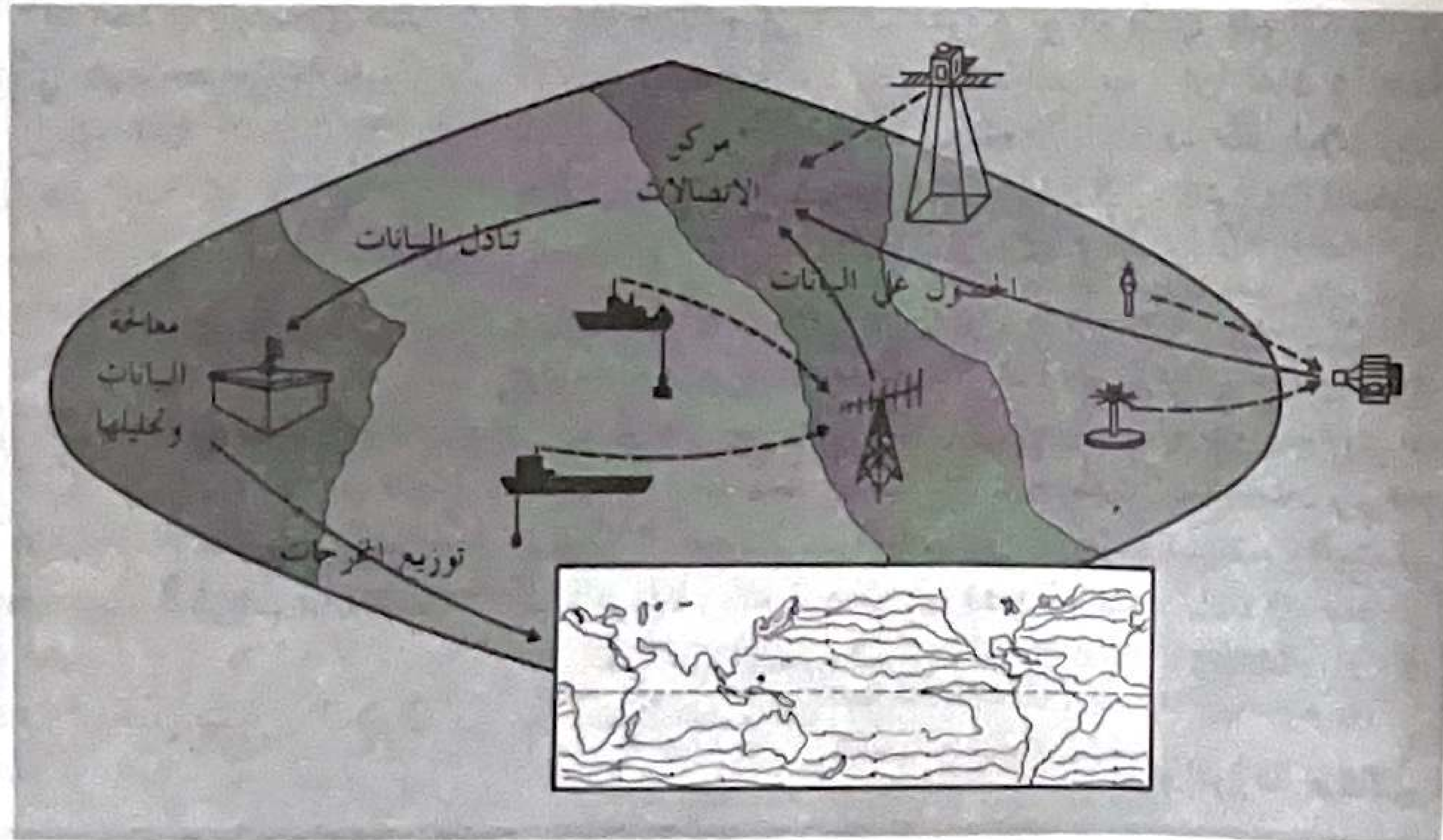
تنظم كوي ، بغية دعم ومساندة برامجها في مجالَيْ علوم المحيطات وخدمات المحيطات برامج محددة للتدريب والتعليم والمساعدة المتبادلة في مجال علوم البحار . ولكي تلبّي أماني البلاد النامية وتطلعاتها اعتمدت اللجنة خطة شاملة لبرنامج مساعدة رئيسي يستهدف دعم قدرات البلاد النامية في مجال علوم البحار .

البنى

كذلك تعمل كوي بوصفها هيئة متخصصة مشتركة لمنظمات الأمم المتحدة الأعضاء في اللجنة المشتركة بين السكرتاريات والمختصة بالبرامج العلمية المتعلقة بعلوم المحيطات (إيكسيرو) : الأمم المتحدة واليونسكو والفاو ومعارج ومهد . وتساعد كوي هذه المنظمات في الاضطلاع ببعض مسؤولياتها في مجال علوم المحيطات وخدمات المحيطات وما تقتضيه من أنشطة التدريب والتعليم والمساعدة المتبادلة .

وتعمل كوي - في سبيل تنفيذ برامجها وكلما اقتضى الأمر ذلك - من خلال هيئات فرعية إقليمية يُخصّ بالذكر منها رابطة كوي للبحر الكاريبي والمناطق المتاخمة له (يوكاريب) ؛ وأفرقة البرنامج المختصة بغرب المحيط الهادي (وسْباك) ؛ والتحقيقات التعاونية في شمال ووسط غربي المحيط الهندي (سِنْكوِيو) ؛ والتحقيقات التعاونية في وسط المحيط الهندي (سنديو) ؛ وفريق التنسيق الدولي للمحيطات الجنوبية (سوك) ؛ وفريق العمل المختص بالدراسة العلمية لظاهرة النينيو والمشترك بين كوي ومعارج واللجنة الدائمة لجنوب المحيط الهادي ؛ كذلك تبذل الآن جهود لتشكيل هيئة فرعية إقليمية لساحل أفريقيا الأطلسي .

أما بالنسبة للبرامج العالمية فإن كوي تعمل من خلال لجان عمل دولية حكومية متخصصة لكل من جيبمي وإيجوس ويودي وتيما وهيئات تقنية فرعية أخرى يذكر منها اللجنة المشتركة بين سكور وكوي والمختصة بالتغيّرات المناخية والمحيطات (كو). ■



الشبكة العالمية المتكاملة لمحطات المحيطات (إيجوس) تؤدي خدماتها

قانون البحار الجديد

◄ ومن جانب آخر فإن الاتفاقية تنص على أن الموارد المعدنية لقيعان البحار فيما يتجاوز حدود الولاية القومية هي بمثابة «تراث مشترك للإنسانية» تتولى إدارته «سلطة دولية لقاع البحار» وهي منظمة تُنشأ على أسس جديدة ومبتكرة ، وتملك حقوق السيادة على «المنطقة» باسم البشر جميعا ولمصلحتهم . وتشمل السلطات المُخوّلة لتلك «السلطة» تنظيم عمليات الاستكشاف وتوجيهها والإشراف عليها ، وستلحق بها «مؤسسة» تباشر مهام التنقيب عن الموارد المعدنية واستغلالها وتتولى مسؤولية توزيع ثمار مثل هذه الأنشطة وفقا لمعايير عادلة وواضعة في اعتبارها بنوع خاص مصالح البلاد النامية واحتياجاتها .

وعلى الرغم من أن المجتمع الدولي قد أقر بأوجه القصور التي تكتنف النظام السابق الذي كان يقضي بحرية تكاد تكون مطلقة ، فإن ذلك المجتمع لا يزال غير مهيأ فكريا لتقبل نظام مركزي لإدارة دولية للمحيطات على صعيد العالم . ومع ذلك فإن نظام «المنطقة» (قاع البحر وقاع المحيط وتربتهما التحتية فيما يتجاوز حدود الولاية القومية) يشكّل خطوة هامة بل ثورية في هذا الاتجاه على الرغم من أن «السلطة» لها أن تتعاقد مع الدول والمؤسسات العامة والخاصة على القيام بأنشطة استكشافية ، وذلك جنبا إلى جنب مع الأنشطة التي تضطلع بها «المؤسسة» .

وعلى ذلك يبدو مجال المحيطات وكأنه قد قُسّم إلى أجزاء مستقلة بعضها عن بعض ، على حين أنه يمكن القول بأن نظاما قانونيا موحّدا ربما كان أكثر انسجاما مع الاستمرار الطبيعي للبيئة البحرية . ويمكن الردّ على ذلك بأن التزامات الدول الساحلية تجاه الدول الأخرى والمجتمع الدولي إنما هي التزامات ينص عليها نظام المناطق الواقعة تحت الولاية القومية ، وأنها بذلك تعوّض على نحو ما جنوح النظام إلى قصْر المنفعة على تلك الدول .

من ذلك مثلا أن على الدولة الساحلية واجب احترام حرية الملاحة في منطقتها الاقتصادية الخالصة ، كما أنها ملتزمة بالتعاون مع الدول الأخرى التي تهاجر إلى مياهها نفس الأنواع التي تدخل منطقة ولايتها وبمنع التلوث الذي قد تتجاوز آثاره تلك المنطقة والحدّ من هذا التلوث ومراقبته . والدولة الساحلية ملتزمة أيضا بأن تمنح حق استغلال تلك الموارد الموجودة في منطقتها الاقتصادية الخالصة والتي لا تستطيع هي استغلالها ــ لدول أخرى أقل حظا إما لأنها محصورة باليابسة أو تفتقر إلى مناطق ساحلية هامة ، أو لأسباب تتعلق بطبيعة جغرافية خاصة ، أو لأن مواطنيها قد درجوا على الصيد في المنطقة المعنية .

غير أنه لا يكفي مجرد منح الحقوق إذ يجب أيضا تهيئة الظروف التي تمكّن الدول ، ولا سيما أقلها تطوّرا ، من أن تمارس حقوقها بالفعل وأن تفي بمسؤولياتها . وعلى ذلك فمن الضروري أن تتاح لهذه البلاد فرص الانتفاع بالمعارف العلمية وامتلاك التكنولوجيات اللازمة لصون مواردها وإدارتها إدارة رشيدة . ويقتضي ذلك بدوره تنميتها تنمية علمية وتكنولوجية ذاتية بحيث تستطيع المشاركة في البحث العلمي على قدم المساواة مع سائر البلاد . ويتجلى هذا الاهتمام في الاتفاقية حيث تنص على الواجبات المتعلقة بالتعاون في مجال تبادل المعلومات والبيانات وتدريب العاملين والمشاركة في البرامج العلمية .

وهكذا يَرِدُ التعاون الدولي في الاتفاقية كمكمِّل ضروري للحقوق الجديدة . وتقسيم المحيطات يعزز الحاجة إلى التعاون بين الدول على الرغم مما قد يتسم به ذلك من تناقض ظاهري . وفي هذا السياق ينبغي أن تنهض المنظمات الدولية المختصة ، ولاسيما الوكالات المتخصصة التابعة للأمم المتحدة ، بدور هام يتمثل في توفير إطار لإجراء الحوار وتحقيق التقارب بين الدول ، وتعزيز العمل على تطوير البنى الأساسية القائمة في البلاد النامية ولا سيما في مجال علوم البحار وتطبيقاتها .

واليوم ، وقد أصبح لدى المجتمع الدولي اتفاقية للمحيطات ، شاملة في مداها وعالمية في نطاقها ، ينبغي ألا يُظَنّ أن التوصل إلى اتفاق نهائي كان أمرا هيّنا أو يسيرا إذ أنه استغرق خمس سنوات من العمل الدائب ومناقشات مستفيضة وتطوير أساليب فنية مبتكرة للتفاوض طرق فيها المؤتمر دروبا جديدة .

ولم يتحقق وضع الاتفاقية في صيغتها النهائية إلا نتيجة لحلول وسط كثيرا ما أدت إلى إيراد صيغ مبهمة وغامضة . وعلى ذلك فقد ساد شعور قوي بضرورة استكمال النظام الذي أقرته بشبكة من الأجهزة والإجراءات التي يمكن الاستعانة بها في التفسير والتطبيق في حالة نشوء خلاف أو نزاع . وقد تضمنت الاتفاقية نصوصا تستهدف هذه الغاية . من ذلك مثلا أنها تنص على إنشاء محكمة خاصة لقانون البحار يراعى في تشكيلها تمثيل الأنظمة القانونية الرئيسية في العالم وتوزيع جغرافي عادل وتتألف بطبيعة الحال من شخصيات ذات كفاءة معترف بها في الشؤون المرتبطة بقانون البحار .

وعلى الرغم من أن الاتفاقية تنص على أن رسالتها ذات طابع عالمي ، فإن عددا من الدول (منها الولايات المتحدة الأمريكية وجمهورية ألمانيا الاتحادية ، وكذلك تركيا وفنزويلا) لم توقعها ولا يبدو أن في نيتها أن تصدّق عليها أو تنضم إليها في المستقبل القريب . والسبب في ذلك هو أن الدول الصناعية تجد صعوبة في تقبل الالتزامات التي يفرضها عليها انضمامها إلى الاتفاقية خاصة فيما يتعلق بنظام قيعان البحار ، وعلى وجه التحديد الالتزامات المتعلقة بحدود الإنتاج ونقل التكنولوجيا إلى «السلطة» . ولعل أخشى ما تخشاه تلك الدول هو أن الحل الذي أقرّته الاتفاقية على أساس المبدأ القائل بأنها «تراث مشترك للإنسانية» قد يشكّل سابقة يمكن الاسترشاد بها مستقبلا في إعداد نظم تطبّق في مجالات أخرى للعلاقات الدولية مثل الفضاء الخارجي والمنطقة القطبية الجنوبية .

وثمة ما يدعو إلى خوف مشروع من أن يؤدي عدم الاشتراك في الاتفاقية ، وخاصة من جانب البلاد الصناعية ، إلى الشك في فعالية النظام الذي أقرته كلما اقتضت الضرورة مناشدة هذه البلاد تزويد «السلطة» برؤوس الأموال والتكنولوجيات التي تحتاج إليها في عمليات التنقيب عن الموارد المعدنية لقيعان البحار .

وعلى الرغم مما يعتور الاتفاقية من حلول وسط أدت إلى الغموض والإبهام ، فإنها قد نجحت مع ذلك في وضع الأهداف وتحديد المبادئ وإقرار قواعد يسير عليها نظام لتوزيع السلطات وإقامة العلاقات بين الدول يمكن أن يتّخذ أساسا لبناء نظام جديد للمحيطات . إن هذه الاتفاقية قد أحدثت تغييرا أساسيا في الاتجاهات السابقة من حيث أنها تقدّم نموذجا وبرامج للنشاط تثير الشك والتساؤل بشأن القيم والمبادئ التي نهض عليها المذهب الليبرالي وتحبذ المزيد من الديمقراطية والمشاركة بين أعضاء المجتمع الدولي .

ماريا إدواردا جونثالفس

مُراقبة صحة المحيطات

يقع بين الحين والآخر حادث مفجع يذكّر العالم بأن الإنسان يفرّغ في المحيطات ، عن قصد أو عن غير قصد ، كميات كبيرة من مواد قد تنطوي على أضرار بالغة . وكانت الكارثة التي بدأت في خليج ميناماتا باليابان ، هي الحادث الذي ربّما أثيرت حوله الدعاية على أوسع نطاق ، وكان ذلك خلال الخمسينات عندما أفرغ كلوريد الزئبق الميثيلي داخل الخليج من مصنع كيميائي . وعندما امتصته أجسام السكان المحليين فيما يتناولونه من أطعمة بحرية أصاب الزئبق الجهاز العصبي المركزي بمرض أوْدَى بحياة أناس كثيرين وترك ضحايا آخرين بعاهات لا يُرْجَى شفاؤها . وفي عهد أقرب ، في مارس/آذار ١٩٧٨ ، احتلت الناقلة العملاقة أموكو كاديز مكان الصدارة بالصحف عندما جنحت بالقرب من الساحل الفرنسي مما ترتب عليه إصابة الشواطئ والمياه الساحلية بتلوّث خطير .

وعلى الرغم من أن مثل هذه الأحداث محلية في نطاقها ، فلا مناص لها من أن تحفز الناس على التساؤل بصورة أشمل عما إذا لم يكن الإنسان يلوث المحيطات بدرجة خطيرة وربما لا مردّ لها وقد ينجم عنها تخريب آخر ما يملك من موارد طبيعية عظيمة .

وفي محاولة قريبة العهد لتقييم الحالة الصحية للبيئة البحرية ، عمد فريق من العلماء بتكليف من اليونسكو وغيرها من الوكالات المتخصصة التابعة للأمم المتحدة إلى دراسة ما يحدث في عرض المحيط من جانب وما يحدث في المناطق الساحلية والبحار المغلقة من جانب آخر ، وانتهوا من دراستهم إلى نتيجة مؤداها أنهم لم يكتشفوا في عرض البحار آثارا ذات شأن على النظام الإيكولوجي ؛ صحيح أنهم لاحظوا اتجاها نحو تركّز عدد من الملوّثات بعضها قرب السطح وبعضها في الأعماق ، غير أنه لم يترتب عليها تدهور يبقى يُذْكَر .

«ومن جانب آخر فإن آثار التلوث يمكن مشاهدتها في البحار شبه المغلقة والأرصفة القارية والمناطق الساحلية . فالبحار شبه المغلقة ، مثل خليج المكسيك والبحر المتوسط وبحر الشمال وبحر البلطيق ، تتلقى قدرا كبيرا من الملوّثات ... بل أن هناك عددا من المواضع التي يسفر فيها هذا التلوث عن اختلال في توازن النظام الإيكولوجي . وفي إحدى مناطق بحر الشمال (وادّنسي) وفي البلطيق ، أسهم التلوّث في خفض حجم بعض جماعات الثدييات البحرية» .

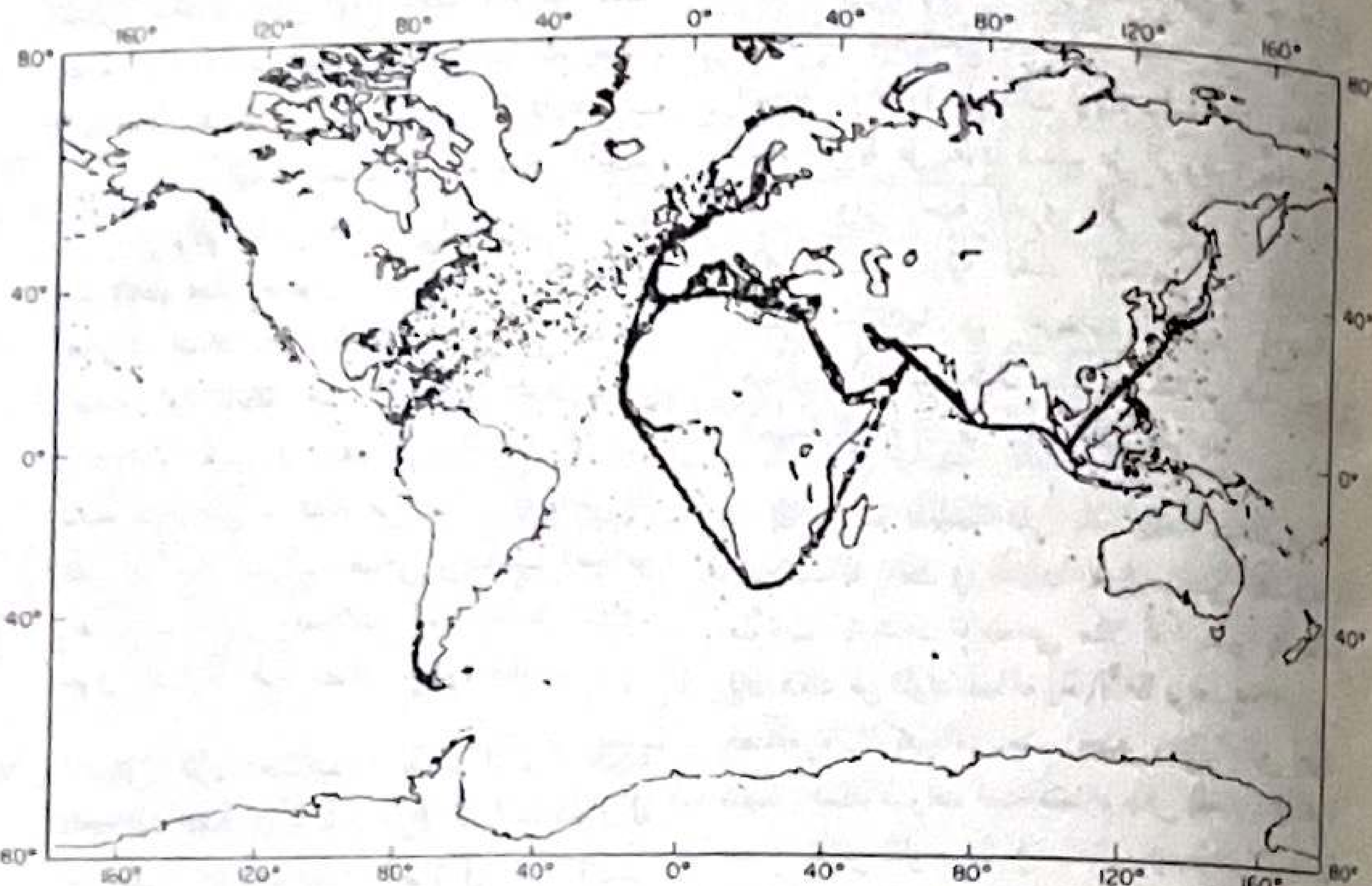
وتخضع المياه الساحلية لضغوط متزايدة بسبب النمو المستمر للمستوطنات البشرية على طول الساحل والزيادة في مرافق الاستجمام على الشواطئ وتركز التنمية الصناعية في المناطق الساحلية . وهي تتسم بأهمية حيوية بالنسبة للإنسان بالنظر إلى أنه يوجد فيها (وبدرجة أقل بكثير في مناطق التيارات الصاعدة) القدر الأعظم من موارد المصايد البحرية . واليوم ، حيث يوجد في هذه المياه أعلى تركيز للمعادن والمركبات الصناعية مثل الـ دي . دي . تي . والهيدروكربونات البترولية والجوامد العالقة والنفايات ، فإن المصايد الساحلية تتعرّض لأبلغ أخطار التلوّث . وفي بعض الحالات «توقفت المصايد في مناطق محدودة ، مما أثار في نفوس المستهلكين في بعض الأحيان شكّاً بأن الأسماك المصادة في مناطق أخرى مجاورة ربما كانت ملوّثة ، الأمر الذي يترتب عليه نشوء مشكلات في وجه تسويق الأسماك في مناطق بأكملها» .

وكان فريق العلماء هذا ـ الذي ظهر تقريره تحت عنوان «دراسة عن صحة المحيطات» (تقارير ودراسات جيسامب : العدد ١٥) ـ قد أنشأه فريق الخبراء المشترك المختص بالجوانب العلمية للتلوث البحري (جيسامب) ، وهو هيئة استشارية لأخصائيين يبدون الرأي والمشورة العلمية للمنظمات الراعية[1] بما فيها اليونسكو ولجنتها الدولية الحكومية لعلوم المحيطات (كوي) .

وقد استطاعت اليونسكو ، بفضل لجنتها كوي أن تنهض منذ عدة سنوات بدور قيادي داخل منظومة الأمم المتحدة في تركيز الاهتمام على المشكلات العلمية للتلوّث البحري ، ولاسيما على آثاره على محيطات العالم . ولدى لجنة كوي اليوم برنامج لمراقبة التلوث البحري (ماربولمون) يُنَفّذ في إطار التحقيق العالمي عن التلوّث في البيئة البحرية (جيمي) ومن خلال شبكة من الأنشطة الإقليمية والعالمية ، ويشكّل الأساس اللازم للحصول على البيانات التي تتطلبها المراقبة المستمرة لصحة المحيطات .

وقد وضع أخصائيو جيسامب تعريفا للتلوّث ينص على أنه «قيام الإنسان بشكل مباشر أو غير مباشر بإدخال مواد أو طاقة إلى البيئة البحرية مسبّبا بذلك آثارا تلحق الضرر بالموارد الحية وتعرّض صحة البشر للخطر ، وتقف عائقا في سبيل الأنشطة البحرية بما فيها صيد الأسماك ، وتُفسِد نوعية مياه البحر فيما يتعلق بأوجه استخدامها المختلفة ، وتُقلّل إمكانيات إنشاء المرافق» . وعلى أساس هذا التعريف فحصوا آثار خمس مجموعات من الملوّثات المحتملة : مياه الصرف الصحي ؛ مواد تركيبية معينة مثل الهيدروكربونات المُهلْجَنة (الدي . دي . تي . ومركّبات البيفينيل عديدة التكلُور مثلا) ؛ والمواد البترولية ؛ والعناصر المعدنية الثقيلة التي وإن كان وجودها في مياه البحر بمقادير ضئيلة يُعَدّ ظاهرة طبيعية ، تكون لها آثار ضارة على الكائنات الحية عندما يزيد تركيزها عن معدله الطبيعي ؛ والنظائر المُشعّة والنفايات النووية .

وتصل مثل هذه المواد إلى المحيطات بطرق شتّى ،◄



الخريطة : © كوي ، اليونسكو

أثناء فترة الأربع السنوات من ١٩٧٥ إلى ١٩٧٨ ، سجّل الملاحون وعلماء البحار ما يربو على ٨٥٠٠٠ مشاهدة عينية لبقع النفط وغيرها من المُلوّثات الطافية في أرجاء كثيرة من محيطات العالم وذلك في إطار مشروع رائد لمراقبة التلوث البحري (بالبترول) (MAPMOPP) ترعاه اللجنة الدولية الحكومية لعلوم المحيطات (كوي) التابعة لليونسكو ، والمنظمة العالمية للأرصاد الجوية . وتبين الخريطة الواردة أعلاه المواضع التي شوهدت فيها بقع النفط وقت المراقبة .

(١) المنظمة الاستشارية الدولية الحكومية للملاحة البحرية ؛ منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة ؛ اليونسكو ؛ منظمة الأمم المتحدة ؛ المنظمة العالمية للأرصاد الجوية ؛ منظمة الصحة العالمية ؛ الـ الدولية للطاقة الذرية ؛ برنامج الأمم المتحدة للبيئة .

من الغمر والإراقة إلى التفريغ من المصانع أو المدن . كما يمكن أن تنتقل بشكل مباشر أو غير مباشر عبر الأنهار التي وُصِفَت بأنها «أهم وسيط لنقل المواد من القارات إلى المحيطات» ، أو تنتشر في الغلاف الجوي ثم تهبط مع الأمطار . كما أن كثيرا من المواد تدخل المحيطات من خلال عمليات طبيعية ؛ فالتجوية الجيولوجية والنشاط البركاني مثلا مصادر طبيعية هامة للعناصر المعدنية الثقيلة التي تنفذ إلى البيئة البحرية . إن كافة العناصر الطبيعية توجد في المحيط والكثير منها ، مثل النحاس ، يدخل ، عندما يوجد بمقادير طبيعية ، في تركيب المواد الغذائية اللازمة للحياة النباتية والحيوانية البحرية . ويتمثل التحدي الذي يواجه علماء البيئة في تحديد المستوى الذي تصبح فيه مثل هذه التركيزات سامّة ، وبعبارة أخرى تحديد النقطة التي يبلغ عندها المحيط عتبة احتماله .

الصرف الصحي . يطلق تقرير جيسامب صيحة تحذير فيما يتعلق بالصرف الصحي . فقد نوّه بأن استخدام المنطقة الساحلية مستودعاً تلقى فيه مياه الصرف الصحي أمر منتشر على نطاق العالم والكميات التي تتلقاها في تزايد مطّرد ، ولكن المشكلات تنشأ محليًا أكثر منها على صعيد العالم وقرب السواحل أكثر منها في عرض المحيط . وتشكّل مياه الصرف الصحي خطرا مباشرا لانتقال عدوى الأمراض إلى الناس على بعض الشواطئ ، خاصة خلال مواسم التصييف والسياحة ؛ والأخطر من ذلك على صحة الإنسان تفريغها على أسراب المحار أو بالقرب منها إذ تغدو هذه عندئذ غذاء ملوثا يستهلكه الناس .

الهيدروكربونات المُهَلْجَنة بما فيها مركّبات اليفنيل عديدة التكلُور (PCBs)

وهنا تبدو الصورة مختلفة بعض الشئ . فهذه المركّبات تبلغ المحيط أساسا على هيئة بخار ، وبالنظر إلى أنها تنتقل عبر العالم بواسطة الريح والأنظمة المحيطية ، فإنه يمكن مشاهدتها على بُعْد مسافات كبيرة من مصادرها .

كما أن الـ دي . دي . تي . - الذي لقي اهتماما واسع النطاق من جراء ما ألحقه بالبيئة من أضرار يُذْكَر منها إضعاف قدرة الطيور على التكاثر نتيجة لما يصيب قشرة بيضها من رقّة ووهن ، وكذلك التسمّم وضعف التكاثر لدى الأسماك وبعض الثدييات البحرية - يوجد الآن في كل مكان تقريبا في البيئة البحرية ، في العوالق البحرية بكل المحيطات من المحيط المتجمد الشمالي إلى المحيط المتجمد الجنوبي . لقد استخدم أول ما استخدم في الزراعة كمبيد حشري لوقاية محاصيل القطن كما استخدم كوسيلة لمكافحة الملاريا . ويقدّر أن برامج المكافحة هذه قد استخدم فيها بين عامي ١٩٧١ و ١٩٨١ ما يزيد على ٥٠٠٠٠٠ طن من مادة الـ دي . دي . تي . واليوم تفرض بلاد كثيرة قيوداً على استخدامها بالنظر إلى ما لها من آثار ضارة بالكائنات العضوية غير المستهدفة . أما مركّبات اليفنيل عديدة التكلُور (PCBs) فتستخدم في أغراض شتّى ابتداء من العوازل الكهربائية للمحوّلات وحتى صنع أنواع الطلاء وأحبار الطباعة .

ومما ورد في تقرير جيسامب بصدد موضوع مركبّات اليفنيل عديدة التكلُور أنه «ليس هناك أدلة مُثْبتة ومؤكدة على إصابة الإنسان بأمراض على أثر تناوله طعاما يتألف من كائنات عضوية بحرية تحتوي على مركّبات اليفنيل عديدة التكلُور على الرغم من أن «بقايا هذه المادة في بعض الكائنات العضوية البحرية تفوق المعدل الذي أقرته بعض السلطات الوطنية بقصد وقاية صحة الإنسان» . أما بالنسبة لمادة الـ دي . دي . تي . «فليس من المحتمل أن تُعرّض بقاياها صحة الإنسان للخطر ، ولكن الخوف من التلوّث من هذا المصدر أو من غيره يمكن أن تكون له آثار ضارة على إمكانيات تسويق الأطعمة البحرية» .

النفط . يُقدّر أن محيطات العالم تتلقّى سنويا ما يزيد على ستة ملايين من الأطنان المترية من الهيدروكربونات البترولية وأنه قد حدث في العقد الأخير عدد من حالات إراقة البترول وانفجار آباره أطلقت كميات ضخمة من النفط أدّت إلى تلوث البحر . وتحتوي بعض أنواع النفط الخام على عناصر سامّة جدا للكائنات البحرية . ومع ذلك فقد تجمعت لدينا مقادير متزايدة من المعلومات التي لا تدل فحسب على أن أعالي البحار ليست معرّضة لخطر التصحّر بسبب ما يراق فيها من نفط ، بل أيضا على أنها تتمثّل هذا النفط بمعدّل معقول . غير أنه يتعين التنبيه مرة أخرى إلى أن هذا القول لا ينطبق على المناطق الساحلية والبحار شبه المغلقة حيث لا تشكّل التدفقات من الناقلات والتنقيب عن النفط قرب الساحل إلا نسبة ضئيلة من إجمالي ما تتلقاه من ملوّثات إذ ينبغي ألا نغفل أمر مياه الصرف الصحي والنفايات الصناعية وتصريفات الأنهار وفضلات المدن وسقَط الغلاف الجوي باعتبارها جميعا مصادر خطيرة للتلوّث .

ويقول تقرير جيسامب ، بصدد الأضرار البيئية الناجمة عن النفط إن «النفط المراق نادرا ما تكون له آثار خطيرة على جماعات الأحياء في أعالي البحار وآثاره لا تلبث أن تزول في غضون أسابيع أو أشهر . غير أنه يخلّف من ناحية أخرى آثارا بليغة في جماعات الكائنات التي تعيش في مناطق المدّ والجزر حيث تقتضي العودة إلى الظروف الطبيعية سنوات أو عقودا ولا سيما على الخط الساحلي حيث يتغلغل الزيت داخل المواد الرسوبية . كذلك يُلحِق النفط أضرارا خطيرة بالشواطئ ويحد كثيرا من إمكانيات الانتفاع بها كمناطق للاستجمام . كما يعرض الطيور لأخطار أكيدة وإن لم يكن هناك من الأدلة ما يشير إلى أن النفط وحده يمكن أن يهدد بقاء الأنواع» .

«وأيا كان الأمر فمن المحتمل أن يتغير الموقف مستقبلا ، حيث أن التوسّع في عمليات التنقيب عن البترول داخل مناطق بالغة القسوة يمكن أن يؤدي إلى وقوع حوادث إراقة نفط خطيرة ... كما أنه من المتوقع أن يزداد الإنتاج في المناطق الباردة حيث يتحلّل النفط وتتلاشى آثاره ببطء أكبر» .

المعادن . إن ما أحرز مؤخرا من تقدم في تقنيات التحليل الخاصة بمراقبة المعادن قد أسفر في كثير من الحالات عن انخفاض تقديراتنا لمستويات المعادن في مياه أعالي المحيطات . أما بالنسبة للمياه الداخلية فقد لوحظ التلوث بالمعادن نتيجة لتصريف الأنهار أو مياه الصرف الصحي أو نفايات المصانع أو نتيجة للتفريغ المباشر . والاستثناء الوحيد من هذه القاعدة هو معدن الرصاص الذي ينتقل ، شأنه شأن الـ دي . دي . تي . إلى عرض البحر عبر الغلاف الجوي بعد استعماله كمادة لمنع الخبط في وقود المحركات داخلية الاحتراق . لذلك شوهدت زيادة في مقادير معدن الرصاص في بعض مناطق أعالي البحار .

النظائر المُشِعّة . منذ اللحظات الأولى لاستغلال الطاقة النووية أدرك المسؤولون أن النظائر المُشِعّة يمكن أن تشكل ، إن هي أطلقت بلا قيود داخل البيئة ، خطرا بالغا على صحة الإنسان كما يمكن أن يكون لها آثار ضارة على البيئة . لقد بدأنا نقحم المواد النووية في المحيطات في منتصف الأربعينات وأخذ هذا السلوك يتفاقم خلال العقدين التاليين نتيجة أساسا لإجراء التجارب النووية في الغلاف الجوي . ومنذ أن توقفت عن إجراء تلك التجارب جميع الدول عدا اثنتين منها ، بدأ الاهتمام يتحوّل تجاه الآثار الضارة التي قد تحدثها في البيئة الساحلية النفايات المُشِعّة المنبعثة من المفاعلات النووية . وعلاوة على ذلك فهناك دائماً احتمال انطلاق المواد النووية على نطاق ضخم على أثر وقوع حادث أو آخر . ومن جهة أخرى أقرّ عدد من الوثائق والتوجيهات الدولية بشأن التخلص من النفايات المُشِعّة بإلقائها في المحيطات ؛ ويرى أخصائيو جيسامب أنه لن تكون هناك مشكلات فيما يتعلق بالصحة العامة إذا ما اتُّبِعت تلك القواعد .

إن دراسة الكيفية التي يغيّر بها الإنسان كيمياء المحيطات ما زالت في بداياتها الأولى . فلئن كان قياس ملوّثات كالنشاط الإشعاعي مثلا أمرا يسيرا نسبيا ، فإن هناك من المواد السامّة احتمالاً ما يوجد بمقادير من الضآلة بحيث كثيرا ما يتعذر الحصول على تحاليل يُعَوَّل عليها . فمنذ سنوات قليلة فقط لم يكن يتجاوز العشرة عدد المعامل الموجودة في العالم كله وتتوافر لديها إمكانية قياس الـ دي . دي . تي . أو العناصر البترولية في مياه البحر .

ومن الواضح أن الإشراف على صحة المحيطات مهمة تنوء بها طاقة وموارد دولة واحدة أو مجموعة واحدة من الدول . وللجنة الدولية الحكومية لعلوم المحيطات (كوي) برنامج يُدْعَى التحقيق العالمي عن التلوّث في البيئة البحرية (جيبمي) ونظام لمراقبة التلوث البحري (ماربولمون) تتعاون في سبيل تطويرهما مع عدد من الوكالات المتخصصة التابعة للأمم المتحدة ومع غيرها من المنظمات الإقليمية والدولية المعنية . والهدف الرئيسي لهذا البرنامج هو ضمان المراقبة العالمية للنذر التي تنبئ بالأضرار وشيكة الحدوث للبيئة البحرية ، مع اتّباع أساليب تحليل مقننة تكفل إمكانية مقارنة البيانات التي يتوصل إليها العلماء من مختلف مناطق العالم . ويقتضي ذلك تدريبا شاملا لأخصائيي التحليل والعمل باستمرار على معايرة الأجهزة والأساليب وتقنيتها كخطوة أولى لإقامة نظام المراقبة العالمي الذي عليه تتوقف صحة المحيطات ولإنشاء برنامج فعال للمساعدة المتبادلة يكفل توفير القدرات المطلوبة لإجراء البحوث البحرية ولاسيما في البلاد النامية . ■

حيث يلتقي البحر باليابسة

يعيش اليوم اثنان من كل ثلاثة من البشر في المناطق الساحلية ، بالقرب من البحر أو على سواحل القارات أو في الجزر . وهذا الوضع ، الذي ينجم عن ازدياد عدد السكان وتحركاتهم مثلما ينجم عن آثار التنمية الاقتصادية ، يؤثر في مناطق ذات توازن دقيق معظمها مناطق حضارات قديمة كان ازدهارها ينهض بصفة خاصة على الملاحة والتجارة البحرية وعلى الإنتاجية العالية نسبيًا للبيئات الساحلية .

والبيئة الساحلية هي محصّلة التأثيرات المتكاملة للبيئة الأرضية والبيئة البحرية ، وتشكّل نظاما معقدا يتسم بخواص كيميائية خاصة للمياه وبوجود مجموعة من النظم الإيكولوجية والكيانات الجيومورفولوجية سريعة التطور ، مثل الشواطئ والمصاب الخليجية والبحيرات الشاطئية وبيئات نبات الشورى (المنغروف) والشعب المرجانية - وكل هذه البيئات معرضة للخطر ولاسيما من جراء عواقب التنمية الحديثة . لذلك ترتفع في شتّى أنحاء الأرض أصوات تحذر من الأضرار التي تلحق بتلك البيئات المعرّضة للتدهور والتلوث . ومن الجدير بالذكر أيضا أن تأثير البحر في البيئات الأرضية يتجاوز كثيرا ذلك الشريط الساحلي بمعناه المحدود ؛ ذلك أن المنطقة الواقعة خلف الساحل تتعرض لضغوط اقتصادية واجتماعية قوية كثيرا ما تتناقض اتجاهاتها .

وعليه ، فالنهج الجامع لفروع العلم هو وحده الذي يمكن أن يتيح فهم سير عمليات البيئات الساحلية . فمساهمات العلوم الاجتماعية والإنسانية إذ تتضافر مع ما هناك من بيانات عن الخصائص الفيزيقية والكيميائية والبيولوجية لهذه البيئات ، إنما تكفل إرساء الأسس اللازمة لتخطيط أرشد للمناطق الساحلية التي لم يَعُدْ من الممكن إغفال أمرها أو اعتبارها محكوما عليها بالتلوث وبأن تظل مستودعا للنفايات الصناعية .

وتخضع جزر العالم التي لا تحصى ، ولاسيما الجزر التي لا تزيد مساحتها على ١٠٠٠٠ كيلومتر مربع ، لنفس الضغوط التي تخضع لها سواحل القارات وتواجه فضلا عن ذلك صعوبات خاصة بها . فالنظم الإيكولوجية الجزرية شديدة الضعف بحيث أن ما يجري فيها من محاولات لزيادة الإنتاج بغية تلبية الاحتياجات الإنمائية أو مواجهة الضغوط الديموغرافية يصطدم بقيود مكانية بالغة الصرامة . ومن ثم فإن المساحة المحدودة للجزر وانعزالها يضفيان أهمية فريدة على استغلال السكان للموارد المحلية . وفي عدد كبير من الجزر لم تعد موارد الأرض ، ولاسيما موارد الزراعة ، تتيح تلبية احتياجات عدد السكان المتزايد وعندئذ يغدو استغلال الموارد الساحلية والبحرية ضرورة اقتصادية . وهذه المشكلة تعني جميع البلاد التي يتعين عليها أن تؤمّن إدارة جزر عديدة نسبيا ، وتعني الدول الجزرية على الأخص .

تحتوي الأراضي الرطبة الساحلية وغيرها من الأراضي الضحلة ، ولا سيما المصاب الخليجية ومستنقعات المنغروف ، على مواد غذائية غنية ووفيرة يتوقف عليها ، حسب التقديرات ، ثلثا مصايد الأسماك في العالم . واليوم ، تتعرّض الأراضي الرطبة الساحلية في أنحاء كثيرة من العالم للتدهور أو التخريب الناجم عن التلوث والتنمية الصناعية ، على حين أنه في المناطق المدارية يجري تقطيع أشجار المنغروف لاستخدام خشبها كوقود . أعلاه ، جذور منغروف مغطاة برخويات في مستنقع في إلنكين ، السنغال . ويتولى قسم علوم البحار باليونسكو تعزيز إجراء البحوث عن المنغروف وغيره من النظم الإيكولوجية البحرية الساحلية ، وذلك من خلال المشروع الرئيسي المشترك بين الأقاليم بشأن البحوث والتدريب المُفْضِيَيْن إلى الإدارة المتكاملة للنظم الساحلية (كومار) .

تضطلع اليونسكو ببرنامج بحوث جامعة لفروع العلم لدراسة النظم الإيكولوجية الجزرية في الجزر الصغرى بالبحر المتوسط ، يتيح فرصة فريدة لإجراء دراسة في ظروف مضبوطة (controlled) نسبياً لمجموعة كاملة من العوامل الإيكولوجية والاقتصادية والاجتماعية التي تؤثر في العلاقة بين الإنسان والمحيط الحيوي . وقد أعدّ هذا المشروع قسم المستقرات البشرية والبيئة الاجتماعية الثقافية وهو ينفّذ بالتعاون مع اللجان الوطنية لبرنامج الإنسان والمحيط الحيوي في كل من اليونان وإيطاليا ومالطة وتونس . وسيُعْنَى المشروع في أولى مراحله بجزر سكياتوس - سكوبيلوس (سبورادیس الشمالية) وساليا (جزر أيوليان) وجوزو (مالطة) وجزر قرقنة (تونس) التي نورد أعلاه منظراً لها .

وفضلا عن هذا ، فإن النظم الجزرية وما يسودها من ظروف تهيء فرصا مؤاتية لدراسة التفاعلات بين السكان والموارد والبيئة والتنمية ، بغية التعرف بدقة على طبيعة وحجم التغيّرات التي يحدثها الإنسان بما ينفذه من عمليات لتنظيم البيئة . لذلك قيل إن الجزر - حيث يمكن أن تقاس بيسر حركات دخول وخروج الأشخاص والمنتجات - تشكّل مختبرات حقيقية للدراسات الجامعة لفروع العلم . وتيسر هذه الخاصية اتباع نهج علمي متكامل في دراسة الخيارات المتعلقة بتخطيط هذه النظم الإيكولوجية وتنظيمها .

ويتضمن البرنامج الرئيسي العاشر لمنظمة اليونسكو **(البيئة البشرية والموارد الأرضية والبحرية)** برنامجا خاصا يكرس لتخطيط المناطق الساحلية والجزرية وتنظيمها ويستهدف تعزيز التخطيط المتكامل للمناطق الساحلية والجزر . وهو يرمي إلى تنمية التعاون الدولي من أجل التعرف بصورة أفضل على طبيعة وسيْر عمليات النظم الساحلية والجزرية ؛ وتشجيع التعاون الفعال بين أخصائيي البيئات الأرضية والمائية والبحرية وبين أخصائيي العلوم الاجتماعية والاقتصاد والتخطيط العمراني ، في إطار مشروعات ميدانية محددة ؛ وتيسير التكامل بين المعلومات ذات الطابع العلمي والاجتماعي الثقافي والاقتصادي من أجل اتخاذ القرارات .

وفي شتّى الميادين المذكورة يكون لبرامج البحوث بُعْدٌ دولي لا محالة . وعلاوة على ذلك فإن ميدان علوم البحار سوف تكتنفه متطلبات خاصة به فيما يتعلق بالتعاون الدولي مردّها إلى نظام المحيطات الجديد الذي أسفر عنه ما انتهى إليه مؤتمر الأمم المتحدة لقانون البحار من نتائج .

وعلى ذلك فإن البرامج العلمية الدولية التي تضطلع بها اليونسكو : البرنامج الدولي للمطابقة الجيولوجية (مطاجيو) ؛ والبرنامج الهيدرولوجي الدولي (بهد) ؛ وبرنامج الإنسان والمحيط الحيوي (ماب) ؛ وكذلك اللجنة الدولية لعلوم المحيطات (كوي) - إنما هي برامج تتفق تماما وطبيعة المهام التي يتعين تنفيذها . فهي تمكّن من الاضطلاع بتعاون دولي تمليه طبيعة المجالات الواجب دراستها والمشكلات الواجب حلها . وهي تسهم في الارتقاء بفهم الظواهر العالمية أو الإقليمية ، وفي زيادة المعارف الخاصة بالموارد الطبيعية المتاحة على الصعيد الوطني ، وفي دعم القدرات العلمية التي لا غنى عنها . كما تتيح تبادل المعارف وتشجع التعاون الثنائي والإقليمي ودون الإقليمي ، ومن ثم تحدث أثرا مضاعفا ملحوظا لما يُبْذَل من جهود . وأخيرا ، تتطلب هذه البرامج سلوك نهج جامع لفروع العلم وتشجع على إقامة علاقات عمل بين الباحثين ومتخذي القرارات والممارسين بغية تحديد المشكلات وتطبيق نتائج البحوث . ■

أنباء متفرقة

المؤتمر العام لليونسكو

افتُتحت الدورة الثانية والعشرون للمؤتمر العام لليونسكو بمقر المنظمة في باريس يوم ٢٥ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٨٣ . وانتُخب السيد سعيد التل رئيس وفد الأردن رئيسا للمؤتمر العام الذي يتألف من ممثلي حكومات الدول الأعضاء في اليونسكو . وقد بلغ عدد هذه الدول ١٦١ دولة عضوا بعد أن انضمت سانت كريستوفر نيفيس إلى المنظمة يوم ٢٦ أكتوبر/تشرين الأول . ومن المقرر أن يختتم المؤتمر أعماله يوم ٢٩ نوفمبر/تشرين الثاني ، وتعتزم رسالة اليونسكو أن تورد في عددها الذي سيصدر في يناير/كانون الثاني ١٩٨٤ عرضا موجزا لأعمال الدورة .

بطاقات اليونيسيف للمعايدة

يوشّع صندوق الأمم المتحدة (اليونيسيف) اليوم ، بفضل ما يُدرّه عليه بيع بطاقات المعايدة والهدايا وبعض الأدوات المكتبية من دخل ، أن يمدّ يد العون للأمهات والأطفال المعوزين في أكثر من مائة بلد في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية بتزويدهم بخدمات الرعاية الصحية الأساسية والمياه الصالحة للشرب وبغذاء أفضل وبالتعليم . وبطاقات هذا العام معروضة الآن بمراكز البيع المتعاونة مع اليونيسيف في شتّى أرجاء العالم . وتتضمن مجموعة البطاقات تشكيلة واسعة من الرسوم والتصاميم التي أهداها للصندوق عدد من الفنانين والمتاحف في بلاد كثيرة ، يذكر منهما مخطوط من كشمير يرجع عهده إلى القرن التاسع عشر ، وتصميم باتيكي إندونيسي ، ورسوم ولوحات من الصين واليابان والسنغال . ومن المعروضات أيضا تقويم حائطي لعام ١٩٨٤ مخصّص للأطفال ، ودفتر لتدوين المواعيد يحتوي على رسوم ملوّنة موضوعها «الأعياد والاحتفالات» . إلى اليسار ، بطاقة يظهر عليها رسم للفنان الأسباني خوان ميرو .



أيام الشروق

في عام ١٩٧٩ ، بمناسبة السنة الدولية للطفل التي كانت قد أقرتها الأمم المتحدة ، أنشئت بمدينة تولوز في فرنسا رابطة Association des Amis des Journées Arc en Ciel . وهي تستهدف تنظيم لقاءات دورية تضم أطفالا من بلاد مختلفة يشاركون بعضهم بعضا ممارسة الألعاب والقيام بالأنشطة الثقافية كما تضم كباراً يلتقون لمقارنة أفكارهم وآرائهم وخبراتهم كمربّين . وقد عُقِد أول لقاء من هذا النوع في عام ١٩٨٠ . وفي اللقاء الثاني الذى عُقِد في تولوز في الفترة من ٢٩ أغسطس/آب إلى ٥ سبتمبر/أيلول ١٩٨٢ ، شارك مائة وثمانون طفلا من ثمانية عشر بلدا في أنشطة رياضية وأشغال يدوية منها صنع الأواني الفخارية ، كما استمعوا لدروس في احتياطات أمن الطريق والإسعافات الأولية . وأتيحت لهم أيضاً فرصة اكتشاف الكنوز الفنية التي تزخر بها المنطقة والاطلاع على مزيد من المعارف والمعلومات عن ثقافات الآخرين . ومن ١ إلى ٣ سبتمبر/أيلول من ذلك العام ، اشترك مائتا شخص في ندوة دولية حول موضوع «الطفل والألعاب والرياضة والمباريات» . والرابطة الآن بصدد التحضير للقاء ثالث يعقد في تولوز عام ١٩٨٥ .

اليوم العالمي للشعر والطفولة

في عام ١٩٧٦ ، أثناء الليالي الدولي للشّعر في بلدة كنوك ببلجيكا ، تقرر إحياء يوم عالمي للشّعر والطفولة . ويَحتَفِل به كل عام يوم ٢١ مارس/آذار ، أول أيام فصل الربيع ، أطفال دون الثالثة عشرة . وفي عام ١٩٧٩ احْتُفِل بذلك اليوم تحت رعاية اليونسكو وعدد من الشخصيات العالمية البارزة . ومن الموضوعات التي طُرقت بهذه المناسبة حتى الآن : «أنا والآخرون» ؛ «كلمات في استئصال شأفة الحروب» ؛ «كلمات في بناء حصون السلام» ؛ «العالم دارُنا» . وقد اختير موضوعاً لليوم العالمي للشّعر والطفولة عام ١٩٨٤ «لنبني عالما مبرّأً من الخوف» . وعلى من يرغب من الآباء والمربين والأطفال في الحصول على مزيد من المعلومات عن هذا اليوم أن يكتبوا إلى :

اليوم العالمي للشعر والطفولة
Avenue des Ortolans 95 ,
1170 Bruxelles, Belgique

مطبوعات أصدرتها اليونسكو مؤخراً

Racism, Science and Pseudo-Science (العنصرية والعلم والعلم الزائف) . علماء عالميون بارزون يُمعِنون الفكر في النظريات العلمية الزائفة التي تُتخذ ذريعة لتبرير التمييز العنصري ، كل في مجاله : علم الوراثة ، الأنثروبولوجيا ، علم النفس ، علم الاجتماع ، التاريخ . العدد ٨ من سلسلة اليونسكو Insights . ١٩٨٣ . ١٦٢ صفحة . (٣٨ فرنكا فرنسيا) .

Education in Latin America and the Caribbean Trends and Prospects (1970-2000) (التربية والتعليم في أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي: اتجاهات وآفاق (١٩٧٠ - ٢٠٠٠)) بقلم : خوسيه بلات خمينو . ١٩٨٣ . ١٩٠ صفحة . (٤٥ فرنكا فرنسيا) .

The Transition from Technical and Vocational Schools to Work (الانتقال من المدارس المهنية والفنية الى عالم العمل) . تقارير من سبعة عشر بلدا . ١٩٨٣ . ١٠٠ صفحة . (٢٠ فرنكا فرنسيا) .

Empirical Research in Education (البحث التجريبي في التربية والتعليم) بقلم : ج . دي لاندشير . نظرة عامة إلى أساليب البحث ومعلومات عن معاهد البحوث في أرجاء شتّى من العالم . ١٩٨٢ . ١١٣ صفحة . (٣٠ فرنكا فرنسيا) .

Quality of Life (نوعية الحياة) . مشكلات تقدير نوعية الحياة وقياسها . ١٩٨٣ . ١١٧ صفحة (٣٠ فرنكا فرنسيا) .

المقالات والصور التي لا يترتب عليها حق النشر يمكن نقلها على أن يذكر اسم المؤلف مشفوعاً بعبارة «منقولة عن رسالة اليونسكو» يتبعها تاريخ صدور العدد وترسل ثلاث نسخ منها إلى ادارة الرسالة . والصور التي لا يترتب عليها حق النشر يمكن ارسالها إلى الناشرين بناء على طلبهم . والمخطوطات التي لا تطلبها ادارة التحرير لا تعاد إلى أصحابها إلا إذا أرفقت بها قسيمة ردّ دولية . والمقالات الصادرة في رسالة اليونسكو تعبّر عن رأي مؤلفيها فحسب وليس بالضرورة عن رأي اليونسكو أو هيئة تحرير المجلة . وتتولى هيئة التحرير بنفسها إعداد عناوين المقالات وشروح الصور .

نائب رئيس التحرير:
أولغا روديل

سكرتير التحرير:
جيلان ويتكوم

المحررون:
الطبعة العربية: سيد عثمان (باريس)
الطبعة الفرنسية: آلان ليفيك (باريس)
الطبعة الإنجليزية: هوارد براون (باريس)
الطبعة الأسبانية: فرانسيسكو فرنانديث - سانتوس (باريس)
الطبعة الروسية: نيقولاي كوستنسوف (باريس)

طبعة برايْ : فريدريك هـ . بوتر (باريس)
الطبعة الألمانية: فيرنر ميركل (برن)
الطبعة اليابانية: كازوو أكاو (طوكيو)
الطبعة الإيطالية: ماريو جيدولي (روما)
الطبعة الهندية: كريشنا جوبال (دلهي)
الطبعة التاميلية: م . محمد مصطفى (مدراس)
الطبعة العبرية: ألكسندر برويدو (تل أبيب)
الطبعة الفارسية: محمد رضا برغي (طهران)
الطبعة الهولندية: بول مورين (أنفرس)
الطبعة البرتغالية: بينيديكتو سيلفا (ريو دي جانيرو)
الطبعة التركية: مفرا الجازر (استانبول)
الطبعة الأوردية: حكيم محمد سعيد (كراتشي)
الطبعة الكاتالانية: خوان كاريراس إي مارتي (برشلونة)
الطبعة الماليزية: عزيزة حمزة (كوالا لومبور)
الطبعة الكورية: كيم يو - يونغ (سيول)
الطبعة السواحلية: دومينو روتايبيرا (دار السلام)
الطبعات الكرواتو - صربية والصربو - كرواتية والسلوفينية والمقدونية: فيتومير سودارسكي (بلغراد)
الطبعة الصينية: شين جوونغ (بكين)

الطبعة البلغارية: جوران جوتيف (صوفيا)
الطبعة اليونانية : ألكيس أنجلو (أثينا) .

محررون مساعدون:
الطبعة الفرنسية:
الطبعة الانجليزية: روي مالكين
الطبعة الأسبانية: خورخي إريك أدوم
التوثيق: كريستيان بوشيه
الصور: آريان باييل
الاخراج والتصميم: روبير جاكان
الخط العربي: حسن المسعود
التوزيع: فرناندو آينسا .

ترسل جميع المكاتبات إلى رئيس التحرير

تصدر الطبعة العربية في القاهرة في نفس الوقت الذي تصدر فيه عن مقر اليونسكو في باريس وذلك تحت اشراف مركز مطبوعات اليونسكو ، ١ شارع طلعت حرب ، القاهرة .

PHOTOCOMPOSITION MONTAGE . ARAB CONSULTANT 9 rue de Clichy 75009 PARIS – PHOTOGRAVURE CHRISTIAN PAGNOUD 6/8 rue des Epinettes 75017 PARIS.

جمهورية مصر العربية
هيئة قناة السويس

تطور مواصفات قناة السويس

	عام ١٨٦٩	عام ١٩٥٦	عام ١٩٨١	الوحدة
الطول الكلى	١٦٤	١٧٣	١٩٥	كيلو مترا
طول الأجزاء المزدوجة	صفر	١٠	٦٨	»
عرض صفحة القناة	٥٢	١٦٠	٣٦٥	مترا
عرض المجرى الملاحى	٤٤	١١٠	١٩٠	»
العرض عند - ١١ مترا	صفر	٦٠	١٦٠	»
مساحة القطاع المائى	٣٠٤	١٢٥٠	٦٣٠٠	مترا مربعاً
أقصى غاطس للسفن العابرة	٢٢	٣٥	٥٣	قدما
أقصى حمولة لسفينة عابرة	٥٠٠٠	٣٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠	طن
المتوسط اليومى لعدد السفن	٣	٤٠	٦٠	سفينة
المتوسط اليومى للحمولات الصافية	١,٢	٤٢٤	١٠٠٠	ألف طن
المتوسط اليومى للايرادات	١,٤	٩٠	١٨٠٠	ألف جنيه
الجنسيات المستخدمة للقناة	١٥	٥١	١٠٩	جنسية

* مميزات قناة السويس :
- توفير المسافة من ١٩ ٪ إلى ٦٠ ٪ للسفن بالنسبة لدورانها حول افريقيا.
- توفير فى الوقود من ٢٥ ٪ إلى ٥٠ ٪ للسفن بالنسبة لدورانها حول افريقيا
- الملاحه فيها نهارا وليلا وفى جميع فصول السنة
- من الممكن توسيعها وتعميقها فى أى وقت طبقا لتطور أحجام السفن
- نسبة الحوادث فيها ضئيلة جدا

رسالة اليونسكو

اشتركوا لسنة ١٩٨٤



تصدر الطبعة العربية من «رسالة اليونسكو» في باريس في نفس الوقت الذي تصدر فيه الطبعات الانجليزية والفرنسية والاسبانية .

وللاشتراك فيها ، ترسل قيمة الاشتراك بالفرنك الفرنسي ، أو بأية عملة أخرى قابلة للتحويل ، بشيك مصرفي أو بحوالة بريدية لأمر :

وعلى العنوان التالي :

Librairie de l'Unesco
UNESCO, Bureau D. 081
7, Place de Fontenoy - 75700 Paris

قيمة الاشتراك : عن سنة واحدة : ٥٨ فرنكا فرنسيا تضاف اليها قيمة الارسال بالبريد الجوي بناء على الطلب
وللاستعلام عن قيمة الاشتراك بالعملة المحلية يمكن التوجه بالسؤال الى العناوين التالية :

الأردن : دار وكالة التوزيع الأردنية، ص.ب. ٣٧٥ ، عمّان ، الأردن .
الإمارات العربية المتحدة : المكتبة ، ص.ب. ١٥٤٠٨ ، العين ، أبو ظبي .
تونس : الشركة التونسية للتوزيع ، ٥ شارع قرطاج ، تونس ، ص.ب. ٤٤٠ .
الجزائر : Institut pédagogique national, 11, rue Ali-Haddad - Alger . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ٣ شارع زيغوت يوسف الجزائر .
السودان : مكتبة البشير ، ص.ب. ١١١٨ ، الخرطوم .
سوريا : مكتبة صائغ ، بناية دياب ، تجاه البرلمان ، ص.ب. ٧٠٤ ، دمشق ، سوريا .
الصومال : Modern Bookshop, P.O. Box 951 Mogadiscio
الكويت : شركة المكتبات الكويتية ، ص.ب. ٢٩٤٢ ، الكويت .
لبنان : Librairies Antoine, A. Naufal et Frères, B.P. 656, Beyrouth
الجماهيرية العربية الليبية : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ص.ب. ٣٤٣٥ ـ طرابلس .
مصر : مجلة رسالة اليونسكو ومركز مطبوعات اليونسكو ، ١ شارع طلعت حرب ، القاهرة .
المغرب : Librairie «Aux belles images, 281 av. Mohammed V, Rabat
(أساتذة المدارس) : اللجنة الوطنية للتربية والعلم والثقافة ص.ب. ٤٢٠ ، الرباط .
المملكة العربية السعودية : دار الوطن للنشر والاعلام عمارة ابراهيم بن سليم ، الشارع العام ، العليا ، الرياض . ص.ب. ٣٣١٠ .
موريتانيا : المكتبة التجارية الموريتانية الكبرى ، ١ شارع السوق المتفرع من شارع كيندي ـ نواكشوط العاصمة ، ص.ب. ٣٤١ .

أما مواطنو البلاد التي ليس فيها وكلاء لمطبوعات اليونسكو فيمكنهم إرسال اشتراكاتهم مباشرة الى المقر الرئيسي لليونسكو في باريس بالعنوان الموضح أعلاه .

فهرس أعداد رسالة اليونسكو الصادرة في ١٩٨٣



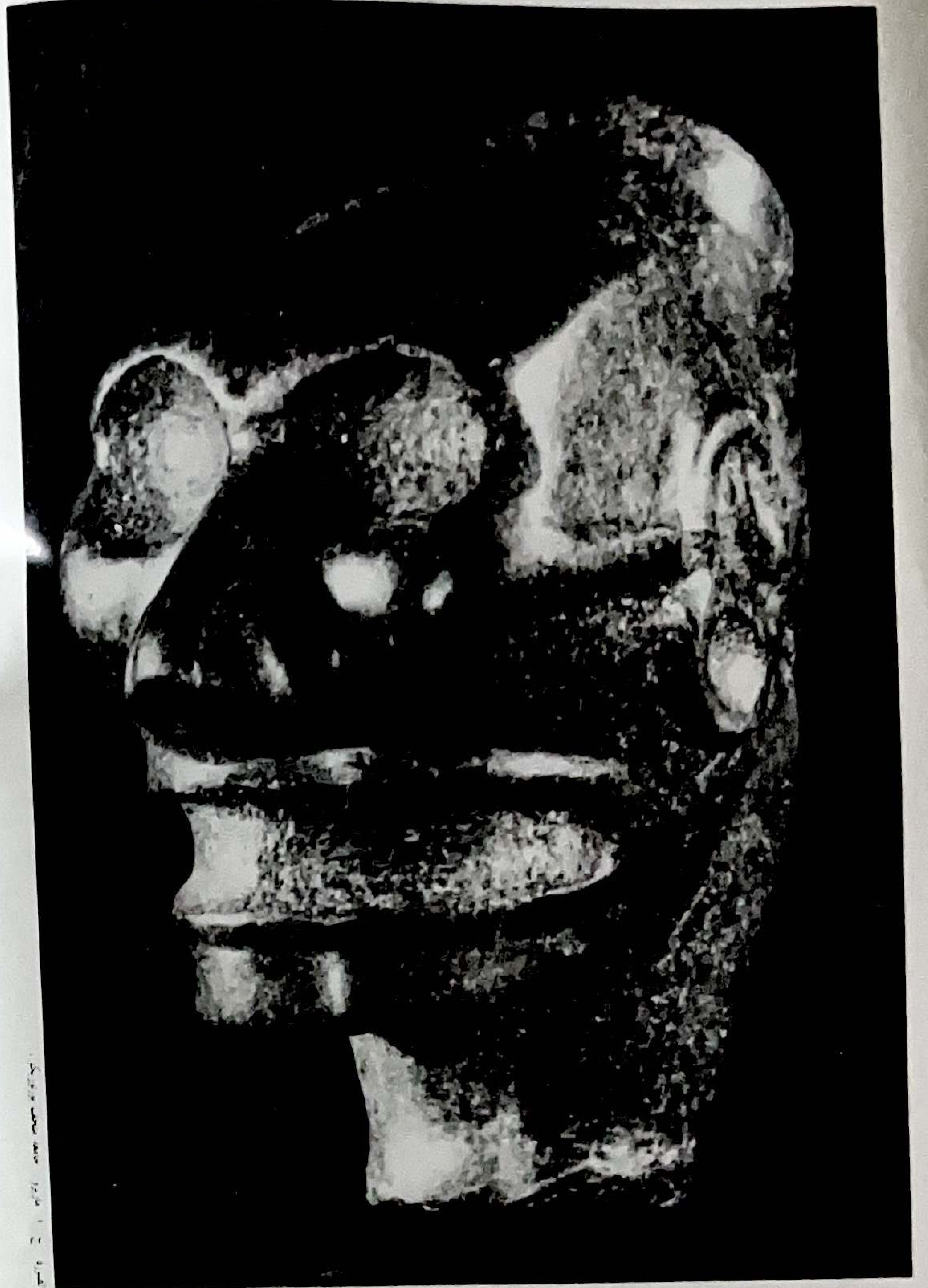
من الرعي الى صيد السمك

في مدرسة أنشئت على عجل في الهواء الطلق بالقرب من برافا على الساحل الشرقي للصومال ، يُرى عدد من الرعاة البدو الذين نحوّا من الجفاف والمجاعة اللذين أصابا منطقة أوجادن وحوبا السفلى وهم يتعلمون فنون الصيد . فما أن تم تأقلمهم للبحر حتى شرع صيادون متمرسون من المنطقة في تلقينهم المهارات التي سوف تتيح لهم انتهاج أسلوب جديد في الحياة .

نافذة على العالم
رسالة اليونسكو
العدد ٢٤٠
يوليو ١٩٨١
اليونسكو
١٠ قروش



بلغاريا: تاريخها وثقافتها خلال ١٣ قرنا



هنود تاينو شعب مسالم من المزارعين . ازدهرت حضارتهم في جزر الأنتيل الكبرى حتى القرنين العاشر والخامس عشر . وابتدعوا فنا يعتبر اليوم من أقدم أشكال الفن وأغناها قبل قدوم كولمبس . فهذا الرأس الحجرى (ارتفاعه ٢٢ سم) الوارد من ماكوركس بالجمهورية الدومنيكية الحالية يسمى «زيمى» ويمثل روحا من أرواح الأجداد أو القوى السحرية التي كانت تنظم للتاينو بعض مظاهر الطبيعة وكان الزعيم أو الشامان يستدعى هذه الأرواح ليحصل على بعض النعم كالصحة والمطر والخصوبة . ولما كان التاينو عاجزين عن الدفاع عن أنفسهم ومقاومة الأمراض الجديدة فانهم انقرضوا سريعا بعد الفتح الأوروبى . ولكن بقيت بعض آثار فنهم .

كنوز الفن العالمى

١٦٢

الجمهورية الدومنيكية

مشروع كهربة الريف المصرى

فى عشر سنوات من عهد السادات

تعتبر الطاقة الكهربائية الدعامة الرئيسية لجميع خطط التنمية فى الدولة. فهى الأساس الحيوى لجميع مشروعات الثورة الخضراء والأمن الغذائى والصناعات البيئية والحرفية ومشروعات الرى والصرف والزراعة ـ وكلها مشروعات تعنى ريفنا المصرى فى المقام الأول.

ولما كانت بلادنا ـ بعد أن حققت السلام ـ تبذل كل الجهود لرخاء شعب مصر ورفاهيته فلا شك أن مشروع كهربة الريف كان أهم المشروعات الاستراتيجية التى توليها الدولة كل اهتمام ـ فضلا عن توصيل الإنارة لكافة المرافق والخدمات الاعلامية إلى أعماق الريف المصرى. وحقا فإن مشروع كهربة الريف غير وجه الريف المصرى فى كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية فقد نقل الحياة فى الريف من ظلام التخلف إلى نور الحضارة والمدنية فى عهد السادات عهد السلام والرخاء.

ويرجع تاريخ الاهتمام بكهربة الريف إلى تاريخ قيام الثورة المصرية فى عام ١٩٥٢ فقد رأت حكومة الثورة أن وصول الكهرباء إلى أعماق الريف المصرى يعتبر امرا اساسيا لرفع المستوى الاجتماعى والاقتصادى والثقافى للفلاحين والعمال وهم السواد الأعظم لقوى الشعب العاملة التى قامت الثورة من أجلها.

وفى عام ١٩٥٣ انشأت حكومة الثورة المجلس الدائم لتنمية الانتاج القومى والذى قام بدوره فى عام ١٩٥٤ بانشاء لجنة الكهرباء المصرية لوضع خطة قومية طويلة الأجل لكهربة البلاد. وكانت كهربة الريف من أهم الأسس التى أخذت فى الاعتبار عند اعداد تلك الخطة ـ وكانت كهربة الجمهورية تعتمد فى اعداد الخطة على جهتين هما

أ ـ المكتب الهندسى ـ الذى كان يضم مجموعة الفنيين المصريين الذين أوكل إليهم جمع المعلومات والإحصائيات وتحليلها والقيام بالدراسة المحلية

ب هيئة كهرباء فرنسا ـ التى تتوفر لديها امكانيات فنية ضخمة للدراسات والبحوث فضلا عما لها من خبرة فى عمليات تأميم الكهرباء فى فرنسا وتنظيم أعمالها ونشرها فى جميع انحاء البلاد وكلها أمور كان فنيونا فى حاجة إلى مزيد منها

وقد قام المكتب الهندسى بدراسات تفصيلية وعميقة فى كهربة الريف المصرى بدأت بحصر ماكينات الديزل المنتشرة فى أنحاء البلاد والمستخدمة لأغراض الرى ومضارب الأرز وطواحين الغلال والإنارة وغيرها ثم تقدير الاستهلاك وتطوره على المدى الطويل ثم دراسة اقتصاديات مد شبكات التوزيع لكهربة تلك الأحمال.

وقد اعدت هيئة كهرباء فرنسا تقريرا نهائيا نشر عام ١٩٥٦ عن كهربة الجمهورية متضمنا نتائج الدراسات التى أجرتها بالاضافة إلى دراسة تفصيلية لكهربة قرى مركز ابو طشت ـ كما قامت هيئة كهربة الجمهورية بدراسة الشبكات اللازمة لعدة مناطق أخرى فى أنحاء الجمهورية ـ وكانت الموازنات المالية تتضمن الاعتمادات اللازمة لتوصيل عدة مدن بالشبكات العامة وإنشاء الشبكات الداخلية فى بعض المدن ـ وذلك بغرض تنمية الأحمال الكهربائية وتوصيل الكهرباء إلى العديد من المواطنين المحرومين منها فى تلك المدن كخطوة اولى لكهربة الريف ـ وكان تمويل تلك الأعمال يتم على شكل قرض بفائدة ٤٪.

وكان واضحا ان الجهود التى بذلت فى تلك المرحلة لم تكن لتحقق ما كانت تصبو إليه الثورة فى مجال كهربة الريف بالمعدل الذى يعوض المواطنين من أهل القرى عما فاتهم فى العهود البائدة. لذلك عندما أنشئت وزارة القوى الكهربائية عام ١٩٦٤ حتى عكفت على وضع خطة شاملة لكهربة الريف المصرى بدأت عام ١٩٦٥ ببرنامج لتوصيل الكهرباء إلى ٢٢٠٠ قرية على مدى سبع سنوات. وما من أن بدأ تنفيذها واستيراد بعض المهمات اللازمة لها حتى رؤى تأجيل تنفيذ هذه الخطة إلى ما بعد خطة الانجاز (أى بعد ١٩٧٠) ـ ثم سمح بعد ذلك للمحافظات أن تتولى كهربة القرى التى يمكنها تدبير التمويل الذاتى لها مع مساهمة مؤسسة الكهرباء بمحطات المحولات التى تم استيرادها لكهربة الريف وكذلك بالجهود اللازمة لوضع مواصفات وتدبير المهمات والاشراف على التنفيذ وكل ما يتعلق بالشئون الفنية الخاصة بذلك على أن يكون التنفيذ فى نطاق الخطة المعتمده ووفقا للشروط والأوضاع التى اقترحتها مؤسسة الكهرباء، واقرتها اللجنة الوزارية للشئون الاقتصادية بتاريخ ٢ / ٨ / ١٩٦٧ والتى أخطرت بها جميع المحافظات. غير أن الجهود التى بذلت فى هذا الشأن لم تأت بالثمرة المرجوة منها إذ أن عدد القرى التى تمت انارتها من الشبكة لم يمثل أكثر من ٤٪ من مجموع قرى الجمهورية.

ولقد كان لتوليد الكهرباء من السد العالى وإنشاء الشبكة الكهربائية الموحدة التى تنتشر فى جميع أنحاء الجمهورية وتكرار الحديث عن توفر الطاقة الكهربائية باسعار معتدلة لمختلف الأغراض ـ كان لذلك كله الأثر البالغ فى إنتشار الوعى الكهربائى لدى جميع المواطنين كما كانت كهربة بعض القرى فى كل محافظة على الوجه الذى سبق الإشارة إليه حافزا لسكان كل قرية على المطالبة بأن تصل الكهرباء إلى قراهم مما جعل كهربة الريف مطلبا جماهيريا ملحا حظى بتبنى السيد الرئيس محمد أنور السادات له

تولت مؤسسة الكهرباء بعد ذلك دراسة ومراجعة الخطط السابقة لكهربة الريف على ضوء قرارات المؤتمر العام للإدارة المحلية الذى انعقد فى دمنهور فى ابريل عام ١٩٦٩ والذى كان مشروع كهربة الريف من بين الموضوعات الرئيسية التى تدارسها المؤتمر للنهوض بالقرية المصرية ـ ووضعت مؤسسة الكهرباء خطة العمل لعامى ٦٩ / ٧٠، ٧٠ / ١ لانارة ١٨٤ قرية، ١٨٥ قرية على التوالى ـ واعتمد لها ميزانية بلغت ٣ مليون، ٢٫٥ مليون جنيه على التوالى ـ وفى عام ١٩٧١ وضعت خطة إضافية لإزالة شكاوى الجماهير من سكان القرى الواقعة بالقرب من خطوط الكهرباء علاوة على شكاوى سكان القرى التى تمت انارتها واشتملت هذه الخطة على إنارة ٢٥٧ قرية.

ومع اشراقة ثورة التصحيح صدر القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩٧١ بانشاء هيئة كهربة الريف حيث بدء المشروع القومى لكهربة الريف مرحلة التنفيذ الفعلية.

إن التاريخ سيذكر على مدى الأجيال أن مشروع كهربة الريف سيظل يدين للرئيس المؤمن محمد أنور السادات بالفضل والعرفان فهو الذى وضع فكرته وهيأ له امكانيات التنفيذ فكان هذا المشروع بمثابة الشرارة التى حركت طاقات التغيير فى حياة الريف المصرى اقتصاديا واجتماعيا.

ويعتبر عام ١٩٨١ وهو ختام عشر سنوات على بدء هذا المشروع هو عام تبديد الظلام وبعث الرخاء فى ٤٥٦٤ قرية وتابع بما يعادل ٨٥٪ من القرى والتوابع الكبيرة فى الريف المصرى وسيتم فى عام ١٩٨١ / ١٩٨٢ كهربة باقى القرى الرئيسية على مستوى الجمهورية ـ كما أن فى عام ١٩٨٢ / ١٩٨٣ سيتم إنارة جميع التوابع الكبيرة ذات التعداد أكثر من ١٠٠٠ نسمة على مستوى الجمهورية.

وقد تم وضع خطة لكهربة التوابع الصغيرة التى يقل عدد سكانها عن ١٠٠٠ نسمة لتبدأ كهربتها اعتبارا من عام ١٩٨٣ / ١٩٨٤ والتى بدأ حاليا كهربة بعضها بمساهمة الأهالى فى تكاليف التركيب.

وتمشيا مع كل ثورة يفجرها الرئيس المؤمن محمد أنور السادات لصالح شعب مصر ورفاهيته فقد أعدت وزارة الكهرباء والطاقة خطة للإسهام فى مشروعات الأمن الغذائى والثورة الخضراء بإعطاء الأولوية المطلقة لهذه المشروعات فى توفير كل ما يلزمها من الطاقة الكهربائية.

رسالة اليونسكو

تصدر شهريًا
فى ٢٥ لغة
عن
هيئة اليونسكو
ميدان فونتينوا – باريس – ٧

رئيس التحرير
جان جودان
وتوجه إلى سيادته جميع الرسائل
فى باريس

الطبعة العربية لرسالة اليونسكو
١ – شارع طلعت حرب – القاهرة
تليفون : ٧٤٢٥٠٢ / ٧٤٠١٧٥

رئيس التحرير
عبد المنعم الصاوى

هيئة التحرير
د . مصطفى كمال طلبه
د . السيد محمود الشنيطى
د . محمد عبد الفتاح القصاص
عثمان نويه
صفى الدين العزاوى

الإخراج والتصميم
روبرت جاكمين
عبد السلام الشريف
سيد عنتر مصطفى

فى هذا العدد

صورة الغلاف

منذ عامين ، اكتشف فى بريسلاف عاصمة بلغاريا القديمة كنز يحتوى على إكليل ، وقلادة (انظر صفحة ٢١) وأقراط وغيره . ويعرض الغلاف صورة إحدى صفائح الإكليل ، ونرى فيها الإسكندر الأكبر الذى أصبح على مر العصور بطلا شبه أسطورى فى الكثير من القصص والتصاوير ، نراه صاعدا إلى السماء فى مركبة يجرها عقابان . وتحتفل بلغاريا هذا العام بمرور ألف وثلاثمائة سنة على نشأتها ويحمل هذا العدد من رسالة اليونسكو [illegible] لتاريخ هذا البلد الحافل بالأحداث وسوف يشهد شهر يونيو من هذا العام أيضا صدور طبعة باللغة البلغارية لرسالة اليونسكو ، وبذلك يصل عدد الطبعات اللغوية للمجلة إلى ٢٦ طبعة . (صورة [illegible] ، باريس)

بلغاريا

جذور دولة حديثة

بقلم : ماجدلينا ستانشيفا



إنها تنمو وتكبر.. ولكنها لن تصبح عجوزاً أبداً

إن الحكمة المنقوشة على شعار مدينة صوفيا - «إنها تنمو وتكبر . ولكنها لن تصبح عجوزاً أبداً» - هي خلاصة صادقة لتاريخ دولة حديثة فتية . تحتفل هذا العام بمرور ١٣٠٠ عام على تأسيسها في ٦٣١م ، على عهد خان أسبروخ

وقد طرأت تغييرات جوهرية على الأراضي الخصبة الواقعة بين نهر الدانوب وبحر إيجه ، وبين البحر الأسود وبحر الأدرياتيك ، وذلك بين القرنين ٥ و ٩ ، عندما أدى امتزاج الشعوب ، على أثر الهجرات الكبرى من الشرق إلى الغرب ، ومن الشمال إلى الجنوب ، إلى تغيير وجه أوربا (وكذلك آسيا وشمال افريقية) ، فاكتسبت خصائص قومية ولغوية وثقافية ظلت تلازمها حتى اليوم . ثم انفصلت تراقيا وإليريا - المقاطعتان الرومانيتان السابقتان - عن الامبراطورية الرومانية الشرقية أو البيزنطية ، واقتصر النفوذ البيزنطي فيها على الناحية الثقافية فقط

وبعد موجات متلاحقة من الغزوات استقرت القبائل السلافية في هذا الاقليم بأعداد متزايدة خلال القرنين ٦ و ٧ م ، ثم قدم محاربون من الجنس الطوراني - وهم البلغار الأولون - من سهول الدنيبر والفولجا . وتستمد بلغاريا شخصيتها وثقافتها من امتزاج هذين الشعبين : فأعطاها الأول (السلاف) لغته ، وأعطاها الثاني (البلغار) اسمه .

وعلى الرغم من أن هذه الحوادث كان لها أثر حاسم في تاريخ البلاد وتطورها ، فإن البلغار المحدثين لا ينسون ماضيهم التراقي (نسبة لتراقيا) البعيد الذي يرونه تراثاً لهم . وجدير بالذكر أن هذا الماضي غني بالآثار القديمة التي خلفتها كل العصور . وهي آثار عديدة يربو عددها على ٣١٠٠٠ أثر ، تم حصرها وحمايتها في البلاد كلها التي تبلغ مساحتها ١١٠٫٩١١ كم². وقد بلغ من كثرة هذه الآثار أن البلاد إذ تبني صرح مستقبلها لا تنسى آثارها القديمة . فتاريخها الماضي جزء من حياتها المعاصرة ، ونبض التاريخ في هذه البلاد أوضح منه في أي صقع من أصقاع العالم الأخرى

وقد بدأت زراعة الحبوب في هذه البلاد منذ أكثر من ثمانية آلاف عام ، كما تدل على ذلك الآثار القديمة الواضحة للعيان . وتدل الروابي التي تكونت من أنقاض المباني المتوالية على الطابع الدائم الذي اتسمت به مستوطنات القوم . ذلك أن معظم المدن البلغارية مبنية على طبقات بعضها فوق بعض من الأنقاض والآثار القديمة . ومن أشهر هذه الروابي ربوة اكتشفت بالقرب من قرية كرنوفو في مقاطعة «نوفا زاجوره» الجنوبية ، فأثارت اهتماماً كبيراً في الدوائر العلمية . ويبلغ ارتفاعها ١٢ متراً . ويرجع تاريخ أعمق طبقاتها إلى العصر الحجري في الألف السادسة ق . م . ، في حين تنتمي الطبقة العليا إلى عصر الحديد . ويدل قطاع أثري مستعرض على أن جيلاً بعد جيل توالى على هذا المكان الأثري . كل جيل فوق الآخر على مر العصور . وقد أسفرت حفريات كرنوفو عن عدد كبير من الآثار القديمة ، كالأدوات ، والأسلحة ، والأواني ، على اختلاف أنواعها . وهي اليوم تملأ غرفاً بأكملها في متاحف عدة .

ومن الكشوف الأخرى المشهورة مقبرة فارنا الواقعة على ساحل البحر الأسود ، وهي من مقابر عصر النحاس أو العصر الحجري النحاسي وقد عثر فيها على قبور ترجع إلى أواخر الألف الرابعة . واحتوت على مئات الآثار الذهبية من الخرزات الصغيرة إلى الأساور التي تتراوح زنتها بين ٢٠٠ و ٣٠٠ جم . ومن الآثار الهامة الأخرى صولجانة (جمع صولجان) ذهبية في قبرين من هذه القبور . وتدل هذه الصولجانة التي ترمز إلى وجود سلطة وطيدة في البلاد على أن دولة ذات سيادة وأوضاع اجتماعية معقدة . قد قامت في ذلك الركن من جنوب شرق أوربا

ولا نزال نجهل كيف حدث كل ذلك . ومن التغييرات التي تمت في هذا الصدد أن النحاس المستخرج من هذه المنطقة في ذلك الزمن أدى إلى تبادل تجاري واسع النطاق مع البلاد القريبة في آسيا الصغرى وعلى ذلك كانت التجارة مصدراً للتقدم والرخاء لهؤلاء القوم المشتغلين بالتعدين ، الذين دفنوا مع موتاهم كثيراً من الذهب . والذين يعدهم الأثريون أسلاف التراقيين

والتراقيون هم أقدم شعب عرف اسمه في جنوب شرق أوربا . وتنتمي لغتهم إلى شعبة اللغات الهندية الأوربية التي تضم اللغة اليونانية واللاتينية . وتوجد آثار من هذه اللغة في النقوش والكتابات الأثرية . وفي شتى المدن والجبال والأنهار . وشغل التراقيون مكاناً هاماً في آداب الشعوب المجاورة . وفي خلال العصر الكلاسيكي من القرن ٦ ق . م . فصاعداً ، بالإضافة إلى أثر التراقيين في أساطيرهم ودياناتهم وفنونهم وخاصة الموسيقى . على أن الناس لم يعرفوا فضل التراقيين إلا منذ عهد قريب خلال معرض جوال من الحلى الذهبية والأواني والأسلحة . طاف في عدد من البلدان . وقد عثر على معظم هذه الآثار ، التي اكتشف بعضها بالصدفة وبعضها خلال الحفريات المنظمة ، في القبور الكبرى . كما تشهد بوجود عقائد دينية راقية عند القوم ، كالإيمان باليوم الآخر ، والأمل في الاتصال بالله ، لا الأمل في الحياة المادية

وكانوا يدفنون الموتى أثمن ممتلكاتهم . ويغطون هذه الكنوز بربوة من الأرض يختلف حجمها باختلاف منزلة الميت وثروته . ومن هنا انتشرت في أراضي تراقيا الروابي التي اختفى معظمها على مر العصور . وإن بقي منها أكثر من عشرة آلاف ربوة تحميها السلطات من الحفريات المرخص بها . وهي أبرز المعالم الأثرية في مناطق معينة كمنطقة بلوفديف - مثلاً - على طول طريق السيارات الدولي المؤدي إلى استانبول .

ومنها ربوة في مقاطعة «ستارا زاجوره» تضم «كازانلاك» الشهير . وتعد صوره الجدارية التي يرجع تاريخها إلى القرن ٤ ق . م . على أعظم جانب من الأهمية بالنسبة لتاريخ الفن . وتصف الصورة الجدارية الرئيسية مأدبة جنائزية تمثل ملامح الشخصيتين الرئيسيتين - وهما الأمير وزوجته - وخاصة ما يتصفان به من الرقة والعطف ، الإيماءة والإثارة ساعة التوديع . ولا يقل عن ذلك روعة منظر آباء وأقارب المتوفى وهم يقودون الجياد أو يحملون القرابين .

وجدير بالذكر أن قبر كازانلاك من بين الآثار [illegible] التي أدرجتها اليونسكو في قائمة التراث العالمي . ورغبة في المحافظة على سلامة القبر أقيم قبر مماثل بالقرب منه ليشاهده آلاف السائحين الذين يزورون المنطقة كل عام ، إذ أن كازانلاك يقع في «وادي الورود» ، حيث تنتشر حقول الزهر في مناخ معتدل للغاية . ويفوح عبير العطور ، والزيوت الطيارة التي يستخرجها منتجو الروائح العطرية .

ماجدلينا ستانشيفا بلغارية ، باحثة حضارية كبيرة في آثار العصور الوسطى ، ورئيسة قسم الآثار التابع للمتحف التاريخي لمدينة صوفيا . نشرت عدة دراسات هامة عن مشكلات صوفيا الأثرية والوثائق [illegible] البلغارية في العصور الوسطى



في بلغاريا الحديثة تمتزج آثار الماضي بمعالم الحاضر في كل مكان والدليل على ذلك ما نراه في فارنا (أوديسوس القديمة) التي هي الآن ميناء مزدهر ومركز سياحي على البحر الأسود . حيث يندمج كثير من الآثار اليونانية الرومانية بالمدينة القديمة في شوارع وأماكن المدينة الحديثة . في صوفيا (أعلى) يتعرف الأطفال وهم في طريقهم إلى المدرسة على تاريخهم في صالة العرض هذه التي أقامها المتحف التاريخي لمدينة صوفيا في أحد الممرات تحت الأرض ليشاهدها المارة من أهل العاصمة . وهذا الممر نفسه هو طريق روماني قديم

بلغاريا
تخطيط المدن خلال ٥٠٠٠ سنة

كشف البحث الأثري تحت سطح الماء في الأقاليم الساحلية عن خبايا الموانيء البحرية الأولى . وآثار الملاحة القديمة في البحر المتوسط . ومن بينها عدد من المراسي الحجرية التي استخدمت قبل عام ١٢٠٠ سنة ق . م . في العصر البرونزي المتأخر . وحملت السفن الغارقة في بطونها خامات أو سبائك من صفائح النحاس . وعادت صفائح أخرى حملت من المدن الساحلية أقدم مركز للتجارة البحرية في البلاد .

وعندما وصل الأغارقة المستعمرون عند استيطانهم ساحل البحر الأسود في القرن السادس ق . م سلسلة من المدن الثرية المزدهرة . ولم يلبثوا أن فرضوا أنفسهم . فشيدوا المسارح . وحلبوا رجالهم من النحاتين والمزخرفين . وحملت المدن التي حلوا فيها تحمل أسماء إغريقية . ولم تكن العلاقة الوثيقة بين الاغريق والتراقيين مقصورة على التجارة . بل شملت تبادل العادات والآلهة والمشاركة في الأعياد . وتكرر مثل هذا التبادل الثقافي على مر القرون . وأضفى على بلغاريا طابعها الخاص .

ولكن التبادل الثقافي والتراث القديم لم يقتصر على المدن الساحلية بل تعداها الى المدن الأخرى . ويبلغ عمر كل من نصف المدن البلغارية خمسة آلاف سنة على الأقل . وبعض المدن ـ مثل صوفيا . وبلوفديف . وفارنا . وسيوزوبول . وستارا زاجوره ـ شاهد حي على تاريخ تخطيط المدن . وقد أمكن في حالات كثيرة الكشف عن تراثها الأثري في أعماق الأرض تشكل للمدن الحديثة .

في صوفيا مثلا شيدت عدة مبان في وسط المدينة فوق طبقات أثرية يبلغ عمقها عشرة أمتار . وفي الحرب العالمية الثانية أصيبت هذه المنطقة بدمار شديد من جراء الغارات الجوية . وأثارت إعادة تخطيطها جدلاً حول ضرورة الحفاظ على الآثار القديمة في البيئة الحضرية .

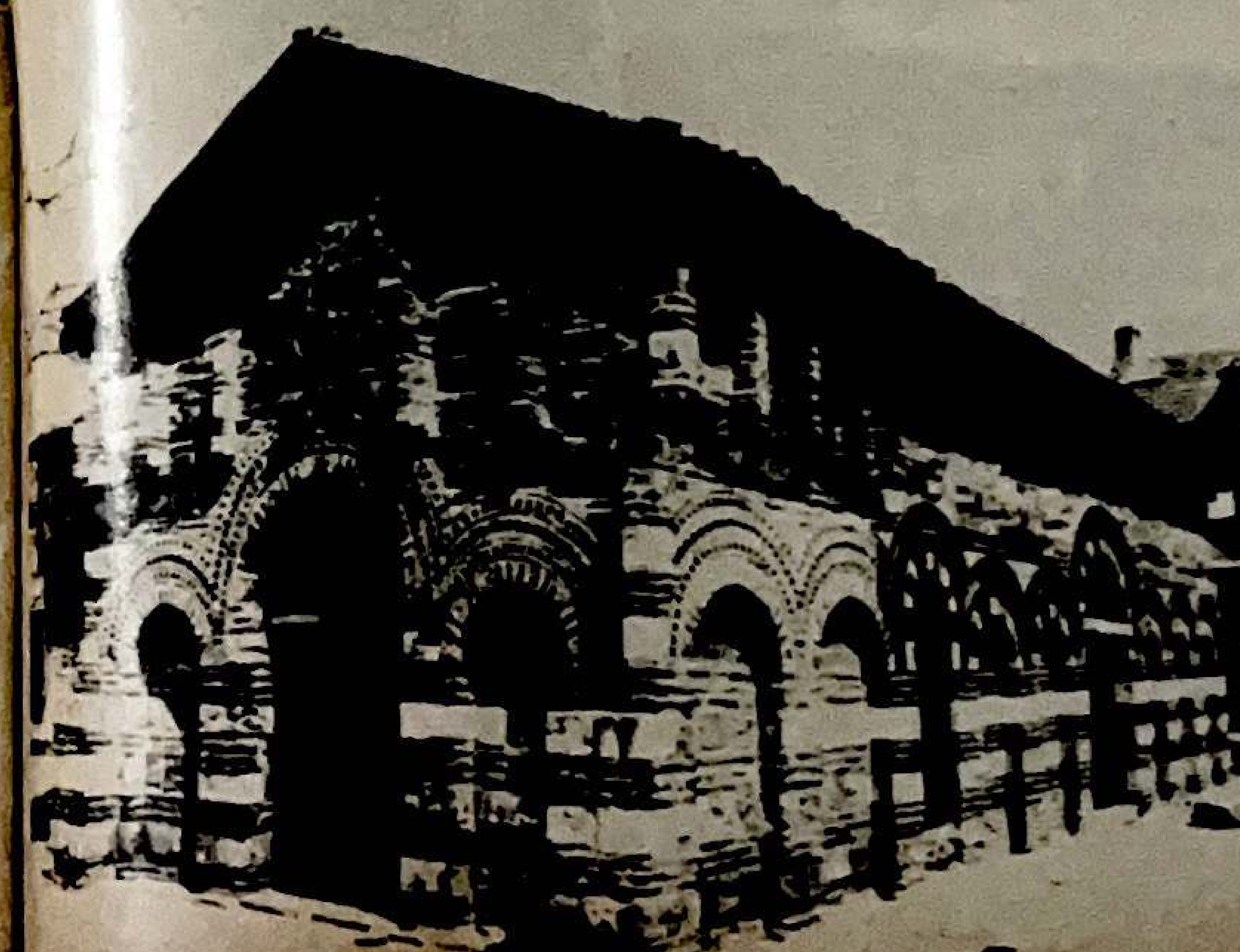
ولكن المشكلة حلت نهائيا في بلغاريا . وذلك بإتاحة كل أثر قديم يكتشف عنه في البيئة الحديثة بطريقة مناسبة . ففي مدينة صوفيا أنشيء ممر سفلي (طريق تحت طريق آخر) بين المقر الجديد لمجلس الدولة ومجلس الوزراء . يلتف حول سور المدينة القديم قبل أن يمر في بوابته الشرقية . ثم يسير في شارع يرجع تاريخه الى القرن السادس . وبه بلاط مرمري يحمل نقوشا رومانية أقدم منه بنحو ٤٠٠ سنة . وفي وسط ممر سفلي آخر ـ بعد مسافة من هذا الشارع ـ يستطيع الإنسان أن يشرب فنجانا من القهوة تجاه كنيسة صغيرة من القرون الوسطى . وفي مكان آخر تلتف خطوط الترام حول برج في أحد أركان سور المدينة . ويمكن الإنسان أن يشاهد آثار برج آخر في الجزء الأسفل من أحد متاجر البيع بالتجزئة . وقد صمم مبنى جديد تحت الانشاء أن يشتمل في نصف دوره الأسفل حفاظا على قسم آخر من سور المدينة وعلى جزء من شارعين يرجع تاريخهما إلى القرن الرابع . وعلى أساسات كنيسة يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر . وقد سمحت أرض فضاء تجاه هذا المبنى الى رجال الآثار . إلى أن يقوم المهندسون بوضع التصميمات اللازمة لصيانة الآثار .

وقد اهتدت كل المدن الأثرية الى طرق مبتكرة لصيانة تراثها الأثري . ففي بلوفديف (تريمنتيوم الرومانية) اكتشف مسرح مدرج في حالة جيدة . وتقرر استخدامه في تقديم العروض المسرحية . كما تقرر تخصيص الساحة القديمة للمشاة بالطبع . واستخدام الأسوار المحيطة بالتلال كجدران لدعم المنازل الواقعة في أحياء القرن التاسع عشر . وفي ستارا زاجوره (أوجستا تراجانا القديمة) تقرر ضم مساكن العصر الحجري الحديث بين جدران متحف جديد . كما تقررت صيانة جزء من منطقة تضم مدرجا . وحمامات . وشوارع قديمة . بحالته الأصلية . ليكون هذا الجزء متحفا مكشوفا في الهواء الطلق . أما بقية أجزاء هذه المنطقة فسوف تغطى أو تميز بعلامات على الأرض في المباني الجديدة . وتحتفظ فارنا (أوديسوس) بأقسام أثرية داخل أحيائها الجديدة . وتقرر إدخال كثير من سمات تخطيط المدن الاغريقية الرومانية في الشوارع والأحياء الحديثة .

وهناك طريق واحد فقط يؤدي الى نسيبور . وذلك من خلال البوابة القديمة في الأسوار . وهذه المدينة الصغيرة الواقعة على البحر الأسود التي لا تزال تحمل اسما تراقيا (ميسمبريا) تستحق أكثر من أي مدينة أخرى أن تلقب «بالمتحف الحي» . وإن كان هذا اللقب لا ينطبق على الواقع تماما . وتقوم هذه المدينة على شبه جزيرة صغيرة يربطها بالساحل شريط ضيق من اليابس . وكانت احدى الموانيء التراقية الرئيسية . وتأسست مستعمرة دورية (نسبة للشعب الدوري) بها في القرن السادس . وأصبحت غنية بفضل تجارتها البحرية وزراعة الأرض الخصبة في المناطق الداخلية . وتمتعت نسيبور بالرخاء . في عهد الرومان . ثم أصبحت واحدة من الموانيء الرئيسية في الدولة البيزنطية .

وظل القتال دائراً بين بلغاريا وبيزنطة قرونا طوالا حول هذه القطعة من الأرض التي يحيط بها البحر من كل جانب . وكلما وقعت في يد أحد الطرفين المتحاربين حظيت بآثار جديدة . وكذلك سعت الجمهوريات الايطالية ـ ولاسيما جنوة ـ نفوذها في نسيبور . حتى بعد الغزو العثماني . وعلى الرغم من تقلب صروف الدهر عليها وتدهور تجارتها احتفظت المدينة بحيويتها على مر القرون . كما احتفظ أهلها بروح الاستقلال التي يمتاز بها رجال البحر .

واليوم تجذب هذه المدينة مئات الألوف من السائحين بفضل آثارها وجمال موقعها وسط أشهر مناطق المصايف في بلغاريا . وتعد الكنائس أروع التحف الفنية التي خلفتها حضارة استمرت ثلاثة آلاف سنة . وتكاد الكنائس الاثنا عشرة الباقية تمثل مراحل المسيحية ابتداء من أقدم كنيسة بنيت في القرن الخامس الى أحدث كنيسة بنيت في نهاية القرن الماضي . على أن تاريخ معظم هذه الكنائس يرجع الى القرنين ١٣ و ١٤ وهذه أجمل الكنائس جميعا سواء من حيث طرازها أو من حيث الطرق الفنية المبتكرة التي استخدمت في بنائها . فإلى جانب الكتل الصغيرة من التوف (حجر مسامي يتشكل من الرماد البركاني) . توجد صفوف من الطوب الأحمر تؤلف الجميع مزيجا عجيبا من الزخرفة حيث تزدان الأقواس والطنف والعقود والمحاريب بدوائر خزفية . وزخارف على هيئة وريقات البرسيم . حتى انك لترى واجهات المباني تلمع في الشمس كما تلمع المطرزات الموشاة ذات الألوان المتعددة . على نقيض الواجهات الخشبية السوداء في المنازل . التي بليت بفعل الشمس والأملاح





تصوير وكالة أنباء صوفيا

مدن يطلوها الجلال والمهابة

إن أكثر من نصف المدن البلغارية يبلغ عمرها ألف سنة على الأقل . وتاريخها مسجل على مبانيها الأثرية الحجرية التي شيدت على مر القرون . ففي مدينة بلوفديف مثلا يشاهد الزائر في كل حجارة كثيراً من الآثار القديمة مثل المسرح المدرج والأستاد (إلى اليسار) . كما يشاهد بعض الشوارع المرصوفة والمنازل التي بنيت على طراز القرن التاسع عشر . التي يرجع تاريخها إلى عصر النهضة القومية (في الوسط إلى اليمين) ويحافظ القوم بعناية على كل هذه الآثار الشاهدة على الماضي . وهم يستغلونها في قلب المدينة الحديثة التي تنبض بالحياة . أضفى التراقيون والاغارقة والرومان والبيزنطيون والعثمانيون (أعلى يسرة) طابعهم الخاص على مدينة نسيبور . وهي ميناء على البحر الأسود . وتمثل كنائسها التي يرجع تاريخ أقدمها إلى القرن ٥ كل مرحلة في تاريخ المسيحية في ذلك الاقليم وأشهر مثال هذه المثل الكنيسة البازيليكا الكبرى التي شيدت في القرن ١٦ . والكنائس التي شيدت في القرنين ١٣ و ١٤ بالطوب والتوف والزخارف بالعقود والطنف والأفاريز المطلية بقشرة من الخزف المزخرف (الصفحة الى اليمين)







نظمت حملة قومية لإنقاذ التراث الثقافي في بلغاريا وأسفرت الحملة عن صيانة وترميم عدد كبير من القرى والمدن . من أبرزها مدينة كوبر يفشتتزا (الى اليسار) التي اشتهرت بأنها مهد الثورة المشئومة التي قامت في أبريل ١٨٧٦ ضد الأتراك العثمانيين ، كما اشتهرت بواجهات مبانيها الفنية بالزخارف وسقوفها المشيدة بألواح من الخشب المنحوت وجدير بالذكر أن قرية ابتارا (أعلى) القريبة من جبروفو ، عاصمة الفكاهة ، في بلغاريا هي اليوم مركز للحرفيين التقليديين ، حيث يعمل الخزافون والسروجية وصناع العجلات في مصانعهم التي تم ترميمها بعناية

بلغاريا
حكاية ثلاث عواصم

في الربيع بلغاريا ثلاث مدن ذات أهمية خاصة لما يتصل بتاريخها من ذكريات وأمجاد قومية وثقافية، وهي العواصم التي أسسها أمراء بلغاريا خلال القرون الوسطى: أولاها «بلسكا»، عاصمة أول دولة بلغارية، أنشئت في ٦٨١ م، ثم توطدت أركانها، ثم تحولت إلى المسيحية، واستخدمت الأبجدية السريلية (اخترعها القديس سيريل). وثانيها «برسلاف»، عاصمة البلاد خلال «العصر الذهبي» للثقافة البلغارية عندما ازدهرت الفنون والآداب في بلاط الملك شيمون. وثالثها ترنوفو، مركز الحضارة البلغارية في القرنين ١٣ و ١٤ إلى وقت الغزو والفتح العثماني.

ولا تزال كل مدينة مشبعة بروح العصر الذي ازدهرت فيه. فعتيقة بلسكا تمتاز بالضخامة، والمهابة، مع خلوها من البهارج والزخارف. وتذكرة الكتل الضخمة من الطوب الحجري التي شيدت بها أسوارها وقصورها بقوة وجبروت أمرائها الأوسين. وتتجلى قوة تمسكهم على الملبة والغناء في آثار قلاعهم وقصورهم كما تتجلى في النقوش والكتابات التي أمر الخانات بحفرها على الأعمدة. وكانت الرسالة التي تركها الخان عمر تاج (٨١٤ ـ ٨٣١) أن الذكرى أقوى من الموت، حيث قال «كل إنسان سوف يموت حتى طال عمره، ثم يأتي آخر من بعده ليرى نور الحياة. فلعل من يولد بعد ذلك أن يتذكر ......»

وتختلف برسلاف عن هاتين المدينتين اختلافا كبيراً، إذ بناها الملك المثقف شيمون (٨٩٣ ـ ٩٢٧) بين تلال مستديرة محاذاة نهر تيشا. وكانت برسلاف تمتاز أيضا بالمهابة والجلال. ولكن علماء الآثار يعتقدون أنهم لن يكتشفوا في هذه المدينة قلاعا وقصورا، بل سيكتشفون مدينة حافلة بالكنائس، والنحاتين، والمصورين، والمزخرفين، والصاغة، والأدباء. والذي يدعوهم إلى هذا الاعتقاد أن الكشوف الأثرية دلت على أن هؤلاء الفنانين والصناع كانوا يمتازون بالحذق والإبداع. فقد ثبت على سبيل المثال أن نوعا من الخزف المزخرف الذي يستعمل أساساً في زخرفة الجدران وصنع الأطباق، قد استعمل على الأرجح لأول مرة في أوروبا بمدينة برسلاف في القرن العاشر، بل لقد صنع المصورون أيقونات من الخزف، كما استخدموه في الكتابة. والدليل على ذلك أنه عثر على فلكة مغزل مصنوعة من الخزف ومطلية بالمينا، كتب عليها الخزاف اسم الغزالة الصغيرة «أولا» التي صنع لها الفلكة.

وتدلنا «فلكة أولا» على مدى انتشار التعليم في بلغاريا، وليس هذا بغريب، إذ اشتهر برسلاف في تاريخ الثقافة السلافية بمدارسها الأدبية التي يمثلها كوكبة من الأدباء مثل تشرنوريزتز خرابر، ويوحنا نائب البطريرك، وقسطنطين البرسلافي، والملك شيمون نفسه الذي يقال إنه ملأ قصره بالكتب. وكانت معظم الكتب التي صنفت أو ألفت في تلك الحقبة كتبا دينية، تتضمن بصفة خاصة عظات دينية وشروحا على الكتاب المقدس، ولكنها كانت تحتوي أيضا على أبحاث هامة في بعض الموضوعات الدنيوية، كما تحتوي أحيانا على نصوص دينية مثل «الصلاة الأبجدية» لقسطنطين التي يمجد فيها الأهمية الدينية لتحول البلغاريين إلى المسيحية.

وفي القرن الثاني عشر أصبحت ترنوفو هي عاصمة المملكة البلغارية الثانية، بعد الحكم البيزنطي الذي استمر عشرات السنين، وظلت كذلك حتى دمرها الحريق بعد الفتح العثماني. ثم بنيت مدينة كبرى على طراز فني شديد التعقد في موقع غريب يتألف من تلال شديدة الانحدار يفصلها المجرى الضيق العميق لنهر «يانترا». وقد شاعت المنازعات الدينية والسياسية في ذلك الوقت، ولكن الحكام المستنيرين آزروا الفنون وشجعوا الآداب. ومن بين مخطوطات ترنوفو التي نجت من الدمار «تاريخ قسطنطين مناسيه» المحفوظ الآن بالفاتيكان. وهو يحتوي على رسوم إيضاحية مصغرة عددها ٦٩ منها ٢١ رسما تتعلق بموضوعات بلغارية. وهناك صور توضيحية أخرى في بعض مخطوطات القرن ١٤ منها مخطوط الملك ايفان اسكندر المعروف باسم «تترا إيفا نجيليكوم» المحفوظ الآن بالمتحف البريطاني، وكتاب المزامير الموجود بموسكو. ولكن قلما توجد الآن أمثلة من الصور التذكارية في ترنوفو. ومن حسن الحظ أن الصور الجدارية في كنيسة بويانا (١٢٥٩) الصغيرة بالقرب من صوفيا، والقول بأنها من عمل مدرسة ترنوفو يدلنا على روعة الفن وسموه في ذلك العهد. وجدير بالذكر أن الفنان المجهول الذي صور الأمير كالويان وزوجته ديسلافا تصويراً جميلاً رائعا قد أظهر روحا إنسانية لا مثيل لها في أوروبا إبان القرن الثالث عشر، وذلك لأنه نفخ روح الحياة في صور القديسين التقليدية.





في أعلى: أطلال قصر الخان في القرن ٩ بمدينة بلسكا، أول عاصمة لدولة بلغاريا، أسسها الخان أسبروخ في ٦٨١. وظلت عاصمة البلاد أكثر من قرنين كاملين، وفي أخريات عهدها [illegible] في استقبال البلاد إلى اعتناق المسيحية، واختراع الأبجدية السريلية. إلى اليسار: مفتاح [illegible] من البرونز [illegible] صنع هذا المفتاح في بلسكا في القرن ٩ أو ١٠ وكان يستخدم [illegible] ولكننا لا نعرف بالضبط [illegible]





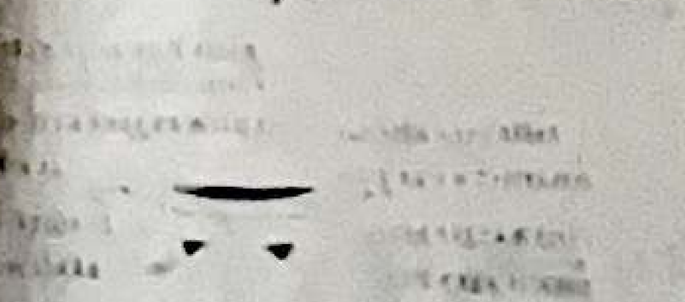
أعلى: أطلال برسلاف التي أصبحت العاصمة الثانية لبلغاريا في عهد الملك شيمون (٨٩٣ ـ ٩٢٧) وشهدت ظهور «العصر الذهبي» للثقافة البلغارية. خضعت بلغاريا لسيطرة بيزنطة عشرات السنين بعد أن استولى الامبراطور البيزنطي جان تزيمسكس على برسلاف وأعمل فيها النهب والسلب في ٩٧١. أسفل: أسوار ترنوفو التي أصبحت العاصمة الثالثة لبلغاريا في نهاية القرن ١٢ وبقيت كذلك حتى دمرت في ١٣٩٣ على أثر الفتح العثماني. وصل فن التصوير بالألوان إلى ذروته في ترنوفو على عهد الملك ايفان الكسندر (١٣٣١ ـ ١٣٧١). تبين الصورة (أسفل اليسار) الملك الكسندر وأسرته. وهي منقولة من المخطوط المسمى «تترا إيفا نجيليكوم» (الأناجيل الأربعة) الذي أشرف عليه الملك بنفسه



جرة على هذه صورة أسد عثر عليها في الحفائر كأس برسلاف



قطعة نقود ذهبية يرجع تاريخها إلى عهد القيصر إيفان أسين الثاني (١٢١٨ ـ ١٢٤١)





بلغـاريا
من الأديرة إلى النهضـة القوميـة

أديرة الرهبان قديمة في بلغاريا قدم الأمة نفسها. أسس أول دير في بلسكا على عهد الملك بوريس الأول (٨٥٢ - ٨٨٩) الذي اعتزل فيه أواخر حياته. وقدم تلاميذ سيريل وميتوديوس يمارسوا عملهم في هذا الدير. وهو تعلم ونشر الأبجدية السلافية التي اخترعها أساتذتهم.

وهكذا أصبحت الأديرة من قديم مراكز ثقافية. وظل ذلك التقليد متبعا في برسلاف. وأصبح واسع الانتشار في عهد الحكم العثماني حيث أصبح كل دير مركزا ومثوى للروح القومية. وكان الحجاج يفدون الى الدير في أيام الأعياد مشاة وركبانا من كل حدب وصوب. ودأب أهل المدن والقرى على إرسال الهدايا بشتى أنواعها إسهاما في زخرفة الدير.

ولا يزال الحال كذلك في دير «ريلا» حيث يحتفل الرهبان بالقداس الديني في الكنيسة والمعابد الصغيرة. وينشدون الترانيم الدينية التقليدية. وهذا الدير الذي بني في الجبال الواقعة جنوب صوفيا هو أيضا متحف قومي به غرف للعرض مخصصة لموضوعات شتى: التاريخ، الاقتصاد، الأثنوغرافيا (علم السلالات البشرية)، والأيقونات.

ومنظر الدير من الخارج أشبه بقلعة قوية. وفي الداخل فناء كبير تحف به واجهات ترتفع إلى عدة طوابق وتحيط بها شرفات منحوتة من الخشب. وفي الوسط كنيسة كبيرة وبرج يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر. وفي الأدوار العليا معابد صغيرة بين المهاجع (غرف النوم) مخصصة للزائرين. وصوامع للرهبان يحتفلون فيها بالقداس في أيام الأعياد.

ويلي ريلا في الأهمية دير باشكوفو. وهو يقع في أحد وديان جبال رودوب. وقد أسسه جريجوري باكورياني، وهو موظف كبير. تولى حكم المنطقة إبان الحكم البيزنطي. وقد تقلبت صروف الدهر على هذا الدير، فتم تدميره، وإعادة بنائه، وترميمه، ثم توسيعه.

وفي أثناء هذه التغيرات أضيفت الى الدير في القرن ١٧ أعمال فنية رائعة. منها الصور التي تزدان بها الجدران وقبة حجرة الطعام. وهذه الصور عبارة عن تكوين فني تبدو فيه مناظر من الكتاب المقدس في إطار من أكاليل أوراق الشجر تعلوها قبة سماوية مرصعة بالنجوم. بالإضافة الى صور بعض الشخصيات القديمة مثل سقراط وأفلاطون وأرسطو، مرتدين أزياء العصور الوسطى، دون أن يقلل ذلك من مهابة منظرهم، وسمو تعبيرهم.

وفي وسط هذه القاعة الفخمة مائدة طويلة ضيقة من الرخام يجلس حولها الرهبان. ويجتمع مهارة المهندس في استخدام الفراغ مع قوة الفرشاة التي يستخدمها المصور، محدثا تأثيرا قويا في نفس القارىء يهدف إلى إقناعه بأن روح الانسانية تحلق فوق الحياة الأرضية تحت قبة مرصعة بالنجوم، ومحاطة بالفلاسفة القدامى.

وفي فناء الدير يزدان أحد الجدران من الخارج بصورة أحدث عهدا تذكرنا بالعيد الرئيسي للدير الذي يحتفل به في شهر أغسطس بمناسبة مولد مريم العذراء. وهذه الصورة عبارة عن مشهد قصصي تحتوى على كثير من المعلومات. إذ يبدو الدير في الصورة محاطا بسفوح الجبال. وعلى قمم التلال المحيطة بالدير كنائس ومعابد صغيرة مخصصة لمختلف القديسين. ويسير موكب مهيب خلال المدخل الرئيسي يتقدمه مواطنون بارزون يحملون أيقونة العذراء العجيبة. ويطوف الموكب حول الكنائس، واحدة بعد أخرى. ثم يليهم القسس وعلى رأسهم أسقف بلوفديف، ثم يليهم الرهبان. وأخيرا يأتي عامة الشعب من أهل المدن والقرى.

وقد صور الفنان التضاريس الجغرافية للمكان بدقة عجيبة: النهر والجسور. والطريق الذي يتلكأ فيه المتسكعون. أما التفاصيل الأثنوغرافية (العرقية) والاجتماعية للصور - وكثير منها بلا شك صور لأشخاص حقيقيين - فهي من مميزات فن زخاري زجراف. وهو صاحب هذه الصورة. وهو فنان علم نفسه بنفسه. وهو من أعظم الفنانين الموهوبين في منتصف القرن التاسع عشر.

وقد قام زخاري زجراف أيضا بزخرفة الكنيستين الملحقتين بالدير. واهتم في كل صورة بالنقد الاجتماعي. من ذلك أنه رسم في مشهد يوم القيامة صورا لمرابين في بلوفديف ونسائهم المتعطرسات. وهم يصلون نار الجحيم.

بيد أن فن التصوير لم يقتصر على الموضوعات الاجتماعية إلا نادرا. إذ شغف المصورون بتغطية جدران الأديرة والكنائس بالورد والغصون المورقة. وصوروا القديسين في ملابس زاهية الألوان. ووجوههم تتألق بالبشر. وتلوح عليها أمارات الحيوية والتفاؤل المرح الذي شاع في تلك الفترة المسماة فترة نهضة بلغاريا.

وعلى أثر الغزو العثماني في نهاية القرن ١٤ فقد البلغار استقلالهم، وظلوا أكثر من خمسة قرون تحت الحكم التركي. ولكنهم حافظوا على قوميتهم، وتقاليدهم، ودياناتهم، وأساليب حياتهم. وأظهروا عزيمة قوية في الكفاح من أجل التحرير إبان القرن ١٩.

ولكن كتب عليهم قبل النصر الذي توج الحرب الروسية التركية في ١٨٧٧ - ١٨٧٨ - وهي الحرب التي أفضت الى استقلالهم - أن يجتازوا فترة صعبة جدا، وخاصة بعد ثورة ١٨٧٦ التي أحقت برغم بطولة المكافحين من أجل الحرية. وتم قمع الثورة وسحقها ولاشك أن موجة السخط والعطف التي أثارها هذا القمع في أوربا عجلت بقدوم الحرية. ولكن عمداء حركة النهضة كانوا قد أرسوا منذ زمن طويل أسس تحرير بلغاريا. وكان فن العمارة في تلك الفترة يعبر عن طموح الشعب الى الحرية.

ولم يسمح للبلغار - خلال قرون عديدة - بغير بناء كنائس متواضعة، ومنخفضة، ومظلمة، بقدر الامكان. ولكن في النصف الثاني من القرن ١٨ ضعفت شوكة الامبراطورية العثمانية بالتدريج. فأخذ البلغار يشيدون كنائس مضيئة وفسيحة ذات واجهات مزدانة بالزخارف الجميلة. وبها حواجز خشبية مزدانة بالأيقونات، تفصل بين المذبح والجزء الأساسي من الكنيسة. وكثيرا ما كانوا يصورون آدم وحواء على هذه الحواجز الخشبية محاطين ببعض الطيور وأوراق الأقنثوس (نبات شائك). ويبدو آدم في زي فلاح بلغاري يفلح الأرض، في حين تشتغل حواء بالغزل. وبالطبع يتبوأ سيريل وميتوديوس مخترعا الأبجدية السلافونية مكانا عظيما في هذه الصور.

وبعد تحرير بلغاريا نمت المدن بنظام شديد، ويدون ثورات كبرى. وذلك لأسباب اجتماعية، اقتصادية وسياسية مختلفة. وقد أتاح هذا الاستقرار المحافظة على مباني عصر النهضة التي تحظى اليوم باهتمام كبير. ففي بلوفديف مثلا احتفظ أحد التلال التي قامت عليها هذه المدينة الجميلة بجميع المباني التي أقيمت عليه في عصر النهضة. ويبدو أن المساكن المدعمة بالطنف، والمزدانة بواجهات منسقة، تتنافس في إظهار أبوابها الرائعة. ولكن الأثر العام الذي ينطبع في ذهن الرائي هو الانسجام والتناسب بينها جميعا. فالخطوط الرشيقة، والنوافذ العديدة، والعقود التي تعلو الأبواب، والجمع البارع بين الخشب والمعادن، والأزهار التي تزين كل قاعدة من قواعد النوافذ. كل ذلك يعبر عن روح الأمل التي غمرت بلغاريا عند بناء هذه المساكن.

وهذه الشوارع والمساكن القديمة تنبض اليوم بالحركة والنشاط كما تنبض المباني الحديثة والمدن والقرى في أنحاء البلاد. والتراث التاريخي ملىء بالحيوية والنشاط بحيث يتسنى إدماجه بسهولة في أحدث مظاهر الثقافة في البلاد. وفي وسع الروح الفتية في بلغاريا الحديثة أن تستعين في ذلك بما تعرفه عن هذا التراث وما تكنه من احترام نحو ماضيها المجيد.

في أعلى - إلى اليمين، القديس سيريل والقديس ميتوديوس، تصوير زخارف زجراف، أحد مشاهير الفنانين البلغاريين في القرن ١٩.

احتفال ٢٤ مايو في صوفيا (في أعلى - الى اليسار)

دار الكتاب بمدينة بليفين. الصورة الجدارية ترمز لتاريخ الأدب البلغاري من عهد سيريل وميتوديوس إلى أيامنا هذه (في أسفل إلى اليسار)

في أسفل - إلى اليمين جزء من لوحة خزفية في القرن ١٠ (٦ × ٦سم) وعليها حروف سيريلية وهي من آثار برسلاف بلا شك.





من اختراع الأبجدية الى دار الكتب

في النصف الثاني من القرن ٩ اخترع سيريل بالاشتراك مع أخيه ميتوديوس أبجدية تسمح بترجمة نصوص الطقوس الدينية إلى اللغة السلافية، ونشر المعارف الدينية «بين كل الناس بلغتهم القومية». وأصبح اختراع هذين القديسين السلافيين في بلغاريا رمزاً للوحدة الثقافية التي ظلت قائمة طوال خمسة قرون سادتها الظلم وخضعت البلاد للسيطرة الأجنبية. اتخذ العيد التذكاري لهذين القديسين وهو ٢٤ مايو، عيدا قوميا للثقافة البلغارية، ومناسبة تاريخية لتقديم العروض الفنية والموسيقية، وإقامة سوق الكتاب، وتوزيع الجوائز الأدبية والعلمية، الخ. وفي العصر الذي استخدمت فيه الأبجدية السيريلية في كل البلاد السلافية بدأ في بلغاريا فن الخزف الزخرفي المتخصص في الغالب لزخرفة الجدران. فأخذت البلاطات المربعة الصغيرة التي نقشت عليها الكتابات - كتب ذلك العصر - تزين أرضية وجدران الأديرة والقصور. وتحولت - بطريقة ما - إلى «مكتبات عامة» هي السلف الأول لدور الكتب العديدة والمكتبات الكبرى الحديثة التي نراها اليوم في البلاد.







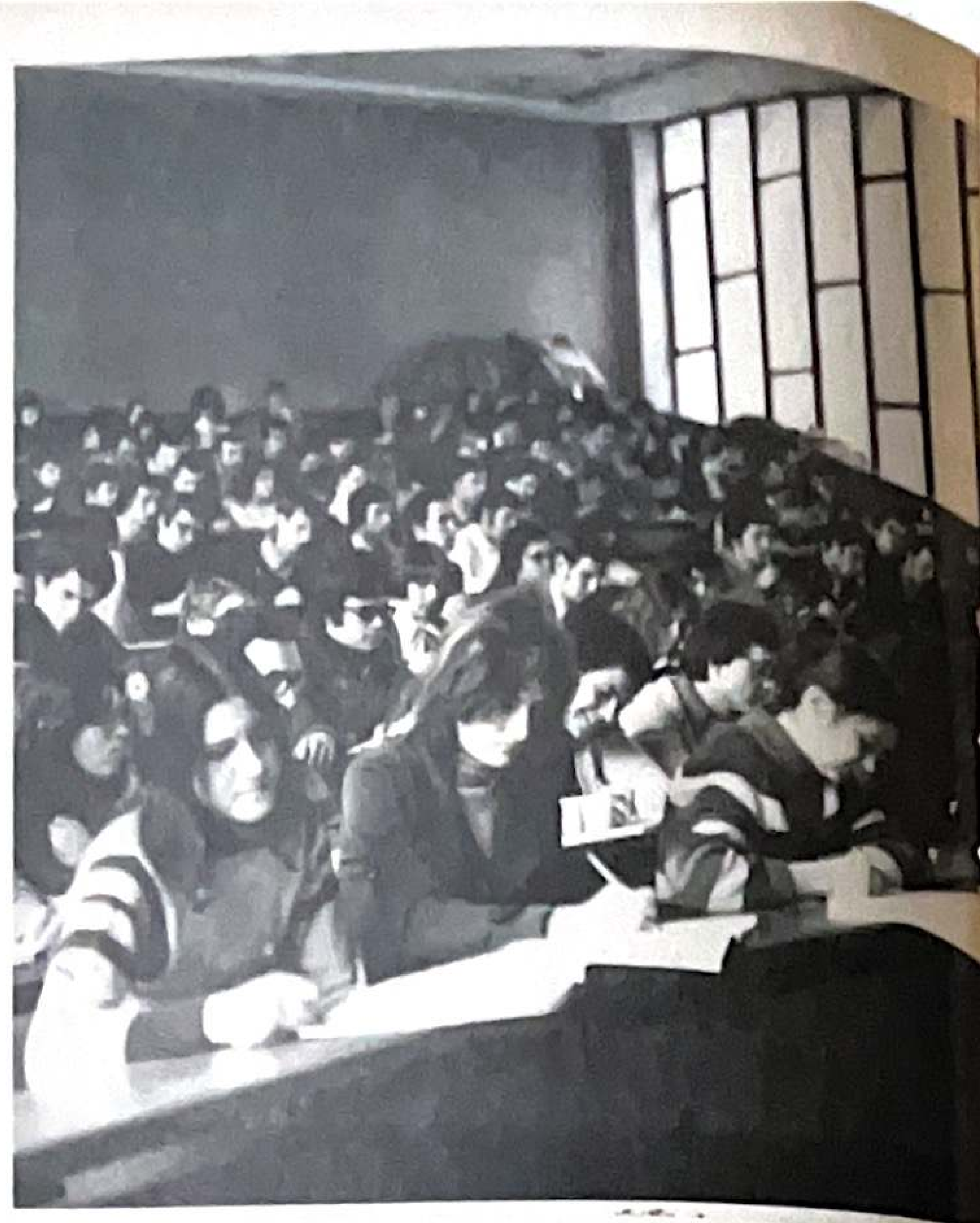
ملاجئ الروح

منذ فجر الدولة ، وبخاصة إبان ... دة العثمانية
كانت أديرة بلغاريا ملاذا للروح الوط... ن حافظت
بذلك على بقاء الأشكال التعبيرية ال... حية . كان
الرهبان يتولون التدريس هناك بال... البلغارية ،
ويترجمون أعمال الفلاسفة الإغر... شرقيين ،
وأرسوا قواعد أدب قومى . وهنا... بلغ فن
التصوير البلغارى الضخم ذروته ا... ن القرن
الخامس عشر . وتجذب التص... الجدارية
(الفريسك) على حوائط وقباب قا... طعام بدير
باتشكوفو – وهى من القرن السابع ... – الأنظار
بثرائها وجودتها ، ونجد فيها تشك... كبيرة من
الصور ، منها مشاهد من الكتاب ال... بعهديه
القديم والجديد ، وصورة للفلاسفة ا... حكيمين فى
التاريخ القديم ، وأيضا صورة للمجامع المسكونية ،
وهذا شئ نادر فى التصوير الدينى البلغارى . وإلى
اليسار أجزاء من شجرة تسلسل يسوع المسيح من يسى
على عقد القبة ، و « يوم الحساب » على الحائط
الشرقى لقاعة طعام دير باتشكوفو . وأعلى جانب من
صورة جدارية لكنيسة سان جورج بصوفيا . ويرجع
تاريخها إلى القرن العاشر أو الحادى عشر



(الصورة السفلى ... المعهد العربى البلغارى ... الآثار الثقافية)





المستقبل يبدأ من اليوم

فى الفصول وغرف المطالعة بالجامعات والمعاهد الفنية ببلغاريا الحالية يتأهب الشباب . مثل هؤلاء الطلبة بمعهد الكهرباء الميكانيكية بصوفيا (أعلى) ليصبحوا قادة بلدهم فى القرن الحادى والعشرين . وإذ تحولت بلغاريا فى غضون الخمسة والثلاثين عاما الأخيرة إلى أمة صناعية وزراعية من طراز جديد ، فإنها دخلت فى العاشر من أبريل ١٩٧٩ عصر ريادة الفضاء حين استقل ملاح الفضاء جورجى ايفانوف (أسفل) مركبة الفضاء سويوز ٣٣ ، وانطلق مع زميله السوفيتى نيقولاى روكوفيت بيكوف فى مهمة معقدة

فى إطار البرنامج الفضائى الكونى . وتعتبر بلغاريا بإقليمها الذى تبلغ مساحته ١١٠٩١١ كم٢ من أصغر بلاد أوروبا ، إلا أنه يوجد تحت تصرف العلماء والبحاث أحدث المعدات العلمية ، وبخاصة المفاعل النووى التجريبى (أعلى الى اليمين) بمعهد البحوث النووية بصوفيا . وكما قال السياسى البلغارى القديم جورج ديمتروف : فى مجال الثقافة لا توجد بلاد صغيرة وبلاد كبيرة . وقد تأصلت ديناميكية بلغاريا الحديثة بقوة فى تراث ثقافى يبلغ من العمر ثلاثة عشر قرنا

(الصور : وكالة صحافة صوفيا)



مأساة خمسة ملايين لاجىء في أفريقيا

بقلم : مكسيم ليوبولد زولنر

في العالم الآن نحو عشرة ملايين لاجئ من ضحايا الحروب وشتى أنواع الظلم والاضطهاد.

وقد كانت أوربا في أعقاب الحرب العالمية الثانية هي القارة التي واجهت مشكلة وجود عدد كبير من اللاجئين بها وما استلزمه ذلك من إقامة مخيمات متنقلة لإيواء مئات الآلاف من المشردين الذين ظلوا على قيد الحياة بعد أن أفقدهم الدمار الشامل ديارهم وممتلكاتهم.

وحتى عام ١٩٥١ وهو العام الذي أنشأت فيه الأمم المتحدة مكتب المندوب السامي لشئون اللاجئين، في جنيف كان لايزال هناك عدد كبير من اللاجئين الأوربيين. وحتى هذا العام عام الذكرى الثلاثين لإنشاء هذا المكتب نتذكر بأن مهام المكتب لاتزال ضرورية كما كانت في أي وقت مضى نظرا لما نشهده الأحداث عاما بعد عام من تزايد حشود اللاجئين في العالم



راية السلام

في جنوب صوفيا، عاصمة بلغاريا، يرتفع صرح خرساني عظيم به العديد من النواقيس. ويذكرنا اسم هذا الصرح «راية السلام» بأنه قد انعقد في هذا المكان اجتماع دولي مختلف عن سائر الاجتماعات. استقبل فيه الأطفال البلغاريون ١٣٠٠ طفل قدموا من ٧٩ بلدا. كان الهدف من هذا اللقاء - وهو حدث من أهم الأحداث البارزة في عام ١٩٧٩، العام الدولي للطفل - جمع الكتاب والموسيقيين والمصورين الناشئين في العالم كله (أسفل) تحت راية السلام والصداقة بين الشعوب. هذا التجمع الذي وجه فيه الموهوبون الصغار نداء من أجل السلام في العالم سلم إلى السكرتير العام للأمم المتحدة. انعقد تحت رعاية رئيس مجلس الدولة لجمهورية بلغاريا الشعبية، السيد تودور زيفكوف، والمدير العام لليونسكو السيد أحمد مختار امبو. وكان من أهم أحداث الاجتماع افتتاح صرح راية السلام، وهو برج مركزي، يحيط به عشرة جدارات على شكل قوس دائرة. وعلى ذروة البرج الذي يبلغ ارتفاعه ٣٧ مترا سبعة نواقيس تمثل قارات العالم (إلى اليمين). وأسفل الجدارات ثبتت نواقيس من مختلف البلاد. وعلى كل منها نداء السلام على الأرض. وثمة ناقوس «الشمس» مهدى للأطفال، ملحق أيضا بالصرح. وتختلف هذه النواقيس في شكلها وحجمها (إلى اليسار). فناقوس بلغاريا يزن ١٣٠٠ كجم، ويحمل هذا الرقم شعار دولة بلغاريا. وبأسفل إلى اليمين لوحة تذكارية مكتوب عليها: إلى أطفال العالم، تمثل إسهام اليونسكو في صرح راية السلام. وثمة اجتماع دولي آخر للأطفال (صوفيا ٨١) سوف يعقد في شهر أغسطس للذكرى السنوية الثانية لاجتماع راية السلام. ويمهد برنامجه للاجتماع الدولي الثالث للأطفال تحت راية السلام.






ناقوس الشمس للأطفال

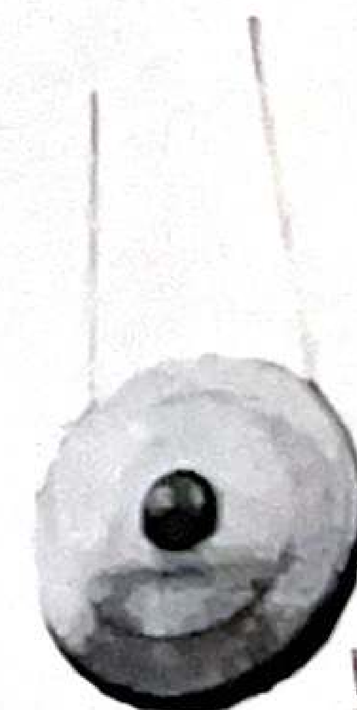

بلغاريا

تركيا


اليابان


غانا


سويسره


أندونيسيا

فاليوم وفى عام ١٩٨١ ، انتقلت المشكلة من أوروبا إلى أفريقية . وأصبحنا نجد بين كل اثنين من لاجئى العالم لاجئا أفريقيا . وبات اهتمام العالم مركزا على أزمة اللاجئين فى أفريقية أستجابة منه لدعوة «كورت فالدهايم» السكرتير العام للأمم المتحدة فى هذا الصدد

والأكثر من ذلك أن عدد هؤلاء اللاجئين قد تصاعد فى السنوات القليلة الماضية بشكل ينذر بالخطر . فقد كان عددهم فى عام ١٩٧٥ يقدر بنحو مليون لاجئ . ثم بلغ هذا الرقم ٣,٧٠٠,٠٠٠ لاجئ فى عام ١٩٧٧ ، ثم استمر فى تصاعده بشكل مذهل ليصل فى العام الماضى الى خمسة ملايين لاجئ .

واستجابة لهذه الأزمة دعت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نوفمبر الماضى لعقد مؤتمر دولى لتعبئة جهود المجتمع الدولى وطلبا لمعونته . وقد انعقد «المؤتمر الدولى لمساعدة اللاجئين الافريقيين» فى جنيف يومى التاسع والعاشر من أبريل ، ودعيت اليه الدول الأعضاء فى منظمة الوحدة الافريقية إلى جانب أعضاء الأمم المتحدة ، كما دعى اليه أعضاء حركات التحرير الوطنية التابعة لكلتا المنظمتين .

وكان الهدف الرئيسى للمؤتمر هو الحصول على مزيد من الموارد لوضع البرامج المساعدة للدول الافريقية المضيفة حتى يمكنها تحمل هذا العبء الثقيل الذى يفرضه تدفق اللاجئين على اقتصاد ياتها وجموع العاملين بها .

ولم يكن جديدا على المجتمع الدولى أن يتحرك فى هذا المجال . فكثيرا ما سجل مكتب المندوب السامى لشئون اللاجئين جهودا عظيمة لتحسين أوضاع اللاجئين ، كما كانت مشكلة اللاجئين وأوضاعهم أمرا له أولويته الخاصة دائما لدى منظمة الوحدة الأفريقية كما يعد المؤتمر الذى عقد فى أديس أبابا عام ١٩٦٧ لبحث الجوانب القانونية والاجتماعية والاقتصادية لمشكلات اللاجئين علامة مميزة على طريق التعاون الدولى بين هاتين المؤسستين ، فلقد كان هذا المؤتمر هو المناسبة الأولى التى بحث فيها المشكلات المتعلقة بجميع اللاجئين الافريقيين من خلال منصة دولية . كما اتخذت فيه سلسلة من التوصيات كان هدفها تخفيف العبء عن كاهل الدول التى تستقبل اللاجئين بها

وكان من النتائج التى ترتبت على هذا المؤتمر كذلك أنشاء مكتب دائم لمنظمة الوحدة الافريقية فى أديس أبابا يتولى توفير المأوى وفرص التعليم للاجئين الأفريقيين . كما تم فيه أقرار اتفاقية منظمة الوحدة الافريقية التى تحكم جوانب مخصصة لمشكلات اللاجئين فى أفريقية .

وكانت هذه الاتفاقية قد أكدت الصيغة التى وضعتها الأمم المتحدة لتعريف اللاجئ ، والمعترف بها لدى معظم الحكومات ، وهى تنص على أن اللاجئ هو «كل شخص يترك وطنه خوفا من الاضطهاد المحقق بسبب أصله أو عقيدته أو جنسيته أو عضويته فى تنظيم اجتماعى معين أو لاعتناقه آراء سياسية بعينها» .

الا أنها ذهبت إلى أبعد من ذلك حين شمل تعريفها لكلمة اللاجئ «كل شخص يضطر إلى مغادرة مكان

هذا البحر اللجى من الخيام ، والذى تمتد إلى مرمى البصر ، هو معسكر مؤقت للاجئين أقيم فى مكان ما بأفريقيا . ونصف اللاجئين فى العالم فى الوقت الحاضر من الافريقيين . ويزيد عددهم على سكان الكثير من البلاد الأفريقية . ويتعاون مكتب المفوضية العليا للأمم المتحدة لشئون اللاجئين مع منظمة الوحدة الافريقية ، وهيئات متطوعة للمساعدة فى جهد واسع النطاق لمساعدة بعض البلاد الشديدة الفقر لتزويد هذه الملايين من اللاجئين والمرحلين بالغذاء ، والمأوى ، وضروب الرعاية الضرورية . وبأسفل : نساء وأطفال فى معسكر للاجئين ينتظرون توزيع أنصبتهم من الغذاء



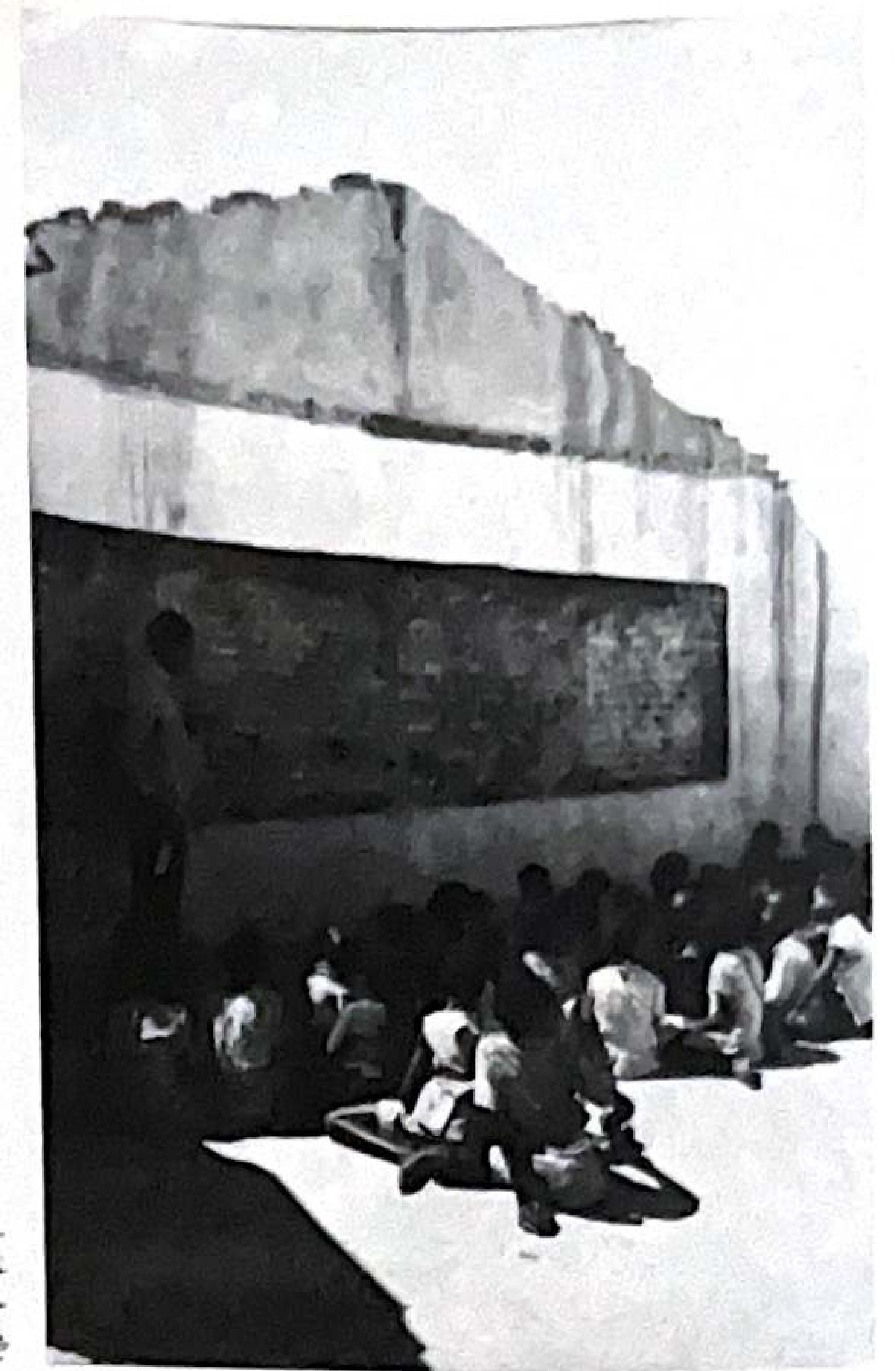
أقامته طلبا للأمن فى مكان آخر خارج وطنه الأصلى أو الوطن الذى يحمل جنسيته . وذلك بسبب عدوان خارجى أو احتلال أو سيطرة أجنبية أو أحداث خطيرة من شأنها أن تخل بالنظام العام . سواء شملت هذه الأحداث الوطن كله أو جزء منه» . وتمشيا مع أحكام هذا التعريف رأت الدول الإفريقية أن منح حق اللجوء للاجئين أنما هو من قبيل الأعمال السليمة الانسانية . وليس عملا عدوانيا ترتكبه الدولة المضيفة ضد دولة اللاجئ الأصلية . الا أنه من المؤسف أن يثبت عجز هذه النصوص عن أن تحل مشاكل اللاجئين . برغم ما تتسم به من سماحة ويسر وبرغم الجهود التى تعززها فى وقت كثرت فيه حروب التحرير خاصة فى أفريقية الجنوبية . كما كثرت فيه الصراعات الداخلية والخلافات بين الأقاليم الافريقية . والدليل الوحيد الذى يمكن من خلاله أن نستوضح اتساع أبعاد المشكلة ـ مشكلة اللاجئين ـ هو أنه فى منتصف العقد الثامن كان متوسط عدد اللاجئين اليومى يقدر بنحو ٢٠٠٠ لاجئ . هو بذلك يزيد على ضعف متوسط عدد اللاجئين فى العالم الذى بلغ فى ذلك الوقت ٨٠٠ لاجئ فى اليوم الواحد

ونتيجة لذلك عقد مؤتمر آخر فى أروشا بتنزانيا فى عام ١٩٧٩ لتحديد أستراتيجية لاعادة اللاجئين إلى أوطانهم الاصلية أو ادماجهم فى البنية الاقتصادية للدول المضيفة لهم .

وعاد «مؤتمر أروشا» الذى شاركت فيه منظمة الوحدة الافريقية واللجنة الاقتصادية لشؤون منظمة الوحدة الافريقية بالأمم المتحدة ومكتب المندوب السامى لشؤون اللاجئين بالأمم المتحدة فأكد من جديد ضرورة الأخذ بمبادئ التضامن الدولى والمشاركة فى تحمل الأعباء ، كما حدد قائمة بالاحتياجات القائمة والمنتظرة ، وقد قام مكتب المندوب السامى بحصر هذه الاحتياجات بالنسبة لكل دولة وتمويلها .

وقد أظهرت الحكومات الافريقية حفاوة بالغة عند استقبالها لمئات الآلاف من اللاجئين اليها ، وضربوا بذلك مثلا يحتذى فى الاحترام التام لمبادئ حق اللجوء وعدم رفض اللاجئين .

ولكن لا ينبغى أن يغيب عن الأذهان أن من بين هذه الدول المضيفة من يعانى فقرا شديدا ويواجه صعوبات اقتصادية عظيمة قد لا تقتصر على مجابهة قوى السوق الدولية أو مواجهة التكاليف الباهظة للطاقة ولكنها كذلك تكون غالبا فريسة للكوارث الطبيعية . فالصومال مثلا قطر بلا موارد فى حقيقة الأمر ومع ذلك فهو يأوى اليه الآن ما يزيد على مليون ونصف مليون لاجئ بالاضافة إلى سكانه الاصليين البالغ عددهم ثلاثة ملايين وستمائة ألف نسمة . ومن ثم كان الإبقاء على حياة اللاجئين المعدمين فى الدول التى تعانى فقرا شديد هو الهدف الأساسى لبرامج المعونة ، التى ينظمها مكتب المندوب السامى والتى يجرى تنفيذها بالتعاون مع برنامج الغذاء العالمى ومنظمة الصحة العالمية ومنظمة الأمم المتحدة للأمومة والطفولة وغيرها من الوكالات الحكومية وغير الحكومية والمتطوعة التى تعد جهودها أمرا لا غنى عنه على الاطلاق .



مطالعة في الهواء الطلق جمع من أطفال اللاجئين يتعلمون القراءة في فصل بين الأطلال

ومع ذلك فإن المتاح من الموارد الآن لا يكاد يكون لأن يرد عن اللاجئين زحاف وسائب فصلا عن أضعافه . شر الموت جوعا بأعدادهم تلك التي تبلغ مئات الألوف

فإذا أردنا أن نحافظ حياة هؤلاء اللاجئين واحتياجاتهم المستقبلة وأن ندمجهم في بيئة الاقتصاد الافريقي كانت هناك مشكلات لا تقل عن غيرها إلحاحا . إن لم تكن أبعد منها أمدا وأكثر تكلفة

من هذه المشكلات مشكلة هل يقيم هؤلاء اللاجئون في الدول المضيفة لهم أم يمكنون في المستقبل من العودة إلى أوطانهم الأصلية إن هم رغبوا في ذلك . فإذا ما رغبوا في البقاء في الدول المضيفة فلن يضعوا في أن تتوفر لهم كل أشكال العون . بل على العكس من ذلك ستكون لديهم الرغبة في أن يعملوا . ولكن قبل أن تمكنهم الإسهام بدور كامل في الحياة الاقتصادية والاجتماعية سيكون على هذه الدول أن توفر لهم الأرض والآلة والبذور والسماد وأن تحفر لهم الآبار وتنشئ الورش وأن تبني لهم القرى وتشق الطرق وتقيم الكباري والمدارس والمستشفيات

إلا أن ما يتكلفه توفير كل هذه الأشياء من خامات ومعدات وعاملين شئ لا تطيقه أمكانيات هذه الدول

فإذا ما رأينا معظم الدول الغنية تتحفظ في إبداء ترحيبها باللاجئين فذلك لأن هذه الدول تعلم أن هذا الترحاب مكلف جدا ومع ذلك فليس منهم من يرفض الإسهام في جهود جماعية حقيقية .

لقد أعلن مكتب المندوب السامي لشؤون اللاجئين أمام تسع وتسعين دولة في مؤتمر جنيف الذي رأسه كورت فالدهايم السكرتير العام للأمم المتحدة أن الاجراءات الضرورية التي ينبغي اتخاذها في الاثنا عشر شهرا القادمة تبلغ تكاليفها ٤٥٠ مليون دولار . وكان ذلك بمثابة النذير الذي نبه الدول التي يكون عليها دائما أن تمديد العون عند خطورة الموقف . في اليوم الثاني للمؤتمر تعهدت الدول المشتركة فيه بتوفير مبلغ ٥٦٠ مليون دولار على غير ما كان متوقعا . ثم بعد ذلك أعلن الأمين العام المساعد لمنظمة الوحدة الافريقية في مساء العاشر من أبريل أن هناك وعودا جديدة من مصادر غير رسمية قد رفعت المبلغ إلى مئة مليون دولار على الأقل .

تلك هي روح التضامن التي طالما ناشدت الأمم المتحدة دول العالم الالتزام بها وها هو ذا نداء التضامن قد وجد آذانا صاغية . ولن نجد في ختام هذا الحديث أفضل من كلمات بول هارتلنج المندوب السامي لشؤون اللاجئين حين قال : « أن تفهم معاناة اللاجئين هو الدليل الأكيد على وجود تضامن دولي » .

باسم ليوبولد رولغر من ... مدير قسم برامج المساعدة بمكتب المفوضية العليا للأمم المتحدة لشئون اللاجئين بجنيف . وكان نائب رئيس قسم الاقتصادي والاجتماعي . والأمين العام لاتحاد أفريقيا ومدغشقر . حل بعده أيضا سفيرا له في الولايات المتحدة وكندا . وممثلا دائما بالأمم المتحدة بنيويورك .

الصفحة الأخيرة

ينتشر في جبال بلغاريا الوعرة العديد من ... حافلة بالصور الجدارية . والأيقونات المتعددة البارزة المنقوشة في الخشب وهذه البوابة ... من ملنك جنوب غرب بلغاريا . يعلوها صورة ... الكون . العلي القدير) على العرش السماوي رصيعة تمثل الحواريين الستة . وما علاها صور ... ويرجع تاريخ الدير إلى القرن الثاني عشر أو ... الصورة ترجع إلى عام ١٥٩٧

الصفحتان الوسطيان

إلى اليسار ـ تمثال صغير من العظم (ارتفاعه ... سم) اكتشف في جبانة فارنا من العصر الحجري النحاسي ... ويرجع إلى أواخر الألف الرابع قبل الميلاد . وتمثل مقابر على ... جودة وتعد جبانة فارنا من أعظم الاكتشافات الأثرية في القرن ... المعاصر وكانت القبور التي تنتمي الى العصر الحجري الحديث مملوءة ... الأشياء وخاصة الذهبية . وبأجزاء من الأواني الخزفية ... أو غيرها

إلى اليمين ... منذ سنين . اكتشفت في بريسلاف عاصمة بلغاريا القديمة كنزا يضم قلادة ذات رصائع . وإكليل ... وأقراط وخواتم . ونقودا . الخ . وترين منمنمة العذراء ... الظاهرة في الصورة الرصيعة الوسطى للقلادة . وهي من ذهب ... وربما (القرن التاسع إلى العاشر) . ويحيط بصورة العذراء لآلئ ... من بلور جندل . أما وجه العذراء الأبيض الوردي فإنه وجه امرأة شابة . وليس في قسمات وجهها المعبر ذلك الجمود الكهنوتي المعتاد في أيقونات العذراء

(الصور : جيرار دوفوس . باريس ـ

الصفحة اليسرى

القديس بندكت يعلم رهبانه القانون . صورة جدارية (١٥٠٥ـ ١٥٠٨) للمصور الإيطالي سودوما .

(الصورة : اسكالا . فلورنسا)





بناء على دعوة مؤسسة حقوق الإنسان بأثينا عقدت اليونسكو ندوة بالعاصمة اليونانية من ٣٠ مارس إلى ٣ أبريل ١٩٨١ لفحص النظريات العلمية الزائفة التي تتخذ اليوم ذريعة لتبرير العنصرية والتمييز العنصري .

ولما كان الذين يحاولون فرض الفكرة القائلة بوجود نوع من «التدرج الطبيعي» بين مختلف الشعوب أو مختلف الأفراد يتذرعون بالعلم لتأييد نظرياتهم فقد رأت اليونسكو ضرورة توضيح الموقف بإعلان رأي العلماء الحقيقي في هذا الموضوع . فجمعت ٢٣ باحثا من ١٨ دولة يمثلون مختلف العلوم المختصة - من علماء الوراثة ، والبيولوجيين ، والأنثروبولوجيين ، والاجتماعيين ، والسيكولوجيين ، والمؤرخين ... الخ . وقضوا أسبوعا حللوا فيه أحدث النتائج التي توصل إليها العلم ، واستخلصوا منها إدانة الحجج التي تدحض دعاوى العنصريين الجدد .

وقد نشرنا على ص ٢٨ من هذا العدد البيان الكامل للنتائج التي انتهى إليها العلماء المجتمعون في أثينا ، والموجه إلى جميع شعوب العالم . وفي المقال التالي يقدم العالم الوراثي الفرنسي ألبير جاكار ، مقرر ندوة أثينا ، بيانا بالموضوعات الرئيسية التي ناقشها المجتمعون .

العلم ، والعلم الزائف ، والعنصرية

بقلم : ألبير جاكار

إن رد الفعل التلقائي والطبيعي من جانب الفرد عندما يصاب بإحدى النكبات أن يبحث عن سبب هذه النكبة . وهذا السبب لابد أن يكون بالضرورة شخصا آخر أو قوما آخرين . وكذلك الجماعة إذا أصيبت بنكبة ، فإن رد فعلها هو نسبة هذه النكبة إلى جماعة أخرى أو نسبتها إلى شعبة منها نفسها .

وردود الفعل الغريزية هذه التي تتسم بالطفولة والخوف لا تمت بأي صلة إلى التحليل المنطقي للأحداث الجارية في عالم الواقع وأسبابها . ولكن يبدو أنها واسعة الانتشار وراسخة في النفوس ، حيث يبدو الأمل ضئيلا في اجتثاثها . وإذا أردنا الإبقاء - برغم كل شيء - على جذوة هذا الأمل فلا سبيل إلى ذلك إلا عن طريق «العلم» وهو اسم وقور - نوعا ما - لما يبذله العقل البشري من جهد لفهم عالم الواقع .

ومن الغريب أن الاتجاهات العنصرية الصريحة أخذت تبرز باسم العلم بعض المجتمعات الغربية . حيث يتحدثون عن «الكشوف البيولوجية الحديثة» أو «أحدث البحوث الوراثية» مبرراً لتصنيف الناس إلى فئات - أو عناصر (سلالات) معينة - والمقارنة بين هذه العناصر ، طبقا لمعايير مختلفة تسمح بترتيبها على درجات متفاوتة بعضها فوق بعض .

بيد أن المحتوى الحقيقي للأبحاث العلمية - وبخاصة في أكثر العلوم تخصصا في هذا المجال ، وهو علم الوراثة - ينافي ما يحاول هؤلاء القوم نسبته إلى هذا العلم . وكل محاولة لاتخاذ البيولوجيا أساساً للنظريات «الاصطفائية» (القائلة بوجود صفوة مختارة من الشعوب) تقوم على تفكير خاطىء ، سواء كانت الصفوة المختارة عبارة عن أفراد بأعيانهم داخل كل جماعة أو عبارة عن جماعات بعينها .

ولذلك كان واجب العلماء في هذه الظروف أن يعلنوا رأيهم بصراحة ، وأن ينشروا على الملأ الكشوف العلمية التي اهتدوا إليها في مجال اختصاصهم . ذلك أن مكافحة الأشكال المختلفة من النزعة العنصرية تتطلب حججا مؤيدة بالعقل ، لا متأثرة بالعاطفة . ويجب أن تكون واضحة قبل كل شيء . ومن هنا وجب أن نحدد بدقة ما نستخدمه من اصطلاحات . فنقول :

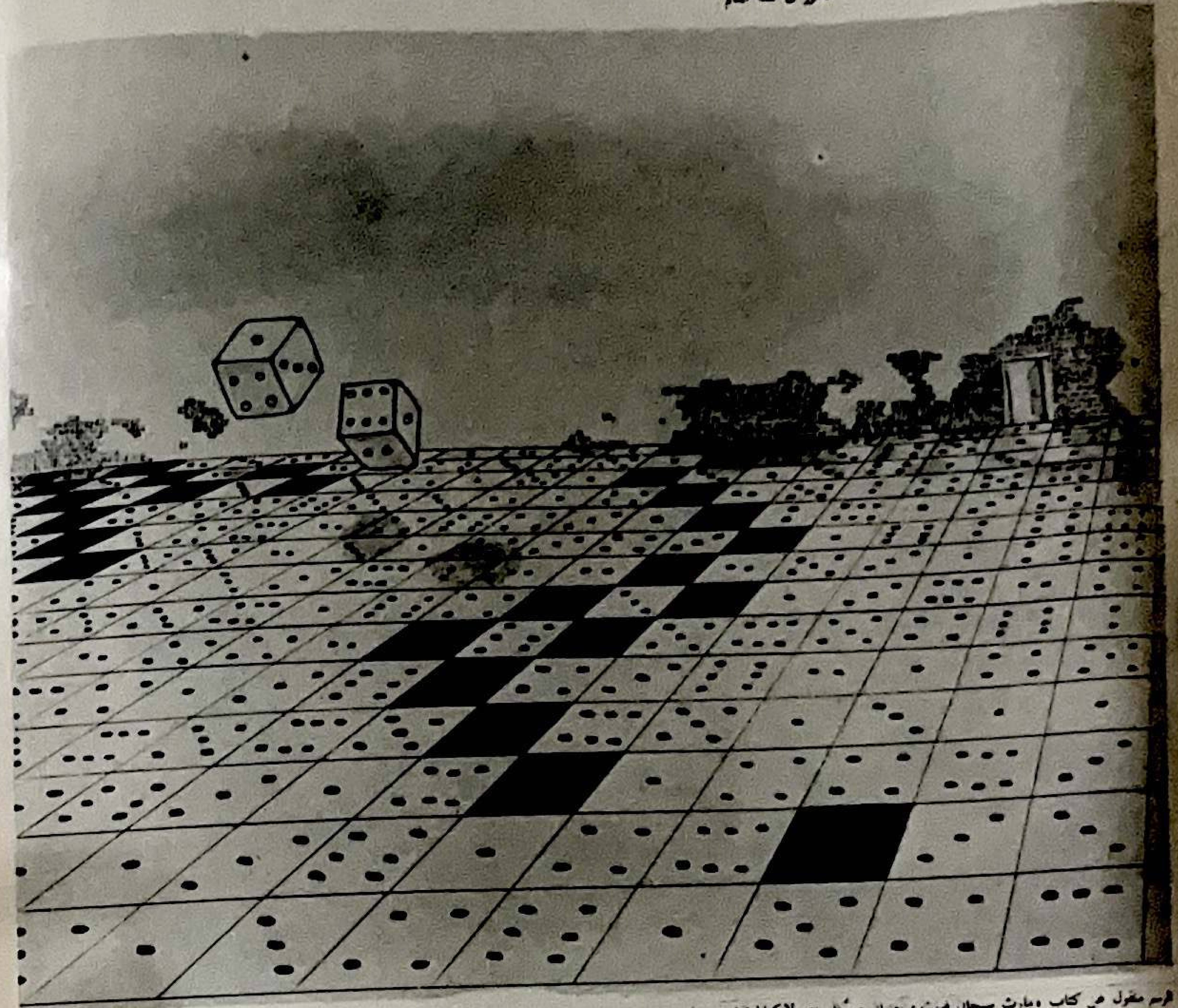
إن «العنصري» هو الشخص الذي يحتقر غيره لمجرد أنه ينتمي إلى جماعة أخرى تختلف عن جماعته ، بلون جلدها ، أو لغتها أو ديانتها ، أو تراثها الثقافي . ولذلك كان القول بوجود أشكال من العنصرية لا شكل واحد فقط أقرب إلى الواقع . والشرط الأول بكل شكل من أشكال العنصرية هو كيف يمكن تصنيف الناس إلى فئات متجانسة نسبيا ، ومتميزة بعضها عن بعض أولاً ، ثم وضع سلم من القيم ينطبق على هذه الفئات ثانيا . وبعبارة أخرى يجب أولاً تحديد العناصر ثم ترتيبها على درجات متفاوتة .

تحديد العناصر

عندما يتفرع أحد الأجناس البشرية إلى أقوام مختلفين ثم انفصلوا انفصالاً بيناً ودقيقاً نتيجة سلسلة متتابعة الحلقات من الانفصالات المستمرة ، فإن الهوة بين المميزات الوراثية أو الثقافية بين قومين من هؤلاء الأقوام

ألبير جاكار : عالم وراثي فرنسي يقوم بالتدريس في جامعات باريس ٦ وجنيف . ورئيس قسم الوراثة بالمعهد القومي الفرنسي للدراسات السكانية بباريس . من بين مؤلفاته المنشورة : «مفهوم وراثة الشعوب» (١٩٧٧) ، و «امتداح الفروق»

من المستحيل حتى نرى أحد كعوب النرد (الزهر) أن نعرف بالضبط . نظراً لأن أسباب هذه الظاهرة معقدة ، وغير معروفة ولكن في وسع الإنسان أن يتصور إمكان الوصول إلى هذه النتيجة بطريقة مؤكدة حتى نستطيع أن نعرف على وجه الدقة خصائص كعوب النرد . كالقوة الأولى التي يرمي بها اللاعب كعب النرد ، ومقاومة الهواء لكعب النرد عند رميه ، وهكذا . وفيما يتعلق بظاهرة انتقال الميراث الجيني (أي ما يرثه المرء من جينات) فإن الأمر يختلف عما ذكرناه في شأن النرد . ذلك أنه مهما تكن التحسينات الأولية للجينات التي تحدث على مستوى الخلايا ، مثلاً ، فإن عدد النتائج المحتملة في عملية انتقال الجينات وتوارثها يكون كبيراً جداً بقدر ما يتصوره العقل من احتمالات لا حد لها . ولعل فكرة النرد التي أشرنا إليها تعبر عن عجزنا عن تفسير كيف تسير الأمور في عالم الواقع . ولعلها أيضا انعكاس لعدم استقرار الأمور في هذا العالم



الرسم منقول عن كتاب «مارث سيجال فوت» بعنوان «سوئل دى لا كرايا تمى» ، باريس

تتسع كلما طال أمد الانفصال . ولذلك يمكننا تتبع أنساب هؤلاء الأقوام إلى أصولهم الأولى ، مستدلين بالمميزات التي يمكننا ملاحظتها في الوقت الحاضر .

ولكن إذا لم يكن تاريخ الجنس البشري على هيئة شجرة تفرعت بالتدريج إلى جماعات مختلفة ، بل كان على هيئة شبكة من الاندماج والتبادل بين جماعات متميزة (نتيجة للهجرة مثلاً) ، فإن محاولة تتبع أنساب هذه الجماعات المختلفة محكوم عليها بالفشل ، اللهم إلا في حالات استثنائية . ذلك أن معرفتنا بالحالة الراهنة لهذه الجماعات لا تتيح لنا تتبع الخطوات التي أدت إلى هذه الحالة .

ومن المؤكد أن البعد الجغرافي حال دون التبادل بين السكان القاطنين على كلا جانبي الكرة الأرضية ، إذ اصطدمت الهجرة بعوائق جمة لا يمكن التغلب عليها أحيانا ، ثم أقامت الفروق الثقافية حاجزا بين بعض الجماعات ، وفصلت بينها من الناحية الوراثية . ولكن تاريخ الشعوب البشرية متشابك جدا بحيث لا يمكن وصف أي شعب دون الإشارة إلى التبادل الذي جرى بينه وبين كثير من الشعوب الأخرى ، وبالتدريج أصبح هذا الشعب ينتسب إلى الشعوب الأخرى . وفي الوقت نفسه أدت العمليات الطبيعية (وفي مقدمتها عملية التوالد الجنسي) إلى درجة من التنوع في نطاق كل شعب من الشعوب .

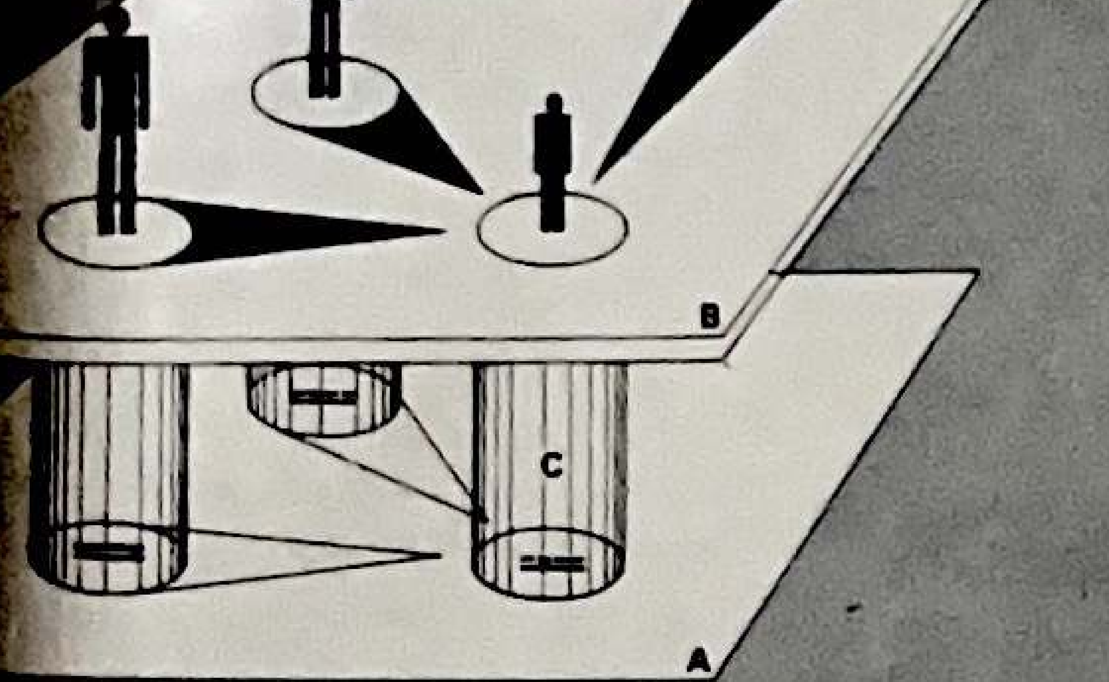
والجنس البشري بأسره عبارة عن مجموعة من الأشخاص ، والأسر ، والجماعات العرقية ، والأمم ، وكلهم مختلفون بحيث لا يمكن تصنيف الفروق بينهم .

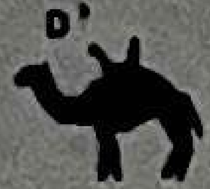
وأدق أشكال التصنيف ما تعلق بالمواريث الجينية (نسبة للجينة وهي عامل من عوامل الوراثة) . أي اعتبار درجة تكرار الجينات المختلفة في شعبين دليلاً على درجة الاختلاف بين هذين الشعبين .

وإذا اقتصرت محاولة التصنيف على عدد صغير من الجينات فإنها لا تلبث أن تؤدي إلى بعض النتائج ، ولكن هذه النتائج تتباين من مجموعة من الجينات إلى مجموعة أخرى . مثال ذلك أننا إذا أخذنا الجينات المسئولة عن تكوين صبغة الميلانين (وهي صبغة تتراكم في الجلد ، وتكسبه اللون الأسود ، وجدنا أن نسبة هذه الجينات في السود تختلف اختلافا كبيراً عنها في البيض أو الصفر .

وفيما يتعلق بالجينات المسئولة عن نشاط اللاكتيز (وهو الإنزيم الذي يسهل عملية هضم اللبن) . وجدنا أنها تكثر







... العالية وتقل نسبيا في إقليم البحر ... تكثر في آسيا وافريقية . وإذا صنفنا ... بناء على كثرة هذه الجينات وجدنا أن ... من شعوب القارات الأخرى

... في حالة صفتين بيولوجيتين نعرف سببها ... مثل فصيلة الدم . وجهاز المناعة ... تؤدي إلى تصنيف البشر إلى مجموعتين ... والاسكيمو من ناحية ، والهنود أوربيون ... السود من ناحية

... نظرنا إلى العلاقات بين الأجناس البشرية ... التي جرى العرف بتقسيم البشر إليها تبعا ... المعايير المختارة (لون الجلد ، أو بقاء اللاكتيز ، ... المناعة) إذ يمكننا طبقا لهذه المعايير أن نحكم ... سكان أوربا أشبه بسكان افريقية منهم بسكان ... نحكم بعكس ذلك تماما .

... في ذلك أن تاريخ البشرية لا يمكن أن يكون ... شجرة تفرعت إلى شعب عديدة بالتدريج . وإنما ... عن شبكة من التبادل والاندماج والانفصال . ... كان من الخطأ ابتداع تصنيف لا يمكن أن ينطبق ... العالم كله

... يؤكد استحالة مثل هذا التصنيف البحث الذي لا ... على انتخاب بعض الخصائص والصفات انتخابا ... ، بل على مجموعة من المعلومات المتصلة بكافة ... الخصائص والصفات المختلفة المدروسة .

... من الممكن التعبير «بالمسافة» عن أوجه الشبه ... بين التركيب الجيني لشعبين مختلفين . وتحديد ... هنا هو نسبة السكان الذين تفصلهم مسافة قصيرة ... جماعة واحدة ، والسكان الذين تفصلهم مسافة كبيرة ... جماعتين متميزتين . ولكن هذه الطريقة لا يمكن أن ... قاطعة في حق الشعوب البشرية

وقد أوضح العالم الوراثي س . ليونتين بجامعة هارفارد ، الذي بنى أبحاثه على أشهر فصائل الدم ... ، أن المسافة بين شعبين ينتميان إلى «عنصرين» ... لا تتجاوز المسافة بين شعبين من عنصر واحد إلا بمقدار ٧٪ أو ٨٪ فقط .

وبعبارة أخرى أنه إذا كان الانتماء إلى عنصر معين أو ... معينة ذا أهمية بالنسبة للتركيب الجيني ، فإن نتائجه محدودة جدا ، فالأسكيمي أو السنغالي يمكن أن يكون أقرب إليّ من الناحية الجينية (الوراثية) من رجل الشرطة في فريق . وليس معنى ذلك أننا ننكر أوجه الاختلاف بين الجماعات البشرية ، ولكن معناه أن أوجه الشبه والخلاف دقيقة جدا بحيث تنطمس معالم الصورة متى جمعنا بين جميع المعلومات والبيانات المتاحة .

ولذلك كان جواب العالم الوراثي عندما يسأل عن معنى كلمة «عنصر» قاطعا في هذا الشأن ، وهو أنه لا يوجد تعريف موضوعي وثابت لمفهوم العنصر .

ترتيب الأجناس البشرية ترتيبا تصاعديا

دلت التجارب على أن تصنيف البشرية إلى جماعات متميزة بدرجة تتفاوت قلة وكثرة يقترن غالبا بالحكم على بعض الجماعات بأنها «أفضل» من غيرها . وفي وسعنا أن نذكر آلاف الكتاب الذين قالوا إنهم لا يؤمنون بالتفرقة العنصرية ، ولكنهم يعتقدون أن شعبهم أفضل الشعوب . وهناك كتاب يقرأه أجيال عديدة من أطفال فرنسا عنوانه

كل عالم بيولوجي يفرق بين «الجينوتيب» (الميراث الثابت للجينات التي يرثها الفرد ويورثها لغيره) و «الفينوتيب» (مجموع الصفات الظاهرة والخفية لدى الفرد التي يمكن قياسها أو وصفها) وتنحصر دراسة انتقال الصفات وتوارثها في تحديد التفاعل بين هذين القطبين (الجينوتيب والفينوتيب) مع التحقق من دور البيئة في هذا الشأن . في هذا الرسم يتعلق الجزء الأسفل منه (أ) بالجينوتيب الذي يتمثل في الأب والأم والطفل ، وقد رمزنا لكل منهم بدائرة . وفي الجزء الأعلى من الرسم (ب) أشرنا إلى كل منهم بصورة ظلية ، لأن الأمر يتعلق بالصفات التي تظهر في كل منهم لا بالجينات الكامنة في نواة خلاياهم . أما الأعمدة (جـ) التي تربط بين الدوائر والصور الظلية فتوضح الارتباط الذي يسير في نفس الاتجاه : الجينوتيب يتحكم في الفينوتيب . ومهما تكن المصادفات التي يمر بها الفرد فإن الجينوتيب عنده يظل على حاله دون أن يطرأ عليه أي تغيير . أما العامل الثالث (د) ـ وهو عامل حاسم أيضا ـ فهو تأثير البيئة على الفينوتيب عند الطفل من الناحية الجسمية والثقافية بأوسع معاني الكلمة .

«الحكم القيمي الوحيد الذي يستطيع العلم أن يؤيده هو أهمية الفروق والاختلافات في حد ذاتها . فأنا أعطى لغيري وآخذ منه بقدر ما نختلف أنا وهو» . وجه إنسان منحوت في محارة يرجع تاريخه إلى العصر الحجري الحديث . عثر عليه بجزيرة تونج سام تونج (جمهورية كوريا)

وضلال يقومان بجولة في فرنسا» . ويتضمن صوراً توضيحية للبيض والسود والصفر والحمر . ولكنه يؤكد أن الجنس الأبيض هو «أكمل» الأجناس .

وغرض الذين يحاولون الآن ترتيب الأجناس البشرية ترتيبا تصاعديا على إحاطة أنفسهم بهالة من القدسية العلمية حين يشيرون إلى الأبحاث التي أجريت في مختلف العلوم ، وبخاصة ما يختص منها بتفسير تطور الجنس البشري ، وما يعنى بدراسة مختلف جوانب النشاط العقلي .

وقد ظلت نظرية داروين تسيطر على تفسير هذا التطور أكثر من مئة عام . وجوهر هذه النظرية هو «بقاء الأصلح» ، بمعنى أن أصلح الأفراد «للصراع في سبيل الحياة» هم من أتيحت لهم أفضل الفرص للبقاء ونقل ميراثهم الجيني إلى الجيل التالي . وطبقا لهذه النظرية يطرأ التحول على التركيب البيولوجي للسكان نتيجة للتفاوت بين قدرات الأفراد ، فتنتشر الصفات المرغوب فيها . وتموت تدريجا الصفات غير المرغوب فيها .

وعندما اتضح ـ على أثر أبحاث العالم النباتي النمسوي جريجور مندل ـ أن الكائنات الحية (ذات الأعضاء الذكرية والأنثوية) لا تنقل صفاتها فقط ، بل تنقل أيضا الجينات المتحكمة في هذه الصفات ، أصبح من الضروري تعديل نظرية داروين . ونسبة «قيمة انتخابية» لا للأفراد وصفاتهم بل للجينات التي يمتلكونها . وعلى ذلك حلت الداروينية الجديدة محل الداروينية القديمة . ولكن المنهج واحد في الاثنين .

بيد أن نسبة «قيمة» للشعب أو الجينات يمكن أن يؤدي إلى الخطأ . وبيان ذلك أن القيمة بحكم تعريفها تعني قدرة الجينة على نقل ميراثها البيولوجي أي إنجاب الأطفال . وهذا معناه أن الذين يموتون دون أن ينجبوا ذرية «ليست لهم قيمة انتخابية» . ولكن إذا اعتبرنا هؤلاء الأفراد كائنات «منحطة» كان ذلك ضربا من الخطأ . لأننا في هذه الحالة نخلط بين قيمتهم الانتخابية وقيمتهم ككائنات بشرية .

وهذا الخطأ قد تكرر عدة مرات من جانب الذين استنبطوا «داروينية اجتماعية» من الداروينية البيولوجية الأصلية . وحبذوا نوعا من المجتمع يتحتم فيه أن يتغلب الأقوياء «طبيعيا» على الضعفاء . وقد أثر هذا المنطق في الفكر الغربي الحديث تأثيراً عميقا . لأن هذا المنطق في زعمهم تمليه «قوانين الطبيعة» . ولكن الحقيقة الثابتة أن الطبيعة تعلمنا عكس هذه الفكرة التي تجعل الأجناس البشرية درجات بعضها فوق بعض .

وظاهر أن الانتخاب الطبيعي ينبغي أن يفضي إلى توحيد الشعوب بالتدريج . وإيضاح ذلك أنه لما كان «الجيد» يطرد «الردئ» طبقا للانتخاب الطبيعي وجب أن لا يبقى على مر الزمن سوى الجينات الجيدة . وبذلك يقل الاختلاف بين الأجناس . إلا أن ـ على العكس ـ ثبت من تحليل الميراث الجيني للأنواع البشرية المختلفة أن الاختلاف بين الأجناس موجود . ذلك أن البيولوجيين اكتشفوا . خلافا لما هو متوقع ـ وهو أمر ثبتت صحته بالتدريج خلال السنوات العشر أو الخمس عشرة الماضية ـ وجود اختلاف كبير في الشعب الواحد .

وقد أدى هذا الكشف إلى تعديل أساسي في الداروينية الجديدة . وسار هذا التعديل في اتجاهين . اذ وضع العلماء نظرية طبيعية استبعدوا منها فكرة القيمة الانتخابية . في حين احتفظ بعضهم بالفكرة . ولكنهم أضفوا عليها تعريفا أكثر تعقيداً . واهتموا بتفاعل عدة جينات لتكوين صفة واحدة . وفي كلتا الحالتين يلغى هذا التعديل كل تفكير يقوم على وجود سُلَّم من القيم يقضي بترتيب الأفراد أو الصفات أو الجينات ترتيبا تصاعديا . ذلك أن العمل في الطبيعة لا يجرى على أساس اختيار الجيد وطرد الردئ ، وإنما على أساس الاحتفاظ بعدد كبير من الصفات المختلفة التي تتعايش معا . وعلى ذلك فالدرس الذي ينبغي لنا أن نتعلمه من الطبيعة هو أنه لا يجوز ترتيب الشعوب طبقا «لجودة» صفاتها وانما طبقا «لاختلاف» صفاتها . ومعنى ذلك أن أفضل الشعوب هو من استطاع الاحتفاظ بأكبر درجة من التنوع مهما كان محتوى هذا التنوع .

هذا والحكم على من حولنا مبني في الغالب على الصفات النفسية لا الحسية . ولذلك فإن مهمة علماء النفس أن تحدد بأكبر درجة من الدقة الصفات المختلفة للشخصية . وقد حاول علماء النفس الغربيون قرابة قرن من الزمان أن يحولوا علم النفس بكل دقائقه وفروعه إلى علم دقيق . ولهذا استخدموا معايير كمية . وبخاصة ما يسمى مقياس الذكاء (م ذ) الذي يقيس النشاط العقلي . ولاشك أن علماء النفس أنفسهم يستنكرون العيوب التي ظهرت في مقياس الذكاء . ومع ذلك لا يزال لهذا المقياس أثر بارز في كثير من الآراء الخاطئة فهو يستخدم غالبا في تبرير الأحكام القاسية بشأن الحالة المدرسية للأطفال . وكانت ثمرة الخلاف الذي أثاره هذا المقياس في الولايات المتحدة هي إحياء نوع من العنصرية .

ولا يعني ذلك إنكار فائدة مقياس الذكاء . ولكن من الضروري بيان حدود أهميته . فهو يبقى موقف الاختبار بطريقة تعسفية في نطاق شعب معين . وفي لحظة معينة وهو مؤشر بعيد كل البعد عن الدقة فضلاً عن [illegible] وعدم ثباته

ورغم هذه العيوب استخدم بعض العلماء «م ذ» للمقارنة بين الشعوب . وأشهر دراسة في هذا الصدد أجراها العالم النفسي الأمريكي آرثر جنسن الذي قارن في ١٩٦٩ بين السود والبيض في الولايات المتحدة . وانتهى إلى وجود فرق من ١٥ نقطة لصالح الآخرين

وهذا الحكم الذي انتهى إليه مبني على العوامل التي عزا إليها الفرق الملحوظ . وهذه تتضمن مفهوما دقيقا سماه علماء الوراثة «قابلية الوراثة» . وقد أخطأ بعض علماء النفس في إدراك هذا المفهوم وغاب عنهم أن قابلية الوراثة في «م ذ» تقيس وجه الشبه فقط فاستخدموها في نسبة الفروق التي كشف عنها «م ذ» بين السكان إلى سبب وراثي .

ولا يعني هذا إنكار تأثير الميراث الجيني في صفة كالنشاط العقلي . فمن الواضح أن الجهاز العصبي المركزي المسبب لهذا النشاط ناتج عن الميراث الجيني . ولكن نشوء هذا النشاط يتطلب أيضا تدخل البيئة . والنتيجة تتوقف على التفاعل بينهما . ولكن محاولة قياس التأثير النسبي لكل منهما لا طائل وراءها .

ومما تقدم يتضح أنه من المستحيل تأسيس تصنيف القدرة العقلية عند مختلف الأجناس البشرية على الأداء العقلي الملحوظ أو نسبة الاختلافات الملحوظة إلى الفروق الوراثية كما حاول بعض المفكرين النظريين .

ذلك أن مفهوم القدرة العقلية نفسه لا يمكن تحديده . ولذلك فإن كل محاولة لترتيب الأجناس البشرية ترتيبا تصاعديا على أساس هذا المعيار ليست خاطئة فقط ، بل هي أيضا باطلة . ومما يؤسف له أن التجارب دلت على أن مكافحة الباطل أصعب من مكافحة الخطأ .

والدرس الأكبر المستفاد من علم الوراثة أن الجماعات التي تنتمي إليها تختلف إحداها عن الأخرى ، ولكن الأفراد في داخل كل جماعة هم أشد اختلافا .

والحكم القيمي الوحيد الذي يؤيده العلم هو أهمية الفروق والاختلافات في حد ذاتها دون أن نحكم عليها بالكمال أو النقص . فأنا لست أعلى من فلان ولا أدنى من أي إنسان . وإنما أنا مختلف عن كل إنسان . وكلما [illegible] اختلافا ازداد ما يمكن أن أعطيه لغيري . وما يمكن أن آخذه منه لقاء ما أعطيه له

وهذا الكلام ليس من وحي الأخلاق . ولكنه الدرس الرئيسي المستفاد من علم الوراثة . وإنه لمن أخطر الأمور أن يلوى هذا الدرس ليكون مبرراً للتفرقة العنصرية . ومن السهل مكافحة هذا التشويه إذا توثقت أواصر التفاهم والاتصال بين العلماء والرأي العام . ولاشك أن نشاط اليونسكو في هذا المجال سوف يكون له أهمية بالنسبة لمستقبلنا جميعا .

الاستراليون
أهل غينيا الجديدة
الكوريون
الهنود (فنزويلا)
الاسكيمو
الهنود (أريزونا)
الماوري (نيوزيلندا)
الجرحاص (الهند)
الغيديوية (الهند)
اللابون (السويد)
التركمان (تركيا الجنوبية)
الإنجليز
الأثيوبيون
الباسك
الغانيون

تختلف [illegible] علاقات بين الأجناس الثلاثة الكبرى اختلافا تاما وفقا للمعايير التي نستخدمها . إذ [illegible] العابرون أن الأوربيين أشبه بالافريقيين منهم بالآسيويين . كما نستطيع أن نؤكد عكس [illegible] الجواب الذي قدمه العالم الوراثي حين سئل عن معنى كلمة «عنصر» جواب قاطع . [illegible] تعريف [illegible] تعريفا موضوعيا وثابتا . والمعياران اللذان استخدمناهما هنا في تصنيف السكان [illegible] في شجرة الأنساب العليا . والمعيار الأنثروبولوجي في شجرة الأنساب السفلى . وكلا المعيارين [illegible] الآخر [illegible] أن الاسكيمو يقتربون من [illegible] في شجرة الأنساب العليا . في حين أنهم يقتربون من [illegible] في شجرة الأنساب السفلى

السويديون
الفرنسيون
الاسكيمو
هنود أمريكا (الشمالية)
اليابانيون
الصينيون
هنود أمريكا (الجنوبية)
الأينو
الماوري (نيوزيلنده)
البولونيزيون
البابونيون
الأستراليون
البانتو
الأقزام
البوشمان

إعلان أثينا

العلماء يعلنون معارضتهم للعنصرية

إن العلماء الذين دعتهم اليونسكو للاجتماع يناشدون شعوب العالم وجميع الأفراد فى كل مكان أن يبنوا اتجاهاتهم وسلوكهم وأقوالهم على النتائج الآتية التى تمثل أحدث ما وصلت إليه الأبحاث العلمية فى القضية العنصرية :

١ ـ تؤكد أحدث الكشوف الأنثروبولوجية وحدة الأجناس البشرية .

٢ ـ إن تفرق الأجناس البشرية على وجه الأرض قد ساعد على ظهور الفروق العنصرية بينها ، ولكنه لم يؤثر على وحدتها البيولوجية الأساسية .

٣ ـ كل المحاولات التى بذلت لتصنيف الأجناس البشرية بقصد إعطاء محتوى موضوعى لمفهوم العنصر (السلالة) قد قامت على أساس الصفات الطبيعية الظاهرة . ولكن الواقع أن مفهوم العنصر لا يمكن أن يقوم إلا على أساس الصفات التى يمكن انتقالها بالوراثة ، أى أنه لا يقوم على أساس الصفات الطبيعية الظاهرة بل على أساس العوامل الوراثية التى تحكمها

٤ ـ إن الطرق البيولوجية الحديثة قد أتاحت لنا دراسة هذه العوامل ، وكشفت عن وجود تنوع وراثى بين الأجناس البشرية أكبر بكثير مما كان متصورا .

٥ ـ لقد تبين أن الفرق بين التكوينات الجينية (نسبة للجينة ، وهى من العوامل التى تتحكم فى الوراثة) لفردين ينتميان إلى شعب واحد يمكن أن يكون أكبر بكثير من الفروق بين معدل التكوينات الجينية لشعبين من الشعوب . وهذه النتيجة تجعل من المستحيل الوصول إلى أى تعريف موضوعى وثابت للعناصر المختلفة ، وبالتالى تجرد كلمة «عنصر» من كثير من معناها البيولوجى

٦ ـ مهما كانت الفروق التى يمكن ملاحظتها فإن البيولوجيا لا يمكن بأية حال أن تصلح أساسا لترتيب الأفراد والشعوب ترتيبا تصاعديا ، نظراً لأن كل شعب له ميراث جينى ثابت . وعلى أية حال فلا وجه إطلاقا لتفضيل جنس على آخر لمجرد اختلاف بين الجنسين .

٧ ـ الواقع أن كل كائن بشرى فيه مجموعة من الجينات تعد فريدة فى نوعها بين المجموعات المحتملة التى لا عدّ لها .

٨ ـ أكسب الانسان ثقافة مكنت الجنس البشرى من التكيف مع البيئات المختلفة ، وتغيير أحواله وصفاته طبقا لاحتياجاته .

٩ ـ إن تفوق الثقافة يجعل الجنس البشرى فريداً بين الكائنات جميعا ، ويبطل كل تفسير للسلوك الانسانى لا يبنى الا على دراسة سلوك الحيوان . وليس هناك أى مبرر لتفسير الفروق بين سلوك الجماعات على أساس الفروق الوراثية .

١٠ ـ النشاط العقلى من أبرز خصائص الإنسان . وقد اهتدت بعض العلوم إلى طرق لقياس هذا النشاط .

١١ ـ تهدف هذه الطرق إلى المقارنة بين أفراد ينتمون الى شعب معين ، ولا يمكن استخدامها فى المقارنة بين شعوب مختلفة .

١٢ ـ يترتب على ذلك ـ من باب أولى ـ أن كل حكم على القدرات العقلية لشعب معين يبنى على هذه القياسات لا أساس له على الإطلاق .

١٣ ـ الحق أن التفاعل المعقد بين العوامل البيولوجية والثقافية يجعل من كل محاولة لبيان الأهمية النسبية للخصائص والصفات الوهبية والكسبية أمراً لا معنى له على الإطلاق .

١٤ ـ ليس من المقبول ولا المعقول علميا التذرع بالاختبارات السيكولوجية ، ومقياس الذكاء بصفة خاصة ، لتشجيع الحرمان الاجتماعى ، والتمييز العنصرى .

١٥ ـ العلوم الاجتماعية لا تؤيد الرأى القائل بأن التمييز العنصرى نمط جماعى من السلوك ينشأ حتما عندما تسود أشكال معينة من العلاقة الاجتماعية بين جماعات عرقية مختلفة . ومن ناحية أخرى فان تعدد الثقافات وتعايشها الذى يسود كثيراً من المجتمعات يعد أروع المظاهر للاثراء المتبادل بين الشعوب .

١٦ ـ النزعة العنصرية التى تتخذ أشكالاً عدة هى فى حقيقتها ظاهرة معقدة يشتبك فيها عدد كبير من العوامل الاقتصادية ، والسياسية ، والتاريخية والثقافية ، والاجتماعية ، والسيكولوجية . ولذلك يتعين أن ينصب العمل الفعال لمكافحة النزعة العنصرية على كل هذه العوامل .

١٧ ـ العنصرية هى بوجه عام أداة تستخدمها جماعات معينة لتعزيز سلطتها السياسية والاقتصادية . وأخطر صورها التفرقة العنصرية ، وابادة الجنس

١٨ ـ العنصرية تنكر أيضا على بعض الشعوب أن يكون لها تاريخ ، وتقلل من شأن مساهمتها فى تقدم البشرية .

١٩ ـ على الرغم من أن التحليل الكمى للظواهر الاجتماعية يمكن أن يساعد على توضيح القضايا الاجتماعية والاقتصادية فإنه يمكن أن يستخدم أيضا لتعزيز العزل والفصل الاجتماعى . ولذلك يجب استنكار تطبيق نظام الحصص فى التعليم وتحديد عدد المقبولين بالمدارس على أساس المعايير العرقية أو العنصرية ، لأن ذلك يعد خرقا للمبادئ الأساسية لحقوق الإنسان . بيد أنه يمكن اتخاذ التدابير المشروعة لرفع المظالم الواقعة على كاهل بعض الجماعات المحرومة من الامتيازات .

٢٠ ـ المشتغلون بالنشاط العلمى يتحملون مسئولية كبرى عن المستقبل الاجتماعى لمعاصريهم . وفيما يتعلق بالنزعة العنصرية فان هذه المسئولية تتضمن اختيارات سياسية وأخلاقية . إذ يجب أن يقوم البحث العلمى دائما ـ وبخاصة فى العلوم الإنسانية والاجتماعية ـ على احترام كرامة الإنسان

٢١ ـ ان التسليم بالأخطار التى تكمن فى بعض تطبيقات العلم ، والتى يتعرض لها الجنس البشرى ، يجب أن لا يؤدى إلى رفض العلم ، بل ـ على العكس ـ يجب أن يؤدى الى بث الاتجاه العلمى الصحيح بين الجمهور بأسره ، ذلك الاتجاه الذى لا يقوم على أساس تراكم الحقائق اليقينية ، بل على أساس غرس روح النقد ، والتحدى المستمر للآراء المقررة . إن الكفاح ضد العنصرية بكافة أشكالها يتطلب اشتراك العلماء على نطاق واسع فى بث هذه الاتجاهات والافادة بوجه خاص من نظم التعليم ووسائل الاعلام .

٢٢ ـ لذلك يتعين على العلماء ـ على اختلاف آرائهم ـ أن يبذلوا جهدهم للتمسك بالموضوعية حتى لا تتخذ أبحاثهم ونتائجهم أساساً للتزييف وسوء التأويل الضار بالبشرية .

قاهر الحمى الصفراء

بقلم : بدرو م . برونا و روفائيل أو . بدراثا



منذ قرن مضى لم نكن نعرف سوى القليل عن الأمراض الاستوائية التى جلبت كثيراً من الآلام على الشعوب القاطنة فى أشد الأقاليم حرارة على وجه الكرة الأرضية .

وعلى الرغم من أن الأمراض الاستوائية لم تستأصل شأفتها تماما حتى اليوم ، ولاتزال بلاء مسلطا على البشرية ، فإن بعضها اليوم فى طريقه إلى الزوال أو ـ على الأقل ـ فى هبوط مستمر .

وكانت الحمى الصفراء أول مرض استوائى تستأصل شأفته من الأقاليم التى اعتبرت هذه الحمى من الأمراض المتوطنة فيها . وكانت بعض المدن الساحلية ، مثل هافانا ، وفيراكروز ، وريودى جانيرو ، وغيرها من موانئ أمريكا الوسطى والجنوبية ، هى الهدف الأول لوباء الحمى الصفراء ، ومثلها مناطق كبيرة فى غرب افريقية . وقد يغزو هذا المرض أحيانا بعض الأقاليم ذات المناخ المعتدل مثل وادى المسيسبى حيث قضت الحمى الصفراء على أكثر من ١٣,٠٠٠ نسمة فى ١٨٧٨ ، وبعض أنحاء أمريكا الشمالية ، وأوروبا بانفسها .

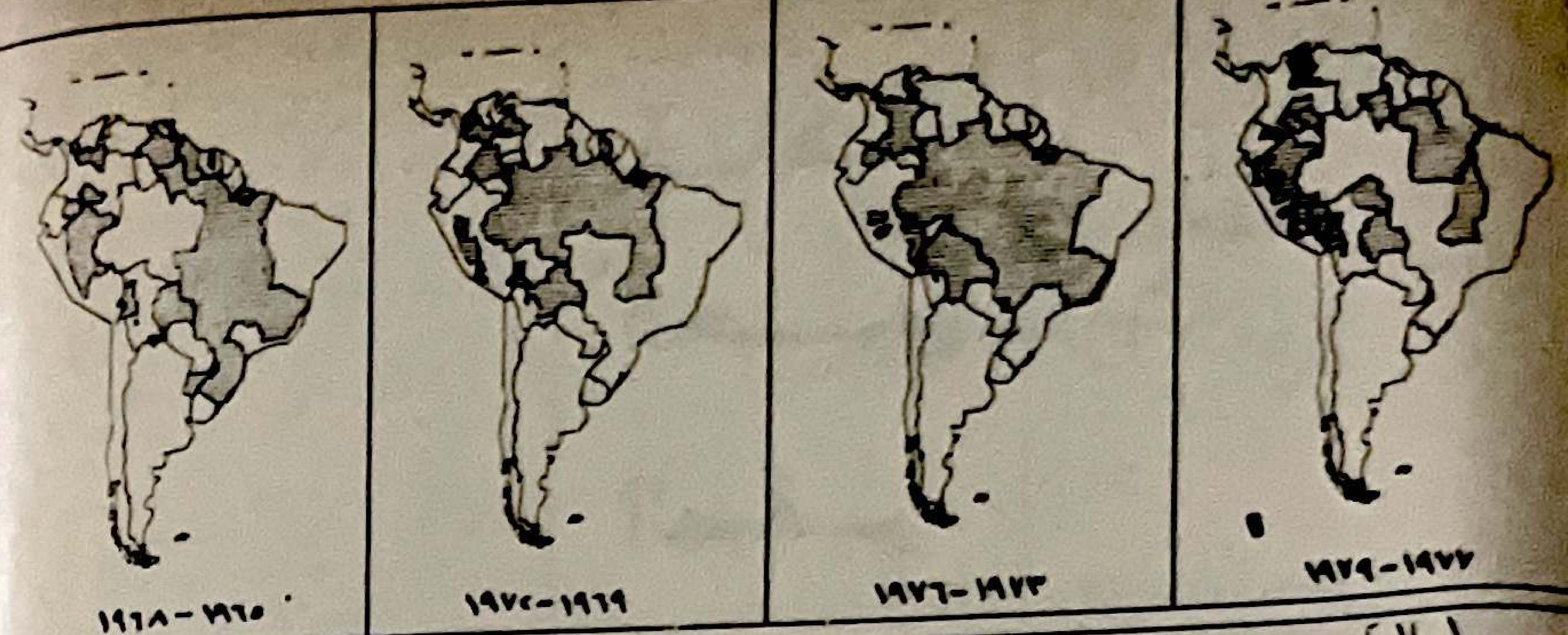
وقد برزت مسألتان كبيرتان من تحليل أسباب الحمى الصفراء . إحداهما تتعلق بطبيعة العامل المسبب لهذا المرض ، والأخرى بالطريقة الخاصة التى ينتقل بها . وكان المعروف أنه يمكن انتشاره على مسافات كبيرة نسبيا ، دون أن يوجد بالضرورة ناقل للمرض بجوار كل مركز جديد مصاب بهذا المرض .

ثم عرف الطبيب الكوبى كارلوس فنلاى (١٨٣٣ ـ ١٩١٥) أن العامل المسبب للحمى الصفراء يمكن أن يكون «فيروسا لا شكل له» ، أو جرثومة حيوانية أو نباتية أو نوعا من البكتريا . ولكن فنلاى كان يهتم بمعرفة كيفية انتشار المرض أكثر من اهتمامه بعزل الكائن الدقيق الذى يسببه . وبين ١٨٧٩ و ١٨٨٠ ركز فنلاى كل جهوده على اكتشاف أى أعضاء الجسم البشرى تظهر فيه الأعراض الأولى للمرض . وقد أقنعته أبحاثه بأن الجرثومة المسببة للمرض تسكن قبل كل شئ فى جدران الأوعية الدموية ولذلك كان من المفروض أنها دخلت فى الدم بوسيلة من وسائل نقل الأمراض ، لاتزال غير معروفة .

وليس من الأمور النادرة فى تاريخ العلم أن تسفر إحدى الحقائق التى لا تمت فى الظاهر بصلة إلى موضوع البحث عن كشف علمى . وكان كشف فنلاى من هذا القبيل . إذ جاءه الإلهام من مقال يصف مرضا من أمراض القمح ، يسببه فطر يقضى جزءاً من دورة حياته متطفلاً على نبات وسيط فأدرك فنلاى من فوره أن الخصائص الوبائية للحمى للصفراء يمكن أن ترجع إلى وجود عامل وسيط نشيط ، يستطيع أن يلقح الشخص السليم بالدم المريض ، وبالتالى بالجرثومة المسببة للمرض .

وفى فبراير ١٨٨١ شرح فنلاى رأيه فى وجود عامل ناقل للمرض ، فى خطاب ألقاه أمام المؤتمر الصحى الدولى فى وشنطن . وفى أغسطس من ذلك العام قطع شوطا كبيراً فى أبحاثه بحيث استطاع أن يصف هذا العامل بدقة مدهشة فى محاضرة ألقاها أمام أكاديمية العلوم الطبية والفيزيائية والطبيعية بهافانا ، فأعلن أن ناقل الحمى الصفراء عبارة عن بعوضة ينطبق وصفها على البعوض المعروف اليوم باسم «ايدس إيجبتى» . ولأول مرة ظهر القول بانتقال كائن دقيق مسبب للمرض من شخص إلى آخر بواسطة ناقل بيولوجى .

وقبل أن يهتدى فنلاى إلى كشفه هذا كانت الفطريات التى ذكرها العلماء تفسيراً لانتقال الحمى الصفراء من شخص مصاب إلى شخص سليم قد أثارت



جدلاً حاميا بين مدرستين رئيسيتين : مدرسة القائلين بالعدوى عن طريق الملامسة ، وهؤلاء قالوا إن المرض ينتقل بالافرازات وعن طريق الملابس والاتصال المباشر . ومدرسة القائلين بالميازما (غاز المستنقعات) وهؤلاء عزوا المرض إلى غاز خبيث الرائحة يفوح من المستنقعات .

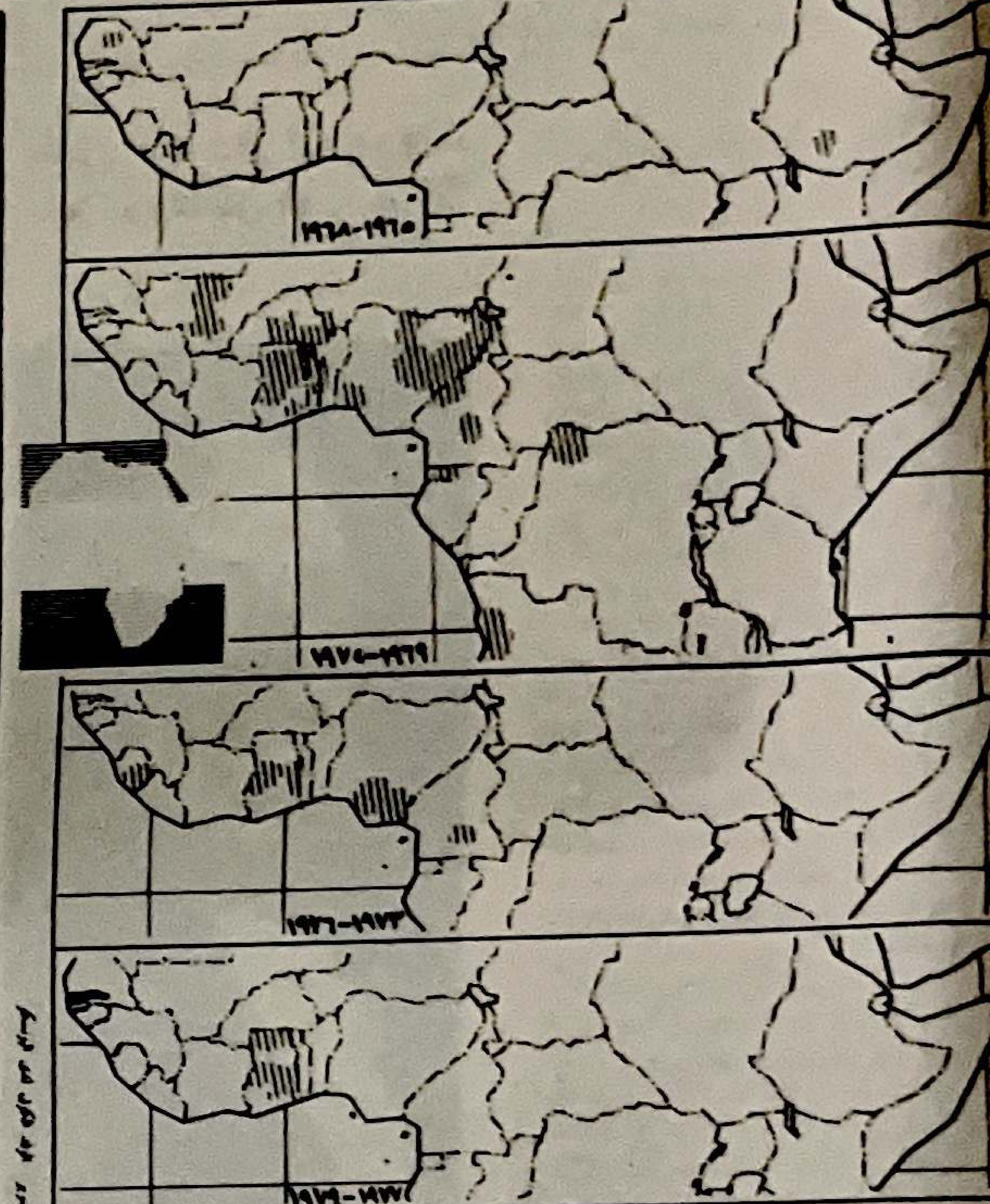
وإذا نظرنا إلى الأمر من الناحية التاريخية وجدنا أن الجديد في كشف فنلاى ليس مقصورا على معرفة العامل الناقل للحمى الصفراء ، بل أيضا معرفة أن بعض الأمراض تنتقل بواسطة ناقل بيولوجى لا بطريق العدوى من شخص إلى شخص .

ومن المسلم به اليوم أن نظرية الناقل البيولوجى تعزى إلى رجلين قرراها وشرحاها في وقت واحد : إحدهما كارلوس فنلاى فيما يتعلق بالحمى الصفراء ، والآخر باتريك مانسون فيما يتعلق بمرض الفلاريا (مرض ينشأ عن دودة خيطية في الدم ، ويسبب داء الفيل) .

ويمتاز فنلاى أيضا بأنه فسر السبب في أن الإصابة بالحمى الصفراء بين سكان كوبا المحليين أقل منها بين الوافدين حديثا إلى البلاد ، فقرر - بحق - أن الكوبيين قد اكتسبوا درجة معينة من المناعة ضد المرض ، وأن البعوض قد حقنهم نوعا من المصل . وكان هذا التفسير متقدما على زمنه .

وفي ١٨٩٨ اقترح فنلاى طريقة مكافحة الحمى الصفراء التى استخدمت بعد أربع سنوات في استئصال المرض من كوبا . وخلاصتها القضاء بالمواد الكيميائية على يرقات البعوض في مستودعات الماء التى يعيش فيها .

وقبل سنة ١٩٠٠ قام فنلاى بتطعيم أكثر من ١٠٠ شخص مستخدما البعوض كناقل لمصل التطعيم . وعلى الرغم من أن معظم النتائج أيدت نظريته فإن هذه لم يؤكدها أى عالم آخر . ثم سنحت الفرصة في ١٩٠٠ لإجراء اختبار محايد حين وصلت إلى كوبا لجنة من الأطباء الأمريكيين على رأسهم والتر ريد ، وذلك لتفحص أسباب الحمى الصفراء . ولكن اللجنة اهتمت بمعرفة الكائن الدقيق المسبب للمرض ، أكثر من اهتمامها بدراسة كيفية انتشار المرض



منذ أن اكتشف كارلوس خوان فنلاى كيفية انتقال الحمى الصفراء ووسائل مكافحتها أصبح هذا المرض الاستوائى الذى ظل متوطنا طوال قرون من الوباء العصيبة الآن في جزء كبير من أمريكا وأفريقيا . تبين الخرائط في أعلى تطور ظهور المرض في أمريكا الجنوبية بين ١٩٦٥ و ١٩٧٩ . وتوضح المناطق المظللة الأقاليم التى ظهرت فيها اصابات بالحمى الصفراء . يلاحظ في الخرائط الأربعة السفلية لأفريقيا تطور وانتشار المرض خلال الفترة نفسها إلا تمثل النقط الموضحة بالخريطة على أن الحمى الصفراء وجدت أولا في ثلاث دول ثم انتشرت بسرعة خلال السنوات التالية في بلاد أخرى قبل أن تتناقص وتنحصر في دولتين في ١٩٧٩ . وجدير بالذكر أن تطعيم السكان بالمصل الواقى هو السلاح الحقيقى في كفاح السلطات الصحية ضد هذا الوباء في مختلف البلدان

هذه الخرائط منقولة عن النشرة الأسبوعية لهيئة الصحة العالمية بشأن الأمراض الوبائية رقم ٤٥ - جنيف ١٩٨٠

... الأمريكية على فحص أقوال فنلاى ... على السلطات الأمريكية في كوبا ، مما ... إلى إعادة تجارب الطبيب الكوبى . ... الأساسية التى توصل هو إليها ، ومما ... أن العضو الوحيد الذى أمن بنظرية ... الطبيب الشاب جيس لازير - توفى في أثناء ... من تلقاء نفسه لاختبار النظرية

... كب وليم جورجاس الذى قاد حملة ... من كوبا وبثنا إلى فنلاى ، يقول :

... لقد تبينت خلال إقامتنا في كوبا لتوصلنا ... النتائج التى توصلنا إليها في ١٩٠١ ، بل إلى ... القول بأن الفضل في اقتناع اللجنة ... (ريد) بصحة نظريتك يرجع إلى ... الطريقة التى دافعت بها عن نظرية ... لولا الأبحاث التى قمت بها في ١٩٠٠ لما ... الأمريكية على البحث في نظرية

... عالم ذى شهرة دولية اعترف بفضل أبحاث ... العالم البكتريولوجى البريطانى السير رونالد ... أشهر بأبحاثه في الملاريا ، ونال جائزة نوبل في ... ١٩٠٢ . وبعد سنتين رشح هو فنلاى لهذه ... الرغم من أن فنلاى لم ينل هذه الجائزة قط ، ... يستحقها بكل جدارة . فإنه كوفئ بتلقى كثير من ... والمرهاد لأبحاثه الجليلة . فنال جائزة بريلت ... الأكاديمية الطبية الفرنسية التى أصبح عضوا فيها ، كما ... ماري كينجزلى من جامعة ليفربول ، وكذلك ... وسام اللجيون دى نير .

... قرر المؤتمر الطبى لجامعة الدول الأمريكية في ... الاحتفال بمولد فنلاى في ٣ ديسمبر كل عام . ... عيداً للطب الأمريكي . وقد نوهت عدة مؤتمرات ... تاريخ الطب بأهمية كشف فنلاى . وأنشأت ... منذ بضع سنوات جائزة باسمه .

... ولكن لعل أروع تقدير لفنلاى وأبحاثه هو أن تظل ... كشفه ماثلة في الأذهان على مدى الزمان . إذ لم ... في كوبا إصابة واحدة بالحمى الصفراء منذ العقد ... من هذا القرن . وزال المرض في كثير من دول ... اللاتينية ، والولايات المتحدة . وفي كل مكان ... فيه المبادئ التى وضعها الطبيب الكوبى .

... بيرنوم بورنا : بيولوجى كوبى . السكرتير العلمى لمركز كارلوس ج فنلاى لدراسة تاريخ العلم ، التابع للأكاديمية الكوبية للعلوم .

... روفائيل أو بيدرانا : طبيب كوبى . رئيس جمعية تاريخ الطب بكوبا .

القديس بندكت النورسي



لسنا نعرف شيئاً عن القديس بندكت ، اللهم إلا من الحكاية التى رواها على مدى خمسين عاما البابا جريجورى الكبير في الجزء الثانى من كتابه « أحاديث » (٥٩٣ - ٥٩٤) وفي هذه المنمنمة بعنوان « معجزات القديس بندكت » بريشة القديس جريجورى والدرهالدوس ، وايجوان (١٤٣٧) نرى جريجورى الكبير وهو يجمع شواهد عن حياة القديس بندكت

صوت على مدى القرون

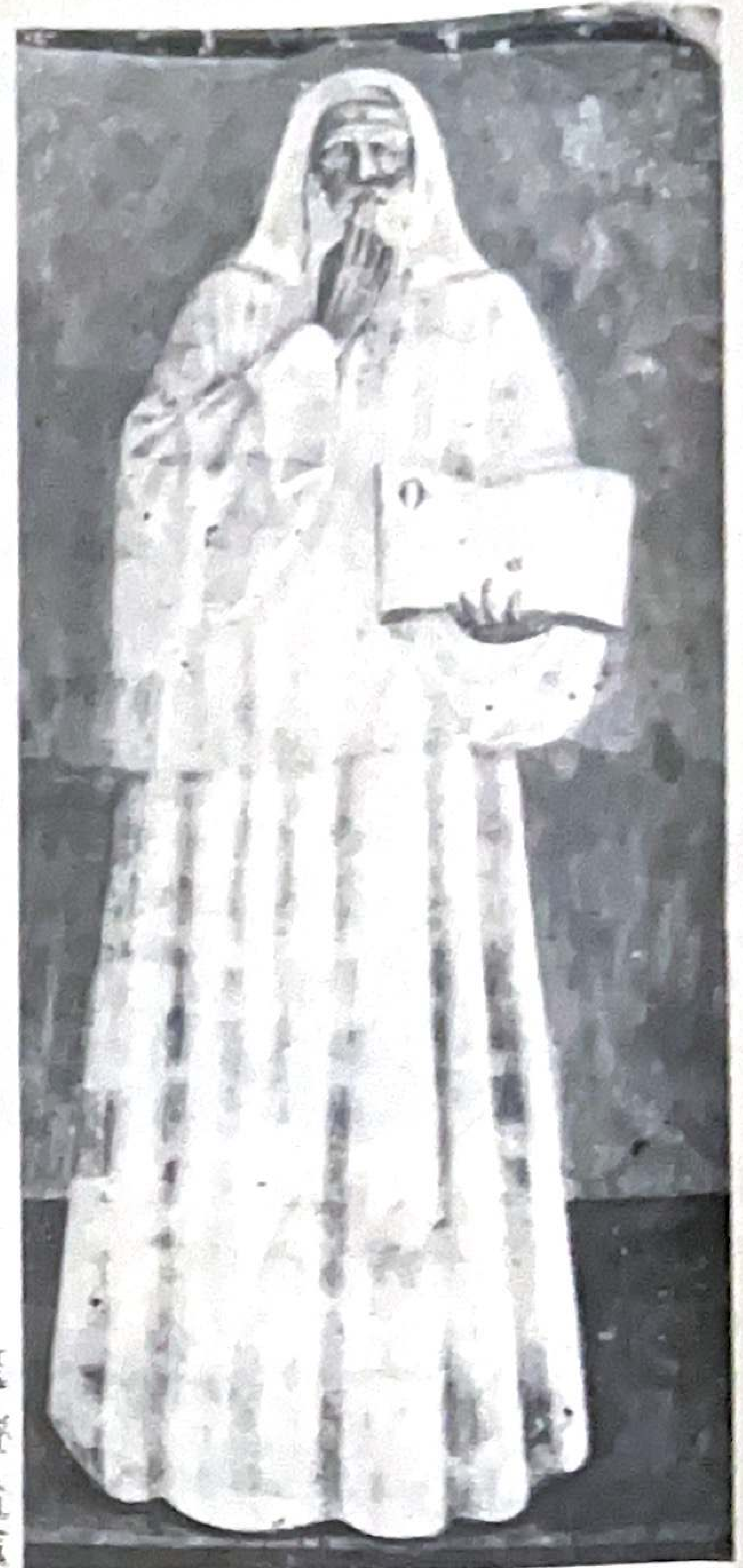
بقلم : جريجورينو بنكو

« استمع ياولدى إلى أوامر المعلم . وأنصت إلى صوت قلبك . تلق عن طيب خاطر تعاليم مثل هذا الأب الطيب . وطبقها في العمل لكى تعود بممارسة الطاعة إلى ذلك الذى أبعدتك عنه المعصية » .

بهذا يبدأ « قانون » القديس بندكت الذى دون منذ حوالى ١٥٠٠ سنة وأصبح من أسس الرهبنة الغربية .

ولسنا نعرف شيئا عن حياة مؤلف هذا القانون ، والمسمى بعامة « كبير رهبان الغرب » اللهم الا من خلال ما رواه - على مدى خمسين عاما - البابا جريجورى الكبير في الجزء الثانى من كتابه « أحاديث » . ولد بندكت في نورسيا ، باومبريا (إيطاليا) عام ٤٨٠ من أسرة نبيلة . وينتمى إلى تلك الفئة من الرجال والنساء الذين يهجرون العالم ، رغبة في توثيق صلتهم بالرب بتأثير نداء داخلى غريب ، ويكرسون أنفسهم بالكامل للخدمة الإلهية وذلك بالصلاة والتوبة . وبعد أن أمضى فترة قصيرة دارسا بروما ، اعتزل العالم بالقرب من سوبياكو ، وعاش محتبسا في كهف (سمى من ذلك الحين : ساكروسبكو) ثلاث سنين . وفي هذه الأثناء اجتذب اليه الكثير من المريدين ، شكل منهم ثلاث عشرة جماعة حول تلك القرية التى غادرها في النهاية ليؤسس دير مونت كاسينو المشهور (الذى دمر أربع مرات من ذلك الحين ، آخرها في الحرب العالمية الثانية) وتوفى عام ٥٤٧ .

جريجوريو بنكو : إيطالى ، وراهب بندكتى بدير ابراتو بالقرب من ... بايطاليا لاهوتى وأخصائى في تاريخ الرهبنة





تشكل الأعمال الفنية المستوحاة من القديس بندكت ، والتي أبدعها غالبا أكبر أعلام الفن مجموعة من أغنى مجموعات الصور والأيقونات لقديس الغرب . وفي هذه الصورة الجدارية التي ترجع الى القرن الخامس عشر (بأعلى إلى اليسار) من إبداع المصور الإيطالي ماريانو دو مابتو دا روما ، يبدو القديس وأصابعه على شفتيه ، يدعو رهبانه الى سكون ، وفي وضع خشوع وتركيز روحي . وخلاف هذه الصورة تبدو الصورة اليمنى (حوالي عام ١٦٠٥) التي تركها عن كبير رهبان الغرب ، المصور الفلمنكي الكبير لعصر الباروك ، بيير بول روبنز ، ورسمها حسب صورة سابقة للقديس بندكت بريشة جيوفاني بللينى . ويبدو القديس وهو يحمل الصلب ويمسك انجيلا مفتوحا . ويصحبه القديس مرقس . وتذكر البصمة التي تتجلى في نظرة القديس بندكت . وفي هيأته بالدور الحاسم الذي أداه في تاريخ التطور الروحي والدنيوي في أوروبا

في حكاية مشهورة عن حياة القديس بندكت رواها جريجوري الكبير ، عنف القديس ملك القوط توتيلا الذي كان يسيطر على قسم كبير من إيطاليا قائلا له : «أنت تفعل شرا كثيرا ، وفعلت شرا كثيرا ، وحسبك ما تدبه من قسوة» . هذه الدعوة الحرية الى السلام والعدل الموجهة من الراهب الذى اعتزل العالم الى واحد من جبابرة عصره تبدو هنا كرمز لتفوق الكلمة على لغة السلاح ، و«القديس بندكت والملك توتيلا» منمنمة تصور «معجزات القديس بندكت» للمؤرخ الفلمنكي جان دى ستافيلو (القرن الخامس عشر) .

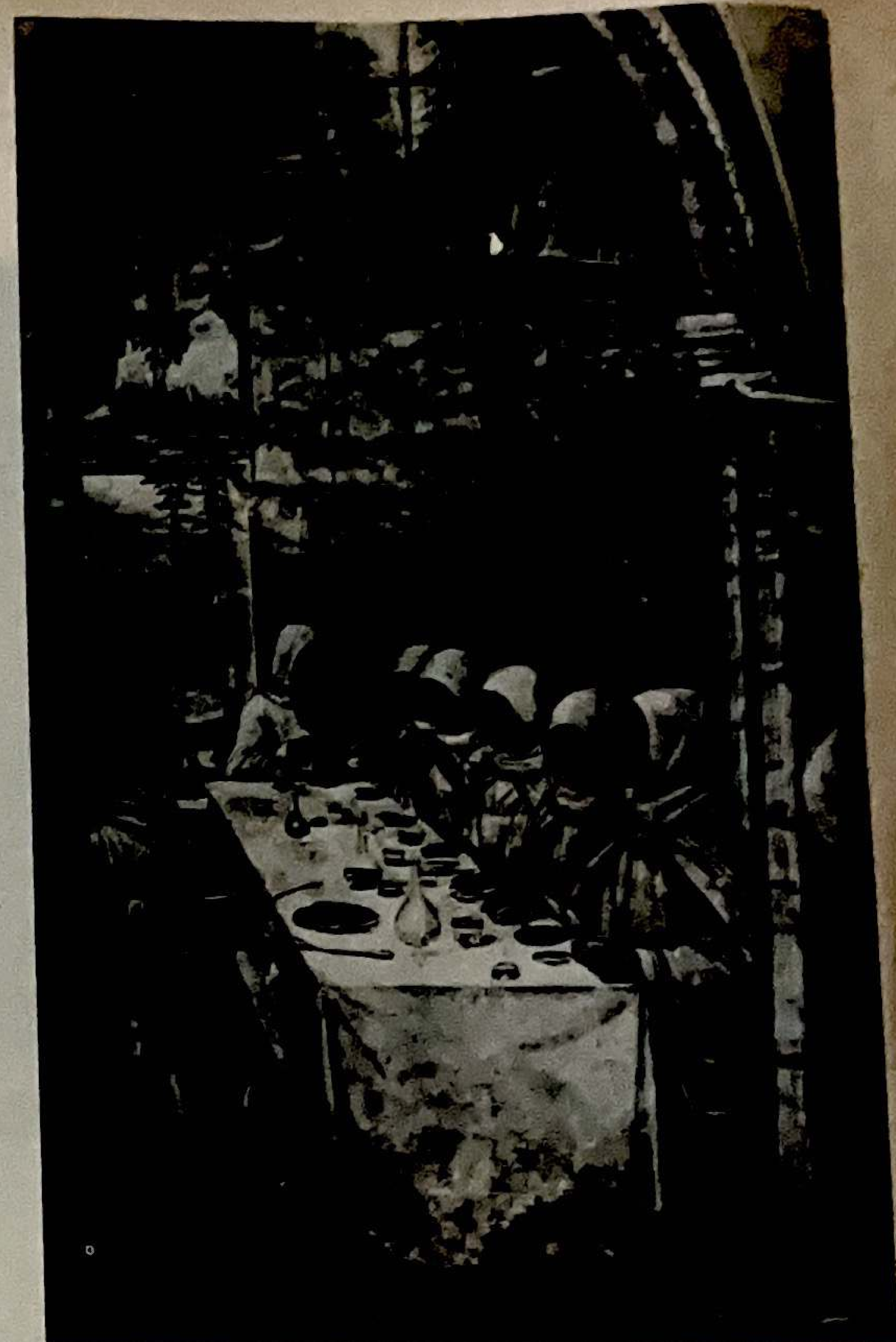


القديس بندكت اذن وقبل كل شئ ناسك متأمل ، ورجل دين (كما يصفه كاتب سيرته) ، ولكنه عمل أيضا كمشرع إذ ألف «قانونا» جمع فيه تجربته في حياة الرهبنة وشرحها . قانونا يخاطب أول كل شئ إخوانه في مونت كاسينو ، ثم سائر الأديرة التي ترغب شيئا فشيئا في تنفيذه . حقا ، كانت حياة الرهبنة موجودة من قبل ، منذ قرنين حتى في الغرب ، وأشار اليها بعض الشخصيات المشهورة (مثل القديس مارتان دو تور) وكانت قد انتجت أيضا أكثر من قانون إلا أن الشئ الذى لم يكن موجودا وقتئذ هو نص متناسق معقول ، ومتزن ، يجعل حياة الرهبنة متاحة لأناس لا يتمتعون بالصفات البدنية والروحية غير العادية ، ويستفيد بفضله المجتمع من تنظيم قوى وحكيم ، قادر على مقاومة تقلبات الدهر كلها .

وينشط في نفس القديس بندكت إيمان عميق ، ومن ثم يريد أن يقوم بنيانه الروحي على أساس هذا الإيمان . وقد تحدث البعض في هذا الخصوص عن «المسيحية المعتدلة» لقانون الرهبنة . لأنه يجب في كل انسان (سواء في ذلك القس ، أو رئيس الدير ، وكذا الأخ ، والمريض ، والمضيف) أن تقر نظرة الإيمان بوجود المسيح . ولما كان هذا المجتمع يتلون ويعيش لغاية دينية محضة (السعي إلى الله) فإن نشاطه الرئيسي هو الصلاة التي يسميها القديس بندكت (العمل الخالص لله) ، وتشمل لحظات مفضلة تتكرر في أوقات محددة أثناء اليوم ، وتتكون أساسا من مزامير وقراءات . والكتاب المقدس مع تفسيرات آباء الكنيسة هو إذن النص الرئيسي للصلاة . ويستطيع الراهب بالصلاة أن يعبر عن النعمة المتجددة : نعمة الحب الإلهي ، ويجد فيها موضوعا لدعاء شخصي ، وكذا لمديح جماعي تشترك فيه المخلوقات كلها للاحتفال بعظمة الله في الدنيا وفي التاريخ ، ولما كانت الصلاة الرغبة والنية مرتبطة بالكتاب المقدس والشعائر الدينية فإنها تتصف بطبيعة موضوعية للغاية ، خلافا لسائر المذاهب الروحية التي لها في الغالب وجهة استبطانية ونفسانية .

وفي «القانون» عنصر رئيسي آخر يتمثل في العمل الذى تحدده الصيغة «صل واعمل» ، ولو أن هذه الصيغة لا توجد بلفظها في نصوص القديس بندكت . والعمل الذى كان يتولاه العبيد وحدهم حتى ذلك الأوان ، يسمح ليس فقط بتجنب خطر الفراغ ، عدو الروح ، ولكن ايضا بتوفير مطالب كل إنسان ، ومساعدة الفقراء والمحتاج . ويتكلم «القانون» صراحة في هذا الخصوص عن «الفنون» ، وبعبارة أخرى عن الحرف التي يمارسها الرهبان داخل الدير ، أما الأعمال الخارجية فيعهد بها إلى مزارعين أو فلاحين من الأحرار . ولكنه ينص على أنه في حالة الضرورة يشترك الرهبان أنفسهم في أعمال الحقول حسب التعليمات نفسها الخاصة بالراحة والطعام ، وترك لرئيس الدير مجالا واسعا للتصرف حسب تقديره .

وتبين في القرون التالية أن هذه الأحكام التي تبدو في ظاهرها بسيطة للغاية ، وتخاطب عالما مغلقا غريبا على المجتمع . إنما هي خصبة بصورة مدهشة . لقد ولد القديس بندكت في أعقاب سقوط الأمبراطورية الرومانية في الغرب (عام ٤٧٦) ، وعاش في عصر حافل بالتحولات العميقة ، تميز بالأزمات والانقلابات (التي لم ينج منها المؤسسات الكنسية وغيرها) في حين اشتدت حركات هجرة الشعوب التي تمخضت عن أوروبا العصر الوسيط . ومع أنه لا يمكن أن نفترض في تكوين



(الصورة ميشيل هلو دو بى . باريس)

كتب القديس بندكت فى كتابه «القانون» يقول «نحن جميعا . عبيدا كنا أم احرارا فى المسيح سواسية . نكافح تحت سيد واحد . خاضعين بنير واحد من العبودية».

ولم يكن القديس بندكت يجرى فى ديره أى تمييز من حيث الجنس أو الحالة الاجتماعية . ولم يكن يتخذ أى قرار هام باختياره رئيسا للدير وأبا للرهبان دون أن يستشير جماعته أو مجلس القدماء . بل لقد تحدث بعض الكتاب فى صدد نظام الحياة البندكتية عن «الديمقراطية الرهبانية» . وتعبر الصورة عن هذه الروح الجماعية . فهى تمثل الوجبة التى تؤكل فى سكون . لا يقطعه إلا القراءة . كما تبين فى هذا الجزء من صورة جدارية بريشة المصور الإيطالى سوروما «مشاهدة أكيلس الملقى» (١٥٠٥ ـ ١٥٠٨)

«القانون» أية رهبة من جانب البابوات فى تحويل الشعوب إلى الدين المسيحى ، أو اهتمام من جانب القديس نفسه بهذا الغرض ـ فلم يكن القديس بندكت يريد بالمرة أن يتحول عن مبدئه ، مبدأ الوحدة واعتزال العالم ـ فإن المقدمات التى وضعها كان لها نتائج حاسمة بالنسبة إلى المستقبل.

وفى الوقت الذى تكونت فيه الأمبراطورية الرومانية المقدسة تحت حكم شارلمان وخلفائه فى القرن التاسع ، كان «القانون» البندكتى يزداد مجال تطبيقه باطراد حتى أصبح النص الثابت تقريبا فى التشريع الرهبانى فى ذلك العصر . وعلى هذا النحو اتيح للعديد من المنشآت الدينية أن يحكمها نص معقول وحكيم على أكمل وجه ، مع احتفاظها باستقلال شبه تام.

وفى أواخر القرن السادس أوفد البابا جرجورى الكبير نحو أربعين راهبا الى انجلترا للتبشير بها . وفيما بعد ، فى القرنين الثامن والتاسع ، سافر الرهبان الانجلو ـ ساكسون ، وعلى رأسهم القديس بونيفاس إلى القارة ، ووصلوا إلى وسط أوروبا فى المناطق التى لم تمسها الحضارة الرومانية وذلك لتنصير الشعوب الجرمانية . وتحول الرهبان بعد ذلك إلى البلاد الاسكندنافية والسلافية ، فلم تنقض بضعة قرون حتى كانت المسيحية ، والتوسع الرهبانى يتقدمان معا خطوة واحدة.

ومع ذلك حان وقت شعرت فيه الأديرة ، من أجل الدفاع عن أنفسها ضد العزلة والمخاطر الخارجية بالحاجة إلى الاتحاد بأن تشكل منظمات أكثر اتساعا ، هى طليعة المنظمات الرهبانية الكبرى . وبدأت هذه المنظمات تغرس فى بورجوف (برجيا) . أولا فى دير كلونى الذى أنشئ فى عام ٩١٠ ، ثم بعد زهاء مائتى سنة فى سيتو التى دخلها القديس برنار ومعه حوالى ثلاثين شخصا من الأقرباء والأصدقاء.

ولم يكن توسع الرهبنة البندكتية ، بسبب هذا التوسع أن تبقى بمنأى عن تطور الكنيسة والمجتمع . كانت حلفة للكنيسة فى سعيها للإصلاح الدينى وتصديها للتدخلات الدنيوية والسياسية ، وشريكة للمجتمع باسهامها فى دورات الإنتاج ، وتقديم تقنيات حرفية جديدة ، وفى تطوير الزراعة والتجارة . ولم يلبث كل دير فى موقعه على طريق أو آخر من طرق المواصلات الكبرى ، حيث يتولى صيانة الطريق ، أن جعل به دارا لاستضافة الحجاج ومستشفى حقيقيا للمرضى.

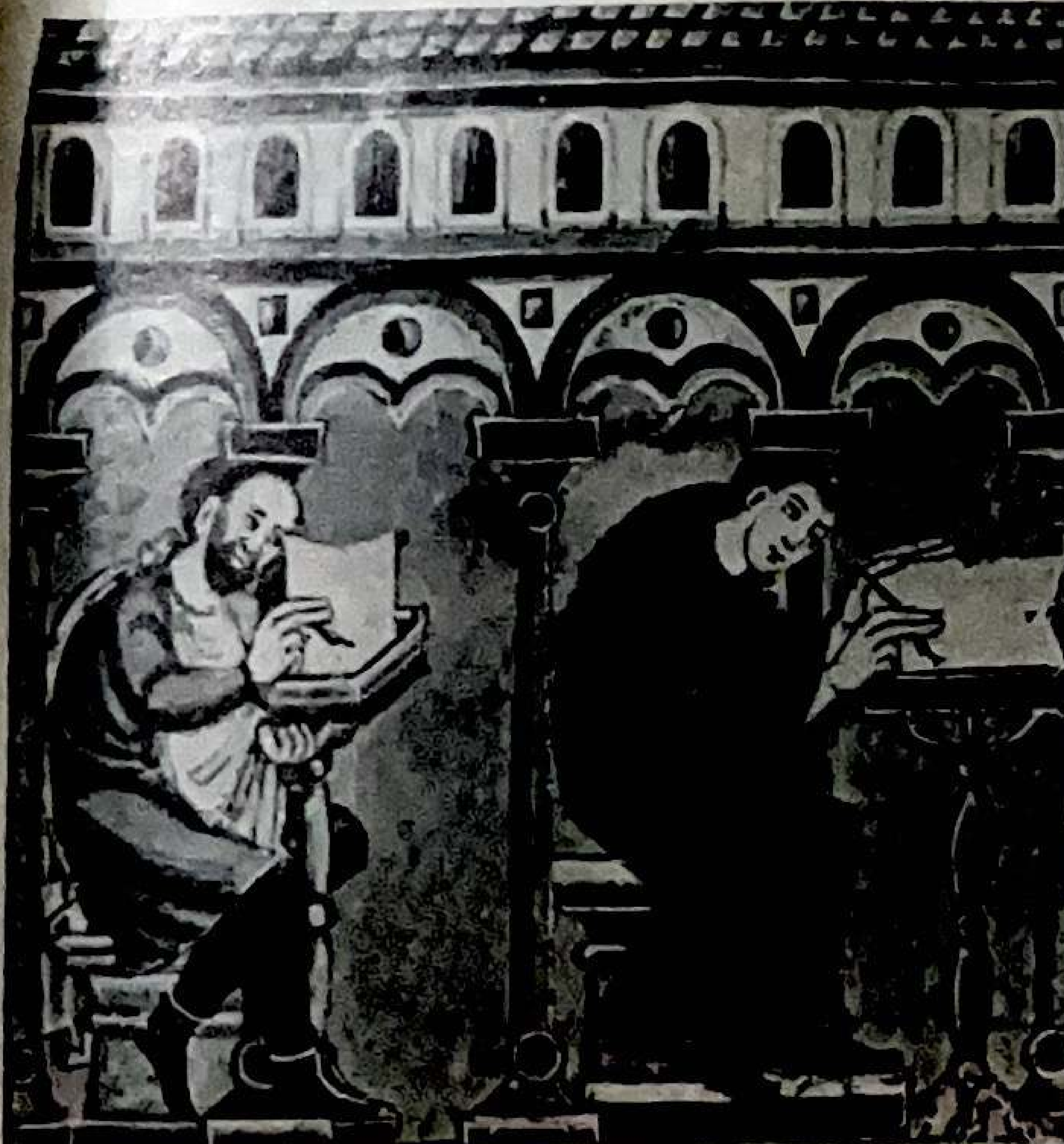
وحظيت الحياة الروحية بنوع خاص ، وبمعناها الأكثر اتساعا من الأديرة البندكتية بدافع غير عادى فى عصر كان به القليل جدا من المؤسسات الأخرى القادرة على أداء مهمات مماثلة . كان بكل دير مكتبة ، وحجرة لنسخ المخطوطات اللازمة ليس فقط لإقامة القداس الشعائرى ، ولكن أيضا للدراسة ، وتأهيل الرهبان فكريا فى المدارس المناسبة . وفى حين ظهر فى المجتمع كله انحطاط شديد فى الأحوال الثقافية . كانت الكتب فى هذه المكتبات الرهبانية تشكل فى الكثير من الأحيان التراث الوحيد للمعرفة . ولقد نقل النساخ البندكتيون وحفظوا ليس فقط النصوص المقدسة فى الدين المسيحى ، ولكن أيضا كلاسيكيات الآداب الإغريقية والرومانية ، وبذلك أسدوا خدمة جليلة للحضارة ، وجنبوا التقدم الحضارى الكثير من الانقطاعات وفى هذه الأثناء بقيت أعمال القديس بندكت وورثته قائمة ، وبخاصة من أجل القيم



(الى اليمين)

كان الإشعاع الحضارى والثقافى المنبثق من الأديرة البندكتية هائلا (وقد تجاوز عدد هذه الأديرة فى أواخر القرن الثانى عشر ١٠٠٠٠٠ دير) . وأسهم الرهبان فى حجراتهم المخصصة للنسخ ومدارسهم فى نقل التراث الأدبى من العصور القديمة الى العالم الحديث . وأنشأوا نمطا أوروبيا ممتازا . ولعل يندرج فى هذه المنمنمة التى ترجع الى القرن الخامس عشر كونستانت الأفريقى ، راهب مونت كاسينو (فى القرن الحادى عشر) يفحص الأمراض ، وقد نقل الى أوروبا عناصر من الطب الإغريقى العربى . وبأسفل ، حجرة النسخ ، بدير الشرتاع (بلكسيورج) من القرن الحادى عشر





(بأسفل يسارا)

صل واعمل

كان يوم الرهبان الموزع بين الصلاة والعمل . منظما تبعا لجدول وقتى محدد ، وكان الرهبان ينتقلون من نشاط الى آخر على رنين الأجراس . ومن ابتكارات «قانون» القديس بندكت أنه ليواعث روحية خالصة أضفى قيمة جديدة على العمل اليدوى الذى يشغل الى اليوم مكانا محددا الى جانب الصلاة فى مشاغل الراهب اليومية . ولقد أسهم البندكتيون بأخلاق العمل هذه إسهاما فعالا فى نهضة أوروبا الاقتصادية والاجتماعية فى العصر الوسيط . ونرى فوق هذا من أعلى الى أسفل . أنبرانا على حرف مزخرف من الكتاب المقدس بدير سانت اورا (شمالى فرنسا) فى حوالى عام ١٢٥٠ ، ثم راهب يحط على مقعد خشبى بصدر دير سان لوسيان دو بوفيه وبأسفل راهب مع برميل الزبدة . على مقعد الدير نفسه

الروحية التى نشرتها وحافظت عليها فى الغرب حية حتى مستهل العصر الحاضر . واستلزمت التحولات الاجتماعية ظهور طوائف دينية تتحلى بمزيد من الصراحة التبشيرية بالمسيحية ، وتتأهب لهذه المهمة . وكان تنظيم العمل ، وتوجيه الصلاة ، وإمكانيةُ وجود حياة جماعية تحصل على مواردها تقريبا من النواحى المحيطة بالدير ، كل ذلك شكل الكثير من القيم التى نشرتها ودعمتها الرهبنة البندكتية فى مجتمع العصور الوسطى . وتشكلت الروح الأوروبية العميقة بأيدى أبناء القديس بندكت الذين أبدعوا ثقافة كانت ، بتنوع أشكالها القومية والمحلية موحدة توحيدا عميقا ، تنهل من ينابيع واحدة ، وتشترك فى إيمان واحد قائم على الكتاب المقدس وتقاليد الكنيسة .

وعلى مدى قرون طويلة ، ظل المثل الأعلى للقداسة مطابقا لذلك المثل الذى صاغته حياة الرهبنة . ويمكن أن نحصى الألوف من القديسين البندكتيين الذين أدرجوا أو يدرجوا فى عداد القديسين . وكانوا سادة الحياة الروحية ، ومستشارى البابوات والأباطرة ، ومؤسسى الأديرة والمدن ، ومبشرى الشعوب بالإنجيل ومن بين هؤلاء القديسين كثير من المفكرين الذين اعتبروا من أعلام الكنيسة (نذكر منهم بوجه خاص : بيد ، وبيير داميين وأنسلم ، وبرنار) . ساعدوا على نشأة لاهوت خاص سمى بنوع خاص « اللاهوت الرهبانى » . ملائم لحياة ملؤها الصلاة والاتصال بالله ، وتشكل كتاباتهم قيمة مستديمة يقدرها اليوم بنوع خاص بعض البحاث ، حيث أنها تشجع وحدة الصلاة والحياة ، والإيمان والإحساس ، والدين والثقافة . وهكذا لم تزل الأبوة الروحية لدى القديس بندكت تمارس تأثيرها بعد انقضاء العديد من القرون . ولم يزل صوته يرود بالتعاليم أبناء عصرنا الحاضر .



لم يفكر القديس بندكت أبدا فى إنشاء جماعة للتبشير . إلا أن شهرته كناسك دفعته أولا الى التبشير بالدين المسيحى لكل من كانوا يأتون اليه . ثم مضى رهبانه يخطون فى قسم كبير من أوروبا . وفى عام ٥٢٩ شيد على موقع كان لمعبد قديم لأبولون دير مونت كاسينو الذى تهدم عدة مرات ، وأعيد بناؤه آخر مرة فى عام ١٩٤٤ . وكان الدير مركزا ثقافيا هاما ، ودارا لنساخ العصور الوسطى . وبأعلى رهبان فيكوفارو يطلبون من القديس بندكت أن يكون رئيسا لهم . وهذا رسم زخرفى على كتاب صلوات بدير جراموت (فرنسا) فى حوالى عام ١٤٥٠ . وبأسفل ، مونت كاسينو مهد الرهبنة البندكتية

(الصورة العليا : بيرت أوربان ، أنفير)

(الصورة السفلى : أى بوجا ، سانس ، ميلانو)







فى كل أنحاء العالم رجال ونساء يعيشون طبقا لقانون بندكت . وبأعلى راهبات بندكتيات فى دير كوبرى (فولتا العليا) وبأسفل ، رهبان يستمعون الى رئيسهم فى رواق دير بدوان الصغير فى بروفانس

(الصورة العليا : م . ت كاوار ، باريس)

(الصورة السفلى : جيل ميهيه ، مجلة فيجارو ، باريس)

من أنباء اليونسكو

اليوم العالمي للغذاء

وكان اليوم العالمي للتغذية في ١٦ من أكتوبر ١٩٨١ [illegible] لمنظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة [illegible]

[illegible] لذكرى سنوية بلغارية

سوف يطلق [illegible] بلغارية [illegible] الذكرى السنوية الألف والثلاثمائة لتأسيس دولة بلغاريا [illegible] ديسمبر عام ١٩٨٢ [illegible]

رف الكتب

RECENT UNESCO BOOKS & PERIODICALS

- **The Book Today in Africa**, by S.I.A. Kotei. A broad-ranging enquiry into the current book situation in Africa. 210 pp., 1981 (30 F).
- **Made to Measure: Children's Books in Developing Countries**, by Anne Pellowski. 129 pp., 1980 (22 F).
- **Studies in Mathematics Education**, Volume 2, edited by Robert Morris. A contribution to the design of future mathematics programmes. 179 pp., 1981 (24 F).
- **The Concept of International Organization**, edited by Georges Abi-Saab. 245 pp., 1981 (42 F).
- **Methods of Computation of the Water Balance of Large Lakes and Reservoirs**, Vol. I, Methodology. A contribution to the International Hydrological Programme, edited by H.L. Ferguson and V.A. Znamensky. (No. 31 in Unesco's "Studies and Reports in Hydrology" series). 120 pp., 1981 (32 F).
- **Community Communications. The Role of Community Media in Development**, by Frances J. Berrigan. (No. 90 in Unesco's "Reports and Papers on Mass Communication" series). 50 pp., 1981 (10 F).
- **Alexander Pushkin**, by Dmitrij Blagoj. One of a number of monographs prepared in the context of Unesco's project for the study of Slav cultures and being published, in collaboration with the International Association for the Study and Dissemination of Slav Cultures, under the general title of "Prominent Figures of Slav Culture". 104 pp., 1981 (18 F).
- **Museums in China** is the theme of **Museum**, Unesco's quarterly on museography (Vol. XXXII, no. 4, 1980). Single issue: 24 F, annual subscription: 72 F.
- **Weapons from Science: Civilization's Pitfall**, theme of Unesco's quarterly **Impact of Science on Society** (Vol. 31, No. 1, Jan-March 1981). Single issue: 16 F, subscription 56 F (1 year); 90 F (2 years). **See news item this page.**
- **Educational reform—1: Approaches**, theme of the special dossier in Unesco's quarterly review of education **Prospects** (Vol. XI, No. 1, 1981). Single issue: 16 F, subscription 56 F (1 year); 90 F (2 years).

باختصار

ـ تقدر منظمة الصحة العالمية عدد الأشخاص المصابين بالعمى في العالم بحوالي ٣٠ إلى ٤٠ مليونا ، يعيش ٨٠٪ منهم في البلاد النامية .

ـ يقدر تقرير الهيئة الدولية للأرصاد الجوية بأن الأعاصير الاستوائية ، تتسبب كل عام في وفاة ٢٠٠٠٠ شخص في المتوسط ، وتكلف اقتصاد البلاد النامية حوالي ٦ إلى ٧ مليارات من الدولارات .

ـ سوف يصل [illegible] عن طريق البرنامج العالمي للتغذية إلى سكان موريتانيا ضحايا الجفاف .

ـ تقدر [illegible] لبلاد العالم الثالث ، والتي [illegible] منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية في الفترة من ١٩٨٢ إلى ١٩٨٦ بمليار واحد من الدولارات .

ـ [illegible]

أستاذ سوفيتي يفوز بجائزة كالنجا

منحت جائزة كالنجا [illegible] العالم السوفيتي سيرجي كابتزا ، أستاذ الفيزياء بمعهد الفيزياء التقنية بموسكو . ومنذ عام ١٩٧٣ ، والأستاذ كابتزا يقدم بالتليفزيون برنامجا علميا يشاهده حوالي ٤٠ مليونا من مشاهدي التليفزيون . [illegible]

من أجل إنقاذ حيوان الباندا

أطلق الصندوق العالمي للحياة البرية حملة دولية في خمس قارات لجمع المال اللازم لدعم الجهود التي تبذلها جمهورية الصين الشعبية لإنقاذ حيوان من أكثر الحيوانات قيمة في العالم : الباندا الكبير . والحملة هي أول مشروع مشترك للصيانة بين الحكومة الصينية ومنظمة للصيانة غير حكومية . [illegible]

هيئة كهرباء مصر

إحدى شركات وزارة الكهرباء

ترتكز استراتيجية هيئة كهرباء مصر على توفير الطاقة الكهربائية للاستخدامات المختلفة فى الوقت المناسب بالقدرة اللازمة وبالمواصفات الفنية السليمة وبأقل تكلفة ممكنة فى ظل اتخاذ كافة الاحتياطات والاجراءات الكفيلة بضمان استقرار واستمرار التغذية الكهربية للاستخدامات المختلفة ولأجل تحقيق ذلك تضع نصب عينيها طائفة من الأهداف التى تواصل السعى من أجل النهوض بها وبالأعباء العديدة التى تقع على عاتقها والتى نذكر منها على سبيل المثال ما يلى :

- تخطيط نظم القوى الكهربية لجمهورية مصر العربية على المدى القريب والبعيد
- التنبؤ بالاحتياجات الكهربية ومعدلات زيادة استهلاك الكهرباء واحتياجات المشروعات الصناعية والزراعية الكبرى تحقيقا لخطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية للدولة
- الاستغلال الأمثل لموارد البلاد الطبيعية والتنسيق بينها لتحديد أنواع محطات توليد الكهرباء اللازمة لتغطية الاحتياجات من الأحمال والطاقة الكهربية وما تستلزمه من شبكات النقل والتوزيع ومسايرة التقدم التكنولوجى فى هذا المجال
- انتاج الكهرباء من محطات التوليد الحرارية والمائية وغيرها
- نقل الكهرباء من مصادر انتاجها إلى مراكز الاستهلاك بواسطة شبكات النقل ذات الجهود الفائقة والعالية .
- توزيع الكهرباء عن طريق شركات التوزيع وتوصيلها للمستهلكين بواسطة الشبكات ذات الجهد المتوسط والمنخفض وذلك بأفضل النظم الفنية والاقتصادية والتى تضمن حسن استمرار التغذية الكهربائية للمستهلكين
- المحافظة على المنشآت والمعدات الكهربائية عن طريق صيانتها وتجديدها وابدال المستهلك منها مع توفير قطع الغيار ومستلزمات الانتاج التى تضمن ذلك سنويا

وتقوم إدارة الهيئة للدراسات والبحوث والتطوير باجراء دراسات للأحمال المتوقعة على الشبكة القومية الموحدة من خلال الحاسبات الآلية وأحدث طرق الحساب العلمى والتقنى وذلك للتخطيط القصيرة (حتى عام ١٩٨٥) والمتوسطة (حتى عام ١٩٩٠) والطويلة المدى (حتى عام ٢٠٠٠) لمجابهة هذه الأحمال بدرجة عالية من الكفاءة . والتخطيط السليم لمشروعات الامداد بالطاقة الكهربية من مختلف طرائق توليدها سواء التقليدية أو المستحدثة لتحقيق أعلى كفاءة اقتصادية ممكنة

وتهدف هيئة كهرباء مصر فى خطتها الخمسية ٨٠ / ١٩٨٥ إلى زيادة القدرات المركبة للمحطات من ٤٥٠٠ ميجاوات حاليا إلى ٧٠٠٠ ميجاوات عام ١٩٨٥ وذلك من أجل الارتفاع بالانتاج من الطاقة الكهربية من ١٨٫٥ مليار كيلو وات ساعة حاليا إلى ٢٢ مليار كيلو وات ساعة عام ١٩٨٥ حيث سيساهم ذلك فى الارتفاع بمستوى نصيب الفرد من الطاقة الكهربية المستهلكة سنويا من ٤٠٠ ـ كيلو وات ساعة هذا العام إلى ٧٠٠ كيلو وات ساعة عام ١٩٨٥

كذلك تضع الهيئة فى أولويات الخطة الخمسية ضرورة الوفاء باحتياجات خطة التنمية من القدرة الكهربية فى قطاعاتها المختلفة والمشتملة على المشروعات التالية

- المشروعات الصناعية

وتقدر متطلبات المشروعات الصناعية الكبرى من الحمل والطاقة عام ١٩٨٥ بحوالى ١٣٢٠ ميجاوات .

- مشروعات التعمير والمجتمعات الجديدة

وتشمل تغذية محافظة الوادى الجديد باجمالى قدرة حوالى ٦٥ ميجاوات ويتضمن ذلك انشاء محطى محولات باجمالى سعة ١٩٠ ميجافولت أمبير وخطوط هوائية بطول إجمالى حوالى ٦٠٠ كيلو متر . كما تشمل تغذية احمال كهربية للمدن الجديدة بالساحل الشمالى والعرى تقدر بحوالى ٢٨٠ ميجاوات عام ١٩٨٥ بالاضافة إلى تغذية المجتمعات الجديدة بمدينة العاشر من رمضان ومدينة السادات ومدينة ١٥ مايو بحلوان ومدينة ٦ أكتوبر ومدينة الأمل بالقطامية عن طريق إنشاء محطات محولات بسعة إجمالية تقدر بحوالى ٩٠٠ ميجافولت أمبير

- مشروعات تعمير سيناء

وتشمل إنشاء محطات محولات جهد ٢٢٠ / ٦٦ ك . ف . بسعة إجمالية حوالى ٣٥٠ ميجافولت أمبير وانشاء محطات محولات جهد ٦٦ / ١١ ك . ف . بسعة إجمالية حوالى ٣٢٠ ميجافولت أمبير وانشاء خطوط مزدوجة الدائرة بطول إجمالى حوالى ٤٣٠ كم . ويتوقع للأحمال التى ستغذيها هذه المشروعات الكهربية أن تبلغ حوالى ٣٤٠ ميجاوات عام ١٩٨٥ لتغطية مشروعات استصلاح الأراضى ومناجم المنجنيز والفحم واستغلال المناطق الساحلية واستخراج الثروات المعدنية والبترول والإنارة والصناعات البيئية الصغيرة وغيرها

- مشروعات استصلاح الأراضى

وتشمل مشروعات استصلاح الأراضى المطلوب تغذيتها بالطاقة الكهربية حتى عام ١٩٨٥ حوالى مليون فدان تبلغ الاحتياجات المقدرة من الطاقة الكهربية لها وما يقع فى نطاقها حوالى ٧٠٠ ميجافولت أمبير

- مشروعات النقل

وتشمل مشروعات مترو الانفاق وكهربة الخطوط الهامة من السكك الحديدية تقدر الأحمال الكهربية المطلوبة لها بنحو ٣٥٠ ميجاوات

- مشروعات التوسعات فى إنتاج الأسمنت

وتتضمن زيادة الطاقة المتاحة لشركات الأسمنت من حوالى ٦٠ ميجاوات عام ١٩٧٩ إلى حوالى ٤٠٠ ميجاوات عام ١٩٨٥ وذلك للمساهمة فى خدمة قطاع الاسكان ومعاونته فى حل المشكلة الاسكانية .

وتساهم هيئة كهرباء مصر بالدراسات والجهود اللازمة للبرنامج النووى القومى المصرى من أجل وضع حل شامل وجذرى لمشاكل توفير الطاقة الكهربية على المدى الطويل حتى عام ٢٠٠٠ ولذا فهى تواكب لحظة بلحظة الجهود القومية والدولية فى هذا المضمار

ان هيئة كهرباء مصر بذلك الانجاز الرائع فى مجالات توفير وتأمين الطاقة الكهربية المطلوبة للتنمية والتقدم على أرض الوطن تؤمن بأن تلك هى رسالتها وذلك هو دورها المناط بها والذى تخلع عليها شرف الريادة نحو المستقبل فى ثقة وارتقاب ورجاء



الشركة العامة للمشروعات الكهربائية ايليجكت

إحدى شركات وزارة الكهرباء

نبذة تاريخية :

شركة ايليجكت رائدة وأولى شركات المشروعات الكهربائية فى مصر وقامت خلال سنواتها الستة عشر بانجاز المشرو... ربائية والميكانيكية وساهمت بفاعلية فى تطوير تكنولوجيا الصناعة والزراعة فى مصر وقدمت الكثير فى المجالات الآتية :

- محطات التوليد والمحولات الكهربائية .
- خطوط نقل القوى الكهربائية جهود من ١١ ك . ف إلى ٢٢٠ ك ف
- انشاء الشبكات الكهربائية للترام والترولى باص .
- انشاء شبكات كهربة الريف والمدن .
- تنفيذ الأعمال الكهربائية للمصانع .
- التصميمات الكهربائية والمدنية .
- شبكات التحكم الاوتوماتيكى كهربائيا لخطوط أنابيب البترول .

ومن أهم التعاقدات التى تمت عام ١٩٨١ تنفيذ المشروعات الآتية

١ ـ عقد توريد وتركيب ١٤ محطة محولات جهد ٦٦ / ١١ ك . ف بالتعاون مع شركة مارلين جيران الفرنسية لتأمين توزيع الطاقة الكهربائية بمدينتى القاهرة والأسكندرية وتبلغ قيمة العقد ٣٥ مليون جنيه .

٢ ـ عقد البنك الدولى للانشاء والتعمير لشبكات كهربة الريف والمدن ومحطات المحولات لعدد ثمانية محافظات وذلك فى إطار البرنامج القومى لكهربة الريف المصرى وتبلغ قيمته الاجمالية ١٤ مليون جنيه .

١٢ شارع يوسف الجندى ـ باب اللوق ـ القاهرة ـ صندوق بريد رقم ١٩٢١ ـ القاهرة ـ تلغراف ايليجكت تليفون ٢٣٣٤٤ ـ ٣١٥٠٨

كيف تحصل على مطبوعات اليونسكو

جمهورية مصر العربية

مركز مطبوعات اليونسكو

١- شارع طلعت حرب

تليفون : ٧٤٢٥٠٢

٧٤٠١٧٥

الأردن : المكتبة العامة لأمانة العاصمة
شارع الهاشمي مبنى العاصمة
عمان - ص . ب (١٣٢)

السودان : مكتبة البشير، صندوق بريد ١١١٨ الخرطوم

العراق : مكتبة مكنزي - بغداد

سوريا : مكتبة صايغ - دمشق



فى أفريقيا: خمسة ملايين لاجئ

(أنظر المقال بصفحة ١٥)